إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم



الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

تصدرها

دار التبليغ الاسلامي قم

الهادي في سنتها الثالثة

وهكذا طوت مجلتنا السنة الثانية من عمرها، ولا بد ان يكون القارىء الكريم قد لمس التقدم المطرد في كل من مجالي المادة والعرض، ولقد بذلنا بتوفيق من الله تعالى – كل ما في امكاننا في سبيل ان نقدمها للقراء الأعزاء يتنوعاً وفكرياً ثراً، ومدرسة تربوية تشتمل على مختلف الجوانب التي يجب أن يتوفر الانسان المسلم عليها ويعمق مفعولها في وجوده الفردي وتعامله الاجتماعي . .

هذا بالإضافة الى الجانب الشكلي والتنظيم الفني الأصيل رغم عدم مساعدة الظروف وعدم توفر الامكانات المطلوبة .

. . . ونعود فنكرر أننا لا نعتبر المجلة قد بلغت ما هو المطلوب ولكنا نستطيع بعون الله أن نعتبرها خطوة موفقة في هذا السبيل . .

سنة اعداد سنوياً :

. . . وبهذه المناسبة فانه ليسرنا ان نزف الى القراء الكرام بشرى تحول (الهادي) من مجلة فصلية الى مجلة تصدر في كل شهرين . . .

ولعلنا بذلك نستطيع ان نجبر التأخير الذي حصل في صدور هذا العدد والذي كان وليد عوامل عديدة مختلفة أحدها ازمة الورق التي اوقفت الطبع لمدة شهرين .

ولئن كان القراء الاعزاء قد انتظروا طويلا وصول هذا العدد فاننا نأمل أن تصلهم الأعداد التالية في موعدها المحدد .

والله سبحانه ولي التوفيق

هيئة التحرير

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

« عدد ممتاز »

العدد الاول ـ السنة الثالثة

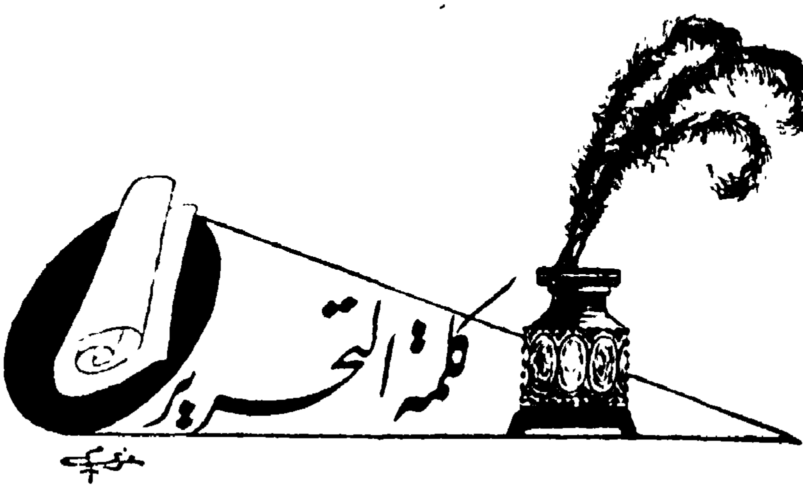
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

حكمة العدد

«ولا تمشِ في الارض مرحاً ، انك لن تخرق الارض ، ولن تبلغ الجبال طولا»

«القرآن الكريم»



في حزيران كانت نكسة...

وفي رمضان كان الانتصار...

وقلنا في نكسة حزيران ان الامة المقاتلة ينبغي الا تستسلم لمرارة الهزيمة .

ونقول في انتصار رمضان ان الامة المنتصرة ينبغي الا تستغرقها نشوة الانتصار، وكلا القولين حق فان الاستسلام لمرارة الهزيمة، يفقد المقاتل ثقته ووجوده وكفاءاته القتالية، والاستغراق في نشوة الانتصار يفقد المقاتل ثقته بالله تعالى بما يصيبه من غرور وخيلاء ، يخيل اليه انه هو الذي صنع الانتصار وانه هو الذي تفوق بكفاءاته وقدرته على قدرة العدو العسكرية ، دون ان يحسب حسابا لتأييد الله تعالى واسناده له في المعركة .

وعندما تستسلم الامة للهزيمة ، تقبل الهزيمة كامر واقع فلا تعود تفكر في الكرة على العدو ، وتلافي نقاط الضعف في وجودها، وعندما تستغرقها نشوة الانتصار تستحقر امر العدو ، ولا تعود تحسب حسابا لغدر العدو وختله ، ولا لامتدادات العدوان على ارضها ووجودها .

وهذا كله خطأ وضعف ينبغي ان يحترز عنه الجندي وتحترز عنه الامة التي تقاتل في سبيل كيانها ووجودها .

* * *

والذي ينبغي ان يكون :

هو ان يرتفع المقاتل في كل حال عن احداث المعركة ، ويرتفع عن التأثر والانفعال بما يجري في ساحات المعركة من انتصار وهزيمة ، ويخطط ويفكر دائما لما يأتي من مراحل المعركة، وفي امتدادات العدوان وآثاره.

ولست اريد ان اقول ان لا تأسف الامة على ما اصابها من قرح او لا تفرح لما تناله من نصر وانما اردت ان اقول ان لا تستسلم الامة لهزيمة ، ولا تستغرقها نشوة الانتصار ، وان لا يعوقها هذا وذاك عن التفكير المستمر والتخطيط الدائم لمواجهة العدو ، وان لا يعوقها شيء من ذلك عن الثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى في ساحة المعركة .

* * *

ونقف الان وقفة قصيرة عند حزيران ١٩٦٧

وماكان فيه من مرارة وهريمة ، وما كان ينبغي للامة ان تتخذه من موقف وتصنعه في ذلك المحن.

لقد استشعرت الامة مرارة النكسة في حزيران بكل وجودها، واكثر مما كان ينبغي ان تستشعر ولم يكن من الجدير بامة عاشت أحداث التاريخ، حلوها ومرها أربعة عشر قرنا أن تستشعر مرارة النكسة (ولا اقول الهزيمة) وبكل قوة يقول تعالى :

«ولا تهنوا ولاتحزنوا ، وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين، ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، ويعلم الصابرين» .

فلم يكن ينبغي ان يصيبنا وهن ولاحزن وقد ضمن الله تعالى لنا ، (والكلام هنا مع المقاتلين وليس مع القيادات) العلو والتفوق على العدو ان كنا مؤمنين حقا .

ثم كان ينبغي الا يهولنا ما أصابنا من قرح ، فما أصابنا من قرح قد أصاب القوم مثله أو أكثر منه .

وثم ألم يكن من الحق أن يمحص الله هذه الامة بعد طول (رقاد) وطول استسلام للواقع المنكر ؟ . ولكن ان كانت هذه الامة بحاجة الى تمحيص ، ونقص من الاموال والثمرات والانفس فان عاقبة الكافرين المحق والفناء ..

«وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين» .

* * *

كان ينبغي أن تتلقى الامة النكسة في حزيران بهذه الذهنية القرآنية ، بالذهنية التي تلقى بها الجندي المسلم هزيمة أحد .

والاية الكريمة نزلت عقب حرب احد بالذات.

وقد ذكر مؤرخوا السيرة النبوية ان النبي صلى الله عليه وآله قاد المجاهدين -في حرب احد- بعد النكسة بأيام فقط الى ملاحقة قريش في الصحراء .. ولم تحدث حرب ، فان قريش كانت قد آبت الى مكة فرحة بما نالت من غلبة.

الا أن العرب عرفت يومذاك وفهمت قريش ان المسلمين لم يستسلموا للهزيمة ، وان هزيمة احد لم تستذل هذه الامة . وانها أقوى من أن تنال منها هزيمة في معركة . وانها الامة التي تمثل قوله تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون » على وجه الارض كلها .

ولسنا بحاجة الى أن نستعرض الاحداث بعد معركة حزيران لنرى كيف تلقت الامة هذه الهزيمة (والكلام هنا مع القيادات) وبأي ذهنية واجهت الامة النكسة .

هل آبت الى الله ؟

وهل عادت الى شريعة الله ورسالته ؟

وهل عرفت أنها الامة المدعوة (العليا) ان كانت مؤمنة بالله ؟

وهل كانت واثقة وهي مهزومة في المعركة بعلوها وتفوقها النابع عن الايمان بالله ؟

وهل فتحت عينيها على نقاط الضعف في وجودها العقائدي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري ؟

وهل استفاقت من رقادها الطويل ؟

وهل أعرضت عن اليمين واليسار واتجهت الى الله تعالى وحده ، بعد أن كشر لها اليمين عن أنيابه ، وتبين لها خداع الموقف اليساري بوضوح؟.

هل عادت تلتمس وحدة الكلمة في ظلال رسالة الله،أم اتجهت بكلها الى تمزيق الموقف الى أشلاء أكثر من قبل ، في جحج الاطفال ومواقف الطفولة ، ان لم تكن طفولة السن ، فطفولة السياسة والعقل ؟

هل عادت تفكر في تصنع سلاحها ؟

وهل فكرت في أن تضع ثقلها كله في تصنيع الاسلحة بأي ثمن ، وكيف يكون ، لئلا تمد يداً الى الغرب والشرق لتستجدي الاسلحة ساعة القتال .

وهل عرفت القيادات السياسية التي كانت تواجه المعركة كيف تنقل المعركة من صعيد قومي الى صعيد اسلامي ، من مائة مليون مسلم الى ثمانمائة مليون مسلم ، أم كانت كلمة الله تعالى قذى في عيونهم ، وشجى يعترض الحلوق ؟

ولا نريد أن نطيل ، والكل يعلم كيف واجهت القيادات معركة حزيران ، ولا نريد أن نبخس حق هذه الامة بمقاتليها وجنودها المؤمنين ، فان ما تعقب هذه الهزيمة من انتصار يدل على بقية من ايمان وانفتاح ، وتحرق للقضية في الامة .

* * *

ونقف الان وقفة اخرى عند انتصار رمضان .

ليس من ريب ان معركة رمضان كانت في صالح المسلمين ، وتحطمت في هذه المعركة أسطورة العملاق الذي لا ينهزم ، واعترف العالم بذلك ، واعترفت اسرائيل بذلك أيضاً واستغرقت المسلمين أينما كانوا نشوة الانتصار واستغرقت المقاتلين نشوة القوة والغرور .

ولا نريد أن نذيب هذا الغرور ، وأن تذوب هذه النشوة ، وانما نريد أن نحذر من أن يحجبنا هذا الغرور عن الله سبحانه وتعالى . فالامة المؤمنة بالله لا تزداد في حالات الانتصار والقوة الا ايماناً بأن النصر من الله ، والفتح منه ، وبأن دور الجندي في ساحات المعركة لا يزيد على أن يكون أداة لتحقق مشيئة الله وارادته سبحانه على وجه الارض ، ليس له من الامر شيء غير أن يعد نفسه للقتال ، وأن يعد لهذا القتال كلما تتطلبه الحرب من قوة وعدة . .

وليس ذلك مجاملة أو مجازاً . وانما هو حقيقة وايمان . فان على الامة أن تعد نفسها للقتال بكلما يتطلبه قتال العدو من عدة وعدد وقوة وسلاح . .

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» .

ثم بعد ذلك يكون النصر من الله سبحانه لا يزيد فيه دور المقاتل من أن يكون أداة لتحقق ارادة الله ومشيئته سبحانه على وجه الارض .

« فلم تقتلوهم ، ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ، ان الله سميع عليم ، ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » .

وقد أبلى المسلمون في حرب بدر بلاء حسناً ، غير أنه لو لا تأييد الله تعالى واسناده للفئة المؤمنة وتضرع النبي (ص) والمؤمنون معه الى الله في أن يؤتيهم النصر من عنده لم يكن المسلمون لينالوا فتحاً في ذلك اليوم الرهيب .

« اذ تستغيثون ربكم ، فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم ، اذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ، ويثبت به الاقدام ، اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب .»

وأثر هذا الشعور والارتباط بالله سبحانه

في ساعة الحرب وبعدها هو اللجوء المستمر الدائم الى الله تعالى ، واللجوء الى شريعته ودينه ، وعدم الانحراف (يمنا) أو (سارا) عن شريعة الله ورسالته . .

* * *

ونشوة النصر قد تحجب الامة عن رؤية امتدادات العدو ومخططاته ، وهو أمر خطر جداً على كيان امة تواجه عدواً شرساً غادراً ، لا يجوز التغافل عنه للحظة واحدة .

فالمعركة لم تنته في رمضان ، والعدو بعد جاثم على جزء كبير من أعز أجزاء هذا الوطن ، ولم نقطع من المعركة بعد الامرحلة واحدة ، وأمامنا من المعركه مراحل طويله ومن الغباء أن نعتقد أن العدو الذى عرفناه بالغدر قد تراجع من غير أن يخطط للعودة ، ومن دون أن يفكر في الغدر في لحظة غفله .

ولست اسرائيل بعد هي التي تحمل لنا العداء ، وتخطط للعدوان على كيان هذه الامه فقط ، وان كانت قد كشرت عن أنيابهـا أكثر من غيرها ، فان دائرة العدوان تشمل التحالف الصليبي الصهيوني ، واسرائيل ليست الا واجهة شرسة لهذا التحالف ، وكل التجارب والاحداث السياسية التي عاشت منها هذه الامة في الفترة الاخيرة من حياتها السياسيه تؤكد هذه الحقيقه في وضوح لايقبل الجدل .

ولهذا العدو امتداداته الفكرية والسياسية والاقتصادية في حياة هذه الامة ، ولا تنتهي الحرب قبل القضاء على كل هذه الامتدادات جميعاً .

ومن السذاجة السياسية ان نرى العدو جاثماً على ارض سيناء وفلسطين والقدس ، ثم لا نرى امتدادات العدو في حياتنا الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والسياسية .

فلابد اذن من مواجهة جدية مع العدو وأن يكون هناك تخطيط واع شامل للقضاء على العدوان في كل ابعاده وامتداداته ، دون أن نقتصر على وجود العدو العسكري على أرضنا .

* * *

واخيراً لابد من ان يرسخ في الامه ان انتصار رمضان لم يكن صدفة واتفاقاً مررنا عليها بسلام ولله الحمد ، فنمنع بالذى حدث في غفلة من الزمن والاحداث .

ونحذر التورط مع العدو ثانياً في معركة لانأمن عاقبتها ، فيستدرجنا هذا الشعور الى القناعة بما احرزناه من نصر والتصالح مع العدو وبشكل من الاشكال وانما ينبغي ان نفكر ان النصر لهذه الامه هو الاساس والقاعده ، وهو سنه الله التي لاتتبدل ، ان كنا مؤمنين ، وان كنا نعد انفسنا للمعركة بكل متطلباتها .

وتلي هذه المرحلة من النصر مراحل اخرى من الحرب والنصر ، لاتتبدل فيها سنة الله ، مادمنا نحن على سنن الله تعالى في الايمان والتهيؤ والاستعداد للحرب والصمود والجلد والصبر والحياه الجادة الهادفة .

مع الذكريات

نهضة الحسين . . وتوعية الشعوب

. . هكذا مرت بنا ذكرى الامام العظيم . . واسترجعنا خطاها خطوة خطوة . . سرنا معها وهي تتنامى في تلك النفوس التي ربتها يد العناية الالهية . . حتى اذا احكمت اسس شخصيتها ، قدمتها للعالم خير نموذج ، وأروع مقتدى . . ورأيناها تذكو كلما ذكى اوار الهجوم الأموي المنحرف على الواقع الاسلامي الخير وروحه . . وظلت تنتظر اللحظة المناسبة الحاسمة . . وعشناها وهي تنطلق من ذرى الأرض المقدسة التي شهدت انطلاقة الاسلام الاولى . . وعادت لتشهد انطلاقته من جديد ضد معاقل الانحراف . . وهكذا امتزجت ارواحنا بروحها ، فخرجت بشكل جديد ، وبطرة جديدة تتركز على الاهداف بوضوح اكبر .

. . لله ما غرست في ضمائرنا ثورة الحسين (ع) ! وهل يمكن ان نقف عند حد يقول الى هنا انتهى العطاء ؟ كيف يمكن ذلك وكل قطرة من ذلك الدم الطاهر تحولت الى مشعل هدى ونور . . يرى العالم كل العالم على ضوئه معالم الاسلام وروحه الاصيلة .

. . كفاها عزاً انها ثورة قام بها القادة الذين رباهم الاسلام خصيصاً ليوضحوه . . وليعبروا عن خصائصه الحية النابضة كرسالة للحياة الانسانية الصاعدة ، المسؤولة الواعية ، المضحية التي تعبر عن تلاحم القائد والامة ، وشعوره بآلامها . . . وتضحيته في سبيل مستقبلها . . لكي تعود حية . . كما اراد الله لها ان تكون .

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم»

. . وهكذا حرك الحسين ضمير الامة آنذاك . . وضمير العالم بعد ذلك . . وعلمهم جميعاً من دروس الاسلام معاني عالية في طليعتها . . ان الدين ـ والاسلام هو الدين

الحق ـ هو سروعي البشرية على مر التاريخ.. وهو رمز آمال المظلومين في الارض وهو سر انتصارهم .

وبعد هذا .. ذابت وتذوب كل تلك المزاعم الباطلة عن «التحدير الديني» و «افيون الشعوب» وغيرها مما أطلقه اليهود بعدان لبسوا صبغة التقدمية والشيوعية .. ويردده من خلفهم اناس هنا في الشرق .. تأصلت فيهم عقدة الحقارة حتى لم يعودوا سوى ارقام الى يمين العدد الغربي الدخيل !!!

* * *

حياة الرضا والتسلم

.. وجاء الاسلام ليعلن التسليم .. ليعلن ان الفرد الانسان انما هو الذي دخل في اطار التسليم لله تعالى «بلى ، من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه» .وان المجتمع الانساني انما هو فقط الذي دخل في عالم التسليم للسماء الرحيمة «ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» .

. . وتعلم المسلمون الاوائل ذلك . . وانطلقوا للعالم يحملون رسالة التسليم والرضا في كل امر من امور الحياة .. وفجأة تسلل الانحراف الاموي وتجسد بقوة في الطاغية معاوية فقام الى جنب خط التسليم المطلق لله .. خط آخر يـرفع شعار التسليم للهوى والشهوة والمنصب !! وماأخسها امام الواقع العظيم !! وكان من الطبيعي ان ينهض من اوكل اليهم امر هذا الدين بعد الرسول العظيم (ص) . . وكان طبيعياً ان يعيد الأئمة الطاهرون الامة الى خط الرضا المطلق .. وكانت نهضة الحسين (ع) اروع درس للرضا والتسيلم :

فمع كل خطوة حفيف من رضا بالله ، وفي كل موطن نشيد للتسيلم ، ومع كل صعوبة يتصاعد الرضا ، وتشتد الالام فيرتفع نداء الرضا .. وتسقط قطرات من الدم الطاهر ، دم رضيع الحسين (ع) ، على صدر الحسين (ع) فيتلقاها ـ كما يروى ـ بيديه ليرفعها الى السماء.. «اللهم ان كان هذا يرضيك .. فخذ حتى ترضى !! «رضا بقضائك»

فالرضا هو الهدف ..والقبول هو الامنية .. وهل اروع من ان ترفع السيدة الجليلة.. زينب بنت علي جسد اخيها السبط المضمخ بالسيوف ..الى السماء قائلة: «**اللهم تقبل هذا القربان**»

* * *

فليسمع المسلمون . . هذا النداء

ألسنا ـ ايها الاخوة ـ نعيش حالة تضيق معها النفوس؟أليست كراماتنا مهدورة منحورة بمدى الطغيان؟أليس كل مسلم اليوم تتوقد في اعماقه لحظات الخلاص ، لحظات الرجوع الى الله ،والدخول في عالم التسليم المطلق له «تعالى»؟:السنا بحاجة الى يوم يجمع فينا الطاقات ويبعث فينا الروح الاسلامية من جديد في كل عام؟.

اذن فها هو يوم الحسين «يوم العاشر من المحرم» ..

وليكن معبراً لديكم عن ذكرى الرجوع الى الله ذكرى الثورة على الطغيان . . ذكرى درس الرضا والتسليم لله «عزوجل».هاكم «يوم الثورة» وليكن المسلمين كل المسلمين يوماً مقدساً تعطل فيه الاعمال كلها الا عمل يذكر بالحسين ومبادىء الحسين واهدافه السامية .

وانما ننتظر الساعة التي يعلن فيها يوم العاشر من المحرم عطلة رسمية في كافة بلاد المسلمين تقديراً للمعاني العظمى التي يحملها هذا اليوم واستحياء من عظمة أهداف الحسين (ع).

الرقابة الاجتماعية في الاسلام

الامام السيد شريعتمداري

ان من حملة انظمة الاسلام المعطاءة وأحكامه الخالدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو بتعبير آخر :الرقابة الاجتماعية في الاسلام .وهناك عدة نقاط وجوانب هامة في هذا الموضوع جديرة بالعناية والبحث :

١ـ أهمية الدعوة والتبليغ :

لايخفى على أحد ما للدعوة والتبليغ أو «النشاط الاعلامي» من قيمة وأهمية كبيرة وذلك اذا أخذنا بنظر الاعتبار تلك العناية الخاصة، والطاقات الهائلة التي تبذل اليوم في هذه الناحية في شتى المجالات، السياسية منها والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية.

فكلنا يعلم بأن مبلغاً لايستهان به من الموارد المالية والارباح يصرف في سبيل التبليغ والترويج ، أو على وسائل الاعلام وأجهزتها .

وانطلاقاً من هذه القاعدة وعلى هذا الأساس الطبيعي وايماناً بأهمية التبليغ والاعلام وأثرهما الكبير في المجتمع وضع الاسلام لذلك نظاماً خاصاً سماه «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» ليبلغ بذلك رسالته وينشر احكامه وتعاليمه العظيمة التي تحقق للناس السعادة والحياة الكريمة« ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» (١) ومن ثم ينير الطريق للانسانية ويريها الصالح من الاعمال والفاسد ويميز لها الحسن من القبيح ، كما يستثمر الطاقات البشرية بتلك الوسيلة لضمان خيرها وسعادتها اذ يفرض على كل فرد مسلم أن يعلم ماهو المعروف فيعمل به ويعلمه للناس او يأمرهم به ويميز القبائح والمنكرات من الاعمال فلايدنو منها بل يصون الاخرين ويقيهم من التلوث بها .

---

(١) الانفال الاية ٢٣ .

٢ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث الشروط:

لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليفاً مهماً ووظيفة اجتماعية ثقيلة قد تكون في بعض الموارد والحالات في مصلحة الاسلام ويمكن ايضاً ان تضر في حالات ومواضع اخرى وقد وضع الاسلام لذلك شروطاً وخصائص معينة تمنع مراعاتها من وقوع ردود الفعل والنتائج المعكوسة الضارة بالاسلام والمسلمين فلا بد لنا ازاء ذلك من التفحص والتحقيق في تلك الشروط والخصائص لهذه الفريضة الاسلامية الحية وشرح الجوانب الغامضة والنقاط المبهمة منها شرحاً كاملا وبصورة واضحة جلية .

٣ ـ المبلغ الفردى والمشترك:

الامر الثالث الذى له اهمية كبيرة في بحثنا هو أن نعرف من يكون المسؤول عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هو الفرد أم المجتمع؟ هل يرى الاسلام ضرورة وجود فئة أو جماعة خاصة تم اعدادها وتربيتها للقيام بالدعوة والتبليغ واداء وظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل جماعي على النحو الذى تراه تلك الجماعة نافعاً وصحيحاً ؟ أم أن كل فرد مسلم يستطيع أن يتصدى لحمل هذا العبء الثقيل والقيام بهذه الوظيفة الخطيرة، وبعبارة اخرى هل يأخذ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر طابع العموم؛ فيجب على عامة المسلمين ، او يختص الوجوب بجماعة معينة، وطبقة خاصة منهم .

ولما كان المستفاد من متون الكتب الاسلامية والمصادر الاولية للفقه ورود كلا هذين الوجهين فلابد لنا من ان نوضح أيضاً هذه النقطة المبهمة ونحصل على واقع النظرية الاسلامية في هذه المسألة . ولكن قبل ان نخوض في هذا البحث لابد لنا أن نجيب على شبهة أثارها حول الاسلام أعداؤه ومخالفوه .

شبهة اعداء الاسلام:

ان من جملة الشكوك والشبهات التي أثارها ضد الاسلام اعداؤه ومخالفوه هو قولهم : بأن الاسلام مع مستواه الرفيع وقوانينه العالمية الفذة يوجد فيه نقص أساسي وهو عدم توفره على عنصر الضمان لتطبيق تلك الاحكام والقوانين وبعبارة اخرى: لا يملك الاسلام من يقوم بتنفيذ أحكامه وتطبيقها في الواقع الاجتماعي .

ويقول هؤلاء : العيب الكبير في الاسلام أنه لم ينظر في هذه المشكلة من ذي قبل ، ولم يجد لها حلا مسبقاً .

وفي الاجابة على هذه الشبهة باختصار(١) ينبغي أن يقال بأن من جملة قوانين الاسلام السامية نظام الامر بالمعـروف والنهي عن المنكر وان الدستور الاسلامي يقضي بضرورة وجود العاملين الذين ينخرطون في سلك الدعوة والتبليغ و يديرون جهاز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وينظمون شؤونه واعماله وطبيعي ان مثل هذا النظام الحي وقيام العمل الدائب ضمن اطاره ، لهو اكبر ضمان وخير كفيل لتطبيق الاحكام الاسلامية ووضعها موضع التنفيذ .

والحق اننا لانجد مثل هذا النظام العظيم في غير الاسلام من الاديان او الانظمة السياسية والاجتماعية الاخرى في العالم واذا وجدنا المد الاسلامي قد توقف اليوم عن زحفه ، واذا وجدنا في المسلمين ركوداً اوتخلفاً فان سبب ذلك هو تعطيل أهم نظام اسلامي ثم اهماله وتضييعه . ألا وهو نظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما وأن العامل الوحيد لتقدم الاسلام العظيم وازدهاره ثم انتشاره في أرجاء المعمورة في الصدر الاسلامي الاول ماهو الا تطبيق ذلك النظام الامثل- نظام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر- تطبيقاً عملياً وتنفيذه من قبل المسلمين .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء القرآن والحديث

بعد ان ناقشنا تلك الشبهة باختصار ، نعود الى صميم الموضـوع . وتتنـاول مسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالبحث ، على ضوء الكتاب، والحديث الشريف فنقول :

ان الايات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تنقسم الى مجموعتين متميزتين :

الاولى : الايات والاخبار التي تنظر الى هذه المسألة من جانبها الفردي، وتحدد وظيفة الفرد المسلم ، وحكمها بالنسبة له ، فتدل على أن وظيفة كل فرد مؤمن من المسلمين ، هي القيام بالمعروف ، أي الاعمال الحسنة الصالحة ثم الدعوة والتبليغ الى ذلك والابتعاد عن المنكرات ، وقبائح الاعمال الممنوعة في نظر الشرع، ومنع الاخرين من ارتكابها ، والتلوث بها ، وهو مأمور أيضاً أن يواظب على اداء الفرائض

---

(١) يأتي الجواب المفصل على هذه الشبهة خلال البحوث الاتية .

والواجبات «وجميع التكاليف الشرعية» وان يراقب تنفيذها كذلك فتكون هذه وظيفة فردية لكل مسلم بحيث لايتحمل غيره شيئاً من مسؤوليته المنوطة به ولايشترط مشاركة أحد له في هذه الوظيفة الفردية(١) .

الثانية: الآيات والأخبار التي تنظر الى المسألة من جانبها الاجتماعي، او وظيفتها الاجتماعية ، أي أن مفادها ومعناها يدل على ان يقوم بهذا الامر الحيوي فريق او جماعة منظمة ، ذات اوصاف ، وشرائط خاصة، تتشكل من المسلمين ، ويتم اعدادها وتربيتها لهذا الغرض ، ومن هنا يتضح أن هذه الوظيفة ليست عامة لجميع المسلمين، بل يكفي في اداء هذا التكليف، ان تقوم به جماعة أو فئة خاصة من المسلمين، ولعل الآية الكريمة «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون» تشير الى هذا القسم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي بالمعنى الاخص لان الآية الكريمة استعملت كلمة (أمة) ، وهذه الكلمة ، وان كانت في اللغة تطلق ايضاً على الفرد الواحد ، لكنها تدل في الاعم الاغلب على الجماعة، فأمة من الناس ، أي جماعة منهم، علماً بأنه لاتطلق كلمة «أمة» على كل جماعة، بل تلك الجماعة التي يشترك افرادها في هدف واحد ، وتجمعهم وحدة فكرية منية.

وبالاضافة الى ذلك وان عبارة (منكم) في الآية الكريمة، والتي جاءت فيها كلمة «من التبعيضية» تبين قطعاً وبشكل واضح ان الوظيفة هنا ليست عامة، بل ينبغي أن تشغل هذا المركز الحساس ، فئة خاصة من المسلمين، بحيث تكون مهمتها الوحيدة هي الدعوة والتبليغ ، على أن تكون ذات ثقافة اسلامية واسعة ، ومعرفة بالتعاليم الشرعية وفنون الدعوة والتبليغ، تميز المعروف والمنكر من وجهة نظر الاسلام، وتعرفهما اما بالاجتهاد او عن طريق التقليد الصحيح(١) .

---

(١) وذلك لان كل فرد منشغل بوظيفته الخاصة به ، وواجبه الفردي تجاه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما ان التكاليف والفرائض الشرعية الواجبة على فرد من المسلمين لا تسقط عنه بقيام الاخرين بها اذا كانت فرضاً عينياً ، وأما اذا كانت فرض كفاية فيمكن ان تسقط عن بعض المسلمين اذا قام بها بعض آخر «المترجم»

(١) التقليد الصحيح هو العمل بالاحكام الشرعية الفرعية اعتماداً على فتوى المجتهد الجامع للشرائط . «المترجم»

وقد جاءت اخبار واحاديث عديدة ، تشابه هذه الاية الكريمة ، من حيث الدلالة والمضمون ، ومن جملتها الحديث الشريف الذى ورد عن الامام الباقر عليه السلام حيث يقول : «يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون الى ان قال: ولو اضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وابدانهم رفضوها ، كما رفضوا اسمى الفرائض واشرفها ، ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنالك يتم غضب الله عزوجل فيعمهم بعقابه فيهلك الابرار في دار الاشرار ، والصغار في دار الكبار ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الارض ، وينتصف من الاعداء ويستقيم الامر (١)» .

ان هذا الحديث الشريف ، لهو شاهد حي يفصح في دلالته عن اثبات ما ذكرناه ، وذهبنا اليه آنفا ، وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الاجتماعي ، حيث ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يكون سبيل الانبياء ، ومنهاج الصلحاء ، وبه تقام جميع الفرائض ، وبه تؤمن المذاهب او الطرق ، وتحل التجارة والمكاسب ، ويتم العمران به على وجه الارض ، وينتشر القسط ، ويستتب العدل ، وتستقيم الامور . ان الامر والنهي الذي يتعلق بهما قيام كل هذه الامور ، واجراؤها تعلقاً وثيقاً لا يكون قطعاً الامر بالمعروف بمعناه الاعم المطلق الذي يكون وظيفة كل فرد مسلم ، بل هو نوع آخر من الامر والنهي الحائز على أهمية فائقة ، وله آثار ونتائج جديرة بأن تؤخذ بنظر الاعتبار .

فمن آثاره الكبرى : كونه ضمانا لتطبيق احكام الاسلام وتعاليمه اذ يعتبر أعظم قوة للحكومة في مجال تنفيذ الاحكام والقوانين الاسلامية ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذا كان هكذا وبهذا المستوى فانه يبرر الوجود حكومة اسلامية صالحة مائة بالمائة بحيث تطبق جميع الاحكام والتعاليم الاسلامية تطبيقاً كاملا وتضعها حرفيا موضع الاجراء والتنفيذ .

للحديث صلة

---

(١) وسائل الشيعة ج ١١ / ص ابواب الامر والنهى ، الباب الاول ، الحديث ٦ .

في رحاب القرآن

التقوى والانفتاح على رسالة الله

بقلم : الشيخ محمد مهدي الآصفي

(فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) لقد جاءت آية الانفال لحسم الخلاف الذي نشب بين المسلمين في أمر الانفال لكن ذلك لايكفي وحده لرد النفوس عن غيها بعدما تمكن منها الهوى، وليس من علاج كالتقوى للنفوس المريضة التي تشتط، وتوغل في الفساد . فان التقوى تشرح النفوس للانفتاح والاستجابة لحكم الله ، وترد عنها تأثير الهوى وتحطم التمرد في اعماقها، فلايمكن ان يرد (الحكم) النفوس عن غيها وشططها مالم يقترن بالتوجيه وتربية الضمير ومالم يمهد له باعداد هذه النفوس لتقبل الحكم والاستجابة له .

ولا تنحصر مسؤولية رسالة الله وحملة هذه الرسالة على وجه الارض في ابلاغ احكام الله الى الناس ، وانما تقوم الرسالة باعداد النفوس لتقبل هذا الدين، وانتشالها من سلطان الهوى وتربيتها وتطهيرها من أدران الجاهلية والانحراف وتلك هي التقوى .

وبقدر ماتعنى هذه الرسالة بأمر الطاعة والانقياد في حياة الانسان المسلم فانها تعنى ايضاً بكيفية الانقياد والطاعة ، وبقدر ما يهم هذا الدين امر الانقياد والطاعة من

حيث الشكل،يهمه امر هذه الطاعة والانقياد من حيث المضمون والمحتوى ايضاً ، ومن حيث كيفية هذه الطاعة .

فالطاعة حينما تكون عن (تقوى) فان انشراح النفس لقبول حكم الله وانفتاحها لشريعة الله ودينه يكون ذات قيمة أسمى عما لو كانت هذه الطاعة عن خوف لما يستتبع التمرد عن حكم الله من عقوبة في الدنيا أو في الاخرة .

فان هذا الخوف لايفتح النفس الانسانية على الله وكلمته ، وانما يقهر النفس على قبول هذا الحكم والرضوخ له ، والذي تتوخاه هذه الرسالة في تربية ضمير الانسان المسلم هو ان ينبعث من تلقاء نفسه الى الاستجابة لحكم الله وشريعته وينفتح لدين الله ، وان ينبع الانقياد والطاعة لرسالة الله من اعماق فطرته بصورة عفوية .

ولهذا الغرض يأتي الامر بالتقوى عقيب ذلك الحكم الصارم برد الانفال الى الله ورسوله . فلا يصلح النفوس شيء مثل التقوى ، ولا يردها عن غيها وشططها شيء كالتقوى فهي التي تقود النفوس الى اصلاح ذات البين ، والى الانفتاح على طاعة الله ورسوله والاستجابة الكاملة لدين الله ورسالته . (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله) وعند ذلك يتم الايمان ، ويكون الانسان مؤمناً حقاً (ان كنتم مؤمنين).

فليس الايمان هو هذا الادعاء الفارغ اليسير ، الذي لايكلف المؤمن جهداًفي حياته ، ولا يحمله مالاتميل اليه نفسه ولا تهواه،وانما هو شيء اعمق من ذلك كله وأبعد آثاراً في حياة الانسان يرسخ في النفس ، ويطبع سلوك الانسان وتصرفاته وأخلاقه ، وكل شيء في حياته وليس من الايمان في شيء ، اذا كان لا يغير شيئاً من سلوك الانسان وتصرفاته وخلقه وتفكيره ، ولم يدخل اعماق الضمير ولم ينبسط على حياة الانسان كلها .

معالم الشخصية المؤمنة :

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته ، زادتهم ايماناً ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون.

اولئك هم المؤمنون حقاً ، لهم درجات عندربهم ومغفرة ورزق كريم) فالمؤمنون حقاً هم الذين اذا ذكرالله عندهم وجلت قلوبهم. فان ذكر الله تعالى يبعث الخشوع والوجل في النفوس المؤمنة المطمئنة باللهحيث تذكرقدرة الله تعالى وسلطانهوعظمته وجلاله وفي قبال ذلك صغارهاهي وحقارتها وضعتها . وتذكر نعماءه تعالى عليها وكرمه ورحمته ، والى جنب دلك قصورها في اداء الشكر واداء حق العبودية فتشعر بالخشوع والوجل . (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) .

هذه هي الخاصة الأولى للنفوس المؤمنة المطمئنة بالله .

والخاصة الثانية لهاهي :«واذا تليت عليهم آياتهزادتهم ايماناً»واطمأنت نفوسهم اكثر من ذي قبل ، وهو من عجيب صنعهذا الكتاب بالنفوس ، فلا يدخل قلباًحتى يبعث فيه الاطمئنان ، ويزرع فيه اليقين، ويفتحه على النور،ثم يتزايدهذا الاطمئنان، ويتصاعد هذا اليقين ، وينتشر ويقوى هذا النور ،كلما تليت هذه الايات عليه مرةبعد مرة ، فلا يفرغ المؤمن من تلاوة هذا الكتاب وتذوق مافيه من هدىوايمان، الاعن ايمان اقوى ويقين أوطد وثقة بالله اعظم ،وانشراح وانفتاح للنفسلاعهد له بهمنقبل.

فان النفوس حينما تصفو عن كدر الانحراف وغشاوة الجاهلية تلين لذكرالله ، وتنفتح لاياته وتتفاعل معه وليس شيء ككتاب الله يصنع بنفس الانسان هذا الصنع ويباشر القلوب من قريب ويفتحها على النور، الاان يكون الانسان هو الذي ينغلق عن عمد وعن قصد على كتاب الله وهديه ، والا ان يغطي ركام الانحراف والجاهلية هذه القلوب فلا يترك عليها من منفذ ينفذ منه النور .

والخاصة الثالثة للنفوس المؤمنة : (وعلى ربهم يتوكلون) فان المؤمن يعرف ان الامر كله لله وان سلطانه فوق كل سلطان وكل سلطان فيقبضة قدرته تعالى،فليس للمؤمن الا ان يسلم أمرهلله ، ويرضى بحكمه وتقديره في طواعية واستسلام ، ثم يتوكل عليه في كل مايهمه من شؤون حياته ، فلا يثق بقدرته المحدودة، وانمايضع ثقته كلها في الله وفي تأييده وتوفيقه ويعلم ان قدرته وسلطانه وامكاناتهرشح من ذلك السلطان الذي لا حد له والذي هو فوق كل قدرة وسلطان .

والخاصة الرابعة والخامسة لهذه النفوس هي قوله تعالى(الذبن بقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فان النفس المؤمنة اذا اقبلت على الله لاتأنس بشيء كماتأنس بالصلاة ، ولا تركن الى شيء كما تركن الى المناجاة والدعاء والابتهال الى الله واذا تخلصت من اغلال الشره والشح فانها لاتجد في الانفاق في سبيل الله مشقة اوثقلا فان المؤمن لايعلم من نفسه غير انه خليفة لله على هذا المال ،أودعه تعالى لديه لينفقه فيما يرضى الله ويريد . فهو لا يشعر بثقل في الانفاق في سبيل الله ، وانما يندفع اليه ويحرص على الا تفوته فرصة من فرص الانفاق كما يحرص الاخرون على المال نفسه ، ان لا يفلت من ايديهم ، وتلك هي الخلال البارزة والمعالم الهامة للنفوس المؤمنة المطمئنة بالله الواثقة به .

الايمان الحق :

(اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)ومادون ذلك فليس من الايمان الحق الذي يستقر في النفس ، ويظهر على السلوك، ويطبع الحياة بطابعه الخاص ، وليس الايمان بالامر اليسير الهين الذي لايكلف صاحبه عناء أو جهداً فان الايمان الحق هو الذي يرسخ في النفس فيجتث منها سلطان الهوى ووساوس الشيطان ، والحرص ، والهلع ، والشره والحب لغير الله،ويزرع فيها اليقين بالله ، والثقة به والحب في الله ، والخلال الكريمة الحميدة ثم يظهر على سلوك الفرد فيضبطه وينظمه ويدخل حياة الانسان بكل اطرافها وآفاقها ،فيحكمها جميعاً، ويطبعها بطابعه الخاص، ويحررها من سلطان الهوى والطاغوت،ويخضعها لسلطان الله وشريعته.

ذلك هو (الايمان)الحق، واما مادون ذلك فليس من هذا الايمان بشيء .وجزاء هؤلاء بعد ذلك عند الله عظيم لايشبهه جزاء(لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم).

قيمة الاخلاق في الحياة العملية

الدكتور مقداد يالجن

ذهب بعض الفلاسفة أمثال شوبنهاور الى التفرقة بين القيمة النظرية والقيمة العملية للاخلاق تبعا للتفرقة بين الاخلاق النظرية والاخلاق العملية .

وقد أدت هذه التفرقة أخيراً الى فكرة أن معرفة الاخلاق نظريا لاتقتضي تطبيقها عمليا . (١)

وذهب بعض الفلاسفة الاخرين أمثال سقراط الى عدم التفرقة بين النظرية والتطبيق .(٢)

والحقيقة كما تبدو لي في هذا الخلاف، انه ان صحت التفرقة من زاوية الدراسة النظرية، فلا تصح من زاوية دراسة القيمة، ذلك أن القيمة المتكاملة للاخلاق لاتظهر بوضوح الا عند الجمع بين الجانبين ، لان قيمة الأخلاق حقيقة واحدة لها جانبان : جانب نظري يدرك عن طريق النظر والتأمل العقلي ،وجانب وجداني شعوري يدرك عن طريق التطبيق العملي والاحساس بالاول يختلف نوعا ما عن الاحساس بالثاني .

ولا غموض في هذا التقييم للقيمة الاخلاقية لانه لابأس على تقييم أية حقيقة من زوايا مختلفة، بل هذا واجب اذا أردنا تقييم أية حقيقة أن نقيس قيمتها بموازين ومقاييس مختلفة اذا كانت لها قيم متعددة .

ويمكن أن نعبر عن هذا التكامل بالحكمة الاخلاقية ، لان الحكمة هي الجمع بين فضيلة النظر وفضيلة العمل ، اذ أن الانسان مهما اقتنع بقيمة الفكرة عقليا فان

---

(١) المشكلة الخلقية ص : ٤٤ اندريه كرسون

(٢) نفس المرجع ص : ٤٧

القيمة التي يحس بها بعد العمل بها في أعماق نفسه لايمكن أن تكون كأحساسه بالاول ولكن قد يتحول هذا الاحساس الأخير الى مجرد نشوة حسية اذا لم يعتمد على اقتناع نظري أو لم يقم على أساس دافع عقلي . اذن قيمة الأخلاق تعد ناقصة اذا اكتفينا بالقياس الحسي العملي لتقييمها ، لأن كلامنهما يمثل نصف القيمة وباجتماعهما تكتمل القيمة الحقيقية للاخلاق . ولكن المعرفة النظرية للاخلاق لاتستوجب التطبيق العملي كما يدعى سقراط ذلك ، لاننا نعرف في حياتنا قيمة أشياء كثيرة ولكن بالرغم من ذلك نتكاسل عن اقتنائها أو العمل بمقتضاها ،نعم ان المعرفة بقيمة الشيء عامل مشوق ودافع الى العمل به ولكن ليس كل ما نتشوق اليه نفعله بالضرورة .

والنتيجة التي ننتهي اليها من هذا كله هي اننا اذا اردنا أن نتذوق قيمة الأخلاق تذوقا حقيقيا فعلينا أن نجمع بين القيمتين ، اذ أن قيمة الأخلاق تختلف عن غيرها كقيمة نوعية مستقلة تمتاز بما تجتمع فى كيانها من القيمة العقلية والوجدانية والحسية.

وتظهر حقيقة القيمة العملية للاخلاق في النتائج العملية الآتية :

الاولى : المعرفة والابداع والاختراع واتقان العمل

قد يبدو لاول وهلة أن هذه النتيجة غريبة على التطبيق العملي للاخلاق ، لكن عندما نمعن النظر فى فلسفة مفهوم «ينبغي» في التفكير الأخلاقي نجد تلك النتيجة نتيجة طبيعية للتطبيق العملي للاخلاق ، اذ ان هذا المفهوم يدعو الى أمرين: أولهما البحث عن العمل الأخلاقي المثالي الذي ينبغي تنفيذه وثانيهما البحث عن الطريقة المثالية التي ينبغي أن يتم التنفيذ بها . والبحث الاول يؤدي الى المعرفة أو الكشف عن حقائق جديدة. والبحث الثاني يؤدي الى الكشف عن مناهج وأساليب فنية للتطبيقات العملية . وهذه المثالية في البحث عن انفع عمل للناس وأفضل طريقة لتحقيق الاعمال، فكرة ملازمة للانسان الأخلاقي اذ أنه كلما يحقق عملا فى ضوء هذه الفكرة يعود ليسأل نفسه : هل ماحققه هو العمل المثالي الذي ينبغي تحقيقه ،وهل يمكن تحقيقه بصورة اكثر مثالية من الصور السابقة ، وهل هناك عمل أكثر نفعا من السابق وما

السبيل الى ذلك ؟ . وهكذا كلما حقق عملا مثاليا يبحث عن عمل أكثر مثالية من حيث العمل ومن حيث طريقة العمل . وكلما حقق حياة مثالية كريمة يبحث عن حياة أكثر مثالية وسمواً ، وذلك تطبيقا لقول الرسول (ص) «ان الله تعالى يحب معالي الامور وأشرفها ويكره سفاسفها» (١) وقال «اليد العليا خير من اليد السفلى» (٢) وقال «يحب الله العامل اذا عمل ان يحسن» (٣) ولا شك أن ذلك كله سوف يؤدي الى الابداع والاتقان في العمل والاداء والكشف عن حقائق جديدة واختراع وسائل لاداء أعمال عظيمة وكل ذلك وسيلة التقدم الحضاري .

ومن ذلك تظهر فائدة مفهوم المعيارية أو المثالية في التفكير الاخلاقي، ولا يحق لهؤلاء الذين يهاجمون التفكير الاخلاقي أن يقوموا بذلك بدعوى أنه غير علمي لانه لا يخضع للمعايير العلمية الموضوعية ، ويقولون : ان الاخلاق المعيارية غير محددة ، وان مفهوم «ينبغي» مفهوم غامض غير محدد، والحقيقة ـ كما تتبين مما سبق ـ أن عدم محدودية مفهوم المثالي او «ينبغي» هو من اهم مميزات هذا التفكير، لانه هو الذي يدفع الانسان الى البحث الدائم عن الاعمال الاخلاقية المثالية ، وهو الذي يدفع الانسان الى السمو والرفعة باستمرار .

الثانية : توجيه الذات الانسانية وتوحيدها

يجب ان يعلم اولا : أن طريق الخير هو الطريق السوي وهو الطريق المستقيم الذي لاعوج فيه . وان الاخلاق الاسلامية توجه الانسان الى هذا الطريق وتدعوه اليه لانه طريق الفلاح والنجاح في هذه الحياة قال تعالى : وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . (٤)

---

(١) الجامع الصغير ١/٧٥ .
(٢) رياض الصالحين ـ باب الكرم والجود .
(٣) الجامع الصغير ٢/٢٠٥
(٤) الانعام ١٥٣ .

كما يجب ان يعرف انه في الطبيعة الانسانية توجد دوافع ونوازع مختلفة وتتصارع هذه الدوافع والنوازع فيما بينها وكل واحد يدفع الانسان الى تحقيق رغبته بدون قيد أو شرط وقد بين الرسول (ص) ان في الانسان لمسة الملك تدعو الى فعل الخيرات وفيه أيضا لمسة الشيطان تدعو الى اتباع الهوى واشباع الغرائز الشهوية، ولو تركت كل قوة من هذه القوى والنزعات تعمل في اتجاهها الخاص لنشأ صراع داخل الذات بين تلك القوى والنوازع.. وفي ذلك شقاء للانسان. ويقول علماء النفس أن الصراع النفسي في داخل الذات من اهم اسباب الأمراض النفسية وتعاسة الانسان في الحياة فقالوا «الاساس الاول في تكوين العقد هو الكبت نتيجة الصراع» (١) ، وقالوا «ان توحيد الذات هو وسيلة السعادة وهو وسيلة القضاء على القلق والصراع والخوف»(٢) وقالوا أيضاً انه «لازدياد سعادة شخص لايجوز أن نزيد فقط من مجموع لذاته وانما نعمل أيضا على تحسين شخصيته وتقويتها وانسجام عناصرها وتوحيد وجهتها»(٣) ، ولهذا يرى بعض علماء التربية الاخلاقية ان «الغرض من التربية هو تكوين شخصيات قوية متماسكة» (٤).

والاخلاق الاسلامية بصفة خاصة تجعل المرء يتغلب على نوازع النفس المختلفة وتجعله كذلك يسلك طريقاً واحداً هو طريق الخير قاصداً الوصول الى الكمال الانساني ولذلك يكون الشخص الاخلاقي قوي الارادة متوحد الذات يسير في طريق واحد ويسعى لتحقيق غاية واحدة. أما الشخص غير الاخلاقي فتنتابه النوازع المختلفة وتتشتت ذاته بين الاتجاهات المختلفة ويصبح أخيراً ضحية الصراع النفسي وشتان بين هذا الشخص وذاك، وصدق الله العظيم اذ قال «أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » (٥) .

---

(١) اسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصى ط ٥ ص ١٣٣ .

(٢) علم النفس اسسه وتطبيقاته التربوية للدكتور عبد العزيز القوصى ط ٧ ص ٢٩٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٠٠ .

(٤) علم النفس اسسه وتطبيقاته التربوية د . عبد العزيز القوصى ط ٧ ص ٣٠٠ .

(٥) الملك ٢٢ .

وقال تعالى : ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لايعلمون » /الزمر ٢٩ .

الثالثة : اكتساب وتنمية القيمة الانسانية :

تزيد قيمة الانسان بقدر علمه بالمبادىء الاخلاقية :لان الاخلاق من أهم مميزات السلوك الانساني ومميزات الانسان عن سائر افراد الحيوان والانسان يقاس بالانسانية ولا تقاس الانسانية بالانسان . نعم ان للانسان كرامة مبدئية معطاة له من قبل الخالق منذ أن خلقه ذلك مصداق قوله تعالى : ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (١)، وهذا التكريم ليس بتسخير أمور له لم تسخر لغيره فحسب بل هناك تكريم فى خلقه اذ خلقه فى أحسن صورة «وصوركم فأحسن صوركم » (٢) وركب فيه من القوى والامكانيات مثل قوة الادراك والتمييزوغيرها من القوى التي يمتاز بها «يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك فى أي صورة ماشاء ركبك» (٣) .

ثم بما تحمل من المسؤليات الاخلاقية«انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » (٤) وكانت الامانة أن يميز الحق من الباطل والخير من الشر وأن يعرف للحق حقه ويتبع الخير ويتجنب الشر في هذه الحياة ، وبتحمل تلك المسئولية أصبح خليفة الله فى أرضه لاداء الامانة يحكم بمقتضى المسئولية ويأمر الناس باتباع الحق واتباع طريق الخير «ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون،وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين،أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلاتعقلون» (٥) لكن اذا خان الانسان تلك الامانة والبس الحق بالباطل واتبع طريق الشر بدل

---

(١) الاسراء ٧٠ .
(٢) غافر ٦٤ .
(٣) الانفطار ٦-٧ .
(٤) الاحزاب ٧٢ .
(٥) البقرة ٤٤ .

الخير وازال عن نفسه تلك الكرامة ارتد الى اسفل المخلوقات «لقد خلقنا الانسان في في احسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » (١) أما الذين يؤدون تلك الامانة فيحتفظون بتلك الكرامة ولهذا استثنى الله أولئك الذين يحترمون انسانيتهم وكرامتهم فيؤدون الواجب ويتبعون طريق الخير. وبذلك يكتسب المؤمنون الصالحون العزة والكرامة «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون » (٢) ، ومن كان يريد لنفسه الكرامة والعزة فليتقرب الى صاحب العزة ومعطي الكرامة وليتبع طريقه « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »(٣) وأن الله يرفع كل ذي فضل على قدر فضله ويؤتي اجره بقدر ما يعمل من الخيرات قال تعالى «ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون » (٤) «ويؤت كل ذي فضل فضله»(٥) ولا يمكن أن يستوى الانسان الذي يعمل بالمبادىء الاخلاقية والذي لايعمل بها ولا يستوي الذى يعمل الخير والذي يعمل الشر قال تعالى «قل لايستوي الخبيث والطيب»(٦) وقال : « ام نجعل المتقين كالفجار» (٧) ، « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم»(٨) ثم ان الانسان الذي يعمل بمقتضى القيم الاخلاقية لاتزيد قيمته ودرجته وجزاؤه عند الله فحسب بل تزيد قيمته الانسانية بين الناس فيكون له الشرف والمكانة الادبية في المجتمع : فيجد القبول والاهتمام به والمودة والتقدير من الناس قال تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا» . (٩) وقال الرسول (ص) : ان الله اذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : انى أحب فلاناً فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلاناً فأحبوه

(١) التين ٥-٦ .
(٢) المنافقون ٨ .
(٣) فاطر ١٠ .
(٤) الانعام ١٣٢ .
(٥) هود ٣ .
(٦) المائدة ١٠٠ .
(٧) ص ٢٨ .
(٨) الانفطار ١٤ .
(٩) مريم ١٦ .

فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الارض . واذا ابغض الله عبداً دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي فى أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض . (١) وروي عن ابي ذر قال : قيل لرسول الله (ص) . أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن ، (٢) تلك هي القيمة الادبية التي ينالها الانسان المتخلق فى البيئة الاجتماعية التي يحيا فيها ، ولا شك أن تلك القيمة لاتقدر بثمن لمن يقدرها ويعرف قيمتها .

الرابعة : القيمة المادية :

عندما نعيد النظر الى ماكتبناه فى الباب الاول نجد أن التطبيقات العملية للقيم الاخلاقية تؤدي الى كثير من المنافع أو القيم المادية.ولا أريد هنا تفصيل كل شيء يدخل في هذه القيمة ولكن أريد أن اذكر كنتيجة للاخلاق قيمتين مهمتين لكل فرد ولكل مجتمع فى الحياة العلمية : وهما القيمة الاقتصادية والقيمة الصحية.

أما القيمة الاقتصادية فيغفلها الاقتصاديون ويخطئون عندما لاينظرون الى الاخلاق من هذه الزاوية ولا يهتمون بها ، ذلك أن الاخلاق تدعو الى عدم الاسراف والتبذير والى الجد فى العمل واتقانه والى العمل من اجل الناس سواء أكان ذلك بالمساعدات المختلفة أم باختراع العلوم والالات الصناعية التي تؤدي الى نفع الناس عامة . وقضاء حوائجهم أو حل مشكلاتهم ومن جهة أخرى تراها تدعو الى عدم الغش والاختلاس ، مما يضرب اقتصاديات الافراد والمجتمع عموما . وباختصار القول تظهر قيمة الاخلاق الاقتصادية في ناحيتين : فى ناحية الانتاج ، اذ تدعو الى المثابرة والى العمل والجدية فيه واختراع مايفيد المجتمع ويحل مشكلته. وفي ناحية الانفاق اذ تدعو الى التقشف وعدم الانفاق الا فيما يجب الانفاق فيه . ولا ينمو الاقتصاد الا بهاتين الطريقتين : كثرة الانتاج والاقتصاد في المصروفات . ثم ان الانسان المتخلق

(١) التاج ٥/ ٧٩ .

(٢) نفس المرجع .

يجد مايسد حاجته عند الملمات لأن الناس يقدرونه ويردون اليه عند ذلك مثل احسانه اليهم أو يعطونه دينا لثقتهم به .

أما القيمة الصحية فاننا نعرف ان الاخلاق تدعو الى الابتعاد عن جميع الامور والافعال التي تضر الصحة مثل المخدرات والقذارة والفاحشة وكثرة الاكل والتنطع اولتطرف فى أي عمل ، كما تدعو الى الابتعاد عن الاماكن الموبوءة وعن الاتصال بالناس المصابين بالامراض الخبيثة المعدية . وكل هذه الامور من أسس الصحة ولا يمكن ان يحتفظ الانسان بصحته الا بتطبيق تلك المبادىء الاخلاقية عملياً .

هذا الى أن للاخلاق قيمة أخرى وهي أنها تدعو الى أن يكون الانسان نشيطاً مجداً فعالا يكسب رزقه بشرف وأمانة وتدعو الى جانب ذلك الى الجلد والصبر والثقة بالنفس وقوة الارادة وكل ذلك يؤدي الى تحمل أعباء الحياة بالصبر والشجاعة دون التبرم والضجر وهذا يؤدي بدوره الى منافع وقيم مادية في مجالات الحياة المختلفة .

الخامسة : القيمة المعنوية

ان أهم قيمة معنوية يؤدي اليها التطبيق العملي للمبادىء الاخلاقية هي الاحساس الدائم بالسرور والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير ويمكن أن نعبر عن هذه الحقيقة انها الاحساس بالسعادة الروحية . وهذه الحقيقة نتيجة طبيعية للتطبيق العملي للاخلاق ، ذلك أن الانسان عندما يعمل بمقتضى عقيدته فيؤدي الواجبات كما ينبغي اداؤها ويتجنب المحرمات ويوجه طاقاته نحو الأهداف السامية ويحققها خطوة وجزءاً جزءاً . يشعر عندئذ بأنه انسان خير قوي الارادة، سائر فى طريق خير نحو غاية خيرة ولا يعوق احساسه هذا مايلاقي أحيانا فى هذا السبيل من معوقات أو مشاق بل يزيد احساسه بالسعادة لانه عندئذ يشعر انه يكافح من أجل خير نفسه وخير الانسانية، اذ ان الانسان الخير لابد من أن يعمل لخير الانسانية يضاف الى هذا مايجد من التقدير الادبي من الناس وهو سائر في هذا الطريق . ان هذا

العمل بهذا الاحساس هو سبيل السعادة الروحية التي تلازمه باستمراره، اما الانهماك في الملذات على حساب الأخلاق فليس وسيلة السعادة بل هو وسيلة الشقاء ذلك ان الانسان المنحرف يشعر دائما بالدناءة وتأنيب الضمير وهذا سبب لاحساسه بالضيق والشقاوة . وهذه الحقيقة يدركها من يصغى عن قرب الى انين قلوب اولئك الذين انحرفوا عن الطريق السوي ومن يقرا كتاباتهم واشعارهم . ولا ننكر أيضا مايعبرون به عن ملذاتهم الوقتية الا ان مايعانون من الشقاء النفسي والعذاب الروحي يساوي اضعاف مايتمتعون به من اللذات أما لذة الفضيلة ان صح هذا التعبير فهي دائمة لاتنقطع.

وهكذا نجد ان الأخلاق طريق الانسانية ومن يخرج عن هذا الطريق تعاقبه الانسانية : الانسانية المكنونة في ضمير كل فرد أخلاقي ومن سار فيها تكافئه بالسعادة الروحية وهي أعلى قيمة تهدف الاخلاق لتحقيقها للانسانية .

النية . . . والسجية

الخلق خلقان : احدهما نية والاخر سجية .

قيل : فأيهما افضل؟ قال (ع) النية ، لان صاحب السجية مجبول على أمر لا يستطيع غيره ، وصاحب النية يتصبر على الطاعة تصبراً فهذا أفضل .

«تحف العقول» عن الامام الصادق (ع)

حول مشروع الفلم عن النبي (ص)

بقلم الشيخ محمد جواد مغنية

قرأت في جريدة النهار تاريخ ١٤ - ٧ - ١٩٧٣ كلمة لسماحة الشيخ نديم الجسر، ينكر فيها مشروع الفلم عن النبي محمد (ص) الذي ترعاه وتنفق عليه حكومات ليبيا والكويت والبحرين والمغرب.

وأضم صوتي الى صوته، وادعو أهل العلم بالاسلام وشريعته ان يقولوا كلمته بجرأة وهي ناصعة الحجة والبرهان، بالبيان التالي:

من المسلمات الاولية عند كافة المذاهب الاسلامية ان نسبة تحليل شيء او تحريمه الى الله ورسوله من غير دليل - بدعة وضلالة.. وان دليل الاحكام وفق الشريعة ينحصر بنص الكتاب والسنة خصوصاً أو عموماً، وكل فرع أو أصل يجب رده الى هذا النص، فما وافقه فهو حق والا فهو زخرف.

وقضية الافلام السينمائية وعرضها على الجماهير حادثة جديدة لا نص عليها بالذات، ولكن صاحب الشريعة يعلم ان الحوادث المتوقعة من بعده لا نهاية لها ولا حصر، وان البلوى بها ستعم الناس لامحالة.. وعملا بهذا العلم، واداء للامانة ووظيفة التشريع في بيان مايجب بيانه - فقد ضرب صاحب الشريعة قاعدة كلية بين فيها حكم جميع مايتجدد ويحدث من الوقائع من يومه الى اليوم الاخير، وقال: «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي». ومثله ماجاء في القوانين الوضعية: اذا القاضي اعوزته النصوص عمل بمبادىء قوانين الطبيعة وقواعد العدالة.

وكلمة «كل شيء» تدل على العموم والشمول لكل مالا نص عليه من الوقائع قديماً كان ام حديثاً، و«مطلق» اي جائز ومباح فعلا وتركاً، و«حتى يرد فيه نهي» معناه ان الحادث حلال ما لم يؤد الى الحرام، ويصطدم مع النص... وليس من شك ان الافلام السينمائية لا نص عليها بالذات في كتاب الله وسنة نبيه، فهي - اذن - حلال الا اذا اشتملت على الحرام كالفسق وقول الزور، او أدت الى الحرام كالفتنة والفساد في الارض.

ومشروع الفلم عن النبي الكريم (ص) يؤدي الى اخطر المخاطر والكبائر التي اشار اليها الشيخ ، ومنها ان الشركات الصهيونية أو التي تستوحي منها سوف تنتج أفلاماً عن النبي تمس بكرامته ، وحياته الخاصة وحياته الزوجية ، وحجتها ان المسلمين قد فتحوا الباب .

وشاهدالعيان لقول الشيخ ماجاءفى كتاب«ايام فى امريكا» للدكتور زكي نجيب محمود ص٢٠٥ ومابعدها، الطبعة الثانية، قال من جملة ماقال: حضرت تمثيلية في مسرح زيجفلد ، اسمها «قسمت» . . فكم مرة ذكر فيها القرآن بسخرية ، وكم مرة ذكر الاسلام بازدراء وكم مرة ذكر محمد باستخفاف وتحقير . . . وكان الاخراج في رفعة فن لم اكن اتصورها . . وفى قلب هذا الفن الرائع ايقن الحاضرون ان الاسلام ومحمد والقرآن حماقة عقل!!! وشهوة للمرأة لاتنقطع . .وان المسلمين يصلون في حركات هستيرية تثير الضحك !.

هذه واحدة من مئات او عشرات ، واذا لم نكن على يقين كالشمس بان الفلم عن النبي يؤدي حتما الى ذلك وامثاله،فلا اقل من الشك ،وهوهنا بالخصوص كاف واف فى وجوب الكف والاحجام ولو على سبيل الاحتياط اللازم، وان كان الفلم حقا وصدقا وتقديسا وتعظيما لشخصية الرسول الاعظم(ص)،واذاكانت الدماء تصان بمجرد الشك بالاتفاق ، لحديث (تدرأ الحدود بالشبهات) فان صيانة الدين عند الشك اولى واحق ، لان الارواح يضحى بها من اجل الدين ، ولا يضحى بالدين لصيانة اي روح من الارواح

وعليه فان اصل التحريم عند الشك لايختص بالدماء والفروج واللحوم ،كما يظهر من كلام الفقهاء،بل يعم ويشمل موردالشك فى الخوف على كيان الدين وبيضته وقداسة المعصوم وعظمته ، ومقام المؤمن وحرمته .

الشعوبية

حركة نشأت من طبيعة العلاقات بين العرب والايرانيين في الدولة العربية

بقلم: الشيخ محمد مهدي شمس الدين

كتاب الاستاذ أحمد لواساني «نظرات جديده في تاريخ الادب» كتاب جيد ، فان مقياس الكتاب الجيد في نظري هو ذلك الذي يفتح آفاقاً جديدة من البحث ، ويبعث على التأمل في المسلمات القائمة ، وذلك دفعاً لشروط البحث الموضوعي الصارم . وليس من الضروري لوصف كتاب مابالجودة أن تتفق مع كاتبه في الرأي حول المسائل المثارة .

وفقاً لهذا المقياس اعتبر ان كتاب الاستاذ أحمد لواساني كتاب جيد ،ففي بحثه عن جبن حسان ، وعن آداب ابن المقفع ، وعن الشعوبية ، والتعديل الاملائي الذي اقترحه ومارسه في كتابه هذا ، كل ذلك يطرح قضايا جديدة ، و يثير اسئلة جديدة.

واكثر فصول الكتاب خطورة وأهمية هو فصل الشعوبية ، الذي يخلص الاستاذ لواساني فيه الى ان من «المرجح» أن تكون الشعوبية حركة افتعلها اليهود في قلب الدولة الاسلامية ،ليحطموا هذه الدولة بتأليب بعض شعوبها على البعض الاخر، وكانت وسيلتهم الى ذلك اثارة النعرات العنصرية .

وهذا أمر يؤهلهم له مفهومهم عن «الشعب المختار» ، وتراثهم الديني الذي شحنهم بالحقد على جميع الشعوب الاخرى ، هذا التراث التلمودي والتوراتي الذي يدعوهم الى الايتركوا فرصة تمر دون اغتنامها لاضعاف الاخرين وايذائهم .

ويعزز اتهامهم ان هذا التراث النظري تحول عندهم ـ عبر التاريخ ـ الى سلوك

وممارسة ، فمنذخروجهم من مصر الى العصر الحديث ،والى أيامنا الحاضرة مارسوا ويمارسون باستمرار هذه التعاليم النظرية في علاقاتهم مع الآخرين .

وبالنسبة الى الشعوبية : اليهود وحدهم هم أصحاب المصلحة في نشوء هذا الصراع بين المسلمين العرب والمسلمين الايرانين : العنصرين البشريين اللذين يكونان الكثرة الساحقة من مواطني الدولة الاسلامية .

كل هذه الاعتبارات «ترجح» أن يكون اليهود هم المسؤولين عن افتعال حركة شعوبية وذلك عن طريق التظاهر بدحول الاسلام والاخلاص له . ثم محاولة نسفه من الداخل بهذا الأسلوب الشيطاني اللئيم .

أما الفرس وهم الذين أدانهم العرب وغير العرب ممن عالج التاريخ الاسلامي بأنهم هم الذين أوجدوا – بموقفهم من العرب ، والدولة الاسلامية ؟ (العربية؟)- الشعوبية التي أدت ، بما ولدت من تفاعلات ، الى تحطيم العرب والدولة ، وهم لذلك يتحملون مسؤولية ماحدث بسببهم وعلى أيديهم .

أما هؤلاء ،فهم في نظر الأساذ لواسابي أبرياء لان اعتبارات العقيدة واعتبارات المصلحة تنفي عنهم هذا الاتهام .

هم مسلمون مخلصون لاسلامهم الى ابعد حدود الاخلاص ، وقد حاربوا من أجل الاسلام في جميع العصور ، وماتوا في سبيله ، وقد أعطوا التراث الاسلامي في الحضارة والفكر من ثمرات عقولهم الكثير الكثير ، وهذا الواقع يمنعهم من اتخاذ أي موقف يتنافى مع هذا الخط العقيدي الذي تحول الى سلوك ، ومن ثم فهو يتنافى مع افتراض انهم هم المسؤولون عن حركة الشعوبية . هذه اعتبارات العقيدة.

والشعوبية حركة عنصرية تقوم على تمجيد العرب وتفضيلهم على غيرهم من الشعوب ، فكيف يفجر الفرس هذه الحركة التي تحط من منزلتهم ، وتجعلهم -على الأقل- في الدرجة الثانية بعد العرب . هذا الواقع يمنعهم من اتخاذ هذا الموقف الذي يضر بمصالحهم في المجتمع الاسلامي ويحط من مركزهم أمام اخوانهم المسلمين العرب . وهذه اعتبارات المصلحة .

هذا موجز مكثف للخطوط الكبرى التي اشتمل عليها بحث الاستاذ لواساني عن الشعوبية، ولا يسعنا مع اعجابنا البالغ بموضوعية المؤلف في بحثه ورصانته العلمية الا ان نخالف صاحبه في النتائج التي انتهى اليها .

وقبل أن ندخل في صميم البحث لابد لنا من أن نتحدث عن المهج الواجب اتباعه في البحث .

في المنهج :

ان مسألة الشعوبية يمكن ان تعالج من زاويتين : يمكن ان تعالج من زاوية عربية قومية ، ويمكن أن تعالج من زاوية اسلامية انسانية .

وكل واحدة من هاتين الطريقتين تفترض أسلوباً معيناً، وتخضع لمسلمات معينة وما اكثر ما يختلف الباحثون نتيجة لاختلاف أحدهم عن الآخر في النظرة التي ينظر بها الى المسألة المبحوثة ، ولو انطلقوا من زوايا موحدة في النظر لتوصلوا الى نتائج موحدة أو متقاربة على الاقل .

وهنا سؤال يفرض نفسه :

هل من حق الباحث أن يختار الزاوية التي ينظر منها الى موضوع بحثه ، وطريقة المعالجة التي تروقه وتعجبه ، أو أن ثمة قانوناً يحكم هذه المسألة : مسألة اختيار الطريقة والمنهج؟

الذي يبدو لي أن الباحث لا يكون حراً دائماً في اختيار الطريقة والمنهج الذي يعجبه ، وانما كثيراً ما يرى نفسه محكوماً باتباع منهج معين تفرضه طبيعة المسألة التي يعالجها ، والعناصر المكونة لها ، من الزمان والمكان والانسان والاحداث والوسائل والاهداف . ولا يستطيع ـ اذا كان موضوعياً وصادقاً ومخلصاً ـ الا أن يخضع لهذه الضرورة ، ويتعامل مع المسألة المبحوثة بالطريقة التي تتفق مع طبيعة تلك المسألة ، واذا تجاوز الباحث الطريقة التي تفرضها طبيعة المسألة ، فانه يكون اما مخطئاً أو مزوراً للتاريخ ، ويكون من البعيد جداً ان يتوصل الى نتائج صحيحة وسليمة .

ومسألة الشعوبية من المسائل التي تفرض على باحثها أن ينظر اليها من زاوية معينة ، وان يعالجها وفقاً لاسلوب معين لايجوز له أن يتعداه .

تتضح هذه الضرورة المنهجية في البحث اذا حللنا الشعوبية الى عناصرها :

(١) ـ انها حركة حدثت في المجتمع الاسلامي حينما كان هـذا المجتمع محكوماً بالاسلام ، ويعيش بالاسلام ، وتتعامل جماعاته وأفراده، فيما بينهم بالاسلام.

(٢) ـ وأبطال هذه الحركة وعناصرها البشرية من العرب والفرس مسلمون ملتزمون في حياتهم .

(٣) ـ ومعظم الحجج التي كان يدلي بها كل واحد من الفريقين ضد خصمه حجج دينية كثيراً ما اشتملت على آيات من كتاب الله، وأحاديث نسبت الى النبي (ص)، صحيح أن الخصائص القومية،والتراث الحضاري .والعادات والتقاليد الشعبية كان كل واحد من الفريقين يستخدمها في الفخر لنفسه أو ذم خصمه الا ان الباحث يكتشف بوضوح أن بروز هذا العنصر حدث في وقت متأخر حينما تعاظم الشر ،وتفاقم الخطب أما في البدايات الاولى للفتنة فقد كانت الحجج الدينية هي الطابع المميز للصراع الكلامي ، وبقيت محتفظة بمركزها المفضل في الجدل الكلامي بين الفريقين .

(٤) ـ وقد كانت الحركة بمجموعها نتيجة من نتائج اختلاط الشعوب الاسلامية فيما بينها في دولة واحدة ، وتحت نظام حكم واحد هو نظام الخلافة كما استقر عليه شكله عند الامويين والعباسيين .

هذا هو واقع المسألة : حركة نشأت في مناخ ديني اسلامي مكـون من ناس متحدين في عقيدتهم،ونظام حكمهم،وطريقة حياتهم ،وقد تعامل الفريقان المتنازعان فيما بينهما بأدلة مستقاة من الدين الذي يؤمنان به معاً ،ويعيشان على هداه في حياتهما.

هذا الواقع يفرض علينا أن ندخله في حسابنا عندما نبحث مسألة الشعوبية ، وان نبحثها من زاوية اسلامية انسانية ، لامن زاوية قومية عربية ، والا لجاز للاخرين ان يبحثوها من زاوية قومية فارسية .

ان النظرة الاسلامية الانسانية هي التي تحكم هذه المسألة ، ولهذافهي الطريقة التي سنتبعها في معالجة المسألة،وفي محاسبة المؤلف على نتائجه التي توصل اليها .

السؤال المفتاح :

ان ثمة صيغاًمتعددة يمكن أن يطرح بها السؤال المتعلق بهده المسألة ، وتبعاً لصيغة السؤال تتجه الاجابة عليه . وهده الصيغ ، هي ـ على سبيل الحصر المنطقي الدائر بين النفي والاثبات ـ كما يلي :

(١) ـ اما أن يكون الصراع بين العرب والفرس ، الذي اتخذاسم الشعوبية قد حدث نتيجة لتدخل عنصر ثالث بينهما .

(٢) ـ واما أن يكون قدحدث نتيجة لعوامل داخلية تولدت من طبيعة العلاقات التي قامت بين العنصرين المكونين للدولة الاسلامية ، من دون ان يكون ثمة دخل لعنصر ثالث دفع بهما الى مواقف الصراع (وان كان هذا لايمنع ان يكون قدوجد في عهد متأخر من حدوث هدا الصراع من حاول أن يستغله لمآربه الخاصة) .

المسألة تدور ـ منطقياً ـ بين هذين الاحتمالين اللذين لاثالث لهما .

والاحتمال الاول يدور ـ على سبيل الحصر المنطقي ـ بين ثلاثة فروض :

أ ـ أن يكون العنصر الثالث قد دفع بالعرب الى سلوك اتجاه عنصري، أثار الاقوام الاخرى في الدولة الاسلامية ، بحيث يمثل موقف العرب «الفعل» ويمثل موقف الاقوام الاخرى «رد الفعل» .

ب ـ أن يكون العنصر الثالث قد دفع بالاقوام الاخرى (والفرس على رأسهم) الى سلوك اتجاه عنصري نحو العرب أدى بهم الى اتخاذ موقف معاكس ، بحيث يمثل موقف الفرس «الفعل» ، ويمثل موقف العرب «ردالفعل » .

ج ـ أن يكون العنصر الثالث قد عمل على كلا الجانبين ،فدفع بهؤلاءوهؤلاء الى اتخاذ موقف عنصري نحو الاخر ، وكان كل واحد منهما مؤثراً في الاخرين ومتأثراً بهم في نفس الوقت .

الاحتمال الاول ، يدور ـ منطقياً ـ بين هذه الافتراضات الثلاثة .

أما الاحتمال الثاني فلا بد أن ندرسه من زاويتين : احداهما زاوية اطراف الصراع ، وثانيتهما ظروف الصراع ومناخ النزاع .

من زاوية اطراف الصراع ، يدور الاحتمال الثاني ـ منطقيا ـ بين افتراضين:

١ ـ اما أن يكون الفرس قد اتخذوا مواقف مثيرة (عنصرية) من العرب ، بعد أن حطم هؤلاء الامبراطورية الساسانية ،وأدخلواايران تحت الحكم (الاسلامي؟ العربي؟) ، وقد ودفعت هذه المواقف المثيرة التي اتخذها الفرس بالعرب الى ان يقفوا منهمموقفاً معادياً.

(٢) ـ وأما ان يكون العرب (الحاكمونمنهم) قد مارسوا سياسة تمييزية (عنصرية) نحو الفرس ، دفعت بهؤلاء تدريجاً الى التحسس بواقعهمالسيءوالثورة عليه بالكلام وبالفعل .

ومن زاوية الظروف والمناخ يدور الاحتمال الثاني ـ منطقياً ـ بين افتراضين:

(١) ـ اما أن يكون سلوك العرب الحاكمين في سياستهم العربية قد أدى الى تكوين مناخات ملائمة استغلها الفرس .

(٢) ـ وأما ان يكون الفرس هم الذين اوجدوا المناخاتالملائمةلتحركاتهم ضد العرب ، وورطوا العرب فيها واستغلوها بعد ذلك .

الاحتمال الثانييدورمنطقياًمنحيث اطرافالصراعوظروفهبينهذهالافتراضات

* * *

بعد هذا الاستقصاء لاحتمالات المسألة وافتراضاتها نعود الى الاستاذ لواساني لفحص نظريته :

قد اختار المؤلف طرحالسؤال بصيغتهالاولى ، فهو بعد تحليله لموقفالفرس واكتشاف أنهم سيخسرون من اثارة النزعة العنصرية لدى العرب « رجح» أنيكون ثمة عنصر ثالث بين الفريقين أثار أحدهما على الاخر ، وبعد غربلة الاحتمالات في شأن هذا العنصر الثالث استقر رأيه على ان اليهود هم هذا العنصر الثالث الذي

اطلق شرارة الشعوبية وأحج نارها بين العرب والفرس ، لان التعليم الديني السائد لليهود ، وتاريخهم القديم والحديث ، ومصالحهم العصرية والدينية تملي عليهم اتخاذ هذا السبيل ، وتدفعهم الى سلوكه .

ومع انه في مطالع البحث يدومنه أنه يختار من الاحتمال الاول الافتراض (أ) الذي يقضي بأن اليهود دفعوا العرب الى ممارسة العصرية ، وكان موقف الفرس بمثابة رد الفعل على سلوك العرب تجاههم ، الا انه في آخر البحث لايستبعد الافتراض (ج) الذي يقضي بأن اليهود قد عملوا على كلا الجانبين ، وحرضوا كل واحد من الفريقين على صاحبه . وذلك باثارة النزعة العصرية عند الطرفين .

وعند تحليلنا لافكار المؤلف نجد أنها على وجاهتها من ناحية نظرية ، ليست علمية بدرجة تشكل مرتكزاً في مسألة الشعوبية يقضي علينا برفض المبدأ القائم .

نحن نوافق على كل ماذكره المؤلف عن اليهود وعن قابلياتهم ، واستعدادهم ومصلحتهم الدينية والعصرية في حدوث ماحدث ، ولكن ثمة سؤالا كبيراً يقوم في أذهاننا وهو :

هل تكفي امكانية شيء ما للحكم بأنه قد حدث في الواقع ؟

ان الجواب طبعاً بالسلب ، والمؤلف نفسه في اكثر من مناسبة في كتابه يرفض أن تكون الامكانية لشيء ما تعني حدوثه في الواقع .

ولم نستطع نحن ـ في حدود مابحثنا ـ كمالم يستطع المؤلف في كتابه ـ ان نجد شاهداً يدين اليهود باعتبارهم المحرضين الرئيسين في اثارة حركةالشعوبية.

وهكذا يبقى الامر محصوراً في عالم الامكان فقط ، ولا يتعداه الى مرحلة الوقوع .

وما اكثر أحداث التاريخ التي يمكن أن تفسر بأسباب أخرى غير أسبابها المعلنة اذا اعتمدنا هذا الاسلوب في تفسير التاريخ ، ولكن لايجوز لنا ـ كما يوافقنا المؤلف على ذلك ـ أن نعتمد على الامكانية وحدها في تفسير التاريخ .

ان تفسير التاريخ لابد أن يقوم على ركيزتين : الامكانية ، ووثائق الاثبات . ولا تغني احداهما عن الاخرى ، فكما رأينا في المسألة المطروحة أن الامكانية وحدها

لاتغني عن وثائق الاثبات ، كذلك وثائق الاثبات وحدها لاتكفي اذا لم تتوفر لها امكانية الوقوع ، ويمكن أن نمثل لذلك بروايات الزبير بن بكار عن سكينة بنت الحسين عليه السلام وحياتها اللاهية العابثة في الحجاز في المدينة، ومكة، وغيرهما، فان روايات الزبير بن بكار وثائق اثبات ، ولكننا نرفضها ونحكم عليها بالوضع والاختلاق لأسباب سياسية واجتماعية ، وذلك لأن الوقائع التي تتحدث عنها هذه الروايات غير ممكنة الوقوع بلحاظ اعتبارات الزمان والمكان والانسان .

لا بد أن تتوفر الركيزتان معاً ، لابد أن يكون الحدث المنسوب الى شخص ما ، أو الحركة المنسوبة الى جماعة ماشيئاً يمكن وقوعه في نطاق اعتبارات الزمان والمكان والانسان ، ولابد ـ بالاضافة الى ذلك ـ أن تتوفر وثائق اثبات تتمتع بحد أدنى على الاقل من الصحة العلمية، على ان الحدث قد وقع ، وبدون ذلك لايمكن أن يقوم تفسير علمي موضوعي للتاريخ .

مثلا : من واقع الرسالة الاسلامية مع اليهود نملك مثلين . احدهما وقع في حياة النبي (ص) والآخر بعد وفاته ، وقد أشار اليه المؤلف .

الاول ـ هو مساهمة اليهود مع مشركي قريش وسائر العرب في حرب الرسالة الاسلامية. هذا الحدث ـ في حد ذاته ـ ممكن الوقوع من اليهود ، لانه ينسجم مع حقدهم التاريخي ، ومع مصالحهم الاقتصادية والعنصرية ، هذا الحدث «الممكن» نملك وثائق اثبات له تتمتع بالصحة العلمية ، وتثبت ان اليهود قاموا بنشاط محموم في هذا السبيل .

الثاني ـ ظاهرة «الاسرائيليات» في التراث الاسلامي .

فان «امكانية» أن يسعى اليهود الى لغم الاسلام من الداخل متوفرة ، وهذا الشيء «الممكن» نملك عليه وثائق اثبات تدل على ان اليهود قد نفذوه بالفعل .

* * *

لهذا الذي قدمناه ، فاننا لانستطيع أن نوافق المؤلف على طريقة تحليله للمسألة ، ولا على النتيجة التي انتهى اليها .

والذي قاد المؤلف الى هذه النتيجة هو ـ كما ذكرنا سابقاً ـ انه افترض ان ثمة

حرضاً خارجاًعن اطراف الصراع،وحين بحث عمن يصلح لان يقوم بدورالتحريض جد أن اليهود هم الذين يؤهلهم معتقدهم المنحرف ، وتراثهم التاريخي للقيام بهذا دور «فرجح» أن يكونواهم المسؤولين عن نشوء حركة الشعوبية في المجتمع اسلامي .

* * *

وهنا نسأل :

هل نحن ــ في بحث مسألة الشعوبية ــ محكومون بالبحث عن محرض ؟

أن الجواب يكون بالايجاب حين نتأكد من ان امكانية الاحتمال الرئيس لثاني غير متوفرة ، وحينئذ يتعين علينا ان نسلك الطريق التي سلكها المؤلف ، نبحث عن محرض . أما حين تكون ثمة امكانية كبيرة لنشوء الصراع نتيجة طبيعة العلاقات الداخلية القائمة بين الفريقين المتصارعين، وحين تكون ثمة وثائق ثبات تتمتع بالصحة العلمية تدل على ان هذا «الممكن» قد وقع بالفعل ، فلماذا لبحث عن فريق ثالث نسند اليه دور التحريض ؟

ونحن نؤكد ان هذه الامكانية موجودة ، وان وثائق الاثبات موجودة .

فلندخل في الحديث عن نشوء الشعوبية ، وتطورها من وجهة النظر هذه.

للبحث صلة

كتاب في مقال

الحجاب

تأليف الشيخ مرتضى المطهري

ترجمة وتلخيص:
السيد على اليزدى

تمهيـد

الحجاب من اهم القضايا الاجتماعية التي أكد عليها الاسلام وأصر على تطبيقها في كل المجالات. وقد وقف منه أروع موقف عرفته البشرية في تاريخها الطويل الذي مر الحجاب فيه بمختلف الأشكال وشتى التطورات، فكانت الصيغة التـي قدمها الاسلام في هذا المجال منسجمة مع واقع الحياة الانسانية ومتطلباتها، شـأن الاسلام في كل قضية يطرحها، ويحاول ان يطبقها على حياة الانسان بالاسلوب الذي يتلاءم مع سائر الجوانب الحياتية، ويتفق معها في تسيير الموكب البشري نحو التكامل والرقي وتحقيق الأهداف العليا التي يرنو اليها الاسلام.

وليست مسألة الحجاب حديثة الولادة ولا مما اخترعه الاسلام في تاريخ الانسان كما يبدو للبعض بل تمتد جذورها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية الـى أعماق التاريخ، فهي من اوليات القضايا التي أدركها الانسان ومارسها في حياته، وانما الدوافع على ذلك كانت تختلف من جيل الى جيل، ومن أمة الى أخـرى، وكـذلك الاساليب التي كانت تتبع في مجال التطبيـق مختلفة حسب اختلاف الاعراف والتقاليد، الا ان اصل القضية له واقع واحد مشترك في جميع المظاهر والحالات.

ومن الطبيعي أن تحدث هذه المسألة منذ أن عرف الانسان نفسه، وتطلع الى

حوله من الموجودات ، وعرفها ، وبنى على تكوين صلة بينه وبين غيره.

غير ان الاسلام أعطى للمسألة صورة أخرى وصاغها على أساس قويم يتمشى تمشياً مع مختلف الاجيال والظروف وتتمكن المجتمعات البشرية كلها مهما أرتقت وتكاملت مادياً ومعنوياً من مسايرة رأي الاسلام بهذا الصدد .

وبالرغم من ان الموضوع يحتل مستوى عالياً من الاهمية في نظر الاسلام فانه لم يدرس كثيراً وبشكل واضح ومعمق دراسة مستوعبة من قبل الكتاب والمفكرين الاسلاميين ، ولم يبرز رأي الاسلام وفلسفته الخاصة في الحجاب ، بصورة تجمع كل النكات والجوانب المرتبطة بالموضوع ، وبحيث يوازن بين النظرية الاسلامية وغيرها من النظريات ، بالنسبة الى ستر المرأة وحجابها ومن هنا أخذ أعداء الاسلام ومناوئوه الذين يتربصون به الدوائر ، يغتنمون أمثال هذه الفرص ، لشن الحملات العنيفة ضد الحجاب الاسلامي ، ويطرحون الموضوع بالشكل الذي يحقق أهدافهم ويصور للقارىء ان الحق معهم تماماً ، وان الاسلام ظالم للمرأة في رأيه هذا ، مجحف في حقها ، غاصب لحقوقها الانسانية ، مانع لها عن التقدم الاجتماعي ، مع ان الاسلام على عكس ما يصور هؤلاء في جميع قوانينه وأنظمته .

وبين يدينا كتاب (مسألة حجاب) للاستاذ المفكر الاسلامي الشيخ المطهري باللغة الفارسية يبحث فيه عن موضوع الحجاب ، ويدرسه دراسة مستوعبة الى حد ما حيث يستعرض فيه الأسباب الباعثة على حدوث الحجاب والفلسفة التي ارتكزت عليها وجهة النظر الاسلامية في الحجاب ، والنقود الموجهة الى الحجاب الاسلامي ثم يجيب عنها . وينتقل اخيراً الى عرض الحجاب الاسلامي بحدوده عرضاً موسعاً ، يذكر فيه الاراء الفقهية والنصوص والفتاوى ليخرج منها بنتيجة فقهية مهمة سوف نذكرها ان شاء الله.

ومن هنا يجدر بنا ان نلخص للقارىء العزيز هذا الكتاب ونعرضه عرضاً سريعاً وشاملا ، يتعرف من خلاله على مدى عمق ادراك الاسلام وتفطنه للفطرة الانسانية ، وطرق معالجته للادواء الاجتماعية ، والامراض التي أخذت تتسرب الى المجتمع الاسلامي الحبيب ، وتتوغل في أعماق أعماقه ، وتقطع أوصاله تقطيعاً ، وتسلك

بأبنائه الطرق الملتوية لتنتهي به الى الحضيض .

وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب ان مسألة وجوب تستر المرأة عن الرجل الاجنبي عنها تعتبر أحدى المسائل المهمة والضرورية في الاسلام ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك ـ كما سوف نذكر النصوص القرآنية بهذا الصدد انشاء الله ـ اذ أفلا تتحمل المسألة أي تشكيك من وجهة النظر الاسلامية لانها من مظاهر الحيلولة بين النساء والرجال الاجانب ، كما ان عدم جواز الخلوة بالمرأة الاجنبية مظهر آخر من مظاهرها .

وينقسم الكتاب بعد ذلك الى فصول خمسة :

الفصل الاول : الحجاب ليس شيئاً مخترعاً في هذه الامة :

ويشير المؤلف في هذا الفصل الى ان الحجاب كان موجوداً في بعض المجتمعات الجاهلية السابقة على الاسلام ، كالمجتمع الايراني القديم ، والمجتمع اليهودي ، ويحتمل وجوده ايضاً في المجتمع الهندي ، وأما الجاهلية العربية فلم تكن تعرف عن الحجاب شيئاً الى أن بزغ فيها فجر الاسلام ،وتعرفت عليه لاول مرة في تاريخها ، ويحدثنا التاريخ ان الحجاب السائد في تلك المجتمعات كان أصعب بكثير من الحجاب الذي فرضه الاسلام.

يقول ويل ديورانت : فلو ان امرأة نقضت القانون في المجتمع اليهودي ، بأن خرجت الى الرجال دون ان تغطي رأسها أو انها اشتكت الى رجل ، او رفعت صوتها من دارها حتى سمعها جيرانها كان لزوجها الحق في أن يطلقها دون أن يدفع مهرها.

ولعل الامر اشد من ذلك في المجتمع الايراني القديم فقد بلغ فيه الضيق بالمرأة ذات البعل الى درجة بحيث يحرم عليها النظر الى ابيها وأخوتها وكذلك يحرم عليهم النظر اليها .

وكذلك في المجتمع الهندي كان أمر الحجاب وحدوده عسيراً جداً بالنسبة الى المرأة ، الا ان التاريخ لا يوضح لنا بداية نشوء الحجاب فيه وهل انه كان سابقاً على الاسلام او ان الحجاب انتشر فيه بعدما جاء الاسلام؟ لكن الشيء الثابت هو : ان الحجاب كان يتحكم فيه على المرأة بأشد مما يرفضه الاسلام ويحدده .

٢ ـ الفصل الثاني: الاتجاهات العديدة لتبرير نظرية الحجاب

هناك اتجاهات عديدة في تفسير الحجاب والكشف عن السبب الباعث على حدوثه في المجتمعات الانسانية، على العكس من المجتمعات الحيوانية التي لاشعور فيها بضرورة وجود حائل بين ذكرها وأنثاها، وقد سعى أعداء الاسلام الى استغلال هذه الاتجاهات لضرب الحجاب الاسلامي عن طريق نقدها، من دون ان يفترق لديهم رأي الاسلام عن غيره ومن دون ان يعيروا اهتماماً لما أوضحه الاسلام بروحه ونصوصه من المصالح الفردية والاجتماعية التي ابتنت عليها نظرية الحجاب في الاسلام، ولذا نرى ان اكثر هذه الاتجاهات تحاول ان تطبع الحجاب بطابع الظلم للمرأة والجهل لحقوقها، وسوف نرى انها اما لاأثر لها أصلا في خلق الحجاب، واما انها غير ملحوظة في التشريع الاسلامي:

أ ـ الاتجاه الفلسفي

يرى اصحاب هذا الاتجاه ان الحجاب نابع عن فكرة الرهبنة الفلسفية، انطلاقاً من ان المرأة اكبر أداة لالتذاذ الرجل في الحياة، فلو اتيحت له الاباحية المطلقة، وارتفع الستر عن المرأة تحول المجتمع ـ طبيعياً ـ الى مجتمع فاسد منهمك في اللذات، وهذا ماينا قض فلسفة الرهبنة التي تؤكد على رفض الاستمتاعات المادية بكافة نواحيها في الحياة رفضاً باتاً.

وهنا نتساءل: ماهي الاسباب التي دعت الى فكرة الرهبنة ومعاداة الاستمتاع المادي؟

والجواب: انها كثيرة وأهمها مايلي:

اولا: الرغبة في الوصول الى الحقيقة مع الاعتقاد بانه لايحصل الاعن طريق قهر النفس وسحق مشتهياتها.

ثانياً: اقتران اللذات المادية بالمشاق وتحمل المصاعب في سبيل الحصول عليها مما يفقد الانسان عزته واستقلاله، ولذا يصمم على تركها والزهد فيها.

ثالثاً : أخفاق الروح وفشلها في تحقيق بعض آمالها المادية،فنتجه الى الانتقام من اللذات المادية عن طريق استخبائها وترويض النفس على الابتعاد عنها .

رابعاً : الاكثار من الاستمتاعات المادية والافراط فيها مما يؤدي الى حصول رد فعل للروح تجاهها . هذه هي العوامل المؤدية الى خلق الرهبانية ، وهذه الفكرة الفلسفية بدورها ساعدت على تنمية نظريةالحجاب في زعم اصحاب هذاالاتجاه.

ومن الواضح ان الاسلام لم يستند في أي تشريع من تشريعاته الى هذه الفكرة ، ولاهي تطابق روحه ونصوصه الشريفة ، وليس من شك في ان الاسلام حارب الفكرة بشتى الوسائل وماأكثر النصوص القرآنية والنبوية والمواقف المشرفة التي كان يتخذها قادة الاسلام الحقيقيون للتأكيد على النظافة والتجمل ، وتقصير الشعر ، والتدهين ، واستعمال العطر ، الى غيرها من مظاهر الاستمتاع بلذائذ الحياة وزينتها التي اخرج الله لعباده ، والطيبات من الرزق .

هذا في مجال الحياة الأجتماعية ، واما في مجال الحياة الزوجية فلم يفسح الاسلام المجال للزوجين لاستمتاع احدهما بالاخر فحسب وانما اكد على ذلك كثيراً ورغب فيه ، واتخذ لذلك أنماطاً متعددة من السلوك يربي عليها الزوجين ، وينمي على أساسها علاقة أحدهما بالاخر .

ب ـ الاتجاه الاجتماعي:

يفسر هذا الاتجاه مسألة الستر والحجاب بان النهب والسلب والاعتداء على أموال الضعفاء من الناس وأعراضهم من قبل ذوي القدرات والامكانيات امر شائع في المجتمعات البدائية ولذا اضطرت الجماعات المستضعفة الى أخفاء أموالهم ودفنها في الارض ،وكذلك ستر نسائهم واخفائهن عن الابصار خوفاً على عفافهن .

وهذا الجانب ايضاً غير ملحوظ في تشريع الاسلام للحجاب ، فالنصوص الاسلامية الصادرة بهذا الصدد لاتتعرض له اطلاقاً ـ لاتصريحاً ولا تلويحاً ـ ،اضف الى ذلك ان التاريخ لايحدثنا بأن الجاهلية كانت تعيش أزمة نهب واعتداء على أموال الناس وأعراضهم ، في نفس الوقت الذي لم تكن تعرف شيئاً عن الحجاب .

د ـ الاتجاه الاقتصادي :

ويرى هذا الاتجاه ان المبرر الرئيس لنشوء مسألة الحجاب هي فكرة استثمار طاقات المرأة واستغلال قواها، للحصول على أكبر قدر ممكن من منافعها الاقتصادية، ولذا كانوا يحبسونهن في البيوت .

وكما يقسم أصحاب الماركسية مراحل التاريخ البشري من حيث العوامل الاقتصادية الى : اشتراكية بدائية ، واقطاعية ورأسمالية ، واشتراكية ثانوية (١) ، كذلك يحاول بعض أتباع هذا الاتجاه (٢) ان يقسم المراحل التي مرت بها صلة الرجل بالمرأة من وجهة نظر علم الاجتماع الى :

(١) ـ مرحلة الاشتراكية الطبيعية التي لم يكن للحياة الزوجية فيها أي مفهوم.

(٢) ـ مرحلة استعباد المرأة واستملاكها ، ومن مخلفاتها الحجاب .

(٣) ـ مرحلة الثورة على الوضع المعاش من قبل النساء والمطالبة بحقوقهن.

(٤) ـ مرحلة الاشتراكية الثانوية والمساواة بين الرجل والمرأة .

وهذه الفكرة خاطئة جداً وليست الا تقليداً اعمى للماركسيين ، فالمراحل المذكورة لا وجود لها في التاريخ البشري ولا يمكن ان توجد ، فعواطف الرجل تجاه زوجته والعلاقة الزوجية التي تشده اليها تمنعه عن ان يفكر في استملاكها ولا تسمح له بالتغلب عليها بقصد الاستغلال اقتصادياً ، ولا ننكر في نفس الوقت ظلم الرجل للمرأة واستغلالها أحياناً عندما تضمر العاطفة وتبرز العصبية والجهالة، الا ان هذا لايكون مبرراً لان نتخذه كظاهرة تشمل المجتمعات قبل القرن التاسع عشر .

وأما الاسلام فبالاضافة الى انه لم يلاحظ هذا الجانب في تشريعه فقد حارب الفكرة من أساسها، وأعلن عن حرية المرأة واستقلالها ـ اقتصادياً ـ ولم يعط للرجل اي

---

(١) تقسم الماركسية مراحل التاريخ البشري الى اشتراكية بدائية ، وعبودية واقطاعية ورأسمالية واشتراكية ثانوية ، وشيوعية وهي ـ في زعمهم ـ آخر مرحلة يطويها الانسان في تاريخه الاقتصادي .(المترجم)

(٢) كتاب (انتقاد وبررسى قوانين اساسى و مدنى ايران) .

حق في أجرة عملها ، وحتى في القيام بمهام البيت تكون بالخيار بين ان تتطوع بها أو تطالب بأجرة أزاءها .

د ـ الاتجاه الاخلاقي :

و يرى ان الحجاب امـر خلقته غريزة الحسد الكامنة في طبيعة الرجل ، فهو يحب ذاته، ويحسد الاخرين، ولذا يسعى الى اشباعها عن طريق حجب المرأة وسترها.

وقد أخطأ هذا الاتجاه ايضاً في فهم السبب الحقيقي للحجاب ، ولم يميز بين غريزة (الحسد) المودعة في طبيعة المرأة ، وغريزة (الغيرة) التي أودعهـا الله في طبيعة الرجل كي يحفظ بها النسل من الضياع ،فهي غريزة نوعية اجتماعية وظيفتها حراسة النسل البشري ، وأما الحسد فهي غريزة شخصية ، وحتى لو زال الحسد عن طريق تهذيب النفس ، بقيت غريزة الغيرة تقوم بدورها الفعال ، وسوف نوضح بعد هذا ان الاسلام لاحظ هذا الجانب ايضاً في تشريعه للحجاب .

هـ ـ الاتجاه النفسي :

ويحـاول تفسيـر الحجاب بدافع نفسي للمرأة ، فهي تشعر دائماً ـ عندما تقايس نفسها بالرجل ـ بالصغار والحقارة ، ذلك لنقصها العضوي اولا، ولابتلائها بالحيض والنفاس ثانياً ، ولذا كانت تعد أيام حيضها ونفاسها رجسـاً يجب التطهر منه ، وهذا الشعور النفسي هو الذي جعلها تتستر وتختفي عن الرجال .

ولا شك في ان هذا لايوافق رأي الاسلام ، لانه لايعد المرأة رجساً ايام عادتها ولم ينه عن معاشرتها أضف الى ذلك ، ان تشريع الحجاب لم يكـن على أساس استحقارها كما يتضح ذلك في البحوث المقبلة .

وبعد ان اتضحت الاتجاهات في ادراك المبرر الواقعي للحجاب ،يشير المؤلف الى ان السبب الحقيقي والدافع الذاتي للمرأة الى التستر والاختفاء هي الغريزة الفطرية التي تدفعها للسيطرة على قلب الرجل ومشاعره نظراً لشعورها بالنقص العضـوي تجاهه ، فتتخذ من الابتعاد والاحتجاب عنه اكبر أداة لكسب المزيد من عواطفه نحوها.

٣ ـ الفصل الثالث : فلسفة الحجاب الاسلامي :

وهنا يعرض المؤلف الموضوع على الصعيد العام الشامل لكل التنوعات والاشكال التي يمارسها الرجل في عملية استمتاعه بالمرأة، ويتساءل : هل قرر الاسلام الاباحية المطلقة ؟ وهل أتاح للرجل اشباع غريزته الجنسية دونما تخطيط و تحديد ، ام انه فتح لكل من الرجل والمرأة باباً خاصاً يشبعان عن طريقه غرائز هما كيفما شاءا داخل الاطار المفروض عليهما، وهي الحياة الزوجية المشروعة ؟ اما في مجال الحياة الاجتماعية فقد حرم على الرجل حتى النظر الى امرأة اجنبية عنه كما حرم على المرأة كافة الاساليب التي بها تلفت الانظار وتجذب القلوب حتى ان (يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن . . .) وطبعاً يؤكد الاسلام على الفريضة الثانية ويرى انها الضمان الحقيقي للحصول على مكاسب كبيرة هي :

اولا : المحافظة على الصحة النفسية للحياة الاجتماعية ، ووقايتها من الامراض الروحية النابعة من الخلاعة والتميع .

ثانياً : توثيق الصلات والروابط الزوجية ، وتنشيط العلاقات بين أفراد الاسرة والمحافظة على حرارتها وصيانتها عن التفكك والتجزئة ،فالحياة الاجتماعية اذا كانت صفواً من أي استمتاع جنسي ولم يفسح المجال لاي من الرجل والمرأة في ممارسة الشهوات واشباع الغرائز خارج نطاق الحياة الزوجية أصبحت الزوجية آنذاك عش المودة الحقيقي .

ثالثاً : تمحض الحياة الاجتماعية للتحرك والنشاط واستثمار الطاقات البشرية في انتاج اكبر قدر ممكن من الخيرات واستخراج الثروات الطبيعية لصالح الانسانية .

رابعاً : صيانة المرأة عن اتخاذها اداة رخيصة ومبتذلة للاستمتاع،والاحتفاظ بكرامتها وشرفها في المجتمع لكي لاتقع لعبة دعائية بيد الشركات التجارية التي تستنزف عزها وكيانها الذاتي استنزافاً شرهاً كما نلاحظ اليوم بوضوح .

هذه هي الجوانب التي لاحظها الاسلام في تشريعه للحجاب، علماً منه بأن الغريزة الجنسية عميقة في طبيعة الانسان فلو أسلس له القياد في أشباعها، لجرت الويلات على الانسانية ، ولتسربت آثارها السيئة الى اجيال وأجيال . . . ولذا فرض على المرأه الحجاب باعتبارها بطبيعتها راغبة في التبرج واستعراض محاسنها أمام الرجل ، كما فرض على الجنسين معاً غض الابصار وحفظ الفروج تعديلا لهذه الغريزة عن الشطط والانحراف ، وكم كان الاسلام عميقاً في تصوراته وادراكاته للطبيعة الانسانيـة حيث تفطن الى ان الغريزة الجنسية لايمكن اشباعها عن طريق الاباحية المطلقة ، بل يزداد بذلك لهيبها وتكثر متطلباتها ولاحد نهائي لها ابداً ، والطلب اللانهائي يواجه الفشل فتتعرض الغريزة للكبت الذي يؤدي الى الامراض النفسية كما نشاهد بالفعل فـي المجتمعات الغربية .

فليست المسألة مسألة ضياع النسل واختلاطه فحسب كي يعالج ذلك باستعمال الاقراص المانعة عن الحمل ـ كما فعله الغرب ـ بل هناك جوانب أخـرى وهي الجـوانب المذكورة ولا تقل أهميتها عن تلك ، وينبغي ان يحسب لها حسابها ، وهذا ماصنعه الاسلام بتشريعه الفذ للحجاب .

الفصل الرابع : النقود الموجهة الى الحجاب :

يشير المؤلف في هذا الفصل الى الاعتراضات التي تتناول الحجاب بصورة عامة بالنقد ، ثم يجيب عنها ، وهي ـ باختصار ـ :

أ ـ الاعتراض الاول :

هو ان الحجاب وليد أحد أمور كلها مردودة عند العقل ، لان السبب فيه اما هو النهب والاعتداء ولا وجود لهما الان ، او هي فكرة الترهبن وهي خاطئة من أصلها، أو هو حب التغلب على المرأة، وهذه رذيلة اخلاقية لابد من اجتثاثها ، أو هو الاعتقاد بكونها رجساً وهو من الخرافات .

ويكفينا ـ في الاجابة على هذا الاعتراض ـ ان نستذكر ماسبـق في الفصـل

الثالث من ان الحجاب الاسلامي يرتكز على فلسفة خاصة لها الاثر الكبير جداً في مختلف الجوانب الاجتماعية والنفسية والعائلية وغيرها ، فمن الخطأ ان نفكر في ان الحجاب لامبرر له ابداً .

ب ـ الاعتراض الثاني :

القائل بأن الحجاب تضييق للمرأه وسحق لحريتها واستقلالها .

ولابد لنا ان نعلم اولا : ان هناك فرقاً بيناً بين التضييق على المرأة، وهذا مما لايستهدفه الاسلام ، بل يحاربه اشد المحاربة ، وبين تكليفها باتخاذ أسلوب معين حينما تواجه رجلا اجنبياً عنها وتعاشره ، فتستر نفسها الى حدود معينة وهو الذي يفرضه عليها الاسلام .

ثانياً : ان أمثال هذه التكاليف التي تستدعيها المصالح الاجتماعية والفردية ، لايصح ان تسمى تضييقاً واعتداء على حرية الفرد واستقلاله ، وكم لها من نظائر في المجتمعات المتحضره .

ثالثاً : ان الحجاب الذي يفرضه الاسلام هو مبدأ عز المرأه ومصدر كيانها ـ كمامر بنا في الفصل السابق ـ وكثير هو الفرق بين هاتين النظرتين .

حـ ـ الاعتراض الثالث :

الذي يزعم ان الحجاب يجمد الطاقات المودعة في المرأه ، والتي تستدعي العمل والانتاج ، وكل نظام يشل هذه الحركة في المجتمع ويوقف هذه الطاقات الكبيرة عن التحرك والاستثمار ، يعتبر معادياً للحق الطبيعي للمرأة أولا وللحق الطبيعي للمجتمع ثانياً .

ومن الواضح ان الحجاب الاسلامي بحدوده التي سوف نوضحها في الفصل المقبل انشاء الله لايجمد أية طاقة مودعة في طبيعة المرأة بل هو يحافظ شديداً على النشاطات الاجتماعية وتنمية القوى وتركيزها للعمل والانتاج ، ولذا يؤكد على حصر الاستمتاعات الجنسية في مجال الحياة الزوجية لتتمحض الحياة الاجتماعية للعمل وتتفرغ للتحرك والنشاط .

د ـ الاعتراض الرابع :

الذي يستهدف جانباً نفسياً ويرى ان الحجاب يسبب اولا : تحريك الرجل تحريكاً مستمراً وازدياد رغبته وشوقه الى المرأة فالانسان حريص على ما منع منه وثانياً : كبت الغريزة وقهرها الذي ينتهي به الى الخلل الروحي والمرض النفسي وعلم النفس يركز دائماً على فسح المجال للغرائز في كل ماتطلب .

ولكي نتبين مبلغ الاصابة في هذا الاعتراض نقسم الغرائز الطبيعية الى قسمين:

الاول : الغرائز السطحية التي يتم اشباعها في حدود معينة ، ولو تجاوزنا بها عن حدودها تحولت الى الضجر والملل كغريزة الاكل والنوم وامثالهما .

الثاني : الغرائز العميقة في طبيعة الانسان التي لايتم اشباعها ابداً مهما تنوعت اساليب الاشباع ، كغريزة حب المال وحب الجاه وحب التعلم وغيرها .

والغريزة الجنسية لهاجانبان : جانب جسمي ، وتندرج بهذا الجانب في القسم الاول من الغرائز فيمكن اشباعها في حدود معينة ، وجانب روحي ينشعب الى نوعين من التعطش الروحي ، احدهما : الحب الذي تنازع الفلاسفة حول مصدره الرئيس وهل هو الجانب الجسمي من الغريزة ، أو هو الجانب الروحي منها ؟ أو ان اصله بادي الامر هو الجنس ولكنه يتحول الى حالة معنوية بعد ذلك ؟ وهذا النوع من التعطش له حالة فردية وشخصية دائماً ، بمعنى انه نتوجه الى موضوع خاص، وفرد معين ، ويقطع علاقته مع غيره ، كما انه يتولد دائماً من اخفاق الروح في تحقيق آمالها ومآربها ، وثانيهما :التعطش الروحي الذي يتطلب المزيد من اساليب الاشباع وتنوعاته ، وكلما ازدادت السبل في اروائه ، تحول الى نوع من الطمع والحرص اللانهائي ، وهذا من مخلفات غريزة حب التملك ، أو هو مزيج منه ومن الغريزة الجنسية ، فالغريزة بهذا الجانب الروحي تندرج في القسم الثاني من الغرائز التي لايتم اشباعها ابداً .

اذاً : ففسح المجال أمام الغرائز والانقياد لها في كل ماتطلب يؤدي الى نفس النتيجة التي ينتجها القهر والكبت كمانشاهد ذلك بوضوح في المجتمعات المعاصره ومن الخطأ جداً ان نعتبر الانطلاق مع الغرائز حلا وعلاجاً للكبت كما صنعه

الغرب ، واعترف بخطأه بعد ذلك ، فان ذلك يبعث فيها الحيـوية والنشاط ، فـلا تتوقف عند حدأبداً ، ومن الواضح ان الطلب اللانهائي لا يواجه نجاحاً فينشأ مـن الكبت عند ذاك مختلف الامراض الروحية التي تصاعدت أرقامها بالفعل في الغرب

والطريقة الصحيحة هي التي سلكها الاسلام فقرر لتسكين الغريزة عنصرين:

الاول : اشباعها في حدودها الطبيعية عن طريقه المشروع الذي رسمه بنفسه .

الثاني : الوقاية من تحريكها وتهييجها وذلك بفرض الحجاب وسائر المناهج والتعاليم التي أمر بها .

الفصل الخامس : الحجاب الاسلامي حدوده وتفاصيله :

في مستهل هذا الفصل يذكر المؤلف الايات القرآنية النازلة بهذا الصدد في سورتي (النور) و(الاحزاب) ويتعرض لتفسيرها، ثم للمسائل الفقهية والروايات الشريفة والفتاوى ، فأما الايات فهي :

«ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون .

فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وماتكتمون.

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها ،وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن أو التابعين غير اولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ،ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون» (١) .

(١) سورة النور ، الايات : ٢٧ ـ ٣١ .

تعرضت هذه الايات الشريفة لعدة امور متسلسلة :

١ ـ الاستيذان ولا يجوز ان تدخل بيت غيرك حتى تستأذنه ، والسر فيه أمران : وجود نساء في البيت ثم وجود أسـرار ربما لايستحسن صاحب البيت ان تطلع عليها .

٢ ـ جواز الدخول في الامكنة العامة ولو كانت ملكاً للاخرين بشرط ان يكون لك فيها متاع أو عمل .

٣ ـ وجوب غض البصر والتقليل من حدة النظر الى المرأة الاجنبية .

٤ ـ وجوب ستر العورة بمعناه الحرفي، أو بمعناه الكنائي وهو العفاف.

٥ ـ يجب على النساء ايضاً التقليل من حدة النظر الى الرجال الاجانب وستر عوراتهن أو تعففهن .

٦ ـ لايجوز للمرأة ان تبدي للرجال زينتها وهذه الكلمة تشمل الزينة المنفصلة كالكحل والخضاب .

٧ـ يجوز لها ان تبدي زينتها الظاهرة كالكحل والخاتم والثياب وخضاب الكف والسوار والوجه والكفين، والسر فيه أن ستر هذه المواضع يستدعي الحرج والعسر وهما مرفوعان في الاسلام .

٨ ـ يجب على المرأة ان تغطي صدرها وشعرها وترائبها وسوالفها ،كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : وليضربن بخمرهن على جيوبهن . . . فالاية صريحة في تحديد المواضع التي يجب سترها، وسوف ينفعنا هذا الاستنتاج فيما بعد.

٩ ـ يجوز لها ان تبدي زينتها بشكل عام سواء ما ظهر منها وما بطن لافراد معينين هم (البعل) و(الاب) و (أب البعل)و (الابن) و (ابن البعل)و(الاخ)و (ابن الاخ) و (ابن الاخت) و (النساء المسلمات) و (الرقيق) و (المجانين ، والبلهاء الفاقـدون للغريزة الجنسية) و (الاطفال غير المميزين أو غير البالغين) بحدود مبينة في محلها.

١٠ ـ لايجوز للمرأة فى حياتها الاجتماعية ان تمارس الاساليب المهيجـة الملفتة للانظار بشكل عام .

وهناك آيات اخرى من سورة النور ايضاً تعرض جانباً آخر للموضوع وهي :

(ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم.

واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته ، والله عليم حكيم . والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم (١) .

في هذه الآيات استثناءان :

الاول : استثناء من قانون الاستيذان العام الذي سبق ذكره في الايات السالفة ، وذلك لطبقتين من الناس هما : الرقيق ، والأطفال غير البالغين فهاتان الطبقتان يجوز لهما الدخول بلا استيذان في غير هذه الساعات الثلاث : قبل صلوة الفجر ، وعند الضحى والظهر ، وبعد صلوة العشاء نظراً الى ان هذه الاوقات الثلاثة تعتبر عادة ساعات النوم أو الاستراحة ولذا لايكون وضع الزوجين فيها طبيعياً من حيث اللباس وغيره فيحتاج الدخول الى الاستيذان ، واما في غيرها فلا يجب الاستيذان والسر في ذلك هو ان تكرر الذهاب والاياب في غير هذه الساعات أمر طبيعي ولا بد منه فالاستيذان فيها يستدعي الحرج .

الثاني : استثناء من قانون الستر العام ،فيجوز للعجائز اللاتي لايطمع فيهن احد ان يضعن الخمار والجلباب بين يدي أي كان بشرط ان لايتبرجن بزينة ، وهذا هو الاستثناء الثالث من قانون الستر،وقد سبق استثناء الزينة الظاهرة ،واستثناء المحارم.

واما الايات المذكورة في سورة الاحزاب فهي لاترتبط بقانون الستر ، وانما هي تؤكد على العفاف بشكل عام وهي : (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن

سورة النور الايات ٥٩ ـ ٦١ .

فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ،وقلن قولا معروفاً.وقرن في بيوتكن ولا تبرجن الجاهلية الاولى) (١)والخطاب وان كان موجهاً الى نساء النبي(ص) ولكنه دستور عام للنساء فلا يجوز لهن مايلي :

اولا : ان يخضعن بالقول ، كي لايطمع الذي في قلبه مرض .

ثانياً:ان يتبرجن ـ أي يخرجن من بيوتهن بهدف استعراض المحاسن وجذب القلوب ـ كماكانت النساء في الجاهلية ويقول تعالى ايضاً«ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ، ولامستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيى منكم والله لايستحيي الحق ، واذاسألتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبـداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً» .(٢)

وأيضاً يقول تعالى : ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما.(٣)

النتائج المتصيدة من النصوص الاسلامية : بعد ان ينتهي المؤلف من عرض الايات النازلة بصدد وجوب الستر ، يستعرض سائر الأدلة الفقهية حول وجوب ستر الوجه والكفين على المرأة وعدم وجوبه ، ويرى انموقف الاسلام من المرأةيختلف كثيراً جداً فيما ادا وجب عليها ستر وجهها وكفيها عما اذا لم يجب عليها ذلك فلو استخرجنا الوجوب من الادلة الاسلامية كان معناه ان الاسلام لايجوز للمرأةممارسة اي عمل اجتماعي خارج البيت ، ونستنتج عكس ذلك تماماً فيها لو استخرجنا مـن الادلة عدم الوجوب .

واليك النتائج التي يستنبطها المؤلف من النصوص الاسلامية :

(١) ـ يجب على المرأه ان تسترجسدها ماعدا الوجه والكفين .

---

(١) سورة الاحزاب ، الايتان : ٣٣ و ٣٤ .

(٢-٣) سورة الاحزاب الاية : ٥٣ و ٥٩

(٢) ـ يجوز للمرأة ان تبدي وجهها وكفيها للرجال .

(٣) ـ ان عدم وجوب ستر الوجه والكفين على المرأة لايستدعي جواز نظر الرجل اليها ، فمن الممكن التفكيك بين المسألتين .

(٤) ـ لايجوز النظر اليها بتلذذ أوريبة اطلاقاً حتى بالنسبة الى الوجه والكفين .

(٥) ـ يستثنى من عدم جواز النظر بتلذذ ، ماإذا كان النظر لاجل النكاح فيجوز حتى لو كان متلذذاً .

(٦) ـ يجوز للرجل ان ينظر الى وجه امرأة اجنبية عنه أو الى كفيها بشرط ان لايكون متلذذاً أو مرتاباً .

(٧) ـ لايجوز للرجل ان يصافح المرأة الاجنبية اطلاقاً حتى مع عدم التلذذ او الريبة .

(٨) ـ لايجوز للرجل ان يصافح المرأة الأجنبية اطلاقاً حتى مع عدم التلذذ أو الريبة ، الامع وجود حائل بين يديه ويديها وبشرط ان لايكون في ذلك أي تلذذ او ريبة

(٩) ـ يجوز للنساء أن تشارك الرجال في المجالات الاجتماعية ، بشرط ان لا يخالطنهم .

مشكلتها .. ومشكلتنا

إن مشكلة المرأة .. انها لا تجد التوجيه الديني الصحيح الذى يحفظ لها ايمانها وعقيدتها . .

ولذا فقد امكن للاخرين ان يخدعوها عن دينها ويبعدوها عن اسلامها فى عملية تزوير واحتيال .

ومشكلتنا : اننا نلمح الخطر محدقاً بنا ، ولانحاول ان نتجنبه ونبحث في السبل التى نستطيع بها القضاء عليه . . حتى اذا حل بنا لم يكن لنا الا الاستسلام . . وهكذا دواليك حتى تفقد كل مقومات الشخصية . . وكل عوامل القوة . .»

من كتاب «قضايانا على ضوء الاسلام»

مع حياة القادة

(٦)

أهل البيت عليهم السلام

الشيخ محمد على التسخيري

* مما سبق
* قواعد البحث المنطقية
* ١ ـ تحديد مركز البحث
* المثال الاول : . . التقية . . بين الاثبات والنفي
* فروض . . واختبار ايجابي
* الفرض الاخير
* التطبق الدقيق وشبهة الاختصاص

مما سبق :

تحدثنا سابقاً عن المنهج الشمولي وخصائصه وكونه المنهج الذي يستطيع ان يلبي حاجتنا في دراسة اهل البيت(ع) وفهمهم الفهم الصحيح، وأكدنا ضرورة ادخال عنصري (الاستنباط والكلمة) في مجال دراستنا لحياتهم (ع) لأجل الوصول الى الخطوط العريضة التي تنتظم هذه الحياة الرائدة .

وفي هذه الحلقة من الدراسة نحاول ارساء البحث الانف على قواعده المنطقية، وتحسيس البعض من الباحثين بموارد نموذجية فاتهم أن يلتزموا فيها بتلك القواعد، فوقعوا فى اخطاء بعيدة الأثر في تصوراتهم عن أهل البيت(ع)، ومدرستهم الفكرية

والعلمية . (١)

..وسنرى بعد ذلك ، ان كل مادعي من عقبات موهومة في سبيل توحيد فهمنا لهم وبالتالي توحيد مسيرتنا نحو الحق والخير ، وان كل ماتلبد به أفق الأخوة الاسلامية من جراء ذلك ، ماهو الاخيال ، وسراب ، اوسوءفنهم ، كان يمكن انتلافاه ونحن في حاق صراعنا مع العدو ، وفي عز معركتنا مع التخلف المرير ، والتآمر العالمي المنظم على وجود امتنا ، والذي يستهدف تمزيقها ارباً ، كي يتمهد له طريق افنائها كما نلاحظه اليوم بوضوح .

---

(١) يحلو للبعض من الباحثين (المتفرنجين) الذين تأثروا بنظريات التطور ، التى اصبحت سعار هذا العصر ، ان يتحدث عن تطور مدرسة اهل البيت فكرياً فينقلها من دور لا تزال فيه غير واضحة المعالم ، وانما تعتمد على مجرد عاطفة سطحية ، ومجد أسرى قوى ، الى دور تفرضه الظروف عليها ، فتكتلها في مجموعة سياسية منظمة ، الى دور آخر ، تجد المدرسة لنفسها حاجة ملحة فى خلق اطروحة متفردة فتعمل على ايجادها .

وهذا القول . . . لا يعبر عن الواقع اى تعبير ان اريد منه الجانب الموضوعى من المدرسة ، ولم يقصد منه ملاحظة اسلوب العرض . . . بل ان الباحث ليجد الاطروحة عند الامام الهادى مثلا تماماً كما يجدها عند النبى العظيم (ص) والامام امير المؤمنين (ع) والفارق ـ ان دققنا فى الامر ـ يكمن فى اسلوب اعطاء الاطروحة من قبلهم (ع) فكلنا يعلم انه قدمرت الامة بظروف عصيبة وملابسات حعلت من البعيد عن الصواب ان تلقى الاطروحة بكل معالمها الى الامة وعلى صعيدها العام نظراً لاستلزام ذلك الذهنية المحددة لمركز الائمة من اهل البيت (ع) كأساس اوصى النبى (ص) بالرجوع اليهم بأمر منه تعالى . .

. . . فاذا اضفنا الى ذلك ماهو الواقع من أن أطروحة مدرسة اهل البيت لم تكن تعبر الا عن الاسلام الصافى من كل شائبة والمطهر من كل زيغ ، وتأكيد اهل البيت على ذلك ، عرفنا ان مدرسة اهل البيت واطروحتهم عن الاسلام ـ لم تكن شيئاً جديداً حتى يختمر فى الاذهان ـ كما تخيل البعض . . اما مانراه من التأكيد الشديد على هذا الجانب فى كلمات الائمة الباقر والصادق والكاظم (ع) مثلا بالشكل الذى لانجده فى كلمات الامام الحسن (ع) مثلا فانه تابع كما قلنا للوظيفة المرحلية التى اداها اولئك فى عصرهم (ع) بعد ان كانت نفس الوظيفة تستدعى شكلا آخر من العمل من قبل وهى وظيفة اعادة الذهنية الاسلامية الصافية واستعادة النظرة الواقعية التى اعطاها القرآن والنبى الكريم لاهل البيت (ع) بعد ان عمل الامويـون على تشويه الصورة بكل ما يستطيعون ، فمعرفة مركز قائد اية اطروحة ضرورى جداً للبـدء بعملية طرحها .

ولربما يأتى مزيد توضيح فيما سيأتى ان شاء الله تعالى .

قواعد البحث المنطقية ومدى تطبيقها

... وهذا البحث ضروري لاية دراسة في اي مجال بصورة عامة ، واكثر ضرورة بالنسبة للدراسات التاريخية والاجتماعية ، بصورة خاصة ، وذلك تبعاً لطبيعة هذه الدراسات واعتمادها الكبير على عنصر الحدس والافتراض في أحيان كثيرة. مما يؤكد ضرورة التقيد بقواعد عامة ،تكون بمثابة صمام الامان ، كي لا تنحرف الدراسة عن مسيرها ، فتخطيء هدفها المنشود منها ، وقد تنقلب على هدفها نفسه.

ولئن كنا من قبل قد اشرنا اشارة عابرة الى بعضها ، فانا هنا سنحاول استقصاءها اولا ، ثم توضيح بعض الموارد التي انحرفت فيها ، فادت الى مالاتحمد عقباه ،وان لم يكن مقصوداً لبعض الباحثين ...

فنحن نعترف بان الكثير منهم طلبوا الحق ـ وان كانوا اخطأوه و(ليس من طلب الحق فاخطأه كمن طلب الباطل فادركه) كما يقول امير المؤمنين (ع) في معرض النهي عن قتل الخوارج من بعده(١) ويمكننا ان نقرر أهم هذه الخطوات العامة في ما يلي:

١ ـ تحديد مركز البحث ، ونقطة البدء .

٢ ـ مراعاة التناسب بين المقدمات والأدلة ، والنتائج المراد حصولها .

٣ ـ تواجد مقومات المستوى الذي يتلاءم والمشكلة المبحوث عنها .

٤ ـ توفر الموضوعية فى الطريق ما بين البدء والنتيجة .

٥ ـ تحديد المسلمات الفكرية التي يؤمن بها كلا طرفي البحث المتناقضين ،

ولئن لم يكن المجال المخصص قادراً على ايفاء هذه الخطوط حظها من التوضيح ومالها من تطبيقات متكثرة في مختلف الحقول العلمية ،فانه يسعه ـ أن شاء الله تعالى ـ ان يشير الى موارد انتقاضها من قبل بعض الباحثين في خصوص موضوعنا (اهل البيت)(ع) تاركاً التفصيل الى مكانه .

---

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٨ شرح عبده .

١ ـ تحديد مركز البحث

ويسميه علماء الأصول بـ (تحرير محل النزاع) .

فمما يبعث على الالم والامتعاض احياناً ، وعلى السخرية اخرى ، ان نجد طرفين يتنازعان في قضية معينة . . فتصرف الجهود .. وتبذل الأوقات .. وقد ينجر الأمر الى الصراع العملي .. متجاوزاً حدوده الفكرية المفروضة ،ثم يصحو الطرفان بعدمدة ، فاذا كل يشير الى جانب مغاير للجانب الذي يشير اليه الآخر ..

ويعود النزاع الذي كان يظن انه مستحكم ، نزاعاً لفظياً عقيماً .

ذلك لانهمالم يحددامنذ البدء .. ماهي القضية المتنازع عليهابالضبط ؟ ..

واين يكمن الخلاف في وجهات النظر ؟ .. وانما اكتفوا بالصورة الظاهرية للالفاظ .. فرتب كل منهم مايتصوره من لوازمعلىأحد الوجهين ..وانجرالنقاش ، وهذا بالضبط مالاقت منه دراساتنا ،الامرينفي مختلف المجالات .. مما خلق بعد ذلك نوعاً من السفسطة الجدلية ، والمحل الفكري ، لاجل دعم الفكرةالتيقديقتنع حتى اصحابها بخطئها ، ولكن تعوزهم الجرأة الادبية على التراجع عنها ، وهذا ـلعمري ـ اكبر الأدواء .

وقد سبق انه يمكن ان يعثر المرء على الكثيرمن الامثلة لذلك ، ولكنا سكتفي بعرض مثالين نجدهما عند من ارخوا لحياتهم (ع)..معتبرين ذلكالمهمز الذييمكن ان يوجهوه اليهم ، ونقطة الضعف الكبرى .. التي يمكن ان ـتصمهم والعياذ باللهـ بانهم ربواشيعتهم ، واتباع اطروحتهم على بعض الأخلاق ، والمبادىءالتي خلقت فيهم مايرفضه الاسلام مثلا .

المثال الاول : التقية .. بين الاثبات والنفي :

وقد تبنى اهل البيت (ع) هذا المبدأ كخط عام له تناسبهمع اختلاف الظروف ونادوا به على اختلاف طبعاً في جانب التطبيق تبعاً للاحوال التيكانت تحيط بالامة ، تجهماً تارة وانفراجاً اخرى .

ففي حين نجدان البعض يصرون علىان هذاالخط يعتبر من الأمور التيرفضها

الاسلام ، واعتبرها علامة على (النفاق) أو (العمل السري المخاتل) و و..
الى غير ذلك من النعوت حتى ان البعض منهم ـ ولا داعي لتسميتهم ـ جعل هذا المبدأ العقبة الكأداء الرئيسية في سبيل الوحدة الاسلامية ، والتعرف ، وانفتاح المذاهب الاسلامية على بعضها .. وألف ونشر مؤلفه بالملايين من النسخ .. وتبرع اهل الاحسان !! بالمبالغ الطائلة.. كل ذلك لاجل توعية المسلمين بهذا المبدأ (الخطر)!!

في نفس الوقت الذي يصرخ فيه الواقع بالمسلمين ان يتبرعوا للمجهود الحربي لقتال اعداء هذه الامة او مداواة جرحى المسلمين ..!!

هذا في حين ذهب البعض منهم يفتش عن الجذور التاريخية العميقة للفكرة ليجد لها عند بعض الأقوام والملل خيوطاً حاولوا ان يمدوها الى التاريخ الاسلامي.. والى مدرسة اهل البيت (ع) بالذات كاحد المنافذ الواسعة لتلك المبادىء الغريبة على الاسلام .. وهكذا اتسعت الدائرة شيئاً فشيئاً، حاملة معها كل مايتوقع من البغضاء والشحناء والتناحر .

كل هذا ونحن نجد من جهة اخرى ان مدرستهم (ع) تؤكد هذا المبدأ وتصر عليه .. بل وتعتبره من الضروريات الواضحة لاية عقيدة لها مساقطها العلمية في حياة اتباعها ، وانها الدرع الحصينة للفكر، والعامل المحقق للجو الصحيح الذي تستطيع معه الفكرة ان تؤدي عملها **وقد يأتي ظرف . . يأبى الله معه الا ان يعبد سراً..**

ويعن للباحث ـ بعد هذا ـ ان يقع على سر الامر .. وهو يعلم ان في الامر لسراً ، اذ كيف يمكن ان تكون التقية (ديناً) في الاسلام ، على رأي اهل البيت (ع) وانحرافاً عنه على الرأي الاخر ...وكلا الفريقين يستمدان عقائدهما من مصدر واحد.

وبعد أن يستعرض نصوص الطرفين وحججهم بتأمل وتدبر، وبروح موضوعية مخلصة، **يجدان الطرفين يشيران الى جانبين مختلفين تمام الاختلاف...اكتنف كلا منهما نوع من الغموض.. فعادا بالتالي شيئا واحد.. يثبته البعض ، وينفيه الاخر.**
ويجدان ان الذي تبنته مدرسة أهل البيت ، شيء طبيعي يسلكه اي عاقل قام عنده البرهان القاطع على صحة الفكرة بمالها من بناءات فوقية وانعكاسات عملية

تستوعب جوانب حياته كلها.. فنذر نفسه لها .. وعمل جهده على تحقيقها ولكنه وجد نفسه في نهاية المطاف محاطاً بظروف قاهرة عاتيةتفرض عليه ان يتنازل كليا عما يعتقد ويترك بالتالي تطبيق كل القواعد العملية المبتنية على مايعتقد .

فهو اذا بين فروض .. عليه ان يختار احدها ، وهي كما يلي :

١ ـ ان يستجيب لهذه القوة القاهرة ، باكثر مما يتطلب منه الموقف ، محققاً بذلك كل اهدافها ، فيترك عقيدته اولا ، ثم يتجنب بالتالي كل جوانبها العمليةالتي تقوم عليها .

٢ ـ ان يصر على الاحتفاظ بعقيدته التي اقتنع بها .. متنازلا تماماً عن كل مقتضياتها العملية .. حتى التي لاتتناولها يد البغي والقهر .

٣ ـ ان يحتفظ بعقيدته .. ويلتزم بمقتضياتها .. ومنها الدعوة اليها ، ونشرها ومحاولة تهيئة الجو المناسب ، لتؤدي مفعولها بكل حرية ، ..كل ذلك بالمقدار الذي يحقق له ضمانة البقاء ، عاملا لها .ورافداً لمدها المتنامي في النفوس ..راجياًان تنفرج الأزمة ، بخسائر اقل ، ونتائج اكثر لصالح القضيةالتي آمن بصحتها ..وهذا مايمكن ان يكون مراداً من التعبيرات الاسلامية المتكررة في هذا المجال..من امثال (الصبر) من جهة و (الفرج وانتظاره) من جهة اخرى .

٤ ـ ان يرفض بكل اباء .. كلاً من التنازل عن العقيدة .. والتنازل عن كل مقتضياتها .. وحتى لو كلف هذا الاصرار .. أن يضحي الانسان بالنفس والنفيس .

وعندما نريدان نختار أحد هذه الفروض . لمثل هذا الشخص نجدان الفرض الاول .. فرض غير وارد قطعاً .. فهو يتنافى على الاقل مع افتراض الايمان المسبق الكامل بالمبدأ،والتفاعل مع معطياته الحياتية ،.. واقل مايقال فيه انه لايمتلك مايبرره وليس هذا من دأب العقلاء .. أن يقوموا بأمر لامبرر له. بل هناك دافع لعدم القيام به .

اما الفرض الثاني ، فهو ايضاً لايمتلك مبرراته . وان كان اقل تعرضاً للاشكال عليه ، كالفرض الاول .. ولكنه على اية حال التزام بلا ملزم .. والا فالمفروض ان الضغط الخارجي يشبع بمقدار يدفعه من جهة ، ويضمن بقاء الشعلة من جهة اخرى لاان يعطى فوق مايتطلب ، وما لديه من طاقة الضغط .

والفرض الثالث .. وان كان يعبر بادىء ذي بدء،عن شهامةوبطولة.. واصرار انساني رفيع .. ومناقبية شامخة .. الا انه لايمكن ان يعد خطأ عاماً يشمل كل الاحوال والاشخاص.. بل انه يعتبر تصرفاً له ظروفه الخاصة به .. والتي يقدرها الانسان الواعي تقديراً دقيقاً .. موازناً بين مايقدمه ، وما تحصل عليه عقيدته وقضيته من نتائج .. فاذا رجحت كفة النتائج فحينذاك تتجلى تلك المناقبية العالية .. ويقدم كل مالديه مؤثراً ومضحياً بالنفس والنفيس ..

وهذا بالضبط مانجده في ظروف نهضة الامام الحسين (ع) بالـذات ، حيث توفرت كل الدواعي القوية التي تتطلب تضحية عظمى ، وعلى صعيد القمة البشرية التي تتجاوز الابعاد الوقتية والمكانية لها.. وبعد ان تمزقت كل الموانع الموضوعية من القيام بمثل هذه النهضة الخالدة والتضحية التي لن ترى البشرية نظيرها اذا ما لوحظت كل العناصر الدخيلة،واكبر تلك الدوافع نداء الرسالة التي ديست مقدساتها وانتهكت حرماتها.. والامة التي قضي على وجودها الرسالي من جهة ، والمحاسب من جهة اخرى .. فلم يعد لها اي صوت مسموع .. اوقيمة موجهة . كما وان اكبر الموانع يكمن في سياسة مؤسس دولة الامويين (معاوية) ،والتي كانت تتلبس بكل لبـوس في سبيل اسباغ الصفة الشرعية على ماتقترفه من مآثم ، وعمليات اجرامية من طرف ، وفي سبيل تحطيم كل حركة اسلامية ناهضة .. تعمل على توعية الامة.. وتحسيسها بواقعها ، وواجبها تجاه هذا الواقع من طرف آخر، وقد ارتفع هذا المانع في عهد الحسين (ع) باعتبار انكشاف زيف العمل الاموي .. ووضوح اهدافه .

وهذا نفسه نجده في مواقف الابطال من تلامذة مدرسة امير المؤمنين (ع) من امثال حجر بن عدي الكندي .. وميثم التمار .. وان تغير الهدف من التضحية هنـا واصبح يستهدف ابقاء صوت اهل البيت ـ بالمقدار الممكن ـ مدوياً في ضمير الامة بعد ان حاول الامويون اطفاء كل اشعاعات اطروحتهم وفضائلهم بالمرة عـن طريق اساليب تشريع السب والطعن على المنابر للامام (ع) بشكل يأنف ان يسجله القلم.

والفرض الاخير

والفرض الاخير ـ اي الرابع ـ هو الفرض الذي يبقى قابلا لوحده لان يتخذ شكل سلوك عام .. ومبدأ مرن دائم .. وهو بالضبط ما تعنيه مدرسة اهل البيت(ع) من قولها بـ (التقية) .

..كما هو بالضبط مايختاره اي مؤمن،عاقل،واع تماماً لاهدافه ،وهو بعينه مانادى به القرآن الكريم في قولهتعالى:

«لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه والى الله المصير»(١)

وهوما طبقه الرسول العظيم محمد (ص) في بدء مراحل حياته التبليغية.وعمله العظيم لارساء قواعد الاسلام .. اذ انتج ذلك العمل بـ(التقية) هذا الانفتاح العالمي على منهج الله .. ولعمري هل يمكن لاية دعوه عقائدية عامة ، او حتى أية دعوة اصلاحية جانبية ..ان تقوم وتنمو بدون ذلك لو واجهت نفس الظروف؟! فمن الخيال المتطرف ، ومن مجافاة الصواب والمنطق ، ان ندفع مثلا مع الدكتور احمدامين فنقول بأن (افضل طريق للاصلاح في مختلف الظروف أن ينهض القائد ومعه اتباعه ، ويتعرض للتعذيب والتنكيل ، ويكثر اتباعه شيئاً فشيئاً ، واخيراً يصبح قوة لاتقهر ، وعندها يكون النصر) (٢) يقول الدكتور هذا المضمون ، وهو يتناسى انه ضرب من الطوبائية المغرقة ، وخصوصاً حينما ندرك ابعاد بعض الظروف ، التي تكون فيه السلطة مركزية ، او شبه مركزية ، يستحيل معها اعلان اي رأي مخالف لها ولذوقها العام .. وهذابالضبطمااشتملت عليه سياسة العباسيين والامويين من قبلهم وهو مما لا يحتاج الى اقامة دليل ، او عرض شواهد .

ان الامر ليس بهذه السهولة والبساطة في الحركات الاصلاحية الجانبية . .

---

(١) آل عمران ـ ٢٨ .

(٢) الهادى العدد الاول السنة الثانية ص ١٣٢ .

فكيف به في مبدأ يعلن ان الحكم القائم امر لاتبرزه أية مشروعية .. ويثبت للامة المسلمة حقها في عزل من لم يقم بالسير المستقيم على الصراط المستقيم ؟ .

الى هنا نكون قد عرفنا بدقة مايثبته اهل البيت ، وما يقصدونه من مبدأ التقية حينمااعلنوه شعاراً يجدله تطبيقاته الصارمة كلما اشتد الضغط المعادي ..

اما ذلك المبدأ الذي رفضه الكثيرون من المؤرخين ، فهو يرجع الى العمل المخاتل للقضاء على الامة .. والتآمر على مكتسباتها العقائدية لاجل مصلحة شخصية رخيصة وهو امر يتفق الجميع على رفض الاسلام له واصفاً اياه بـ (النفاق) تارة و(الزندقة) اخرى .

ولربما نوفق فيما يأتي لاستعراض موقف مدرسة اهل البيت (ع) الصارم ، وخصوصاً الامام الصادق (ع) والذي ركز مفهوم التقية ، وأرساه على قواعده .. من أولئك الزنادقة ، وحركتهم الهدامة التي ولدت لعوامل تخريبية . . مماكان له ابعد الاثر في دحرهم ، والقضاء على شبهاتهم التي لاقت بعض الرواج من قبل الاذان غير الواعية . . مما يؤكد ان اهل البيت (ع) وبمقتضى وظائفهم العامة كانوا الدرع الحصين الذي يدفع عن الامة الغوائل ،ويرد عنها كل السهام .. ولولا هم لما استطعنا ان نحدد ما هو مسيرهذه الامة(١) .

وعلى هذا فاذا نظرنا للتقية بمنظارها الواقعي نجدها تؤكد جانبين مهمين من جوانبهذه الرسالة الخالدة ... وهما :

«الواقعية» و «المرونة»

---

(١) من المناسب هنا ، أن اشير الى حديث خاص جرى مع الكاتب الاسلامي الكبير السيد ابى الحسن الندوى ، عندما قام واصحابه بزيارة قم المقدسة موفدين من قبل رابطة العالم الاسلامي الى هذه البلاد المسلمة .

...فلقد قال من جملة ماقال بعدان وضح لههذا المفهوم :

(ان التقية بهذا المعنى ـ ضرورة لكل عمل مخلص ، يحاول ان يركز نظاماً عاماً قائماً على اساس عقيدة مستوعبة) .

وقال أيضا مامضمونه (انى اعتقد انه لولا أهل البيت (ع) ووجودهم المعطاء، فىالعصرين الاموى والعباسى .. وهم يرودون الفكر الاسلامى ، وينمون المعارف الاسلامية لكانت العقبات الكبرى التى مرت بها الامة ، كافية لتحطيم معنوياتها واضعاف عقيدتها، والانحراف بها الى سير لا يعلمه الا الله) .

فالمبدأ ـ اي مبدأ ـ لايستطيع ان يدعي لنفسه ضمانة البقاء لفترة طويلةفضلا عن ضمان البقاء الى يوم القيامة ، دون ان يعترف بضغوط الواقع ومتطلباته المختلفة من حين لاخر مع الاحتفاظ الكامل بالمعالم الحقيقية المميزة له ، ودون ان يمتلك مرونة تتجلى في نفس مواد نظامه وبرامجه العملية .

ومن هنا .. فانا نعتقد بان مبدأ التقية الذي أكد عليه اهل البيت (ع) هو تطبيق ايجابي واع للمبدأ القرآني (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فهي تحقق لنا النتيجتين المهمتين التاليتين .

أ ـ الاحتفاظ بالدعوة عقيدة حية متفاعلة، قد يكون للضغط نفسه أثر في تمتينها.

ب ـ توفير المناخ الملائم لعملها ، في سبيل الانتشار في القلوب ، والحفاظ على حياة العناصر البشرية ، وهي المدد الضروري لانتشار أي مبدأ .

التطبيق الدقيق وشبهة الاختصاص

اما لماذا نجد هذا المبدأ الاسلامي واضح الخطوط ، وبهذا التركيز عند مدرسة اهل البيت (ع) في حين لانجده بهذا المستوى عند المدارس الاخرى ، فان ذلك يرجع الى الظروف الحادة العصيبة ، التي مرت بها هذه المدرسة التي مثلت جوهر الاسلام ، والتي احاطها بها حكام الامويين والعباسيين على حد سواء الافي فترات خاصة لانهم وجدوا فيها الخطر الحقيقي ، الذي يهدد واقع استغلالهم لهذه الامة وتلاعبهم بمقدراتها ، وتحويلهم الحكم الى سلطة وراثية ، لم يعرفها الاسلام بل وأكد على رفضها باجماع كل الاراء في الامامة ، والحكم الاسلامي .

وقد حدثنا ابو بكر الخوارزمي في رسالة مطولة من رسائله عن مالاقاه أهل البيت واتباعهم من ظلم وجور وضغط فيقول مثلا متحدثا عن جور العباسيين:

[ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً او مانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً .. ويتكلم بعض شعراء الشيعة في ذكر مناقب الوصي

بل في ذكر معجزات النبي ، فيقطع لسانه ،ويمزق ديوانه ،كمافعل بعبد الله بن عمار البرقي ، وكمانبش قبرمنصور النمري .. حتى أنَّ هارون (صاحب العصر الذهبي) والمتوكل كانا لايعطيان مالا ولايبذلان نوالا الا لمن شتم آل ابي طالب) ويقول : [يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها ، ويقترح على الايام الشهوة فلايطعمها ، وخراج مصروالاهوار ،وصدقات الحرمين والحجار ، تصرف الى ابن ابي مريم المدني والى ابراهيم الموصلي ، وابن جامع السهمي (وابن ابي مريم من ندمان الرشيد والآخران مغنيان)] .

ويطول بنا المجال لواردنا التوسع اكثر في وصف ذلك الظلم . .

وعليه فان التطبيق الدقيق والطويل زمانا هو الذي وضح هذا المبدأ في سلوكهم (ع) وسلوك اتباعهم .. اكثر من غيرهم .. واوجد شبهة اختصاصهم (ع) بهذا المبدأ دون غيرهم لدى هذه الاذهان مما خلق تلك الدعاوى الفارغة والهجوم الذي لامبرر له .. اذ يتوجه الهجوم الى مفهوم لايقول به اهل البيت مطلقاً .. ويلتزم اهل البيت (ع) بمبدأ لايرفضه اي واع للرسالة والعمل لها ومبادىء هذا العمل على ضوء القرآن .

ولئن كنا قد اسهبنا في الموضوع الى حدما ، فنحن نجده بالتالي يحتاج الى بحث أكثر تفصيلا . لتوضح الحقائق .. ويزول سبب قديم من اسباب سوء الفهم بين المذاهب الاسلامية .. وتتوحد الجهود في وقت تمر فيه الأمة الاسلامية باحرج ظروفها وهي تصارع اعتى القوى الكافرة .. واشد المؤامرات على وجودها من قبل اعداء الله والانسانية .

...ونترك ــ في الختام ــ استعراض المثل الثاني الى العدد القادم انشاءالله .

الاعجاز في القرآن الكريم

(٢)

سيد محمد حسين الطباطبائي - قم
(في تفسير الميزان)

عرض وتلخيص
حسين الكوراني

المعجزة في القرآن الكريم :

لانشك في دلالة القرآن الكريم على امكان حصول المعجزة وعلى وقوعها، ونحن نرفض التمحلات التي تستهدف تأويل الآيات الدالة على ذلك توفيقاً بينها وبين النظريات العلمية الحديثة .

والمعجزة دائماً أمر خارق للعادة ، لكن الخارق للعادة على قسمين .

أ ـ ما يدل على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة .

ب ـ الامر المبطل للبديهيات العقلية .

والمعجزة التي يثبتها القرآن الكريم امكاناً ووقوعاً هي من النوع الاول ، أي من نوع تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة .

والمراد من المعجزة في نظر القرآن الكريم يتضح بتناول الفصول التالية :

القرآن وقانون العلية العام :

ان لكل معلول علة ، ولكل مسبب سبباً ، بهذا يحكم العقل ، وعلى هذا تعتمد العلوم التجريبية في أبحاثها ، والانسان مفطور على أن يعتقد بهذا القانون الذي هو قانون العلية العام ، ويعبر عنه بالفاظ مختلفة ، تؤدي كلها معنى واحداً ، هو أن

يكون ثمة أمر واحد أو أمور اذا تحققت . . تحقق أمر آخر نسميه المعلول .

وقدأقرالقرآن الكريم قانونالعلية هذا بكلوضوح،لكنه بعد أن يسند المسببات الى أسبابها يسندها جميعاً الى الله سبحانه ، واسنادها اليه تعالى لاينافي قانون العلية بوجه ، لان المعنى الذي يريد القرآن اعطاءه هو أن السبب اذا تحقق مع ما يلزمه من شرائط التأثير من غير مانع ، لزم من ذلك وجود مسببه مترتباً عليه . . . والى هنا ما زلنا نسير معقانون العلية بدقة، لكن المعنى القرآني يضيف : انهذا الترتيب انما يكون باذن اللهسبحانه ، ونحن نرى أن هذه الاضافة لاتخرجنا عن السير الدقيق مع القانون المذكور .

القرآن الكريم ومعجزات الانبياء :

أخبر القرآن الكريم بكثير من خوارق العادة ومعجزات الأنبياء ، والوقائع التي لا يمكن تفسيرها بما جرت عليه العادة في عالم الطبيعة .

ويجب أن يكون واضحاً أن هذه الامور وان أنكرتها العادة الا أنها ليست اموراً مستحيلة ، ولا مخالفة للبديهيات العقلية ، فكل المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم كمعجزات نوح ، وهود ، وصالح ، وابراهيم ، ولوط ، وداود ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وآله . . لا تخالف بديهة العقل كما يخالفهقولنا : الواحد ليس نصف الاثنين .

ولوكانت معجزات الانبياء صلوات الله عليهم مما يخالف بديهةالعقل لما تقبلها أحد ، ولما أمكن للانبياء من ثم أن يقدموها أدلة على صدقهم في ادعاء الرسالة .. مع أن أممهم قد قبلت المعجزات منهم ، بل كانت أحياناً تطالبهم بها لتختبر مدى صحة أقوالهم .

وكما أن هذه المعجزات ليست أموراً مستحيلة مخالفة للبدهيات العقلية فهي أيضاً ليس مما تنكره عادة الطبيعة ، بل هي مما يتكرر وقوعه في عالم الطبيعة ، الا ان وقوعها لا يكون دائماً معجزاً ، بل قد يكون طبيعياً ، وقد يكون معجزاً،والفرق بينوقوعها المعجزأنها الطبيعيووقوعها المعجز أنها فيالحالة الاولىتتدرج فيسلم

الاسباب الى أن تتحول أخيراً وبعد عمليات متعددة الى الوضع النهائي، أما في الحالة الثانية فانها تختصر المراحل الوسطى وتطويها كلها في مرحلة واحدة.. فهي في هذه الحالة تتحول الى الوضع النهائي رأساً.. فان العصا وان أمكن أن تصير حية تسعى لكنها لا تصبح كذلك عن الطريق الطبيعي الا بعد توفر ظروف خاصة وشروط معينة، كأن تتحول الخشبة الى تراب . . والتراب الى ثمر . . والثمر الى غذاء لبعض الطيور وهذه تغدو اكلة لحية . . وهكذا يغدو هذا الغذاء نطفة تصبح بالنتيجة حية يسعى . . . هذا عن الطريق الطبيعي، أما عن الطريق المعجز، فمجرد أن تتعلق ارادة مريد ومشيئته بتحول العصا الى حية ، فان هذا التحول يحصل رأساً ودفعة واحدة . . من دون أن تتوفر الظروف والشروط التي كان لابد من توافرها في التحول الطبيعي .

وعلى هذا يمكنك أن تقيس سائر المعجزات ، فانها جميعاً مما يقع في الطبيعة لكن وقوعها المعجز ـ كما قلنا ـ لا يراعى فيه التدرج ، ولا توفر بعض الظروف اللازمة أو الشروط المطلوبة .

وهذا الفرق بين الوقوعين المعجز والطبيعي لايجعل الوقوع المعجز مخالفاً لبديهة العقل ، ولا لمألوف العادة .

أما العلم التجريبي فهو لكونه معتمداً على المشهود من نظام العلة و المعلول يصعب عليه كما يصعب على الحس الساذج أن يعترف بالمعجزة .. الا أن الحوادث الجمة من خوارق العادات التي نشاهد ونسمع ونقرأ في الصحف ، والكتب ، لاتدع مجالا للانكار ، فقد أصبح ثابتاً بمالايقبل الشك أن الرياضة الروحية، والمجاهدة النفسية ، تؤهل أصحابها لمالايمكن الاتيان به للعادين من الناس .

وعند ما نسأل عن العلة التي تقف وراء هذه المعلومات الخارقة للعارة، التي تصدر عن ذوي الرياضات الروحية . . نجد أن الباحثين في عالم الـروح في هـذا العصر يسارعون الى القول : ان العلة هي قـوة كهربائية يحصل عليها المرتاض ، نتيجة رياضة شاقة وعسيرة، وهذه الامواج المكهربة اذا انضمت اليها ارادة المرتاض للامر الخارق للعادة تحقق ذلك الامر في الخارج. لكن حديثهم هذا عن الامواج الكهربائية ليس الا افتراضاً، ألجأهم اليه ضرورة وجود علة طبيعية لكل معلول طبيعي . . وهذا

الافتراض لواطرد وتم، لأودى بالفرضيات القديمة التى كانت تعلل جميع الحوادث الخارقة للعادة أوبعضها . . . ولأدى الى قيام فرضية جديدة و وسيعة تعلل هذه الحوادث على محورالحركة والقوة ، وترى الى جانب ذلك أن الحوادث المادية كلها ـ العادي منها و غيرالعادي ـ لابد وأن تكون معلولة لعلة طبيعية واحدة .

موقف القرآن الكريم من العلة الطبيعية الاخيرة

أما القرآن الكريم فانه وان لم يتعرض لهذه العلة الأخيرة بالتفصيل ، ولاأطلق عليها اسما تعرف به ، ولم يقل ان هناك علة أخيرة طبيعية تنتهي اليها كل الحوادث المادية العادية،والخارقة للعادة .

لم يفعل شيئاً من ذلك . . . لانه لايرتبط بفرضه العام، الا أننانفهم من مطاوي الايات الشريفة أن القرآن الكريم ـ كمامر سابقاً ـ يقرقانون العلية العام الذي يقرر أن لكل معلول علة .

وقدقلنا فيما مضى ان المعنى القرآني يضيف هنا أنهذه العلة انما تؤثرأثرها باذن الله سبحانه . . ونستعرض الان بعض الايات الشريفة التي قديتصورانهاتتنافى مع قانون العلية. قال تعالى : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا** » . (١)

فقد يقول قائل ان الاية تفيد أن الله سبحانه حسب من يتوكل عليه ويرزق من يتقيه ويجعل له مخرجاً . .

سيفعل له ذلك على كل حال ، حتى اذا كانت الاسباب العادية ، أوتلك التي نحسبها نحن أسباباً عادية تقتضي أن يبقى هذا في ضنك ولايهتدي الى المخرج ، وفي فقر لايجد لقمة العيش؛ واذن يكون الله سبحانه قدألغى دورالاسباب الطبيعية.. العادية . . وأعمل أسباباً أخرى غير اعتيادية ويدل على هذا المعنى قوله تعالى :

(١) الطلاق ـ ٣ .

«واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان»(١) ، فالذي يظهر من الاية أن دعوة الداعي تستجاب على كل حال ! حتى اذا كانت الأسباب الطبيعية تقتضي عدم استجابتها.. وكذلك قوله تعالى «ادعوني أستجب لكم» (٢)

وقوله تعالى : «أليس الله بكاف عبده» . (٣)

ولايلبث جواب هذه الشبهة أن ينصح بمجرد استعراض القسم الأخير من الاية الاولى «ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

وفي معناها قوله تعالى : «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» (٤)

فان الذي نستفيده من هاتين الايتين هو أن لله سبحانه سبلا الى كل حادث تعلقت به مشيئته وارادته ..حتى في تلك الحالات التي تنقطع فيها السبل العادية .. فعندما لايكون ثمة سبيل عادي لتهيئة مخرج لهذا الانسان من مشكلة ما فان قولنا : (لايكون ثمة سبيل)انما يصدق بالنسبة الينا نحن ..

أما بالنسبة لله سبحانه فان له دائماً سبلا لتهيئة ذلك المخرج، وهذا معنى قوله تعالى: «والله غالب على أمره ». فهو سبحانه غالب دائما غير مغلوب ، لان عجزه عن تحقيق حادث ما ، نقص وغلبة، وهو ـ عز شأنه ـ منزه عنها، ويثور في الذهن هذا السؤال: اذن كيف يحقق الله سبحانه الحادث الذي يريد ؟

وفي الجواب نقر أن هناك طريقين :

الاول : أن يحققه من غير سبب مادي أو علة طبيعية . . «كن فيكون».

الثاني : أن يحققه بواسطة سبب طبيعي لكنه من غير نوع الأسباب التي نعرف... وهذا الوجه الثاني يفترض أن تكون هناك أسباب طبيعية مستورة عنا .

والقسم الاخير من الاية الاولى وهو قوله تعالى :«قد جعل الله لكل شيء قدراً» يدل على الطريق الثاني لانه يدل على ان المسببات كلها سواء تلك التي تقتضيها

---

(١) البقرة ـ ١٨٦ . (٢) المؤمن ـ ٦٠ .

(٣) الزمر ـ ٣٦ . (٤) يوسف ـ ٢١ .

لاسباب العادية، او لاتقتضيها فان الله سبحانه قد قدر لكل منها قدراً .

وعلى هذا الاساس نقرر أن ثمة أسباباً حقيقية هي غيرما نعهد من أسباب عادية ، وبواسطة تلك الاسباب الحقيقية يحقق الله سبحانه الحدث الذي يريدو الحادث الذي يشاء.

وانما اعتبرناها أسباباً حقيقية،لانها بمجردأن تقع فلابد أن تقع مسبباتها، بخلاف الاسباب العادية التي ربما يحصل التخلف بينها وبين مسبباتها .

ويؤيد وجود أسباب حقيقية ، مستورة عنا ، عجز العلم التجريبي عن تفسير كثير من الحوادث والوقائع ، على أساس ماهو المعلوم لدينا من الاسباب الاعتيادية.

النتيجة :ان الانسان المتقي لله الذي وعده الله بأن يهيء له مخرجاً ،قد يهيء له ذلك المخرج حتى اذا كانت الاسباب العادية تقتضي بقاءه في الشدة والضنك ، ولكن لاتكون تهيئة ذلك المخرج على أساس ابطال قانون العلية ، بل انما تكون تهيئة وفق قانون العلية .. غاية الامران هناك أسباباً مستورة عنا غير مألوفة لدينا .. عن طريقها حقق الله سبحانه المخرج لهذا الانسان .

القرآن يسند الخوارق الى نفوس الانبياء: يفهم من القرآن الكريم أنه يسند الخوارق الى مبدأفي نفوس الانبياء صلوات الله عليهم ، ويتوقف تأثير ذلك المبدأ على اذن الله سبحانه له بالتأثير .

ويشير الى ذلك المبدأ المذكور قوله تعالى: « **وما كان لرسول أن يأتي بآية الاباذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون**» . (١)

وليست المعجزة وحدها هي التي تستند لمبدأ نفسي ، بل كل أمر خارق للعادة كذلك .. سواء سمي معجزة أم لم يسم، كالسحر..الا ان المبدأ النفسي الذي تصدرعنه المعجزة هو غالب على غيره من الاسباب في جميع الاحوال ، قال تعالى :«**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون**»(٢)

وقال تعالى : «**كتب الله لاغلبن أنا ورسلي**»(٣) «**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد**» (٤)

---

(١) المؤمن ـ ٧٨ . (٢) الصافات ـ ١٧٣ .

(٣) المجادلة ـ ٢١ . (٤) المؤمن ـ ٥١ .

القرآن يسند الخوارق الى أمر الله تعالى :

عرفنا من الايات المتقدمة في الفصل السابق أن الله سبحانه أسند الحوارق الى مبدأ في نفوس الانبياء، أو فقل الى سبب نفسي، ولم يكن لهذا السبب أن يؤثر أثره الا باذن الله تعالى.

ونريد الان أن نعرف ان القرآن يقول انه لم يكن لهذا المبدأ أو السبب أن يحقق المعجزة ـ الامر الخارق للعادة ـ الا بأمر الله تعالى وأمر الله غير اذنه، فلابد ان ينضم الى المبدأ اذن الله، وكذلك لابد ان ينضم الى اذن الله أمر الله سبحانه، فاذا تحققت هذه الامور كلها تحقق الامر الخارق للعادة المطلوب تحقيقه .

وأمر الله سبحانه اما أن يصاحب اذنه أو يتحد معه .. وقد فسر الأمر في الاية التالية بالايجاد ، قال تعالى : «انما أمره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» (١).

ويدل على نفس المعنى قوله تعالى : «وما تشاؤون الا أن يشاء الله» (٢) وقوله سبحانه : «وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين» . (٣)

وهاتان الايتان تدلان على ان الانسان يعجز عن تحقيق اي أمر من أموره الاختيارية في الخارج الا اذا انضمت لمشيئته مشيئة الله .. فأفعال الانسان الارادية وان كانت بيد الانسان ، لكن الارادة والمشيئة ليست بيده .. بل هي بيد الله ، أنا مختار في تصرفاتي الاختيارية ، لكنني لست مختاراً في اختياري ومشيئتي .

هذا هو المعنى الصحيح للايتين الكريمتين ، وليس معناهما أن كل ما أراده الانسان فقد أراده الله ، اذ لو كان هذا المعنى صحيحاً للزم منه أن تتخلف الافعال عن ارادة الله عند تخلفها عن ارادة الانسان ، فلو تعلقت ارادة انسان بفعل ، ولم يمكنه ذلك فمعنى هذا ان الله سبحانه لم يتمكن من ذلك الفعل .. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

اننا حينما نريد ونشاء فان اراداتنا ومشيئاتنا مرادة بارادة الله ومشيئته مباشرة وأفعالنا مرادة له سبحانه بواسطة ارادته لاراداتنا .. ثم ان ارادتنا وفعلنا متوقفان

---

(١) يس ـ ٨٢ .
(٢) الدهر ـ ٣٠ .
(٣) التكوير ـ ٢٩ .

على امره فاذا امر تحققا وكانا .

«انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون» (١)

نستنتج مما سبق :

أ ـ ان الامور جميعاً سواء كانت حارقة للعادة أم لم تكن كذلك، وسواء كان خارق العادة في جانب الخير كالمعجزة أم لم يكن كذلك بان كان في جانب الشر كالسحر .. هذه الامور جميعاً مستندة في تحققها الى أسباب طبيعية وهي مع ذلك متوقفة على ارادة الله وامره .

ب ـ أن قسماً من هـذه الامور تكون اراده الله لها، وموجبـة . . ويكـون أمره بالنسبة اليها أمر الزام، ويتمثل هذا القسم في المعجزات، واستجابات الادعية فان المعجزة واستجابة الدعاء وان كانتا مستندتين الى امر الله سبحانه الا انهما مستندتان الى امره الالزامي، وارادته الموجبة.

نفهم هذا من الايتين الكريمتين التاليتين : «كتب الله لاغلبن أنا ورسلي»(٢)

(.. أجيب دعوة الداع اذا دعان .(٣)

الى غير ذلك من الايات المذكورة في الفصل السابق .

القرآن يسند المعجزة الى سبب قاهر دائماً :

قلنا في مستهل الحديث ان المراد من المعجزة في نظر القرآن الكريم يتضح بتناول فصول ، وقد آن لنا بعد أن سرنا في ظلال عدة فصول أن ننتهي الى النتيجة:

لقد اتضح مما سبق أن الامور على ثلاثة اقسام :

أ ـ عادي. ـب ـ خارق للعادة شرير . ج ـ خارق للعادة خير.

والقسم الثالث هو المعجزة : وتشترك هذه الاقسام كلها في احتياجها الى أسباب طبيعية لتتحقق وتوجد في الخارج ، وتشترك أيضاً في أن مع الجميع أسباباً باطنية غير الاسباب العادية التي نعرف .

---

(١) يس ـ ٨٢ . (٢) المجادلة ـ ٢١ . (٣) البقرة ـ ١٨٦ .

أما الفرق بينها : فالفرق بين القسمين الاخيرين والقسم الاول هـو أن سبب الاخيرين ـ الخارقين للعادة الشرير والخير ـ لايمكن أن يقهر أو يغلب ، بينما نرى أن سبب القسم الاول يمكن أن يقهر ويغلب ، و نقصد بالقهر والغلبة أن هذا السبب الذي لايقهر هو فوق الامكان والطاقات والقابليات ، ولا يمكن أن يضاهى ، أويؤتى بما هو أجود منه وأدق.

أما السبب الذي يمكن ان يقهر ويغلب فهو ذلك السبب الذي ليس خارقاً لنواميس الطبيعة وليس من النوع الذي يستعصي على الناس الاتيان بمثله .

اذن سبب الامر الخارق للعادة دائماً خارق للعادة ، ودائماً لايغلب ولا يقهر ، بينما سبب الامر العادي ليس كذلك بل هو عادي دائماً .

أما الفرق بين قسمي الخارق للعادة نفسيهما .. الفرق بين الخارق للعادة الشرير كالسحر والكهانة ، والخارق للعادة الخير كالمعجزة . . فهو أن الثاني يكون دائماً مصاحباً لحالة تحد تبنى عليها صحة النبوة والرسالة والدعوة الى الله تعالى، بعكس الاول الذي لا يكون مصاحباً لشيء من هذا .

وخلاصة ما يفهم من هذا كله حول المعجزة هي أنها مستندة الى سبب طبيعي غير مألوف مستور عنا وغير معلوم لنا ، وهذا السبب الطبيعي غير المألوف مقارن للسبب الحقيقي الذي يصاحبه الاذن والارادة .

وقد يقول قائل : ان الفرق ـ اذن ـ بين المعجزة والامر العادي ليس الا في أن سبب المعجزة العادي مستورعنا ، فلو فرضنا أن فريقاً من العلماء استطاع معرفة هذا السبب لانتفت حجية المعجزة بالنسبة اليه ، ولبقيت آنذاك حجة فقط على الجاهلين بذلك السبب الذي اكتشفه فريق العلماء المذكور ، ونتيجة هذا بطلان كون المعجزة في نفسها حجة ، وصحة كونها حجة على قوم ، غير حجة على آخرين .

و نقرر في الجواب : ان هذا صحيح لو كانت حجية المعجزة مستندة الى استتار سببها .. نحن قلنا ان الفرق بينها وبين غيرها في استتار السبب، لكننا لم نقل انها حجة من هذه الناحية .

على امره فاذا امر تحققا وكانا .

«انما أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون » (١)

نستنتج مما سبق :

أ ـ ان الامور جميعاً سواء كانت خارقة للعادة أم لم تكن كذلك ، وسواء كان خارق العادة في جانب الخير كالمعجزة أم لم يكن كذلك بان كان في جانب الشر كالسحر .. هذه الامور جميعاً مستندة في تحققها الى أسباب طبيعية وهي مع ذلك متوقفة على ارادة الله وامره .

ب ـ أن قسماً من هـذه الامور تكون ارادة الله لها ، وموجبـة . . ويكـون أمره بالنسبة اليها أمر الزام ، ويتمثل هذا القسم في المعجزات ، واستجابات الادعية فان المعجزة واستجابة الدعاء وان كانتا مستندتين الى امر الله سبحانه الا انهما مستندتان الى امره الالزامي، وارادته الموجبة.

نفهم هذا من الايتين الكريمتين التاليتين : «كتب الله لاغلبن أنا ورسلى»(٢)

(.. أجيب دعوة الداع اذا دعان .(٣)

الى غير ذلك من الايات المذكورة في الفصل السابق .

القرآن يسند المعجزة الى سبب قاهر دائماً :

قلنا في مستهل الحديث ان المراد من المعجزة في نظر القرآن الكريم يتضح بتناول فصول ، وقد آن لنا بعد أن سرنا في ظلال عدة فصول أن ننتهي الى النتيجة:

لقد اتضح مما سبق أن الامور على ثلاثة اقسام :

أ ـ عادي. ـب ـ خارق للعادة شرير . ج ـ خارق للعادة خير.

والقسم الثالث هو المعجزة : وتشترك هذه الاقسام كلها في احتياجها الى أسباب طبيعية لتتحقق وتوجد في الخارج ، وتشترك أيضاً في أن مع الجميع أسباباً باطنية غير الأسباب العادية التي نعرف .

---

(١) يس ـ ٨٢ . (٢) المجادلة ـ ٢١ . (٣) البقرة ـ ١٨٦ .

أما الفرق بينها : فالفرق بين القسمين الاخيرين والقسم الاول هـو أن سبب الاخيرين ـ الخارقين للعادة الشرير والخير ـ لايمكن أن يقهر أو يغلب ، بينما نرى أن سبب القسم الاول يمكن أن يقهر ويغلب ، و نقصد بالقهر والغلبة أن هذا السبب الذي لايقهر هو فوق الامكان والطاقات والقابليات ، ولا يمكن أن يضاهى ، أو يؤتى بما هو أجود منه وأدق.

أما السبب الذي يمكن ان يقهر ويغلب فهو ذلك السبب الذي ليس خارقاً لنواميس الطبيعة وليس من النوع الذي يستعصي على الناس الاتيان بمثله .

اذن سبب الامر الخارق للعادة دائماً خارق للعادة ، ودائماً لايغلب ولا يقهـر ، بينما سبب الامر العادي ليس كذلك بل هو عادي دائماً .

أما الفرق بين قسمي الخارق للعادة نفسيهما .. الفرق بين الخارق للعادة الشرير كالسحر والكهانة ، والخارق للعادة الخير كالمعجزة . . فهو أن الثاني يكون دائماً مصاحباً لحالة تحد تبنى عليها صحة النبوة والرسالة والدعوة الى الله تعالى، بعكس الاول الذي لا يكون مصاحباً لشيء من هذا .

وخلاصة ما يفهم من هذا كله حول المعجزة هي أنها مستندة الى سبب طبيعي غير مألوف مستور عنا وغير معلوم لنا ، وهذا السبب الطبيعي غيـر المألوف مقارن للسبب الحقيقي الذي يصاحبه الاذن والارادة .

وقد يقول قائل : ان الفرق ـ اذن ـ بين المعجزة والامر العادي ليس الا في أن سبب المعجزة العادي مستورعنا ، فلو فرضنا أن فريقاً من العلماء استطاع معرفة هذا السبب لانتفت حجية المعجزة بالنسبة اليه ، ولبقيت آنذاك حجة فقط على الجاهلين بذلك السبب الذي اكتشفه فريق العلماء المذكور ، ونتيجة هذا بطلان كون المعجزة في نفسها حجة ، وصحة كونها حجة على قوم ، غير حجة على آخرين .

و نقرر في الجواب : ان هذا صحيح لو كانت حجية المعجزة مستندة الى استتار سببها .. نحن قلنا ان الفرق بينها و بين غيرها في استتار السبب، لكننا لم نقل انها حجة من هذه الناحية .

ان حجية المعجزة ترجع الى كون سببها كماتقدم خارقاً لنواميس الطبيعة ، و لايمكن أن يقهر بوجه من الوجوه ، و بناء على هذا فليطلع على هذا السبب من اطلع من العلماء ، فان اطلاعهم ليس بضائر حجية المعجزة في شيء ماداموا لايستطيعون قهر سببها والاتيان بمثلها عن طريق مثل هذا السبب .

ان يشفي نبي مريضاً بدعاء . . معجزه. ولو اطلع الأطباء على ان السبب الذي تحقق المعجزة هو دعاء ، هو هذا الدعاء . . ماذا يضر ذلك بحجية المعجزة، مادام الأطباء عاجزين عن تحقيق الشفاء عن طريق قراءة هذا الدعاء؟ان ذلك لايضر بحجية المعجزة بشيء ، حتى اذا استطاع اولئك الأطباء ومعالجة اصابة مرضية مماثلة باعتماد اسباب أخرى. . صحيح أنهم عندما اعتمدوا أسباباً آخرى توصلوا الى نفس النتيجة التي وصل اليها النبي عن طريق قراءة دعاء ،لكنهم توصلوا الى هذه النتيجة عن طريق أمر عادي يمكن أن يقهر و يغلب بمجرد أن يأتي علم الطب في مجاله بجديد انجح منه وانجع .

القرآن يعتبر المعجزة دليلا على صحة الرسالة:

ان القرآن الكريم يعتبر المعجزة دليلا على صحة الرسالة ، مع ان العقل لايرى تلازماً بين صدق الرسول في دعواه، وبين صدور أمر خارق للعادة عنه . . .

والذي يظهر من القرآن الكريم أن الانبياء كانوا حين يجهرون بدعوتهم، أحياناً تطلب منهم المعجزة فيأتون بها ، وأحياناً كانوا يأتون بها قبل أن تطلب منهم. والذى يهمنا أن نسجله هنا هو ماتقدم من أن العقل لايرى تلازماً بين صدق الرسل والانبياء (ص) وصحة ما جاؤوا به من امور المبدأ والمعاد وبين صدور امور عنهم خارقة للعادة .

أضف الى ذلك أن الحقائق التى جاء بها الانبياء (ص) قد قام عليها الدليل وأيدها البرهان وذلك يغنيها عن التماس بالادلة على صحتها في عالم المعجزات .

وقد دفعت هذه الشبهة بالبعض الى ان يقولوا ان المعجزات انما تفيد لاقناع من تقصر مداركهم العقلية عن ادراك الحقائق التى جاء بها الانبياء (ص) عن طريق أدلتها وبراهينها أما الذين يمكنهم ادراك تلك الحقائق، واستيعاب تلك الادلة،

فانهم في غنى عن المعجزة .. ونحن لا نرتضي دفع الشبهة بالاباطيل.. والجواب الذي نقتنع به هو أن الانبياء والرسل صلوات الله عليهم لم يأتوا بالمعجزات لاثبات شيء من الحقائق الدينية ، بل اكتفوا في ذلك بحجة العقل ، وجاؤوا بالمعجزات دليلا على صحة الرسالة .

ويوضح لنا أنهم اكتفوا في المعارف الدينية بحجة العقل، حشد من الايات القرآنية نذكر طرفاً منها : في الاحتجاج على التوحيد : « **قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض**(١) . في الاحتجاج على البعث :

«وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ، ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار» (٢).

أما لماذا جاء الانبياء والرسل بالمعجزات لاثبات صحة الرسالة ، فهذا ما يتضح لك ان تدبرت في انهم صلوات الله عليهم حين ادعوا الرسالة بالوحي، وان الوحي بتكليم الهي أو نزول ملك . . . أنكر عليهم اقوامهم ذلك لان هذا الادعاء ليس شيئاً عادياً ولو صح لكان تصرفاً لما وراء الطبيعة في نفوس قسم من الناس هم المبعوثون .

وما الفرق بينهم وبين غيرهم؟!! وهكذا ثارت ثائرة أقوامهم، وحاولوا ابطال دعواهم عليهم صلوات الله، عن طريقين :

الاول : الاحتجاج : فقد احتجوا عليهم بانهم مثلهم .. وتسجل هذا الاحتجاج آيات كريمة نقتطف بعضها : «**قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا** » (٣)

«**أأنزل عليه الذكر من بيننا**» .(٤)

ومراد الكافرين أن يبينوا أن لا فارق ثمة بينهم وبين الانبياء فكيف اختص الانبياء بالذكر والوحي . . ولنستمع الى جواب المرسلين في آية من كتاب الله :

«**قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده**».(٥)

---

(١) ابراهيم ـ ١٠ . (٢) ابراهيم ص ٢٧ -- ٢٨ .

(٣) ابراهيم ـ ١٠ . (٤) ابراهيم ص--٨ . (٥) ابراهيم ـ ١٣ .

ردالرسل بتسليم المماثلة ولكنها لا تنافي الاختصاص، فالانبياء بشر وامهم بشر.. هم في هذا امثال، ولكن هذه المماثلة لا تنافي ان يختص الله سبحانه من اختص بالنبوة والرسالة .

الثاني : والطريق الثاني الذي سلكته الامم مع رسلها هو طلب البينة على الدعوى وقد كان هذا الطريق طبيعياً ومنطقياً، ذلك لان دعوى الرسل النبوة لا يساعد عليها الحس ولا تؤيدها التجربة .

ولما كانت كذلك، فمن حق الناس أن يتساءلوا عن الدليل الذي يثبت صحة هذه الدعوى .. وماهو الدليل؟؟..

ان النبوة أمر خارق للعادة ، و مادام الناس يشكون في صحتها فما المانع من ان يأتي الله سبحانه بامر آخر خارق للعادة (وهو المعجزة) يكون دليلا .

ان الدليل منحصر في هذا والا فان الناس لن يقبلوا أن نواميس الطبيعة لا تقبل الخرق الامرة واحدة . . حين ادعاء النبوة فقط .

ان الناس سيقولون : لو كان هذا الادعاء صحيحاً ، فليحصل خرق نواميس الطبيعة مرة اخرى أو مراراً مادام قد حصل مرة واحدة . .

وفائدة ذلك تصديق مدعي النبوة فيما يدعي .

ومن هذا يتضح خطأ ماقيل في مطلع هذا الفصل من نفي التلازم بين صدور المعجزة عن نبي وبين صحة دعواه ، كما يتضح ان الانبياء صلوات الله عليهم انما جاؤوا بالمعجزات بياناً لصحة ادعائهم النبوة ، ولم يكن مقصودهم أن يثبتوا بها شيئاً من الحقائق الدينية ، فقد كانوا يعتمدون في مجال الحقائق الدينية على الحجج والبراهين ، وقد مر مزيد ايضاح لذلك . .

نظرة في شعر الحسين بن الحجاج

السيد محمد السيد علي

ىل ان ىحدشاعراً جمع الصفات المتعارضة ، والمميزات المتضاربة ، مثلما «الحسين بن الحجاج» في حياته الشعرية ، فالذي يستعرض ترجمته في ثنايا لادب والتاريخ يجد مايثير الدهشة والاستغراب .

فهو مضافاً الى كونه شاعراً عنيفاً في الدفاع عن عقيدته ، والولاء لمذهبه نراه قاسياً ، واديباً غيرمحتشم،لايتوقف عن اختيار الكلمات المبتذلة ، والاسلوب ء،ولا يختلف عنده مقام الجد من الهزل ، وان اقتصته المناسبة اوالنكتةارسلها ، موقف كان .. ومع هذا كلهفهو يتمتع بشخصية محترمة ومكانةمقبولة تفرض بها على كل شخصيات عصره ، وادباء زمانه .

وقبل ان نبدأ بالبحث لابد ان نعرض ترجمة قصيرة له .تقول المصادر :

ان اسمه : الحسين (١) بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد الحجاج ،ابو ، النيلي ،(٢) البغدادي من شعراء العصر البويهي ، وينتسب الىاسرة ساهمت بخدمة العامة (٣) .

ولم تشر المصادر الىسنة ولادته ، ويرجح بعض الاعلام انه ولد في المائة

---

١) في بعض المصادر ورد اسمه «الحسن» ، واحسب انه خطأ مطبعي .

٢) النيلي : نسبة الى قرية النيل ، وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها من العلماء . وفيها نهر حفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات باسم نيل مصر . وعليه قرى كثيرة . راجع (وفيات الاعيان : ١/ ٤٢٨) .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : ١/ ١٣٠ .

الثالثة ، وعاش عمراً طويلا يبلغ الى حدود المائة والثلاثين . (١)
وقد تولى حسبة بغداد ، واقام بها مدة بأمر من عزالدولة بختيار ، (٢) كما احد بالكتابة في جهات متعددة . (٣)
وقد توفي عام ٣٩١ هـ بالنيل ، وحمل الى بغداد ، ودفن عند مشهد الامام موسى ابن جعفر عليه السلام .. وأوصى ان يدفن عند رجليه ، وان يكتب على قبره «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» (٤)
بعد هذا نعرض اقوال بعض الاعلام عنه لنحدد على ضوئها اتجاهات بحثنا هذا بعد ان عرفنا من هو «الحسين بن الحجاج» ..
قال ابن خلكان :
«كان فرد زمانه في فنه ، لم يسبق الى تلك الطريقة ، مع عذوبة الفاظه وسلامة شعره من التكلف ، ومدح الملوك ، والامراء ، والوزراء ، والرؤساء .
ويقال : انه في الشعر في درجة امرىء القيس ، وانه لم يكن بينهما مثلهما ، لان كل واحد مخترع طريقة .. وكان من كبار شعراء الشيعة . (٥)
وقال عنه ياقوت :
«ابو عبد الله ، شاعر مفلق ، قالوا : انه في درجة امرىء القيس ، لم يكن بينهما مثلهما وان كان جل شعره مجون وسخف .
وقد اجمع أهل الادب على انه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون لم يسبقه اليها احد ، ولم يلحق شأوه فيها لاحق ، قدير على مايريده من المعاني الغاية في المجون

---

(١) للمرحوم الحجة الاميني تحقيق جيد في موضوع ولادة الشاعر ، ويرجح انه من رجال المائة الثالثة . والتحقيق جدير بالتقدير . راجع الغدير : ٤ / ٩٨ ـ ١٠٠ . مضافا الى ذلك ان ابن شهراشوب اورد في ترجمته أنه قرأ على ابن الرومي وان ابن الرومي توفي عام ٢٨٢ هـ ، ولابد ان يكون تلمذ الشاعر على ابن الرومي في عمر ساعده على تفهم الادب راجع معالم العلماء : ١٤٩.
(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ١ / ١٣٠ .
(٣) الاعلام للزركلي : ١ / ٢٤٦ .
(٤) وفيات الاعيان : ١ / ٤٢٧ .
(٥) وفيات الاعيان : ١ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧ .

مع عذوبة الالفاظ وسلاستها، وله مع ذلك في الجد اشياء حسنة» . (١)

وصفه الثعالبي بقوله :

«هو وان كان في اكثر شعره لايستتر من العقل بسجف ، ولا يبني جل قوله الا على سخف ، فانه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصرة في الأدب ، وحسن المعرفة بالشعر، على انه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وانه لم يسبق الى طريقته ،ولم يلحق شأوه في نمطه،ولم ير كاقتداره على مايريده من المعاني التي تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ ، وعذوبتها وانتظامها في سلك الملاحة والبلاغة ..» . (٢)

وعلى هذا الغرار تحدث عنه عدد من المؤرخين والأدباء (٣)

وعده ابن شهراشوب من شعراء اهل البيت(ع) وقال : انه قرأ على ابن الرومي (٤)

ووصفه الحر العاملي : بأنه كان فاضلا ، شاعراً أديباً معاصراً للرضي والمرتضى رحمهما الله ، وكان من بلاد العجم . (٥)

وفي رأي صاحب نسمة السحر (٦) : ان الشعر كان احد فنونه ،كما ان الكتابة احدى محاسنه الجمة، وله في العلم فنن راسية ، وقدم راسخة ، غير ان انتشار أدبه الفائق ، ومقاماته البديعة فيه ، وتعريف الأدباء اياه بأدبه الباهر ،وتقريضه الخسرواني والثناء عليه بانه ثاني معلميه (٧) ، اخفى صيت علمه الغزير،وغطى ذكره العلمي. (٨)

ووصفه المرحوم الحجة الكبير الاميني بقوله :

«احد العمد والأعيان من علماء الطائفة ، وعبقري من عباقرة حملة العلم والأدب

---

(١) معجم الادباء : ٢٠٧/٩ - ٢٠٩ .

(٢) يتيمة الدهر : ٣١/٣ - ٣٢

(٣) راجع : تاريخ بغداد : ١٤/٨ وشذرات الذهب ٣١٤/٢ والعبر في خبر من غبر ٥٠/٣ والبداية والنهاية : ٣٢٩/١١ - ٣٣٠ وتاريخ ابو الفداء : ١٣٥/٢ والمنتظم لابن الجوزي ٢١٧/٧ .

(٤) معالم العلماء : ١٤٩ .

(٥) امل الامل : القسم الثاني : ٨٨ .

(٦) كتاب نسمة السحر فيمن تشيع وشعر - مخطوط .

(٧) يقصد ذلك ما قاله ابن خلكان انه يشبه امرىء القيس .

(٨) راجع الغدير : ٩١/٤ .

عده ابن خلكان ، وابو الفداء من كبار الشيعة ، والحموي من كبار الشيعة ، وآخر من فحول الكتاب .

وينم عن مقامه الرفيع في العلوم الدينية ، وتضلعه فيها ، وشهرته في عصره بها توليه «الحسبة» مرة بعد اخرى في عاصمة العالم في ذلك اليوم «بغداد» ، وهي من المناصب العلمية التي كانت تخص توليها في العصور المتقادمة بأئمة الدين، وزعماء الاسلام وكبراء الامة» . (١)

ثم تضيف المصادر الى كل هذا قولها :

«ولقد مدح الملوك ، والأمراء ، والوزراء ، والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سمائج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبولة الجملة ، غالي مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مجاب الى مقترحه من الصلات الجسام ، والاعمال المجدية ، التي ينقلب منها الى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر تحكم الصبي على أهله ، ويعيش في اكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمه صافية ضافية» . (٢)

ومن خلال ماقدمنا تبرز النقاط التالية ، كمفتاح لالقاء نظرة على شعر ابن الحجاج ونستطيع على ضوئها ان نكتشف الجوانب الجديرة بالاهمية من الناحية الشعرية في حياة هذا الانسان ، وهي :

١ ـ ملامحه الشعرية .

٢ ـ العوامل التي ادت الى فرض شخصيته على عصره .

٣ ـ تأثر شعره بالجانب المذهبي .

اما الجانب الاول فنتركه الى الدراسة المفصلة ونحاول فعلا دراسة الجانبين الآخرين.

---

(١) الغدير ٤/ ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) يتيمة الدهر : ٣/ ٣١ ـ ٣٢.

العوامل التي ادت الى فرض شخصيته على عصره :

قال ياقوت :

ويدخل شعره في عشر مجلدات (١) أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين وهو (المسائل الملح) ،والخلديين (البغداديين) ، والشطار (جمع شاطر ؛ وهو من اعيا أهله خبثاً) . (٢)

ولكنه يسمعه اهل الادب على علاته ويتفكهون بثمراته،ويستملحون بنات صدره المنهتكات ...

(١) ذكرت المصادر: ان في المتحف البريطاني مجلد محفوظ يحوى دالياته ، وبعض رائياته . وان في مكتبة باريس (محفوظة رقم ٥٩١٣) لديوانه الذى جمعه هبة الله الاسطرلابي، وهو منتخبات من شعره جمعها عام ٥١٠ هـ في ١٤١ فصلا وبها مقدمة لابن الخشاب النحوى كما ذكر بروكلمان منتخبات اخرى فى كتابه : الادب العربي ١ /٧٢.

راجع كتاب دائرة المعارف الاسلامية:١ /١٣٠/ ١٣١

وقد اكدت المصادر التاريخية ان ديوانه يقع في اكثر من عشر مجلدات .. وقد اعتنى الشريف الرضي بشعره اعتناء كافياً ، واخرج منه مالايمكن نشره لخروجه على الحدالمألوف، وسماه«الحسن من شعر الحسين» .

وكذلك عمل الشاعر هبة الله بن الحسن المعروف بالبديع الاسطرلابي المتوفى سنة ٥٣٤ في شعر الحجاج حيث انتخب منه وبوبه ، وجعل كل باب فيفن من فنون الشعر ، وسماه «درةالتاج فى شعرابن الحجاج» .

وكذلك عمل ابن نباتة جمال الدين محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٦٢ هـ فانتخب منه مجموعة اسماها «تلطيف المزاح منشعرابنالحجاج» .

وقيلان المستنصر بالله العباسي لما بنىالمستنصرية ببغداد امرأنيخرج ديوان ابن الحجاج من خزانتها لما فيه من كثرة السخف ، فاتفق أنالنقيب الطاهر قطب الدين ابن الاقساسي مرض المرضة التي مات فيها ، وكان نديم المستنصر ، فجاء الخليفة عائداً وسأله عن حاله ، فقال ياامير المؤمنين : قد تيقنت انني لا انجو من هذه المرضة ،فهليمكن ان تشتريني منالموت مهما أمكن، فقال الخليفة: لو امكن ذلك ماذخرنا عنك نفيساً، فقال النقيب متمثلا بقول ابن الحجاج :

هو الموت لا ينثني الرشى عنك عزمه ولا تشترى ساعاته بالدراهم

(والبيت من قصيدة لابن الحجاج يرثي بها ابن العميد).

فاستحسنه المستنصر ، وامر باعادة شعره الى خزانته ..

راجع اعيان الشيعة : ٨٤/٢٥ و ٩٥ - ٩٦) .

(٢) راجع هامش ص ٢٠٧ ج ٩ من معجم الادباء .

ولقد مدح الملوك والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل شعره فيهم ـ مع هيبة المقام ـ من هزل وخلاعة ،فلم يعدوه مع ذلك من الشناعة،وكان عندهم مقبولا مسموعاً ، غالي المهر والسعر ، وكان يتحكم على الأكابر والرؤساء بخلاعته ، ولا يحجب عن الأمراء والوزراءمع سخافته ، يستقبلونه بالبشاشة والأكرام ، ويقابلون اساءته بالاحسان والأنعام» .(١)

هذه الصورة التي يرسمها ياقوت عن شخصية الشاعر ابن الحجاج تلفت النظر الى حد بأنه يتمتع بقابلية كبيرة بحيث يتحكم على الأكابر والرؤساء ، ولا يحجب عن الأمراء والوزراء .

ويمكن ان نرجع أهم عوامل فرض شخصيته على عصره ورجاله الى عدة اسباب رئيسية :

أ ـ معاصرته لعدد كبير من مختلف الشخصيات الزمنية التي عاشت في الفترة الطويلة من عمره،والتي قدتصل الى القرن،(٢)وسواء كانت تلك الشخصيات من مستوى الخلفاءأو الأمراء ، أوالوزراء ،أو الشخصيات العلمية،والادبيةوالاجتماعية وارتباطه باغلبهم حتى تصل درجة الارتباط مع البعض الى حد الصداقة، والندامة.

ولقد ذكرت بعض المصادر التاريخية قائمةتتضمنممنعاصرهم من خلفاء الدولة العباسية عشرة (٣) .

---

(١) معجم الادباء : ٩/٢٠٧ ـ ٢٠٨

(٢) الغدير : ٤ / ٩٨ ـ ١٠٠ .

(٣) جاء في الغدير : ٤/٩٤ ان الخلفاء الذين عاصرهم ابن الحجاج هم :

(١) المعتمد على الله ابن المتوكل المتوفى ٢٧٩ هـ .
(٢) المعتضد بالله ، ابو العباس ، المتوفى ٢٨٩ هـ.
(٣) المكتفى بالله المتوفى ٢٩٥ هـ .
(٤) المقتدر بالله المتوفى ٣٢٠ هـ .
(٥) الراضى بالله المتوفى ٣٢٩ هـ .
(٦) المستكفى بالله ، المتوفى ٣٣٨ هـ .
(٧) القاهر بالله المتوفى ٣٣٩ هـ .
(٨) المتقى بالله المتوفى ٣٥٨ هـ .
(٩) المطيع لله المتوفى ٣٦٤ هـ .
(١٠) الطايع لله المتوفى ٣٩٣ هـ .

بين شخصيات البويهيين الذين حكموا العراق سنة (١)
وله شعر في قسم من هؤلاء الخلفاء والشخصيات البويهية ، وحتى هذا القدرمن شعره الموجود بين ايدينا يضم قسماً من شعره في هؤلاء .
وذكر المصدر فى هذا الصدد :
«وكان كماقال الثعالبي على طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر، تحكم الصبي على أهله ، ويعيش فى اكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمه صافية ضافية ويوجد فى ديوانه شعر كثير مدحا ورثاء وهجاء في رجالات عصره من الخلفاء ، والوزراء ، والامراء ، والكتاب ، والمثقفين تربو عدتهم فيما قرأناه من مجلدات ديوانه على ستين(١) .

---

(١) اما شخصيات البويهيين ، فقد جاء فى المصدر المتقدم مايلى :
(١) معز الدولة فاتح العراق المتوفى سنة ٣٥٦ هـ .
(٢) عز الدولة ، ابو منصور بختيار بن معز الدولة المتوفى ٣٦٧ هـ .
(٣) عضد الدولة فنا خسرو بن ركن الدولة المتوفى ٣٧٢ هـ .
(٤) شرف الدولة ابن عضد الدولة المتوفى ٣٧٩ هـ .
(٥) صمصام الدولة ابن عضد الدولة المتوفى ٣٨٨ هـ .
(٦) بهاء الدولة ابو نصر ابن عضد الدولة المتوفى ٤٠٣ هـ .

(١) الغدير : ٤ /٢٩٥ وعدد منهم :
ابو عبد الله هارون بن المنجم المتوفى : ٢٨٨ هـ .
ابو الفضل عباس بن الحسن ٢٩٦ هـ .
الشاعر ابو الطيب المتنبى ٣٥٤ هـ .
الوزير ابو ريان خليفة عضد الدولة .
الامير ابو تغلب غضنفر المتوفى ٣٦٩ هـ .
ابو الفتح بن شاهين المتوفى ٣٧٢ هـ .
ابو المعالى ابن محمد بن عمران المتوفى ٣٧٣ هـ .
ابواسحاق ابراهيم الصابى المتوفى ٣٨٤ هـ .
الوزير الصاحب بن عباد المتوفى ٣٨٥ هـ .
ابو على محمد بن الحسن الحالتى المتوفى ٣٨٨ هـ .
الوزير ابو نصر سابور بن ارد شير المتوفى ٤١٦ هـ .
الوزير ابو محمد المهلبى المتوفى ٣٥٢ هـ .
الوزير ابو الفضل بن العميد المتوفى ٣٦٠ هـ. —

ولم تقتصر صلته على العراق ، بل امتدت الى مصر ،وقد اشارت اغلب المصادر الى انه مدح صاحب مصر ، ووهبه الف دينار، لانه كان يخشى هجاءه. (١)

واوضح ذلك المرحوم السيد الامين عن كتاب غاية الاختصار ، قال : «قالوا ان الحاكم بامر الله العبيدي صاحب مصر كان يوجه في كل سنة الف دينار الى ابي عبد الله بن الحجاج لاجل قصيدة مدحه بها» .(٢)

ومن يكون له هذا الاتصال بهذا العدد الكبير لابد وان يكون له مقام في اركان الحكم ، وشخصية لها مكانتها في المجتمع .

٢ ـ وظائفه في الدولة ـ وتحدثنا المصادر في هذا الشأن فتقول :

١ ـ تولى حسبة بغداد، واقام بها مدة، ويقال : انه عزل بابي سعيد الاصطخري الفقيه الشافعي (٣)

وقد وصفه عز الدولة بختيار بهذه الوظيفة . (٤)

٢ ـ وانه خدم بالكتابة في جهات متعددة .. (٥)وأحسب ان المراد من هذه الوظيفة انه عمل كاتبا او منشأ لدى كثير من الشخصيات والامراء نظراً لمكانته الادبية.

٣ـ وبالاضافة الى ذلك فترى بعض المصادر : انه ينتسب الى اسرة ساهمت في الخدمة العامة . (٦)

ـ ابو الفتح ابن العميد المتوفى ٣٦٦ هـ .
الوزير ابو طاهر ابن بقية المتوفى ٣٦٧ هـ .
عمران بن شاهين المتوفى ٣٦٩ هـ .
ابو الفرج بن عمران ابن شاهين المتوفى ٣٧٣ هـ .
القاضي ابو علي التنوخي المتوفى ٣٨٤ هـ .
ابن سكرة العباسي الشاعر المتوفى ٣٨٥ هـ .
ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف المتوفى ٣٨٨ هـ .
الوزير ابو منصور محمد المرزبان المتوفى ٤١٦ هـ .
ابواحمد ابن حفص المعارض لابن الحجاج في امور الحسبة .

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ١ / ١٣٠ .
(٢) اعيان الشيعة : ٢٥ / ٨٩ .
(٣) وفيات الاعيان : ١/٤٢٦ .
(٤) النجوم الزاهرة : ٤/٢٠٤ والبداية والنهاية : ١١/٣٢٩ ـ ٣٣٠
(٥) الاعلام للزركلي : ١/٢٤٩ .
(٦) دائرة المعارف الاسلامية : ١/١٣٠ .

ومهما كان من نوع هذه الخدمات العامة التي ساهم فيها ابن الحجاج في الدولة فقد ساعدت على تكوين شخصيته، وفرضها على المجتمع حينذاك.

٣ ـ عنفه واسلوبه الشعري اللاذع: فقد كان الكثير من شخصيات عصره ـ كما أخال ـ تتجنب لسانه القاسي، وهجاءه المقذع فانه ماكان يبالي ان يكيل في شعره أي وصف بذيء مهما كان نوعه.

ومن الطبيعي أن من يكون هذا اسلوبه، وسلوكه، يتجنب الناس هجوه وهجوه وخاصة اذا كان الطرف المقابل في مقام المسؤولية .. وما المانع من التخلص من غضبه وصولته العترية بقضاء حاجته؟.

وخير دليل هذه القصة الطريفة التي نقلتها المصادر له. فقد قصد احد الشخصيات فحجبه البواب عن زيارته، ـ وكان البواب أعوراً ـ فكتب اليه:

سمعت فيمن مات، أو من بقي بمقبل بوابه أعور
واللوزة المرة ياسيدي يفسد فى الطعم بها السكر

٤ ـ حاجة المجتمع المعاش حينذاك الى مثل هذا الشاعر اللاأبالي، وغير المتقيد بكل مايصده عن الشتم، والسب، والفحش.

ان القرن الرابع الهجري، يمثل الفوضى في مصادر الحكم فى البلاد الاسلامية وقد تضاربت فيه التيارات الفكرية، والاهواء والمصالح الشخصية نتيجة وجـود كيانات متعددة حاكمة في داخل الخلافة الاسلامية، مما ادت الى الحاجة لامثال هذا الشاعر وتقريبه بشتى الوسائل، ليكون لساناً حاداً، ومها جماً قوياً، اومدافعاً حامياً عند اللزوم.

ولهذا نرى ان الشعراء وهم لسان صارم، وبخاصة من كان بمستوى ابن الحجاج، سرعان مايحتضن، ويقرب، ويصبح جزءاً من الكيانات التي تحاول ان تسند مركزها بشتى الوسائل، وكيف كانت الاساليب.

ونقلت بعض المصادر: بأن أبا اسحاق ابراهيم دربه على اعمال الحسبة ولكنه

راى انه يستطيع ان يتكسب بالشعر اكثر من تكسبه بغيره (١) ولم يكن هذا التعبير قاسياً بالنسبة له فهو يقول :

لوجد شعري رأيت فيه كواكب الليل كيف تسرى
وانما هزلـه مجون يمشي في المعاش أمري

ونستطيع ان نتلمس من البيت الأخير الصراحةالتامةفي التكسب من وراءشعره والانسان الذي يكون بهذه المثابة لايستطيع ان يخطو الى القمة اذا لـم يكـن المجتمع مساعداً له على تسلقه . .

ولا نستطيع اننكر ان في كل عصر يوجد من أمثال هذا الشاعر ،لكن المجتمع وحتى فى عصرنا الحاضر، لم يعط لهؤلاء الاهمية بحيث يلمع اسمه في سفوح التاريخ .

لكن القرن الرابع ، لو فتشنا ادباءه راينا القسـم الأوفرمنهم من هو على شاكلة ابن الحجاج ، واضطر التاريخ ان يسجل ادبهم وشعرهم ، لانهم اصبحوا جزءاً من تراث هذا القرن الذي لا يمكن تركه ، او التغاضي عنه ، ويكفينا ان نتصفح يتيمـة الدهر للثعالبي ، فانه يتضمن صورة هذا العصر وأدبه .

ثالثاً ـ تأثر شعره بالجانب المذهبي :

وصفته المصادر التاريخية والأدبية : بانه كان من كبار شعراء الشيعة وغالياً في مذهبه . (٢)

اما المصادر الامامية : فقد عرفته احدشعراء اهل البيت عليهم‌السلام (٣) ويرى بعض الاعلام : «ان الحظ قد ساعده بوجوده في دولة بني بويه المشاركين له في التشيع ، فقال ماشاءوما شاءت له بينات نفسه» . (٤)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ١ / ١٣٠ .

(٢) : راجع : وفيات الاعيان : ١ / ٤٢٧ والعبر فى اخبار من غبر : ٣ / ٥٠ وتاريخ ابو الفداء ٢ / ١٣٥ وشذرات الذهب حوادث ٣٩١ .

(٣) امل الامل : ٨٨ / القسم الثانى ، ومعالم العلماء: ١٤٩ ورجال المامقانى: ١ / ٣١٨

(٤) اعيان الشيعة : ٢٥ / ٨٧ .

وقد عده المرحوم الشيخ الاميني من شعراءالغدير ، وقال عنه : «ان جل شعره يعرب عن ولائه الخاص لاهل البيت عليهم السلام ، والوقيعة في مناوئيهم» (١)

واشهر ما هو معروف من شعره في هذا المضمار قصيدته الفائية المشهورة والتي القاها بين يدي عضد الدولة بن بويه ، عندما دخل الحضرة الشريفة ، وقبل اعتابها، وقف الشاعر بن الحجاج بين يديه ، وألقى القصيدة التالية :

يا صاحب القبة البيضاء في النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلكم ... تحظون بالاجر والاقبال والزلف
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كفي . .
اذا وصلت فاحرم قبل تدخله ... ملبيا واسع سعيا حوله وطف
حتى اذا طفت سبعاً حول قبته ... تأمل الباب تلقا وجهه فقف
وقل : سلام من الله السلام على ... أهل السلام ، وأهل العلم والشرف
اني اتيتك يا مولاي من بلدي ... مستمسكا من حبال الحق بالطرف
راج بأنك يا مولاي تشفع لي ... وتسقني من رحيق شافي اللهب
لانك العروة الوثقى فمن علقت ... بها يداه فلن يشقى ، ولم يخف
وان شأنك شان غير منتقص ... وان نورك نور غير منكسف
وانك الاية الكبرى التي ظهرت ... للعارفين بأنواع من الطرف

والقصيدة تناهز ٦٤ بيتاً ، يقول في ختامها :

خذها اليك اميرالمؤمنين بلا ... عيب يشين قوافيها ولا سخف
من القوافي التي لو رامها خلف ... صنعت بالمائع الجاري قفا خلف
فاستجلها من فتى الحجاج بنت ثنا ... تشق كل فؤاد كافر دنف
بحب حيدرة الكرار مفتخري ... به شرفت ، وهذا منتهى شرفي (٢)

---

(١) الغدير : ٤/٩٤ .

(٢) القصيدة مذكورة في : اعيان الشيعة : ٢٥/١٠٥-١٠٧ والغدير : ٤/٨٨ - ٨٩ .

ورغم ان القصيدة جادة وفي موضع مقدس، فقد ورد فيها بعض الهجاء المقذع على ابن سكرة محمود بن عبد الله البغدادي العباسي ، ويقال ان الشريف المرتضى كان حاضراً حين القاء القصيدة ، فامتعض من الكلام البذيء الذي زج في القصيدة، واغلظ له القول ، ونهاه ان ينشر مثل هذا الكلام في حضرة الامام عليه السلام .

وله قطعة يقول فيها :

انا مولى محمد وعلي ۝ والامامين شبر وشبير
انا مولى ورير احمديا مـن ۝ قد حبا ملكه بخير وزير
انا مولى الكرار يوم حنين ۝ والطباقد تحكمت في النحور
انا مولى لمن به افتتح الاسلام حصن قريظة والنضير
والذي علم الارامل في بدر على المشركين حز الشعور
من مضت ليلة الهرير وقتلاه جزافا يحصون بالتكبير

وله قصيدة يرد على ابن سكرة(١) الذي يتهجم على بيت الرساله عليهم السلام وتصل الى ٥٨ بيت يقول فيها:

فكان قولك في الزهراء فاطمـة ۝ قول امرىء لهج بالنصب مفتون
عيرتها بالرحا والزاد تطحنه ۝ لازال زادك حبا غير مطحـون
وقلت : ان رسول الله زوجهـــا ۝ مسكينة بت مسكين لمسكـين
ستالنساء غداً في الحشر يخدمها ۝ أهل الجنان بحور الخرد العين

الى ان يقول :

عاندت ربك مغتراً بنعمته ۝ وبأس ربك بأس غير مأمون
فقال: كن انت قرداً في...ذنب ۝ وأمر ربك بين الكاف والنون
وقال : كن لي فتى تعلو مراتبه ۝ عند الملوك، وفي دور السلاطين

---

(١) هكذا نقل الشيخ الاميني في الغدير ٤ /٨٩ وقال : واخذناها من ديوانه المخطوط سنة ٦٢٠ ه بقلم عمر بن اسماعيل بن احمد الموصلي، غير ان السيد الامين يقول في (اعيان الشيعة : ١٠٨/٢٥) انه يردبها على مروان بن أبي حفصة .

وهو في صدد تبيان عقيدته يقول :

وبالنبي المصطفى اقتدي ... والعترة الطيبة الطاهره
بالانجم الزهر نجوم الهدى ... وبالبحور الجمة الزاخره

وفي هذا المعنى يقول ايضاً :

ابعد سبعين ماسوغتني ابدا ... الا غروراً نتعليل المنى املي
هيهات قد أبصرت عيني محجتها ... في قصد أخراي فيما هو علي ولي
ومذهبي ان خير الناس كلهم ... بعد النبي امير المؤمنين علي

وقال في الامام علي بن الحسين عليه السلام :

انت الامام الذي لولا ولايته ... ماصح في العدل والتوحيد معتقدي
وانت انت مكان النور من بصري ... ياسيدي ومحل الروح من جسدي
اعيذ قلبك من واش يغلطه ... بقل هو الله لم يولد ولم يلد

ويمدح شخصاً اسمه الرضا فيقول :

يا ابن من تؤثر المكارم عنه ... ومعاني الآداب تمتارمنه
من سمي الرضا علي بن موسى ... رضي الله عن ابيه وعنه

ويكتب الى الوزير ابي طاهر ابن بقية المتوفى ٣٦٧ ﻫ قصيدة يهنيه في يوم المهرجان ويقول فيها :

كل شيء قدمته لي فيه ... رأس مال يأوي الى الخسران
غير حبي اهل الحواميم والحشر ... وطه وسورة الرحمن
خمسة حبهم اذ اشتد خوفي ... ثقتي عند خالقي وأماني
قد تيقنت انهم ينقلوني ... من يدي مالك الى رضوان
بهم قد امنت خوف معادي ... وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهر ، ولولاك ماكان ... لبدر السماء في الأرض ثاني
لك يا سيدي دعا الفطر والاضحى ، ويوم النيروز والمهرجان

هذه المجموعة الشعرية التي قدمتها للقــراء من شعر ابن الحجاج ، احسب اننا نستطيع ان نتلمس منها افكاره المذهبية ، وعقيدتــه صــريحة دون ان

يكون فيها لف او دوران .

ومن خلال ماقرأته من هذا النوع استطيع الجزم بأنه ـ كما وصف ـ من شعراء اهل البيت عليهم السلام . وانه شديد اللهجة في الرد على اعدائهم ، كما لمساه في رده على ابن سكرة ، ومروان بن ابي حفصة ، وغيرهما .

فهو يصرح في بعض المرات برأيه المذهبي ، وتشيعه، فيقول:

بطاعتكم فروض الله تقضى وحبكم الصراط المستقيم

ومن هذا كله نجزم بأن شعره قد تأثر بالجانب المذهبي على اشده ، ولعل السبب في عدم وصول اكثر شعره لنا ، وبالخصوص هذا النوع العقائدي وجود الكثير من التحامل والهجاء المقذع ، فلعبت به ايدي المغرضين ...

ان المؤرخين والادباء ، يؤكدون ان شعره بلغ عدة مجلدات ، او تجاوز العشرة ، والالوان الشعرية التي يذكرها اغلب اصحاب المعاجم كالثعالبي وغيره ، لم نرهم يذكرون فيها هذا اللون . ولم يجعلوا له نصيباً فيما اثبتوه .

وان المصادر التي تمكنا ان نحصل منها على هذه المجموعة البسيطة من شعره المذهبي تنحصر في كتاب الغدير ، واعيان الشيعة ، ومناقب ابن شهر اشوب . في حين نرى الثعالبي عقد فصولا متنوعة لشعره ، ولم يذكر هذا النوع ، ولاادري بماذا افسر ذلك ؟.

واعتقد ان ماذكرناه من نماذج في هذا الصدد ـ وهي الحصيلة التي تجمعت لدينا ـ تكفي لان تعرفنا راي ابن الحجاج المذهبي ، وانه موال شديد من الدرجة الاولى .

في الختام :

وليس من الانصاف ، ونحن نصل الى نهاية حديثنا عن هذا الشاعر ان لانشير الى جوانب حية في شعره تدل على عذوبة ، وسلامة ، وجزالة .

فمثلا يقول وقد كان مريضاً فعاده من يحبه :

لقد برك التشكي امس مني على جسد واعضاه ضعاف

فلما عدتني قال التشكي وقد ولى اتأذن فى انصرافي
ومن كان الحبيب له طبيباً كسته ثوب صحتها العوافي

وقال فى صديق له ارمد :

انا الفداء لعين بعض اسهمها مشكوكة بين احشائي، وفي كبدي
فيها سقام فتور لاخفاء به تجدد السقم في قلبي وفي جسدي
كانت تعل فؤادي، وهي سالمة فكيف بي وهي تشكو علة الرمد

ان الصورة التي يقدمها الشاعر في هذه الثلاثيات صافيه حلوة تكاد تلمس حسن الذوق ، ورقة التعبير ، وجمال الكلمة من أول بيت ، وأنت تقرأها .

ولنقرأ له قطعة كتبها الى بعض الرؤساء في يوم كان المطر يهطل ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع الشمس ، ثم يعود ، يقول :

ياسيدي تفديك مهجة خادم لك يستقل لك الفداء بنفسه
يفديك من جليت اول كربة عنه ومن ادركت آخر حسه
انظر الى اليوم الذي اشبهته لو كان جنسك ناشئاً من جنسه
يحكي نداك بغيثه فاذا انجلى فكأن وجهك ما انجلى من شمسه

والجمال الشعري الذي نتحسسه في هذه الابيات الاربعة يدعنا نعيش في نشوة حلوة

ويروى له في الاداب والحكم :

حذار من الخطب اليسير اذا بدا فانك ان اغفلته اشر الخطب
وما النار الانشأة من شرارة ورب كلام يستثار به الحرب

وقلده الوزير ناحية فخرج اليها يوم الخميس ، وتبعه بكتاب الاقالة يوم الاحد ، فكتب اليه :

يا من اذا نظر الهلال الى محاسنه سجد
واذا رأته الشمس كادت ان تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتني وصرفتني يوم الاحد

فالناس قدغنوا على　　كما رجعت الى البلد
ماقام عمروفي الولاية　　ساعـة حتى قعـد

وقال في وصف أحد الاشخاص :

كم من صديق يروق عيني　　بالشكل والحسن واللباقه
ليس له في الجميل رأي　　ولا بفعل القبيح طاقه
كأنه في القميص يمشـي　　فالوذج السوق في رقاقه

وقد تأثر مرة من جماعة حيث لم يظهروا الاهتمام لشعره فقال:

قدقلت لماغدا مدحي فما شكروا　　وراح ذمي فما بالوا ،ولاشعروا
(على نحت القوافي من معادنها　　وما علي اذا لم تفهم البقر)

وشيء رائع هذا في التضمين . .

ولو حاولت ان استمر في عرض نماذج والوان من شعر الحسين لضاق بنا المقام انما قصدت ان اذكر بعض الصور ،لاقف مع القارىء الكريم على الوان متعددة من شعره، يمكن للانسان المتذوق بعد قراءتها ان يصدر حكمه فيها .

وكيفما كان ، فالحسين بن الحجاج شاعر له شأنه ، وصاحب مدرسة حرة في في دنيا الشعر عمد على ان يكون طليقاً في مضماره الشعري .

ويكفي في مكانته الادبية ان وفاته هزت الشريف الرضي فرثاه في قصيدة رائعة يقول فيها :

نعوه على ضن قلبي به　　فلله ماذا نعى الناعيان
رضيع ولاء له شعبـة　　من القلب فوق رضيع اللبان
بكيتك للشرد السائرات　　تعتق الفاظها بالمعاني
وماكنت احسب ان المنون　　تفل مضارب ذاك اللسان
فأين تسرعه للنضال　　وهباته للطوال اللدان
وتعنوا الملوك له خيفة　　اذاراع قبل اللظى بالدخان
وكم صاحب كمناط الفؤاد　　عناني من يومه ما عناني

قد انتزعت من يدي المنون ولم يغن ضمي عليه بناني
ليبك الزمان طويلا عليك فقد كنت خفة روح الزمان

وارجو ان لا اكون ثقيلا على القارىء العزيزفي دراستي العابرة فيشعر ابن الحجاج والشاعر الذي وصفته المصادر كلها بانه صاحب مدرسة شعرية ، كما وارجو ان لا اكون متجنيا على الشاعر في نقدي له في بعض الجوانب من حياته الشعرية ، فالموضوعية في البحث والنقد تقتضي ان يكون الانسان مستقيماً وحكما بينه وبين ضميره مهما كانت شخصية المنقود . .

وعسى ان أكون قد وفقت في بحثي هذا ، والله الموفق والمسدد .

من سيناء واليها

نحن لم ننس كل شبر من الارض توالت على ثراهــا القبائح
أرض سينـاء لم يزل فى ثراها كل شبر من الدم الحــر ناضح
سنوات ولـم نزل تتوالـى فوق هاماتنـا الخطوب الفوادح
لـم نزل بعدهـا نكابــد حتى لاح للثــأر والكرامــة لائح
ان يكن طال بالمكافــح صبر ما الذى ضر لو بقينا نكافــح

محمد عبد الغنى حسن

حروف مضيئة

□ أحرم الناس أكظمهم للغيظ .

النبي الاعظم (ص)

□ ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلباً لما عند الله .

الامام امير المؤمنين علي (ع)

□ وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها

فاطمة الزهراء (ع)

□ من اتكل على حسن الاختيار من الله له، لم يتمن أنه في غير الحال التي اختارها الله له .

الامام الحسن (ع)

□ فاياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ، ويأمن العقوبة من ذنبه .

الامام الحسين (ع)

□ يا بؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده .

الامام زين العابدين (ع)

اصبر نفسك على الحق ، فانه من منع شيئاً في حق أعطى في باطل مثليه .

الامام الباقر (ع)

من أطاع رجلا فى معصية فقد عبده .

الامام الصادق (ع)

ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه .

الامام الكاظم (ع)

رحم الله امرءاً هم بخير فعله ، أو هم بشر فارتدع عنه .

الامام الرضا (ع)

واعلم أنك لن تخلو من عين الله ، فانظر كيف تكون .

الامام الجواد (ع)

الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التى أوجبت الشكر، لان النعم متاع ، والشكر نعم وعقبى .

الامام الهادى (ع)

من الفواقر التي تقصم الظهر جار ان رأى حسنة أطفأها ، وان رأى سيئة أفشاها .

الامام العسكرى (ع)

وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة أحاديثنا ، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم .

الامام المهدى (ع)

نحو اسلوب تربوي جديد في علاقتنا بالله

السيد محمد حسن فضل الله

تحدثنا ـ في حديث سابق ـ حول الآثار التي تخلفها اساءة فهم الدور الطبيعي للثواب والعقاب في التشريع الاسلامي .

وربما يكون من الاخلاص لفكرة الحديث ، أن نقف امام ظاهره بارزة في موقف الانسان المؤمن بالله. فقد نجد الانطباع الذاتي الذي يسود نفسه، هو انطباع الخائف الراغب الذي تتمثل صلته بربه في خوفه من عقابه وشوقه الى ثوابه ، اما العلاقة الروحية التي يوثق الحب روابطها ، ويشد الايمان أواصرها ، ويقوي عرفان الجميل ، والاحساس بالنعم نوازعها ، أما تلك العلاقة فقد لانجدها الالدى القليل القليل من اولئك النفر الذين عاشت المعرفة في دمائهم ، وانطلقت نفوسهم مع الروح الالهية الخالدة التي لا تقف عند حد في كمالها وذاتها .

* * *

وقد لانعدم البعض الذي يقول بأن من الممتنع على الانسان أن يعبد ربه لذاته ولانه أهل للعبادة ، ويرى هذا البعض : ان مثل هذه العبادة تقتصر على الانبياء والاوصياء ، ممن ارتفعت نفوسهم عن مستوى الثواب والعقاب الى المستوى الذي يؤهلها لترتفع الى حيث القداسة المطلقة في بهائها وعظمتها وجلالها، وقد يعتبر من مآثر الامام علي (ع) وخصائصه قوله في الدعاء المنسوب اليه :

«الهي ماعبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك» ولكن هذا الكلام ـ لو صحت نسبته الى الامام ـ لايدل على الاختصاص،

بل يدل على مدى معرفة الامام بالله ، التي عبر عنها في بعض كلماته المأثورة عنه:
«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»

وقد نجد في بعض كلمات الامام (ع) مايتضمن الاشارة الى امكان ممارسة الانسان المؤمن لمثل هذه العبادة ، واثارة الهمم نحو الاتجاه الى ذلك :

«ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ،وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً لم يعبدوا الله رغبة ولا رهبة فتلك عبادة الاحرار».

ولعل في اضفاء صفة العبيد والتجار على القسمين الاولين توجيهاً للمؤمنين بالابتعاد عن هاتين الصفتين الى الصفة الثالثة .

ثم .. ماالذي يمنع الانسان من أن يحب الله لذاته ، لابدافع الرغبة والرهبة ما دام الانسان يملك ان يحب أخاه الانسان لا لشيء سوى الدوافع الذاتية للحب؟ وقد لا نعدم ـ فيما نقرأ من تاريخ ، وفيما نعايش من أحداث الافراد الذين يمارسون التضحية في سبيل من يحبون ، مهما كانت نوعيتهم، ومهما بلغت مرتبتهم. دون اقل أمل بالثواب ، او خوف من العقاب بل ربما تكون القضية عكسية في اكثر الاحيان ، اذا كان الثواب او العقاب في الجانب الاخر، وربما نجد في بعض اللمحات في العبادة ، مايومي الى هذا الاتجاه في كيفية ممارسة العباده فيما يتعلق بعلاقة الانسان بالله ، فنلاحظ في تشريع النية في الصلاة ، وفي غيرها من العبادات ، ان النية المفروضة هناك هي نية **(القربة الى الله)**.

ولعل الايحاء الذي تعطيه هذه النية هو انطلاق الانسان في عمله من زاوية الحب لله التي تتمثل في ارادة القرب منه ، والحصول على رضاه ، الامر الذي يعطي صفة التجرد في علاقة الانسان بربه .

وقد يبرز هذا الاتجاه في التوجيه في بعض كلمات الامام علي (ع) فنراه يقول في احدى كلماته القصار :

«لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لايعصى شكراً لنعمه»

ويقول في كلمة اخرى :

«أقل مايجب لله على العباد ان لا يستعينوا بنعمه على معاصيه»

فربما يتضح لنا في هاتين الكلمتين : ان الامام في سبيل اثارة النفوس وتوجيهها نحو نعم الله العظيمة ، والايحاء لنا بان على الانسان أن يعيش علاقته بربه ، في اطار الاحساس بالجميل وشكر المنعم ، لافي نطاق التهديد والوعيد أو الترغيب فحسب.

* * *

وفي القرآن الكريم بعض الايات التي تشير الى علاقة الحب التي يريد الاسلام اثارتها في نفس المؤمن كقوله تعالى :

«والذين اتخذوا من دون الله أولياء يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ...»

وفي الدعاء ، نجد الحب الالهي يعبر عن نفسه في لهفة نابضة بالنور والحياة كما في دعاء الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) الذي كان يدعو به في السحر في شهر رمضان :

«الهي: لو قرنتني بالاصفاد ومنعتني سيبك من بين الاشهاد ، ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي الى النار وحلت بيني وبين الابرار ماقطعت رجائي منك ولا صرفت وجه تاميلي للعفو عنك ولا خرج حبك عن قلبي ، أنا لاأنسى اياديك عندي وسترك علي في دار الدنيا ...»

انه الحب الذي يظل متقدا مشتعلا في قلب المؤمن ،دون أن يخفف منه عقاب المحبوب أو عذابه .

وقد نجد الكثير الكثير من الاثار والنصوص الدينية ، الذي يوجه الانسان الى ان تكون علاقته بربه علاقة حب لاعلاقة رغبة او رهبة فحسب .

ولكنا لسنا بصدد تعداد هذه الاثار والنصوص التي انطلقت في هذا السبيل ، فلعل في بعض ماأوردناه كفاية في الموضوع .

* * *

أما مانحاوله ، فهو توجيه الاسلوب العملي للدعوة الى الله نحو هذا الخط ، والتخطيط لطريقة اسلامية تستهدف الاتجاه بالوعظ في هذا المجال ، لان مثل هذا الحب ، لو انطلق في قلب الانسان المؤمن وضميره ، يستطيع أن يحميه من الانحراف

ويمنعه من الزلل ، ويجعله اكثر اندفاعاً في سبيل العمل وأشد اخلاصاً لربه .. الامر الذي يجعل العمل للاسلام اكثر سلامة وابعد عن الانحراف ذات اليمين وذات الشمال.

ان الانسان الذي يعيش حب الله في قلبه ، هو انسان لايفهم للخوف معنـى ، ولا يجد للتخاذل في طريق الجهاد سبيلا .

ومن هنا فنحن ملزمون بايجاد مثل هذا الانسان في طريق الاسلام الطويل . وكما استطاعت التربية التقليدية الماضية ، أن تفرض الاسلوب المعروف في علاقة الانسان بالله ، فان باستطاعة التربية الجادة الواعية أن تصحح الانحراف وتـربط الانسان بربه في علاقة حب وايمان .

عبادة الاحرار

* لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه .

* أقل ما يجب لله على العباد أن لا يستعينوا بنعمه على معاصيه

الامام امير المؤمنين ع

هل نحن بحاجة الى منهج الهي؟

السيد مهدي الحكيم - بيروت

من البديهيات التي لا يماري فيها عاقل «ان الانسان اجتماعي بطبعه» لا يستطيع أن يحقق ذاته الا اذا عاش بين اخوانه وشاركهم في أفراحهم وأتراحهم. وما من شيء أشد ثقلا على المرء من الوحدة اذا هي اكتنفته بظلامها ، وأطبقت عليه بوحشتها . سواء في ذلك أكانت الوحدة حقيقة واقعة أم كانت مجرد شعور واحساس . هذا وان من يعيش وحيداً يمتليء كيانه بالفراغ ولا يعود يحس لحياته هدفاً أو معنى .. . بل أيام متشابهة تمر وسنون تتعاقب، اذ لا شيء يعطي الحياة دفقتها الوضاءة كالعمل والمشاركة به . . . ولا يتم عمل أو حركة ، الا اذا وجد المجتمع وتعارف أبناؤه فيما بينهم ، يقول الله تعالى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . .» .

المجتمع بحاجة الى منهج تراعى فيه الفطرة الانسانية :

فالفطرة أجبرت الناس على الاجتماع. وان لهم في ذلك لمصالح مادية كثيرة، أهمها تأمين العيش وعمران البلاد . وما من شك في أن المجتمع ـ لكي تسود فيه روح العدالة ـ بحاجة الى منهج ينظم له سلوكه ومتطلبات حياته لكي لا تصطدم الرغائب وتتعارض الاهواء ، فيحدث عندها ما لا تحمد عقباه وقد «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . . .» وهذا المنهج الذي نحن بصدده، أو فلنسمه الدين ـ وما الدين في حقيقته الا منهج حياة ـ يجب أن يراعي

حقيقة مهمة ألا وهي فطرة الانسان ، أو بعبارة أخرى «ثنائيته المزدوجة» . . فالانسان روح وجسد لا ينفصمان ، لا هو بحيوان يعيش في حدود الجسد وطاقاته ، ولا هو يحيا دائماً في آفاق الروح السامية. بل انه يعيش بالاثنين اللذين يكونان معاً كلا واحداً هو الانسان . وكل نظام لا ينتبه الى هذه الحقيقة يكون مبتوراً ناقصاً ، وبالتالي لا يحقق السعادة للمجتمع . بل انه ـ على العكس ـ يزيد من تعاسته ، ويدفع الانسان الى الصراع مع أبناء جنسه دفعاً لاهوادة فيه، وبذلك ترتكس الانسانية وترجع القهقرى بدلا من سيرها الى الامام ، لانها تكون قد تناست الفطرة ، والفطرة قانون ثابت بل هي أس القوانين . . . «سنة الله . . . ولن تجد لسنة الله تبديلا» .

لا يتاتى توازن المنهج وايجابيته الا عن عقيدة دينية

للمنهج ـ أذن ـ أن يسير على هدى الفطرة ، فيحدد مكان الانسان من الكون كله وموضعه من هذا الكوكب وما فيه من أحياء . . ومكانه بين أبناء نوعه البشري . . بل بين كل جماعة من هذا النوع الواحد ، أو هذا النوع الذي يتألف من جملة أقسام يضمها عنوان الانسان . . مع عدالة مطلقة وايجابية متفاعلة تحفظ التوازن فلاتسمح لجماعة أن تطغى على حق نوع او فرد ، ولا لانسان أن يبتز حقوق فرد أو جماعة .

وتحديد كهذا لا يتأتى الا عن عقيدة دينية، تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه، وصفوة ايمانه بغيبها المجهول . . تجمع له زبدة الثقة بعقله ، وزبدة الثقة بالحياة . . حياته وحياة سائر المخلوقات والاكوان ...

عجز الانسان امام مجاهيل نفسه والكون :

وهكذا تتضح حقيقة المنهج ، فنرى أنه قد تشعب فشمل الوجود بأبعاده ، سواء في ذلك ما تدركه الحواس لقربه أو مالا تتصوره الافكار لبعده . فأنى للانسان وهو القاصر الضعيف، المقر بعجزه والمعترف بجهله ، والذي ما ان يظن أنه كشف مستوراً حتى تنسدل امامه الوف الأستار والحجب . . . أنى له أن يحيط بهذا الكون ويهيمن على أسراره ومجاهيله ؟ ؟ بل انى له ان يعرف نفسه التي بين جنبيه ويلم بشطر من

أشطارها حتى يشرع لها القوانين ويسن لها الأنظمة ؟ . . ومع ذلك شرع ونظم ، واتبع هواه ، فكانت قوانينه ناقصة وانظمته مبتورة ملءها ظلم وجور ، هو بذلك يقر ، والواقع من ورائه يشهد .

ضرورة المنهج الالهي أو «الدين»:

لابد ـ اذن ـ من منهج الهي،من عقيدة دينية، فالله ـوحده ـهو الخالق المهيمن الذي بيده مقاليد الكون . والله ـ وحده ـ هو المحيط العالم ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض . والخلق كلهم عياله فلايحابي أحداً على حساب احد ، بل ان اكرمهم عنده اتقاهم . يقول تعالى في محكم تنزيله : «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك ، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى . . .» (١) «وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم» (٢) «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون . .» (٣) .

اعتراض مغتر بالعلم الحديث :

بعد ان ظهرت لنا طريقة المنهج وأهدافه ، قد يعترض معترض فيقول : دعنا من الكون والعوالم ، ما ظهر منها وما خفي ، ولنتحدث عن الانسان .. هذا الحيوان المتطور عن أسلافه العجماوات ، والذي تدركه حواسنا فتراه يتألف من لحم ودم وعروق وأعصاب . . لنتحدث عن واقعه الظاهر . فليس من شيء لم يتوصل ـبعدـ العلم الحديث الى اكتشافه ، أما جسده «فعلم التشريح» لم يترك جارحة الا أبرزها وألم بدقائقها ونفاصيلها . وأما نفسه «فعلم النفس الحديث» لم يبق رغبة الا سبر أغوارها وتعرف الى نوازعها . . فعلام ـ اذن ـ المكابرة،والانسان قد أصبح عارياً أمام العلم ، لايواريه منه لباس ، ولا يستره منه ثوب ؟ ألا يحق له ـ على ضوء علمه ـ أن يسن القوانين وينظم الدساتير ؟ وأن يصنع دينه كما يريد ؟ فهو لم يعد بحاجة الى وصاية أو حماية من قوى مجهولة ، بعد أن قوى مراسه واشتد عوده ..

---

(١) الشورى ـ ١٣ . (٢) المائدة ـ ٤٩ . (٣) المائدة ـ ٤٤ .

اعتراض ناتج من علم ناقص وغرور:

سؤال قد يتبادر الى ذهن كل من افتتن بظواهر الحضارة العصرية ، فراقه منها ربرحها وأعشى عينيه بريقها .فتلهى بالقشور عن اللباب وبالعرض عن الجوهر. وأعانه على ذلك علم ناقص وغرور وهوى متبع ، فكان مثله كمثل الظمآن يرى السراب ويحسبه ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .. . وهؤلاء انما يصدرون عن موارد آسنة أوشك معينها أن ينضب ، ونظريات قديمة طرحتها أوروباوراءها ظهريا مذ أزمان. ولجهلهم بما يظنونها حقائق ثابتة لايعتورها التبديل . فهم - باعتمادها -انما يسمون أنفسهم بضآلة المعرفة ، وقلة الالمام بثقافات العصر . لانهم نسوا أن العلم يتطور وأن الزمان مليء بالمفاجآت ، ينبثق منه في كل برهة شيء جديد .

فالعلم الناقص بحضارة الغرب والفهم السقيم لها ، هو الذي يجعلها تظهر بهذا المظهر القشيب ، فيغتر بها السذج ، وتهيمن بسحرها على أفئدتهم وعقولهم . . أما من بحث وقارن ، واستمع الى كلام الغربيين أنفسهم بألسنة أفذاذ علمائهم -مستقرئاً اياها بتجرد - فان حقائق العلم تظهر له سافرة بعيدة عن كل لبس أو ابهام . . هذا «الكسس كاريل» حجة الاوروبيين في «علوم الانسان» ، والعالم الذي قضى الشطر الاكبر من حياته - كما يقول عن نفسه -في المعمل يدرس الكائنات الحية ،والشطر الباقي في العالم الفسيح ، يراقب البشر ويحاول أن يفهمهم ، يقول : «الانسان كل لايتجزأ وفي غاية التعقيد ، ومن غير الميسور أن نحصل على عرض بسيط له ،وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه ، أو في أجزائه في وقت واحد ، كما لاتوجد طريقة في فهم علاقاته بالعالم الخارجي ... ولكي نحلل أنفسنا فاننا مضطرون الى الاستعانة بفنون مختلفة ، والى استخدام علوم عديدة ..ومن الطبيعي أن تصل كل هذه العلوم الى رأي مختلف في غايتها المشتركة ... (١)

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ١٥ .

اقوال «كاريل» في الانسان ككل :

ويقول أيضاً في معرض حديثه عن الدراسات الانسانية : «لقـد بذل الجنس البشري مجهودا جبارألكي يعرف نفسه ، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فاننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا ... اننا لانفهم الانسان ككل ... اننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة،وحتى هذه الاجـزاء ابتدعتها وسائلنا .. فكل واحد منا مكون من موكب من الاشباح ، تسير في وسطها حقيقة مجهولـة ... واقع الامر أن جهلنا مطبق ، فأغلب الاسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب ..» (١)

ثم يستطرد في عرض الاسئلة التي تراود أفكار العلماء ، ولا تـزال ألغـازاً يبحثون عن حلها ولا يظفرون بجواب ، حتى يصل الى هذه النتيجة فيقول : «مـن الواضح أن جميع ماحققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف ، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في أغلب الأحيان ...» (٢)

أقوال «جوليان هكسلي» أحد أقطاب «الداروينية الحديثة» في الانسان:

هذا غيض من فيض ، من أقوال ذلك العالم المختص- ومن أراد التوسع فعليه بكتابه الضخم يروي به غلة أواره ، فلعله يدرك الحقـائق مجردة من أسر الاغراض- وثمة عالم آخر هو «جوليان هكسلي» يؤكد «تفرد الانسان» لاحيوانيته ، في معـرض حديثه عن تاريخ الانسان واختلاف النظرة نحوه منذ عهد «دارون» فيقول: «.....لم تصغر الهوة هنا (أي في نظرية دارون) بين الانسان والحيوان ، نتيجة المبالغـة في اعطاء الحيوان، صفات الانسانية ، وانما نتيجة التقليل من الصفات الانسانية في الانسان .... مع ذلك فقد ظهر منذ عهد قريب اتجاه جديد ، سببه في الغالب زيادة المعرفة واتساع تطلق التحليل العلمي ..»

«... وبعد نظرية دارون لم يعد الانسان مستطيعا تجنب اعتبار نفسه حيوانا !! ولكنه بدأ يرى نفسه حيوانا غريبا جدا .. وفي حالات كثيرة لا مثيل له . ولا يـزال تحليل

(١) المرجع نفسه ص ١٦ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٨ .

تفرد الانسان من الناحية «البيولوجية» غير تام .»

ثم يتحدث عن هذه الخصائص «البيولوجية» فيقول : «وأول خصائص الانسان الفذة وأعظمها وضوحا ، قدرته على التفكير التصوري ، ولقد كان لهـذه الخاصيـة الاساسية فى الانسان نتائج كثيرة ، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة .. ومن أهم نتائج تزايد التقاليد ـ أو اذا شئت من أهم مظاهره الحقيقية ـ مايقوم بـه الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ... وان التقاليد والعددلهي الخواص التي هيأت للانسان مركز السيادة بين الكائنات الحية .. وهذه السيادة «البيولوجية» خاصية أخرى من خواص الانسان الفذة .»

«..... وهكذا يصنع علم الحياة الانسان فى مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات كما تقول الاديان !!» .(١)

وبعد ، هذه شهادات من عالمين معاصرين ، أحدهما منح جائزة «نوبل» فى البحوث الطبية وحاز قصب السبق فى كثير من الميادين العلمية ، يعترف بصراحة مابعدها صراحة ، بجهله المطبق وجهل العلم الحديث فى الانسان ككل ..

وثانيهما ملحد من أقطاب «الداروينية الحديثة» اضطر أمام ضغط الحقائق ان يتراجع مرغما عن كثير من مفاهيمه القديمة .. فأقر بتفرد الانسان وخواصه الفذة ، وبأنه سيد المخلوقات كما تقول الاديان . .

غير أنه عزيز عليه أن يترك فروض «دارون» دفعة واحدة .. فهو يتراجع، ولكنه يتظاهر بأنه ثابت على أصول النظرية ، نظرية «حيوانية الانسان» ...

فردية الانسان فى أقوال «كاريل»:

والان ـ بعد أن عرفنا رأي العلم فى الانسان ككل ـ لو فرضنا جدلا أن علوم الانسان قد تقدمت على مدى القرون ،وعرفت حقيقته بكل مافيها من تعقيد وصعوبات، فهل باستطاعتنا ـ عندئذ ـ أن نلم بالانسان كفرد ؟ مع علمنا بأن كل فـرد يؤلف

(١) الانسان فى العالم الحديث ، من ص ٢-٦ نقلا عن كتاب «الاسلام ومشكلات الحضارة» لسيد قطب ص ٣٨-٣٩ .

ـفي ذاته ـ عالمامفردا لامثيل له ، وهذا يزيد الأمر تعقيدا وصعوبة ،ان لم نقل يزيده تعذرا واستحالة . لنستمع ـ مرة ثانية ـ الى كاريل اذ يحدثنا عن فردية الانسان فيقول «ان الفردية جوهرية فى الانسان انها ليست مجرد جانب معين من الجسم ، اذانهـا تنفذ الى كياننا وهي تجعل الذات حدثا فريدا فى تاريخ العالم ... انها تطبع الجسم والشعور .كما تطبع كل مركب فى الكل بطابعها الخاص.وان ظلت غير منظورة»(١) ويقول أيضاً : «....من المحتمل انه لم يوجد فردان بين ملايين الملايين من البشر الذين استوطنوا هذه الارض ، كان تركيبهما الكيماوى متماثلا .... وتطبع الفردية جميع أجزاء الجسم المركبة ، فهي موجودة فى العمليات «الفسيولوجية».كما هي موجودة فى التركيب الكيماوي للاخلاط والخلايا ولهذا فان كل شخص يتفاعل بطريقتـه الخاصة مع أحداث العالم الخارجي ... انها تهبنا وحدانيتنا ، وتجعل كـل انسان أن يكون نفسه ، وليس شخصا آخر .» (٢)

وهكذا يستمر فى حديثه عن الفردية وعن جهل التربية الحديثة وعقم تأثيرها بسبب اسسها الخاطئة حتى يصل الى هـذا الحكم ، فيقـول : «وحقيقة الامـر أن «السيكولوجيا» لم تصبح بعد علما . لان الفردية وامكانياتها ليست قابلة للقياس...» (٣)

العلم يقر بعجزه أمام حقيقة الانسان :

أرأيت الى العلم ـ بشهادة فذ من أهله ـ كيف يطامن من غلوائه ، ويعترف بعجزه وقصوره أمام حقيقة الانسان ..حقيقته ككل ، وحقيقته كفرد .. وبعد هل هذه الحقائق الاساسية : حقيقة أن الانسان كائن فذ فى هذا الكون ، وأنه مخلوق معقـد شديد التعقيد ، وأنه يشتمل على عوالم متفردة عددها عدد افراده .. هذه الحقائق ألا تقتضي منهجاً للحياة الانسانية يرعى تلك الاعتبارات كلها ؟ يرعى تفرد الانسان فى طبيعته وتركيبه ، وتفرده فى وظيفته وغاية وجوده ، وتفرده فى مآله ومصيره . كما يرعى تعقده الشديد وتنوع أوجه نشاطه وتعقد الارتباطات بينها . ثم يرعى «فرديته» هذه مع حياته «الجماعية» ؟ بحيث يحفظ التوازن فلا تطغى طاقة على طاقة ، ولا وظيفة على وظيفة؟.

---

(١) ـ الانسان ذلك المجهول ص ٢٨١ .(٢)المرجع نفسه ص ٢٨٧ .

(٢)المرجع نفسة ص ٢٩١ .

الانسان لايستطيع ان يقوم بمهمة اعداد المنهج:

هل يستطيع الانسان أن يقوم بهذه الدهمة ، مهمة اعداد المنهج ؟ بعد أن ظهر لنا ، بشهادة العلم ، عجزه وقصوره ؟ ولكن البشر ـ كما ذكرنا آنفا ـ وضعوا المناهج لانفسهم . ولم تستطع المناهج ـ وهذا أمر طبيعي ـ أن تراعي هذه الاعتبارات المتشعبة المتشابكة ، فوقعوا في الخطأ ـ اذ فاقد الشيء لايعطيه ـ فكان الظلم والجور والفوضى والانحلال ، التي مازالت تعاني منها البشرية ولاتزال ... الا اذا سارت على منهجها الحق ، منهج بارئها «الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى»

رأى «الكيس كاريل» في النظم البشرية:

ولنستمع ـ للمرة الاخيرة ـ الى «كاريل» يحدثنا في كتابه عن موضوع هذه النظم كما هدته تجاربه وأبحاثه، فيقول : «.... ان نظم الحكومات أنشأها أصحاب المذاهب في عقولهم عديمة القيمة .. فيجب ان يفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية مازالت غير معروفة .. فان علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية ... وهكذا يبدو أن البيئة التي نجح العلم العصري و«التكنولوجيا» في ايجادها للانسان لاتلائمه لانها أنشئت اعتباطا ، وكيفما اتفق دون اي اعتبار لذاته الحقيقية . » ويقرر ايضاً: «يجب أن يكون الانسان مقياسا لكل شيء .ولكن الواقع هو عكس ذلك ، فهو غريب في العالم الذي ابتدعه . انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه لانه لايملك معرفة عملية بطبيعته.....فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة ... اننا قوم تعساء لاننا ننحط أخلاقيا وعقليا ... ان القلق والهموم التي يعاني منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.)(١) كما يقرر ـ في مكان آخر ـ بعد تحدثه عن الديموقراطية العصرية وتخبطها ، وكيف انها لاتحفل بتكوين أجسامنا وشعورنا ، فيقول:«... لقد طبقنا على الانسان آراء تتصل بالعالم الآلي. فأهملنا التفكير ، والعفو الادبي والتضحية والجمال والسلام . وعاملنا الفرد كما نعامل المادة الكيمائية والالة أو جزءاً من آلة ..لقد قضينا على وظائفه الادبية والجمالية والدينية . كما تجاهلنا نواحي معينة من نشاطه

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ ـ ٤٤

«الفسيولوجي» ... ان ضعفنا الحالي مستمد من عدم تقديرنا للفردية ومـن جهلنا بتكوين الانسان ... ان العلم و«الميكانيكا» ليسا مسؤولين عن حالة الانسان الراهنة وانما نحن وحدنا المسؤولون . لاننا لم نستطـع التمييز بين الممنوع والمشـروع .. لقد نقضنا القوانين الطبيعية فارتكبنا بذلك الخطيئة العظمى ، الخطيئة التي يعاقب مرتكبها دائماً .. فالحياة لاتعطي الا اجابة واحدة حينما تستأذن في السماح بارتياد الأرض المحرمة ... انها تضعف السائل . ولهذا فان الحضارة آخذة في الانهيار ، لان علوم الجماد قادتنـا الى بلاد ليست لنا . فقبلنا هداياهـا جميعا بلا تمييـز ولا تبصر..» (١)

والخلاصة :

بعد هذه الشهادات الخطيرة . لاشك في ان الامر من الدقة والخطورة والتشابك والتعقيد بحيث يحتاج الى علم اله وحكمة اله ، وعدل اله ، وأن المنهج القويم ـ من ثم ـ لا يصنعه الا الله ..

مهدى الحكيم ــ بيروت

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٢١ ـ ٣٢٢

من هم كتّاب الوحي ؟

السيد أبو الفضل مير محمدي

ان الذين كانوا يعرفون القراءة في الصدر الاول من الاسلام ، كانوا قلة قليلة جداً ، أما من كانوا يعرفون الكتابة فأقل من هذا القليل .. وحيث كان تدوين القرآن وكتابة الوحي من الاهمية بمكان لحفظه من الضياع ، أو الاختلاف . لم يكن مانع من الاستعانة بأي كان ، ممن يعرف القراءة والكتابة . بعد التأكد من صحة مايكتب وموافقته للوحي .. هذا وقد اختلفت الاراء في الذين كانوا يكتبون الوحي للنبي (ص) عداً وتشخيصاً ، حتى لقد عد بعضهم من لم يكتب الوحي في جملة من كتبه ، وآخرون أهملوا من كتب الوحي ، وعدوا من لم يكتبه ، الا ان فئة ثالثة ، أهملت الخوص في التفاصيل ، واكتفت بعد من كتبوا للنبي (ص) ، من دون تقييد بكونه كتب الوحي أو غيره . ولعل سر ذلك الاختلاف يعود الى الخلط بين من كان يقوم بكتابة الوحي ، وبين من كان يكتب الرسائل والعهود ونحو ذلك ، هذا ان لم نقل ان التعصبات المذهبية قد كان لها ـ الى حد ما ـ أثرها في ذكر من ذكر ، واهمال من أهمل .

وبعد كل ما تقدم نقول : ان كتاب الرسول (ص) بمعنى من كان يكتب لـه سواء كان يكتب الوحي فقط ، أو غيره فقط ، أو هما معاً ـ كتابه (ص) بهذا المعنى ـ كثيرون .. ولعلهم كانوا على مافي السيرة الحلبية ستة وعشرين كاتباً ، وعلى مافي محكي السيرة للعراقي اثنين واربعين .

قال في الاستيعاب في ترجمة أبي : «انه كان من المواطبين على كتابة الرسائل

عن النبي (ص) عبدالله بن ارقم الزهري . وكان الكاتب لعهوده اذا عاهد ، وصلحه اذا صالح علي بن أبي طالب (رض) .

وممن كتب لرسول الله (ص) ابو بكر الصديق . ذكر ذلك عمر بن شبة في كتاب الكتاب ، وفيه زيادات على هؤلاء أيضاً ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، والزبير بن العوام ، وخالد ، وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وحنظله الاسيدي ، والعلاء بن الحضرمي ، وخالد بن الوليد ، وعبد الله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهيم بن الصلت ، ومعيقيب بن ابي فاطمة ، وشرحبيل بن حسنة. قال الواقدي : فلما كان عام الفتح واسلم معاوية كتب ايضاً» . انتهى ما في الاستيعاب .

ويلاحظ على نص الاستيعاب انه قد اطلق القول ولم يبين كتاب الوحي منهم من غيرهم الا بالنسبة الى أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ،حيث قال في صدر كلامه: «وكان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله (ص) الوحي قبل زيد بن ثابت ، ومعه ايضاً». ونحوه في الاطلاق ،ما في أسد الغابة في ترجمة أبي ، الا أنه في ترجمة زيد بن ثابت قال :«وكان زيد يكتب لرسول الله (ص) الوحي وغيره» .

كما ان كلام اليعقوبي مطلق لم يبين فيه كاتب الوحي من غيره. قال في ج٢ ص٦٤ من تاريخه : «وكان كتابه الذين يكتبون الوحي، والكتب، والعهود، علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص بن أمية ، ومعاوية بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وحنظلة بن الربيع ، وأبي بن كعب ، وجهيم بن الصلت ، والحصين النميري » .

لكن في محكي «منبع الحياة» للسيد نعمة الله الجزائري قال :«كانوا أربعة عشر رجلا من الصحابة على رأسهم أمير المؤمنين (ع) . وكانوا في الاغلب لايكتبون الا مايتعلق بالاحكام ، وما يوحى اليه في المحافل والمجامع . وأما الذي كان يكتب

ماينزل في خلواته ومنازله فليس هو الا أمير المؤمنين (ع) ، لانه كان يدور معه كيفما دار ، وكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف» .

وكيف كان فماذكره الاستاد أبو عبد الله الزنجاني في كتابه «تاريخ القرآن» من انه كان للنبي (ص) كتاب يكتبون الوحي بالخط المقرر وهو النسخي وهم ثلاثة وأربعون اشهرهم الخلفاء الاربعة» الخ : اما أنه سهو من قلمه أوأنه ظفر بما لم نظفر به مما يدل على انهم جميعاً كانوا يكتبون الوحي له (ص) .

وعلى اي حال فان مايهمني في هذا المجال هو ذكر من ثبت أنه كان كاتباً للوحي على حسب مايساعد عليه الدليل . . فأقول : ان من ثبت أنه كتب الوحي للرسول (ص):

١ - علي بن ابي طالب (ع) :

وقد تقدم التصريح بذلك فيما نقلناه عن منبع الحياة ..

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد ج٣ص٥ في فصل صناعة الكتاب قال : فمن أهل هذه الصناعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله (ص) يكتب الوحي».. الخ.. .

وقال العلامة المجلسي : نقلا عن بصائر الدرجات :«عن العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن ربعي بن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال : كان جبريل يملي على النبي (ص) وهو يملي على علي الخ الرواية» ..

وقال:«ابن شهر آشوب في المناقب .. في كتابه(ص)..: كان علي(ع) يكتب اكثر الوحي ويكتب غير الوحي».

وقال ايضاً في باب المسابقة الى العلم ج٢ : «أفلا يكون علي أعلم الناس وكان مع النبي (ص) في البيت والمسجد يكتب وحيه، ومسائله، ويسمع فتاواه ، ويسأله، وروي أنه كان النبي (ص) اذا نزل عليه الوحي ليلا لم يصبح حتى يخبر به علياً واذا نزل عليه نهاراً لم يمس حتى يخبر به علياً» .

وقد أورد آية الله الخوئي مدظله في كتاب البيان فصل «صيانة القرآن من التحريف» ص١٧٢ أورد حديث احتجاج علي على جماعة من المهاجرين والانصار .. وفيه يقول:

انه قال: ياطلحة ان كل آية أنزلها الله تعالى على محمد(ص) عندي، باملاء رسول الله(ص) وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد (ص) وكل حلال وحرام أوحد ؛ أوحكم، أو شيء تحتاج اليه الامة ، الى يوم القيامة ، فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله(ص) وخط يدي حتى أرش الخدش الخ» ويمكن أن نعطف على ماتقدم مما يؤيده وان لم يكن صريحاً في ذلك ، مافي كتاب سليم بن قيس حيث يقول في كتابه ص١٧١ جلست الى علي بالكوفة في المسجد والناس حوله. فقال: سلوني قبل ان تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله ، فوالله مانزلت آية من كتاب الله الا وقد أقرأنيها رسول الله (ص) ، وعلمني تأويلها ، فقال ابن الكواء : فماكان ينزل عليه وانت غائب ؟ فقال : بلى، يحفظ علي ماغبت ، فاذا قدمت عليه قال لي ياعلي ، أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرأنيه، وتأويله كذا وكذا ويعلمنيه .

وما ورد في الفصل الخامس من مقدمة تفسير مرآة الانوار عن ابي خالد الواسطي عن زيد بن علي (ع) ، قيل : قال أمير المؤمنين : مادخل رأسي نوم ولا غمض على عهد رسول الله (ص) حتى علمت من رسول الله (ص) ما نزل به جبرئيل في ذلك اليوم من حلال ، أو حرام ، أو سنة ، أو أمر ، أو نهي ، وفيما نزل ، وفيمن تنزل ..فخرجنا فلقينا المعتزلة ، فذكرنا ذلك لهم ،فقالوا:ان هذا الامر عظيم !!كيف يكون هذا! ،وقد كان أحدهما يغيب عن صاحبه ؟!! فرجعنا الى زيد، فأخبرناه بردهم علينا ، فقال : كان يتحفظ على رسول الله (ص) عدد الايام التي غاب بها ، فاذا التقيا، قال رسول الله (ص) : ياعلي نزل علي في يوم كذا كذا وكذا ، حتى يعدها عليه الى اليوم الذي وافى فيه ،.. واخبرناهم بذلك».

ويلوح ذلك أيضاً من كلام اليعقوبي المتقدم ،حيث عده(ع) من جملة كتابه(ص) الذين كانوا يكتبون الوحي ، والكتب، والعهود .

وماورد في ترجمة اعجاز القرآن للرافعي :«واتفقوا على ان من كتب القرآن واكمله ، وكان قرآنه أصلا للقرآنات المتأخرة ،علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود» ومن هنا نعرف مدى قصور ما قاله بعض المؤلفين

وأهل التراجم في الوفاء في بيان الحقيقة حيث ذكروا أن علياً كان يكتب لرسول الله (ص) أحياناً كما في المجلد الثاني من الكامل لابن الاثير، أو كان يكتب عهوده اذا عهد وصلحه اذا صالح كما في الاستيعاب في ترجمة أبي، و كما في أسد الغابة ايضاً .... و كذلك اهمال بعض آخر له حيث لم يعدوه في جملة الكتاب له (ص) أصلا كما ارتكبه في الاصابة مع انه ذكر أن معاوية كان يكتب ، و كما فعله الزركلي في اعيانه، و كذلك الحال في تذكرة الحفاظ . .

٢ ـ أبي بن كعب الانصاري :

قال العلامة الطباطبائي في رجاله: «أبي كعب أبو المنذر سيد القراء و كاتب الوحي ، عقبي ، بدري ، فقيه، قار، أول من كتب للنبي (ص) من الانصار. وهو من فضلاء الصحابة ومن أعيانهم» .

و قال العلامة الحلي ـ رحمه الله ـ في الخلاصة: «أبي بن كعب شهد العقبة من السبعين و كان يكتب الوحي آخا رسول الله (ص) بينه وبين سعيد بن عمرو بن نفيل شهد بدراً ، والعقبة الثانية و بايع مع رسول الله (ص)».

وقال ابن شهر آشوب في الجزء الاول من مناقبه في كتاب الوحي: «كان ابي بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان الوحي» .

وقد سبق في «علي» أن أبياً ـ على ما ذكر في اعجاز القرآن للرافعي ـ، ممن اتفق على انهم كتبوا القرآن واكملوه ، و كان قرآنهم اصلا للقرآنات المتأخرة، لكن هذه العبارة كما ترى غير صريحة ، وفي كتاب الاعيان للزركلي :أن أبياً كان قبل الاسلام حبراً من احبار اليهود مطلعاً على الكتب القديمة يكتب ويقرأ ـ على قلة العارفين بالكتابة في عصره ـ ولما أسلم، كان من كتاب الوحي ، وعده في الاستيعاب، و كذا في أسد الغابة، من كتاب الوحي.

والحلبي في السيرة قال: انه كان في أغلب احواله يكتب الوحي .. وعن العقد الفريد ج٣ ص٥: ان غابا ـ علي وعثمان ـ كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت الوحي فان لم يشهده أحدهما كتب غيرهما».

ويلوح ذلك ايضاً من عبارة اليعقوبي المتقدمة في ـ علي ـ حيث ذكره مع من

اتفق على انهم كانوا يكتبون الوحي والكتب والعهود ..

أما ابن حجر في الاصابة، وابن الأثير في الكامل، فقد عداه من كتاب الرسول ، من دون تصريح بأنه كتب الوحي أولا..

هذا وقد اورد الكليني في الكافي حديثاً يكشف عن انه كان ممدوحاً عند الامام وفيه: انه ـ يعني ابوعبدالله (ع) ـ قال : ان كان بن مسعود لايقرأ على قراءتنا فهو ضال . فقال ربيعه : ضال ؟ فقال :نعم ضال . ثم قال(ع) : أما نحن فنقرأ على قراءة أبي.

٣ ـ زيد بن ثابت :

قد تقدم أن ابن شهراشوب قال في المناقب الجزء الأول ص ١٦٢ : انه كان مع أبي بن كعب يكتبان الوحي .. ومع عبدالله بن أرقم يكتبان الى الملوك .. وتقدمت الاشارة الى ذلك في كلام اليعقوبي ، حيث عده في جملة من كتبوا الوحي والكتب والعهود وان لم يكن صريحاً في ذلك .

وقال الحلبي في السيرة : انه ومعاوية ملازمان للكتابة بين يدي رسول الله (ص) في الوحي وغيره لاعمل لهما غير ذلك.

وقال ابن الأثير في اسد الغابة في ترجمة زيد : انه كان يكتب لرسول الله (ص) الوحي وغيره . وكانت ترد على رسول الله (ص) كتب بالسريانية ، فأمر زيداً فتعلمها وكان عمره لما قدم النبي(ص) المدينة، احدى عشرة سنة.

وفي تذكرة الحفاظ في ترجمة زيد قال : انه المقري الفرض كاتب وحي النبي (ص) .. الى أن قال فقدم النبي (ص) وزيد صبي ذكي نجيب ، عمره احدى عشرة سنة فأسلم ، فأمره النبي(ص) ان يتعلم خط اليهود فجود الكتابة، وكتب الوحي..

كما ان الزركلي في اعيانه أيضاً قد عده من كتاب الوحي وفي قاموس الرجال في ترجمة زيد : عن الجزري كان ـ اي زيد ـ يكتب للنبي (ص) الوحي وغيره ..الى ان قال: وكان عثمانياً ولم يشهد مع علي(ع) شيئاً من حروبه.

وفي جامع الرواة رواية أخرى، فيها ذم له، وهي: عن ابي جعفر(ع) قال: الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية .. الى ان قال (ع) : وأشهد على زيد بن ثابت لقد

حكم في الفرائض بحكم الجاهلية .

٤ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح :

قال العلامة المجلسي في البحار نقلا عن تفسير علي بن ابراهيم (١) في قوله تعالى: **«ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله»**(٢) انها نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان اخا عثمان من الرضاعة حدثني ابي عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبدالله (ع) قال: ان عبدالله بن سعد بن ابي سرح أخو عثمان من الرضاعة ، أسلم ، وقدم المدينة ، وكان له خط حسن ، وكان اذا نزل الوحي على رسول الله (ص) دعاه فكتب مايمليه عليه رسول الله (ص) ،فكان اذا قال له رسول الله (ص) :سميع بصير ..يكتب سميع عليم. واذا قال له : والله بما تعملون خبير ..يكتب بصير .. ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله (ص) يقول :هو واحد فارتد كافراً ورجع الى مكة ، وقال لقريش :

«والله مايدري محمد مايقول أنا أقول مثل مايقول فلاينكر علي ذلك ، وأنا انزل مثل ماينزل» ..فأنزل الله على نبيه (ص) في ذلك: **«ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله»** فلما فتح رسول الله مكة أمر بقتله ، فجاء به عثمان فأخذ بيده ـ ورسول الله في المسجد ـ فقال: يارسول الله، اعف عنه. فسكت رسول (ص). ثم اعاد، فسكت. ثم اعاد، فقال ، هو لك فلما مر قال رسول الله (ص) لاصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل: عيني اليك يارسول الله أن تشير الي بقتله فأقتله ، فقال رسول الله (ص): ان الانبياء لايقتلون بالاشارة ...فكان من الطلقاء .. ثم أورد عن معاني الاخبار حديثاً قال الصدوق في ذيله :وانما كان النبي (ص) يقول له فيما يغيره هو واحد . لانه لاينكتب مايريد عبدالله، انما ينكتب ماكان يمليه (ص). فقال : هو واحد غيرت أم لم تغير لم ينكتب ماتكتبه، بل ينكتب ما أمليه عن الوحي، وجبرئيل يصلحه . وفي ذلك دلالة للنبي (ص) ..

وقال الصدوق : ووجه الحكمة في استكتاب النبي الوحي معاوية وعبدالله بن

---

(١) المشهور بتفسير القمي .

(٢) الانعام ـ ٩٣ .

سعد وهماعدوان ، هو أن المشركين قالوا: انمحمدأيقولهذا القرآنمن تلقاءنفسه،
يأتي في كل حادثة بآية .. الى ان قال : فاستعان في كُتب ماينزل عليه في الحوادث
الواقعة بعدوين له في دينه عدلين عند اعدائه ، ليعلم الكفار والمشركون أن كلامه
في ثاني الامر كلامه في الاول غير مغير ،ولا يزال عن جهة فيكون أبلغ للحجة عليهم .
ولو استعان بوليين مثل سلمان وأبي ذر واشباههما لكان الامر عند اعدائه غير واقع هذا
الموقع ، وكان يتخيل فيه التواطي والتطابق . فهذا وجه الحكمة في استكتابهما.

وقد عده الحلبي في السيرة من كتاب الوحي ،وكذلك عده في الاستيعاب من كتاب الوحي أيضاً وعبارة اليعقوبي فيها اشارة الى ذلك ايضاً حيث عده في جملة من كتبوا الوحي والكتب والعهود .

٥ ـ معاويه بن أبي سفيان :

أورد الصدوق في معاني الأخبار على ما في البحار ج١٩ باب٣ حديثاً عن ابن محبوب عن ابي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص) ـ ومعاوية يكتب بين يديه وأهوى بيده الى خاصرته بالسيف ـ: من أدرك هذا يوماً أميراً فليبقرن خاصرته بالسيف.. فرآه رجل ممن سمع ذلك من النبي (ص) يوماً وهو يخطب بالشام على الناس .فاخترط سيفه ثم مشى اليه،فحال الناس بينه وبينه ، فقالوا له :ما لك ؟ قال :سمعت النبي (ص) يقول : من ادرك هذا يوماً فليبقرن خاصرته بالسيف .فقالوا :اتدري من استعمله؟ قال:لا. قالوا:عمر.فقال :سمعاً وطاعة لعمر على ، ما في قاموس الرجال في ترجمة معاوية ص٣٢ـ.

وقال الصدوق : ان الناس شبه عليهم أمر معاوية بأن يقولوا كان كاتب الوحي، وليس ذلك بموجب له فضيلة، وذلك أنه قرن في ذلك الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح فكانا يكتبان الوحي. وفي كلام اليعقوبي اشارة الى ذلك حيث عده في جملة من كتبوا الوحي والكتب والعهود كما تقدم .

وقال الحلبي في السيرة :«وقال بعضهم : كان معاوية وزيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله (ص) في الوحي وغيره ، لاعمل لهما غير ذلك».

لكنك اذا تدبرت فيما نقلناه وجدت أن ماعدا ما نقلناه عن الحلبي في السيرة لا يدل على ان معاوية كان يكتب الوحي .بل اقصى مايدل عليه هو أنه كان يكتب للنبي (ص) ولو صح لنا الاستناد الى ما في السيرة بمفرده ، وقلنا انه كان يكتب الوحي له (ص)

ومن الواصح ان كتابته لم تكن الا لايام قلائل حيث انه قد أسلم قبل وفاته (ص) بمدة يسيرة. وقد أنكر جماعة كتابته للوحي منهم العلامة الحلي (رحمه الله) حيث قال في كشف الحق ونهج الصدق ص ١١: «كان اسلام معاوية قبل موته (ص) بخمسة اشهر. وطرح نفسه الى العباس ليشفع له الى رسول الله (ص) فيعفي عنه، ثم شفع اليه ان يكون من جملة خمسة عشر ليكتب له الرسائل».

وحول هذا الموضوع كتب الأستاذ العقاد في كتابه (معاوية بن ابي سفيان في الميزان) ص ١٦٤ - ١٦٥ يقول: «وقد تعلم معاوية القراءة والكتابة والحساب». وتتفق الاخبار على كتابته للنبي (ص)، ولا تتفق على كتابته للوحي، ولا على حفظه لايات من القرآن تلقاها من النبي، كما كان كتاب الوحي يتلقون الايات لساعتها.. والارجح انه لم يكن معروفاً بحفظ شيء من كتابة الوحي في ايام جمع القرآن الكريم. ولو علم عثمان - وهو من ذوي قرابته - أن عنده مرجعاً من المراجع يثوب اليه لرجع اليه كما رجع الى غيره».

ولا مجال لنا هنا لاستقصاء المنكرين لكتابة معاوية للوحي وقد عرفت جميع ما تقدم ماعدا ما نقلناه عن الحلبي في السيرة لايدل على ذلك .. حتى كلام الصدوق فان كلامه انما هو على فرض صحة قول الناس لذلك فانه لايوجب له شرفاً ولا منزلة ..

٦ - عثمان بن عفان:

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد في باب صناعة الكتاب ج٣ ص٥: علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي ..

وقد عده كثير من المؤرخين من الكتاب من غير تصريح بأنه كتب الوحي فراجع الاصابة، والاستيعاب، والسيرة الحلبية، وتاريخ الطبري، وغيره، وفي عبارة اليعقوبي المتقدمة تصريح باسمه، لكنها لا دلالة فيها على أنه كان يكتب الوحي ..

وعلى أي حال فلم ينص على كتابته للوحي سوى العقد الفريد كما أن معاوية لم ينص على كتابته للوحي غير السيرة الحلبية الا ان الفرق أن أحداً لم يصرح بالنفي فيه كما هو الحال في معاوية.

وعلى كل فلا أظن أن ذلك يكفى في أثبات كتابته للوحي . . وعليه فالذين نطمئن بأنهم كانو يكتبون الوحي هم الاربعة الاوائل : **الامام علي ع أبي ، زيد ، عبد الله بن سعد بن ابي سرح** ، أما معاوية وعثمان ـ فضلا عن غيرهما ـ فحالهما فى كتابة الوحي هي ما رأيت .

وأخيراً . . فلاشك أنه كان للنبي كتاب كثيرون ، نقلنا اسماء بعضهم عن الاستيعاب وتاريخ اليعقوبي وغيرهما . . وحيث انني لم أجد بعد تتبعي فى الكتب التي ظفرت بها من صرح بأن منهم من كتب الوحي أو عمم كتابته بحيث تشمل الوحي وغيره . . فانني لم أتعرض لذكرهم فى بحثي هذا ، حيث انه مقصور ـ كما أشرت الى ذلك فيما سبق ـ على ذكر كتاب الوحي له (ص) لا مطلق كتابه .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، ومنه نستمد الحول والقوة وهو المستعان.

هدى ! . . . ونور

ان هذا القرآن فيه منار الهدى ، ومصابيح الدجى ، فليجل جال بصره ، ويفتح للضياء نظره ، فان التفكر حياة قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور .

الامام الصادق ع



الإمام الصادق عليه السلام

من أئمة المسلمين

نشرت مجلة «دعوة الحق» المغربية في العدد الثامن للسنة الخامسة عشرة مقالا للاستاذ متمكر أحمد، عن الامام الصادق عليه السلام، ودوره الكبير في بناء الفكر الاسلامي آثرنا نشره في هذا الباب نظراً لاهمية الموضوع.

لقد بدأت سير الرجال .. كبار الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر السوق وتنتصب شواهد على هذه الحقيقة..ومع ذلك ففي المكتبة العربية الاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم غبار النسيان وفي عبقرياتهم كل لون وكل اختصاص بينهم الأديب والفقيه والمؤرخ والمهندس والفيلسوف والفلكي والاصولي وغيرهم ممن اشتركوا في رفع بناء الحضارة الاسلامية هولاء كلهم ينتظرون ان ياتي دورهم ليخرجوا الى الوعي العربي بالثوب القشيب والاسلوب الغريب والعناية البالغة والاخلاص الذي يجب ان يتوفر لكل محقق وباحث.

لذا انتهزها فرصة سعيدة لاتحدث للقارىء الكريم عما تكاد نفسي ان تنفجر عنه ولم اجد طريقا اقرب الى المواطن العربي من طريق الكتابة .

اكتب هذه السطور التي تشير الى رجل اجتمعت فيه فضائل الانسان ذي الرسالة الحضارية، انسان ظهر فيه التوق الى الحقيقة.. فقد كان فرعاً من شجرة هي اكرم ماعرف النسب العربي .. ورث بها الأرادة الفعالة التي لاتعترف بالهزيمة والفشل كما ورث عمق الأدراك والحساسية الشديدة واخلاصه انه ورث الحافز العجيب الذي لم يجد له الدارسون بعد تفسيرا في حدود ماعرفوه من الحقائق الانسانية وجوانب النفس

الخفيه . .(انه الشخص الذي تظهر به عبقرية الأمة وتتجلى به طبيعتها الكامنة علماً او نضالا فى سبيل الخير اوقيادة عسكرية او نبلا فى الخلق والضمير وقد هيات له ظروف حياته ان يكون من هذا كله موضعا للعبقريتين العلمية والخلقية).

عصره ومشاكله :

يمتد عصر الامام الصادق من اخر خلافة عبدالملك بن مروان الى وسط خلافة المنصور اي من سنة ٨٣ﻫ الى سنة ١٤٨ فقد ادرك طرفا كبيرا من العصر الاموي وعاصر كثيرا من ملوكهم وشاهد من حكمهم اعنف اشكاله وقضى حياته الأولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جده زين العابدين وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر . ونشأ فى ظلهما يتغذى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربى تربيته وتخرج من تلك المدرسة الجامعة فاختص بعد وفاة والده بالزعامة سنة ١١٤ واتسمت بنشاط الحركة العلمية فى المدينة ومكة والكوفه وغيرهما من الاقطار الاسلامية .

كان العصر الذي اختص به الامام الصادق عصر فتن واضطراب فى جميع البلاد الاسلامية وحروب طاحنة ونزاع بين رجال الدولة وتجاوبت البلاد بلغة الانكار على الامويين .وكانت ثورة الحسين بن علي رضى الله عنه هي بداية الانطلاق لنشر الوعي الاسلامي ضد الامويين .

عاش الصادق فى وسط ذلك الجو المضطرب بالفوضى والعبث والفساد وهو يحس بآلام الناس اكثر من غيره فماذا يصنع وقد طوقه الامويون برقابة شديدة وضربوا حوله دائرة ضيقة ليحصروا نفوذه فيها؟ ورغم ذلك كله راح يؤدي رسالته ليعالج اصلاح الوضع من طريق الهداية والارشاد ونشر تعاليم الاسلام .

كانت مدرسة الامام الصادق ثابتة المبدأ متصلة الكفاح ووجد الناس فيها ثروة علمية وكانوا يحيون فيها حياة فكرية تهذب النفوس وتسمو بالعقول وترتقي بهم الى اوج المعرفة والكمال.وكان غرضه المباشر هو توجيه الناس الى درجة فى التفكر وافهام الناس (الامة) نظم الاسلام على الوجه الصحيح وتطبيقه بين افراد الامة عن طريق العلم وحرية التفكير ليعالج مشاكل المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة.ويدعوا الناس من طريق الهداية والارشاد الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

وفى عصر الامام ازدهرت المدينة المنورة وزخرت بطلاب العلم ووفود الاقطار الاسلامية وانتظمت فيها حلقات الدرس وكان بيتـه كجامعة اسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث . من مختلف الطبقات ينهلون موارد علمه ويقتبسون من ضياء معرفته . . وقد اغتنموا تلك الفرصة فازدحموا عليه يسالونه ايضاح ما اشكل عليهم (وحمل الناس عنه من العلوم ماسارت به الركبان وانتشر ذكره فى جميع البلدان). وازدحم على بابه العلماء واقتبس من مشكاة انواره الاصفياء وكان متجها الى العمل بما يرضى الله لايفتر عن ذكره ولا يمل عن طاعته .

يحدث مالك بن انس وهو تلميذ الامام الصادق تردد اليه زمانا طويلا قبل ان تفصل بينهما عوامل الدولة وتحول وجهة نظر مالك عن الامام الصادق عندما رفعت من مقامه واعلت من شانه ووجهت الانظار اليه طوعا اوكرها رغبة اورهبة يقـول : «لقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده رسول الله (ص) اصفر لونه وما رايته يحدث عن رسول الله الا على طهاره ولقد اختلفت زمانا فما كنت اراه الا على ثلاثة خصال اما مصلياً اوصامتاً واما يقرأ القرآن»(١) .

وفى رواية الحافظ النيسابوري: «وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله (ص) احصر لونه مرة واصفر اخرى حتى ينكره من يعرفه ولقد حججت معه فلما استوت به راحلته عند الاحرام انقطع الصوت فى حلقه وكاد يخر من راحلته»(٢).

من تعاليمه :

كانت الحلقات التي تعقد فى مدرسة الامام الصادق هي الصعيد الـذي تنطلق عليه تعاليم الامام وارشاداته فكان يزرع الفضيلة فى النفوس ويغرس الخيـر فيها . وكان حديثه يشمل كل امور الحياة وجوانبها فهو يهدف الى تصفية الغرائز ويرسم طريق الصلاح والهداية ويرسم للناس سبيل الخير . وجعل هدفه الاسمى فى توجيه الناس الى الورع عن محارم الله والخوف منه والامتثال لاوامره والشعور بالمسؤلية امام الله تعالى وجعل يوم الحساب ماثلا امام اعينهم مع حثهم على التكسب وطلب الرزق

(١) كتاب التوسل والوسيلة لابن تيميه .

(٢) الروضة للحافظ .

ليرفع من مستوى اخلاقهم والمحافظة على القيم الروحية .

كان رضي الله عنه يدعو الى الاحتفاظ بالاخوة الاسلامية ويدعو الى الالفة والتقارب وينهى عن التباعد والتباغض ويحاول تأليف القلوب بمختلف الطرق لان الحب اقوى عامل لسعادة بني الانسان . وبالحب ينتظم العالم وهو القانون الطبيعي لكيان الحياة كما ان الكراهة تبعث الشقاء وتثير الشحناء لان عين الكراهة لاتبصر المحاسن بل تتطلع الى العيوب وان لم تجد فتقلب الحسن قبيحا فلذلك نهى الشارع المقدس عن الامور التي تثير العناء بين المسلمين وتذهب الى ابعد حدود القلق فكان من اسس نظام الدين الاسلامي هي الاخوة فلذا آخى رسول الله (ص) بين اصحابه وامر المسلمين بالمؤاخاة .

وعلى كل كانت حياة الصادق كلها اشعاع لاينقطع يصوغ به العلماً ويشيع به حب المعرفة ويشارك به في الاستنتاج المنطقي السليم والتأمل الفكري كما كانت حياته اشعاع لاينقطع يضوغ به الحب، سخاء في اليد، وسعة في الصدر ،ونبلا في النفس، ونقاء في الضمير .

لقد كان متفوقاً في خلقه متفوقا في حسن معاملته للناس متفوقا في تصوير المثل الاعلى لمن كان يطلب العلم في مجالسه او يذهب مذهبه من اتباعه او يعجب به من هو على مذهب غيره من العلماء والفقهاء كما كان متفوقا في سعة ادراكه وغوصه على الحقائق العلمية والفلسفية في عصره متفوقا في مشاركته التامة العميقة في كل المعارف التي شاعت في عصره الذهبي .

لم يكن الامام متخصصا في فرع من العلوم اوناهجا منهجا فلسفيا خاصا راغبا عن غيره او جاهلا له فلم يكن التخصص يومذاك من مذاهب كبار العلماء وجها بذتهم.

(لقد كان الامام الصادق مكتبة منتقلة تنطوي في احشائها على كنوز الانسانية في كل ما ورثته من علوم الاولين وما اكتسبته بعد ذلك بتجار بها الخاصة) .

ان الامام الصادق ابو عبد الله هو نموذج لانسانية المعرفة في العصر الاسلامي الذهبي بل بداية رائعة له هيات له اسباب هذه الامامة انه بالاضافة الى ذكائه الوقاد وجهوده البالغة في البحث والتامل والدراسة كان من أولئك الملهمين الذين لايجود التاريخ الانساني بهم الا في فترات متباعدة .

متفكر احمد مراكش

التعريف بالتراث

(٤)

السيد احمد الحسيني - قم

المغني

الشيخ ابو الخير تقي الدين منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان بن معمر اليمنى، الشهير بابن فلاح النحوي، المتوفى سنة ٦٨٠ ﻫ (١).

من أئمة الأدب فى القرن السابع الهجري، ومع ان الخطوط العريضة في حياته ليست واضحة كل الوضوح الا انه يبدو من بعض الآثار انه كان من اجلة العلماء فى عصره، له منزلة كبيرة فى نفوس اعيان المؤلفين والباحثين، فقد قال السيوطي فى البغية عند الحديث عنه «ذكر في جمع الجوامع والطبقات الكبرى كثيراً من فوائده».

ونظرة فاحصة على كتابه المغني الذي نحن الآن بصدد الحديث عنه، تعطينا صورة متكاملة عن مدى علمه وتبحره فى البحث، لا فى علم النحو فقط بل فى اكثر العلوم المتداولة فى عصره.

له غير «المغني» كتاب آخر فى أصول الفقه يسمى بـ «الكافي»، يقول عنه فى البغية أيضاً: جزء فى غاية الحسن يدل على معرفته بأصول الفقه.

* * *

وكتاب «المغني» هذا يستعرض بتوسع وتفصيل القواعد النحوية والصرفية

---

(١) يراجع بغية الوعاة ٢/٣٠٢، كشف الظنون ٢/١٧٥١، ايضاح المكنون ٢/٢٥٨، هدية العارفين ٢/٤٧٤، الاعلام للزركلى ٨/٢٤٢، الذريعة ٢١/٢٩٦، مخطوطات مكتبة العلامة الكاشانى ٢٦٠.

ومايتصل بالخط ،على نهج يقرب من منهج الزمخشري(١) ومن تابعه ،مع تعديل وتحوير في بعض المباحث الطفيفة، فيبدأ بالبحث عما يتعلق بالاسم ثم ما يتعلق بالفعل ثم ما يتعلق بالحرف .

والموضوعات التي يتحدث فيها المؤلف تحوي طائفة كبيرة من الاقوال والآراء المختلفة لاعلام النحو والصرف مع ذكر شواهدها وأدلتها ، وكثيراً ما يختار هو الرأي الاسد مستدلاعلى ما اختاره بمايراه من وجوه القوة فيه أو وجوه الصعف فى قول الطرف الآخرغير مقيد بمدرسة خاصة من المدارس النحوية.

والكتاب حسب تقسيم المؤلف يقع فى أربعة اجزاء : الجزء الاول من مباحث الكلمة والكلام الى باب المنصوبات ، الجزء الثاني من باب المستثنى الى باب العدد، الجزء الثالث من باب جمع التكسير الى آخر مباحث النحو، الجزء الرابع فى علمي التصريف والخط. وتم تأليفه فى شهر محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وستمائة هجرية.

ويتقدم الكتاب مقدمة طويلة ثم ابواب اليك فهرسها :

المقدمة فيها امران وفصول :

الامر الأول : فيما ورد من الامر على تعلم علم النحو.

الامر الثاني : في الالفاظ الجارية فى اصطلاح النحويين ، وهو مذيل بابحاث.

الفصل الأول : في الاسم وفيه خمسة ابحاث .

الفصل الثاني : في الفعل ، وفيه بحثان وثلاثة فروع .

الفصل الثالث: في الحرف ، وفيه خمسة ابحاث وفرع واحد.

باب : المعرب ، وفيه اربعة ابحاث .

---

(١) الترتيب المتبع فى اكثر الكتب النحوية الان يتلخص فى :

أ ـ ترتيب ابن مالك فى «الفيته» المشهورة ، حيث يسر على ذكر العوامل وأثرهـا فى المعمولات وما يتبع ذلك من مختلف الابحاث .

ب ـ ترتيب الزمخشرى فى كتابه «المفصل» حيث يرتب الابواب الخاصة بالاسماء متعاقبة يليها الخاصة بالافعال ثم الحروف .

وهناك أنواع اخرى من الترتيب ، الا أنها غير مشهورة بين علماء الادب .

انظر النحو الوافى للاستاذ عباس حسن ١ / ١٠-١١ .

باب: المستثنى، وفيه خمسة ابحاث .
باب : حروف الجر ، وفيه بحثان وثلاثة فروع .
باب : الاضافة ،وفيه مقدمة واحد عشر باباً .
باب : الاسماء المتضمنة معنى الفعل ، وفيه ثلاثة ابحاث.
باب : الصفة المشبهة ، وفيه ثلاثة ابحاث .
باب : اسم المصدر والزمان والمكان .
باب : اسم الالة .
باب : المعرفة والنكرة .
باب : مالا ينصرف ، وفيه مقدمة وثلاثة عشر نوعاً .
باب : التوابع ،وفيه مقدمة وخمسة أنواع.
باب : المبنيات ،وفيه مقدمة وسبعة أنواع .
باب : جمع التكسير ، وفيه مقدمه وخمسة عشر بحثاً .
باب : التصغير ، وفيه تسعة ابحاث .
باب : النسبة ، وفيه مقدمة وستة ابحاث.
باب : المذكر والمؤنث، وفيه مقدمة وستة أبحاث .
باب : المقصور والممدود ، وفيه خمسة ابحاث .
باب : معرفة الخط ،وفيه خمسة ابحاث .
باب : الحروف التي تنصب بعدها الافعال المستقبلة.
باب : الجوازم ، وفيه اربعة ابحاث .
باب : حروف النفي .
باب : قد .
باب : حروف الاستقبال .
باب : حروف التنبيه .
باب : حروف الجواب .

باب : حروف الزياده .

باب : حرفي التفسير .

باب :حروف المصدر .

باب : حروف التحصيص .

باب :حروف الاستفهام .

باب :حرف الردع.

باب : في اللامات.

باب : تاء التأنيث الداخله على الماضي .

باب :التأنيث واقسامه.

باب : الاماله ، وفيه مقدمه وبحثان.

باب : الوقف ، وفيه خمسه ابحاث.

باب : تخفيف الهمزه .

باب : التقاء الساكنين .

باب : الابتداء بأول الكلم .

باب : التصريف، وفيه مقدمه وثمانية انواع.

باب : مايجوز للشاعر استعماله في ضرورة الشعر .

أول الكتاب :«قال الشيخ الامام السعيد . . . الحمدلله حق حمد نعمته والصلاة على نبي رحمته وعلى صحبه وعترته، وبعد فلما كان هذا العلم من أهم فروض الكفايات . . . أحببت التقرب الى الله جلت عظمته بوضع متوسط حاو لقواعد هذا العلم . . . وتنكبت فيه عن كثرة الوجوه التي لاحاصل لها . . . واعتمدت فيه على العلل القوية».

آخره :«قال الله تعالى وقد خاب من دساها أي دسسها ، وقال تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أصله يتمطط في أحد الوجهين ، والله اعلم بالصواب».

١ ـ مكتبة آية الله المرعشي في قم، الاجزاء الاربعة في مجلد واحد كبير، كتبت النسخة في كربلاء في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٨٥ هجرية .

٢ ـ المكتبة الخاصة للعلامة الحجة السيد عباس الكاشاني في قم ، في أربعة اجزاء ، كتبت النسخة في كربلاء ، كتبها اسدالله بن محمدصادق البروجردي في خامس جمادى الثانية سنة ١٢٨٩ .

٣ ـ يوجد قطعة منه بمقدار جزء واحد في مكتبة كاشف الغطاء بالنجف الاشرف ، وهي نسخة قديمة ثمينة.

بين الامس واليوم

نقطع الليل باحلام الضحى	ونمد الصبح درساً وامتحانا
المدى رهن خطانا ، والهدى	حيث سرنا والمدى غيث سمانا
وأقمنا الحق في اسيافنا	وركزنا المجد في خفق لوانا
هكذا بالامس كنا امة	تمضغ الأصرار عزماً ومرانا
هكذا بالامس كنا وحدة	لم نلن عوداً ولم نخفق جنانا
يشمخ التاريخ في آفاقنا	ويضوع الفتح من بين خطانا

السيد حسين بحر العلوم

عبد الله بن سبأ

بين الواقع والخيال

بقلم : السيد هادي خسروشاهي

ترجمة: محمد توفيق

المقدمة:

كثيرة هي التهم التي يحاول المغرضون من اعداء الشيعة والاسلام الصاقها بهم ،واننا لو حاولنا استقصاءها والرد عليها لاحتجنا الى تأليف كتاب في مجلدات عديدة. ولكننا نضرب صفحاً عن ذلك معتمدين على بداهة بطلان الكثير منها،غير اننا سنتعرض في بحثنا هذا الى اتهام بعيد الغور في التاريخ ويعتبر حجر الزاوية في اكثر ماواجهته الشيعة من تهم وبانهياره وبيان زيفه ينهار كل ما اسس عليه من بنيان اتخذ ضراراً وتمزيقاً بين المسلمين .

وهذا الافتراء وان كان صنيعة اقلام مأجورة ادعت الاسلام وحاول اصحابها الكيد له بتفريق كلمة المسلمين في القرون الاولى ، الا ان المستشرقين المغرضين من يهود ومسيحيين وغيرهم من الذين سخروا طاقاتهم لهدم الكيان الاسلامي في عصرنا الاخير خدمة لاسيادهم المستعمرين حيث يتصيدون في الماء العكر ويحاولون من خلال سياستهم المعروفة «فرق تسد» الاستيلاء على الامم ومقدراتها ....هؤلاء واتباعهم ادكوا نار

الفتنة وشددوا في الصاق هذه التهمة بالشيعة، كي ينشغل المسلمون بخلافاتهم وبذلك تستنزف كل طاقاتهم التي يحسب لها المستعمرون كل حساب.

هذه التهمة الرعناء تتخلص في أن مذهب التشيع وليد لافكار عبدالله بن سبأ اليهودي المعروف، واستمر المؤرخون والكتاب طيلة عشرة قرون من الزمان يبحثون عن ابن سبأ والسبئية، وينسبون اليها الكثير من العقائد والافكار وكما يقول الدكتور علي الوردي: «حملوه - اي ابن سبأ - اوزار العالمين جميعاً دون ان يبحثوا في اصل وجوده»(١).

وان وجدنا المؤرخين القدامى لم يسهبوا في الحديث عن هذه الاسطورة بل ذكروها بنحو من الاجمال - واسما، ومع الاسف الشديد - لا نجد في القرنين الاخيرين - المعروفين بعصر البحث والتحقيق - كتاباً أو تاريخ للاسلام ولاصحاب النبي الا واسهب في موضوع ابن سبأ ومدى الدور الخطير الذي لعبه، اللهم الا ما شذ وندر من الذين تحروا الحقائق والتزموا بالموضوعية في البحث.

وفي هذا البحث سنعرض بصورة اجمالية اقوال الكتاب والمؤرخين، القدامى منهم والمعاصرين حول ابن سبأ والعقائد المنسوبة اليه، وثم نبين باختصار اصل هذه الاسطورة التاريخية، والقصة المختلقة، وكيف ومن اختلق شخصية ابن سبأ الموهومة، موكلين تفصيل الحديث الى مناسبة اخرى ان شاء الله تعالى.

من هو عبدالله بن سبأ:

قالوا «ان رجلا يهودياً كان قلبه قد اشتعل حقداً على المسلمين من جراء انتصاراتهم ولذا فقد أعلن اسلامه ظاهراً ولكنه في واقع الامر كان يخطط للكيد للاسلام وتفرقة المسلمين، وهذا الرجل هو عبدالله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء، وكان من يهود اليمن ومن اهل صنعاء او الحيرة او حمير «بناء على اختلاف الرواة»(١).

---

(١) «وعاظ السلاطين».

(١) يراجع في هذا الشأن «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» للشيخ بن الحسن علي ابن اسماعيل الاشعري، المتوفى عام ٣٣٠ هـ، طبع مصر، مقدمة الجزء الاول بقلم محمد محي الدين عبد الحميد ص ١١. «الى مشيخة الازهر» للشيخ عبد الله السبيتي ط العراق ص ١٢٢، «وعاظ السلاطين» للدكتور علي الوردي ص ١١١.

هذا هو مقدار اطلاعنا على نسب وسوابق عبدالله بن سبأ ولم يذكر لنا التأريخ اكثر من هذا.

وكان الشهرستاني في «الملل والنحل» اول من اشار الى يهودية عبدالله بن سبأ ، واما غيره من المؤرخين فبين من لم يذكر له نسباً وبين من الحقه بالعرب(١)

ماقيل من قصص حول ابن سبأ ومعتقداته:

ما اكثر القصص والأساطير التي ذكرها بعض الكتاب من المغرضين او من غير المحققين حول ابن سبأ والفرقة السبئية ومعتقداتها .

ونحن بدورنا سنتعرض لبعض ما كتب رعاية للاختصار ، وتاركين لمن اراد التفصيل الرجوع الى المصادر التي استندت في نقل هذه الاحاديث والتي يجد القاريء اسماءها في بحثنا هذا .

واليك بعض هذه الحكايات :

قالوا : كان عبدالله بن سبأ المؤسس والباني الاصيل لاصول التشيع (٢)

وقالوا : «الفرقة السبئية هي اقدم فرق الشيعة بل الاصل لها من ناحية ظهورها في التاريخ الاسلامي»(٣)

وقالوا : «لقد نشر عبدالله بن سبأ ثلاثة امور بين المسلمين ولم تكن معروفة من قبل وهي :

١ ـ اول من قال بأن رسول الله (ص) اوصى لعلي من بعده وجعله اماماً للناس .

٢ ـ اول من قال واعتقد برجعة محمد(ص) وعلي .

٣ ـ اول من قال ان علياً لم يقتل وهو حي لايموت ، وانه موجود في السحاب

---

(١) «أول الائمة» تأليف هداية الله حكيم الهي ، ص ٢٢ ط طهران ١٣٢٩ شمسى .

(٢) «فجر الاسلام» لاحمد امين المصري ، «السنة والشيعة» ص ٤ـ٦ تأليف سيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار الذى ألفه رداً على السيد محسن الامين العاملي في كتابه الحصون المنيعة.

ويراجع في هذا الصدد كتاب «الغدير» للعلامة الشيخ عبد الحسين الاميني الذى اجاب عن كل التهم والافتراءات في كتابه الخالد .

(٣) يراجع «المهدوية في الاسلام» تأليف الشيخ سعد محمد حسن ، على ما نقل ذلك عنه الشيخ عبد الله السبيتي في كتابه «الى مشيخة الازهر» ص ١١٤ ط بغداد .

والرعد صوته ،والبرق سوطه ، وقدحل فيه جزء من الله وانه سيظهر يوماً ليملأ الارض قسطاً وعدلاً» (١)

وقالوا : «كان ابن سبأ ينشر تعاليمه الخبيثة اينما حل ويقول :انني لاتعجب ممن يعتقد برجعة عيسى المسيح وينكر رجعة محمد (ص) ،وان لله الف نبي ولكل نبي وصي ، وعلي وصي محمد (ص)»(٢)

وقالوا : «قال ابن سبأ لعلي (ع) انت الله ، فنفاه علي الى المدائن».

وقالوا :«ان معتقدات ابن سبأ المغالية في علي (ع) كان يعتقد بعينها في حق موسى ويوشع بن نون ايام كان يهودياً قبل ان يعلن الاسلام» .

ويقولون: كان ابن سبأ يقول :«ان علياً لم يمت ولم يقتل وان الذي قتله ابن ملجم انما هو شيطان تلبس بصورة علي وان الرعد صوت علي والبرق نوره» لذا فان السبئية حين يسمعون صوت الرعد يقولون عليك السلام ياامير المؤمنين .(٣)

وقالوا : في زمان خلافة علي (ع)وجدت الفرقة السبئية وكانت تسب الصحابة وتنسب لهم الكفر والنفاق وتتبرأ منهم ، ولذا سموا بـ (التبرئية) ايضاً،وقد تبرأ منهم الامام علي (ع) ، وقد كان جمع من اليهود ورهبان النصاري والوثنيين وعباد النجـوم يساعدون ابن سبأ في نشر بدعته هذه .

وقد نشأ من هؤلاء من اعتقد بألوهية علي ، وقد حاربهم الامام الحسين (ع) حين علم بدعوتهم ، ولكن التشيع نما بعد وفاة علي حتى بلغ الشيعة اربع وعشرون فرقة .
وقد قال العضدي : ان الزيدية والامامية من معتدلي الشيعة وليسا من غلاتهم (٤).

---

(١) يراجع «مقالات الاسلاميين» مقدمة الجزء الاول ص ١١ و «المهدوية في الاسلام» : لسعد محمد حسن ص ٧٦ ، «دائرة المعارف» تأليف محمد فريد وجدى ، ص ١٦٣ ط مصر ١٣٥٦ ه.«فجر الاسلام» لاحمد امين ، تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٣٧٨ في حوادث سنة ٣٥ ه .

(٢) يراجع : «محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية» تأليف الشيخ محمد خضرى بك ج٢ ط ٢ ص ٩٧ ، «تاريخ الاسلام السياسي» للدكتور حسن ابراهيم حسن .

(٣) يراجع في هذا الصدد «الانوار النعمانية» للسيد نعمة الله الجزائرى ج٢ ط تبريز ص ٢٣٤.

(٤) يراجع مقدمة الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى بقلم عبد الوهاب عبد اللطيف ص ٦.

وقالوا: «عبدالله بن سبأ اوابن السوداء يهودي الأصل ، من اهالي اليمن، اعتنق الاسلام و نظراًلحماسه المقطع النظير،فقدجاب جميع اسيا الصغرى و قسماًمن افريقيا، وشرع منذذلك الحين بتحريك العامة !

ولكن نشاطه بعد مدة قليلة اتسم بطابع سياسي شديد، فما ان القى عصى الترحال في مصر الاوبدأ بمهاجمة عمال الخليفة ، وكيل السباب والشتائم لهم ، وفى بعض خطبه كان يعرض بالخليفة عثمان ويطلب منه ان يتنازل عن الخلافة ويسندها الى من هو اهل وكفؤ لهذا المقام ، وكان يعني بذلك علي بن ابي طالب ،وكان لفصاحة عبدالله بن سبأ اثرها البالغ فى تجميع الناس حوله واتباعهم له فى عقائده التي بشربها ، ولم يمر وقت طويل حتى كشف ابن سبأ عن هويته الاصيلة وازاح النقاب عن وجهه الحقيقي، فبدأ يمزج فى كلامه بين عقائده وافكاره اليهودية وبين بعض المفاهيم الاسلامية،وهكذا روج لنظرية التناسخ وغيرها، كمااستعار من المسيحية عقيدتها فى رجعة المسيح ، فنجده فى المسجد الكبير فى مدينة «الفسطاط» بمصر ينادي ويصرخ :

«ان النصارى يدعون ان المسيح سيرجع فى آخر الزمان وينشر دينه فى كافة ارجاء العمورة ، ولكنني اقول ان الذي سيرجع ليس المسيح وانما هو محمد(ص)».

واخيراًفقد تجاوز جميع الحدود حينما اعلن ان محمداًمن جوهر الالوهية ، وقد كانت معلومات هذا الرجل الواسعة فى المسائل الدينية التي استقاها من اليهودية والاسلام والمسيحية وبعض الاديان الايرانية والهندية بل وحتى الفرعونية المصرية، كل هذه مكنته من التغلب على مناظريه وابعادهم عن حلبات النقاش والمناظرة .

وهكذا وفى مدة قليلة صار ابن سبأ من اكبر اصحاب النفوذ فى مصر وبلغ حداً كان فيه والي مصر يرتعد خوفاً من شخصيته ونفوذه ومؤامراته ، هذا وقد تولدت عن الفرقة السبئية فرق متعددة ، اعتقد بعضها بأن علياً راكب فى السحاب وسيرجع الى الارض، واعتقد بعضها الاخر بان علياًينزل الصواعق والرعدوالبرق على رؤوس الاشرار، وقد وصل بعضهم الى ادعاء ان علياًهو الشمس، وتدعي بعض فرقهم انهم يرون صورة علي مجسمة فى القمر» (١).

(١) يراجع كتاب «شهسوار اسلام» تأليف «مسيو گاپريل انكبرى» ترجمة كاظم عمادى ط طهران . ص ٧٦ - ٧٨ و ١٨٥ .

وقالوا: ان الفتنة التي اثيرت على عثمان كانت من حركات ابن سبأ وكان يغذيها بقوله «ان عثمان غاصب ولابد للناس ان يثوروا عليه» (١).

وقالوا ايضاً: «ان عبد الله بن سبأ هو الذي كان سبباً في منع المصالحة بين علي وعائشة ونتيجة لذلك فقد استعرت نار حرب الجمل»(٢).

لماذا اسلم ابن سبأ؟:

قالوا: ان اليهود قصدوا اطفاء نور الاسلام ببث البدع فيه وتفريق كلمة أهله بما فعل عبدالله بن سبأ من ابتداع التشيع لعلي والغلو فيه، والقاء الشقاق بين المسلمين في مسألة الخلافة (٣).

وقالوا: ذكر الشعبي ان عبدالله بن السوداء كان من الموافقين للسبئية، وهو من اصل يهودي ومن اهل الحيره، وموه على الناس انه من المسلمين، وبهذه الصورة كان يريد ان يحتل القيادة والمقام الرفيع عند اهل الكوفة، ومن اقواله انه قرأ في التوراة «لكل نبي وصي يخلفه من بعده وان علياً وصي محمد، وهو خير الاوصياء اذ كان محمد خير الانبياء» وقد امتنع علي (ع) عن قتل «عبدالله بن السوداء» و«ابن سبأ» خوفاً من الفتنة، فنفاهما الى المدائن ولكن العامة بعد استشهاد علي (ع) وقعوا فريسة لاضاليلهم.

ويرى بعض المحققين ان ابن السوداء كان من اتباع الدين اليهودي واراد أن يقضي على الاسلام من خلال تأويله حسب مشتهياته حول علي وابنائه ولانه رأى الرافضة اكثر من غيرهم من اهل البدع والاهواء اغراقاً في الكفر، لذا فقد ربط مصيره بهم ومزج ضلالاته بتأويلاتهم. (٤)

وقالوا: زعيم هذه الفرقة هو عبدالله بن سبأ اليهودي الذي اسلم لتضليل المسلمين

---

(١) يراجع كتب «عثمان بن عفان» تأليف: صابر عبد ابراهيم ص ٥٦، «الزبير بن العوام» لنفس المؤلف طبع بغداد، الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٧٧، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٦، ص ١٦٣.

(٢) «عمار بن ياسر» صابر عبده ابراهيم «الزبير بن العوام» لنفس المؤلف «وعاظ السلاطين» حيث ينقل عن غيره في ص ١١١.

(٣) راجع تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا ج ١٠ ص ٣٨٦.

(٤) يراجع الفرق بين الفرق (أبو منصور عبد القاهر البغدادي).

وقدغالى فى علي لكي يوجد الفرقة والاختلاف بين الناس (١)

وقالوا: قيل للرافضة رافضةلانهم رفضوا ابابكروعمر «والرافضةالذين هم السبئية يعادون الاسلام ، كما تعادى اليهود النصرانية ، وهؤلاء السبئية لم يعتنقوا الاسلام قربة الى الله ، وانما دخلوا الاسلام للقضاء عليه والعدوان على اهل الاسلام .وقد احرق علي (ع) هؤلاء بالنار ، كما نفى عبدالله بن سبأ الى «ساباط المدائن» وعبدالله بن سباب الى «الحازر» (٢)

هذا ويضيف السيد رشيد رضا سبباً اخر من نفسه لتسمية الرافضة ،وثم يرى ان عبدالله بن سبأ كان يعمل مع الزرادشتيين المجوس فى ميدان واحد للقضاء على الاسلام،واليك هذا النص منه حيث يقول :

«وقد رفض غلاة الشيعة الامام زيداً اذأبى قبول ما اشترطوه عليه لاتباعه وهو البراءة من ابي بكروعمر فلذلك سمواالرافضة.

ولماذا اشترطوا البراءة من ابي بكروعمر دون عثمان بل دون معاوية ويزيد ؟

ان اكثر الشيعة الصادقين من المتقدمين والمتأخرين لم يكونوا يعرفون هذا ولو فكروا فيه لعرفوه وعرفوا بمعرفته كيف جرفهم تيار دسائس المجوس اصحاب الجمعيات السرية العاملة للانتقام للمجوسية من الاسلام،فتلك الجمعيات المجوسية بثت دسائسها فى الشيعة لاجل التفريق بين المسلمين وازالة ذلك الاتحاد الذي بنى على اساسه مجد الاسلام.

لم توجد فى الدنيا جمعيات ادق نظاماً وانفذسهاماً من جمعيات الباطنية التي اسسها عبدالله بن سبأ اليهودي ، ومجوس فارس، لافساد الدين الاسلامي وازالة ملك دعاته العرب ، فقد راجت دسائسها فى شيعة آل بيت الرسول من المسلمين الذين كانوا يرون انهم احق بملك الاسلام .

---

(١) يراجع مقدمة الطبعة الجديدة من «الصواعق المحرقة» لابن حجر ص ٦ ، وكذلك «محاضرات فى تاريخ الامم الاسلامية» ج ٢ . ص ٩٧ .

(٢) يراجع (العقد الفريد) تأليف : شهاب الدين احمد ، المعروف بـ : ابن عبد ربه الاندلسي ج ١ . ص ٣٥٠-٣٥٣ ط ٢ . مصر .

هل كان عبدالله بن سبأ وراء دعوة ابي‌ذر الى‌العدالة والمساواة ؟:

من المعلوم ان اباذر«ه»كان من اكثر الدعاة حماساً لتطبيق مبادىء الاسلام‌الحقة في العدالة‌بين الرعية والمساواه فى القسمة ومن اشد الناس انكاراً على بني امية في اسرافهم وتبذيرهم واتخاذهم مال‌الله دولاً وعباده‌خولا.وكل‌هذاانسجاماًمنه مع‌الرسالة التي امن بها والتي رباه عليها صاحب الرسالة محمد(ص) ،ومع كل هذا فلانعدم‌من يدعي بأن‌عبدالله‌بن‌سبأ كان‌هو‌المحرك الاصلي‌لابي‌ذر في‌انكاره على‌معاوية‌حياة‌الترف التي كان‌يعيشها فمثلا :

يروي شعيب عن سيف وهوعن عطية عن يزيد القعي‌ان‌ابن‌السوداء حينماوصل الشام لاقى‌اباذر وقال‌له:ياباذر الاتعجب لمعاوية حيث يقول :«المال‌مال اللهوكل‌شيء الله»وهو بهذا يريدان يستأثر بالمال لنفسه ولايفرقه بين‌المسلمين (١)

والمتتبع لهذه الرواية يجد أن مصدرهاهو الطبري‌فقط، والآخرون انماينقلونها عنه وحده ، وهذا هواحمد امين في‌كتابه ينقل هذه الرواية عن الطبري فيقول :

«ان ابن السوداء لقي اباذر فاوعز اليه بذلك .

وان‌ابن‌السوداء هذااتى‌اباالدرداء،وعبادة بن الصامت فلم يسمعا لقوله ،واخذه عبادة الى معاوية وقال له هذا والله‌الذي بعث‌عليك اباذر»(٢)ثم.يعلق على ذلك‌احمد امين قائلا :

«ونحن نعلم‌ان ابن السوداء هذا لقب لقب به عبدالله ابن‌سبأ وكان‌يهودياً من صنعاء اظهر الأسلام في‌عهدعثمان وانه حاول ان‌يفسد على المسلمين دينهم ، وبث‌في البلاد عقائد كثيرة ضارة فمن المحتمل‌القريب ان يكون تلقى هذه‌الفكرة‌من‌مزدكية العراق او اليمن ، واعتنقها ابوذر حسن‌النية في اعتقادها وصبغها بصبغة الزهد التي كانت تجنح اليها نفسه فقدكان من اتقى الناس واورعهم وازهدهم في الدنيا وكان من الشخصيات المحبوبة التى اثرت في الصوفية»(٣)

---

(١) تاريخ‌الطبرى ج٣ في حوادث سنة-٣ ه، دائرة‌المعارف لفريدوجدى ج٦ ص١٦٠.
(٢) الطبرى ٥٩٠ .
(٣) فجر الاسلام ١١٠ ط ٩ . مصر .

مصادر اخرى :

لم نستقص فى بحثنا هذا كل ماذكره الكتاب والمؤلفون حول ابن سبأ وافكاره رعاية منا للايجاز والاختصار، وهناك بالاضافة الى ماذكرناه مصادر اخرى تتعرض لهذه الاسطورة نذكرها باسمائها فقط ليتسنى لمن اراد البحث والتفصيل مراجعتها، وهي :

البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٦٧ .
روضة الصفا «مير خوند» ج ٢ ص ٢٢١ .
دائرة المعارف للبستانى ج ١١ ص ٥٠٦ ط . لبنان .
تاريخ الادباء لعربي للبروفسور نيكلسن ص ٢١٥ .
عقيدة الشيعة لدوايت م . دونلدس ص ٨٥ .
الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم الظاهرى ج ٢ ص ٣٣ و ج ٤ ص ١٣٨ .
(شبهاى پيشاور) فارسى لسلطان الواعظين الشيرازى ص ١٧١ .
القسم الاخير من «الاسلام بين الشيعة والسنة» لهاشم الدفتر دار المدنى ومحمدعلى الزعبى
لسان الميزان لشهاب الدين الحجر العسقلانى ج٣ط الهند ص ٢٨٩ . شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد ج ٢ ط بيروت ص ٤٨٥ .
فرق الشيعة ـ المنسوب للحسن بن موسى النوبختى ص ٢٢ .
الملل والنحل ـ للشهرستانى ، ج ١ ط ١ ص ٢٨٩ .
«تاريخ الشيعة» للدكتور حسين على محفوظ ص ٣٩ .
«التبصر» للاسفرايينى ص ٧١ .
اعتقادات فرق المسلمين للرازى ص ٥٧ .
التنبيه لابى الحسين الملطى ص ٢٥ ، ١٤٨ .
التعريفات للسيد شريف الجرجانى ص ٧٩ .
الاسلام والحضارة العربية ، لمحمد كرد علي ج ٢ ص ٦٠ .
تاريخ الشيعة أو علل سقوط بنى امية ، فان فلوتن المستشرق الالمانى الترجمة الفارسية ص ٩٦
تأثير جانشينى در بناى اسلام ، كتاب فارسى لعلى اصغر معرزى ص ١٦٠ .
الامام على صوت العدالة الانسانية ، لجورج جرداق ج ٤ ص ٨٩٤ .
تاريخ مذاهب اسلام ، للدكتور محمد جواد مشكور ، وهو ترجمة لكتاب الفرق بين الفرق ص ١٧ ، ٢٣٢ .

الشيعة والغلاة:

سواءاً كان لعبد الله بن سبأ وجود خارجي اوانه ـ كما سنثبت ذلك فيما بعد ـ

لم يكن سوى اسطورة في عالم الخيال والأوهام فان الصاقه بالشيعة وفكرة التشيع تعتبر من كبرى جنايات التاريخ اللاموضوعي المغرض ،فحتى لو فرضنا وجود مثل السبئية وعبدالله بن سبأ في عالم الواقع فان الشيعة تعلن بكل صراحة واصرار وقوفها ضد كل الأفكار اللااسلامية المنحرفة المنسوبة لابن سبأ وتعتبرها من مختصاته هو واصحابه وانها لاترتبط بالتشيع باي وجه .

يقول المرحوم الشيخ محمدحسين كاشف الغطاء في هذا الموضوع : «اما عبد الله بن سبأ الذي يلصقونه بالشيعة او يلصقون الشيعة به فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه واخف كلمة تقولها كتب الشيعة في حقه ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في حرف العين هكذا: «عبدالله بن سبأ العن من ان يذكر»(١)

وهكذا نعلم وبكل وضوح ان علماء الشيعة اخرجوا ابن سبأ من دائرة الشيعة على فرض وجوده وكمثال على ذلك فاننا نجد العلامة الحلي يقول فيه: «عبدالله بن سبأ غال ملعون وقد احرقه امير المؤمنين بالنار وكان يعتقد لعنه الله ان علياً هو الله او رسول الله»(٢)

وبالاضافة الى علماء الشيعة نجد الكثير من غيرهم يصرحون في كتبهم ان افكار وعقائد الغلاة سواء التي ظهرت في زمن الامام علي (ع) اومن بعده كانت مرفوضة، ومحاربة من قبل علي عليه السلام واهل بيته وشيعته، وان علياً (ع) قد ابعد قسماً منهم واحرق اخرين .

ويشير الى هذا الموضوع البروفسور «گويارد» في كتابه حين يميز المذاهب والفرق الاسلامية عن بعضها ، فانه بعد ان يعرف الشيعة بانهم اتباع ومحبي علي (ع) واهل بيته يشير الى عبدالله بن سبأ فيقول : «وفي زمن الامام علي (ع) ظهر شخص يسمى بعبد الله بن سبأ ، كان يهودياً بادىء الامر وادعى الالوهية لعلي صهر الرسول محمد (ص) ولكن امثال هذه العقائد كانت ترفض وترد وتقبر بسرعة من قبل علي وابنائه وحتى من

---

(١) انظر رجال أبي علي وغيره . وكتاب اصل الشيعة وأصولها للشيخ كاشف الغطاء ص٥٧ ط النجف الاشرف .

(٢) يراجع كتاب الشيعة ، للدكتور حسن محفوظ ص ٣٩ .

ونجد مثل ذلك في كتاب جامع الرواة للاردبيلي ج ١ ط ١ ص ٤٨٥ .

الشيعة الخلص»(١)

وعلى اي حال فان عبدالله بن سبأ على فرض وجوده هو من فرق الغلات ولايرتبط باي وجه بالشيعة ، كما يصنف هو وفرقته كذلك في كتاب «الاسلام والرجعة» ضمن كلام في تقسيم الغلات فيقول: «ان الغلات ينقسمون الى فرق عديدة واول فرقة منها والتي نعتبر المنشأ لسائر الفرق هي السبئية وهم اصحاب ابن سبأ الذي كان من حمير»(٢)

ويذكر ابن خلدون في مقدمته اولئك الذي غالوا في حق الائمة فاعتقدوا بالوهية علي والائمة ويسميهم بـ «الغلات»

فيقول : يطلق على بعض الشيعة «العلات» وهم الذين جاوزوا حدود العقل والايمان فاعتقدوا بالوهية الائمة وكان علي عليه السلام يحرق بالنار اولئك الذين اعتقدوا فيه مثل هذه الامور .

واذا راجعنا كتب «الفرق بين الفرق، الملل والنحل، والعقد الفريد» نجدهم جميعاً يذكرون ابن سبأ في عداد فرقة الغلات ويصرحون ان علياً قد احرق بعضاً منهم ونفى اخرين وقد كان نصيب ابن سبأ تبعيده الى ساباط المدائن»

ويمكن لمعرفة ان السبئية على فرض وجودها هي احدى فرق الغلات ولاعلاقة لها بالشيعة ان تراجع الكتب التالية (٣).

ومن الضروري ونحن نتحدث هنا عن الغلات ان تعرف ان علماء الشيعة بالاضافة الى طردهذه الفرق المنحرفة عن حضيرة التشيع والبرائة منهم، فانهم يرون نجاستهم، ويحكمون عليهم بانهم خارجون عن الدين. فالشيخ محمد بن النعمان الملقب بالمفيد وهو من اكابر علماء الشيعة يقـول في حق الغلات : «ان الغلات من المتظاهرين بالاسلام وهم الذين نسبوا الالوهية والنبوة لعلي (ع) والائمة الاطهار ووصـفوا فضائلهم الدينية والدنيويه وصفاً تجاوزوا فيه الحدود، وقد حكم الائمة عليهم السلام بكفرهم

(١) مدنية الامبراطورية الاسلامية للبروفسور استاسيلاسى گويارد الفرسى ، الترجمـة الفارسية للسيد فخر الدين الطباطبائى ص ٤٨ ط طهران.

(٢) «الاسلام والرجعة» لعبد الوهاب فريد ط طهران ص ٦٣ .

(٣) مع الشيعة الامامية ؛ للشيخ محمد جوادمغنية ط بيروت ص ٤٠. عقيدة الشيعة الامامية للسيد هاشم معروف ط بيروت ص ٢١٦ . مقالات الاسـلاميين لابو الحسن الاشعرى ص ٨٥ . تاريخ الشيعة للدكتور حسين على محفوظ ص ٣٩ .

وخروجهم عن الاسلام» (١)

ولمزيد التفصيل فى شأن كفر الغلات وارتدادهم تراجع الكتب التالية (٢) وباقى الكتب الفقهية الشيعية حين بحثها فى باب النجاسات .

واخيراً: فان الغلو فى حق الائمة والاولياء، ليس مختصاً ببعض الجهال المنسوبين ظلماً الى الشيعة ، كما يحاول ان يصور ذلك المغرضون واتباع الهوى والعصبية فانا نجد ان بعض اهل السنة لايقلون غلواً فى حق اكابر اهل السنة وعظمائهم. (٣)

وبذلك يتضح ان مسألة الغلو لم تقتصر على بعض الفرق التي انتسبت وانتحلت «التشيع» والتشيع منهم براء.

للبحث صلة

---

(١) «شرح عقائد الصدوق» للشيخ المفيد.

(٢) «مصباح الفقيه» كتاب الطهارة للحاج اقا رضا الفقية الهمدانى ط طهران ص ٥٦٨ . «العروة الوثقى» للسيد محمد كاظم اليردى ص ١٩ ط المكتبة الاسلامية فى طهران . «مستمسك العروة الوثقى» للسيد محسن الطباطبائى الحكيم ح ١ ط النجف الاسرف ص ٣٢٥ .

(٢) يراجع فى هذا الصدد كتاب «الغدير» للعلامة الامينى ج ١١ ص ١٠٣ وتحت عنوان «الغلو الفاحش أو قصص الخرافة» ليجد القارىء ١٠٠ قصة وأسطورة تحمل الكثير من الغلو وذلك فى حق افراد من امثال معاوية.

الشّفاعة (٢)
بين السّلب والأيجاب

الشيخ محمّد الهادي معرفة - قم

نصوص دينية :

وفيما يلي نصوص شرعية ، تثبت الشفاعة كضرورة اسلامية ، اعترف بها أئمة الفن ، واثبتوها في جوامعهم ، التي هي مراجع المسلمين منذ الصدر الاول ولاتزال. وقد تداولها العلماء وتلقوها بالقبول خلفاً عن سلف ، الامر الذي لايدع مجالا للتشكيك فيها من الناحية الدينية .

وهذه النصوص كثيرة جداً، بالغة حد التواتر ، سواء أكانت صادرة من رسول الله -صلى الله عليه و آله- ونقلها الاصحاب والتابعون لهم باحسان وهكذا من بعدهم بصورة متظافرة . ام من أئمة اهل البيت -عليهم السلام- مباشرة ، وان كان حديثهم يرجع الى حديث جدهم فى المآل .

ونحن نورد هنا من كلا النوعين ، ولكن بصورة نموذجية ، خوفاً من الاسهاب ولان فيها كفاية ، وطالب الزيادة يمكنه مراجعة المصادر المشار اليها .

١ -روى البخاري: حدثنا يوسف بن راشد، حدثنا احمد بن عبدالله حدثنا ابو بكر بن عياش عن حميد قال سمعت انسا رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اذا كان يوم القيامة شفعت فقلت يارب ادخل الجنة من كان فى قلبه خردلة فيدخلون، ثم اقول ادخل الجنة من كان فى قلبه ادنى شيء ...»(١)

---

(١) ص ١٩٦ ج٢٥ من صحيح البخارى بشرح الكرمانى . كتاب التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم ١٩٧ - ١٩٨ .

وروي عن جماعة من أهل البصرة أتوا أنساً يسألونه عـن حديث الشفاعـة فحدثهم بها فى حديث طويل ..«قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها .. وأخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ..»(١)

٢ ـ وروى مسلم ـ في جملة احاديث الشفاعة التي يرويها ـ عن ابي سعيد الخدري قال :«قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – اوقال بخطاياهم . فأماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحماً اذن بالشفاعة ...» (٢)

٣ ـ واخرج احمد والترمذي وابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى قوله تعالى :عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً ـ اوقال سئل عنه ـ قال: «هو المقام الذي اشفع فيه لأمتي»(٣)

٤ ـ واخرج ابن ابي شيبة عن سلمان ـ رضى الله عنه ـ قال:«يقال له ـ اي لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ: سل تعطه واشفع تشفع . وادع تجب .فيرفع رأسه فيقول امتي ـ مرتين او ثلاثاً ـ فقال سلمان : يشفع فى كل من فى قلبه مثقال حبة حنطة من ايمان ...»(٤)

٥ ـ واخرج ابن جرير عن ابن مسعود ، قال : «ياذن الله تعالى فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبرئيل ـ عليه السلام ـ ثم يقوم ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ثم يقوم موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ثم يقوم نبيكم ـ صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً ليشفع ، ولا يشفع أحد بعده اكثر مما شفع ، وهو المقام المحمود..»(٥)

* * *

(١) البخارى ج ٩ ص ١٧٩ – ١٨٠ .
(٢) مسلم ج ١ ص ١١٨ وراجع ص ١١٥ – ١١٦ .
(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٧ .
(٤) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ .
(٥) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ .

٦ ـ روي علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسن بن محبوب عن زرعة بن محمد عن سماعة بن مهران ـ والسند صحيح ـ عن ابي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال :سألته عن شفاعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يوم القيامة ؟

قال ـ عليه السلام ـ :«يلجم الناس يوم القيامة العرق فيأتون الانبياء العظام واحداً بعد واحد حتى ينتهوا الى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيعرضون انفسهم عليه ويسألونه ـ اي الشفاعة ـ فيقول :انطلقوا، فينطلق بهم الى باب الجنة ويستقبل باب الرحمن ويخر ساجداً فيمكث ماشاء الله، فيقول الله عزوجل :ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعط. وذلك قوله تعالى : عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً»(١).

٧ ـ روى الصدوق عن طريق الاعمش عن الامام الصادق ـ عليه السلام ـ قال : «اصحاب الحدود مسلمون ، لامؤمنون ولا كافرون . فان الله تعالى لايدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها . ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، فاصحاب الحدود فساق. . لايخلدون في النار ويخرجون منها يوماً. والشفاعة جائزة لهم وللمستضعفين اذا ارتضى الله عزوجل دينهم» (٢)

٨ ـ روى الصدوق عن طريق التميمي عن الامام الرضا عن آبائه عن علي ـ عليهم السلام ـ قال :«من كذب بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تنله» (٣)

٩ ـ روى العياشي باسناده الى عبيد بن زرارة قال:«سئل ابو عبد الله ـ عليه السلام ـ عن المؤمن، هل له شفاعة ؟ قال: نعم ، فقال له رجل : هل يحتاج المؤمن الى شفاعة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يومئذ ؟ قال : نعم ، ان للمؤمنين خطاياً وذنوباً ، وما من احد الايحتاج الى شفاعة محمد يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله ـ صلى الله علية وآله وسلم ـ «أناسيد ولد آدم ولا فخر»؟ قال : نعم ، يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً ، فيقول الله : ارفع رأسك ، اشفع تشفع ، اطلب تعط ، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: ارفع رأسك، اشفع

---

(١) تفسير القمي ص ٣٨٧ . بحار الانوار ج ٨ ص ٣٦ .
(٢) الخصال ج ٢ ص ١٥٤ . بحار الانوار ج ٨ ص ٤٠ .
(٣) عيون اخبار الرضا ص ٢٢٥ . بحار الانوار ج٨ ص٤١ .

تشفع ، واطلب تعط ، ثم يرفع رأسه فيشفع ويطلب ويعطى»(١)

* * *

هذه نماذج عن نصوص الشفاعة لاتقصر عن اثباتها موضوعياً . وهي ـ كماترى ـ صريحة في موقف النبي الكريم يوم القيامة حيث يبتهل الى الله عزوجل ان يغفر خطايا وذنوب ارتكبها المخطئون فيشفع فيهم ، سواء من دخل بذنبه النار ومن لم يدخل ، فيقبل الله شفاعته يومذاك ابداء لمقامه الكريم بين الامم على الاطلاق . فان كان الشيخ محمد عبده يريد هذا المعنى فليس تأويلا بل هو صريح المقصود بالشفاعة في هذه النصوص. كما ان التأويل الذي ارتكبه الطنطاوي مخالفة صريحة لجميع هذه النصوص الدالة على وقوع الشفاعة يوم القيامة . وهكذا لو التزمنا بحجية نصوص الكتاب والسنة القطعية فلا مجال للانكار ـ كما يراه وجدي في (دائرة المعارف) ـ فقد اصبحت العقيدة بالشفاعة من ضرورة دين الاسلام. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لم يؤمن بشفاعتي فلا اناله الله شفاعتي»(٢)

النوسل او الاستشفاع :

التوسل : تذرع صاحب الحاجة الى الوسيلة الشافعة لنجح مطلوبه عند الله ، اما في الاخرة ـ كما مر في حديث استشفاع الامة بنبيها الوجيه عند الله في عرصات القيامة ـ واما في الدنيا ، لحاجة حاضرة او مغفرة في الاخرة ، فيبتهل العبد الى مولاه الكريم ، ويتضرع لديه في قضاء حاجته ، مستشفعاً بجاه النبي الاعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ واهل بيته الاطهار ـ عليهم السلام ـ حيث هم الوسائل المكرمون الى الله تعالى . **«ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً »** (٣) . وما هو الهدف من هذا الحضور عند اعتاب النبي الكريم الا التوسل بجاهه الوجيه عند الله ، والتبرك بعنايته المباركة .

وقد سبق : ان لقداسة المكان ـ كالمساجد والبقاع المقدسة ـ وشرافة الزمان

---

(١) بحار الانوار ج ٨ ص ٤٨ .

(٢) اعتقادات الصدوق ص ٨٥ .

(٣) النساء ٦٤ .

كالاعياد والاوقات المتبركة-تأثيراً في استجابة دعاء الداعين فكل من المكان المقدس والزمان الشريف يصبح شفعاً للدعاء الذي يقوم به الداعي فيؤثر في اصابته الهدف المقصود ... فأي غرابة في صلاحية نبي كريم ان تقع شفعاً مؤثراً في استجابة الدعاء.؟!

واذا كان العبد يقرن دعاءه بمكان شريف اوزمان شريف لغاية التذرع بهما الى بلوغ حاجته كذلك يقرن دعاءه باسم النبي الكريم ويجعل جاهه العظيم شفيعاً الى الله في استجابة دعائه . قائلا : «اللهم اني اسئلك بجاه محمد وآله الطيبين ان تقضي لي حاجتي اوتغفر لي خطيئتي». الامر الذي تجده بكثرة في الادعية المأثورة عن اهل البيت -عليهم السلام- .

فقد اصبح التوسل هو استدعاء الشفاعة من صاحب الجاه العريض عند الله ان يدعو له في الاستجابة، وقضاء حاجته الى الله، وهذا الامر قي فيه بين ميت وحي، اذ أن اولياء الله احياء غير اموات، وان ارواحهم الطيبة حول العرش يسبحون الله ويمجدونه لا يفترون.

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا، بل احياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين» (١)

قال الامام الصادق -عليه السلام- :«ان ارواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة يأكلون من طعامها ، ويشربون من شرابها ، ويقولون : ربنا أقم لنا الساعة ،وانجز لنا ما وعدتنا، وألحق اولنا بآخرنا» (٢) .

قال رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-لاصحابه يوماً:«حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم قالوا: هذه حياتك نعم ، فكيف مماتك؟فقال : أما حياتي فان الله هداكم بي من الضلالة وانقذكم من شفا حفرة من النار .وأما مماتي فان اعمالكم تعرض علي ، فما كان من حسن استزدت الله لكم،وما كان من قبيح استغفرت الله لكم . فقال له رجل من المنافقين: وكيف ذاك يا رسول الله وقد رممت ؟ فقال له رسول الله (ص) :كلا ، ان الله حرم لحومنا على الارض فلا تطعم منها شيئاً»(٣)

---

(١) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) - الكافي - الفروع - ج ١ ص ٦٧. بحار الانوار ج ٦ ص ٢٦٨ .

(٣) - بصائر الدرجات : ١٣١. بحار الانوار ج ٢٢ ص ٥٥٠ .

وفي حديث آخر : «حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم .ومماتي خير لكم، تعرض علي اعمالكم، فان رأيت حسناً جميلاً حمدت الله على ذلك ، وان رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم» (١)

قال سماعة: سمعت اباعبدالله الصادق عليه السلام يقول: «مالكم تسوؤن رسول الله (ص)؟ فقال له رجل :جعلت فداك وكيف نسوؤه ؟فقال: اما تعلمون ان اعمالكم تعرض عليه، فاذا رأى فيها معصية الله ساءه ، فلا تسوؤا رسول (ص) وسروه» (٢)

وقال الامام الصادق ـ عليه السلام ـ :«ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يعرض عليه اعمال امته كل صباح ، ابرارها وفجارها ،فاحذروا . وهو قول الله عز وجل: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»(٣) والمؤمنون هنا هم الائمة عليهم السلام .

* * *

اعتراضات :

نجابه باعتراضات يوجهها أصحاب الفكر الوهابي، وربما تكون لبعضها جذور من عهود غابرة أثارها المهرجون في هذا العصر ، ونحن نعرض هذه الاستشكالات على صعيد النقد الموضوعي ، باحثين عن قيمتها في مجال النظر والاستدلال .

وقبل ان نعرض ذلك نكرر القول بان الشفاعة التي نروم اثباتها او الدفاع عنها ـ كعقيدة اسلامية مقدسة ـ لاتعدو ان تكون دعاء وابتهالا يقوم به ذوو الجاه العريض عند الله تعالى فيستجيب دعاءهم في غفران ذنوب المشفوع لهم ، فالشفاعة والاستغفار شيء واحد ، وهي احدى وسائل التوبة والانابة والاستغفار ، وكل ذلك في جنب رحمة الله الواسعة شيء يسير. **وقل لعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً . ولسوف يعطيك ربك فترضى . ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة .**

(١) ـ بصائر الدرجات : ١٣١ . بحار الانوار ج ٢٢ ص ٥٥١

(٢) ـ بحار الانوار ج ٢٢ ص ٥٥١

(٣) معاني الاخبار : الصدوق . ص١١١ بحار الانوار ج ٢٣ ص ٣٤٠ .

الاعتراض الاول :

ان سنة الله جرت بنظم الامور واتساق العلل والمعاليل بصورة عامة : اي ترتب المسببات على اسبابها الخاصة ، من دون اي تخلف او احتلاف . هذا ما قضى الله في نظام الخلق ، وقضاء الله كائن لا محالة «لا راد لقضائه» .

«فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» (١)
وقد قال تعالى :«هذا صراط على مستقيم ،ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين» (٢)

فلو اثرت الشفاعة في رفع العقاب عن جميع المجرمين كان ذلك تخلفاً صريحاً فيما حكم به رب العالمين من ترتب العقاب على الاجرام ، وان اثرت في رفعه عن البعض دون البعض كان ذلك اختلافاً واضحاً في قانون النظم العام .

نعم كانت الشفاعة تؤثر في الاحكام البشرية المنبعثة عن الاهواء والمصالح الوقتية غير الثابتة ، اما القوانين الالهية الحكيمة فانها مبتنية على حكم ومصالح ثابتة غير قابلة للتبدل والتحويل .

والجواب :

ان الشفاعة وتأثيرها في رفع العقاب ايضاً من سنة الله الجارية في خليقته. فكما كانت لتحقق العقاب اسباب خاصة ، كذلك كانت لرفعه ايضاً أسباب منها الشفاعة والتوبة والاستغفار: «**قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً**»(٣) فلابد للمغفرة من أسباب أيضاً وفق قانون النظم العام.

والعلة في تأثير الشفاعـة والتوبة والاستغفار في رفع العقاب المتوعد هو تبدل الموضوع رأساً على عقب ليصبح القاصر بالغاً والقبيح مقبولا .

ان لله اسماء حسنى فادعوه بها ، كل اسم هو مظهر لصفة من صفات الله العليا، فاذا حكم على العاصي بالعقاب اقتضاء لصفة قهاريته ، فسوف يغفر له او ينجيه من العذاب اقتضاء لسمة رحمانيته ـ .كل صفاته تعالى تعمل في توجيه عوالم الخلق والملكوت

---

(١) فاطر : ٤٣ . (٢) الحجر: ٤٣ . (٣) الزمر : ٥٣ .

وتسيير مناهج العدل والفضل والرحمة . فالعاصي المتمرد يعاني شقاءه في العذاب وفق قانون العدل في الجزاء. اما التائب المستغفر المستشفع فينعم برحمة الله الواسعة، تلك سنة الله جرت في خلقه لاتبديل لسنة الله .

الاعتراض الثاني :

الشفاعة بمعناها المعروف ـ حمل الشافع المشفوع ـ عنده على التغيير من عزمه وفسخ ارادته بشأن المستشفع ـ مستحيل على الله ، نظراً لأن فسخ العزيمة اما ان يكون عن خطأ تنبه له بعد غفلته عنه ، فرأى العدل في خلاف عزيمته الاولى بفضل ارشاد الشفيع . او لتفضيله مصلحة ارتباطه بالشفيع على العدالة التي كان عازماً على تنفيذها .وكلا النوعين ممتنع في حق الله ، العالم بحقيقة الصالح، وان احكامه وقضاءه وفق المصالح لاتتغير . لأن ارادته تعالى تكون على حسب علمه ، وعلمه ازلي لايتغير (١) .

والجواب :

ان الشفاعة ـ كما سبق معناها ـ: دعاء وابتهال الى الله ان يغفر ذنب عبده التائب بفضله ورحمته ـ وليست تحميلا على الله في فسخ عزيمته ، بل تبديل لموضوع حكمه السابق ، من حالة الى اخرى ، فيتبدل حكم الله حسب تبدل الموضوع، فمن عاص مقصر الى تائب نادم ،ومن تائه حائر الى واجد للوسيلة الناجحة .

وكلا الحكمين قضاء الله منذ الازل من غير تبدل في حكمه ولاتغيير في قضاءه فالارادة الازلية بغفران ذنب المستغفر المستشفع هي قد تعلقت به عقيب استغفاره واستشفاعه بجاه نبي رحمته،«يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب»(٢) فالمحو للقضاء السابق واثبات اللاحق انما هو حسب الأسباب الظاهرة ، اما ارادته الأزلية فهي ثابتة في ام الكتاب لم يعرضها اي تبدل او تغيير .وبهذا نفسر النسخ والبداء والمحو والاثبات.

للبحث صلة

---

(١) راجع تفسير المنار، ج١ ص٣٠٧ (٢) الرعد : ٣٩ .





ابو علي - بيروت

ياطلال الاسلام : هل في ضمير الغيب .. عبرالحياة للنور حد
أترانا نرضى الضلام لدنيانا ليجري على خطى الليل مجـد
انخاف ارتجافة النور فى الكون اذا اشتد فيه برق ورعـد
أترانا نخشى جفاف الينابيع اذا امتد للينابيع ورد

* * *

لن يموت الضياء ، لن يرهق الرحلة فى الفجر منه قبل وبعـد
لن يجف الينبوع مهما تغنى الزرع فى حقله وأزهـر ورد
هو يسقي الجذور حتى اذا امتدت ثمار واشتد للغصن زنـد
فتح الحقل للندى قلبه الظامىء فانهل بالينابيع يشدو

* * *

ياطلال الاسلام : قد تظلم الروح اذاعاش وحيها فى الدياجي
واستكانت لليل يرهق نجواها بوحي معكر بالعجاج
وترامت مع الرياح تثير العمر كالبحر فى مدى الامواج

غير ان الايمان يشرق في الروح فتنساب بالسنا الوهاج

* * *

ياظلال الاسلام: مازالت القصة فينا : ان الطريق طويـل
يلتقي فيه حاضر اليوم في موعدنا الرحب ، والغد المأمول
فاذا أتعست خطانا الدياجير ، فقد يستريح في التيه جيـل
ويقولون :ماالذي يعجل الركب ،فقد يحسر ، الرهان العجول

* * *

ويظلون يستريحون ، يحيون كسالى ، ففي غـد نستعـد
واذا جدت القوافل في السير ونادى الحداة ياقوم حـدوا
انها فرحة الحياة ، ففي الريح هـدوء،وفي الكواكب سعد
همهم القوم : ان ربك لايرضى بأن يثقـل الطليعة جهـد

* * *

انه ينصر الذين يصلون ،ويحيون دعاء الخشوع في الأسحار
وينامون بعد ليل طويل رنحته تلاوة الأذكار
نومة الحالمين بالجنــة الخضـراء بالخلد بالضحى السوار
بالنعيم الذي تصفق فيه نعميات الخلود للابرار

* * *

ياظلال الاسلام مازال في الدرب بقايا من خائفين حيارى
يفتحون العيون للظلمة الشوهاء ، للريح اذ تثيـر الغبـارا
ويسيرون مطـرقين الى الارض اكتئاباً وحيـرة وفـرارا
لايطيقون في الحياة انطلاقاً يتحدى بعزمه الأسرارا

* * *

همهم في الحياة ان يخلـدوا للارض لايحملـون للعمر هما
انهم ها هنا يرشون بالاحلام درب الحياة ، حربا وسلما
فاذا الحرب هددوهم ارادوا النصر لطفا من السماء ونعمى

واذا اشرق السلام ، يدعون للخصب ان يرفرف حلما

* * *

وحيهم ان تظل للسمر الحالم دنياه في اغاني السلام
يقف الدهر عندها متعب الخطو يناجي طلائع النوام
يسلمون الحياة للخدر النشوان يغري السراة بالاوهام
ويعودون يهمسون لمن يرعى خطى الفجر بانطلاق الظلام

* * *

هكذا يحلمون بالقمم البيض بروح خفيفة الاحمال
ثم يصحو الضحى وتنطلق اليقضة بالوحي فى دروب النضال
ايها النائمون : لن يكسب الغاية الا طلائع الاجيال
هؤلاء الذين يحتضنون الحق نوراً يضيء افق الليالي

* * *

ايها القاعدون فى اول الدرب يشيرون للقوافل هزوا
يضحكون السمار للواثب الصامـد يشتد بالعذاب ويقـوى
ويقولون للطلائع ، والجـرح عميق ، يفيض بالنور زهـوا
لو بقيتم هنا ، لاورقت النعمى لديكم وحيا ولحنا ونجوى

* * *

ايها القاعدون فى الدرب يزهو بهم الليل فى نجاواه شعرا
من تكونون اي معنى لدنيا كم اوماذا ان عشتم العمر ، هجرا
فضل الله كل من سار فى الدرب مجداً يرعاه سراً وجهرا
كل من عاش للجهاد ، ولم يحيى لتبقى الحياة ، بالوهم ، سكرى

* * *

انهم هاهنا ، وراء النداء الحر يدوي في كل حيل ويضري
ويمدالقلب المعذب حتى يتسامى بالحق ،فخراً وكبرا
ويثير الايمان في كل فكـر مزقته الأوهـام بالشك قسـرا
ويهز العروش حتى يكاد التاج يهوي من المفارق ذعرا

* * *

انهم هاهنا الذين يعيشون ، مع البؤس ، في جلال وصبر
في ظلام السجون تشرق نجواهم فتسمو بالنعميات وتجري
ويعيشون غفوة الحلم ـباسمالله ـ عبرالجهاد . في كل امر
ويظلون يحشدون قوى اليقظة ، حباً ، لكل مطلع فجـر

* * *

هؤلاء الذين يحيون للاسحار بالذكـروالهدى والخشـوع
فاذا اقبل الصباح ، فهمأسد يثورون للكيان الصريع
وهداة يوحون للجيل أن يفتح آفاقه لوحي رفيع
واكف تمد للمدنف العاني لترعاه في حنان وديع

* * *

الامام الحسين والبشارة

الشيخ عبد اللطيف بري ـ لبنان

مسافر جئتك للزياره
حططت أثقالي بصحن دارك الكبير
طوفت حول قبرك الشريف
عبرت تاريخي دخلت نفسي
بحثت عن شراره
عطشان يامولاي للبشاره ...
بحثت عنك... صدني البواب
وقال :هذا زمن الغياب
تنطفيء الدماء في الحجارة
وتسكن الالام في الحجارة ...
... وحينما شاهدت أوجاعك في العيون
وصوتك الصارخ ، في السيوف
يستبق الحتوف
تفجر الضريح ، كان البدء والاشارة

عبق المروءة

عبد المجيد عبد الحميد ناجي

جئنا نغنيك ياارض البطولات ونترع الكأس من خمر المسرات
ونحتسيها بحب المجتبى حسن لانختشي في الولا لوم الملامات
جئنا نجدد عهدا طالما هتفت شوقا اليه قلوب في الملمات
عامان مرا ولم نشهد لكم نغما على الشفاه ولا تلك المبرات
حتى ظننا بان الضرع قدنضبت البانه وذوى زهر الشجيرات
واليوم عدنا وعاد الخير يجمعنا مجددا وهو يزهو في مباهاة
ابناء ودي كيف اليوم حالكم وكيف انتم على قرب المسافات
وهل نسيتم لبعد العهد اغنية عزفت الحانها بين الخميلات
كم صفقت طربا هذي القلوب وكم غنت معي في الولا لحن الكرامات
(اني على العهد لم انقض مودتكم) فهل بقيتم على عهد المودات
(عندي رسائل شوق لست اذكرها) لولا الحياة لقداقلعت مرسات

* * *

يانغمة الطائر الميمون طالعه انغام مجدك تنهي غفوة الذات
بك النفوس تهادت هزها طرب الى حمياك يانبع الشهامات
فالمشاعر اعراس يداعبها طيف الوليد وريحان النبوات
فننتشي بهجة نسمو بها ألقاً لعالم القدس في اسمى الحضيرات
نفس من اللطف صيغت كلها عبق من الفضيلة في دنيا الكرامات
يممت جودك استجدي عطيته فعدت ارفل في نعمى العطيات
فالجود ينمى الى علياك مفتخراً والطيبات واعراق المروءات
شمائل اسكر التاريخ جوهرها قدانتهت لك من خير السلالات

شجاعة المرتضى فى طهر فاطمة ... فى حلم احمد فى نور الرسالات
قلب علي الحقد يسمو وهو ممتلىء ... نبلا، ترفع عن تلك الدنيات
تصد بالصبر سهم الغدر سدده ... كف الجبان وارباب الخيانات
يا اشبه الناس بالمختار معذرة ... ان خانني النطق اوصوغ العبارات
اذ كيف امدح من، من اجله خلقت ... هذي الانام وسكان السموات

* * *

يا ابن البتول ارى الدنيا تزعزعها ... هوج الرياح وامواج الجهالات
في كل يوم لنا دعوى نغازلها ... حينا لنعشق اخرى بعد ساعات
لقد غزينا وشر الامر أن بنا ... داء تسرب من تلك الدعايات
مقلدين اذا سرنا ولو وصلت ... بنا الطريق الى درب المتاهات
غام الضباب على عين الجميع فما ... راحت ترى غير اوهام الخيالات
رحنا نقايض ايمانا بسفسطة ... ونذبح العقل قربان الخرافات
مباذل الجنس صارت كعبة ولها ... حج الشباب زرافات زرافات
من كل رخو صقيل الخد تحسبه ... اذا التقيت به بعض الفتيات
ما بالتخنفس يعطي الحق صاحبه ... او بالمجون نرى دنيا الحضارات
ياواهمين افيقوا ان طائركم ... قد اوقعته احابيل الملذات
هذي الشراك قد امتدت حبائلها ... فاحرقوها بنيران الرجولات

* * *

ياما لئي سمع هذي الارض من صخب ... هو الضجيج باسواق المزادات
كفوا النواح فما ابقيتم احدا ... يصدق اليوم هاتيك المناجات
كل الاناشيد ضاعت حينما انطلقت ... من البنادق اصوات الرصاصات
والعنتريات ولت وهي هاربة ... عند اللقاء كاسراب النعامات
بضع تمر وما بالافق بارقة ... على الطريق ولا نور لمشكات
كانما لم يكن منا ابو حسن ... ولا حسين الفدا رمز الشهادات

ياطالبي السلم من اعدائهم عبثا ومرتضي النوم فى كهف المذلات
كيف السلام وهذا القدس منتهب وقد اهين باقدام الحثالات
انا الى الثأر ظمأى لا الى خطب بمجلس الأمن تلقى بين اموات
هذا حزيران ولى فازرعوا املا بين القلوب ليعطي الانتصارات(*)

* * *

اني اهنيك ان قد حزت مكرمة فاقت بروعتها كل الكريمات
غدا ستحظون بالنعمى ويشملكم ابو الائمة فى خير الشفاعات
حتى كاني بكم لذتم بساحته وطاف بينكم كاس الموالات
وخصكم باريء الدنيا برحمته وقيل هيا الى حور وجنات
ومن يكن بولاء البيت معتصماً فلن يحيق به مكر الضلالات
ارى الدروب كثيرات قد اشتبكت مسالكا واشتكت هول المفازات
لكن درب علي لاح منبلجاً كالصبح يسخر من وقع البهيمات
مامثل دين الهدى دين ألوذ به وليس الا بحبل الله مـرقاتي

* * *

يابن البتول وهذي احرف ثملت بها اللغات والحان التلاوات
رتلت باسمك قرآني فكنت لـه نوراً تلالا فى شعري وآياتي
قد همت فيكم ويدري الله ان لنا قلباً تفجر من فيض الموالات
اني موال لمن والاكم وعلى اعدائكم معلن بغضي وامقاتي
فلا وربي لم يخطر بذاكرتي يوما سواكم ولم يعرض بمرآتي
فانتم كعبتي والركن حسبكم وانتم الذكر فى جهري واخفاتي
وانتم عدتي يوم الحساب وما الا بحب ولاء البيت منجاتي

(*) كان هذا قبل معركة رمضان الضافرة التى اثبتت فيها الجيوش المسلمة جدارتها فى ميدان الجهاد المقدس ، وانها ـ بحق ـ البارقة التى تمناها الشاعر والتى ينتظر الملايين من المسلمين أن تكون البداية لاسترجاع الحقوق الكاملة .

شموع وقناديل

اخترنا هذه المجموعة الشعرية بمناسبة الحرب المقدسة في رمضان الخالد ، وقد نظمت بعضها بعد المعركة الظافرة كما ان بعض المقطوعات الاخرى قيلت قبل المعركة ونظراً الى انها كانت تعبر عن الاماني والامال التي عاشها شعبنا المسلم في كل مكان اثرنا نشرها سائلين الله العلي القدير أن يحقق آمال المسلمين تحقيقاً كاملا بالنصر المؤزر والفتح المبين.

الى مصر *

فاروق جويدة

فلتسلمي يا مصر . . .
اني رفعت اليوم رأسي للسماء
اني اخذت اليوم ثأر الابرياء
اني قتلت الحزن . . ودعت الشقاء
وأعدت في سيناء ذكرى الانبياء
الله اكبر قد هزمنا اليأس فانطلق النداء
سنحرر الارض السليبة كي يعود لها الضياء

* * *

فلتسلمي يا مصر . . .

---

* عن مجلة الزهور ملحق «الهلال» المصرية .

اني رأيت محمداً بين الجيوش الظافرة
اني رأيت ضياءه ينساب فوق القاهرة
وسمعت صوت الله يخفق فى القلوب العامرة
أنتم حماة الارض أنتم عزها
والموت فى الدنيا حياة الاخرة

* * *

الله اكبر يامحمد هل ترى
انا صنعنا اليوم بدرأثانية
الحزن فرقنا فاصبح عمرنا
يأساً عقيما . . او امانى واهية
ثم انتفضنا كالاسود يشدنا
ثأر قديم او جراح دامية
فرأيت جند الله يوم الملتقى
ناراً تصب على النفوس الباغيه

* * *

ان كان فى عمري بقايا امنيه
ان ترجع الارض التي ضاعت لكل اللاجئين
ان تشرق الشمس التي هجرت دروب الحائرين
ان ترجع القدس الحبيبة قلعة للثائرين
ان نغرس الاحلام تثمر فى قلوب اليائسين
ونعود نلقي خلفنا جرح السنين . .
ونعيد أرض الانبياء
ونظل نرفع رأسنا فوق السماء
فلقد هزمنا اليأس فيها والشقاء
وغدا تعود الارض يملؤها الضياء

سيعود الحق السليب ..

ياجيوش العرب المرابطة اليوم بعزم الحفظ تلك الثغور
جددي العزم واحلعي كل بأس واستعدي فاليوم يوم مصير
زمجري ارعدي اكفهري اغيري دمري اليوم كل حصن وسور
وارفعيها - الله اكبر - يا صهيون يا عصبة الخنا والفجور
هاكها ضربة تريك نجوم الليل في حمئة الضحى المسعور
سيعود الحق السليب بعون الله في ثورة العبيد الجسور
فاحسأي يا عناصر الظلم والعدوان فالله فوق كل كبير

جعفر الهلالي

لا تتركوا القرآن..

يا ايها الجندي محض بطولة لك في ميادين النضال السرمدي
اعطيت مضمار الرجولة حقه وصمدت فيه كصخرة من جلمد
بعقيدة في القلب غير ذميمة وصلابة في العود لم تتخضد
ستظل ساحات الوغى لك شاخصاً بالحمد يرفل ، والعزيمة يرتدي
بجهادكم وجهودكم بلع المنى شعب بغير الحق لم يتجند
لا تتركوا القرآن خلف ظهوركم فكيانكم بسواه لم يتشيد
فبدفتيه جلاء ليل اربد وبه نطل على صباح اسعد

محمد حسين الصغير

الي سوريا ..

عاشت دمشق فلا عتبى ولا عتب   لقد أرتنا نضالا كلـه عجب
يوم تجهم وجه البغي وانبعثت   قواذف الشر يسرى جيشها اللجب
نيرانه تملا الاجواء قاذفة   لهيبها ، ضاق فيها افقها الرحب
وتقتفيها اساطيل مدمرة   حتى ادا أحذت للغاب تقترب
هبت مغاوير سوريا مشمرة   كالاسد لم يثنها خوف ولا رهب
فهل رأيت اسود الغاب مغضبة   دون الحمى ، أرأيت الليث اد يثب

السيد جواد شبر

خير شعار ..

نهضأليوث العرب والاسلام في   عز لكم امضى من البتار
نادوا : فلسطين اشهدي لبيك قد   ثرنا بوجه الغاصب الغدار
لنطهر الوطن السليب من العدى   تالله لابقي لهم من دار
ثرنا بايمان وصدق عقيدة   وبعزمة للثائر المغوار
ثرنا بفرض جهادنا ، وشعارنا   (الله اكبر) وهو خير شعـار

السيد عبد الرسول الكفائي

بيعة الإمام الرضا ع.

ظروفها وأسبابها

السيد جعفر مرتضى

عندما بدأ نجم الامويين بالافول ، وبداواضحاً أن حكمهم لن يستطيع الصمود طويلا ، في وجه المشاكل والصعاب ،الكثيرة والكبيرة،والتي كان لانحراف الحكم نفسه اثر كبير في خلقها وايجادها ... كانت الدعوة للعلويين ، واهل البيت ، تزداد قوة واتساعاً يوماً بعديوم..وبايع رجال بني العباس ـ وحتى السفاح ، والمنصور ـ للعلويين اكثر من مرة..

ولكن العباسيين الذين استغلوا الموقف ، ونجحوا في القضاء على الامويين ، والوصول الى الحكم .. استقلوا بالامر مدعين وصول الخلافة اليهم بالارث . ولم يكتفوا بهذا وحسب ، بل انقلبوا على بني عمهم ، العلويين ، والذين كانوا اقوى حجة منهم ، واكثر جدارة ، واهلية للحكم ـ انقلبوا عليهم ـ يوسعونهم قتلا وعسفاً وتشريداً ... لانهم أدركوا أنهم مصدر الخطر الحقيقي عليهم ، وعلى مستقبلهم في الحكم...

وكان لذلك ـ وخصوصاً مع ملاحظة سيرة بني العباس السيئة في الحكـم ، ومعاملتهم للرعية ـ نتائج خطيره ، وعكسية، بالنسبة اليهم ..فقد أدى الى نمو تعاطف الناس مع العلويين ، وازدياد احترامهم وتأييدهم لهم ،وعلى الاخص لما كانوا يرونه من نزاهة العلويين ، وابتعادهم عن كل ماهو مشين ومهين ، ولانهم كانوا يرون بينهم شخصيات فيها كل الجدارة ، وتمتلك كافة المؤهلات لقيادة الامة ، قيادة صالحة

وسليمة .. لقد اصبحت الامة ترى في العلويين الامل الحي ، الذي تحيا بـه ، وتحلو معه الحياه ..

وازدادت قسوة العباسيين على العلويين ، حتى لم يعد لاحتمالها سبيل . وثار العلويون في وجه الظلم ، ولكن لم تنجح ثوراتهم تلك، حيث لم يسبقها التخطيط والاعداد الكافيان ..فلم يكن العباسيون ليعطوهم الفرصة لاي تخطيط او اعداد، يمكن ان يصل الى درجة من القدرة تمكنه من ان يذهب بدولة الجبارين ..

وفي زمن المأمون كانت قد وصلت ظروف الحكم العباسي ـ وخصوصاً المأمون ـ الى درجة خطيرة جداً ..

فالمأمون .. لا يرضى به العباسيون خليفة ، رغم فضله وكياسته، ويرجحون أخاه الامين عليه ، كما اعترف بذلك الرشيد نفسه(١) .

والامين .. أمه زبيدة ، حفيدة المنصور ، وأعظم عباسية على الاطلاق ، وقد مارست ضغطاً كبيراً على الرشيد من اجل ضمان تقديم ابنها في ولاية العهد ، كما اعترف بذلك الرشيد ايضاً ، كما انها استعملت نفوذها في اقناع رجال الدولة بذلك، وعلى الاخص أعظم رجل في بلاط الرشيد ، الفضل بن يحيى البرمكي (٢)، الـذي كان ولدها في حجره .

أما المأمون . . فامه جارية ، «خراسانية» ، كان المأمون يعير بها ، حيث كانت أشوه واقذر جارية في مطبخ الرشيد ، وقد ماتت ايام نفاسها به(٣).

والعرب ايضاً يفضلون الامين على المأمون ، لان أمه ، والقائم بأمره ، الفضل بن سهل فارسيان .وقد عانوا من تقديم الموالي عليهم ، حتى صرح المسعودي في مروج الذهب ، أن العرب بادت ، وذهبت رئاستها، في بدء عهد الدولة العباسية ..

واذا كان رجال الدولة ، وخصوصاً الفضل بن يحيى ، والعباسيـون ، وزوجـة

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٣٠٧ ، والاخبار الطوال ص ٤٠١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٧٢ .

الرشيد زبيدة ، والعرب ـ كلهم ـ يفضلون الامين ، فماذا يمكن أن ننتظر من المأمون، الا ان يتطلع الى الايرانيين ويقربهم اليه، وأن يظهر لهم الحب لما يحبون، والكراهة لما يكرهون .. واظهر اليهم حتى الحب لال علي ، عندما علم ان ذلك يـرضيهم ، ويوافق هوى نفوسهم .. فما كان من هؤلاء الا ان مدوا له يدالعون ، وساعدوه في الوصول الى الحكم اصدق المساعدة، وكانوا جنده، وقواده، ووزراءه المخلصين، الذين اخضعوا له البلاد ، وأذلوا له العباد ، وبسطوا نفوذه وسلطانه على كثير من الولايات والامصار ، التي كان يطمح للسيطرة عليها .. بعد ان قتل أخاه ، العزيز على العباسيين خاصة ، والعرب عامة، والذي كان لمقتله اثر سيىء على سمعة المأمون، وكان هذا وحده كافياً لزعزعة ثقة الناس به ، وتأكيد نفورهم منه ، سواء في ذلك العرب، أو غيرهم .. ولقد كان قتله واشياعه بسيوف غير العرب ، وهو ذنب آخر لن يكون من السهل الاغضاء عنه ، أو غفرانه ..

أما العلويون .. فانهم لن يرضوا بالمأمون ، كما لن يرضوا بغيره من العباسيين، خليفة وحاكماً ، لانهم من تلك السلالة التي سفكت دماءهم، وشردتهم عن ديارهم، وسلبت اموالهم ، ويكفيه عندهم انه ابن الرشيد ، الذي كان يتتبع كل من كان ذا نباهة وشأن من آل ابي طالب (١) ، والذي اقسم ليقتلنهم وكل من يتشيع لهم (٢)، والذي قتل بالامس قائدهم وسيدهم الامام موسى الكاظم (ع) ، والذي بلغ من ظلمه لهم ان جعل البعض يتوهم : أن المأمون انما جعل ولاية العهد بعده للرضا (ع) ؛ من اجـل ان يمحو ما كان من امر الرشيد في آل علي(٣).

وبعد كل ماتقدم فلا يكون من الصعب علينا ـ كما لم يكن من الصعب على المأمون أيضاً ـ وهو أفعى الدهاء والسياسة ـ أن ندرك ، ونتصور مدى الخطر الذي كان يتهدد وجوده في الحكم ، وبالتالي مستقبل الخلافة العباسية بشكل عام .. والى

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٩٣ .
(٢) الاغاني ج ٥ ص ٢٢٥ طبع دار الكتب بالقاهرة .
(٣) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٤٧ ، والبحار ج ٤٩ ص ١٣٢ وغير ذلك .

ى حد كان مركز المأمون ضعيفاً ، وموقفه حرجاً ، وخصوصاً وهو يواجه الثورات(١)
، الأخص ثورات العلويين ، أقوى خصوم الدولة العباسية ، تظهر من كل جانب ومكان ،
ى اطراف دولته ، وكل ناحية من نواحي مملكته.

فابو السرايا ـ الذي كان يوماً مامن حزب المأمون (٢) ـ خرج بالكوفة ، وكان
ر واتباعه لايلقون جيشاً الا هزموه ، ولايتوجهون الى بلدة الا دخلوها ، (٣) ويقال :
، قتل من اصحاب السلطان ، في حرب ابى السرايا فقط ، مئتا الف رجل ، مع أن
.ته من يوم خروجه الى يوم ضربت عنقه لم تزد على العشرة اشهر (٤)..

وخرج حتى في البصرة العثمانية ، زيد النار (٥) ، ومعه علي بن محمد ، كما
ـرج منها من قبل على المنصور ، ابراهيم بن عبدالله .

وفي مكة ونواحي الحجاز : محمد بن جعفر ، الذي كان يسمى بالديباج ،
نسمي بـ «امير المؤمنين»(٦).

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٣ / ١٧٤ وغيره ، ليتضح لك كيف ان الثورات
نت قد عمت جميع الاقطار في الفترة الاولى من عهد المأمون .

(٢) ففي تاريخ الطبري ج١ص٢٣٦ قال المأمون لهرثمة : «مالات اهل الكوفة والعلويين ،
اهنت ، ودسست الى ابي السرايا حتى خرج ، وعمل ما عمل ، وكان رجلا من اصحابك الخ» ..
ثله ايضاً في الكامل لابن الاثير ، طبعة ثالثة ج ٥ ص ١٧٩ ، وتاريخ ابن خلدون ج٢ ص٢٤٥
ير ذلك .

(٣) مقاتل الطالبين ص ٥٣٥ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٥٠ .

(٥) سمي بزيد النار ، لانه حرق دور العباسيين في البصرة بالنار ، وكان اذا اتى برجل
ن المسودة احرقه بثيابه ، راجع الكامل لابن الاثير ج ٥ص ١٧٧ ، والطبري ج ١١ ص٩٨٦
اريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٤ .

وفي الروايات ان اخاه الامام الرضا(ع) اظهر الاستياء من فعله .

(٦) وليس في العلويين ـ باستثناء الامام علي طبعاً ـ قبله ولا بعده من تسمى بأمير المؤمنين
ره ، كما في مروج الذهب ج ٣ ص ٤٣٩ ، و «الديباج» لقب لاكثر من واحد من العلويين .

وفي اليمن : ابراهيم بن موسى .
وفي المدينة : محمد بن سليمان بن داود
وفي واسط ، التي كان قسم كبير فيها يميل الى العثمانية :خرج جعفر بن محمد بن زيد بن علي ، والحسين بن ابراهيم ، بن الحسن بن علي .
وفي المدائن: محمد بن اسماعيل بن محمد.

الى غير ذلك ، مما لا مجال لنا هنا لتتبعه .

أما ثورات غير العلويين فكثيرة أيضاً ، وكان منها ما يدعو الى الرضا من آل محمد ، كثورة الحسين بن هرش سنة ١٩٨ هـ ..(١) وسواها ، وقد اشار اليعقوبي في تاريخه ، وغيره من المؤرخين الى العديد من ثورات غير العلويين ، لامجال لنا لذكرها هنا .

الا ان الذي كان يكمن فيه الخطر الحقيقي هو ثورات العلويين ، لانها كانت تظهر في مناطق حساسة جداً في الدولة ، ولانها بقيادة اولئك الذين يمتلكون من قوة الحجة ، والجدارة الحقيقية ، ماليس لبني العباس فيه ادنى نصيب .

وكان في تأييد الناس لهم ، واستجابتهم السريعة لدعوتهم ، دلالة واضحة على شعور الامة بمختلف طبقاتها ، وفئاتها تجاه حكم العباسيين ، ونوعية تفكيرهم تجاه خلافتهم وعلى مدى الغضب ، الذي كان يستبد بالنفوس نتيجة استهتار العباسيين ، وظلمهم ، وسياساتهم مع الناس عامة ، ومع العلويين بوجه خاص .

واذا أضفنا الى كل ما تقدم : أن العلويين ، وقسماً كبيراً من الناس ، بل وعامة المسلمين ، لم يكونوا قد بايعوا ـ بعد ـ للمأمون أصلا ، تكتمل امامنا الصورة للوضع الذي كان يواجه المأمون ، ومدى حراجة موقفه آنذاك ..

فأهل الكوفة لم يكونوا قد بايعوا للمأمون بعد، حيث انهم لما ذهب اليهم العباس بن موسى بن جعفر ، أخو الامام الرضا (ع)، أجابه قوم كثير منهم، وقال له آخرون: «ان كنت تدعوا للمأمون، ثم من بعده لاخيك ، فلاحاجة لنا في دعوتك ، وان كنت

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٤ والطبري ج ١١ ص ٩٧٥ .

تدعوا الى اخيك ، أو بعض أهل بيتك أو الى نفسك ، أجبناك الخ» (١) ..

وأما أهل بغداد فحالهم أشهر من أن يذكر ..

وقد كتب المأمون ، بخط يده في وثيقة ولاية العهد للامام الرضا (ع) ، يقول : «ودعا أمير المؤمنين ولده ، واهل بيته ، وقواده ، وخدمه ،فبايعوا مسارعين... الى أن قال : فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، ومن بالمدينة المحروسة ، من قواده وجنده،وعامة المسلمين لامير المؤمنين، وللرضا من بعده ، علي بن موسى الخ..(٢)».

فقوله : لامير المؤمنين وللرضا من بعده الخ،يدل دلالة واضحة على أن عامة المسلمين ماكانوا قد بايعوا له بعد «لامير المؤمنين» ، فضلا عن «أهل المدينة المحروسة».

وحتى لو أنهم كانوا قد بايعوه ، فان بيعتهم هذه وجودها كعدمها، اذ ان عصيانهم وتمردهم عليه ، وعلى حكمه لم يكن ليخفى على احد ، بعدما قدمناه من ثوراتهم تلك التي كانت تظهر من كل جانب ومكان ، وكان كلما قضى على واحدة منها تظهر أخرى ، داعية لما كانت تدعوا اليه الاولى ، أي الى الرضا من آل محمد ، أو الى احد العلويين .. ولم تستقم له في الواقع الا خراسان فقط .. نعم .. بعد أن عاد الى بغداد .. وكان قد قوي أمره ، بدأ الناس يبايعونه في الاقطار ، ويتعللون بأن امتناعهم انما كان ظاهرياً ، وأنهم كانوا في السرمعه ، وعلى ولائه ، كما صرح به اليعقوبي في تاريخه .

هذه باختصار كانت حالة الحكم العباسي بشكل عام ، وحالة المأمون ، وظروفه فيه بشكل خاص .. وكان الوضع يزداد سوءاً ، يوما عن يوم ، ولم يكن لينقذ الموقف القوة والعنف ـ والذي يعاني المأمون بالفعل من نتائجه السيئة مايعاني . كما لم يكن لينقذ الموقف المنطق والحجاج ، لأن العلويين أقوى حجة من

---

(١) تاريخ الطبري ج ١١ ص ١٠٢٠ طبع ليدن . ويلاحظ هنا كيف قد اختير رجل علوى ، وأخو الامام الرضا بالذات ليرسل الى الكوفة ، المعروفة بالتشيع للعلويين .

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ١٢٦ ، والبحار ج ٤٩ ص ١٥١ ، وقد اورد وثيقة العهد عدد من المؤلفين ، نذكر منهم القلقشندى في صبح الاعشى ، والشبلنجي في نور الابصار وابن الصباغ المالكي ، في الفصول المهمة ، وابن الجوزى في تذكرة الخواص ، والسيد الامين في اعيان الشيعة وغيرهم ..

العباسيين ، لانهم يمتلكون اعترافاً صريحاً منهم بأن المستحق للخلافة هو الاقرب نسباً الى النبي (ص) هذا فضلا عما كانوا يتمتعون به من الجدارة والأهلية الذاتية لقيادة الامة ..

لقدكان على المأمون أن ينقذ الموقف ،حتى لاتلقى خلافته على ايدي العلويين ما لقينه خلافة الامويين على ايادي العباسيين من قبل ..

لقد كان عليه أن يقوي من دعائم حكمه ، الذي هو بالنسبة اليه كل شيء ،وليس قبله ، ولا بعده شيء . . لقد كان عليه ان يقوى من دعائمه حتى لايطمع فيه طامع ، ولا تزعزعه العواصف : ولا تنال منه الانواء ، مهما كانت هوجاء وعاتية .

وكان انقاذ الموقف يتوقف على :

١ ـ اخماد ثورات العلويين .

٢ ـ ان يحصل على اعتراف من العلويين بشرعية خلافة العباسيين ، ليكون بذلك قد افقدهم سلاحاً قوياً ، لن يقر له قرار الا اذا أفقدهم اياه .

٣ ـ استئصال ـ هذا العطف ، وذلك التقدير والاحترام ، الذي كانوا يتمتعون به ، وكان يزداد يوماً عن يوم ـ استئصاله ـ من نفوس الناس نهائياً ، والعمل على تشويههم امام الرأي العام ، بالطرق والاساليب ، التي لاتثير الكثير من الشكوك ، والشبهات ، حتى لا يقدروا بعد ذلك على التحرك ، ولا يجدوا المؤيدين لاية دعوة لهم ، وليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائياً ، سهلا وميسوراً .

٤ ـ اكتساب ثقة العرب ومحبتهم .

٥ ـ استمرار تأييد الخراسانيين ، وعامة الايرانيين له .

٦ ـ ارضاء العباسيين ، والمتشيعين لهم ، من اعداء العلويين .

٧ ـ تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون ، الذي كان لقتله أخاه أثر سيء على سمعته ، وثقة الناس به .

٨ ـ واخيراً .. أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده ، من قبل تلك الشخصية الفذة ، التي كانت ترعبه وتخيفه جداً ، الا وهي شخصية الامام الرضا (ع) ، ويمهد الطريق للتخلص منها ، والقضاء عليها ، قضاءاً مبرماً ، ونهائياً .

وكان أن اتبع المأمون من اجل تحقيق ذلك كله اسلوباً جديداً ، وغريباً لم يكن مألوفاً ولا معروفاً من قبل .. وليتمكن من ثم .. من الاحتفاظ بالخلافة لنفسه ، وأن تبقى في بني أبيه .. واحسب أنه لم يتوصل اليه الا بعد تفكير طويل وتقييم عام شامل للوضع الذي كان يعيشه ، والمشاكل التي كان يواجهها .. وهو يعلم اكثر ، من كل أحد أنه لا يمكنه أن يستعين بالعباسيين ،بني ابيه في مواجهة تلك المشاكل، بعد أن كانوا ينقمون عليه قتله أخاه الامين ، العزيز عليهم ، وبعد أن كانوا لا يثقون به ولا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه ، كما انه لا يستطيع أن يستعين على ذلك بالعلويين،والمتشيعين لهم،وما أكثرهم، بعد ان كانوا هم الذين يخلقون له أعظم المشاكل،ويضعون في طريق حكمه أشق العقبات.وأما العرب فهو اعرف الناس بموقفهم منه،والخراسانيون لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته،وواقعه الاناني البشع، بقتله أخاه وأشياعه..

وكان عليه في نهاية الامر أن يضع خطته، للتخلص من كل تلك المشاكل،والاخطار التي تواجهه بأسرع وقت ممكن ، فان الزمن لم يكن في صالحه أبداً، وكانت خطته فريدة وغريبة ، كما قلنا ، فهو من جهة :

لا يذكرا حداً من الخلفاء ، ولا غيرهم من الصحابة بسوء ، بل هو يتحرج حتى من المساس بغير الصحابة .. وحتى بأولئك الذين كان حالهم في الخروج على الدين ، وتعاليم الشريعة ، معروفاً ، ومشهوراً ، «كالحجاج بن يوسف» ، وذلك من أجل أن لا يثير عواطف أولئك الذين يلتقي معهم فكرياً ،وسياسياً،ومصلحياً ،والذين سوف يكونون له في المستقبل الدرع الواقي ، والحصن الحصين.

فاستمع اليه يقول ـ كما يروى لنا التغلبي المعاصر له ـ : «وظنوا أنه لا يجوز تفضيل علي الا بانتقاص غيره من السلف .والله ، ما أستجيز أن أنتقص الحجاج بن يوسف ، فكيف السلف الطيب ؟ .» (١)

وكذلك نراه يركن الى رأي يحيى بن اكثم ، الذي قال له ، عندما أراد الاعلان بسب معاوية على المنابر : «والرأي أن تدع الناس كلهم على ماهم عليه ، ولا تظهر

---

(١) راجع تاريخ بغداد لابن طيفور ج ٦ ص ٧٥ . ونظير ذلك كثير ، لسنا هنا في صدد تتبعه واستقصائه .

لهم أنك تميل الى فرقة من الفرق،فان ذلك أصلح في السياسة،واحرى في التدبير.».

ثم يدخل عليه ثمامة ، فيقول له المأمون: «يا ثمامة ، قد علمت ماكنا دبرناه في معاوية ، وقد عارضنا رأي هو اصلح في تدبير المملكة ، وابقى ذكراً في العامة.. الخ».

ومن شعره الذي يرويه لنا ابن عساكر :

اصبح ديني الذي أدين به ... ولست منه الغداة معتذرا
حب علي، بعد النبي ، ولا ... اشتم صديقاً ، ولا عمرا
ثم ابن عفان في الجنان مع ... الابرار، ذاك القتيل مصطبرا
لاولا اشتم الزبير ، ولا طلحة ... ان قال قائل غدرا
وعائش الام لست اشتمها ... من يفتريها فنحن منه برا

ـ بينما نراه كذلك ـ نراه من جهة ثانية :

يظهر التشيع ، والحب لعلي (ع) والتفضيل له على جميع الخلق ،(١)،ويقدم على الاعلان ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بن ابي سفيان بخير ،ويأمر بأن ينادى بذلك في جميع الاقطار (٢) .

(١) قال في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٠١/٢٠٢ ، ومثله في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٨ وغيرهما : ان المأمون كان يبالغ في التشيع ، ويقول . ان افضل الخلق بعد النبي (ص) علي بن ابي طالب (ع) ، وأمر بأن ينادى ببراءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير ، لكنه لم يتكلم في الشيخين بسوء ، بل كان يترضى عنهما ، ويعتقد امامتهما الخ ...

وأقول : كيف يتفق حبه لعلي وولده مع ما يرويه لنا الطبري في تاريخه ج ١١ ص١٠٩٤ من تجسسه على عبد الله بن طاهر، ليعلم هل يحب آل ابي طالب أو لا ؟ ومع ما صدر منه في حق الامام علي الرضا (ع) .. كما سيأتي بيانه بالتفصيل ، ومع منعه العلويين من الدخول عليه ، كما نص عليه ابن الاثير وغيره من المؤرخين ، ومع قتله اخوة الامام الرضا وكثيراً من العلويين، بالسم تارة ، وبالسيف اخرى ، الى آخر ما هنالك مما قد يتعذر حصره واستقصاؤه .

والارجح انه كان يذهب مذهب المعتزلة كما اشار اليه احمد امين في كتابه ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٥ ، ويدل على ذلك قول المعتزلي المعروف بشر بن غياث المريسي ، على ما في البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٩ فليراجع.

(٢) قد يرى البعض ان اعلانه ذلك ، واباحته المتعة ، وتفضيله علياً ،وقوله: بخلق القرآن وغير ذلك ، ليس الا لاشغال العلماء بعضهم ببعض ، وشغل الناس عن التفكير بالخلافة ، التي هي اعز عليه من كل ما في الوجود ، والتي ضحى من اجلها باخيه ووزيره وقواده . وكذلك من اجل صرف الناس عن اهل البيت عليهم السلام ، وابعادهم عنهم ..

وما ذلك الا ليتقرب الى العلويين ، والمتشيعين لهم ، ويجعلهم يثقون به ، ويطمئنون اليه، وليبقى ايضاً محتفظاً بالخراسانيين ، الذين عرف منهم الميل الى العلويين بشكل عام ..

لكن ذلك لم يكن وحده يكفي لاخماد ثورات العلويين ، الذين كانوا يتمتعون بالاحترام والتقدير ، ولهم نفوذ واسع في جميع الفئات والطبقات ...ولا لان يحصل -يعني المأمون- على قاعدة شعبية ، تستطيع أن تحميه...ولالان يفوز بتأييد العرب والثقة من الناس عامة ، حتى الخراسانيين ، ولا لغير ما قدمنا الاشارة اليـه ..

فكان عليه أن يقدم على ماهو انفع وأجدى .

وكانت خطوته التالية غريبة ومثيرة ، لكنها اذا ماأخذت الظروف آنذاك بعين الاعتبار ، يتضح أنها كانت طبيعية للغاية ، الجأته اليها الظروف والأحداث .. وتلك الخطوة هي :

«أخذ البيعة للامام علي الرضا (ع) بولاية العهد بعده» .

ومن نافلة القول هنا ،أن نقول : ان ذلك يدل على فهم المأمون للداء،مما ساعده على معرفة الدواء ،الذي تجرعه المأمون ، رغم مرارته القاسية ، التي لاتقاس ابدابما سوف يعقبهامن راحة ، وطمأنينةوهناء ـ تجرعه ـ بكل رضا ، ورجولة ، وشجاعة..

نعم .. ان المأمون ـ على مااعتقد ـ قد ثقل عليه أمر البيعة ،ولكن ما الحيلة، بعد أن لم يعد امامه خيار في ذلك،الا اذا أراد أن يتغابى ، أو يتعامى عن ذلك الواقع المزري ، الذي وصلت اليه خلافته ، التي اصبحت خيالا ، لايلبث أن تلتهمه اشعة الشمس المشرقة ، فتحوله الى سراب ..

هذا ... وان من الطبيعي أن يثير تصرفه هذا حفيظة العباسيين ،الذين ناصبوه العداء ، وشجعوا اخاه الأمين عليه ، ولسوف يزيد في حنقهم وغضبهم،ولكنه غضب لاقيمة له في جانب ذهاب الخلافة عنهم بالكلية ، وسفك دمائهم .. كما اوضح لهم ذلك في رسالة منه اليهم ، حيث قال :«واماماكنت أردته من البيعة لعلي بن موسى الرضا ، بعد استحقاق منه لها في نفسه ، فماكان ذلك مني الاأن اكون الحاقن لدمائكم

والذائد عنكم ، باستدامة المودة بيننا وبينهم الخ (١)» .

فليغضبوا اذن قليلا ، فانهم سوف يفرحون في نهاية الامر كثيراً ، وذلك عندما يعرفون الأهداف الحقيقية ، التي كانت تكمن وراء تلك اللعبة ، وأنها لم تكن الامن أجل الابقاء عليهم ، وضمان استمرار وجودهم في الحكم ، والقضاء على أخطر خصومهم ، الذين لن يكون الصدام معهم في صالحهم ..انهم دون شك عندما تؤتي تلك اللعبة ثمارها ، سوف يشكرون ، ويعترفون له بالجميل ،ويعتبرون انفسهم مدينين له مدى الحياة .. ولسوف يذكرون دائماً قوله لهم ، في رسالته المشار اليها آنفاً : «فان تزعموا : أني أردت أن يؤول اليهم ـ يعني العلويين ـ عاقبة ، ومنفعة فاني في تدبيركم ، والنظر لكم ، ولعقبكم ، ولابنائكم من بعدكم ، الخ».

انه اذا غضب عليه العباسيون يقدر على ارضائهم في المستقبل ، عندما يطلعهم على حقيقة نواياه ، واهدافه ،ومخططاته،ولكنه اذا خسر مركزه وخلافته ،فانه لايستطيع فيما بعد ان يستعيدها ـ بسهولة ـ أو أن يعتاض عنها بشيء ذي بال .

وان من الانصاف هنا أن نقول :

ان اختيار المأمون «الامام الرضا» ولياً للعهد ، كان موفقاً للغاية، وهو خير دليل على حنكته ، ودهائه ، وادراكه للاسباب الحقيقية ، التي كان يواجهها ، ويعاني منها مايعاني..

وان من الامور الجديرة بالملاحظة هاهو ان اختيار المأمون لولي عهده ،الذي لم يقبل الا بعد اصرار شديد ، والا بعد التهديد بالقتل ، وعرف الجد في ذلك... كان ينطوي في بادىء الرأي على مغامرة،لاتنسجم مع ماهو معروف من المأمون من الدهاء والسياسة ، اذا ماأخذت مكانة الامام ونفوذه بنظر الاعتبار ، وهو الذي كان يشكل أكبر مصدر للخطر على المأمون وخلافته ، حيث انه كان يحظى بتأييد واسع في مختلف الفئات والطبقات في الامة الاسلامية ..

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٤٨٥ ، والبحار للمجلسي ج٤٩ ص٢١٣ وكتاب الطرائف لابن طاووس الترجمة الفارسية ص١٣٢ فما بعدها نقلاعن كتاب نديم الفريد لابن مسكويه صاحب كتاب حوادث الاسلام .

ولكننا اذا دققنا الملاحظة ، نجد ان المأمون ، لم يقدم على اختيار الامام ولياً
لده ،الاوهو على ثقة من استمرار الخلافة في بني أبيه، حيث كان الامام(ع) يكبره
نتين وعشرين سنة، وعليه فجعل الخلافة لرجل بينه و بين الخليفة الفعلي ، هذا الفارق
كبير بالسن ،لم يكن يشكل خطراً على الخلافة ، اذلم يكن من المعروف ولا المألوف
يعيش ولي العهد ـ وهو بهذه السن المتقدمة ـ الى مابعد الخليفة الفعلي ـ وان
ك من الامور التي يبعد احتمالها جداً ..

ولهذا ، ولان ماقدم عليه لم يكن منتظراً من مثله ، وهو الذي قتل أخاه من أجل
خلافة ، مضافاً الى انه من تلك السلاله المعادية لاهل البيت عليهم السلام .. احتاج
لمأمون الى ان يثبت صدقه ، واخلاصة فيما اقدم عليه ، وان يثبت للملأ صفاء نيته ،
سلامة طويته ، فاقدم أولا : على نزع السواد ، شعار العباسيين ، ولبس الخضرة
ي هي شعار العلويين (١) ..

كما انه أقدم للسبب نفسه على تزويج ابنته للامام (ع) ، والتي هي بمثابة
بيدة له ، حيث كان يكبرها باكثر من اربعين سنة (٢) كما انه زوج ابنته الاخرى
لامام محمد الجواد ، وكان لايزال صغيراً ، (٣) ، ولهذا أيضاً كان يظهر التبجيل ،
لاحترام للامام (ع) ـ وان كان يضيق عليه في الباطن ـ كل ذلك سياسة منه ،ودهاء
كما سنوضحه ـ (٤) ..

---

(١) لكنه بعد وفاة الامام (ع) ووصوله الى بغداد عاد الى السواد بعد ثمانية ايام فقط من
وله ، على قول اكثر المؤرخين . وقيل : بقى ثلاثة اشهر ، رغم ان العباسيين قد لبسوا
خضرة ، وتابعوه على ذلك ، على ما صرح به فى البداية والنهاية ، وغيره من كتب التاريخ .

(٢) وهذا كتزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل . ، حيث اراد بذلك ان يوثق
قاته مع الايرانيين ، ويجعلهم يطمئنون اليه ، خصوصاً بعد عودته الى بغداد ، وليبرىء نفسه
، دم الفضل ، ويكتسب ثقة الحسن اخيه ، المعروف بثرائه ونفوذه ..

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١ وغيره من كتب التاريخ . وفى الطبرى ج ١١ ص ١١٠٣
ع ليدن : انه لم يدخل بها الا فى سنة ٢١٥ ، هذا ولا نستبعد بالاضافة الى ذلك ان المأمون
ن يهدف الى جعل رقابة داخلية على الامامين عليهما السلام،فيكون بذلك قد اصاب عصفورين
حجر واحد .

(٤) وقد سبقه الى مثل ذلك سليمان عم الرشيد : حيث ارسل غلمانه فأخذوا جنازة الامام ـ

هذا .. وقد صرح المأمون نفسه بأن اكرامه للعلويين لم يكن الا سياسة مدروسة، ومن أجل الوصول الى أهداف سياسية معينة، قال في رسالته للعباسيين التي أشرنا اليها آنفاً : «وأما ماكنت اردته من البيعة لعلي بن موسى ... فما كان ذلك مني الا أن أكون الحاقن لدمائكم ، والذائد عنكم ، باستدامة المودة بيننا وبينهم ، وهي الطريق اسلكها في اكرام آل أبي طالب ، ومواساتهم في الفيء ، بيسير ما يصيبهم منه..» ، ويذكرني قول المأمون : ومواساتهم الخ بقول ابراهيم بن العباس الصولي ، وهو كاتب القوم ، وعاملهم ، في الرضا (ع) عندما قربه المأمون :

يمن عليكم بأموالكم وتعطون من مئة واحدا

وان ذلك كله لايضره مادام مصمماً على التخلص من ولي عهده هذا بأساليبه الخاصة بعد أن يمهد ما يتبقى من خطته الطويلة الاجل للحط من الامام قليلا قليلا ، حتى يصوره للرعية بصورة من لايستحق لهذا الأمر ثم يدبر فيه بما يحسم عنه مواد بلائه(١) ...كما صرح بذلك المأمون نفسه..وكما صرح أيضاً بذلك عبدالله بن موسى في رسالة منه الى المأمون.. يذكر فيها أن المأمون كان مصمماً على ذلك ..وأنه كان الطف حيلة من اسلافه ، فهو يقول فيها :«وكنت الطف حيلة منهم ،بما استعملته من الرضا بنا ، والتستر لمحننا ، تختل واحداً فواحداً منا الخ..(٢) .

وعلى كل حال ، فاننا نستطيع أن نجمل أهداف المأمون، وما كان يتوخاه من أخذ البيعة بولاية العهد ، للامام الرضا بعده ، على النحو التالي :

ـ الكاظم(ع) من غلمان الرشيد ، وطردوهم ، ونادوا عليه بذلك النداء المعروف ، اللائق بشأنه عليه السلام . . فلم يعنفه الرشيد ولا لامه ، بل مدحه ولام نفسه ، حيث لم يأخذ في اعتباره ما يترتب على ما اقدم عليه من رد فعل لدى الشيعة والمحبين لاهل البيت (ع) والذين قد لايكون للرشيد القدرة على مواجهتهم . راجع تفصيل هذه القضية في عيون اخبار الرضا ح ١ ص١٠٠ وغيره . وقد تبعه في ذلك ايضاً المتوكل ، حيث جاء بالامام الهادي (ع) الى سامراء ، وكان يكرمه في ظاهر الحال ، ويبغي له الغوائل في باطن الامر ، فلم يقدره عليه . يراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٢١ والبحار ح ٥٠ ص ٢٠٣ وارشاد المفيد ص ٣١٤ .

(١) عيون اخبار الرضا ح ٢ ص ١٧٠ ، والبحار ح ٤٩ ص ١٨٣ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٦٢٩ .

أ ـ ان المأمون كان يهدف من وراء اختيار الامام بالذات الى ان يأمن الخطر ، الذي كان يتهدده من قبل تلك الشخصية الفذة ، شخصية الرضا (ع) ، الذي كانت ـحسب ما ورد ـ كتبه تنفذ في المشرق والمغرب وكان هو الارضى في الخاصة والعامة باعتراف نفس المأمون . . ، حيث لايعود باستطاعة الامام (ع) أن يتحرك بأي حركة ضد الحكم، بعد أن اصبح هو ولي العهد فيه .

وقد صرح المأمون نفسه بذلك ، وأنه خشي ان ترك الامام على حاله أن ينفتق عليه منه ما لايستطيع ان يسده .

د ـ انه يريد أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة من قرب وليمهد الطريق للقضاء عليها نهائياً باساليبه الخاصة . .

وقد اشرنا فيما سبق الى اننا لانستبعد أن يكون من جملة ما يهدف اليه من وراء تزويجه الامام بابنته هو أن يجعل على الامام من الداخل رقيباً موثوقاً عنده، ولم يكتف بذلك بل وضع عليه عيوناً آخرين ، يخبرونه بكل حركة من حركاته، وكل تصرف من تصرفاته فقد كان :

«هشام بن ابراهيم الراشدي من اخص الناس عند الرضا (ع) وكانت امور الرضا تجري من عنده ، وعلى يده .. ولكنه لما حمل الى مرو ، اتصل هشام بن ابراهيم بذي الرئاستين ، فقربه ذو الرئاستين ، وادناه ، فكان ينقل اخبار الرضا الى ذي الرئاستين والمأمون ، فحظي بذلك عندهما ، وكان لا يخفي عليهما شيئاً من اخباره ، فولاه المأمون حجابة الرضا ، وكان لايصل الى الرضا الا من احب ، وضيق على الرضا ، فكان من يقصده من مواليه لايصل اليه ، وكان لايتكلم الرضا (ع) في داره بشيء الا أورده هشام على المأمون ، وذي الرئاستين(١)» .

وعن ابي الصلت: «ان الرضا كان يناظر العلماء ، فيغلبهم، وكان الناس يقولون: والله ، انه أولى بالخلافة من المأمون ، فكان أهل الاخبار يرفعون ذلك اليه الخ» .

(١) عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٧٠ . والبحار ج ٤٩ ص ١٨٣ .
(٢) البحار ج ٤٩ ص ١٣٩ ، وعيون اخبار الرضا ج ٢ ص ١٣٩ .

وقد كتب الامام (ع) رسالة الى احمد بن محمدالبزنطي ، جاء فيها: «واما ما طلبت من الاذن علي ، فان الدخول الي صعب ، وهؤلاء قد ضيقـوا علي فى ذلك ، فلست تقدر الان، وسيكون انشاء الله» (٢) .

٣ ـ انه كان يريد عزل الامام (ع) عن الحياة الاجتماعية ، وابعاده عن الناس حتى لايؤثر عليهم ، بما يمتلكه من قوة الشخصية ، وما منحه الله اياه من العلم، والعقل، والحكمة ، ومن النفوذ ، سواء فى ولاية خراسان أو فى غيرها ..

والاهم من ذلك عزله (ع) عن شيعته ، ومواليه ،وقطع صلاته بهم،تمهيداً للقضاء عليه نهائياً ، وقد قال المأمون فى رواية حميد بن مهران ...«انه يحتاج الى ان يضع منه قليلا قليلا ، حتى يصوره امام الرعية بصوره من لايستحق لهذا الامرالخ» .

انه يريد من وراء ذلك ان يقطع آمالهم ، ويشتت شملهم ويمنع الامام من ان يصدر اليهم من أوامره ماقديكون له أثر كبير على مستقبل المأمون ، وخلافته . وقد تقدم فى الرواية المتقدمة:«وكان لايصل الى الرضا الامن أحب (أي هشام بن ابراهيم)،وضيق على الرضا ، فكان من يقصده من مواليه لايصل اليه»..

وتقدم ايضا ماكتبه الرضا (ع) الى البزنطي :« واما ما طلبت من الاذن علي ، فان الدخول الي صعب ، وهؤلاء قد ضيقواعلي ، فلست تقدر الان الخ» .

ولعله لاجل هذا أيضاً ارجع الامام عن صلاة العيد مرتين ، والتي كان المأمون نفسه قد أصر عليه ان يؤم الناس فيها ، ولهذا أيضاً فرق تلامذته عنه ، عندما أخبر أنه يقوم بمهمة التدريس ، الى آخر ماهنالك ، من صفحات تاريخ المأمون المطوية..

للبحث صلة

الاسرائيليات

في التراث الاسلامي

الشيخ ابراهيم الانصاري

□ شواهد على المدعى
□ نظرية الشيخ محمد عبده

يتلخص ما ذكرناه سابقاً في الروايات الاسرائيلية في البنود التالية :

اولا : ان ماورد في بدء الخليقة ينقسم الى ثلاثة اقسام :

أ ـ : ما ينتهي سنده الى واحد من ابطال الاسرائيليات امثال كعب ووهب وعبد الله بن سلام .

ب ـ : ما اسندوه الى رسول الله (ص) .

ج ـ : ماروي عن بعض علماء الصحابة والتابعين.

ثانياً : ان اكثر مضامين القسم الاول والثاني مخالفة للكتاب والسنةوالعقل وموافقة لما عند اليهود من المداركالمقبولة .

ثالثاً : ان اكثرها صريحة في كون العالممخلوقاً زمانياً وكون الزمانسابقاً على العالم بمعناه العرفي وقد ذكرنا انه غير معقول اصلا .

والان نشرع في ذكر بقيةالروايات الاسرائيلية منالقسم الثاني واليكتفصيلها:

٣ ـ وروى الطبري عن المثنى قال حدثنا الحجاج قالحدثنا حمادعـن يعلى بن عطا عن وكيع بن حدس عن عمه ابىزرين العقيلي قال: قلت :يارسولاللهاينكان ربنا ، قبل ان يخلقالسموات والارض قال : في عماء مافوقه هواء ، وماتحتههواء،

ثم خلق عرشه على الماء(١).

اما السند فضعيف لاجل المثنى والظاهر أنه المثنى بن الصباح الذي قال فيه احمد: انه مضطرب الحديث لايساوي حديثه شيئاً وقال ابن معين: انه ضعيف، وغير ذلك مما ذكره في تهذيب التهذيب(٢)

و(الحجاج) مشترك بين القوي والضعيف. و(يعلى بن عطا) سمع الحديث وهو صغير جداً، وقد روى روايات لاتعرف عن غيره، عن رواه لايعرفهم غيره. و(وكيع بن الحدس) وعمه أبو رزين لم يوثقا. واما مضمون الرواية فلا يصح اذ المراد بالعماء ان كان هو العدم فمعناه ان الله تعالى كان في عدم اي معدوماً، او انه كان ظرفه العدم محاطاً به وهذا ايضاً محال.

وان كان العماء بمعنى الجهالة والابهام، فالاحسن ان يقال عمي علينا دركه، واما ظاهر الرواية فهو ان الله تعالى هو بنفسه كان موصوفاً با لعمى او محاطاً به وان كان المراد بالعماء شيئاً موجوداً في الخارج يكون مفاد الحديث ان الله تعالى كان في العماء محاطاً به، وكان العماء قديماً مع الله تعالى وهذا شرك وكفر.

واما قوله «**مافوقه هواء وما تحته هواء**» فتوجيهه اصعب، لان كلمة «ما» ان كانت موصولة كما هو الظاهر، فالمعنى ان الهواء قديم مع الله تعالى. وان كانت نافية فالمعنى ليس فوقه تعالى هواء ولا تحته يفهم اثبات الجهات لله تعالى.

وعلى التقديرين فتوصيف العماء بانه مافوقه هواء، وماتحته هواء، قرينة على ان المراد بالعماء موجود خارجي، لاالعدم أو الابهام والجهالة اذ لا يقال عدم مافوقه هواء وما تحته هواء، ولا يقال ايضاً ابهام مافوقه هواء وما تحته هواء.

٤ - وحدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال حدثنا الفضيل بن سليمان قال حدثني ابو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قال اخبرني ابن سلام وابو هريرة فذكرا عن النبي (ص) الساعة التي في يوم الجمعة، وذكرا انه قالها، قال عبد الله بن سلام: انا اعلم اي ساعة هي، بدأ الله في خلق السموات والارض يوم الاحد، وفرغ

---

(١) تفسير الطبري ج ١٢ ص ٤

(٢) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦

في آخر ساعة من يوم الجمعة .(١)

اما السند فضعيف بابن سلام وغيره ...

شواهد على المدعي :

واما الدليل على ان هذه الروايات مأخوذة من الاسرائيليين فهوا مورثلاثة :

١ ـ ماأشرنا الى بعضها من آراء كعب الاحبار ووهب ابن منبه وعبد الله بن سلام وابن جريح وغيرهم من اليهود الذين اظهروا الأسلام وادخلوا في العلوم الاسلامية هذه الآراء التي كانوا يفتون بها من دون رواية عن رسول الله (ص) .

ويبدو أن أول من تنبه لخطر تدخل اليهود في هذا الدين هو الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رحمة الله عليه (٢) حينما غضب على كعب الاحبار (وقال لكعب: يا ابن اليهودية، وفي رواية يا ابن اليهوديين ـ ما انت وهذا ؟ اتعلمنا ديننا ؟ ثم وجأه بمحجنه. فأبوذر ينكر على كعب الاحبار ان يعلمه دينه ، بل ان يتدخل في امور المسلمين حتى بابداء الرأي)(٣).

وسوء الظن باليهود الذين اظهروا الاسلام يستفاد قبل كل شيء من كتاب الله وذلك في قوله تعالى «**افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون ، واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بمافتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون**»(٣).

٢ ـ اشتمال اكثر اسناد هذه الروايات على هؤلاء امثال كعب ووهب وغيرهما فان الروايات المشتملة على ماذكرنا اكثر اسنادها تشتمل على هؤلاء او على من يروي عنهم ويعتمد عليهم من المسلمين وسيأتي ذكر اسمائهم ان شاء الله تعالى في محله.

رأى الشيخ محمد عبده :

نقل السيد رشيد رضا عن استاذه الشيخ محمد عبده مانصه:«قال الأستاذ : وقد

---

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٤

(٢) كما يقول طه حسين بعد نقل قصته .

(٣) الفتنه الكبرى ج ١ ص ١٣٤ .

(٤) البقرة آيه ٧٦ .

قلت لكم غير مرة انه يجب الاحتراز من قصص بني اسرائيل وغيرهم من الانبياء وعدم الثقة بما زاد على القرآن من اقوال المؤرخين والمفسرين. فالمشتغلون بتحرير التاريخ والعلم اليوم يقولون معنا : انه لايوثق بشيء من تاريخ تلك الازمنة التي يسمونها أزمنة الظلمات الا بعد التحري والبحث ، واستخراج الاثار ،فنحن نعذر المفسرين الذين حشوا كتب التفسير بالقصص التي لايوثق بها لحسن قصدهم ، ولكننا لا نعول على ذلك ، بل ننهى عنه ، ونقف عند نصوص القرآن ، لا نتعداها ، وانما نوضحها بما يوافقها اذاصحت روايته»(١) .

٣ ـ وجود هذه الاراء في العهد الجديد والقديم ، واعتقاد اليهود بها ، ويدل على ذلك اولا ، رواية السيوطي عن ابى المنذر عن الضحاك قال : قالت اليهود : ابتدأ الله الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة واستراح يوم السبت فانزل الله تعالى : «**ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب**» (٢) وروى نظيره عن قتادة وابن عباس وغيرهم فى الدر المنثور وتفسير الطبري ومجمع البيان وغيرها .

فترى ان الضحاك وقتادة وغيرهما صرحوا بأن هذه عقيدة اليهود .

وثانياً وجود اكثر مضامينها فى العهد العتيق الموجود عند اليهود،ونحن نشير الى بعض جهات الموافقة بينهما على مايلي :

١ ـ ذكرنا ان هذه الروايات ظاهرة ، بل صريحة ، فى تفسير اليوم المذكور في هذه الايات باليوم المصطلح ، وتطبيقه على ايام الاسبوع،وكذا نرى العهد العتيق يفسر الأيام باليوم المعهود عندنا المشتمل على الصباح والمساء المقابل لليل لقوله فيه:«وكان صباح وكان مساء يوماً واحداً» (٣) .

٢ ـ يظهر للباحث ان فى التوراة اختلافاً فى عدد ايام التكوين ففى مقام الاجمال يصرح بان العالم خلق فى ستة ايام كما جاء فى سفر الخروج:«فى ستة ايام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل مافيها واستراح فى اليوم السابع» (٤) وقال فى سفر

---

(١) تفسير المنار ج١ ص ٣٤٧ . (٢) الدر المنثور ج ٦ ص١١٠

(٣) العهد العتيق سفر التكوين الاصحاح الاول.

(٤) نص لخروج الاصحاح العشرين

التكوين بعد خلق الانسان وآخر المخلوقات انه يوم سادس ثم ذكر فيه ان الله فرغ من عمله واستراح في اليوم السابع .

ولكن التوراة حينما تستعرض تفصيل ايام التكوين تقول: «في البدء خلق الله السموات والارض وكانت الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلة وروح الله يرف على وجه المياه» ثم يقول: «ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً وكان صباح وكان مساء يوماً واحداً»(١) فحكم بان خلق النور والفصل بينه وبين الظلمة وبين الليل والنهار، كل ذلك كان بعد خلق السموات والارض، فخلقهما اما قبل حدوث الزمان، وخارج عن الايام الستة، فيكون مخالفاً لصريح آياته بانهما خلقتا في ستة ايام. او انه في يوم آخر غير الستة، فيكون المجموع سبعة ايام كما اعترف به هشام العربي المسيحي (٢)، وعلى التقديرين فان خلق السموات والارض في التوراة خارج عن الايام الستة فتكونان مخلوقتين في يوم آخر اما حقيقي او مجازي ويكون مع الستة الأخرى سبعة ايام وهذا ما اشرنا اليه من ان عبارات التوراة متناقضة في مقام بيان عدة هذه الايام ومرددة بين الستة والسبعة .

والعجيب ان هذه الروايات ايضاً مشتملة على هذا التناقض فمارويناه عن ابن وهب في احدى الروايتين، وبعض آخر مما روي في هذا الباب صريحة في السبعة والباقي صريحة في الستة .ومن الغريب أن رواية واحدها تشتمل على نفس التناقض الموجود في التوراة .

٣ ـ اتفاق اكثر هذه الروايات على خروج السبت عن الايام الستة ،وكونه يوم الاستواء على العرش، او يوم الفراغ من العمل، ويوم تمامه ونهايته وهذا ايضاً لايستفاد من الروايات الصحيحة ولا من الايات الشريفة .

بل هو موافق لما في التوراة من قوله «استراح في اليوم السابع» ويؤيد ماذكرنا مافي بعض هذه الروايات من قوله «ولذلك امسكت اليهود يوم السبت» ومن الواضح

(١) العهد العتيق سفر التكوين الاحتجاج الاول .

(٢) الهدى ج ٢ ص ١١ .

ان ذلك يؤيد موقف اليهود الديني في عطلة يوم السبت.

واكثر هذه الروايات وان كانت مشتملة على رد اليهود في دعواهم «انه استراح يوم السبت» ولكنه لاينافي كونها من الاسرائيليات ، فان تأييدهم في اصل الاعتقاد بالسبت وكونه يوم انتهاء عمله وفراغه ، كما يظنون هو المهم لاخصوص التعبير بالاستراحة ونحوها .

آراء الاعلام :

وهنا في ختام البحث نستعرض كلمات بعض كبار المسلمين في تأييد ما ذكرناه من تفسير اليوم في الايات الكريمة .

١ ـ ذكر سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى «**قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين .. الاية**»(١) مانصه «والمراد باليوم في قوله تعالى خلق الارض في يومين برهة من الزمان دون مصداق اليوم الذي نعهده ونحن على بسيط ارضنا هذه وهو مقدار حركة الكرة الأرضية حول نفسها مرة واحدة وانه ظاهر الفساد ، واطلاق اليوم على قطعة من الزمان تحوي حادثة من الحوادث كثير الورود شايع الاستعمال .ومن ذلك قوله تعالى: «**وتلك الايام نداولها بين الناس**»(٢) وقوله: «**فهل ينتظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم**»(٣) وغير ذلك .

فاليومان اللذان خلق الله فيهما الارض قطعتان من الزمان ثم فيهما تكون الارض ارضاً تامة وفي عدهما يومين لايوماً واحداً دليل على ان الارض لاقت زمان تكونها الاول مرحلتين متغايرتين كمرحلة تراجع النضج والذوبان والانعقاد أو نحو ذلك»(٤).

اقول : ويؤيد ماذكره السيد الطباطبائي دام ظله ،أن القرآن الكريم عبر في موضع آخر عن زمان خلق السموات والارض باليوم، فجعل الستة ايام يوماً واحداً وهو قوله تعالى «**ان عدة الشهور عندالله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ..**» (٥) .

---

(١) السجدة الاية ٩ .
(٢) العمران آية ١٤٠ .
(٣) يونس آية ١٠٢
(٤) الميزان ج ١٧ ص ٣٨٥ .
(٥) التوبة آية ٣٦ .

والسرفى ذلك ، ماشار اليه من تقدير الزمان بالعمل ،بعكس ماهو شايع عندنا من تقدير العمل بالزمان فان المتعارف عندنا ان نقول مثلا :كتبت ساعتين او قرأت الفقه سنتين او بقيت فى البلد الفلاني ثلاثة ايام ، فنقدر كمية العمل بكمية الزمان .

وقد يكون بالعكس بمعنى انا نقدر الزمان بالعمل ،فيقال امهلني حلبة بعير ،انتظرت فلاناً عدوة فرس ونحو ذلك .

٢ ـ ذكر السيد المرتضى فى جواب بعض السائلين على ما نقله العلامة المجلسي: «... ان الله لم يزل واحداً لاشيء معه ،ولاثاني له وابتدأ ما احدثه من غير زمان ،وليس يجب اذا حدث بعد الأول حوادث ان يحدثها فى زمان ، ولو جعل لها زمان لماوجب بذلك قدم الزمان اذ الزمان حركات الفلك وما يقوم مقامها مما هو مقدارها فى التوقيت ...»(١)

٣ ـ وقال الفيلسوف الكندي فى ضمن كلام له :«... لان الزمان انما هو عدد الحركة اعني أنها مدة تعدها الحركة، فان كانت حركة ، كان زمان، وان لم تكن حركة لم يكن زمان ، والحركة انما هي حركة الجرم ، فان كان جرم كانت حركة ،والا لم تكن حركة ،والحركة هي تبدل ، قد بدل مكان اجزاء الجرم ومركزه او كل اجزاء الجرم فقط ... »(٢) والمقصود من الحركة التي قد بدلت احزاء الجرم ، ومركزه ، الحركة الانتقالية مثل حركة الأرض حول الشمس، وبالحركة التي تستلزم تبدل اجزاء الجسم ، دون مركزه، الحركة الموضعية .

واما القسم الثالث من روايات هذا الباب ، فنحيل البحث عنها الى موضع آخر يناسبه .

للبحث صلة

---

(١) بحار الانوار ٥٧ ص ٢٤٤ .

(٢) كتاب الفلسفة الاول ـ الكندى ص ٩٤ .

عالم المرأة

الهزيمة النفسية

في حياة المرأة المسلمة المعاصرة

ام ابتهال

قلما يتاح لاحداث يقول لفتياتنا ونسائنا المعجبات بالحياة الحرة الطليقةفي الغرب، ان حياة المرأة هناك يلفها الشقاء، والعذاب، اكثرمما يهيء لهامن الحريةوالانطلاق (من القيود) .

ان بريق هذه الحضارة المادية التي تحتضن حياة الأنسان في اوربا وامريكا، رجالا ونساء قد يحول بين رجالنا ونسائنا وبين الرؤية الواضحة للاعماق الحقيقية لهذا الحياة وما يكتنفهامن تعاسة نفسية وشقاء وعذاب ،لايعلم مداهاالاالله والراسخون في هذا العذاب انفسهم .

ولعل القسم النسائي من مجتمعنا اشد تأثراً بهذه الحضارة ومايلفهامن بريق مغر، واكثر انهزامية امام تيار هذه الحضارة الجارف ، فان المرأة الاوربية أو الامريكية التي تظهر على الشاشة هي قدوة في السلوك ، والزي والعادات ، والتقاليد ، وفي كل شيء من مظاهر الحياة واشكالها ، لقسم كبير من نسائنا وفتياتنا في الشرق .

وهوليود وما فيها من انماط العرض المبتذل لحياة المرأة وما تهيئه من

الافصاح ـ فاقول: انني لست اعتقد أن نترك ساحات الحياة الفوقية للافلام الجائـرة والصحافة الخليعة والأفلام المبتذلة لنبدأ العمل من الاعماق ، فليس هذا صحيحاً على وجه التأكيد الا انني ارى ان المنطلق الصحيح لعمل بناء فى حياة المـرأة المسلمة المعاصرة ، هو العمل على بناء شخصيتها ، ومعالجة الهزيمة النفسية المتغلغلة فى اعماق نفسها ، وتعميق مفاهيم هذه الرسالة الالهية فى نفسها بالشكل الصحيح . ان الساحة الاولى للعمل هي النفس واداته التربية والبناء ، وغايته تحقيق الشخصية الاسلاميـة فى مجتمعنا النسوي المعاصر .

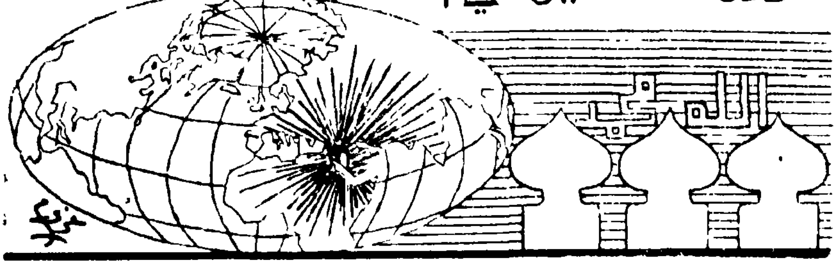
ولكل من وسائل الاعلام ، والتوجيه ، والتثقيف ، دوره المسؤول فى هـذه العملية التربوية الشاقة .

الا ان للمجالس والندوات والاجتماعات الخاصة بالنساء دوراً اكثر تأثيراً فى بناء شخصية المرأة المسلمة وذهنيتها وتعميق وعيها وايمانها برسالتها فان المـرأه تتفاعل بصورة طبيعية مع مناخ فكري موجه كهذا المناخ وتنسجم نفسياً اكثر من اية حالة اخرى.

وفى اجواء فكرية مربية مثل هذه الأجواء يتاح للمرأة ان تعيد النظر فى تقييم رسالتها وامتها ورصيد هذه الامة من الفكر والاصالة فيتكون لديها الاعتداد بشخصيتها النابعة من هذه الرسالة ، والاعتزاز برصيد هذه الشخصية من الفكر والعقيدة ، كما تعيد النظر فى تقييمها للحضارة المادية ومايحيطها من بريق خادع وما يكتنفها من شقاء حقيقي وعذاب ، واهدار لكرامة الانسان وقيمته ، فتزدري هذه الحضارة وما تأتي به من سراب خادع مضل .

ونسأل الله تعالى ان يأخذ بيد فتياتنا ونسائنا الى ما فيه خير هذا المجتمع وصلاحـه وما فيه سعادتهن واستقامتهن .

شؤون المسلمين في العالم



ابومقداد

مع معركة رمضان ..

سيظل اليوم العاشر من رمضان المبارك يوماً مجيداً في المرحلة المعاصرة من تاريخ امتنا ، انه اليوم الذي ثبت فيه للعالم ان الامة التي خطط الاعداء من كل صوب للقضاء عليها لازالت حية وان العقيدة التي أراد لهـا الاستعمار الحاقد وقوى الشر والبغـي أن تنمحي وتزول من قلوب أبنائها لا زال لها الاثر الفعال في نفوسهم ، وانها هي هي الجذوة المتقدة في قلوبهم تمدهم بالحياة وتدفعهم الى الحرية والاستقلال وتعطيهم الزخم اللازم لبناء كيانهم وتحقيق مكانهـم في هذا الوجود .

عشرات السنين وأعـداء الاسلام يخططون للسيطرة على بلاد المسلمـين وتم لهم ما أرادوا ولكنهم وجـدوا في رسالة الاسلام مانعاً من تثبيت أقدامهم وتحقيق اطماعهـم ، وبشتى الوسائـل والسبل حاولوا القضاء على هذه العقبـة الكأداء في طريقهم ، وتحالفت الصليبية الحاقدة والقوى الملحدة مع الصهيونية الغادرة لتكون الاخيرة رأس الحربة في العالم الاسلامي ، والثغرة التي ينفذ منها لتمرير محاولاته الاثمة . تأسس الكيان اللقيط ، وعاش مدللا بين أعداء امتنا في الشرق والغرب ، وتوسع في عدوانـه وغصب من المسلمين بمعونة من الاسياد قدسهم الاقدس ، وعاث في مسجدهـم الاقصى فساداً ، وشرد الملايين من أبناء الارض المقدسة .

كل هذا والمحاولات تجري في قلب البلدان العربية الاسلامية لتنحية الاسلام الجريح عن مكانه الطبيعي في حياة الامة التي بنى كيانها التشريعـي والروحـي والحضاري . يجري كل ذلك بأيدي ثلة من أبنـاء المسلمين تربوا على ثقافـة

الاستعمار ، وتخرجوا من مدرسته .

لقد أريد لهذا الاسلام أن لا يكون له أي وجود أو فاعلية ، وان عليه أن يرحل ويخلي مركزه لنظرياتهم وأفكارهم المتهرئة

وجاء رمضان المبارك شهر الانتصارات الاولى، شهر بدر وفتح مكة، شهر القرآن العظيم دستورهده الامة وعزها، وتفجرت فيه المعركة المجيدة التي ارجعت للامة ثقتها بنفسها، واستردت قسطاً من كرامتها التي مرغت في التراب .

جاءت هذه المعركة لتثبت ان الاسلام هو المهيمن على قلوب أبنائه وانه لازال موجوداً في ضمائرهم بقوة واصالة، ولدا من تصريحات بعض القادة العسكريين في الجبهة ما يشهد لهذه الحقيقة الساطعة، يشهدون لجنودهم الذين كان الصوم دافعاً لهم للاقتحام لا سبباً للضعف والانهيار. وانه بات واضحاً وفي العالم أجمع ما فعله شعار «الله اكبر» في نفوس الجنود البواسل ، وقد خصصنا في مجلتنا هذه بعض ما قيل عن «الله اكبر» في مكان آخر من هذا العدد .

والان وقد وضعت الحرب أوزارها ولسبب أو آخر قبلوا وقف اطلاق النار. هنا لا بد أن نشير الى بعض النقاط الهامة، نجد من الضروري التأكيد عليها :

١ ـ اننا في مواجهة عدو شرس ، ولا يقف عند حد في اجرامه ، وان قوى كبيرة تدعمه وتؤازره وتمده بجميع وسائل القوة من المال والسلاح والايدي التي تستعمل ذلك كله ، وان هذا العدو ومن يؤازره انما يستهدفون كياننا، فليس من الحكمة والصلاح في شيء الركون الى وعوده والوثوق بكلامه أو من ينصب من نفسه كفيلا لحل هذه الأزمة فالنتيجة التي يريدونها جميعاً لاشك وانهـا في صالحهم ولمصالحهم فقط ، ولايرجى منهم اى خير لهذه الامة التى هى شوكة فى عيونهم . وعليه فينبغي الاعتماد على نفوسنا واننا والحمدلله نملك من عوامل القوة ما لو استثمر لمكننا من الوصول الى الاهداف كل الاهداف وتحقيق الغايات كل الغايات. وان كان هذا لايعنى عدم الاستفادة من الفرص والظروف والعلاقات الدولية .

٢ ـ التأكيد على الطابع الاسلامي للقضية «فان الصفة الدينية للمسألة الفلسطينية اقوى من ان يستطاع طمسها وليس من مصلحة اي جهة عربية تهتم اهتماماً حقيقياً بالمسألة ان تقوم بطمس الوجه الاسلامي لها» وهذه النقطة تفيد القضية في جوانب عديدة اهمها:

أ ـ اشراك وتحسيس الملايين من المسلمين بان القضية قضيتهم ولايجوز ان يقفوا منها موقف المتفرج او المؤيد فقط .

ب ـ الانطلاق والاستفادة من المثل العليا والمفاهيم والتصورات الاسلامية التي تجعل الفداء شهادة وتقلب الموت الى حياة والفناء الى خلود ، وقد شاهدنا في المعركه الاخيرة مايلقى الضوء على هده النقطة فللجهاد فى الاسلام مكانة عظيمة وعمق في قلوب المسلمين .

ح ـ أضف الى ذلك ان اضفاء الطابع الاسلامى سوف يربط حاضر الأمة بماضيها ويفهمها بأن عصرها الراهن امتداد لتاريخها الماجد، التأريخ الزاخر بالبطولات والاماني وصور التضحية والفداء في سبيل الحق ، الامر الذى يعتبر تعبئة معنوية لاتقل أهميتها دائماً عن اهمية التعبئة العسكرية .

٣ ـ وعلى اساس ماسبق تبدو الحاجة الماسة الى اعادة بناء هيكلنا الاجتماعى على أسس من التشريع الاسلامى الخالد الذى يتجاوب مع روح العصر ويبرز الاهتمام بالبناء الروحى للانسان المسلم وهو لايكون الا بالوقوف بحزم فى وجه عمليات التخريب والدعوات الضالة التى يتعرض لها الكيان الروحي للامة المسلمة، وهذا يدعو المسؤولين الى العمل للتكييف الاسلامي الواعي للحياة اليومية للجماهير عن طريق التربية والتعليم والصحافة والاداعة وجميع وسائل الاعلام ، هذه الوسائل التى صارت ـ ومع الاسف الشديد ـ اداه لتحلل الامة وتفككها وميوعتها.

ان المجتمع المنحل اخلاقياً، الخاوى من العقيدة البانية ، والذي يعيش ساهراً مع أضواء المدينة .

المجتمع الذى يحمل بين طياته بذور الفساد والتردى لايمكن أن يقاوم كثيراً ويقف في ساحة الحرب على ارض صلبة وعلى قدمين ثابتتين .

انما نوجه دعوتنا المخلصة هذه الى ان يتحمل الجميع مسؤليتهم فى هذا الظرف العصيب وفى هده المرحلة الحاسمة المصيرية فيرتفعوا بهذه الامة عن الهاوية التى يراد لها أن تتردى فيها .

٤ ـ يجب أن نعلم ان معركة رمضان المبارك هي نقطة البداية وانها الجولة الاولى وستعقبها جولات ومن هنا يجب ان نحسس امتنا ونشعرها بأن لاتركن الى وعود السلام بل عليها ان تبقى مجتمع حرب، مجتمع يقظة وتنبه لجميع المحاولات

والمخططات،ان اسرائيل حتى ولو رضيت بالتراجع والانسحاب من الاراضي أو اراض كما يقولون الان هذا بالنسبة اليها لا يعني الا مرحلة تجتازها لتعد العدة وتلتمس الثغرة لكي تعيد الكرة والعدوان من جديد ان الاتجاهات المتطرفة داخل المجتمع اليهودي التي غذيت بأحلام ووعود توراتهم المزعومة تنمو يوماً بعد يوم كما لاحظنا في انتخاباتهم الاخيرة فمن يضمن أن لا يتربع هؤلاء على الحكم ويبدأوا العمل وكان لا اتفاقات ولا مواعيد،وهل لهذه الشراذم التي وصفها الله في كتابه بنقض الوعود وخيانة العهود هل لهؤلاء كلمة شرف يمكن الاعتماد عليها ؟ ان مثل هذا المجتمع المعقد الحاقد الذي زرع كسرطان في جسم العالم الاسلامي ليس له من دواء الان يجتث من الاعماق ، وان هذا لعمل كبير يحتاج الى تخطيط وجهود يجب أن نكون على مستواها

٥ ـ ينبغي العمل الجاد على الاكتفاء الذاتي في جميع المجالات والاستفادة من الثروات الطبيعية والخيرات الموزعة في هذه المنطقة من الارض ولاسيما النفط الذي اثبت الى حد كبير فاعليته وتأثيره واننا نامل أن يفكر بطرق الاستفادة منه بصورة اعمق بحيث يؤتي ثماره المطلوبة على أحسن وجه وبدون مضاعفات وهذا انما يحصل بوحدة المسلمين وشعورهم الواحد بانهم مهددون جميعاً بالخطر الماحق. اليس من العجيب أن نرى اليهود امة واحدة لها آمال واحدة واهداف واحدة مع انهم من اوطان متعددة ولغات مختلفة بينما نحن نعيش التمزق والاختلاف مع اننا نملك من مقومات الاتحاد والاخوة ما لا يملكون لقد آن أن نعمل مجدين على رأب الصدع في كياننا الواحد ونكون كما اراد الله تعالى امة واحدة كالبنيان المرصوص تعتصم بحبل الله ولا تتفرق .

واننا اذ نحمد الله تعالى على أن معركة رمضان المباركة ساعدت الى حد كبير على التحسيس بهذه الوحدة وتعميقها على حين عاش المسلمون في اقطار الارض اياماً عصيبة بين فرح وابتهاج بالنصر واسماع مشدودة الى الاذاعات والسنة وقلوب متوجهة بكل خضوع الى المولى تعالى في ان ينصر هذه الامة ويحقق امالها ويبلغها اعز امانيها في استرجاع كرامتها المهدورة وحقوقها المغتصبة،واننا هنا في ايران عشناها باهتمام منقطع النظير فالمجالس تعقد في كل مكان للدعاء والابتهال والاصوات تنطلق معلنة عن وضع جميع امكاناتها

في خدمة المعركة المقدسة وقد قام علماؤنا الأعلام بخير دور في هذا الميدان، فاصدروا نداءاتهم الى الامة طالبين فيها ان يكونوا جميعاً على مستوى المسؤلية وداعين الى الدعم وبكل صورة اداء لبعض الواجب وفي هذا الصدد ابرق العلماء الاعلام الى الجهات الدينية في مصر وسوريا بالتأييد، ونحن نثبت على الصفحات القادمة ما أصدره الامام السيد شريعتمداري دام ظله بهذه المناسبة.

وهكذا كانت النتيجة حين خفق قلب الامة بخفقة من الوعي للحقيقة التي لا فرار منها .. ألا وهي أنه لا غنى لنا عن جذورنا التي تمدنا بالحياة ، والتي تستقي من منهل الاسلام الخالد ..

انه قبس من الوعي ، احرز لنا جزءاً من الانتصار .. فلتعمق الامة في قلبها ، أنها بقدر ما تحمل الى المعركة من ايمان تحرز فيها من النصر . .

«ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم»

نـداء الى العالـم الاسلامى

من سماحة آية الله العظمى الامام المجاهد السيد محمد كاظم شريعتمدارى دام ظله الزعيم والمرجع الدينى الكبير فى ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

تستقطب المعركة الدائرة في الشرق الاوسط اهتمام الامة الاسلامية الى حـد كبير . وليس من شك ان الامة الاسلامية بكل قطاعاتها وفئاتها تعيش هـذه الايـام احداث المعركة وتتفاعل معها بصورة قوية ومؤثرة .

وذلك أمر طبيعي جداً فى حياة هذه الامة فالمسلمون (كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) وشعار هذه الامة الذي تؤمـن به قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله (من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) . وهذه حقيقة فى حياتها وتأريخها يجب ان يعيها ويدركها اعداء هذه الامة والمتربصون بها الدوائر .

وهكذا فان المعركة القائمة بين القوات المصرية والسورية والقوات المسلمة الاخرى وبين العـدو الصهيونى العادر على ارض مصر وسوريـا تتطلب مزيـداً من العطاء والتضحية والدعم بشكليه المادي والمعنوي من جانب المسلمين جميعاً.

وعلى الامة الاسلامية ان تدرك بعمق النقاط التالية :

اولا : ان المعركة القائمة -فى أبعادها الحقيقية- ليست معركة مصر وسوريا مع الصهيونية وانما هي معركة الامة الاسلامية جميعاً مع الصهيونية؛ فان اطماع اسرائيل التوسعية لاتقف عند حدود فهي لاتطلب فى هجماتها الغادرة احتلال مساحات جديدة من بلاد المسلمين واضافتها الى فلسطين فحسب ، وانما تطلب بعد ذلك ايضاً اذلال المسلمين وتحطيم كيانهم وتمزيق شملهم .

ولامر ما اختار الاستعمار هذه الرقعة من الوطن الاسلامي وطناً للصهيونيـة ، فقد كان الغرض من زرع هذا الجزء الغريب على الامة الاسلامية فى قلب العالم الاسلامي

اشاعة البلبلة والقلق وعدم الاستقرار في هذه الامة ، وان تكون هذه الرقعة من العالم الاسلامي قاعدة للاستعمار يصد بها كل المحاولات التي يبذلها ابناء هذه الامة المخلصون لتوحيد صفوف الامة واعادة الاسلام الى مجاريه الطبيعية من حياة المسلمين.

فليست المعركة اذن معركة قطرية او قومية، وانما هي معركة المسلمين جميعاً بهذه الصيغة الشاملة ، وعلى الامة ان تكون بمستوى الابعاد الحقيقية للمعركة ، ولا تخرج المعركة عن نطاقها الحقيقي الذي يستقطب اهتمام المسلمين جميعاً كقضية اسلامية مصيرية تهم المسلمين جميعاً .

ثانياً : على المسلمين أن يبذلوا فى كل اطراف العالم الاسلامي كل جهد ممكن لدعم الجبهة المصرية والسورية المقاتلة وتعزيزها بامدادات بشرية ومادية ومعنوية (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) فلا ريب فى ان تعزيز القوات المسلحة المقاتلة وامدادها واعداد القوة لها بكل شكل من أهم الفرائض الاسلامية فى الظروف الحاضرة (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

فعلى المسلمين ان يكونوا بمستوى متطلبات المعركة شعوراً بالمسؤولية وتضحية وعطاء .

وعلى المسلمين أن يتجهوا الى الله تعالى فى كل مكان فى المساجد وأماكن العبادة في هذا الشهر المبارك افراداً وجماعات ويتضرعوا الى الله تعالى فى طلب النصر للقوات المسلحة المسلمة في كل الجبهات المقاتلة .

ثالثاً: على حكام المسلمين ان يتناسوا مابينهم من خلافات جانبية ليجعلوا من صفوفهم صفاً واحداً ، ويكونوا يداً واحدة على العدو الغادر الذي يتلمس مواضع الخلاف بين الحكام المسلمين ليثير بعضهم على بعض، ويخلق في صفوفهم الفجوات والثغرات (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً) .

رابعاً: لايجوز اغفال الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني المسلم فى ارض

فلسطين والمسجد الاقصى والقدس بحال من الاحوال في أي اتفاقية لايقاف القتال ، ولا تحدد غايات المعركة وأهدافها باستعادة الإراضي التي احتلتها اسرائيل من المسلمين سنة ٦٧ ، وانما ينبغي ان يعرف كل جندي مقاتل في جبهة القتال ، وكل مسلم يعيش احداث المعركة ان القضية الفلسطينية كل لايتجزأ ، وأن المعركة الدائرة فعلا لاتخرج عن نطاق القضية الفلسطينية .

خامساً : وهو اهم مافي الأمر اللجوء الى الله تعالى في ساحات المعركة الى جنب مقارعة العدو بالسلاح ومطاردته بالقوة ، فان النصر من عند الله تعالى وحده. وحقيق على الجندي المقاتل المسلم ان لاينسى ذكر الله تعالى في ساحات القتال ، وفي حمى المعركة ، وفي نشوة الانتصار (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)

وحقيق على الامة الاسلامية ، وهي تواجه عدواً شرساً غادراً في ساحات القتال ، وتعد نفسها لقتاله ومقارعته ان تكون على ذكر دائم لله تعالى ، وان تستمد منه العون والنصر (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

وختاماً اسأل الله تعالى ان يمن على الامة الاسلامية بنصر من عنده ويفتح لهم فتحاً مبيناً ، ويمد الجنود المقاتلين المسلمين بالقوة والشجاعة والصمود انه سميع مجيب.

ايران ـ قم		سيد محمد كاظم شريعتمداري
٢٠ من رمضان المبارك ١٣٩٣

وقد بعث سماحته بالبرقية التالية الى كل من سماحة الامام شيخ الجامع الازهر وسماحة مفتى الديار الشامية :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

منذ ان شرع جيشنا المسلم البطل فى الجبهتين المصرية والسورية بجهاده المقدس لاسترداد اراضينا السليبة وتحريرها من براثن الغاصب المعتدى ، اثر الاعتداء الاثيم الذي خطط له الصهاينة المجرمون ، فان علماء الدين فى ايران وشعبها المسلم يعيشون الأمل المشرق وبانتظار ساعة النصر الحاسمة ويتابعون بكل دقة واهتمام انباء معركة الشرف والكرامة والمصير وفى الوقت الذي تغمرهم الفرحة بالظفر والفتح الذي يحرزه اخواننا المجاهدون فان اصواتهم تعلو فى المساجد والمشاهد المشرفة بالدعاء والضراعة الى المولى القدير سبحانه بالنصر المؤزر الكامل واسترجاع جميع حقوقنا المغتصبة شعوراً منهم بان المعركة الراهنة فى ابعادها الحقيقة هي دفاع عن كيان الامة الأسلامية جميعاً وختاماً نرجو ابلاغ ادعيتنا وادعية الشعب الايراني المسلم مع اطيب امانينا وتحياتنا المشفوعة بالاكبار الى جنود الاسلام الاشاوس وابناء العقيدة الصامدين.

ثبت الله اقدام المجاهدين فى سبيل اعلاء كلمته وكلل جهادهم بالفتح المبين، والسلام

ايران ــ قم

١٣٥٢/٧/١٩ صيام ٩٣ سيد محمد كاظم شريعتمدارى

وقد تلقى سماحته البرقيتين الجوابيتين التاليتين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر مكتب الامام الاكبر شيخ الازهر

السيد/سيد محمد كاظم شريعتمدارى ــ الزعيم الدينى للشيعة فى ايران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد

فشكر الله لكم برقيتكم التي تعربون فيها عن سروركم بقيام الجيش المصري بدخول المعركة المقدسة من أجل تحرير المسجد الاقصى والارض العربية المغتصبة.

واننا اذ نقدر لكم هذا الشعور الكريم النابع من ايمانكم بالوحدة الاسلامية التي هى كالجسد الواحد اذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ..

نرجو الله سبحانه ان يفعم قلوب المسلمين في جميع الاقطار بهذا الشعور الاسلامي الاصيل ، وان يجعل منه حافزا قويا الى وحدة البذل والتضحية والجهاد من أجل الحاق الهزيمة الكاملة باعداء الله، وتحقيق النصر الحاسم على ايدي الجيوش الاسلامية التي تخوض اليوم معركتها المقدسة في سبيل الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٧ من شوال ١٣٩٣ هـ — **الامام الاكبر شيخ الازهر**
٣ من نوفمبر ١٩٧٣ م — **(الدكتور عبد الحليم محمود)**

حضرة آية الله العظمى السيد محمد كاظم شريعتمداري الزعيم الديني الكبير للمسلمين ـ قم ـ ايران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تلقيت برقيتكم الشريفة التي عبرت عن الشعور الحقيقي للمسلمين في ايران تجاه اخوتهم المجاهدين الابطال في جبهتي مصر وسورية مع كمال التقدير والشكر .

ولقد كان لكلماتكم المشرقة التي عبرت عن الاحاسيس الصميمية والادعية الحقيقية ، الأثر العميق في نفوس جميع علماء سورية والأبطال المجاهدين وكل افراد الشعب السوري المضحي .

ان هذه المعاني البليغة قد فتحت باب التعاون والتعامل المشترك على مصراعيه للجميع ووضحت اننا جميعاً وفي خط واحد أصبحنا عرضة للاعتداء الصهيوني . وان الخطر الصهيوني يهدد كل المسلمين ومقدساتهم واراضيهم .

نعم حربنا حرب كل المسلمين والواجب يحتم علينا ان نسعى ونعمل بمقتضى الامر الالهي حيث يقول : « **ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » . نرفع يد الضراعة للباري تعالى كي يحفظ بعونه ولطفه وكرمه جميع المقدسات الاسلامية في كل مكان.

ونرجو ان تتقبلوا عميق الاخلاص والادعية الصميمية لشخصكم الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد كفتارو

الملتقى الثامن للفكر الاسلامي :

وصلنا من مديرية البحوث الاسلامية التابعة لوزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية في الجزائر هذا الاستدراك : تعلن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ان تحديدها لميعاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المزمع انعقاده بمدينة بجاية كان على أساس عطلة الربيع المقررة في التعليم الثانوي ، وحيث تغيرت هذه العطلة حسبما جاء في العدد الاخير من الجريدة الرسمية، فقد ترتب على ذلك تغيير ميعاد الملتقى بحيث سينعقد من **الفاتح الى الثاني عشر من ربيع الاول ١٣٩٤ ه الموافق الخامس والعشرين مارس الى الخامس من أبريل ١٩٧٤م**، في نفس المدينة ، بجاية، وبنفس جدول الاعمال الذي هو كالاتي :

١ ـ وضع الاقليات والجاليات عموما ، والاسلامية خصوصاً ، في كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء ، والمفكرين ، ورجال الاعلام نحوها .

٢ ـ دور المفكر اليوم وعلى مر العصور في أمته وتجاه الانسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل .

٣ ـ مساهمة بجاية الحمادية في الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطها .

٤ ـ مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم ،والفنون، والتراث الانساني على العموم. عوامل ازدهارهما ،اسباب انحطاطهما وشروط انبعاثهما

٥ ـ الانية والاصالة مع التفتح والعالمية . معنى هذه المفاهيم مدى امكانية التوفيق بينها ـ درجة اهمية هذا التوفيق في عالم اليوم بالنسبة للفرد ، والمجتمع ،ومصير الانسانية كلها .

الاسلام في بلجيكا

نشرت صحيفة اطلاعات الايرانية في عددها ١٤٢٩٨ الصادر بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٩٣ الخبر الآتي «قدم السناتور البرت سمث مشروع قانون الى مجلس الشيوخ البلجيكي يطلب فيه ان يعتبر الدين الاسلامي احد الاديان المعترف بها رسمياً في بلجيكا وقد صرح الناطق بلسان مجلس الشيوخ للصحفيين ان المجلس سيبحث اقرار هـذا المشروع في الايام القليلة القادمة».

هذا ولا بد أن نأخذ بنظر الاعتبار ان حوالي ١٤٠ الف مسلم يعيشون حالياً في بلجيكا، كما ان الدول العربية المصدرة للنفط قد وضعت بلجيكا في صف اصدقائها واعفتها من تخفيض وارداتها من النفط العربي» .

الهادي : هذا هو الخبر الذي لا شك ان الكثير من المسلمين في كل مكان استقبلوه بترحاب كبير حينما قرأوه او سمعوه ، ولكن القليل والقليل جداً اولئك الذين فكروا بصورة اعمق في مضمونه وما يلقيه عليهم من مسؤوليات .

ليس المهم أن نفرح ونبتهج لهذه الاخبار ولكن المهم أن نعرف كيف نتصرف في مواجهة مثل هذه الحالات والظروف ، انها لفرصة جد عظيمة للمسلمين و لا بد أن يتحركوا للاستفادة منها ، هنا تأتي مسؤولية الحواضر العلمية في ايفاد مندوبين اكفاء يقومون بدورهم المطلوب على احسن وجه ، وبخير اسلوب واسهل لغة يمكن أن يفهمها اهل تلك البلاد ، وهنا تأتي مسؤولية اصحاب المال من المسلمين بان يقدموا قليلا من الحقوق التي فرضها الله في اموالهم ويقدمونها في سبيل الله وتأتي مع كل ذلك مسؤولية اولئك المسلمين القاطنين ليكونوا خير ممثل وخير داعية الى دينهم القويم الذي اثبت ـ وسيبقى كذلك ـ انه دين الفطرة الانسانية وانه الدين الخالد الذي ظهر وسيظهر على الدين كله ولو كره المشركون .

الاسلام كمحرك رئيسي

«**ومن الغباوة** أن نتجاهل اثر الحافز الديني كنتيجة حتمية لارتداد النفس العربية الى ذاتها بعد انهزام حزيران ١٩٦٧ ، فالاسلام بما فيه من مقومات جهاد واستشهاد كان محركاً رئيسياً في تجاوز العقد والحدود والعقبات النفسية والتراث الاسلامي

يلعب دوراً في تكوين الجماعة ، فنبي الاسلام هـو ذاتهنبي العـروبة ، والمعتقد الاسلامي مازال يؤثر بصفتهشرعة الدنيا والاخرة».

«النهار اللبنانية ـ ٢٦ ـ ١١ ـ ٧٣»

الهادى : كان هذا الكلام ضمنالبيان السياسيالذي القاه السيد كمال جنبلاط زعيم الاتجاه اليساري في لبنان كما يقال .

ونحن لانريد هناأنندرس الدافع الحقيقي لهذه«الومضةالجنبلاطية» ..ولكننا نريد ان نقول ان ثمت احتمالات كثيرة يمكن ان يفسر بها كلام السيد جنبلاط . .

ومن هذه الاحتمالات أنه قاله عن اعتقاد ويقين وذلك.مانتمناه له .. لانا نتمنىلجميع حملة الاقلام والمفكرين من أي اتجاه كانوا أن يهتدوا الى الحقيقة الكبرى التي صرح بها القرآنالكريم الذي تنزل من خالق هذا الكون.قالتعالى: «**ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين**».

نشيد المعركة

اللهاكبر

فيمعركةرمضان ارتفعصوتالايمان فيالمعركة، وتجلتشخصية الامةالمحاربة .

اجل لقدارتفعصوت الاسلامفينشيد«اللهاكبر» وبرز الجنود الى الموت ، ينقضون على العدو باسم الله ، وعلى يمن الله في بسالة الابطال ، وتفاني المؤمنين .

وفيما يلي نقدم بعض مقتطعات عمـا قيل وكتب عنروحيةالجنديالمقاتلفيالمعركةوايمانه المطلق ،بالله سبحانه وتعاليووعدهبالنصر...

جاء في مقابلة أجراها مندوب مجلة الحوادث اللبنانية مع العميد عبد لوهاب الحريرى ما يلى :

«وبدأ العشرات يتساقطون، حتى اليوم لا اصدق عيني كيف كان جنودي يقفزون ويهجمون ، كأنما أصابهم مس من الجنون او كأنما نسوا أنهم بشر .

الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر .

كالسحر كانت تفعل هذه الكلمات التي يطلقونها . لا ادري ان كنت تفهم ما هو المفعول المغناطيسى لهذه الكلمات في اللحظات الفاصله بين الحياة والموت . انا نفسي لم اكن اعطيها ذلك المفعول النفساني حتى تلك الساعات التي رأيت فيها جنودي وقد تحولوا فيها الى شيء آخر ليس من هذا العالم .

الله اكبر وينقضون على غرفة نوم . الله اكبر ويتدافعون بالعشرات فوق مرابض رشاشات الاسرائيليين . الله اكبر ويقتحمون الممرات . الله اكبر ويهجمون على دبابات الباتون من امام ومن خلف لا ليدمروها بل ليأخذوها سليمة وليأسروا طاقمها.

الله اكبر كانت آخر كلمتين قالهما كثيرون من جنودي قبل ان يموتوا . ماتوا مطمئنين، فرحين ، مبتسمين ، ضاحكين . ماتوا شهداء في جهاد . ماتوا ليزيلوا عن بلادهم وعن امتهم جرح الذل وقبح المهانة اللذين نخرا فينا منذ ١٩٦٧ .

وكل ساعة تمر كان القتال فيها يشتد ،لم نكن بعد قد استولينا على الموقع حينما زحفت علينا ٧٥ دبابة اسرائيلية من قلب الصحراء .

وكاد جنودي ان يجنوا . لا نوم ولا راحة قبل ازالتها من الوجود .

الله اكبر . كان اكثرهم لا يزالون صياما بعد ذلك الظهر رجوتهم ان يفطروا لانهم في حرب فكادوا ان يرجموني وكدت ان اصبح الحقير الاول بينهم مع اني قائدهم. اقسموا الا يفطروا الا بعد ان يحرروا الموقع . خيل الي لساعات طويلة اني لم اعد أنا قائدهم. كانوا في حوار مع ربهم يأخذون منه الاوامر، يطلبون منه التوفيق ، يرجونه الا يخذلهم يتطلعون الى السماء ويبتسمون شاكرين . الله كان قائدهم وليس أنا . وفي عز حمام النار رحت ابكي . ليس هؤلاء بجنود ؛ انهم أبالسة، جنوا ، سكروا بشيء

لست اعرفه. لم تصدق عيناي ان الجندي يمكن ان يصل الى هذه المرحلة من نسيان ذاته.

جاءتنا ٧٥ دبابة وحل المساء والجنود لايفطرون . انسانيا هذا لايجوز . طلبت اليهم ان يشربوا ، ان يأكلوا شيئاً سريعاً بين هجوم وهجوم ، فكان صوتي حفيفا في صحراء . رفضوا ان يشربوا او ان يأكلوا . اقسموا على الموت صياما . الله اكبر واغرورقت عينا العميد بالدمع وهو يحدثني .

باسم الله ، الله اكبر . ويبدأ الجحيم من جديد . اكاد احسد الذين استشهدوا من جنودى . لااحسدهم على الموت بل على الطريقة التي ماتوا بها ، على العرس الذي احتفلوا به في استقبال الموت» .

ويقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر الشريف في مقابلة اجرتها مع فضيلته مجله «آخرساعة» المصرية :

«واماقواتنا المسلحة فكانت تنطلق وملء قلوبها اليقين الراسخ في عون الله وانه معهم في كل حركة وكل سكنة . يدفع عنهم ويهم وآية ذلك ماقدموه من بطولات خارقة، واعمال لاتطيقها همم بشر مجردين من حول الله ومدده . ولعل زئيرهم بذلك النشيد الالهي في كل حركة وفي كل جولة : الله اكبر . الله اكبر ظاهرة تغني عن كل عبارة تحاول تقويم الواقع النفسي والروحي لاولئك الذين ارضوا الله فرضي عنهم وتقبل منهم».

ولنقرأ الان ماكتبه صالح جودت في مجلة الهلال المصرية عن جو معركة رمضان

الله اكبر . . .

هكذا كان النداء الاكبر الذي اقتحموا به النار وهدموا الطاغوت وهزموا العدوان

وسمعت منهم وعنهم عشرات القصص . .

سمعت قصة ذلك البطل الذي كان اول من عبر القناة ووضع قدميه على الشاطىء الاخر وهو يصيح : الله اكبر .

وسمعت قصة ذلك البطل الذي كان اول من أرسى علم مصر على رمال الشاطىء الاخر وهو يصيح: الله اكبر.

وسمعت قصة ذلك البطل الذي اوشك مدفع للعدوان ينطلق صوب زملائه ،فالقى نفسه على فوهة المدفع ليتحول الى اشلاء تفتدي زملاءه .. وهو يصيح: الله اكبر.

وسمعت قصة ذلك البطل الذي حزم خاصرته بحزام ناسف والقى بنفسه تحت بابة للاعداء مقبلة صوب زملائه ، فنسفها بمن فيها .. وهو يصيح : الله اكبر .

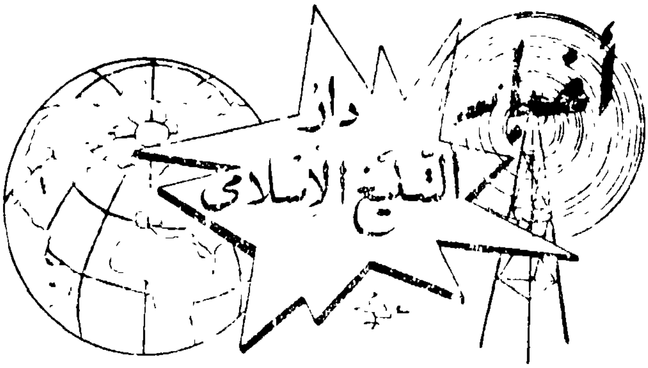
وسمعت من فم احد هؤلاء الابطال انه كان وحده في موقع ، وتعرض موقعه لهجوم، فاذا هو يرى حوله عشرات من جند الله يحاربون معه، ويصدون هجوم اعدائه.

وحين انجلى الموقف ، وجد نفسه مرة ثانية وحده ،فراح يصيح : الله اكبر.

وسمعت من الكثيرين منهم كيف كانوا يسمعون هذه الصيحة «الله اكبر».. ترددها جبال سيناء ووديانها، وكيف كانوا يرون غمام السماء يرسم لهم كلمتي : الله اكبر.

هدفان . . . فالنصر للمؤمنين

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً .



١- بعثة الحج الدينية :

تفضل سماحة الامام المؤسس السيد شريعتمداري فأرسل بعثة الحج الدينية التي اعتاد ارسالها فى كل عام الى الديار المقدسة وقد قامت البعثة بالمهمات الجليلة الملقاة على عاتقها من ارشاد الحجاج فى كل الاماكن التي يتواجدون فيها وحل مشاكلهم العامة وتفقد شؤون المسلمين هناك وقد اجرت البعثة الكثير من الاتصالات فى سبيل توطيد عرى الاخوة الاسلامية وقابلت بعض الشخصيات الفكرية الاسلامية .

ومما يذكر ان البعثة وبأمر من سماحة الامام قامت بمعونة الكثير من الحجاج الذين احتاجوا الى المساعدات المالية نتيجة لاسباب مختلفة كما وقامت بزيارة الكثير من قوافل الحجاج فى اماكن اقامتهم وتفقدت احوالهم وبذلت مافى وسعها لتوجيههم كما قام الوفد بزيارة رابطة العالم الاسلامي فى مكة المكرمة والجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة . وكانت هذه الزيارة فرصة طيبة لحوار فكري مثمر نرجو ان يستمر ويمتد بين اقطاب الفكر الاسلامي فى هذا الموسم الاسلامي الكبير .

٢ ـ تاسيس المدرسة الفاطمية :

وهي مدرسة علمية دينية ترتبط بدار التبليغ الاسلامي العامة أسست على احدث طراز ووفرت فيها مختلف الجوانب الدراسية من مدرسين وكتب ومكتبة كما وتحتوي المدرسة على غرف لسكنى الطلاب بعد ان وفرت وسائل الراحه للطلاب .وقد اقيم حفل بمناسبة افتتاحها حضرة سماحة السيد المؤسس وحشد من العلماء والفضلاء والفئات الاخرى والقيت فيه القصائد والكلمات باللغتين العربية والفارسية وتقع المدرسة في المنطقة الاولى من مدينة قم والى جنب مرقد (شاهزاده زيد) .

٣ ـ مشورات للدار توزع مجاناً :

أ ـ (فلسفة النهضة الحسينية) بالفارسية

ب ـ (تقرير عن نشاطات دار التبليغ الاسلامي) بالفارسية .

ج ـ (محمد في الاسلام) باللغة الفرنسية .

٤ ـ (قام الاستاذ صالح ابو رقيق مدير معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بزيارة هذه المؤسسة واطلع على بعض فعاليتها كما وزار المكتبة الملحقة بها واعجب كثيراً بالنظام المعمول به في المكتبة وودع بما استقبل به من تكريم .

مكتبة المجلة

□ **فقه الصادق**

المؤلف: السيد محمد صادق الروحاني
المطبعة وعدد الصفحات : المطبعة العلمية ــ قم ــ في ٤٥٤ صفحة

والكتاب هو الجزء الرابع عشر من الموسوعة الفقهية التي ألفها السيد المؤلف في التعميق على كتاب المكاسب للشيخ الاعظم والفقيه الاكبر الشيخ الانصاري

□ **المسائل المستحدثة**

لنفس المؤلف
الناشر : دار الزهراء في بيروت

والكتاب عبارة عن بحوث فقهية في بعض المسائل المستحدثة تناولها المؤلف بما نعهده فيه من دقة وعمق .

□ **قضايانا على ضوء الاسلام**

المؤلف: السيد محمد حسين فضل الله
الناشر : دار الزهراء ــ بيروت
عدد الصفحات: ٣٠٤ من القطع المتوسط

يطرح الكتاب قضايا اسلامية حساسة يعالجها بشكل موضوعي ومركز نذكر منها احترام قدسية الكلمة ، وازمة الانسان المسلم في ظل التشريعات غير الاسلامية، وبناء الشخصية الاسلامية ، ومطالعات حول الدراسات الاسلامية ، ووقفة مع المؤرخين في قصة المبعث النبوي ، ومشكلة الفراغ العقائدي وقيمة الدعاء ومفهومه في الاسلام .

□ **الامام الرضا .. تاريخ ودراسة**

المؤلف : السيد محمد جواد فضل الله
الناشر : دار الزهراء - بيروت.
عدد الصفحات : ٣٠٠

□ **صلح الامام الحسن..أسبابه ونتائجه**

لنفس المولف
الناشر: دار الغدير
عدد الصفحات ٢٤٠

والكتابان يعبران عن جهد علمي صادق في عرض حياة اهل البيت قادة البشرية بعد النبي (ص) عرضاً موضوعياً.. وليس من شك في ان تاريخ اهل البيت تتخلله فجوات لم تملأ في الدراسات

الاسلامية بعد،ممايثير كثيراًمن التساؤلات التي لا بد ان يتوفر عليها الباحثون..وذلك من مثل مسألة ولاية العهد للامام الرضا(ع) وصلح الامام الحسن (ع).

نرجو للمؤلف المزيد من الجهود في هذا المضمار

□ **المدخل**

الى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

المؤلف: السيدمحمدباقر الموحد الابطحي
الناشر : مطبعة الاداب في النجف الاشرف العراق
عدد الصفحات ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط

ويعتبر الكتاب تمهيداً لتفسير موضوعي للقرآن الكريم ، ينوي المؤلف التوفر عليه وفكرة التفسير الموضوعي (اي التفسير حسب الموضوعات) تعتبر من اهم الدراسات القرآنية الحديثة التي نتوقع منها الخير الكثير

□ **القرآن في الاسلام**

المؤلف : السيدمحمدحسين الطباطبائي
المترجم : السيد احمد الحسيني
الناشر : جمعية الثقافة الاجتماعية ـ الكويت
طبع دارالزهراء ـ بيروت
عدد الصفحات ٥٨ من القطع الوزيرى

وهو كتاب قيم جليل يتناول مواضيع هامة وبشكل علمي معمق كما قد عودنا سماحة المؤلف على الدقة والعمق والاصالة في دراساته القرآنية ونحن ندعو القراء الى قراءة هذا الكتاب ودراسته فهو نتاج مؤلف بذل شطراً طويلا من عمره في الدراسات القرآنية والتفرغ لها بصورة مركزة،وموسوعته القيمة (الميزان في تفسير القرآن) خير شاهد.

□ **الاحتكار**

المؤلف: محمد صالح عبد الله
الناشر : جمعية الثقافة الاجتماعية ـ الكويت
المطبعة :دارالخليج في الكويت
عدد الصفحات : ٨٩

وهو كتاب يطرق موضوعاً جديراً بالبحث ، ويقارن فيه بين نظرة الاسلام الى الاحتكار والتلاؤم مع القواعد العامة فيه والنظرات الاخرى اليه، موضحاً واقعية النظرة الاسلامية.

□ **نشرة (طريق النور)**

اصدار جمعية الثقافة الاجتماعية ــ الكويت

وتمتاز هذه النشرة بطابعها الاسلامي الصافي وموادها الحية

□ **فضائل أمير المؤمنين (ع)**

المؤلف الشيخ قوام الدين القمي الوشنوى
الناشر والصفحات : مطبعة الحكمة ـ قم في

١٢٢ صفحة وزيري .

وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب بعض ماورد في كتب الفريقين في هذا الصدد



□ وصلتنا من الاستاذ الدكتور طه الجوادي في استانبول ـ تركيا رسالة عاطرة يذكر فيها دعواته الخالصة لهيئة التحرير كي تقوم بواجبها الاسلامي الجليل .

□ كما ووصلتنا من الاستاذ عبد الله بن نوح من اندونيسيا رسالة ورد فيها «لقد اعجبتني المجلة بشكلها ومضامينها ومباحثها وطرق تفكيرها وهي من نوع جديد ممتع بالنسبة لامثالي»

□ كما وقد وصلتنا رسالة من الاستاذ وهبي اسماعيل مدير المركز الاسلامي الالباني يقول فيها : ـ « منذ ايام وقع في يدي العدد الثالث من السنة الثانية لمجلة (الهادي) فقد اعجبتني شكلا وموضوعا .... وقد وضعتها في قاعة المكتبة للمركز الاسلامي الالباني و حازت اعجاب جميع الزائرين.. ولذا أرجو أن تتكرموا بارسال المجموعة كلها اذا أمكن ومطبوعات أخرى لدار التبليغ الاسلامي باللغة العربية او الانجليزية ولكم منا جزيل الشكر مقدماً ..»

□ ومن الاستاذ محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي في واشنطن «تسلمنا بيد السرور وبالغ التقدير العدد الثالث من السنة الثانية من مجلتكم العصماء وقد أعجبنا بسعة أفقها وتنوع موضوعاتها وما حوته من علوم وفوائد.

ومن احسن ما اثار اعجابنا ما نشرتموه على الصفحات ١٩٢ - ١٩٥ من تعليق على ملاحظات من شأنها تعكير الصفو وتمزيق الوحدة، وحكمتكم وحرصكم على الترفع عن الاشتغال بالخلافات ، وتوجيه الجهد نحو ضم الشمل وجمع الكلمة ، والمسلمون جميعاً يؤمنون بكتاب واحد ورسول واحد ويصلون الى كعبة واحدة ، ومـاذا يعني التشيع اكثر من محبة آل البيت الكرام والاهتداء بهديهم ؟

والاقتداء بمثلهم العليا من صبر وجهاد وتضحيات مهما بلغ بهم من الاذى والظلم

وهم الصفوة والخيرة ومنبع العلوم والانوار ؟

ومن هو المسلم الذي لايطوي بين حبات قلبه محبة هؤلاء الكرام بقدر محبته لنفسه وولده؟ حياكم الله وحفظكم ونفع المسلمين بعلمكم ونشاطكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

□ ووصلنا من الاستاذ الدكتور زكي علي من جنيف رسالةمعبرة يقول فيها:

« وافاني البريد قبل اسبوعين بنسخة من مجلة (الهادي) الزاهرة التي تقومون بادارتها خير قيام والتي تكرمتم بارسالها الي (لاول مرة) وكانت مفاجأة سارة اذلم يكن لي علم بوجودها من قبل وماان تصفحت فصولها الممتعة النفيسة باقلام نخبة من علماء ايران الاجلاء الافذاذورهط من المفكرين المصلحين العاملين لخدمة الاسلام وجمع شمل المسلمين حتى غمرتني البهجة والغبطة بصدور هذه المجلة التي تنير السبيل للجيل الحاضر ومايليه من الاجيال الصاعدة من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وتهدى الى طريق الوحدة بين كافة المؤمنين اعلاء لكلمة الله وبثاً للفكر الاسلامي الشامل جميع نواحي الحياة .

لهذا أبعث اليكم بجزيل الشكر وعميق الثناء على اتحافي بهذه المجلة القيمة واقدم لدار التبليغ الاسلامي أحر التهاني باصدارها على هذا النمط العالي من العرض والطباعة والتحرير حافلة بموضوعات فيها موعظة لعقل القارىء اللبيب ومتعة روحية للمسلم المفكر الراغب في المزيد من العلم والحكمة .

واسمحوا لي ان انوه بالقيمة العظمى لمجلة الهادي الا وهي انها رمز جميل جليل لوحدة المسلمين مهما اختلفت طوائفهم ويحضرني في هذا المقام الجامع بين اهل السنة والشيعة اخوة مؤمنين متضامنين صفاً واحداً قول الامام الشافعي رضي الله عنه

ان كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي

ثم قول المغفور له شيخ الجامع الازهر الشيخ محمود شلتوت لمن خاطبه في امر وحدة طوائف المسلمين: كلنا سنة لاننا نتمسك بكتاب الله وكلنا شيعة لاننا نحب آل رسول الله.

واني اتوجه الى الله العلي القدير بخالص الدعوات أن يحفظكم ويحفظ علماء ايران المخلصين العاملين ذخراً للاسلام والمسلمين وان يديم عليكم التوفيق والفلاح .

وتقبلو وافر تقديري وعظيم مودتي واطيب تحياتي والسلام .

مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثاني ـ السنة الثالثة

جمادى الاولى ـ ١٣٩٤ هجرية

الفهرس

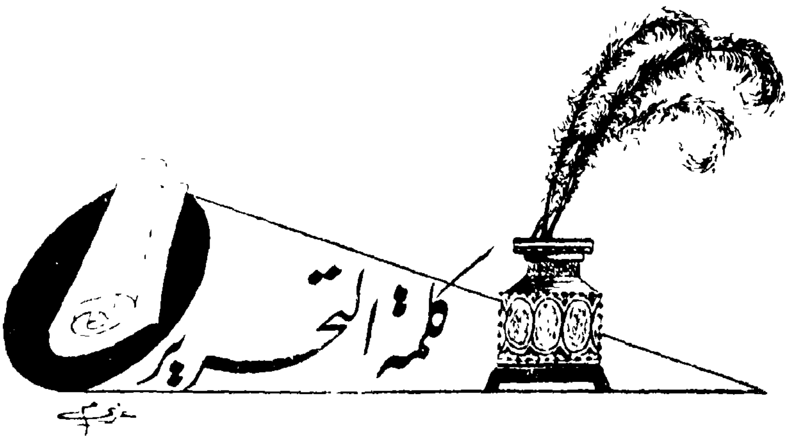
حكمة العدد

والله ان امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ، ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه ، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك ان شئت ، فأما أنا فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام ، وتطيح السواعد والأقدام ، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء

الامام امير المؤمنين ع

« نهج البلاغه »

بسم الله الرحمن الرحيم



الإفراط في التأثر داؤنا الوبيل

في هذه الصفحات الاولى من كل عـدد نحاول ـ ما وسعنا ـ أن نعيش مع الاحداث على الصعيدين الاسلامي والعالمي ، لنحللها الى عناصرها ، وننبذ منها ما يمكن أن يعلق في الاذهان من وهم ، أو ننبه على مواضع ضعف قد تعتري ما نتخذه من موقف .

وقد ارتأينا في هـذا الظرف الذي تمر فيه امتنا بمرحلة حساسة جداً من مراحـل مسيرتها الطويلة ، أن نشير الى مسألة حيا تية تمس امتنا في الصميم ألا وهي (مسألة الافراط في التأثر) كداء عضال ما زال ينخر في الرأي العام من جماهير هذه الامة المسلمة .

ونقصد بمسألة الافراط في التأثر هـذا الانعطاف الشديد نحو ما يجري في بلاد الغير من أحداث ، وهذه السطحية في النظرة والتي تعتبر أية بادرة تصدر من الغير فتحاً مبينـاً وبرهاناً ناصعاً على تحرك الضمير الانساني عنده ، واتخاذه لموقف مبـدئي يبتني على أسس العدالة والحق ، كل هذا من دون أن نجشم أنفسنا عناء البحث عن خلفيات هـذه البادرة ومدى استقامتها .

ومن تطبيقات مسألة الافراط في التأثر في مجال العلاقات الدولية حالة الوحشة المخيفة أو الابتهاج الساذج ، اللذان ينتابان الكثير ممن يواكبون الاحداث العالمية ويعايشونها حينما يشاهدون تغييراً يحدث في هذه الدولة الاجنبية او تلك على مستوى الافراد أو الانظمة ، ويتخذ هذا التغيير ابعاداً واسعة التأثير في نفوس الافراد ويمنحونه من الاهتمـام اكثر مما يجب وفوق ما يستحق . ونجد تطبيقـاته كذلك في مجال السلوك متمثلا في هذه القابلية الشديدة للتأثر بأية موضة جديدة مهما كانت غريبة مادامت قد وصلت من بلاد الضباب.

وهكذا تتأثر الحياة اليومية للجماهير في طريقة المسكن او الملبس او العادات الاجتماعية، وتتغير تبعاً لما يحدث هناك من تغيير وفي هذا ما فيه من فقدان الشخصية وذوبانها ، وضعفها وتبعيتها .

وقد يتعدى الافراط في التأثر جانب السلوك والمواقف العملية الى المجالات العلمية والفكرية ، وهذا ما يبدو ظاهراً ـ ومع شديد الاسف ـ عند الكثير من كتابنا وباحثينا ـ اذ يعترضون المراجع الاجنبية ، كمؤلفات المستشرقين مصادر رئيسية للبحث عن تأريخنا وحضارتنا بل وحتى عن رسالتنا نفسها ومعالمها العامة ، مع كل ما هو معروف من الاهداف المشبوهة لحركة الاستشراق الضالة ومنابتها الاولى ، وكأن تقليد هؤلاء الكتاب للمستشرقين في منهج بحثهم وطرق استدلالهم والتشكيك في كثير من المسلمات والبديهيات يعتبر شهادة ناصعة على تقدمهم وتجددهم وتحررهم من القديم ومخلفاته . وبعد أن فرغنا بعرض هذه النماذج وفي شتى المجالات نعود لنؤكد على اننا في موقفنا هذا لاندعو الى الانعزالية عن الاحداث العالمية او ما يستجد في بلاد الغرب مما لا ينافي شريعتنا ومفاهيمنا او عدم الاستفادة من جهود وابحاث الاخرين .

اذ اننا نرى ـ وذلك من صميم عقيدتنا ـ ان نتلقف الحكمة من أي مصدر كان وان نطلب المعارف والعلوم ولو كانت في الصين ، وكذلك نعتقد ان على المسلم أن يعايش الاحداث ولا ينفصل عنها وانما يجب ان يسعها بصدره الواسع وقلبه الكبير ليستثمرها في خدمة رسالته المقدسة التي لا تنحصر بمكان ولا تقتصر على شعب ولا تتفرد بها امة ، وبهذا فاننا في موقعنا هذا انما ندعو الى ان يكون للفرد المسلم والامة المسلمة موقف الشاهد والمؤثر لا التابع المتأثر قبل أي شيء ولا يمنع هذا من التأثر الواعي والتفاعل المثمر .

وقد حبانا الله تعالى من الامكانات ورزقنا من الثروات ما يؤهلنا لاحتلال هذا المركز القيادي في العالم ، فهناك اولا تلك العقيدة الفعالة التي اشتملت على كل عناصر القوة والبقاء ، وعندنا كذلك هذا الموقع الاستراتيجي الذي لامثيل له في العالم ، فالبلاد الاسلامية تتوزع على قارتي آسيا وافريقيا وتتحكم في الكثير من الطرق البحرية والجوية الهامة وبعبارة جامعة فانها تتحكم في عصب التجارة العالمية وشريانها .

واما الثروات الطبيعية فحدث عنها ولا حرج ويمكن أن نكتفي بذكر ذلك الذهب الاسود الذي نملك اكبر احتياطي له في العالم ، والذي برهن على قوة فاعليته في الآونة الاخيرة وكيف بدأت الدول من كبراها الى صغراها تطرق ابواب البلدان الاسلامية مدركة اهميتها بعد أن لم تكن تقيم لنا وزنا في مجال العلاقات والاحداث الدولية .

وأخيراً فاننا نرى ان ليس امامنا للخلاص من الداء الوبيل ـ داء الافراط في التأثر ـ الا أن تقوم حملة فكرية واعية يرعاها مفكرون وعوا المشكلة والداء ونذروا انفسهم لتخليص جسم الامة منه ، ان واجب المفكرين اليوم هو في تحسيس هذه الامة بأنها هي وحدها ربان سفينة الحياة الحرة الكريمة في العالم المتلاطم بامواج الانحراف وبهذا ينفض الغبار الذي تجمع من قرون وقرون عاشتها الامة القائدة بعيدة عن مركز المسؤولية والقيادة .

فلنتجه جميعاً الى الاسلام ننهل من ثمرة العذب ونستمد من مفاهيمه المشرقة زاداً ونوراً في هذه المسيرة المقدسة ، فان الاسلام يركز على تربية الارادة الحية المدركة في النفوس والتقبل الناقد لكل الامور صغيرها وكبيرها تعبيراً عن واقعيته الاصيلة ، ولزوم التلاقي بين افراد الانسان على مختلف الاصعدة وتلاحم الجهود في السير نحو الهدف المنشود وهاهي نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تشتمل بين طياتها على اروع التعاليم في مجال اعطاء الامة شخصيتها النوعية المميزة ، فتفترض فيها ان تكون الامة الشاهدة على الناس ، والامة الوسط ، وان تكون خير امة اخرجت للناس الامة المترابطة فيما بينها ، والمتكافلة اجتماعيا والواعية لكل الاحداث . نسأل الله عزوجل وعلا ان يلهم الامة طريق الصواب وان يمن عليها بالتوفيق والسداد .

الرقابة الاجتماعيّة في الاسلام (٢)

الامام السيّد شريعتمداري

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث الاطلاق والقصد(*)

ان موضوع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث اطلاقه أو تقييده بشروط في الشرع هو ايضاً من النقاط المبهمة في هذا البحث وقبل نوضيح هذه النقطة وبيانها، ينبغي أن نوضح أن الواجب المشروط يفهم على نوعين اذ ان الشرائط التي تثبت لتكليف واحد هي أيضاً تنقسم الى قسمين :

١ ـ شروط أصل التكليف والوجوب:

وهي الشروط التي يتوقف اصل وجوب التكليف على توفرها ففي حالة تحقق تلك الشروط يكون التكليف واجباً والالا يترتب الوجوب أصلا وذلك كالحج الذي يكون مشروطاً بحصول الاستطاعة فمن المعلوم ان الاستطاعة شرط في وجوب الحج وما لم تتوفر الاستطاعة وتتحقق لا يكون الحج واجباً على المكلف .

٢ـ شروط الواجب:

«وهي شروط في اداء ذلك الواجب والعمل به لا في اصل الوجوب» اي أن وجوب ذلك العمل وأصل تكليفه مطلق غير مقيد بشرط ، ولكن تحققه في الخارج وصحته يتوقف على شروط معينة وذلك كاشتراط الوضوء بالنسبة لصحة الصلاة، لان

---

* يلزمنا ان ننوه الى ان هذه البحوث هي بعض ما تفضل سماحته فألقاه في دار التبليغ الاسلامي ، وقام بتنسيقه بالفارسية السيد ابراهيم السيد علوي ، وقام بالترجمة الشيخ قاسم عباس الحائري . **(الهادى)**

الصلاة هي واجبة على كل حال سواء قبل تحقق الوضوء او بعده ولكن صحة الصلاة وتحققها في الخارج يشترط فيه الوضوء والفارق الاساسي بين هذين السنخين من الشروط (١) هو أن المكلف لا يلزم بتحصيل شروط الوجوب بعكس شروط الواجب فانه يلزم بتحصيلها .

وبعد هذا التوضيح ينبغي أن ننظر الان الى الشروط الاربعة أو الاكثر التي ذكرها الفقهاء للامر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أي هذين السنخين من الشرط هي ؟ هل هي داخلة في القسم الاول ام الثاني ؟ .

ومما ينبغي ان يلاحظ ويتم تحقيقه تحقيقاً كاملا أيضاً هو أن ننظر الى طبيعة هذه الشروط وشكلها وهل جاءت على منوال ونمط واحد في كلا القسمين «الفردي والجماعي» من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أم جاءت مختلفة .

فالذي يستنتج من خلال ملاحظة ما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن تلك الشروط ليست على نمط واحد ، فبعضها شرط الوجوب والبعض الاخر شرط الواجب كالشرط الاول منها وهو العلم بالمعروف والمنكر وسيتضح هذا جلياً من خلال البحث في جوانب هذا الموضوع .

شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكر الفقهاء أربعة شروط بارزه للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يلزم ان نتابع التحقيق الكامل في اطراف كل واحد من تلكم الشروط مع شرح الجوانب الغامضة من البحث .

الشرط الاول: ان الشرط الاول للامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العلم بكل من المعروف والمنكر ومعرفتهما من وجهة نظر الاسلام ومعنى ذلك ان الذي يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يعلم ما هو المعروف وما المنكر؟ ويشخص

(١) ولا تفوتنا الاشارة هنا الى القول : بأن الواجب المطلق في اصول الفقه هو التكليف الذي تكون له شروط عامة كالعقل والبلوغ من غير اضافة شروط خاصة وذلك في مقابل الواجب المشروط الذي تكون له شروط خاصة بالاضافة الى شروطه العامة . **(المقرر)**

كلا منهما تشخيصاً كاملا اما عن طريق الاجتهاد أو التقليد الصحيح .

وبقيت هناك نقطة ضمن هذا الشرط لم تتم الاشارة اليها وان كانت قد ذكرت في طوايا بحوث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتلك النقطة هي علم المأمور بالمعروف والمنهي عن المنكر بهما فكما أن علم الآمر والناهي شرط في الموضوع كذلك يشترط علم المأمور والمنهي بذلك وبعبارة أخرى لو أن شخصاً ارتكب منكراً مع علمه بانه منكر وترك عملا مع علمه بانه معروف وواجب صح أن يقع مثل هذا الشخص مورداً للامر والنهي «من قبل من يكون أيضاً عالماً بذلك المعروف أو المنكر» أما اذا كان ذلك الشخص جاهلا بالحكم والموضوع فلا يصح ان يؤمر بالمعروف او ينهى عن المنكر بل يلزم الارشاد والتوجيه في مثل هذا المورد فيكون ذلك من باب ارشاد الجاهل وتنبيهه لا من باب الامر والنهي عن المنكر ثم انه ليس للارشاد مورد عند الجهل(١) اساساً الا في حالتين(٢) .

أ : المورد الذي يعتبر فيه العالم بالمنكر سبباً في جهل الجاهل وضلاله اذا لم يبادر الى ارشاده وتنبيهه ، اي ان وقوع المنكر من الجاهل او تركه للواجب يكون بسبب هذا الذي يراه وينظر اليه وهو يعلم بجهله وضلاله ، ومع ذلك لا يرشده ولو قام بارشاده وتوجيهه لما كان يرتكب ذلك المنكر او يترك ذلك الواجب .

ب : المورد الذي يتعلق بأموال المسلمين ونواميسهم فمن الضروري ايضاً في مثل هذا المورد توجيه الجاهل وردعه عن الخوض في اموال المسلمين والتعرض الى نواميسهم وحرماتهم وثمة نقطة اخرى تتعلق بالشرط الثاني من شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الآنف الذكر وهي: ان هذا الشرط اي «العلم بالمعروف والمنكر»

---

(١) وهكذا اذا كان المسألة مورد اختلاف بين الفقهاء وكان الشخص المرتكب للعمل يؤمن بوجوبه اجتهاداً ، او تقليداً ، وآخر يعتبره حراماً ففي مثل هذا المورد لا يصلح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً .

(٢) ان ارشاد الجاهل حسن في كل موطن ومورد ، وذلك بحكم العقل ولكن ليس له وجوب شرعي في كل الموارد والحالات . **(المقرر)**

ليس شرطاً لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل هو شرط الواجب وانه من جملة شروط صحة العمل ووقوعه على الوجه الشرعي الصحيح وعلى هذا الاساس يلزم على المكلفين بهذه الوظيفة الخطيرة ان يحصلوا على العلم بالمعروف والمنكر ولا يلقوا عن اكتافهم تبعات المسؤولية بحجة عدم توفر الشروط اللازمة لها ولا ينسحبوا من الميدان معتذرين بفقدان العلم الضروري الذي يحتاجون اليه في ساحاته.

اثر الشرط الاول ونتائجه :

اما نتائج هذا الشرط «العلم بالمعروف والمنكر» وآثاره المهمة فانها واضحة جداً . فمع مراعاة هذا الشرط يتدارك أي محذور او خطأ يمكن ان يقع خلال ممارسة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمنعه قبل وقوعه فكثيراً ما اتفق ان يفهم المعروف منكراً او المنكر معروفاً بسبب عدم مراعاة هذا الشرط الاساسي وجهل الناس بالمعروف والمنكر، ويمكن ان نجد لذلك نماذج وافرة وشواهد كثيرة في مجتمعنا اليوم .

الدين

ركيزة الاخلاق والقانون

السيد علي الحائري

قد لا ابالغ اذا قلت ان من أهم ما يحتاج اليه المجتمع البشري بصورة عامة – أي مجتمع كان وعلى أي مستوى كان من الحضارة والرقي والثقافة امرين أساسيين تقوم عليها دعائم المجتمعات الانسانية وترتكز عليهما الحياة البشرية وهما :

الاخلاق ... والقانون ...

ولا أحسب انني أحتاج بعد هذا الى ان أشرح القارىء العزيز مدى ضرورة هذين الامرين وكيف ان المجتمع يفقد طابعه البشري وصفته الانسانية عندما يفقد الاخلاق ويعوزه القانون فهو انما يمتلك انسانيته ويكتسب صفته الكريمة هذه فيما اذا عاش تحت ظل الاخلاق والقانون وخضع لهما بكل جوارحه وجوانحه وسايرهما في شتى مجالات حياته واعطاهما السلطة التامة في مختلف شؤونه واحواله .

ذلك لان مجتمع الانسان يمتاز عن مجتمع الحيوان بالارادة فان هذه الصفة هي التي تسيطر على غرائز الانسان وتهذبها . فالانسان ينطلق من غرائزه نحو الاعمال التي يقوم بها كما ينطلق الحيوان ايضاً ، فهو يأكل ويشرب ويباشر ويقوم بغير ذلك منطلقاً من غرائزه التي تدفعه نحوها ولايفترق بشيء من هذه الناحية عن الحيوان الذي هو الاخر ينطلق من غرائزه ، سوى هذا المائز النوعي وهي صفة الارادة التي يمتلكها الانسان ويفقدها الحيوان، فالارادة مسيطرة على كافة غرائزه ، توجهها وتهذبها وتنميها وتكسبها مكسباً عظيماً ومعطيات كبرى ان سارت الارادة طبعاً سيراً طبيعياً فطرياً نحو اهداف جليلة وخطيرة .

والارادة بعد ذلك لا يمكن ان تستولي على الغرائز المكنونة في الانسان وتأخذ بزمامها وتهديها الى سبيل الخير والفلاح وتسلك بها مسالك السعادة والرفاهية

والاطمئنان الا اذا سادت (الاخلاق) المجتمع الانساني وتعمقت في قلب الانسان ونفسه فأصبح لا يقوم بعمل والا ويهدف وراءه مكسباً يعود عليه وعلى بني نوعه بالخير العميم .

فالمجتمع البشري دائماً وابداً بحاجة ماسة الى(الاخلاق) وبحاجة ماسة ايضاً الى (القانون) لان المجتمع الذي لا يسوده (القانون) ولا يحكمه النظام ـ عادلا كان ام جائراً ـ لا يستحق ان نسمه بسمة المجتمع الانساني اذ يتبدل آنذاك الى فوضى واضطراب كالذي نشاهده في المجتمعات الحيوانية .

وهناك الرابط الشديد والتفاعل الاكيد بين (الاخلاق) و(القانون) ، فالمجتمع لا يكون مجتمعاً الا تحت (قانون) والقانون لا يمكن أن يؤدي دوره الا اذا انضم الى (اخلاق) لاننا لا نعني بالاخلاق الا الروابط والاواصر التي تشد المجتمع بالقانون وتربطه به والتي تتصل بجانب الضمير الانساني ، ولا نفصل من القانون الا الامور التي تتصل بجانب التطبيق في الحياة البشرية ، وبكلمة اخرى : ان (الاخلاق) تلاحق الانسان وتؤاخذه في حالة انعدام تطبيق القانون فهي تراقبه من باطنه وتوجهه من ضميره ، واما (القانون) فهو يسيطر على الانسان في مرحلة الظاهر ويصر على ان يحاول الانسان تطبيق اعماله كلها على الخطة التي يرسمها له ويجدر بي في هذه النقطة الحاسمة وانا ابين مدى تفاعل (الاخلاق) و (القانون) أن أركز على أمر هام وهو ان تعاون (الاخلاق) و (القانون) وتعاملهما لا يكون الا على أساس (الدين) و (العقيدة) فان الدين هو القاعده الاساسية والركيزة الكبرى التي يرتكز عليها (الاخلاق و (القانون) في تعاملهما ذلك لان المجتمع البشري اذا فقد(الدين) وذابت (العقيدة) فيه انهار اخلاقياً وتحلل سلوكياً وتحول الى مجتمع متميع غير هادف ، لا مجال فيه للاخلاق ولا نواة فيه لتعامل القانون مع الاخلاق وعند ذاك فلا القانون يؤدي دوره الكامل ولا الاخلاق تقوم بواجبها الملقى على عاتقها ، فالضمان الوحيد لبقاء الاخلاق وتعاملها مع القانون في المجتمع البشري انما هو بالدين والتربية القائمة على أساس الدين ، ولا يمكن ابداً ايجاد الاخلاق والروابط في المجتمع على أساس مادي ومصالح شخصية واجتماعية كما تدعيه المادية ، ولكنها خاطئة الى

أبعد غاية ، فمن جراء المادية نفسها ضاعت الاخلاق في المجتمعات الغربية وانعدمت مقاييسها تحت ظل انظمتها الزاخرة بالروح المادية والمتمردة على الدين ، حتى اصبحت المصلحة الشخصية هي الهدف الاعلى في كل مجال ، وتحولت تلكم المجتمعات الى مجتمعات لا يشد أفرادها بعضاً ببعض الا الاحساس بوجود مصلحة شخصية في البين ولا يتعاون فيها شخص مع شخص الا بمقدار ما يدر عليه من منافع ولا يساعد فيها احد احداً الا اذا انتهى في حساب احتمالاته الى ما يطمئنه بوجود مكسب له في ذلك .

والويل كل الويل اذا تعارضت مصلحة هذا مع مصلحة ذلك فحينئذ لا أثر من الاخلاق وهكذا نظل نعد المآسي التي تنجم عن النظام المادي وعن الاخلاق الناشئة من أسس مادية حتى يصبح الفرد وهو يشعر بأنه المسؤول عن نفسه فقطوانه في خطر من مصالح الاخرين ، فهو يحس دائماً بأنه في صراع دائم لا سلاح له فيه الا قواه الخاصة ، ولا هدف له منه الا مصالحه الشخصيه . أضف الى ذلك أن المجتمع المادي ـ وأعني به كل مجتمع لا يسوده الدين ولا تحكمه النظام الالهي والعقيدة السامية ـ فيه شروط الرذيلة ومبرراتها وبذلك ينهار اخلاقياً على العكس من المجتمع المتدين فان ضمان بقاء الأخلاق فيه هي العقيدة ، ولنضرب مثالا على ذلك (الظلم) الذي هو من الرذائل الكبرى ، فاننا لو لاحظنا مبررات الظلم وجذوره التي يمتد اليها ويستقي منها لامكننا ان نجعل منها عناصر كثيرة منها حب الاستعلاء والسيطرة على الاخرين ، ومنها تعارض مصلحة الظالم مع مصلحة الاخرين ومنها عدم الايمان بحياة اخرى وراء هذه الحياة الدنيا ، و . و . وكل ذلك موجود في المجتمع المادي الذي لا سيطرة فيه للعقيدة ولا ضمان فيه لبقاء الاخلاق ، واما المجتمع المتدين الذي ينطلق في مهامه عن عقيدة وايمان ـ بما للكلمة من معنى ـ فلا سبيل للرذيلة اليه ولا مبرر فيه لكل ما يعادي الاخلاق ويباينه كل ذلك من أجل العقيدة الراسخة فيه ، فان العقيدة تربى في المجتمع البشري:

اولا : الاعتقاد بالتوحيد الكامل وبكل الصفات الكاملة لله سبحانه . وبذلك يشعر الفرد بان كافة التشريعات الالهية التي أنزلت على الانسانية وكلف بها انما هي لمصلحته هو لا لشيء آخر وعند ذاك يندفع نحو تطبيقها بدافع ذاتي داخلي يحس

من خلاله انه كلما سعى الى انجاز ما شرعه خالقه له ، وكلما حاول ان يطبقه على كل صغيره وكبيره تصدر منه كان أقرب اليه الرقي والسعاده والكمال ، وأكثر حظاً من الرفاهية والاطمئنان، وعلى العكس فانه ان تقاعس عن انجاز ما أمره الله به وتقوقع عن الاخذ بتعاليم الهه العظيم كان أدنى الى التأخر والى التردي في الهوة السحيقة .

ثانياً : الاعتقاد بالحياه الاخرى وان فيها المجازاه الكبرى والمؤاخذه الشديده وان فيها الثواب والعقاب وفيها الجنه والنار وبهذا سوف لن يقدم الانسان على ارتكاب أية رذيلة ، اذ هو يعتقد ان حياه الدنيا ليست هي الوحيده التي يتمكن فيها من اشباع رغباته وتلبية غرائزه وتحقيقها على اية صورة كانت وعلى أي وجه اتفق بل أن هناك حياة اخرى يتحقق فيها اشباع غريزته التابعة من اعماق ذاته وهي غريزه حب الذات على على أفضل صورة كما تلمح الى ذلك الاية الشريفة : **فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين** ... أو كما يصفه الحديث : «فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ...» .

ثالثاً : التربيه الفكريه التي تقوم بها الروايات والاحاديث المرويه عن النبي وآله عليهم أفضل الصلاه والسلام ، فهي تربي فكر الانسان وتحاول تعديله فلا تطغى غرائزه ولا تثور شهواته عند كل قضيه وفي كل مجال وانما يستجيب لها استجابة عادله ويشبعها اشباعاً واسعا وفق المنهج الذي رتبه عليه تلكم الاحاديث الشريفه .

رابعاً: التربيه العمليه ونقصد بها الدور الفعال الذي تقوم به العبادات الشرعية من صلاه وصوم وزكاة وخمس وحج وجهاد ... وما الى ذلك ... فان لها دوراً هاماً في تربية الانسان عملياً والارتقاء به الى ارقى درجات الانسانية والكمال وهي القرب من الله عز اسمه ، ولنا مجال آخر نتعرض فيه لهذه النقطة بالتفصيل .

وهكذا نلاحظ كيف ان العقيده الراسخة في مجتمع ما تقضي على الرذيلة قضاء باتاً وتجتث أصولها وجذورها بحيث لا تبقى هناك صفة تنافي الاخلاق ، حتى يغدو المجتمع صالحاً عادلا متخلقاً بالاخلاق الفاضلة ومتمسكاً بالصفات الانسانية على أفضل ما ينبغي ان يكون . وهكذا يبدو لنا بكل وضوح ، كيف ان العقيدة تعتبر الضمان

الوحيد الذي يقدمه المجتمع لبقاء (الاخلاق) فيه كي تتعامل مع (القانون) وتتفاعل معه في تسييره وتوجيهه .

والامة الاسلامية اليوم تعيش أزمة اخلاق، والمجتمع الاسلامي اليوم تسيره الاهداف الكافرة ويخطط له التيار الاستعماري الجارف الذي يحاول ان يستلب منه اخلاقه الفاضلة ـ في ضمن ما يستلب ـ وبالفعل قد استلب منه اخلاقه وسلوكه الاسلامي العادل كما يشاهد كل منا ذلك في محيطه وبيئته والمجتمع الذي يعيش فيه ويعاصره، وليس ذلك الا على اثر ذوبان العقيدة في هذه الامة التي كانت خير امة اخرجت للناس.. وفقدان الدين وانعدام تطبيق القوانين الاسلاميه كما يراها الاسلام وبالصورة التي يمكن فيها صلاح الانسان نفسه ، والازمة الاخلاقية هذه الذي نعيشها الامة الاسلاميه في الحال الحاضر نشأت من وجود فرقتين تنقسم اليهما الاكثرية الساحقة من الناس. وهما :

الفرقة الاولى: المتدينون الجامدون وهم الذين يصورون الاسلام على غير وجهه ويعتقدون انه دين اخلاقي فقط اي بتشريعات جافة جامده يجب الخروج عن عهدتها دون شعور بروحها ودون وعي لمغزاها .

وقد ولد وجود هذه الفرقة في المجتمع الاسلامي وانتسابها الى الاسلام اشكالا من قبل اعداء الاسلام وهو : ان الاسلام دين غير تطبيقي وغير تشريعي فهو لم يأت لاجل تنظيم الحياة وحل مشا كلها ، وانما هو مجموعة عبادات وطقوس لا يقتضي اكثر من الترهبن والتنسك .

الفرقة الثانيه : المنحللون الفاسقون وهم الذين لاحظ لهم من الاسلام ولا من تعاليمه سوى الانتساب اليه على مستوى الالفاظ واما على مستوى التطبيق الواقعي فلا . وقد ولد ايضاً وجود هذه الفرقه في الامة الاسلامية اشكالا يقول فيه اعداء الاسلام ان الاسلام دين قانوني فقط وليس فيه من الاخلاق شيء فهو لا يقدر على ان يربي المجتمع اخلاقياً ولا يتمكن من ان يحول المجتمع المنحل المتميع سلوكياً الى مجتمع متخلق صالح .

ويكفي في رد هذين الاشكالين السطحيين القاء نظرة عابرة على الاسلام وتعاليم وملاحظة ان الاسلام دين قانوني اخلاقي له في كل واقعه نظام وحكم وله في كل قضية رأي وطريق، فهو عقيدة كاملة بتمام معنى الكلمة، فمن العبث ان يقال انه دين اخلاقي لا قانوني أو قانوني لا اخلاقي، فتشريعات الاسلام كلها مبنية على الاخلاق في حين انها تشريعات وقوانين جاءت للتطبيق في الحياة وحل مشاكلها. ويكفينا بهذا الصدد ان نعلم أول ما يعتبره الاسلام في كل عبادة هو قصد القربة أي أن يقصد الانسان بعبادته التقرب الى الله جل وعلا والحصول على اشرف درجة من الكمال، هذا بالاضافة الى كل تشريع من تشريعاته مبني على أساس اخلاقي معين . والنموذج البسيط الذي نقدمه كشاهد على ذلك هو الزكاة فعندما شرعت الزكاة أمر الله نبيه (ص) أن يأخذ من اموال الناس ولكنه على اساس اخلاقي معين، فقال تعالى : **خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ...**

ولا اريد ان اتعرض الآن الى تشريعات الاسلام و كيفية بنائها على اخلاقيات معينة بل يكفينا ان نعلم على الاجمال ان الاسلام لم يأت بتشريعات جافة جامدة ولم يكن ديناً اخلاقياً عادياً ـ بالمعنى الذي تصوره الاعداء ـ غير قانوني وغير تطبيقي بل هو دين فيه الاخلاق وفيه القانون وفيه كل شيء فما من واقعة الا ولله فيها حكم.

واخيراً : بعد ان عرفنا ان ازمتنا الاخلاقية نشأت من وجود فرقتين في مجتمعنا متدين جامد ، ومتحلل فاسق .. يجب ان نسعى الى ايجاد فرقة ثالثة لا تأخذ طرف الافراط ولا طرف التفريط . وهي الفئة التي تمثل الاسلام بصورته الواقعية وبكلا جانبيه الاخلاقي والقانوني ، والتي يتعامل فيها الاخلاق والقانون ويسيرانه في ظل حكومة الاسلام العادلة وعلى ضوء من تعاليمه القيمة .

الشعوبية ٢

الظروف التاريخية لنشوئها

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

نريد قبل الدخول في البحث أن نؤكد على حقيقة هامة في نظرنا ، وذلك في وجه من يسأل :

هل من مبررات للحديث عن هذا الموضوع الآن ؟

ونقول : نعم ، ان المبررات موجودة ، فان الماضي مدرسة للحاضر ، وقد يكون محكمة للحاضر ، وعلينا أن نكتشف أخطاء الماضي ، لنتفادى الوقوع فيها الآن وفي المستقبل . اننا نوشك أن ندخل في عصر اللاقوميات ، ونحن «المسلمين» أكثر الناس قدرة على أن نكون مثلا يحتذى في هذا الشأن ، وذلك بما نملك من تراث ديني وتجارب حياتية يستطيع الناس ، كل الناس أن يتعلموا منهما كيف يعيش بعضهم مع البعض الآخر بسلام قائم على العدل وتبادل المصالح والمحبة ، الا المعتدين الذين لا يستحقون السلام والمحبة ، لأن وجودهم قائم على البغضاء والعدوان ، ومثلهم البارز الآن هو اليهود في فلسطين وفي غير فلسطين ، والقوى التي تساندهم في العالم .

اننا ندرس الشعوبية لنتعلم منها كيف أن الحب يبني ، وكيف ان البغضاء تهدم وكيف أن الأخطاء الصغرى تقود الى الكوارث الكبرى ، وكيف أن مصائر الامم

حين يتسلمها المغامرون الذين يسعون الى المجد الدنيوي بأي ثمن ، والـذين لا يتمتعون بأية حصانة خلقيه ضـد العدوان والظلم ، فانهم يحطمون في الأمـة التي يحكمونها انسانيتها ، ومن ثم يحطمون وحدتها ، ومن ثم يحطمون حتـى الامجاد الصغيرة التي صنعوها بالظلم والعدوان .

* * *

لقد قلت في الحديث عن منهج البحث ان طبيعة الحركة الشعوبيه تقضي على باحثها ان يتناولها من زاوية اسلامية انسانية ، وهذا ما نفعله الآن :

أ ـ الاسلام : انسانيه :

لسنا بحاجة ـ فيما أعتقد ـ الى التأكيد على أن الدين الاسلامي في كل مبدأ من مبادئه الكبرى ، وفي كل تفصيل من تفصيلاته الصغرى خال تماماً عن أي محتوى عنصري ، فانه ألغى كل مبدأ من مبادىء التقسيم البشري (القوه ، النسب ، المال ، العنصر ، وغيرها) ، ألغاها كلها ، ولم يحفل بها ، بل عاقب كل من يدعو اليها ، ويمارسها . . .

وفي القرآن المجيد لم يمجد الله شعباً معيناً من الشعوب ابدا ، وانمـا مجد الانسان الى أية قبيلة انتمى ، ومن أي شعب كان. **«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنـا تفضيلا»** . الاسراء / ٧٠

وبين الله تعالى أن تقسيم الناس الى شعوب ينبغي ان يكون سبيلا الى التعارف والتعاون والمحبة ، والمقياس الذي يميز فرداً من الافراد ، او جماعه من الجماعات او شعباً من الشعوب ، هو العمل الخير مع الله ومع الناس ، انه التقوى . **يا أيهـا الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبـائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير»** الحجرات / ١٣ .

وفي الأثر النبوي ما قاله (ص) في خطبته في حجه الوداع :

« أيها الناس : ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالاباء ، كلكم لادم وآدم من تراب ، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » .

واذن ، فعلى صعيد الانسانية الرحب يتساوى جميع الناس في الكرامة البشرية.
وعلى صعيد الايمان ثمة ماهو اكثر من ذلك . ثمة الاخوة التي تقضي بالتكافل المطلق : **«انما المؤمنون اخوة»** الحجرات / ١٠ ، **«يا ايها الذين آمنوا . . . اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا»** آل عمران / ١٠٣
وفي الحديث النبوي : «المؤمنون اخوة ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم» .

هذه هي النظرة الانسانية التي أطل بها الاسلام على العرب وغيرهم متمثلة في الوحي القرآني ، والتوجيه النبوي ، وهذه هي النظرة التي اطل بها خلفاء النبي الراشدون على الناس جميعا .

وهذا الواقع الذي لا جدال فيه يضمن لجميع المسلمين مركزاً حقوقياً واحداً متساوياً .

وقد تلقت شعوب البلاد المفتوحة الاسلام بهذا الوجه ، وأيقنت أنها ستنال منه الوعود التي اشتملت عليها مبادؤه المعلنة ، ومن هنا كان الاسلام في واقعه ، وفي نظر الناس جميعاً ، وفي نظر غير العرب بوجه خاص ـ هؤلاء الذين ذاقوا امرارات التمييز الطبقي والعنصري ـ يساوي الانسانية ، فهو الدعوة التي تنادي الانسان ، ولا تأبه لاي شيء آخر فيه غير انسانيته.

٢ ـ الاسلام : فرشة :

ولكن الامويين الذين أخذوا يمكنون لانفسهم في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان انحرفوا بالاسلام ، في مرحلة التطبيق ، انحرافاً خطيراً قاتلا .

فقد تولى الامويون في عهد عثمان جميع المسؤليات الكبرى في الدولة في شبه الجزيرة العربية وخارجها . وفيما يلي قائمة برجال السلطة العليا في هذا العهد:

١ ـ عثمان بن عفان (أموي) الخليفة ، الحاكم الاعلى .

٢ ـ مروان بن الحكم (اموي) كان هو المتسلط على شؤون الحكم وسياسة الدولة.

٣ ـ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ثم ـ من بعده ـ سعيد بن العاص (أمويان) ولاهما عثمان الكوفة وما يتبعها من الاراضي المفتوحة .

٤ ـ عبد الله بن عامر بن كريز (اموي وابن خال عثمان) ولاه عثمان على البصرة وما يتبعها من الاراضي المفتوحة .

٥ ـ معاوية بن ابي سفيان (اموي) ولاه عثمان على سوريا ولبنان وفلسطين والاردن وما يتبعها من الأراضي المفتوحة .

٦ ـ عبدالله بن سعد بن ابي سرح (اموي، واخو عثمان من الرضاعة) ولاه عثمان على مصر وجميع افريقيا .

وقد كان هؤلاء الذين تولوا تلك المسؤوليات الكبرى حديثي عهد بالاسلام، وكانت القيم الجاهلية والوثنية لاتزال تعمر قلوب كثير منهم ، فتعاملوا مع الناس، عرباً كانوا او غير عرب ، في سلطانهم الجديد ، كما كانوا يتعاملون معهم في الجاهلية.

وقد لجأ عثمان من اجل ان يتفادى نقمة الزعامات القرشية غير الاموية عليه وعلى عهده ـ لجأ الى اجراء مكن الارستقراطية القرشية النسبية ان تتحول الى ارستقراطية دينية ومالية . فقد كان من سياسة عمر نحو هؤلاء الزعماء أنه منعهم من مغادرة المدينة . يقول الشعبي : «لم يمت عمر حتى ملته قريش ، وكان قد حصرهم بالمدينة ، وقال : ان أخوف ما أخافه على هذه الامة انتشاركم في البلاد» ولكن عثمان سمح لهؤلاء بالخروج الى الاقاليم المفتوحة ، فاتاح لكثير من القرشيين أن يستبدلوا أملاكهم في الحجاز بأراضي وعقارات في الامصار المفتوحة فغدوا من كبار الاثرياء .

وهكذا ظهرت قريش لعيني الانسان العربي المسلم العادي وكأنها تأكل الدنيا باسم الاسلام ، وتستغل دمه الذي يبذله في سبيل فتح الاراضي الجديدة من أجل أن تستأثر هي بخيرات هذه الاراضي ، التي هي ـ كما يقول سعيد بن العاص والي الكوفة ـ بستان لقريش .

وقد انعكست النقمه الشعبية على السنة الشعراء ، من ذلك قول النابغة الجعدي:

فان يكن ابن عفان أميناً ‌ ‌ ‌ ‌ فلم يبعث بك البر الأمينا
فيا قبر النبي وصاحبيه ‌ ‌ ‌ ‌ ألا يا غوثنا لو تسمعونا
ألا صلى الهكم عليكم ‌ ‌ ‌ ‌ ولا صلى على الامراء فينا

وقد كان رد فعل هذا الاتجاه الاموي القرشي في سياسه الحكم أن فريقاً من أعيان الصحابه (منهم أبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم) ثاروا على اسلوب الحكم في عهد عثمان ، ووقفوا في وجه استخدام الاسلام لغايات شخصية وعائلية ، ولكنهم اضطهدوا بعنف .

وقد استفاقت القبائل العربية غير قريش ، والقبائل القرشية غير بني امية ، على وضع جديد لم تعهده في ايام ابي بكر وعمر ، وضع يجعل قريشاً ، والامويين منها بوجه خاص ، في قمة السلم الاجتماعي والاقتصادي .

وقد ادى هذا الوعي للدافع الجديد الى ان المسلمين ثاروا ، وساندوا في ثورتهم بعض الزعامات القرشية (الزبير ، طلحه ، ام المؤمنين عائشة) ، وانتهت ثورتهم بمقتل عثمان ، وأسندت الخلافة الى علي بن ابي طالب ، فاصيب هذا الاتجاه بنكسة شلته طيلة عهد علي الذي قدم تطبيقاً اميناً للاسلام ، بقي في اذهان الناس وسيبقى شهادة حية تدين كل انحراف عن الاسلام .

ولكن ما ان استشهد الامام علي حتى استعاد الاتجاه الاموي القرشي وضعه بشكل جديد وحيوية جديده في عهد معاوية بن أبي سفيان وخلفائه .

٣ ـ الاسلام : العربية : القرشية : الاموية :

لقد تسنم معاوية السلطة وله هدف محدد : هو الاحتفاظ للامويين بسلطانهم على العرب وغيرهم في الدولة، وقد اتجه الى تحديد هدفه من هذه المنطلقات :

١ ـ عروبية الصبغة :

بحكم تكوينه النفسي والعقلي لم يستطع معاوية ان يفهم ويعقل ان المسلمين

غير العرب يتمتعون بالمساواة المطلقة مع العرب المسلمين ، وذلك بما يضمن لهم الاسلام من حقوق المساواة ، فقد كان لايزال يعيش عقلية ما قبل الاسلام، هذا من جهة، ومن جهة اخرى لابد انه ادرك ان الزعامات القبلية التي لاتزال تعيش في جو العقلية والتقاليد الجاهليين ، والتي سيكون في اشد الحاجة اليها لتشييد سلطانه، سترفض اية محاولة لاعطاء المسلمين غير العرب حقوقهم التي كفلها لهم الاسلام ، كما رفضت محاولة امير المؤمنين علي بن ابي طالب في هذا المجال .

واذن ، فمعاوية ـ بحكم تكوينه العقلي والنفسي ، وبحكم ظروفه ـ لم يكن قادراً على تصور دولة يكون المسلمون فيها ـ عرباً وغير عرب ـ متساوين في الدرجة؛ بل كان هذان العاملان يقضيان عليه بألا يتصور الدولة التي يريد بناءها الا عربية محضة ليس لغير العرب فيها مكان على الاطلاق، ان على هؤلاء ان يكونوا من الدرجة الثانية والثالثة .

٢ـ قرشية :

هذه الدولة العربية يجب أن يكون لقريش فيها مركز مميز ، وذلك ليأمن معاوية منافسة القبائل القرشية لبني أمية ، والسفيانيين من بني امية بوجه خاص .

٣ ـ أموية :

وعلى قمة الدولة والمجتمع تقف الاسرة الاموية ، والفرع السفياني من هذه الاسرة بوجه خاص .

* * *

ردود الفعل :

أ ـ السياسة العنصرية

أ ـ أدت السياسة العنصرية التي اتبعها معاوية وخلفاؤه الى اسقاط الحقوق التي كان يجب أن يتمتع بها المسلمون غير العرب بحكم كونهم مسلمين ، وانتشرت في صفوف النخبة العربية روح الكراهية والاحتقار «للموالي» وذلك نتيجة لسياسة الحكم.

لقد أسقطت حقوقهم : انسانياً واجتماعياً ، واقتصادياً :

١ ـ انسانياً :

تكشف بعض النصوص عن طبيعة تفكير معاويه في سياسته العنصرية، وعن النظرة التي كان ينظر بها الى «انسانية» هؤلاء الموالي. ذكر ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد (ج ٢/ص ٢٦٠ – ٢٦١) ان معاوية بن ابي سفيان استدعى الاحنف بن قيس، وسمرة ابن جندب ، وقال لهما : «اني رأيت هذه الحمراء (لقب كان يطلق على غير العرب) قد كثرت ، وأراها قد قطعت على السلف ، وكأني انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رايت ان اقتل شطرا ، وأدع شطرا لاقامة السوق، وعمارة الطريق».

وكان الخاطب لايخطب المرأه منهم الى ابيها ولا الى اخيها ، و انما يخطبها الى مواليها (سادتها من العرب) فان رضي زوج، والا فان زوجها ابوها او اخوها بغير راي مواليه من العرب فسخ النكاح . (المصدر السابق)

ولا نتكلم هنا عن العبيد . وانما نتكلم عن وضع الاحرار عند العرب .

٢ ـ اجتماعياً :

«وكانوا (العرب) لايكنونهم (الموالي) بالكنى (المناداه بالكنية كانت ولاتزال علامة تشريف وتحبيب عند العرب) وانما يدعونهم بالاسماء والالقاب ، وكانوا يقولون: لايقطع الصلاه الا ثلاثة : حمار ، او كلب ، او مولى . وكانوا (العرب) لايمشون في الصف معهم (الموالي) ، ولا يقدمونهم في الموكب ، وان حضروا طعاماً قاموا (الموالي) على رؤوسهم (العرب) وان اطعموا المولى لسنه وفضله وعلمه اجلسوه على طريق الخباز لئلا يخفى على الناظر انه ليس من العرب، ولا يدعونهم يصلون على الجنائز اذا حضر احد من العرب، وان كان الذي يحضر عزيزاً ـ (المصدر السابق)

ومن ابرز الظواهر دلاله على اتساع تاثير السياسة العنصرية انها تركت طابعها في ميدان التشريع ، فنجد ان اكثر المذاهب (الشافعية ، والاحناف ، والحنابلة ، مذهب سفيان الثوري ، بعض المالكية) يذهبون الى ان النسب العنصري شرط لحصول

الكفاءة بين الزوجين ، وانطلاقاً من هذا يذهبون الى ان العجمي ليس كفءاً للعربية على كل حال .

ومما يذكر في هذا الباب أن رجلا من الموالي خطب بنتاً من بني سليم وتزوجها، فركب محمد بن بشير الخارجي الى والي المدينة ابراهيم بن هشام ، فشكا اليه ذلك ، فأرسل ابراهيم الى المولى ففرق بينه وبين زوجته، وضربه مائتي سوط ، وحلق راسه وحاجبيه ، فقال محمد بن بشير في ذلك :

قضيت بسنة وحكمت عدلا	ولم ترث الحكومة من بعيد
حمى حدباً لحوم بنات قوم	وهم تحت التراب ابو الوليد
وفي المأتين للمولى نكال	وفي سلب الحواجب والحدود
اذا كافأتهم ببنات كسرى	فهل يجد الموالى من مزيد
وأي الحق انصف الموالي	من اصهار العبيد الى العبيد

٣ - اقتصاديا :

في المجال الاقتصادي نجد ان المسلمين غير العرب حرموا من الحقوق التي يثبتها لهم الاسلام .

فمن المسلمات في الشريعة الاسلامية ان الجزية لا تؤخذ من المسلم ، بينما اتجه الحكم الاموي في حالات كثيرة الى اخذ الجزية من هؤلاء المسلمين غير العرب حينما احس الولاة بأن انتشار الاسلام يؤثر على ايرادات بيت المال .

وكانوا يساقون الى الحرب ، ومن حقهم في هذه الحالة ان يفرض لهم العطاء (الراتب السنوي الذي يدفع للمحارب وعائلته) ولكنهم كانوا يفرضون على المسلمين غير العرب ان يحاربوا من غير عطاء .

* * *

هذه امثلة راعينا في عرضها جانب الاختصار الذي تقضي به طبيعة البحث، وهي تكشف عن ان المسلمين غير العرب ــ على اختلاف مناشئهم العنصرية ــ تعرضوا لاضطهاد مس حقوقهم الانسانية والاجتماعية والاقتصادية من قبل السلطة الاموية، منذ معاوية الاول الى عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين . ولم يعرفوا شيئاً من الانسانية في المعاملة ولم يحصلوا على حقوقهم الا في ايام عمر بن عبدالعزيز،

الا ان وضعهم عاد الى اشد حالات السوء بعد وفاة هذا الحاكم العادل الرحيم .

ب ـ السياسة العربية :

اما سياسة الامويين العربية فربما يخيل للناظر اليها من بعيد انها سياسةعربية كما نفهمها الان ، تسعى الى لم شمل العرب ، وتوحيدهم ، والمساواة بينهم في الحقوق والامتيازات .

ولكن فحصاً لسياسة الامويين العربية يكشف لنا عن صورة اخرى .
لقد كانت الدولة عربية ، وكان طابعها عربيا ، ولكن عربياً لابمفهوم الامة ، وانما بمفهوم القبيلة . لقد كانت الدولة الاموية عربية قبائلية . وقد برز الامويون طوال حكمهم في النزاعات القبلية التي فجروها بعد خمود ، فغذوها ، واستغلوها ، ووقعوا في النهاية فريسة لها .

لقد تقرب معاوية بن ابي سفيان الى القبائل اليمنية ، فأصهر الى قبيلة كلب اليمنية بزواجه من ميسون بنت بحدل ام ابنه يزيد ، وبذلك ابعد الزعامات القبلية لقبائل مضر عن السلطة .

وبعد موت معاوية انحازت قبائل مضر الى عبد الله بن الزبير الذي بويع بالخلافة في الحجاز ، ولكن قبائل اليمن ـ بعد ان اتفقت على بيعة مروان بن الحكم ـ اشتبكت مع القيسية (مضر) في معركة في (مرج راهط) انتهت بهزيمة القيسيين ، واستقرار السلطة في يد بني امية وقبائل اليمن .

وبعد سكون نسبي انفجر الصراع القبلي من جديد في عهد يزيد بن عبدالملك الذي انحاز الى القيسية التي تمثل قبائل مضر ، فثار يزيد بن المهلب بالعراق ، وانضمت اليه الازد قبيلته ، وسائر قبائل اليمن .

ولكن هشام بن عبد الملك انحاز الى قبائل اليمن حين رأى نفوذ القيسيين ، وعزل ولاة مضر من السلطة ، وقبض على كثيرين منهم سلموا الى الولاة اليمنيين الجدد ، فاضطهدوهم وعذبوهم .

ثم انحاز هشام الى مضر من جديد ، فعزل ولاة اليمنيين وسلم السلطة الى

ولاة من قيس (مضر) الذين أخذوا يضطهدون اسلافهم من ولاه اليمن .

ولما جاء مروان بن محمد تعصب للقيسية ، واضطهد اليمن ، فثارت اليمن في سوريا ، وفي اطراف الدولة .

ان التمزقات القبلية كانت تشمل الدولة العربية بأسرها ، وفي جميع اقاليمها الواسعة ، وقد انقسم العرب نتيجة لذلك في كل قطر الى يمنية ومضرية . هذا عدا عن الانشقاقات القبائلية في داخل كل واحده من المجموعتين ، هذه الانشقاقات التي اذكاها الشعراء الممثلون لهذه المجموعات القبائلية ، والذين اخترعوا في هذا العصر فناً شعرياً يسمى فن النقائض ، موضوعه الهجاء والفخر القبائليان ، فلا يفتخر الشاعر بنفسه أو بشخص ، ولا يهجوهما وانما يفتخر أو يهجو قبيلة بكاملها أو مجموعه من القبائل ، فأصبح ذلك نار الصراع بدرجة كبيرة .

ج ـ السياسة القرشية :

ان الملك الذي استأثر به الامويون باسم الاسلام لم يكن عند عبدالله بن قيس الرقيات ، شاعر عبد الله بن الزبير ، ملك الاسلام ، ولا ملك المسلمين ، ولاملك العرب ، وانما كان ملك قريش ، وهو حزين لان قريشا تتنازع فيما بينها،فالامويون يعتمدون على اليمن ويمكنونهم من السلطان . وابن الزبير يعتمد على مضر ويمكنها من السلطان ، وذلك في قوله :

حبذا العيش حين قومي جميع   لم تفرق أمورها الاهواء
قبل أن تطمع القبائل في ملك قريش ، وتشمت الاعداء
أيهـا المستهي فناء قريش   بيد الله عمرها والفناء

لماذا هذا الحزن ؟ لان سياسة الامويين القرشيه قامت على مبدأ وضعه معاوية وهو ان القبائل القرشية الاخـرى لها ما تشاء من المال ، وليس لهـا اي شيء من السلطة . .

ولكن القبائل القرشية الاخرى ما كانت لترضى بهذا : الزبيريون طامحون ، والهاشميون طامحون ، العلويون منهم والعباسيون ، وكلهم يرفض زعامة الامويين لدولة الاسلام ، ويتهمونهم بأنهم لايمثلون الاسلام . وكان ثمة ايضاً الخوارج الذين يرفضون زعامة قريش من اساسها .

هذه صورة عن سياسة الامويين العنصرية ، وسياستهم العربية ، وسياستهم القرشية ..

ولندخل الان في الحديث عن ردود الفعل ، لنرى كيف ان هذه السياسات كونت المناخ المساعد على ظهور الشعوبية ونموها .

للبحث صلة

لماذا ندرس الشعوبية ؟

«اننا ندرس الشعوبية لنتعلم منها كيف أن الحب يبني ، وكيف أن البغضاء يهدم ، وكيف أن الاخطاء الصغرى تقود الى الكوارث الكبرى ، وكيف أن مصائر الامم حين يتسلمها المغامرون الذين يسعون الى المجد الدموي بأي ثمن ، والذين لا يتمنعون بأنه حصانة خلقية ضد العدوان والظلم ، أنهم يحطمون في الامة التي يحكمونها انسانيتها ، ومن ثم يحطمون وحدتها ، ومن ثم يحطمون حتى الامجاد الصغيرة التي صنعوها بالظلم والعدوان» .

الشّفاعة (٣)
بين السّلب والأيجاب

الشيخ محمد هادي معرفة - قم

كنا نتحدث سابقاً عن الاعتراضات الواردة على الشفاعة وبقي منها :

الاعتراض الثالث :

ان كان عقاب المذنب عدلا في القانون فرفعه بالشفاعة يصبح ظلماً ، لان الظلم نقيض العدل ، فاذا لم يعدل فقد ظلم . اذن يصبح توسيط الانبياء والملائكة في مغفرة ذنوب العاصين استدعاء مخالفاً لقانون العدل في الجزاء .

وان كانت اجابتهم على هذا الالتماس مقبولة لدى العقل ، اي عدلا في القانون . فيقتضي ان يكون الحكم الاول بالعقاب ظلماً حيث اصبح نقيضه عدلا . فلا محالة يكون الظلم في احد الجانبين ، اما في الحكم السابق ، او في النقض اللاحق ، لانهما نقيضان ، فيستحيل ان يتصفا معاً بالعدل .

والجواب :

ان العقاب عدل ، ورفعه فضل ، والسبب يرجع الى تبديل الموضوع، وذلك لان العقاب كان جزاء على عصيان ، وجاءت الشفاعة مقترنة مع الاستغفار والانابة ، لتقلب الموضوع من مقصر تائه الى تائب منيب .

فقد تبدل موقف هذا العبد المقترف الذنب الى موقف المستغفر اللائذ بعناية ربه الكريم،الذي هداه الى وسيلته الشافعة فيه : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة** »(١) ، وخير وسيلة هو استغفار النبي الكريم وأهل بيته الابرار ، والملائكة المقربين لهذا العبد المؤمن المستغفر .

كما ان التوبة والاستغفار يغيران موقف العبد العاصي من مستحق العقاب الى موفق للمغفرة والثواب ، حسب وعده تعالى .

* * *

والعمدة ان منكري الشفاعة طائفتان : **المعتزلة والوهابية** .

أما المعتزلة فكان انكارهم للشفاعة منبعثاً عن قانون « الاستحقاق في الجزاء » الذي هو أصل من اصول مذهبهم في الاعتقاد قالوا : ان العقاب جاء عن استحقاق في المذنب ، وهذا الاستحقاق لا بد له من منشأ واقعي وهو ارتكاب الذنب ، فما دام السبب والمنشأ باقياً لا يعقل تخلف المسبب والا لانهدم قانون « ابتناء الاحكام على المصالح والمفاسد الواقعية » وهو قانون آخر تسلمته العدلية من المعتزلة والامامية جميعاً ، وهو قانون يقتضيه العدل الالهي وحكمته في الامور .

وفي الجواب عن الاعتراض الثالث وكذا سابقه رد على هذه النظرية الاعتزالية حيث المصلحة تغيرت وتبدل الموضوع ، فلم يثلم القانون في العدل والحكمة الالهيـة . . .

أما الوهابية : فجاء انكارهم نتيجة خطأهم في تصوير مفهوم الشفاعة ، حيث زعموا أنها تدخل في شؤون الرب تعالى ، وتحميل له في تغيير عزيمتـه ، الامر الذي يتنافى والتوحيد الخالص في التصور الوهابي .

ومن ثم كان هذا الجواب مع الجواب الاتي رداً على هذا التصور الخاطىء لان التوسيط انما يكون تدخلا قبيحاً اذا كان تلقائيـاً ، وتحميلا على ارادة المولى جل شأنه ، اما لو كان باشارة منه تعالى وهدايته وفضله رحمة بالعباد وتكريماً لمقام أوليائه المخلصين ، فهذا عين التوحيد والاستسلام والعبودية الخالصة .

---

(١) المائدة ٣٥ .

الاعتراض الرابع :

ان الشفاعة ـ بمعناها المعروف ـ تدخل في شؤون الله تعالى ، وهو قبيح في شريعة العقل . كما ان الاستشفاع بغيره تعالى نوع من الاشراك ومتناف مع التوحيد الخالص حيث يعني الاعتقاد بتأثير من سواه ـ سبحانه ـ في مقدرات الخليقة ومصيرهم في الآخرة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، **«قل لله الشفاعة جميعاً»**(١) **«ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع»** (٢) .

والجواب :

ان التدخل القبيح ما كان تلقائياً ومن غير سابقة اذن منه تعالى ، اما من اتخذ عند الرحمن عهداً فانشفاعته امتداد لشفاعة المولى تعالى وفرع على شؤونه بارادته وحكمته ، **« ما من شفيع الا من بعد اذنه »** (٣) ،

وبعد فان رحمة الله تعالى واسعة لا نهاية لها مع الابد ، وهو القائل **«ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً»** (٤) وهذه أرجى آية في القرآن ـ على ما قيل ـ تطرد اليأس عن التفكير الديني على الاطلاق .

اذن فقد **«كتب ربكم على نفسه الرحمة»** (٥) ليغفرن ذنوب عباده جميعاً ، ومن ثم مهد لذلك أسبابه الخاصة من توبة واستغفار وشفاعة باذنه ، وبعث عباده اليها بعثاً حثيثاً قضاء لهذا اللطف العميم والرحمة الشاملة ، وقال : **«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة»** (٦)

فكل ذلك وسيلة الى غفرانه ، وسبيل الى رضوانه ، هو هداهم اليها وبعثهم نحوها بدافع الرحمة الواسعة ، فأين الشرك وأين التدخل القبيح ؟ !

* * *

ان الخطأ الكبير في التصور الوهابي عن التوحيد انهم يعتقدون ان توحيد

---

(١) الزمر : ٤٤ . (٢) الانعام : ٥١ . (٣) يونس : ٣ .
(٤) الزمر : ٥٣ . (٥) الانعام : ١٢ . (٦) المائدة : ٣٥.

الله تعالى وامحاض العبودية والتسليم له ، يتنافى مع تكريم الصالحين من عباد الله وينافي أن يجعل الله تعالى لهم مقاما كريماً عنده فيستجيب لدعائهم وشفاعتهم لديه في عباده الذين أسرفوا على أنفسهم ثم أقبلوا عليه متضرعين مستغفرين مستشفعين .

والصحيح : ان العبودية الخالصة ماكان استسلاماً لمقام الربوبية على الاطلاق وبخوعاً لكل مايمس هذا المقام من امتدادات وفروع . ولم يكن ذنب ابليس سوى استكباره على الله فيما أمره من السجود لآدم وزعم انه سجود لغير الله من غير استحقاق. ان الأخذ بحرمة المولى يستدعي احترام المنتمين اليه المقربين لديه على الأطلاق.

وماحب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولا سيما اذا كان المولى هو أمر باحترام أوليائه الصالحين وارشد الناس الى مقامهم الكريم عنده وقبول شفاعتهم لديه ، والاعتراف بذلك امتثال للامر الواجب وامتداد للاستسلام العبودي تجاه ارادة الله العليا في عباده المؤمنين. فلو ان المكلف تصرف من تلقاء نفسه زاعما ان الاخذ بحرمة غير الله ينافي والتوحيد في العبودية فقد خبط خبط عشواء وتدخل في شؤون المولى من عند نفسه تدخلا بغيضاً ، وكان تبعيضا في امتثال الامر الصادر من عند الله . ومن ثم أصبح ردفاً لابليس عاتباً مستكبراً على الله :

«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» . ؟ (١) ، فالكتاب الكريم الذي يقول: «قل لله الشفاعة جميعاً»(٢) هو القائل «لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً»(٣) وهو القائل : «مامن شفيع الا من بعد اذنه»(٤) . . الى غيرها من الايات والاحاديث مرت-(٥) وهي تنص على ثبوت الشفاعة للملائكة والانبياء من بعد أن يأذن الله ويرضى ، الامر الذي لا يتنافى واسناد الشفاعة اليه ، تعالى على الاطلاق نظير قوله تعالى: «الله يتوفى الانفس حين موتها»(٦) وقوله «قل يتوفاكم

---

(١) البقرة: ٨٥ (٢) الزمر: ٤٤ (٣) مريم : ٨٧
(٤) يونس : ٣ (٥) في العدد الماضي (٦) الزمر: ٤٢

ملك الموت (١) ، وقوله « **حتى اذا جائتهم رسلنا يتوفونهم**»(٢) «**الذين تتوفاهم الملائكة**»(٣) . نظراً لان هؤلاء الملائكة يمتثلون أمر الله في توفية الانفس فكانت منتسبة الى الله على الاطلاق . وهكذا شفاعة الشافعين بأذنه تعالى شفاعة الله جل شأنه.

* * *

اما الايات التي تنفي شفاعة الشافعين فانما هي بشأن الكفار ومن لم يتوفر فيه صلاحية نيل الشفاعة فليست تنفي الشفاعة على الاطلاق انما تنفي شمولها الطالب : «**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**»(٤) «**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**»(٥) «**ولا تنفعها شفاعة**»(٦) قال ابن عرفة : نفى للشافع لا الشفاعة(٧) .

الاعتراض الخامس :

ان وعد الشفاعة تغرير للعامة باقتراف المعاصي وارتكاب الاثام طول الحياة، حيث ان اغرارهم بالوسيلة الشافعة التي تنتظرهم عند مواجهة الحساب في الاخرة، يجرئهم على ارتكاب المعاصي .

وهكذا زعمت اليهود : «**قالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون**»(٨) .

والجواب :

ان الاغترار بالشفاعة انما يكون اذا كان الوعد بها حتمياً بالنسبة الى جميع الاثام وبالنسبة الى جميع العصاة فرداً فرداً، شمولا واستيعاباً، بحيث يكون كل أحد على يقين من شمول الشفاعة له بصورة خاصة . .

اما اذا كان مجرد وعد بها بصورة اجمالية ، من غير ان تتبين نوعية المعاصي التي تنالها الشفاعة ، او نوعية الاشخاص الذين تنالهم الشفاعة ، فان كل أحد يكون

---

(١) السجدة : ١١ (٢) الاعراف : ٣٧ (٣) النحل : ٣٢
(٤) المدثر : ٤٨ (٥) غافر : ١٨ (٦) البقرة : ١٢٣
(٧) تاج العروس ج ٥ ص ٤٠٠ (٨) آل عمران : ٢٤

على رجاء شمول الشفاعة له بصورة أمل واحتمال، واعلها لم ينله أبداً. وهذا لايستدعي تجرياً على حوض الآثام مادام العقاب مسجلا عليه تجاه العصيان.

* * *

وأخيرا فماذا يجيب هؤلاء المنكرون للشفاعة عن مشروع التوبة التي ترحب بوافديها حتى آخر أيام الحياة ما لم يعاين الموت(١). وكذلك الوعد بها لغير الكفار(٢) : «**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات**»(٣).

وهكذا الوعد بالرحمة والمغفرة وطرد اليأس والقنوط عن الحياة : «**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً**»(٤) «**ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**»(٥) «**ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**»(٦).

أفلا يغتر العباد بقبول التوبة وبالمغفرة الموعود بها في الآخرة بصورة شاملة «**ان الله يغفر الذنوب جميعا**». ؟ أفلا يكون الجواب هو عدم تحتم ذلك بالنسبة الى جميع افراد العصاة وبالنسبة الى جميع انواع المعاصي؟ ومن ثم لايكون العبد على يقين من شمول المغفرة له بالخصوص، او توفيقه على التوبة والاستغفار، ولعل عقبة حالت دون تحقق ذلك ان عاجلا او آجلا.

نعم كل ذلك – من الوعد بالشفاعة والمغفرة وقبول التوبة – شرعت لطرد اليأس عن حياة العامة وخلق الامل في النفوس، وبذلك يتأرجح العباد بين الخوف والرجاء فلا يأس ولا اغترار.

اما رجاء الشفاعة فمجرد احتمال وتقدير بالنسبة الى هذه المعصية وبالنسبة الى هذا الشخص من غير يقين. ولذلك فالعقل يؤنبه على تغافل جانب اليقين والاخذ بجانب الاحتمال. «**فلا يترك يقين بشك**» في شريعة العقل فهذا المغتر بالشفاعة من اين علم بانها تناله حتمياً؟ ولعل هناك عقبة كئود حالت دون وصول الشفاعة اليه،

---

(١) «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن».

(٢) «ولا الذين يموتون وهم كفار، اولئك اعتدنا لهم عذاباً اليماً» النساء : ١٨ .

(٣) الشورى : ٢٥ (٤) الزمر : ٥٣ (٥) يوسف : ٨٧ (٦) النساء ٤٦

اوحالةمعترضةافقدته صلاحيةالنيل منها،فرب موبقةتسلب ايمانمقترفها فكانت الشقة بينه وبين نيل الشفاعة واسعة وعميقة للغاية : «**ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوءى ان كذبوا بآيات الله**»(١) نعوذ بالله من معصية تجر بصاحبها الى تكذيب آيات الله .! «**ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**» (٢).

كتب الامام الصادق عليه السلام الى اصحابه : «اعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا من دون ذلك ، فمن سره ان ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب الى الله ان يرضى عنه»(٣).

وقيل له عليه السلام : أن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون : نرجو فقال : كذبوا ليسوا لنا بموالي ، اولئك قوم ترجحت بهم الاماني ، من رجا شيئاً عمل له ومن خاف من شيء هرب منه»(٤) .

وجمع الامام عليه السلام اهل بيته وذوي قرابته لما حضرته الوفاة ، فنظر اليهم ثم قال : «ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»(٥) .

فيا ترى من يغتر بالشفاعة بعد هذه القيود الثقيلة التي لايتحملها الا مؤمن صالح لازم التقوى طول حياته .

وهناك من الكبائر ما توعد عليها النار بصورة حتمية نظير قوله تعالى : «**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها**»(٦) وأمثال ذلك مما يدل على ان دائرة الشفاعة ليست بتلك الواسعة ليغتر بها العصاة المتمردون على الاطلاق . !

فائدة الشفاعة :

قد يتساءل البعض : ما هي الغاية من الوعد بالشفاعة ، أو الفائدة المتوخاه من وراء هذا الوعد المغرر بحياة الانسان والموجب لجرأته على ارتكاب المعاصي

---

(١) الروم : ١٠ (٢) الاعراف : ٩٨ (٣) روضة الكافي ص ١١ بحار الانوار ج ٨ ص ٥٣
(٤) الكافي ج ٢ ص ٦٨ بحار الانوار ج ١٨ ص ٣٥٧
(٥) ثواب الاعمال ص ٢٠٥ بحار الانوار ج ٨ ص ٥٣ (٦) النساء : ٩٣

اتكالا على وعد الكريم ؟!

لكن سبق أن الوعد بالشفاعة انما يستدعي الاغترار اذا كانت حتمية بالنسبة الى جميع المذنبين، وبالنسبة الى جميع الآثام، اما ومع الابهام في كلنا الناحيتين والتعليق على شروط ثقيلة فلا موضع للاغترار بهذا الوعد الا من غبي جهول.

اما الفائده المتوخاة من وراء هذا الوعد فهما خلق الأمل والرجاء فى الحياة الذى هو المركز الاساسى الحيوية والنشاط. ان الانسان الآيس يتقاعس عن كل حركة او عمل ايجابي ويهيمن عليه الكسل والسأم فى الحياة.

ان اليأس والقنوط عاملان أساسيان لبث روح الفشل فيالحياة العامة، وعلى العكس يكون الأمل الوطيد. والرجاء الوثيق فى بلوغ الاماني عاملين فى تنشيط الحركة الاجتماعية العامة بشكل محسوس. ومن ثم كان اليأسمن رحمة الله موبقة كبيرة وقد ينقلب صاحبها الى جرثومة خطرة على المجتمع اذا ما أخذ اليأس من نفسه مأخذ القنوط.

قال تعالى: «ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون»(١)«قل يا عبادى الذين اسرفوا علىأنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً»(٢).

وقال: **« ولا تيأسوا من روح الله، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »** (٣).

وبعد.. فان باب التوبة وباب المغفرة وباب الشفاعة نظائر، وكل ذلك أبواب لرحمة الله الواسعة في وجه العباد، وتفضل ولطف الهي يطرد اليأس عن الحياة، وعطف ورأفة تخلق الأمل والنشاط، ان الله خلق الخلق ليغفر لهم ويرحمهم، لا ليعذبهم أو يزج بهم في دركات النار.

نعم لا اعتباط في نظام الخلق، وانما هي أسباب ووسائل هو تعالى مهدها لعباده، وأرشدهم اليها وحرضهم نحوها.

---

(١) الحجر : ٥٦ (٢) الزمر : ٥٣

(٣) يوسف : ٨٧

قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة»(١) ، فهذه أبواب التوبة والاستغفار والشفاعة وسائل الى رحمة الله الواسعة ، هو فتحها في وجههم رحمة بهم ورأفة «ان الله بالناس لرؤوف رحيم» (٢) .

قال الامام الصادق (ع) : «أرج الله رجاء لا يجرؤك على معاصيه ، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»(٣) .

وقال لقمان لابنه : «يابني خف الله خوفاً لو وافيته ببر الثقلين خفت أن يعذبك وأرج الله رجاء لو وافيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك»(٤).

وقال الامام الصادق عليه السلام تعليقاً على هذا الكلام : «انه ليس من عبد مؤمن الا في قلبه نوران : نور خيفة ، ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»(٥) .

مراتب الشفاعة :

الشفاعة بالنسبة الى هذه الحياه هي الوسيلة الى الله في بلوغ حاجة ، أو استجابة دعوة ، ليقوم المستشفع بقرن دعائه باسم وجيه عند الله ، ويتوسل اليه بجاه ولي عزيز عليه من نبي مرسل أو ملك مقرب ، أو عبد اخلص العبودية لله ، سواء أكان حياً أم ميتاً ، حيث اولياء الله احياء مع الابدية ، ليقوموا بخالص دعائهم بشأن المستشفعين .

وأما بالنسبة الى الحياة الاخرة فهناك شفاعة في عرصات القيامة تنال اولئك الذين ارتكبوا خطايا الى جنب اعمالهم الصالحة هي وسيلتهم الى الله في شمول العفو لهم ، والرضا بموقفهم العبودي ، لكن خوف الخطايا ألجأهم الى وسيلة اقوى

(١) المائدة : ٣٥ . (٢) البقرة : ١٤٣ .
(٣) الامالي ـ الصدوق ـ ص ١٠ بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٨٤ .
(٤) الامالي ـ الصدوق ـ ص ٣٩٧ (٥) الكافي ج ٢ ص ٦٧ ، بحار الانوار ج ٧٠ ص ٣٥٢

شافعة . وشفاعة اخرى تنال اولئك الذين دخلوا النار ، وأصابتهم سيئات ما اكتسبوا حتى وافتهم رحمة الله الواسعة ، وعنايته الكريمة ، فيؤذن في حقهم بالشفاعة ، فيخرجون من النار الى دار الجنان ، كما تؤثر الشفاعة ايضا في ترفيع درجات الفائزين بدار الكرامة الخالدة .

وقد سبقت احاديث عن النبي (ص) والائمة (ع) تشير الى هذا التفصيل ، ولمزيد الاطلاع يراجع بحار الانوار باب الشفاعة من كتاب العدل والمعاد ، وغيره من اصول معتبرة .

والشفاعة في جميع هذه المواقف بمعنى واحد : دعاء وابتهال الى الله ان يغفر ذنوب الخاطئين ، بعد الاذن من عنده تعالى . والتوسل : استدعاء هذا الدعاء والاستغفار ، كما استدعى اخوة يوسف من ابيهم أن يستغفر لهم .

* * *

الشفعاء :

قال رسول الله (ص) : « لا شفيع انجح من التوبة » .

وقال : «ثلاثة يشفعون الى الله فيشفعون : الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء» .

وقال : «الشفعاء خمسة : القرآن والرحم والامانة ونبيكم وأهل بيت نبيكم».

وقال : «من لم يؤمن بشفاعتي لا أناله الله شفاعتي» .

وقال : «ان الله اعطاني مسألة فأخرت مسألتي لشفاعة المؤمنين من امتي يوم القيامة» .

وقال : « اني لأشفع يوم القيامة فأشفع ، ويشفع علي فيشفع ، ويشفع أهل بيتي فيشفعون » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ان لنا شفاعة ولاهل مودتنا شفاعة»

وقال الامام الباقر عليه السلام : «ان لرسول الله شفاعه في امته ، ولنا الشفاعة ولشيعتنا الشفاعة . وان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر» .

وقال الامام الصادق عليه السلام : «اذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، اذا وقفا بين يدي الله عزوجل قيل للعابد : انطلق الى الجنة ، وقيل للعالم : قف شفع للناس بحسن تأديبك»(١) .

هذا . . ونبتهل الى الله تعالى ان يرزقنا شفاعة نبيه المختار وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا يشفعون الا لمن ارتضى

كتب الامام الصادق - ع - الى أصحابه :

« فاعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله من أحد ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا من دون ذلك ، فمن سره أن ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب الى الله أن يرضى عنه » .

روضة الكافي ص ١١

(١) بحار الانوار ج ٨ ص ٢٩ ـ ٦٣ نقلا عن أصول معتبرة .

الإبيوردي

الشاعر العربي الذي عاش في ايران

السيد حسن الأمين - بيروت

أبو المظفر محمد بن احمد بن محمد الاموي المعاوي الشاعر الابيوردي ، توفي باصفهان عام ٥٠٧ هـ .

الابيوردي : نسبة الى ابيورد ، مدينة في خراسان ، وقد ولد المترجم في قرية من قراها اسمها (كوفن) ، تقع على بعد ستة فراسخ من أبيورد نفسها ، بينها وبين مدينة (نسا) . وأول من سكن كوفن من اجدادالمترجم هو معاوية الاصغر بن محمد . وفي كوفن يقول الابيوردي :

سقى الله رملي كوفن صيب الحيا ولا برحا مستن راع ورائد

ويقول ايضاً :

أأستنشق الريح علوية أجل وبكوفن اهلي ومالي

ويقول :

وتلك دار ورثناها معاوية لكن كوفن ألقانا بها الزمن

والمعاوي : نسبة الى معاوية الاصغر ، وهو معاوية بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة بن عنبسة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن امية ابن عبد شمس بن عبد مناف .

تشيعه :

لم تمنع أموية الابيوردي من تشيعه ، كما انها لم تمنع أبا الفرج الاصفهاني من ذلك ، وقد قرأ له ياقوت الحموي ـ وهو المصدر الاول لكل من كتب عنه ، قصيده بخطه في رثاء الحسين (ع) يقول فيها :

فجدي وهو عنبسة بن صخر بريء من يزيد ومن زياد

واذا عرفنا ان ياقوتاً لا يمكن ان يتهم بنسبة التشيع الى الابيوردي، لان ياقوتاً كان متعصباً على الشيعه ، عرفنا ان حذف تلك القصيدة من ديوانه بعد ذلك انما كان للعصبية ، كما جرى في كثير من الكتب .

ويقول الدكتور ممدوح حقي في كتابه عن الابيوردي عن هذا الموضوع :

ويقول الدكتور ممدوح حقي في كتابه عن الابيوردي عن هذا الموضوع :

«وياقوت ـ على ما يذكر ابن خلكان ـ كان متعصبا على علي ، وجرت له مناظره في دمشق مع متشيع بغدادي ، وهرب منها بعد فتنة ، فلا يعقل ان يتعصب للابيوردي ويروي له ذلك من غير تحقيق ليحشره في زمره الشيعة» ، ونضيف نحن الى ذلك: لا سيما وان ياقوتاً يؤكد انه قرأ القصيده بخط الابيوردي نفسه .

أخباره :

ولد بكوفن ، وانتقل منها الى ابيورد حيث درس وحصل ، ثم تنقل في البلاد واتصل بالملوك والرؤساء ، ومدحهم . لا سيما نظام الملك الذي ادناه اليه ، وبعد موت الاسفرائيني خازن المدرسه النظامية تولى منصبه عام ٤٩٨ ، ويبـدو أنه كان هناك من يحسده ويدس عليه لدى الخليفة وحكام بغداد ، فترك بغداد نازحـاً الى اصفهان ، وقد ضاقت احواله حتى اضطر لان يعمل مؤدباً لاولاد زين الملك برسق ثم كتب الى المستظهر في بغداد يعتـذر عن فراره ، وما لبث ان عاد الى بغداد ،

وراح يتصل بملوك العراق وأمرائه ، وأقبلت عليه الدنيا حتى قال عنه ياقوت : لقد حصل للابيوردي بعد ما تراه من شكوى الزمان في اشعـاره مما انتجه بالشعر من ملوك خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل المتنبي في عصره ، ولا لابن هاني في مصره .

ثم يصف وصوله الى سيف الدولة صدقه بن دبيس في مدينة الحلة نقلا عن احد المشاهدين فيقول : لما قدم الحلة على سيف الدولة ممتدحاً له ـ ولم يكن قبلها اجتمع به قط ـ خرج سيف الدولة لتلقيه ، فأقبل الابيوردي راكبا في جماعة كثيرة من اتباعه ، منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاماً ، ووراءه سيف مرفوع وبين يديه نجائب بالمراكب والسرافسارات الذهب(١) وعددنا ثقله فكان على واحد وعشرين بغلا ، وكان مهيباً محترماً جليلا عظيما ، لا يخاطب الا بمولانا ، فرحب به سيف الدولة وأظهر له من البر والاكرام ما لم نعهد مثله في تلقي احد ممن كان يتلقاه وأمر بانزاله واكرامه ، والتوفر على القيام بمهامه وحمل اليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة اعبد . وكان الابيوردي قد عزم على انشاد سيف الدولة قصيدتــه التي يقول فيها :

وفي أي عطفيك التفت تعطفت ... عليك به الشمس المنيرة والبدر

ولم يكن سيف الدولة اعداله بحسب ما كان في نفسه ان يلقاه به ويجيزه على شعره ، فاعتذر اليه ووعده يوما غير ذلك اليوم ليعد ما يليق بمثل اجازته مما يحسن به بين الناس ذكره ، ويبقى على مر الزمان اثره ، فاعتقد الابيوردي أن سيف الدولة قد دافعه عن سماعه ممتهاستكباراً لما يريد ان يصله به ثانياً ، وأمر الابيوردي اصحابه ان يعبروا ثقله الفرات متفرقاً في دفعات ، وخرج من غير ان يعلم به احد سوى ولد أبي طالب بن خميس فانه سمعه ينشد على شاطىء الفرات حين عبوره :

ابابل لا واديك بالخير مفعم ... لراج ولا ناديك بالرفد آهل
لئن ضقت عنا فالبلاد وسيعة ... وحسبك عاراً انني عنك راحل

---

(١) كلمة فارسية ، مفردها سرافسار ، ومعناها اللجام .

فان كنت بالسحر الحرام مدلة　　　فعندي من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تعير الأعين النجل سحرها　　　وكل مكان خيمت فيه بابل

وبادر ولد أبي طالب الى سيف الدولة فقال له : رأيت على شاطىء الفرات فارساً يريد العبور الى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات . فقال سيف الدولة : وأبيك ما هو الا الابيوردي ، فركب من وقته في فل من عسكره ، فلحقه فاعتذر وسأله الرجوع وعرفه عذره في امتناعه من سماع شعره . وأمر بانزاله في داره ، وحمل اليه الف دينار ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة .

واستمرت حياة الابيوردي هكذا ترحالا بين ذوي السلطان حتى استقر في اصفهان تلبيه لدعوة محمد بن ملكشاه حيث أسند اليه (اشراف المملكة) وهو منصب رفيع في الدولة .

ثم توفي فجأة ويقال ان (الخطير) أحد أركان الحكم في بلاط محمد بن ملكشاه دس اليه سماً لانه كان يحسده على ما وصل اليه وكان ينافسه في المناصب . ويقول العماد الاصفهاني : انه سقي السم وهو واقف عند سرير السلطان محمد بن ملكشاه فخانته رجلاه وحمل الى منزله فقال :

وقفنا بحيث العدل مد رواقه　　　وخيم في أرجائه الجود والباس
ففوق السرير ابن الملوك محمد　　　تخر له من فرط هيبته الناس
فخامرني ما خامر القوم فانثنى　　　وان ردعمى نفرة الجأش ايناس
فذاك مقام لانوفيه حقه　　　اذا لم ينب فيه عن القدم الراس
لئن عثرت رجلي فليس لمقولي　　　عثار وكم زلت افاضل اكياس

مؤلفاته

منها : (١) تاريخ ابيورد ونسا (٢) المختلف والمؤتلف (٣) قبسة العجلان في نسب آل ابي سفيان (٤) نهزة الحافظ (٥) المجتبى من المجتنى في رجال كتاب ابي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبه (٦) الانساب (٧) ما اختلف وائتلف في انساب العرب (٨) طبقات العلم في كل فن (٩) تعلة المشتاق الى ساكني العراق (١٠) كوكب المتأمل في الخيل (١١) تعلة المقرور (١٢) الدرة الثمينة (١٣) الصهلة القارح، رد فيه على المعري في سقط الزند. ولم يبق من كل ذلك الا ديوانه الشعري.

سارتر وفكرة الالحاد

الشيخ محمد جواد مغنية

وجه بعض المؤمنين سؤالا لعالم من أساتذة الحوزة العلمية وكبارها في النجف الاشرف يقول : ما رأيكم في دعوة الفيلسوف الفرنسي والاديب الشهير «سارتر» التي تحدى بها المؤمنين في شرق الارض وغربها بأن يختاروا منهم قديراً يرسلونه اليه للجدال في الله، وعليه نفقاته في ذهابه وايابه .. مع العلم بأن المؤمنين قد تجاهلوا هذا التحدي الصارخ وسكتوا عنه ! ... فهل يجوز السكوت في مثل هذه الحال ؟

وأجاب المسؤول الكبير: لو أن المؤمنين دعوا «سارتر» الى نقاش الحساب عن كفره والحاده، وتعهدوا بنفقاته ذهابا وايابا، وتجاهل هو بدوره وأحجم - فهل يعني هذا انه أفحم واستسلم ، وان الجاحدين من أمثاله يتوبون ، على فرض احجامه ، ويؤوبون الى الرشد لا محالة ؟ . (انتهى السؤال والجواب) .

وغير بعيد أن يكون هذا التحدي مفتعلا على لسان سارتر . . لمجرد الاعلام والدعاية الى الالحاد ، عسى أن يخدع به ساذج أبله . . ولا أنزه «سارتر» عن الكفر والالحاد ، كيف ؟ وهو الرائد الاول في هذا العصر للوجودية التي لاتتجاوب مع دين من الاديان السماوية ، ولا تلتمس عذراً علمياً لمؤمن في ايمانه بالله . . . ولكني أستبعد عنه هذا الغرور والحمق الذي يسيء الى سمعته ومكانته . . . وأية مصلحة لسارتر في تحديه شعور أهل الارض أو جلهم ، فيصرخ في وجوههم بوقاحة وصلافة كلكم على خطأ وضلال ، وأنا وحدي على الحق المبين ، وفيهم الادمغة التي تزخر بالعلم والعمق ، وترد له الصاع صاعين ؟ .

هذا ، الى أن فكرة الالحاد كانت منذ القديم ولم يبتدعها سارتر من موهبته

وعبقريته . . فمن قبل ومن بعد أيضاً لاكها الجاهل والأحمق ، ولا فضل لسارتر في طرحها الان والدفاع عنها . . واذا كان لديه شيء جديد حول الالحاد لا يعرفه أحد سواه ، وبريد أن يعلنه على الناس ـ فلماذا يتحمل النفقات ويبذل الأموال مادام قادراً في كل حين على أن يعبر عن رأيه في كتبه أو مجلته أو في أية صحيفة يختار ، كما هو شأنه وديدنه في سائر الموضوعات ؟.

وان أراد سارتر من دعوته وتضحيته بالمال أن يطلع على ادلة المؤمنين ويحيط بها علما فتلك حجتهم بين يديه ويدي كل طالب وراغب ، يجدها في كتاب الله ، وأحاديث الانبياء ، وكلام الصحابة والتابعين وأقوال الفلاسفة والعلماء ، وآثار أهل الفن والأدب من ابناء هذا العصر وكل عصر ، وفيهم من يملك أرقى ما بلغته الانسانية من معارف في كل ميدان حتى العلوم الطبيعية ، وأدلتهم في غاية البساطة والوضوح .. فليناقشها سارتر بما احب . . ومرة ثانية لماذا تحمل النفقات وبذل الاموال ؟ .

وكفى بالله هادياً ونصيراً لعباده المؤمنين ، وحكماً بينهم وبين الجاحدين ، الدين تحداهم سبحانه بقوله **«هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» ـ ١١١ ـ البقرة.** تحداهم جل وعلا بعد ان دعاهم الى الايمان ، وأرشدهم الى البرهان ، وقال لهم فيما قال علت كلمته : هذا كتاب الوجود فتعقلوه ، وذا قرآني فتدبروه ، وذاك رسولي اليكم فانظروا في سيرته ورسالته بامعان لعلكم تهتدون .

وبعد ، فان فكرة الالحاد ليست بالمشكلة التي ترتفع الى مستوى النقاش الحاد والاسهاب في الجدال بين العارفين المنصفين ، لانها لا تقوم على اساس من الواقع ولا الشواهد على وجود الله عزيزة المنال وفوق العقول والالهام ، كيف وفي كل شيء له آية ؟ كما قال الشاعر الملهم . . . وانما الالحاد عقدة نفسية لدى بعض المتفلسفين والمتحذلقين ، نشأت من كلمة الدين بالذات التي توحي بنوع من الفرضية القبلية ، كما يتوهمون ففروا منها الى «موديل» الانكار والتحرر من كل قيد وقيمة!.. ويمثلهم جميعاً ما قاله واحد منهم : من المستحيل أن يوجد نظام بمحض الاتفاق والصدفة ، بل لابد أنه وجد نتيجة لارادة مدبرة ، ولكن ذهني لم يكن على استعداد لتقبل هذه الفكرة . (كتاب الاسلام يتحدى ـ لوحيد الدين خان) .

وعلى أية حال ، فان وجودية سارتر تعتبر كل فرد من الانسان قلعة في نفسها ، وتضع حريته فوق أي اعتبار آخر ، ويمتاز عن غيره من الكائنات بالاختيار ، وهو يؤكد ذاته ووجوده من خلال المواقف التي يختارها وينخرط فيهـا . . ولا وجود اطلاقاً قبل الانسان أو بعده لاية قوة أو مبدأ او شريعة خارجة عنه يسوغ لها ان تفرض نفسها عليه .

هذا تلخيص سريع لفلسفة سارتر او وجوديته . . واية كانت او نكون فلست بصدد شرحها والرد عليها . وغرضي الاول هو التصدي لتحديه في دعوته الى الجدال في الله سبحانه ، ان صح انه دعا وتحدى . . وقبل كل شيء اشير الى ان المؤمنين بالله يعتمدون في ايمانهـم على منطق العقل الذكي والحس السليم ، ويخاطبون في الجاحدين عند الجدال والنقاش الضمير الحي والفطرة الصافية . وعلى هذا الاساس اوجـه الأسئلة التاليـة لسارتر وغيره من المشككين : ١ ـ لنفترض أن الانسان هو ذاك الكائن الحي الذي حدده سارتر ، فهل اكتشف هو او اي عالم آخر دليلا قاطعاً على ان الانسان بعد وجوده في هذه الحياة يستحيل ان يملك عقلا نيراً يهديه ويرشده بمعونة الحس الى خالقه وخالق الكون ، او اكتشف ان ارشاد هذا العقل وهدايته سراب وتضليل ؟ . فان كان شيء من ذلك فليدلنا عليه سارتر وغير سارتر ونحن له من الشاكرين .

٢ ـ ان سارتر الف كتاب المذهب المادي والثورة ، وجاء في ترجمته العربية بقلم سامي الدروبي ص ٤٢ وما بعدها ـ ما يتلخص بان الماديين ينفون وجود أي شيء وراء المادة والطبيعة، ويزعمون ان الايمان به ايمان بالغيب لا يعتمد على التجربة والحس.. ثم رد سارتر قولهم هذا بان النفي المطلق لما وراء المادة والطبيعة هو ايضـاً في حقيقته ايمان بالغيب لا يعتمد على الحس والتجربة ، فكيف أبرموا ههنا ما نقضوه هناك؟.

واذا صح ان سارتر قد دعا وتحدى بعد هذا الرد يكون تماماً كالماديين ينقض ما ابرم ، ويبرم ما نقض .

٣ ـ ليس من شك أن القضايا الانسانية والاجتماعية لا وجود لها قبل الانسان لانه هو موضوعها ومحورها ، فالحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين والجارين

وبين الولد ووالديه ، كل ذلك وما اليه انما يوجد بوجودالانسان ، وينتفي بانتفائه، لانه الشجرة ، وقضاياه الثمرة . اما الكون وما فيه من نظام وشواهد على وجود الخالق ووحدانيته فهو موجود قبل انوجد الانسان ، ومن الشواهد الكونية ينطلق عقل الانسان بعد وجوده الى الايمان بالله .

وقد اباح سارتر للعقول والافهام ان تكتشف قوى الكون وعناصره وأسراره الكامنة فيه منذ البداية ، وان تستغلها لخدمة الانسان ومنافعه ، ما يرى منهاكالمعادن وما لايرى كالجاذبية والالكترون ـ فعليه ايضاً ان يبيح للعقول الاستدلال بالشواهد الكونية على وجود المبدع والمدبر . . اما ان يحجر عليها هنا ، ويطلقها هناك ، فتفريق بلا مبرر ، وتقسيم للشيء الواحد الى نفسه ونقيضه في آن واحد ، ومن جهة واحدة .

وبعد ، فان اشياء الكون وأنواعه لايبلغها الاحصاء . . . ومن اجل هذا تقاسم العلماء فيما بينهم دراسة الكثير منها،وتخصص لكل نوع فئة منهم ، فللفلك ـ مثلا ـ علماؤه ، وللنبات خبراؤه ، وللحيوان اخصاؤه . . الى ما هو واضح ومعروف ، ويستحيل على الفرد او الجماعة ان يحيط أو يحيطوا علماً بجميع اشياء الكون وأنواعه . أما الفلاسفة فقد اتجهوا الى البحث عن الوجود مطلقاً في كلياته وجزئياته وقدمه وحدوثه ، ومصدره ومآله ، واستنطقوا ما فيه من بينات وشواهد على ذلك ، وبالخصوص على علته الاولى التي تحدد اتجاهه وحركاته ، وتنظم سننه وقوانينه ، وانتهى الاقطاب منهم الى الايمان بوجودها وصفاتها تماماً كمن سمع ورأى .

٤ـ لنفترض أن وجود الله من المسائل النظرية التي تقبل الجدال والنقاش على الرغم من وضوح الدلائل وكثرة الشواهد ، ولكن من المعروف والمؤكد بين العلماء منذ القديم أن لكل مجتهد رأيه وقناعته في كل مسألة نظرية ، ولا يجوز بحال ان يتنازل عن رأيه لمجتهد آخر يخالفه في النظر ما دام كل منهما يعتمد على حجة ودليل عنده ، ولا برهان واضح ومسلم به عند الطرفين على ان هذا مصيب قطعاً ، وذاك مخطىء يقيناً .

ونحن نؤمن بالله لدليل عندنا وليس عند سارتر ـ كما يقول ـ ، وهو يكفر لشبهة عنده وليست عندنا ، فهل يسوغ له ، وهو لا يملك الدليل المسلم به عندنا ان ينكر علينا الايمان لشبهته ، ولا يسوغ لنا ان ننكر عليه الالحاد لدليلنا ؟ .

ومهما يكن فان صخب الملحدين وهتافهم لائمة الكفر والالحاد لا يثني المؤمن عن ايمانه ، ولا يشكك العالم بالله في علمه ويقينه .

٥ ـ ان ادلة المؤمنين بالله ليست ارتجالية ، ولا هي جزئيات وكلمات متناثرة هنا وهناك لا تجمعها ضابطة ، ولا ترجع الى أصل وأساس . . كلا ، فان العلماء والفلاسفة حددوها على أسس منهجية واضحة ، تعتمد مباشرة أو بالواسطة على حقائق بديهية ومسلمات أوليه ، وخصصوا لها المعاهد ، وألفوا فيها الاسفار، ودعوا المؤمن والجاحد الى تمحيصها ودراستها ، وأوجبت الاكثرية الكاثرة من علماء الدين على كل عاقل النظر فيها ، وحرموا عليه التقليد والمتابعة العمياء ، في أي أصل من اصول الدين . . وأمر القرآن الكريم في العديد من آياته بالاحتكام الى منطق الحس والعقل والقلب في كل ما يمت الى العقيده بسبب ، وفي التشريع وشؤون الاجتماع وآداب السلوك، كما حث على النظر في ملكوت السموات والارض.

ولا اريد هنا ان اغرق القارىء في زحام المقدمات والنتائج والتفاصيل والارقام وأكتفي بهذا التساؤل على لسان من ايمن بالله وآمن :

ان كل شيء في الذره الصغيره الى اعظم المجرات يسير على سنة محكمة ، وينسجم مع غيره من اشياء الكون على ما بينه وبينها من تضاد ، كالحرارة والبرودة والحركة والسكون ، والليل والنهار ، والكل يعمل في تعاون واتحاد كامل، ويتجه الى غاية واحده تماماً ، كعمل الجسم المؤلف من اعضاء متباينة ، وقوى متضادة، يدبرها جميعاً عقل واع ، واراده حكيمة .

فمن الذي احكم ونظم هذا الكون بما فيه ، ودبره وهيمن عليه ؟ ووضع كل شيء في المكان الملائم له ، حتى ادى الغاية من وجوده على اكمل وجه ؟ ومن اين جاءته الحياة والادراك، وغيره من الانفعالات البشرية وغير البشرية ؟ وهل ذلك

كله من صنع الطبيعة الصماء ؟ وهل الطبيعة علة لنفسها ولما فيها من اراده وعقل ونظام ؟ كيف وهي تفتقر في أصل وجودها الى مقوم ومدبر ؟ . أما الصدفة فلا تدخل في علم وقانون ، ولا يلجأ اليها الا من شهد على نفسه بالجهل والقصور عن معرفة السبب الموجب وبالتالي كيف يسوغ لنا ان نحتمل الصدفة في وجود الكون وعجائبه ، ولا يسوغ ذلك في وجود عود ثقاب واحد ؟ .

الى كثير من الأسئلة التي ماوجدت حتى الان ، ولن تجد، أجوبة حاسمة في نظر العاقل المحايد ، بل العكس هو الصحيح فان اقوال الملحدين زادت المؤمنين بصيرة ويقيناً حيث تجاوزت منطق العقل والعلم الى الخرافات والحماقات التي اكدها فوليتر ونعت بها الملحدين في قوله : «ان فكرة وجود الله فرض ضروري ، لان الفكرة المضاده حماقات» . (فولتير تأليف جوستاف لانسوى ، ترجمة محمد غنيمي هلال ص ٧٣ طبعة سنة ١٩٦٢) . واطرف هذه الحماقات قول نيتشه : «لو كان الله موجودا لكنت انا هو . . وكيف استطيع ان لا اكون اله ؟ . . واذن فليس اله» . نقل هذا عن نيتشه الفيلسوف الانكليزي الشهير راسل في كتاب السلطان ، ترجمة خيرى حماد ، طبعة سنة ١٩٦٢ ص ٦٩٠) ، وليس من شك ان نيتشه لو كان يملك وسيله واحدة من وسائل الاقناع - مالجأ الى هذه الخرافة والحماقة .. أما المؤمنون بالله فان رائدهم العقل ، وحليفهم العلم ، وما تقدم خطوه في اي مجال من مجالاته وبخاصة في عالم الاحياء ، وبصورة اخص في التشريح والفلك - الا وراد الأدلة على وجود الله وضوحاً وقوة ، وأدلى ببراهين جديدة ، وكشف عن نتائج علمية لا تفسير لها الا بقوة لا تشبه شيئاً من أشياء الطبيعة ، ولا يشبهها شيء .. ومن هنا أيقن بالله وآمن العديد من رجال العلم وأقطابه في هذا العصر . انظر كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) الذي ترجم الى كل اللغات وطبع العديد من المرات .

ومن قبل كان هؤلاء العلماء لا يهتمون بكفر وايمان ولايرون اي داع وموجب للبحث عن ادلة الاثبات او شبهة النفي . . وانما شغلهم الشاغل عن وظيفتم وما يدخل في اختصاصهم وكفى ، ولكن الواقع الذي عاشوه مباشرة ومارسوه فعلا

هو الذي فرض نفسه عليهم ، وخلق الايمان بالله في قلوبهم من حيث لا يشعرون وينصدون .

وربما قال قائل : ولماذا البحث فيما وراء الطبيعة مادمنا نعيش فيها لا وراءها وفي خارجها ، وقد اكتشفنا من اسرارها ما ننتفع به ، ومازلنا على هذه الطريق نجد السير الغاية نفسها ؟ . أليس الاجدر والانفع ان نسكت عما لا يعنينا من قريب او بعيد ؟ .

الجواب :

ان الايمان بالله وقدرته وعدله يعني ان الانسان لايترك سدى . وانه مسئول عما يفعل ويترك ، وان المسيء لا يفلت من العقاب ، وان المحسن يكرم ويثاب .. هذا ، الى ان آثار الدين ومعطايته لاتقف على العبادة في المساجد والكنائس ، بل تتجاوزها الى السياسة والاقتصاد ونظام الاسرة والكتب السماوية والاماكن المقدسة ، وكثير من التقاليد والعادات . . ومن اجل الدين قامت حروب جرت الدماء انهراً ، وسارت خلافات قسمت البلد بل البيت الواحد الى احزاب ، وشيدت صروح ومعاهد ، استهلكت الكثير من الارزاق والاقوات ، وتكونت هيئات ودول واحزاب ، ووضعت مؤلفات بمختلف اللغات . . حتى الدول الملحدة فيها دوائر خاصة للشئون الدينية .

وقال كثير من اهل الاختصاص : «ثقافة كل امة تنطلق من دينها وايمانها» ورفض الكثير من الفلسفات والانظمة ، لانها لاتتجاوب مع ما ندين ونعتقد . . أبعد هذا وغيره كثير وخطير ، يقال : لماذا البحث في الدين ؟ وأيهما ابعد أثراً في حياة الناس الدين او الوجودية والبرجماتية والماركسية ؟ وكيف حسن البحث في هذا دون ذاك ؟ .

وبعد ، فان الدين هو السمة العامة التي تحدد حياة البشرية كلها او جلها في كل مرحلة من مراحل التاريخ .. والايمان بالله قديم وأصيل ، يقوم بنيانه على أساس العلم والعقل والحجة والقناعة ، وقد واجه الكثير من التحديات والمؤامرات ، وكلها تبخرت مع الريح . . وبقي الدين متوجاً على عرشه تركع له جباه الملوك والجبابرة **«بل له ما في السموات والارض كل له قانتون»** .

المرحلية

في الأديان السماوية القديمة

السيد مهدي الحكيم

> لم تكن شريعات التوراة ابدية تصلح لكل عصر ومصر ، بل جاءت لفترة محددة من فترات الدهر . ومثلها المسيحية . فلم يدع المسيح (ع) أن رسالته عالمية ، بل نسب اليه قوله : « لم ارسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » . كما أنه لم يصرح بأن دعوته تلك جديدة في منهجها بل نادى : « ما جئت لانقض الناموس أو الانبياء ما جئت لانقض بل لاكمل » .

خرجنا من حديث سابق بنتيجة هامة عن حقيقة المنهج ، دلتنا على أن البشر يتعذر عليهم أن يضعوا دستورا تراعى فيه طبيعة الانسان في تعقدها وتشابكها ، نظراً لقصورهم وعجزهم .. وأن هذا المنهج يحتم ان يكون من صنع الاله القادر ، فاطر السموات والارض ، خالق الانسان والعالم ، بما توسوس به نفسه وهو اقرب اليه من حبل الوريد .

من سنن الله في الكون أن يرسل الرسل

والله ـ سبحانه ـ خبير بجهل الناس وضعفهم ، ولم يخلقهم عبثا حتى يتركهم

يعيثون في الارض فساداً ، بل أوجدهم لحكمة سامية ، فكتب على نفسه ليرحمنهم ويلطف بهم. فأرسل اليهم الرسل يخطون لهم سبل الهدى ويهدونهم الى سواء الصراط «رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل...ولله الحجة البالغة ... وان من أمة الا خلا فيها نذير ..» .

تلك سنة من سنن الله في الكون ، لا تتغير لا تتبدل ، لانها من الصميم .. اذ بالانسان عرف الوجود ، وضمن تصوراته انطوت حقيقة العالم الاكبر . .

فترات مد وجزر في تاريخ البشرية

وكانت ثمة فترات تتخلل تاريخ البشرية الطويل ، يرجع الناس فيها الى انفسهم ، فيحكمون ضمائرهم وعقولهم ، وتعمهم الرجاء والامن . الا انها مجرد فترات اشبه ما تكون بالوميض الساطع في الليل المدلهم ، او بالواحة الامنة في الصحراء المجدبة . ولكنهم يأبون بعدها الا العلو والاستكبار في الارض فتستهويهم الشياطين ، تزين لهم زخرف القول والعمل وتصدهم عن سبيل الله ، تساعدهم على ذلك نفوس امارة بالسوء ، ميالة الى الهوى ، فلا يلبثون ان يرتكسوا ويعودوا الى حمأة الجاهلية . . حيث الظلام المطبق يرين على ابصارهم وبصائرهم

الحكمة من تعدد الاديان

تتابعت الديانات من لدن رب العالمين ، وكلها تتفق بالحقيقة الكبرى ، حقيقة الله والانسان والوجود . . . الا انها تختلف في التفاصيل . ومرجع ذلك يعود الى الطور الذي تمر به البشرية . اذ ان القوانين التي تحكم الفرد تتحكم ايضاً في النوع ولكن بصورة اشمل ، وكما ان الانسان الفرد تمر حياته بمراحل شتى : من طفولة الى صبا الى شباب . فكذلك الانسانية بمجموعها تمر بهذه المراحل حتى تبلغ اشدها وتصبح مكتملة النمو . . والديانات الاولى انما كانت تخاطب البشرية في طفولتها وصباها ، لذلك كانت شرائعها مطابقة لهاتين المرحلتين . وهذا هو منطق

الفطرة .. اذ ليس من الحكمة في شيء ان نفرض على الطفل واجبات فوق طاقته ، تأباها امكانياته ، وبالتالي تصبح بعيده عن التنفيذ.

الديانات السابقة لم تخرج عن نطاق الزمان والمكان

وهكذا تعاقبت على البشرية ديانات مختلفة ـ قبل مرحلة المسيح ـ كانت كلها تسير ضمن هذا القانون ، قانون الفطرة مع تقيدها بحدود الزمان والمكان ، والدعوه الموسوية ـ كما توحي بذلك ظواهر الآيات الكريمة ـ لم تأت كافة الناس ، وانما كانت لفئة معينة منهم هم رهط فرعون وبنو اسرائيل . وتشريعات التوراه لم تكن ابدية تصلح لكل عصر ومصر ، بل جاءت لفترة محدده من فترات الدهر . . . ومثلها المسيحية ، فلم يدع المسيح(ع) ان رسالته عالمية ، بل ينسب اليه انه قال : « جئت لاهدي خراف اسرائيل الضالة »(١) ، كما ينسب اليه انه لم يصرح بأن دعوته تلك جديده في منهجها بل نادى : «لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس ، او الانبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل »(٢) .

لم تحافظ هذه الديانات على صفائها

ومع ذلك لم تحافظ هذه الديانات ـ فيما بعد ـ على صفائها وشفافيتها ، بل انتابها الكدر ، وعلقت بها الاوشاب ، فبدلت حقائقها الأولى الثابتة عن الله والكون والانسان بتصورات سقيمة هي أشبه ما تكون بتصورات الوثنية منها بدين سماوي ، وحلت اليهودية بأفكها وأباطيلها محل دين موسى(ع) وشوهت «التوراه» ـ وهي الكتاب الذي أنزل فيه الهدى والنور ـ بـ(توراه) مزيفة سطرتها يد الاهواء الهها غيور شديد البطش متعطش الى الدماء سريع الغضب، اقليمي لايحب الا شعبه يخصهم ـ وحدهم ـ بالبركة والتشريع . . . كما جسدته بصورة الانسان ، يأكل ويشرب ، ويتعب ويستريح ، ويتمشى في الجنة ، ويغار من منافسيه فيصارعهم(٣) .

---

(١) انظر الاصحاح ١٥ من انجيل متى رقم ٢٤

(٢) انجيل متى الاصحاح ٥ رقم ١٧ .

(٣) انظر كتاب «الله» للعقاد ص ١٠١-١٠٣ طبعة دار الهلال ـ القاهرة .

تجسد الاله في التصور اليهودي

هذا هو الفكر اليهودي في تصوره لله والانسان : «اله على شاكلة البشر(١) ، له شعر كالصوف النقي(٢) ، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف(٣) وحقوان أعلاهما كالنحاس اللامع وأسفلهما كالنار اللامعة أو كمنظر القوس التي في السحاب يوم المطر(٤) ويلبس ثياباً بيضاء كالثلج(٥) ، وأذياله تملأ الهيكل(٦) اله يصارع عبده يعقوب طوال الليل حتى مطالع الفجر وعندما يرى أنه لايقدر عليه، يضرب حق فخذه فينخلع حق فخذ يعقوب ، ويطلب منه ان يطلقه فيأبى يعقوب ذلك ويصر على المصارعة حتى ينتزع منه البركة انتزاعاً. ثم يستفهمه عن اسمه فيجيبه : ابي أدعى يعقوب . عندئذ يقول له «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت»(٧) وخالق يخشى عبده آدم ، ويخاف منه ان يأكل من شجرة الحياة لئلا يصير مثله ، فيعرف الخير والشر ، ويشاركه في الحياة الابدية(٨) .

ورب يجلس على كرسيه ، وجند السماء وقوف عن يمينه وشماله ، يستشيرهم في من يغوي «أحاب» ملك اسرائيل ، فيتفاوضون في المشورة ، وكل يبدي رأيه الى ان يتوفق «روح الكذب» للرأي السديد ! فيفوض اليه العمل لاقتداره ، ولكن «ميخا» النبي يفشي السر ، ويكاد يبطل تدبير هذا الرب(٩) .

---

(١) العهد القديم ، الاصحاح الاول من سفر التكوين ، رقم ٢٦ ـ ٢٧ ، والاصحاح ٥ أيضاً ، رقم ١ .

(٢) سفر «دانيال» الاصحاح ٧ رقم ٩ .

(٣) الخروج ، الاصحاح ٢٤ رقم ١٠ .

(٤) حزقيال / الاصحاح ١ رقم ٢٦-٢٨ .

(٥) دانيال / الاصحاح ٧ رقم ٩ .

(٦) أشعيا / اصحاح ٦ رقم ١ .

(٧) التكوين / اصحاح ٣٢ رقم ٢٤ ـ ٣١ ورقم ٣٢ لفظه ما يلي : لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا على حق الفخذ الى هذا اليوم لانه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا .

(٨) التكوين / الاصحاح ٣ رقم ٢٢ (٩) الايام الثاني / الاصحاح ١٨ رقم ١٨-٢٢ .

والانسان ـ فيما بين ذلك ـ مخادع أشر ، ختال صلف ، سيء السيرة قليل الحياء مع ربه ؛ يؤنبه ويهدده ، سواء في ذلك أكان نبياً مرسلا أم غير نبي . .

الحكمة من ارسال الانبياء

والنبوة ـ في أصلها ـ عصمة الهية للنبي، تهيء له الدخول الى حظيرة القدس، وتلقي الوحي . أوجدها الله لطفاً منه لعباده ، ليقربهم من الطاعة ، ويبعدهم عن المعصية ، وليرشدهم الى مايحتاجون اليه في حفظ دينهم ودنياهم . على ان يكون الرسول ـ في سيرته ـ الاسوة الحسنة لهم والشهيد عليهم . . تلك هي الحكمة من النبوة وارسال الانبياء .

لكن العهد القديم صور انبياءه ـ وهم القدوة ـ تصويراً يبعدهم عن كل مكرمة. فلم يترك فرية الا ألصقها بهم ، ولا ذنباً مخزياً ـ تمجه النفس ـ الا نسبه اليهم . فهم بذلك الى الرذيلة ادنى منهم الى الفضيلة ، ونسبتهم الى الشيطان اقرب من نسبتهم الى الرحمن !! واليك الدليل :

افتراء «اليهودية» على الانبياء

ان موسى التوراة ـ وهو نبيها الجليل ـ يخاطب ربه ، مستعفياً من الرسالة بكلام بعيد عن اللياقة ، ولم يثق بوعد الله حتى حمي عليه غضب الرب(١) . ويناديه ـ مرة أخرى ـ مؤنباً اياه ومندداً به : «لماذا أسأت الى عبدك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك ؟ حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ لعلي حبلت بجميع هذا الشعب ، او لعلي ولدته حتى تقول احمله في حضنك ؟ وان كنت تفعل بي هذا فاقتلني قتلا ! ! »(٢) .

كما تصم التوراة هارون أخا موسى بأنه نزع اقراط الذهب التي في آذان

---

(١) الخروج/اصحاح ٤ رقم ١٠-١٤ . (٢) سفر العدد/اصحاح ١١ رقم ١١-١٥ .

بني اسرائيل واخذها من ايديهم فصاغها وصورها ، وصنع منها عجلا مسبوكا ، فقالوا : «هذه آلهتك يا اسرائيل اصعدتك من ارض مصر» ، وعندما استمع اليهم هارون بنى مذبحا امامه وقال : «غدا عيد للرب» ، فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للاكل والشرب ، ثم قاموا للعب(١).

وتتهم نوحاً ـ سيح المرسلين ـ بأنه شرب الخمر ، فسكر ، وتعرى داخل خبائه حتى راى ابنه كنعان عورته(٢) . كما تتهم لوطاً ايضاً بالسكر ، وانه زنى بابنتيه بعد ذلك فحملت كلتاهما منه وولدت صبيا . احدهما «موآب» وهو ـ بزعمها ـ ابو الموآبيين . والآخر «بن عمي» وهو ابو بني عمون(٣) .

هذا ، ولم تعف التوراة داود من وصمة مماثلة ، فقد ذكرت انه زنى بزوجة «اوريا» احد المجاهدين . وأراد ان يموه عليه حملها بأن ارسل اليه يأمره بالرجوع فرجع ولكنه ابى ان يدخل بيته ويرتاح ، اسوة برفاقه المجاهدين ، ينزلون على وجه الصحراء . فما كان من داود الا ان امره بالاياب ، بعد ان ارسل معه كتاباً الى قائد يقول فيه : اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديده ، وارجعوا من ورائه فليقتل ويموت» ، ففعلوا . . وعندما علم بموته ارسل الى المرأه المذكوره وضمها اليه ، وولدت له ولدا من حمل ذلك الزنى . كان ـ فيما بعد ـ معرراً لديه أثيرا عنده(٤) .

وتتهم ايوب ـ العبد الصابر ـ بأنه طلب المحاكمة مع الله ، وعوض بنسبة الظلم اليه(٥) . كما تذكر ان «اشعيا» امره الله ان يمشي عرياناً وحافياً بين الناس ، واستمر على ذلك ثلاث سنين ...(٦) وان «هوشع» ـ اول ما كلمه ربه ـ امره ان يأخذ لنفسه امرأة زنى وأولاد زنى ، لان الارض قد زنت زنى تاركة الرب . .(٧) ، وان «حزقيال» امره ربه ان يأكل كعكا من خبز الشعير الذي يخبزه امام عيون بني

(١) الخروج/اصحاح ٣٢ رقم ١-٦ . (٢) التكوين/اصحاح ٩ رقم ٢١ .
(٣) التكوين/اصحاح ١٩ رقم ٣٠ الى آخر الاصحاح .
(٤) صموئيل الثاني/اصحاح ١١ رقم ٢-٢٦ . (٥) أيوب/الاصحاحات ٩ و١٠ و١٩ و٢٣
(٦) سفر اشعيا/اصحاح ٢٠ رقم ١-٥ (٧) هوشع/اصحاح ١ رقم ٢ .

اسرائيل على العائط الدي يحرح من الانساں ...(١) وان . . . وان . . . الى آحر ما هنالك من دواه دهياء .

في «الـهود» علاقة بين الله والانسان علاقة صراع

هؤلاء هم الانبياء في تصوراب «اليهود ، انهم مجرمون لايتورعون ـ احياناً ـ عن الكفر والجحود ، بله اقتراف المعاصي وانتهاك الحرمات . والعلاقة بينهم وبين الله علاقة صراع ، قائمة على عدم الثقة ، وعلى الختل والمكر . . . تدكرنا بحسد الآلهة للانسان وخوفها منه في اساطير «انوثنية الهيلينية» ، وبفكره العداوه الضارية بين البشر واولئك الآلهة المزعومين . وخير مثـال لذلك أسطوره «برومثيـوس» سارق النار المقدسة .

الاسطورة الوثنية ومقارنتها بالتصور اليهودي

«فبروميثيوس» كائن اسطوري كان الاله «ريوس» يستخدمه في خلق الناس من الماء والطين . وقد احس بالتخلف نحو البسر ، فسرق لهم النار المقدسة من السماء وأعطاها لهم . فعاقبه «ريوس» على دلك بأن قيده بسلاسل في «جبال القوقاز» حيث وكل به نسراً يرعى كبده طول النهار .. وتتجدد الكبد اثناء الليل ، ليجدد عذابه في النهار . ولكي ينتقم «زيوس» من وجود النار المقدسة بين ايدي البشر ، ارسل اليهم « باندورا » ـ اول كائن انثى على وجه الارض ـ ومعها صندوق يشتمل على انواع الشرور كافة ليدمر الجنس البشري . فلما تزوجها «ابيميثيوس» ، وتقبل منها هدية الآلهة ، فتح الصندوق فانتشرت الشرور وملأت وجه الارض .

أرأيت الى طبيعة العلاقة بين الانسان وخالقه ، عند الوثنية ؟ .. لقد تشابهت الصورتان في اساطير «العهد القديم» وأساطير «يونان» !!

---

(١) حزقيال / اصحاح ٤ رقم ١٢ ـ ١٥

خصائص الشعب اليهودي

اما شعب هذا الاله ، الذي احتكره ، وأبى الا ان يكون ربه وحده ، لارب بقية الامم . فان سلوك افراده ينبع من تصوراتهم . ومن الطبيعي ان يكونوا على شاكلة انبياء توراتهم ، فيتشبهون بهم ويسيرون على منهجهم . اضف الى ذلك ما اورثهم اياه تاريخهم الخاص من كبرياء قومية ، وادلال بالنسب ، وحب للمال ، وتكالب على جمعه . الى جانب عبوديتهم الطويلة والاضطهاد المصبح الذي منوا به ، كل اولئك وسمتهم بنفسية غريبة لم توجد في امة من الامم . وجعلتهم ينفردون بخصائص خلقية كانت لهم شعارا على تعاقب العصور والاجيال ، منها : الخنوع عند الضعف ، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة ، والختل والنفاق في عامة الاحوال .

ذلك هو «العهد القديم» وتلك هي «اليهودية» !! فساد في العقيدة ، وفساد في التصور ، وفساد في السلوك .

للبحث صلة

أشربوا في قلوبهم العجل

« ولقد جاءكم موسى بالبينات، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإن أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين »

(البقرة ـ ٩)

تحطيم الايمان في قلوب المسلمين

هو الهدف الاساسي من المخطط المرسوم

المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق

وجدوا بعد أن فشل الهجوم الصليبي العسكري ، أن سر قوة المسلمين يكمن في قوة الايمان الذى تعمر به قلوبهم .

وعندما تبينوا هذه الحقيقة وتأكدوا منها رسموا مخططا رهيبا لتحطيم هذا السلاح القوى الذى استعصى عليهم قهره بالقوة العسكرية وحدها .

واتخذوا لتنفيذ هذا المخطط وسائل شتى ، ظاهرة وخفية، مباشرة وغير مباشرة من أهمها :

١ ـ انهم عندما استعمروا البلاد اكثروا فيها الفساد وأشاعوا الفاحشة .

٢ ـ جاءوا الى مناهج التعليم ومحوا منها الدين وطمسوا التاريخ الاسلامي وشوهوه حتى تتخرج الأجيال تلو الأجيال ، وهي التي ستؤول اليها مقاليد الامور خاوية الوفاض تعاني فراغين :

أ ـ الفراغ الروحي ، الذي يسبب التمزق والحيرة والقلق النفسي لتكون النفوس مرتعاً خصباً للتحلل بشتى صنوفه ومختلف الوانه .

ب ـ الفراغ الفكري ، حتى يسهل ملؤه بالافكار المستوردة غربية وشرقية ، وهي بطبيعتها تؤدي الى تجافي الدين والتنكر له ومعاداته ، كما تؤدي الى التحرر من القيم والاخلاق الفاضلة .

وبالفراغ الروحي والفراغ الفكري يصيبنا الوهن الذيهو حب الدنيا وكراهية الموت ونصبح كغثاء السيل – **تتداعى علمنا الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها،** وصدق رسول الله (ص) .

٣ ـ ايقاع البلاد في مشاكل وأزمات داخلية واخرى خارجية تستنفذ قواها وتعطلها عن التقدم وتضعفها فلا تقوى فيقوى الأسلام الذي هو عدوهم المشترك .

ولما كانت مصر بأزهرها الشريف ، فى تقديرهم من مراكز الاشعاع ، التي يمكن ان يتبلور عليها العالم الاسلامي ، كانت وطأه هذا المخطط عليها اشد وأنكى وكان عليها التركيز والثقل الكبير :

ارهاقها بالمشاكل والأزمات ، حتى تصبح الرجل المريض ، تقطيع صلاتها بكل الشعوب التي تكن لها احتراماً موروثاً والقضاء على ما لها عند هذه الشعوب من كل مكانة روحية مقدسة ، والعمل على ضياع هيبة الازهر الشريف .

ولما كان العرب هـم الدعاة الاوائل للاسـلام ، كانت كذلك وطأة هـذا المخطط عليهم شديدة وعاتية ، وما نراه الان وقبل الان على الساحة العربية بطولها وعرضها من المحيط الى الخليج ، من صراعات وخلافات ومنازعات وتدهور ماهو الا من تدبير اصحاب هذا المخطط وصنعهم .

وعن عجب أن يكون العرب انفسهم بأنفسهم هم ادوات التنفيذ فيه وأن هذا الامر محزن ومؤسف ومؤلم ومخز .

٤ ـ ضرب الحركات الاسلاميةالصادقة ، والقضاءعلى كل نبت اسلامياصيل.

٥ ـ الطعن فى الاسلام ووصفه بالرجعية ، حتى تنفر منه تلك الاجيال الخاوية الوفاض التي تعاني الفراغين الروحي والفكرى ، والتي لاتعلم عن اسلامها شيئـاً، وقد غفلت قلوبها عن ذكر الله واتبعت هواها وصار امرها فرطا . تنكرت للاسـلام

دون تبصر ، وعادته دون علم بما جاء به من مبادىء ، وقيم ونظم ، كفيلة بحل المشاكل المعاصرة .

وكان اولى بها أن تعتز به وتفتخر ، دليلا على اصالتها ، والذى جاء بحضارة عظيمة اخرجت الناس من الظلمات الى النور ، وكانت للبشرية هداية ورحمة ونظاماً وشع نورها فأضاء السبيل امام الحضارات التي تعيش الان على سطح الارض متصارعة.

ويشترك في تنفيذ هذا المخطط ثالوث عات ... ومن عجب اننا بغفلة مطبقة ننفذ بأيدينا هذا المخطط من حيث لا ندري وتلك مصيبة ، وان كان منا من يدري فالمصيبة اعظم .

أيها المصريون أيها العرب أيها المسلمون . أفيقوا وانتبهوا (أصحوا) هذا هو اصل الداء وهو سبب البلاء ، وعبثاً نحاول ان لم نقابل هذا المخطط بمخطط مرسوم بعد دراسة جادة من حكماء الامة ، تقوم على تقييم الماضي بما فيه من خطأ وصواب ، وتقدير الحاضر بما عليه من خير وشر ، ونرسم للمستقبل بحكمة وحزم المنهج القويم الذي تلتزم بتنفيذه الاجيال بعد الاجيال ويكون الهدف الاساسي من مخططنا هذا هو تقوية الايمان في قلوب المسلمين . ذلك السلاح القوي الذي استعصى عليهم قهره بالقوة العسكرية وحدها . وفشل امامه الهجوم الصليبي وعدونا المباشر القابع على ارضنا ، والذي مرغ في التراب كرامتنا يحمل جنديه مع سلاحه عقيدة ، ولن يغلبه جندينا الا اذا حمل مع سلاحه عقيدة اسلم وأقوى وأنفع هي عقيدة الاسلام .

« ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

(اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يرفع الا بتوبة وهذه نواصينا الملك بالذنوب وأيدينا الملك بالتوبة فاسقنا) فانصرنا .

من حياة القادة

أهل البيت عليهم السلام

٧

الشيخ محمد علي التسخيري

- مما سبق
- المثال الثاني : حب أهل البيت وآثاره العملية
- الربط بينه وبين الحقيقة الكونية للحب
- نماذج من علاقات الحب في الكون
- ضوابط ضرورية للحب
- نصوص شريفة في هذا المجال
- نقطة الخطأ

مما سبق :

ما زلنا نحاول بجد أن نرسي البحث على اساس قوي ، وقلنا : ان هنـاك خطوطاً عريضة للبحث ، لم تتوفر كما ينبغي في كثير من دارسي حياة اهل البيت عليهم السلام . . وفي مجال بيان الأمثلة على الخط الاول منها ، وهو « **تحديـد مركز البحث** » بينا مثال « **التقيـة** » كمبدأ حكيم في العمل ... ورأينا ان مـا اثبته اهل البيت كان يتناقض تماماً مع ما تصوره المنتقدون أو الدارسون **السطحيون.**

والمثال الثاني الذي رأينا من اللازم أن يعرض في نفس هذا **الخط الاول هو :**

حب أهل البيت وآثاره العملية :

فمما لا ريب فيه ، ان النصوص الاسلامية ، سواء كانت قرآناً كريماً أو سنة نبوية شريفة ، أو احاديث مباركة عن اهل البيت قد تواترت على العموم في مسألة ربط الامة المسلمة بأهل البيت (ع) برباط الحب والمودة . . حتى أن ذلك اصبح من ضروريات الاسلام التي لا ينكرها الا مكابر أو جهول .

فالقرآن العظيم يجعل مودة ذوي القربى -وهم اهل البيت عليهم السلام(١)- أجراً للرسالة الاسلامية وتبليغها ، وذلك عندما يخاطب الرسول الكريم بقوله الكريم **« قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى »** .

ومما يروى عن الرسول (ص) في ذلك ما جاء في تفسير الامام الثعلبي عن جرير بن عبد الله البجلي ، من حديث مفصل عنه (ص) جاء فيه : **« ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً »**.

ومما يروى ما عن الزهري قال : سمعت انس بن مالك يقول : والله الذي لا اله الا هو سمعت رسول الله (ص) يقول : **« عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب (ع)»** (٢) .

الى غير ذلك من النصوص التي لن نطيل بذكرها وانما تراجع في مظانها، ومنها الجزء ٢٧ الطبعة الجديدة من كتاب بحار الانوار للعلامة المجلسي .

وقد ركز اهل البيت (ع) انفسهم على مسألة الحب ، ووردت احاديث كثيرة

---

(١) قال السيد الحجة شرف الدين فى كتابه (الفصول المهمة) «اجمع اهل البيت وتصافق أولياؤهم فى كل خلف على ان **القربى** هنا انما هم علي وفاطمة وابناهما ، وان الحسنة فى الاية انما هى مودتهم ، وأن الله تعالى غفور شكور لاهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها ، وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة .. واليك ماهو مأثور عن غيرهم: أخرج أحمد والطبرانى والحاكم وابن ابى حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر فى تفسير الاية ١٤ من الايات التى اوردها فى الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه قال: لما نزلت هذه الاية قالوا : يارسول الله من قرابتك ... ؟ قال (ص) علي وفاطمة وابناهما ١ ﻫ : وهذا الحديث اخرجه عن ابن عباس ايضاً ابن المنذر ، وابن مردويه ، والمقريزى ، والبغوى والثعلبي فى تفاسيرهم ، والجلال السيوطي فى دره المنثور ، والحافظ ابو نعيم فى حليته ، والحمويني الشافعي فى فرائده وغيرهم» .

(٢) العمدة : ١٩٣

عنهم في هذا الصدد ، حتى كان الحب شعاراً لمن وعى منزلتهم ، واتبع اسلوبهم الحياني فى تطبيق الأسلام الحنيف .

الربط بينه وبين الحقيقة الكونية للحب:

لقد علمنا القرآن الكريم ان هناك اطاراً رحيماًعاماً شاملا لكل انحاء الوجود يضم العلاقات المتواجده فيها ، من اسماها ، وهي علاقة الخالق بالمخلوقين ، الى ادناها من العلائق الشخصية والعائلية . . بل وحتى العلائق بين الانسان والطبيعة ، هكذا اراد الله تعالى للحب ان يسود ، ومبرراته واضحة على ضوء العقيدةالأسلامية واذا بدأنا بالاطار السامي القائم بين الانسان كأفضل مخلوق ورب الانسان لاحظنا اروع علاقة حب تتفاوت درجاتها . . من حب يقوم على المصلحة ، من زاوية نظر الانسان ، ولكنه على أية حال حب جارف . . الى حب خالص واع ، يعتبر قمة في هذا المعنى انه حب الاولياء المخلصين ، الذين لم يحبوا طمعاً أو خوفاً ، بل غوراً فى الواقع القائم ، وسبرا لابعاده وأبعامه .

والاسلام يمتلك خاصية جليلة هي أنه يبدأ بالأشياء ببداية بسيطة ، كاقامة حب على اساس مصلحي ، ثم يرتفع بذلك الواقع الى مستوى يجعله جزءاً من كيان الانسان ، ودافعاً ذاتياً ، يتحكم في سلوكه ويوجهه لصالح القضيه الانسانية العامة.

اما الحب من طرف الباري فهو ان كان يخلق في نفوس السذج من المؤمنين نفس الايحاءات البشرية عن الحب بين الكائنات ، ولكنه فى الواقع يعبر عن مرتبة من التعرض للعطاء الالهي بصورة اكثر قرباً ، والاختصاص بالرحمة والرضوان .

هذا مع انني قد احزم بأن الايحاء الاول حاصل حتى عند الكثير من المؤمنين الواعين ولكن بالنظرة الاوليـة ، وهذا ايضاً بنفسه هو المقصود . . اذ ان الحب حرارة ولوعة وشوق ... ومن هنا نجد ان النصوص القرآنية الكريمة تركز على عملية خلق الانفعال وشد العواطف للباري جل شأنه ، ولكلما يرتبط بتركيز فكره فى السبيل المستقيم الى حيث هدفه المنشود.وذلك من مثل الاية الكريمة «ويقولون

سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً »(١) **«واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق»** (٢) .

ومن هنا ينطلق الباحثون الاسلاميون لاستعراض تطبيقات عملية لأسلوب مزج الوعي العقلي الخالص بالعواطف المبنية على اساس من توجيه صحيح مما يضمن لنا الموجه الرائد ، والطاقة الحرارية الدافعة .. وهذا ما يؤكده الاية القرآنية الشريفة **«الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق »**(٣) ، فالايمان لن يكون صناعاً الا اذا نفذ الى الشعور والعواطف والاحاسيس ، وصاغها جميعاً مؤمنة وجندها لصالحه ، ويتصاعد ذلك الحب شيئاً فشيئاً خصوصا بعد تصور المحبوب وعطائه بصورة اشمل .

نماذج من علاقات الحب في الكون

اننا نجد القرآن الكريم يركز على ان الله تعالى يحب اصناف المؤمنين من امثال **(المحسنين ، التوابين ، المطهرين ، المتقين ، الصابرين ، المتوكلين المقسطين ، الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)** ، ويبادل المؤمنون الله بحبهم الجارف **«يحبهم ويحبونه»**(٤) .

كما يحدثنا عن علاقة الحب القائمة بين المؤمنين انفسهم **(يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا)** (٥) .

وقد اشتهر الحديث الشريف **«انت مع من احببت»** ، معبراً عن الترابط العاطفي الذي شد العاملين نحو هدف واحد وهكذا نصل الى حلقة الحب في الاطار العائلي **«وجعل بينكم موده ورحمة»** .

وقد قلنا ان الحب يصل الى مرحلة علاقة عاطفية بين الانسان والطبيعة، فقد ورد عن النبي العظيم (ص) انه قال عندما رجع من غزوه تبوك وأشرف على المدينة

---

(١) الاسراء ـ ١٠٧ (٢) المائدة ـ ٨٣ (٣) الحديد ـ ١٦
(٤) المائدة ـ ٥٤ (٥) الحشر ـ ٩ .

«هذه طابة وهذا جبل احد يحبنا ونحبه»(١) ولهذه العلاقة مبرراتها وأثرها في تصو
المسلم ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فانا نرى القرآن يقطع هذه الصلة بين اا
والمنحرفين،فهو تعالى (لا يحب المعتدين ، الكافرين ، الظالمين ، من كان مختا
فخوراً ، من كان خواناً اثيماً ، المعتدين المسرفين ، المستكبرين وغيرهم
وكذلك ما بين الافراد المهتدين بهدى الله ، والاخرين الذين استزلهم الشيطا
(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله) (٢) .
كل هذا كان اسلوباً نظرياً لتركيز الحب .
وقد اتبع النبي (ص) اسلوباً عملياً مؤثراً لتركيز الحب ويمكن ان نعد مه
هذه العواطف المتأججة التي تحدثنا عنها الروايات نحو اهل بيتـه (ع) كالزهرا
والحسن والحسين بشكل ظن البعض معه انه مدفوع الى ذلك فقط بدافـع عاطفي
ناسين ان كل حركاته (ص) تعبر عن واقع تربوي معين ، وانه كان يقوم بتطبيق عملي
لأحد الاهداف الضرورية للمسيرة الانسانية بذلك .
كما ويمكن ان نعد من ذلك قيامه(ص) بتقبيل يد عامل مكدود ، وهو يقول
«يد يحبها الله» .
بل ويدخل في ذلك مسألة تقبيله(ص) للحجر الاسود باعتباره رمز الصلة بالسماء
والان أين تقع عملية حب أهل البيت من مراتب هذا الحب الواسع الابعاد
ان حبهم(ع) يستقي من نفس المبررات العامة لذلك الحب، ويصب من حيث النتائج
في نفس المصب .
انه الاسلوب الذي استهدف الاسلام بمتابعه ان يمد الامة بأفضل وعاته . والنماذ
الخيرة التي قدمها للامة كقدوة ومحتذى لها ، فالمسألة كما تقدم مسألة بناء عقائدي
وعملي للاجيال البشرية وهذه المسألة تحتاج الى انعطاف حماسي للامة نحو قائده
الذي يرى الاسلام انه افضل من يستطيع ان ينهض بالامر .
فبمقدار ايمانها الرصين بقيادته وانشدادها العاطفي به يكون القرب ، وبمقدا
قربها من هذا القائد واحتذاء اسلوبه مثلا تتحقق النتيجة المرجوة . فالانشداد بالنبي
العظيم وأهل بيته يحقق الاقتـداء ، وبالتالي يحقق كل مبررات الحب الالهي الت

(١) سفينة البحار ، مادة أحد .
(٢) المجادلة - ٢٢ .

اشار القرآن اليها ، كما يحقق اروع تلاحـم داخلي بين فصائل المؤمنين الهادفين الى هدف واحد ... وهكذا نشاهد ان كل هذه الروافد تصب في مجرى كمالي ثر .. يقوم على ارواء المسيرة الانسانية بالري المطلوب ويقودها نحو اكمال المسيرة التي ارادها لها الله وهداها للاسلام كي يقودها في الطريق ، ونعرف ان غرس هذا الحب ضروري جداً لابقاء الاسلام والقيادة الاسلامية المؤهلة التي تتجاوب معها الامة تماماً .

ضوابط ضرورية للحب :

والاسلام بمقتضى واقعيته واحاطته ، وعى ان الحب مع شدة ضرورته باعتباره امراً فطرياً لا يمكن الاستغناء عنه ، فالعـالم بلا حب خواء وتفكك ، زعى ايضـاً أن الحب في بعض درجاته ومساقطه قد يترك آثاراً تؤدي الى خلاف الغرض، لذا فانا نجده قد قام بوضع ضمانات وضوابط لهذا الحب بما يجنب هذه العلاقة كل تلك المساوىء **انه أراد للانسان ان يحب «حباً انسانياً»** لاحباً حيوانياً والذي يميز الاثنين ان الاول «**حب واع**» والثاني «**حب اعمى**» ومعنى ان يكون واعياً هو ان يقوم على المقاييس العامة للاسلام وينسجم مع روحه السارية في مختلف المجالات، وان لا يتجاوز حدوده ، وينقلب على اهدافه في تحريك الطاقات ، ليكون سبباً لتعطيل الطاقات ، وفي تلاحم المسيرة الانسانية ليكون مسبباً لتمزيقها ، وفي حفظ سنن الله ليكون عاملا على نبذها والاستهانة بها .

ومن هنا نجد ان الاسلام حارب الكسالى الذين اكتفوا بمسألة الحب في العمل فقال : **«قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»** (١) .

وحارب النزعات الرهبانية والصوفية التي تعتبر التجرد عن كل العلائق المادية والانفراد والعزلة من مبررات ومقتضيات الحب الخالص لله فقال الرسول الكريم : **«لا رهبانيـة في الاسـلام»** وجعل ذلك من نفثات الشيطان في القلوب كما قال الامام أمير المؤمنين (ع) لمن ظن من اصحابه ان الزهد يعني ذلك .

---

(١) آل عمران ـ ٣١ .

ورد القرآن على اليهود والنصارى حينما تصوروا انهم احباء الله فهم ابناؤه في مواضع كثيرة منها :

« وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم » (١) .

«قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين» (٢)

كما وهاجم بشدة مسألة تحمل الخطيئة التي بناها البعض على اساس من كون المتحمل محبوباً من قبل الله فهو يتحمل خطايا الآخرين وقال : « **ولا تزر وازرة وزر اخرى»**

وهكذا اقام الاسلام العلاقة بين الخالق والمخلوقين على اساس من الحب الواعي المحرك نحو تحقيق اهداف الله تعالى .

فمن خطبة للامام امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة يقول فيها «عباد الله ان من أحب عباد الله اليه عبداً اعانه الله على نفسه . .» .

قد اخلص لله فاستخلصه ، فهو من معادن دينه ، وأوتاد ارضه ، قد الزم نفسه العدل وكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه . يصف الحق ويعمل به ، لا يدع للخير غاية الا امها ، ولا مظنة الا قصدها(٣) » . من خطبة رائعة ، وكذلك بنى العلاقة بين المخلوقين أنفسهم على هذا الاساس، وانها يجب ان تكون في أطار (الحب في الله ، والبغض في الله) .

فقد روي عن الامام الصادق قوله (ع) : **من اوثق عرى الايمان ان تحب في الله ، وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله**(٤) .

وقال (ع) **«لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يحب ابعد الخلق منه في الله ، ويبغض اقرب الخلق منه في الله »** (٥) .

وعلى هذا الاساس ايضاً قامت علاقة الحب بين أهل البيت والامة لاغير . انها علاقة حب دافع نحو العمل بتعاليم الاسلام ، والسير على خطاهم في سبيل تحقيقه في كل نواحي الحياة .

---

(١) المائدة ـ ١٨ . (٢) الجمعة ـ ٧ . (٣) نهج البلاغة ج١ ص١٥٢ .

(٤) تحف العقول ٢٥٨-٢٦٢ . (٥) أعيان الشيعة ٤ ق ٢ / ١٩٨-٢٠٣ .

فقد اعتبر اهل البيت في مجموع وصاياهم هذا التطبيق العملي للاسلام مقياساً للايمان ومعياراً لشدة المحبة لهم وحاربوا الغلو والافراط حرباً شعواء تجنباً لما سبق وان قلناه .

ولفظة «الشيعة» مأخوذه من التشيع والمتابعة المؤطرة باطار الولاء والحب

* يقول اميرالمؤمنين (ع) في نهج البلاغة «العمل العمل ، ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ، ثم الصبر الصبر ، والورع الورع ، ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، وان لكم علماً فاهتدوا بعلمكم ، وان للاسلام غايــة فانتهوا الى غايته ، واخرجوا الى الله بما افترض عليكم من حقه ، وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم»(١) .

* روى الطيالسي عن الفضيل بن عثمان قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: اتقوا الله وعظموا الله وعظموا رسوله (ص) ولاتفضلوا على رسول الله(ص) أحداً فان الله تبارك وتعالى قد فضله ، وأحبوا أهل بيت نبيكم حباً مقتصداً ولا تغلوا ولاتفرقوا ولا تقولوا ما لا نقول ، فانكم ان قلتم وقلنا متم ومتنا ثم بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم (٢) .

* وروي عن الصادق (ع) : ادنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يجلس الى غال فيستمع الى حديثه ويصدقه على قوله (٣) .

* عن الامام علي بن الحسين (ع) قال :كان علي(ع) والله عبداً لله صالحاً اخو رسول الله (ص) ما نال الكرامة من الله الا بطاعته لله ولرسوله ، وما نال رسول الله (ص) الكرامة من الله الا بطاعة الله .

* وعن الصادق(ع) «ما نحن الا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، مانقدر على ضر ولا نفع وان رحمنا فبرحمته وان عذبنا فبذنوبنا ، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وانا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون»(٤)

* ويقول «وكذلك نحن الاوصياء من ولده عبيد الله لانشرك به شيئاً ان اطعنا

---

(١) نهج البلاغة
(٢) بحار الانوار ج ٢٥ ص ٢٦٩ .
(٣) بحار الانوار ج ٢٥ ص ٢٧٠ .
(٤) بحار الانوار ج ٢٥ ص ٢٨٩

رحمنا ، وان عصيناه عذبنا ، مالنا على الله من حجة بل الحجة لله علينا وعلى جميع خلقه » (١) .

* عن محمد بن شريح عن ابي عبد الله الصادق (ع) : ان الله فرض ولاي واوجب مودتنا ، والله مانقول بأهوائنا ولا نعمـل بآرائنا ولا نقول الا ما قال ر عز وجل» (٢) .

* وكتب امير المؤمنين (ع) الى اهل مصر «ياعباد الله ان اتقيتم الله وحفظ نبيكم في اهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد» (٣) .

* واجتمع عندالامام الباقر (ع) ناس من بني هاشم فقال (ع) :

اتقوا الله شيعة آل محمد ، وكونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالي ويلح بكم التالي ، قالوا له : وما الغالي ؟ قال : الذي يقول فينا مالانقوله في انفسنا قالو فما التالي ؟ قال : الذي يطلب الخير فيزيد به خيراً ، والله ما بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله من حجة ولا نتقرب اليه الا بالطاعة ، فمن كان منكم مطيعاًلله، يعم بطاعته ، نفعته ولايتنا اهل البيت ، ومن كان منكم عاصياً لله ، يعمل معاصيه لم تنف ولايتنا ، ويحكم لاتغتروا ثلاثاً أي قال هذه الكلمة ثلاثاً (٤) .

* وقال الامام الباقر (ع) : شيعتنا من اطاع الله (٥) .

* وقال الامام الباقر(ع) : ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه، وماكانوا يعرفو الا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة ، وكثرة ذكر الله ... (٦) .

* وقال : انما شيعة علي المتباذلون في ولايتنا ،المتحابون في مودتنا المتآزر لاحياء الدين ، اذا غضبوا لم يظلموا ، واذا رضوا لم يسرفوا بركة على من جاور وسلم لمن خالطهم (٧) .

* وعن الصادق (ع) انه قال «فوالله لحدثني أبي : ان الرجل كان يكون القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها : أداهم للامانـة ، واقضاهم للحقو

---

(١) بحار الانوار ج ٢٥ ص٣١٧ . (٢) بحار الانوار ج ٢٧ ص١٠٢ ح ٦٥

(٣) بحار الانوار ج ٢٧ ص١٦٩ ح٩ . (٤) البحار ج١٧ ص١٦٧-١٦٨ .

(٥-٦) الامام الباقر ، علي دخيل ص ٦٠ (٧) تحف العقول ص ٧٣ .

واصدقهم للحديث، اليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه ويقولون من مثل فلان؟ انه أدانا للامانة ، وأصدقنا للحديث) (١) .

* ومن وصية للامام الصادق (ع) الى ابي اسامة :

«عليك بتقوى الله ، والورع ، والاجتهاد ، وصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وحسن الخلق ، وحسن الجوار ، وكونوا دعاة الى انفسكم بغير السنتكم، وكونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً ، وعليكم بطول الركوع والسجود) (٢) .

نقطة الخطأ

ولقد اطلنا في نقل هذه الاحاديث لنؤكد كما ـ اكدنا مراراً ـ على الاطار الصحيح لما يقصده الاسلام من حب اهل البيت (ع) وما ارادوه هم (ع) ـ وليس قولهم غير الاسلام ـ من ذلك .

هذا في حين ان بعض المؤرخين تجاهلوا كل هذه الحقائق او غفلوا عنها فجعلوا ذلك سبباً للغمز ، واللمز بل وهدم المبدأ القرآني للمسؤولية العامة وذلك من مثل صاحب ضحى الاسلام اذ يقول «ففي الاعتقاد بأن الحب لآل البيت والائمة غناء اهدار ركن من اعظم اركان الاسلام وهو المطالبة بالعمل الصالح وارتباط الثواب به ، والنهي عن العمل السيء وارتباط العقوبة به ، اذ يكفي حب آل البيت ثم ترتفع التكاليف ! ! !»(٣) .

... والمرجو من القارىء الكريم ان يلاحظ ما يدعيه هذا الكتاب ، وهل يتفق مع ما سبق من نصوص هي رشفة من بحر وغيض من فيض في هذا المجال .

والذي يبدو لنا بعد هذا، وبعد التجاوز عن أية سوابق ذاتية لامثال صاحب هذا القول انهم نظروا للامر بعين واحدة وفصلوا نصاً معيناً عن مجموعته المتكاملة ثم راحوا يبنون على اساس من هذا الاستنتاج الخاطىء متناسين كل ما يمرون به من نصوص موضحة ومكملة .

ولئن كان هذا في بعض الامور خطأ فهو في مثل هذا الامر الذي يتعلق بالفهم

---

(١) الصادق للمظفري ج ٢ ص ٥٣ . (٢) حياة الامام الصادق للسبيتي ص ٣٧ .

(٣) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٣٥ .

الاسلامي الاعمق والقيادة البشرية المثلى يعتبر شيئاً نتنزه عن التصريح به .

فصاحب القول الانف لاحظ رواية لابن بابويه القمي عن الفضل بن عمرو انه قال : «قلت لابي عبـد الله : لم صار علي قسيم الجنة والنار ؟ قال : لان حبه ايمان وبغضه كفر ، وانما خلقت الجنة لاهل الايمان والنار لأهل الكفر فهو قسيم الجنة والنار ، لايدخل الجنة الا محبوه ولا يدخل النار الا مبغضوه» (١) .

ثم يقول «وكتب الشيعة مملوءة بالاحاديث والاخبار الدالة على هذا المبدأ»(٢).

ولا أدري كيف غفل عن وجود هذا المعنى بكثرة في كتب السنة ايضاً ويكفي ان يراجع المرء العمدة لابن بطريق ايلاحظ بعض ما يدل عليه .

كما لا أجد أي مبرر لجعل هذا الحديث دالا على ما فهمه بعد ان جعل «حب علي (ع)» ايماناً ، وهو في خلد الانسان المسلم لن يستكمل خواصه الا اذا كان متعدياً الى مجال العمل .

ان حب علي (ع) ليس الا حبا لمبادىء علي ، ولاطروحته التي هي الاسلام بعينه بلا اية زيادة ، ومتى عفي علي نفسه من الواجب حتى نفهم هذا الحديث كما فهمه هؤلاء ؟ !

ويبدو هذا واضحاً بملاحظة هذه الجملة «لايدخل الجنة الا محبوه ولايدخل النار الا مبغضوه » وبشيء من التأمل وبادراك الخطوط العريضة التي لا يختلف اثنان في اتباعها في الاسلام يبدو ان الغرض هو جعل ود علي (ع) كاشفاً عن الاهتداء بهديه والسير على نهجه الوضاء فيهما خطان لا ثالث لهما خط الحق وهو خط محمد وعلي والمؤمنين وخط الباطل وهو خط كل من انحرف عن مبادىء الاسلام الحنيف فكان بمنزله المبغض لعلي (ع) .

هكذا اذن لاحظنا ان ماينفيه بعض الدارسين السطحيين شيء وما يلتزم به أهل البيت ومدرستهم شيء آخر يقع على النقيض منه تماماً .

وسنواصل فيما يأتي من الاعداد ذكـر الخطوط العريضة الاخرى ، وبعض موارد عدم ملاحظتها فالى العدد القادم .

(١-٢) ضحى الاسلام ص ٢٣٤ .

حروف مضيئة

□ نعم العون على تقوى الله : الغنى .

الرسول الاعظم (ص)

□ وان استطعت أن تعظم رغبتك في الخير ، وتحسن فيه نيتك فافعل ، فان الله يعطي العبد على قدر نيته اذا أحب الخير وأهله وان لم يفعله كان ان شاء الله كمن فعله .

الامام أمير المؤمنين (ع)

□ أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه ، وحملة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه الى الامم .

الزهراء (ع)

□ والتقوى باب كل توبة ، ورأس كل حكمة ، وشرف كل عمل .

الامام الحسن (ع)

□ اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ، ولا التماساً من فضول الحطام ، ولكن لنري المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح في بلادك . . .

الامام الحسين (ع)

□ وما العلم بالله والعلم بطاعته الا الفان مؤتلفان ، فمن عرف الله خافه ، فحثه الخوف على العمل بطاعة الله .

الامام السجاد (ع)

□ واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك اهل مصرك

وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : انك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله ، فان كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر .

الامام الباقر (ع)

يا ابن جندب : حق على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليلة على نفسه فيكون محاسب نفسه ، فان رأى حسنة استزاد منها ، وان رأى سيئة استغفر منها .

الامام الصادق (ع)

يا هشام قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف . وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود .

الامام الكاظم (ع)

الامام مطهر من الذنوب ، مبرأ من العيوب ، مخصوص بالعلم موسوم بالحلم ، نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين .

الامام الرضا (ع)

اظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له .

الامام الجواد (ع)

ومن كان على بينة من ربه ، هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر .

الامام الهادى (ع)

الاشراك فى الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود فى الليلة المظلمة .

الامام العسكرى (ع)

(لأن الله معنا ، فلا فاقة بنا الى غيره . والحق معنا ، فلن يوحشنا من قعد عنا) .

الامام المهدى المنتظر (ع)

العدالة

في الفقه

السيد رضا الصدر - طهران

العدالة لغة :

قال ابن منظور : قد عدل الرجل بالضم عدالة ... وقال في العروس: عدل الرجل ككرم عدالة : صار عدلا ...، وقال الشيخ في المبسوط : **العدالة في اللغة ان يكون الانسان معادل الا متساويا**(١) . وصرح بمثل ذلك ابن ادريس في السرائر ... ولا ان تفسير العدالة بالمعادل من باب تفسير المجمل بالمبين فلا يرد اشكال الدور .

ثم ان ظاهر تفسير اللغوي الذي حكاه الشيخ وابن ادريس العدالة عند اهل اللغة صفه للفعل لا للنفس لكن التفسير الذي ذكره ص تاج العروس لا ظهور له في ذلك بل فيه اشعار بكونها من صفات ال

قال بعض الاساطين على ما في تقريره المسمى بدروس في فقه الشيعة فالعدالة شرعاً من صفات الفعل لا النفس ، ويشير الى هذا قوله تعالى : **«فان أن لا تعدلوا»** ، وقوله تعالى **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء »** .

ونحن نناقش في ذلك بما يلي :

أولا : ان اثبات الحقيقة الشرعية بما ورد في الكتاب في سوى المجعو الشرعية محل منع .

وثانياً : ان فعل عدل الذي جاء في الآيتين الشريفتين متعد من باب ضر والعدالة حسب تصريح أكابر علم اللغة مصدر عدل ، وهو فعل قاصر ومن باب

(١) كتاب الشهادات ، فصل من تقبل سهادته .   (٢) ص ١٣٥ .

فكيف يصح الاستدلال به عليه ، ثم ان المقصود من المتعادل هو القائم الذي لا يكون له ميل لأحد الجانبين ، يقال تعادل الميزان اذا تساوت كفتاه ولم ترجح احداهما على الاخرى .

وقال صاحب المدارك : « العداله لغة الاستواء والاستقامة » ، أقول: الاستقامة عطف تفسيري للاستواء ، فالمراد منها واحد . فتحصل مما ذكر ان العدالة بحسب معناها اللغوي أن يكون الانسان مستقيماً في مشيه ومتساوياً في احواله وأفعاله .

العدالة في لسان الفقهاء :

ولهم في تعريفهم للعدالة مسالك :

المسلك الاول : قال الشيخ المفيد قدس سره ـ كما في المختلف **« العدل من كان معروفاً بالدين ، والورع عن محارم الله »** .

أقول : ان المتبادر والظاهر الاولى في مثل مادة المعرفة اذا اطلقت أن يراد منها الواقع بأن تكون المعرفة طريقاً اليه . ولكن توصيفه ـ قدس سره ـ العدل بنفس المعروفية بالدين وبالورع عن محارم الله ، يشهد بأن المعروفية اطلقت على العدل على سبيل الموضوعية ، فيكون المراد من التعريف ان العدالة نفس المعروفية والاشتهار بالورع والدين . وهذا المعنى قد اصطلح عليه في لسان الفقهاء بحسن الظاهر ، وقد ذهب الى أن العدالة هي حسن الظاهر جمع من المتأخرين قدس الله أسرارهم . . .

ثم ان فرضنا انه يقصد ان العدل هو الموصوف بالدين والورع كانت العدالة عنده ـ قدس سره ـ صفة نفسانية ، فان الورع من صفات النفس ، وعلى هذا التفسير تكون العدالة أمراً واقعياً ، سواء أكان معروفاً أم لا .

قال شيخنا الانصاري في رسالته في العدالة :

« ان ظاهر كلام المفيد أن العدالة عبارة عن الاستقامة الفعلية لكن عن ملكة ، فلا يصدق العدل على من لم يتفق له فعل كبيرة مع عدم الملكة ... » .

ولنا في هذا نظر ، لان صفة المعروف في التعريف أخذت على سبيل الموضوعية

فلا محالة من لم يتفق له فعل كبيرة يصير معروفاً بالدين وبالورع عن محارم الله ولو لم تكن له ملكة ...

المسلك الثاني : قد عرفها الشيخ الطوسي في المبسوط فقال : العدالة في الشريعة هو من كان عدلا في دينه عدلا في مروتة عدلا في احكامه» .

ثم قال : فالعدل في الدين أن يكون مسلماً ، ولا يعرف منه شيء من أسباب الفسق . وفي المروة أن يكون مجتنباً للامور التي تسقط المروة مثل الاكل في الطرقات ولبس الثياب المصبغة وثياب النساء ، والعدل في الاحكام ان يكون بالغاً عاقلا عندنا ، وعندهم ان يكون حراً» ...

وقريب من ذلك تعريف ابن ادريس في السرائر وان اختلف عنه في تعريف العدل في الدين بأن لا يخل بواجب ولا يرتكب قبيحاً» .

وظاهر هذا التعريف أن العدالة صفة للافعال الخارجية فتكون هي الاستقامة في الاعمال وان شئت قلت انها عبارة عن عدم الاخلال بواجب وعدم ارتكاب قبيح والمقصود من القبيح ، الحرام بقرينة المقابلة .

ولا يخفى ان الفقرتين الاخيرتين من هذا التعريف وهما العدل في المروة والعدل في الاحكام خارجيتان من العدالة في الشريعة . أما المروة فسيأتي بيان الامر فيها ، وأما البالغ العادل فلأنه الموصوف بالعدالة والموصوف بوصف، متقدم على الوصف فكيف يكون داخلا فيه .

وعرفها ابن حمزه في الوسيلة بأنها « الاجتناب من الكبائر ، ومن الاصرار على الصغائر» .

وهذا التعريف راجع الى تعريف الشيخ في المبسوط ، واليه يرجع ايضاً ما اختاره شيخنا الانصاري من التعريف حيث قال : التحقيق ان العدالة في كلام الشارع الاستقامة . والاستقامة المطلقة في نظر الشارع هي الاستقامة على جادة الشرع وعدم الميل عنها» .

فان الاستقامة على جادة الشرع وعدم الميل عنها تعبير آخر عن اجتناب الاثام ... ولعله قد اخذ منه بعض الاساطين حيث فسر العدالة في تعليقته على كتاب

العروة الوثقى(١) ، بأنها «الاستقامة في جادة الشرع ، وعدم الانحراف عنها يميناً وشمالا . . . » .

المسلك الثالث : قال العلامة الحلي في التحرير : « العدالة كيفية راسخة في النفس ، تبعث على ملازمة التقوى والمروءة ، وتحصل بالامتناع من الكبائر ، ومن الاصرار على الصغائر . . . » .

وقال في المختلف : « والتحقيق ان العدالة كيفية نفسانيــة راسخة ، تبعث المتصف بها على ملازمة التقوى والمروءة وتتحقق باجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر » . وعرفها في القواعد بمثل ذلك ايضاً فهـذا التعريف هو المشهور بين العلامة ومن تأخر عنه ، كما ذكر شيخنا الانصاري . . .

ولكن هل يمكن ارجاع المسلك الثاني الى المسلـك الثالث؟ بدعـوى ان المراد من اجتناب الذنب في المسلك الثاني هو الذي انبعث عن داعي النهي فلا يراد منه الاجتناب المطلق حتى يشمل ما يكون عن داع غير النهي .

فاذا كان الباعث لعدم الاخلال بواجب ، وعدم الارتكاب لقبيح ، هو الداعي الالهي فلا محالة يكون الباعث أمراً نفسياً وهو الكيفية الراسخة النفسانية .

وأما اعتبار الرسوخ لتلك الكيفية فلمقوم صدق الاجتناب من الذنوب بمعنى مقدار من الزمان على هذه الحالة اذ لا يصدق المجتنب عن الذنوب على من اجتنب عن الذنب مرةأو ساعة . ومعنى مقدار من الزمن اللازم لرسوخ الكيفية المراد منها الملكة . وان كان مقتضى الجمود على اطلاق بعض كلماتهم هو الاجتناب المطلق .

قال شيخنا الانصاري في رسالة العدالة : **«ربما يذكر في معنى العدالة قولان آخران : أحدهما الاسلام وعدم ظهور الفسق ، والثاني حسن الظاهر.. »** .

اقول ان المراد من القولين معنى واحد لان حسن الظاهر نفس عـدم ظهور الفسق عند وجود الموضوع . والتفسيران وان كانا مختلفين بحسب الايجاب والسلب لكنهما متفقان في المقصود بقرينة صحة الحمل بينهما فانه لا ريب في اعتبار الاسلام فيمن وصف بحسن الظاهر عند من قال : بأن العدالة عبارة عن حسن الظاهر ، فان

---

(١) للمرحوم آية الله العظمى السيد كاظم اليزدي .

العادل الذي رتبت عليه احكام في الشريعة هو المسلم دون غيره . على ان القول بكون العدالة نفس حسن الظاهر ليس بقول رابع في المقام بل هو نفس قول الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ كما مر .

ثم قال طاب ثراه في تلك الرسالة : لا ريب في عدم كونهما قولين في العدالة بل هما طريقان اليها واستشهد بكلام جماعة من الاصحاب فانهم جعلوا هذين القولين في عنوان ما به تعرف العدالة» . وبعد ان عرفنا وحدة المراد فالتفسيران يشيران الى طريق واحد للعدالة .

العدالة هل هي حسن الظاهر ، أم أنه طريق اليها ؟

والذي ينبغي ان يقال ان صفات الانسان الطبيعية على نوعين: أحدهما مايكون الاتصاف به غير متوقف على وجود الغير بل وعلى معرفته فيكون الانسان متصفاً به عرفه غيره ام لا وتكون الصفة أمراً ثبوتياً واقعياً وذلك مثل الشجاعة والسخاء ونظائرهما فان الشجاع شجاع ولو لم يعرفه أحد والكريم كريم ولو لم يعرفه أحد ولا يخفى ان العدالة من قبيل هذه الاوصاف .

ثانيهما ما يكون الاتصاف به موقوفاً على وجود الغير فان الصفة حقيقة اضافية وهي مثل الشهرة والظهور والمعروفية فان الرجل لا يوصف بالشهرة الا بعد وجود غيره وان الشيء لا يوصف بالظهور الا بلحاظ غيره . وان حسن الظاهر من هذا القبيل ، فتبين أن العدالة صفة الشخص باعتبار نفسه وحسن الظاهر له باعتبار غيره فالاولى معنى اسمي والثانية معنى حرفي ، فلا يجوز اتحادهما فان كلا منهما من مقولة ولو كانت العدالة عين حسن الظاهر لزم ان يكون من يجتنب عن الذنوب غير عادل اذا كان لا يعرفه أحد بهذه الصفة وهذا خلاف ظاهر التوصيف بالعدالة.

ثم ان ظاهر اشتراط وصف الشاهد بالعدل في الكتاب والسنة كون العدالة صفة واقعية ثبوتية كسائر الاوصاف المعتبرة في الموضوعات التي لها احكام في الشرع .

فكيف تكون العدالة ، صرف عدم ظهور الفسق أو مجرد ظهور الصلاح فانه صفة اثباتيه وليست بواقعية .

مضافاً الى انه يلزم من ذلك اتحاد المعرِّف مع المعرَّف وذلك خلاف ظاهر قول الامام (ع) في صحيح ابن ابي يعفور « و تعرف باجتناب الكبائر » .

ويلزم منه اتحاد الدال والمدلول وهو خلاف ظاهر قول الامام (ع) في الصحيح. أضف على ذلك ما اجاد به شيخنا الانصاري حيث قال :

« فانه لا يعقل كون عدم ظهور الفسق أو حسن الظاهر نفس العدالة لان ذلك يقتضي أن تكون العدالة من الامور التي وجودها الواقعي عين وجودها الذهني وهذا لا يجامع كون ضده اعني الفسق أمرا واقعياً لا دخل الذهن فيه ، وحينئذ فمن كان في علم الله مرتكبا للكبائر مع عدم ظهور ذلك لاحد يلزم أن يكون عادلا في الواقع فاسقا في الواقع .

وكذا لو حصل الاطلاع على ان شخصا كان في الزمان السابق مع اتصافه بحسن الظاهر لكل احد مصراً على الكبائر يقال كان فاسقاً ولم نطلع ولا يقال كان عادلا فصار فاسقاً عند اطلاعنا» ...

وهذا الكلام مبني على ما هو المسلم عند الكل والمرتكز في الأذهان ومنهم اصحاب الرأي القائل بكون الفسق أمرا واقعياً ، فان صيرورة الرجل فاسقاً غير متوقفة على معرفة احـد . ويمكن الاستدلال بتغاير العدالة مع حسن الظاهر بنفس تقابلهـا مع الفسق ، فان المتقابلين يجب ان يكونا من حقيقة واحـدة ، والا لـم يكونا متقابلين .

تقابل العادل والفاسق

تقابلهما ليس من قبيل تقابل العدم والملكة لانه أخذ في كل من مفهوميهما معنى ايجابي .

اما اعتبار هذا المعنى في مفهوم الفاسق فظاهر وأما اعتباره في مفهوم العادل فلان العدالة اما ملكة استقامة في الاعمال واما حسن ظاهر وكل واحد من هذه المعاني امر ايجابي فهما من الضدين الذين قد يوجد لهما ثالث فيصح ارتفاعهما عن موضوع

واحد بان لايكون الرجل عادلا ولا فاسقاً وذلك مثل المكلف في ابتداء زمان تك
اذا لم تتهيأ له ظروف ارتكاب المعصية .

ومثل المكلف الذي يأتي بواجباته بداع الهي ولكن يترك المحرمات با
غير الهي .

ومثل الفاسق التائب من فسقة في اول زمان توبته فلا يصدق عليه الفاسق ح
تلبس بترك الفسق وان التائب من الذنب لا ذنب له ولا يصدق عليه العادل لما مر
اعتبار مضى مقدار من الزمان على ترك فسقه حتى يوصف بالعدل .

ثم الموصوف بالعدالة والفسق من وضع عليه قلم التكليف فمن رفع عنه الق
كالصغير والمجنون فهو خارج عن المقسم بينهما .

وكذا النائم فان ارتكابه الكبيره حال مايراه من الرؤيا غير موجب لصد
عنوان الفاسق عليه شرعا لانصراف الكبائر الى حال اليقظة .

ثم ان الفرق بين العادل عند الناس وبين العادل عند الشرع هو أن ارتكاب الذنب
مرة غير مضر بصدق العادل عند الناس مع كونه مضراً بالعدالة عند الشر
كما سيجيء .

العدالة في الكتاب

قال تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » ، النمل / ٩٠ وهذه الاية الكريمة
تعطينا صورة من العدل وهي ان العدل فعل يصدر من الانسان ، ومستطاع له اذ هما
ميزة متعلقات الاوامر والنواهي .

وقال تعالى : « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » مائده ٨ .

التقوى هي الاحتراز عن المشتهيات الآثمة والصورة التي ترسمها لنا هذه الاية
الكريمة أن العدل مخالف للهوى والعاطفة وبذلك حصل له القرب الى التقوى .
وتفيدنا أن العدل من الافعال التي لها صلة بالغير .

وقال تعالى : «فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة» النساء/٣ ، تفيدنا هذه الآية الكريمة أن العدل فعل قائم على التسوية بين الناس . وعلى أن يظهر اثرهم بين الانصاف ، ستشهد بذلك هذه الآية الكريمة « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » النساء/١٢٩ .

ان التسوية في الحب أمر غير مستطاع للبشر اذ أن العدل هو المساواة والانصاف.

وقال تعالى : «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» النساء/٥٨ ان العدل كما يكون صفة للافعال فقد يكون صفة للاقوال ، كما تفيدنا هذه الآية الكريمة فالقاضي العادل هو الذي يسوي بين المتخاصمين في ما يحكم . ولا يكون الحكم بالعدل الا اذا كان الحاكم ناظراً الى كل من المترافعين بعين التسويه والانصاف .

ومثله العدل في الكتابه قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل» البقره/٢٨٢ .

والكتابه بالعدل ، هي التي ينظر الكاتب فيها الى كل واحد من المتداينين بعين التسوية والانصاف فلا ينقص عن احدهما حقه ولا يزيد على الاخر .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم» المائده/١٠٦ وقال تعالى «واشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله» الطلاق/٢ .

فاطلاق لفظ العدل بالمعنى المصدري يعطينا صوره كاملة عن صفه الشاهد وميزته بانه العدل في نفسه والعدل مع غيره فهو عدل في أقواله وفعاله. وهو على صراط مستقيم لا يتعدى حدود الله وتلك هي العداله ولا يخفى أن العدالة مصدر عدل من باب ضرب والاسم منه عادل فهو صفه للمرء باعتبار صلاته بالناس وان العدالة مصدر عدل من باب شرف والاسم منه عدل وعادل وهي صفه للمرء في نفسه وصفة له باعتبار صلته مع غيره .

فالعدالة أوسع مفهوماً من العدل بالمعنى المصدري اذ العدل صفة اجتماعية والعداله صفة اجتماعية وصفة فردية . لكن العدل بحسب الاطلاق يساوي العدالة بحسب المفهوم .

الامام ابو الحسن الرضا (ع) عن آبائه عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته وظهرت عدالته وحرمت غيبته(١) يعطينا هذا النص أن العدالة صفة نفسية تظهر في أفعال المرء وأقواله . وأن المروءه صفة خارجية تخص أفعال المرء وأقواله .

وفي التفسير المنسوب الى الامام ابي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، : ليكونوا من المسلمين منكم فان الله انما شرف العدول بقبول شهاداتهم وجعل ذلك من الشرف العاجل ومن ثواب دنياهم» ، والظاهر ان لفظ العدول جمع عدل وهو اسم من عدل بضم العين ومصدره العدالة فالعدل من كان مستقيماً في أقواله وأفعاله ماشياً على صراط الشرع القويم فالخشبة العدلة ، هي المستقيمة التي لا تميل الى أي جانب. ثم ان الذي لزمني التنبيه عليه أني لم أجد في كتب الاحاديث لاخواننا أهل السنة ما يعطي صوره عن تفسير العدالة بالرغم من فحصي عنها في مظانها في كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، وفي كتاب السنن الكبرى للبيهقي ، وفي كتاب التاج الجامع للاصول الخمسة : صحيحي البخاري ومسلم ، وسنن أبي داود وجامع الترمذي ، ومجتبى النسائي ، وكتاب التاج للشيخ منصور علي ناصيف من علماء الازهر .

والسنه عندنا تثبت بطريقين : أحدهما بحكاية الثقاه من الصحابة ومن يحدث عنهم من الرواه الموثوق بهم .

الثاني بطريق الائمة الاثنى عشر عليهم السلام ، وهم اهل البيت وعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

اما النصوص الوارده عن اهل البيت فمنها صحيحة عبد الله بن ابي يعفور(٢) هي اوفاها بياناً : قلت لابي عبد الله (ع) : بم نعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادته لهم وعليهم؟ .

(١) وسائل، كتاب الشهادات ٤١/١٥ . (٢) وسائل، كتاب الشهادات ٤١/١ .

فقال (ع) : ان تعرفوه بالستر والعفاف وكف البطن والفرج واليد واللسان. ويعرف باجتناب الكبائر التي اوعد الله عليها النار : من شرب الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك . والدلالة على ذلك كله ان يكون ساتراً لجميع عيوبه حتى يحرم على المسلمين ما وراء ذلك من عثراته وعيوبه، وتفتيش ما وراء ذلك، ويجب عليهم تزكيته واظهار عدالته في الناس ويكون منه التعاهد للصلوات الخمس اذا واظب عليهن وحفظ مواقيتهن بحضور جماعة من المسلمين وان لا يتخلف عن جماعتهم في مصلاهم الا من علة فاذا كان كذلك لازماً لمصلاه عند حضور الصلوات الخمس فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا : ما راينا منه الا خيراً مواظباً على الصلوات متعاهداً لاوقاتها في مصلاه فان ذلك يجيز شهادته وعدالته بين المسلمين . وذلك ان الصلاة ستر وكفارة الذنوب . وليس يمكن الشهادة على الرجل بأنه يصلي اذا كان لا يحضر مصلاه ويتعاهد جماعة المسلمين. الحديث .

القول في فقه الحديث

قول الراوي : بم تعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادته لهم وعليهم» .

هل هو سؤال عن الطريق الى معرفة ثبوت العدالة . او هو سؤال عن نفس مفهوم العدالة ؟ قال السيد الحكيم في المستمسك : ان ظاهر السؤال كونه عن الطريق الى العدالة بعد معرفة مفهومها» .

اقول : ظهور السؤال في ذلك محل منع لان هذا المعنى يخطر ببال من ألف الاصطلاحات العلمية وتقرر في خاطره أن للوصف مفهوماً وطريقاً وأما عند من لم يقرع سمعه هذه الاصطلاحات مثل ابن ابي يعفور ومن في زمانه حيث حدثت هذه الاصطلاحات بعد ذلك فلعله غير ملتفت الى أن للعدالة طريقاً أو مفهوماً وكان عارفاً بالخير وجاهلا بالاول فلذا سأل عنه .

اذن يكون الظاهر من السؤال بحسب الطبع الاولي للرجل هو الاستكشاف عن نفس حقيقة العدالة وعما اذا وجدت في رجل هل يصير الرجل عادلاً؟ فيصلح أن يقع

في الجواب بيان مفهوم العدالة كما يصلح ان يقع فيه الأرشاد الى الطريق الى معرفتها.

قوله (ع) : «ان تعرفوه» فعل المعرفة مأخوذ على نحو الطريقية لا على سبيل الموضوعية فانه الظاهر من مثل هذه الافعال فيكون الجواب: «أن العدالة هي الستر والعفاف» .

قال بعض أساطين العصر(١) لابد في معرف الشيء من صحة حمله عليه وفي الصحيحة لم يجعل الستر والعفاف والكف معرفاً كي تحمل على العدالة حمل المعرف وانما جعل (ع) معرفها معروفية الرجل بالستر والعفاف ولا يصح حملها على العدالة بأن يقال : العدالة معروفية الرجل بالستر والعفاف » ولا مجال لاحتمال أن يكون قوله (ع) : « أن تعرفوه » اعادة لقول السائل فكأنه قال السائل بما تعرف عدالة الرجل؟ فقال(ع) : «تعرف بكذا» . كي يكون المعرف في الحقيقة نفس هذه الامور لان هذا الاحتمال لايلائم ادخال -أن- المصدرية على (تعرفوه) ولاتذكير الضمير الراجع الى الرجل اذ اللازم على هذا أن يقول : (تعرف) كي يرجع الضمير فيه الى العدالة من دون أدخال (أن) المصدرية فالجواب بقوله(ع) : أن تعرفوه بالستر والعفاف الخ» ظاهر في ارادة المعروفية بهذه الامور بمعنى الشياع عند الناس فيدل على أن الشياع بها طريق لمعرفة العدالة تعبداً » . . . وهذا الكلام لا يخلو من نظر لصحة حمل الستر والعفاف على العدالة فيصح أن يكون معرفاً لها ، وأما توهم عدم صحة حمل الجملة المفسرة على العدالة فهو ناشيء من أخذ المعرفه بنحو الموضوعية كما هو ظاهر هذا الكلام : لا يصح حملها على العدالة بأن يقال العدالة معروفية الرجل بالستر والعفاف ، فانة قد ثبت في محله ان الظاهر من أمثال هذه المواد من الافعال وهي المعرفة والعلم والتبين والظهور ونحو ذلك هو كونها طريقاً الى الواقع واما ارادة الموضوعية منها فهي خلاف ظاهر اطلاقاتها فتحتاج الى قرينة شاهدة لها.

ويشهد لاخذ وصف المعروفية في النص طريقاً الى الاتصاف الواقعي قوله(ع) في ما رواه ابن ابي يعفور عن ابي جعفر (ع) بواسطة أخيه عبد الكريم بن ابي

---

(١) دروس في فقه الشيعة ج ١ / ١٤٥ .

يعفور قال (ع) : «تقبل شهادة المرأة والنسوة اذا كن مستورات من اهل البيوتات معروفات بالستر والعفاف مطيعات للازواج تاركات البذاء والتبرج الى الرجال في أنديتهم »(١) .

فان الظاهر أن المراد من قوله (ع) معروفات بالستر والعفاف انهن ساترات عفيفات بشهادة بقية الأوصاف ولا يراد منها المعروفات بالستر والعفاف ولو لم تكن ساترات عفيفات بحسب الواقع . مضافا الى ان المفهوم العرفي من قولنا : الرجل معروف بالورع والتقى . أنه ورع تقي ولا يراد منه صرف المعروفية .

ثم ان قوله دام ظله . ولا مجال لاحتمال الحمل بحال ايضاً غير ظاهر لان النوع من الاتحاد الذي يكون بين العادل والعدالة يقتضي صحة وقوع تعريف أحدهما مقام تعريف الآخر فيفسر العادل في تعريف العدالة وذلك أمر متداول في التعريفات العرفية . مع أن الواقع في السؤال ليس لفظ العدالة وحده بل الواقع فيه العدالة المضافة الى الرجل الذي تقبل شهادته والسؤال كان عن عدالة الرجل كما هو صريحه.

وثالثاً أنه لو كان الجواب عبارة عن بيان الطريق للعدالة ولم يكن بياناً لنفس معرفتها كان المناسب أن يقال في الجملة الثانية: وتعرف ايضاً باجتناب الكبائر» ليفيد أن المتكلم في مقام بيان طريق ثان وعدم اتيان لفظه ايضاً ونحوها يكشف عن كون بيان الطريق الى العدالة قد ابتدأ بقوله (ع) : «وتعرف» فتقرر ظهور الجملة الأولى لبيان نفس مفهوم العدالة فالمراد من قوله(ع) «أن تعرفوه بالستر والعفاف» ان يكون الرجل ساتراً عفيفاً . ويشهد لذلك قوله (ع) : في موثقة سماعة : لا بأس بشهادة الضيف اذا كان عفيفاً صائناً»(١) .

قوله (ع) : «بالستر والعفاف» الستر في اللغة تغطية الشيء فأطلق في النص على الاباء عن ارتكاب الاثم من الله تعالى فالاباء عن ترك مايجب والامتناع عن فعل ما يحرم هو الستر كما يشهد بذلك (العفاف) المعطوف عليه عطفاً تفسيرياً . والعفاف بمعنى الكف عما لا يحل ولا يجمل فالستر في النص هو العفاف هو الستر .

قوله (ع) : « وكف البطن والفرج واليد واللسان » . تفسيري على الستر

---

(١) الوسائل كتاب الشهادات ٤١ / ١٠ .

والعفاف فأما أن يكون مجموع المعطوف والمعطوف عليه تعريفاً واحداً للعدالة أو كل واحد منهما تعريفاً مستقلا ، ولا يبعد ظهوره في الثاني وعلى كلا التقديرين فالجملتان مفيدتان لمعنى واحد فالستر والعفاف عبارة اخرى عن كف البطن والفرج واليد واللسان كما أن البطن والفرج واليد واللسان هو الستر والعفاف .

قوله (ع) : «وتعرف باجتناب الكبائر الخ» .

وبعد أن تفضل (ع) ببيان أصل مفهوم العدالة أجاد بذكر طريق لمعرفتها بقرينة اتيان الفعل مبنياً للمفعول فانه (ع) كان يستطيع أن يقول : وهي اجتناب الكبائر» لكنه (ع) لم يقل ذلك بل قال (ع) : باجتناب الكبائر» ..

ويشهد لذلك أن التي صرح بها ليست بعدالة قطعاً فان الاجتناب عن كبائر أخرى داخل في العداله قطعاً وان الاتيان بالواجبات ايضاً داخل فيها فكيف يجوز ان يكون ذلك تعريفاً للعدالة بل هو اشارة الى طريق ثبوتها .

ويشهد له ايضاً ان الظاهر من الاجتناب ليس هو الاجتناب الواقعي حتى يشمل الاجتناب الذي لايعرفه أحد بل المراد هو الاجتناب في العلن حتى يمكن أن يعرفه الناس ويكون ذلك كاشفاً عن الاجتناب في الخلاء .

ولا يخفى أن هذا الاجتناب أحد المصاديق لحسن الظاهر فهو الطريق الى معرفة العدالة . « قوله (ع) : والدلالة على ذلك كله الخ » . هذه الدلالة مصداق آخر لحسن الظاهر فان قوله (ع) : « أن يكون ساتراً لجميع عيوبه » . مرادف بحسب العمل الخارجي مع الاجتناب عن الكبائر وان كان ستر جميع العيوب بحسب المفهوم أعم لشموله الاتيان بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات قوله (ع) : «ويكون منه التعاهد للصلوات الخمس الخ» .

ذلك ايضاً من مصاديق حسن الظاهر فأحد مصاديقه اجتناب المحرمات واحد مصاديقه الاتيان ببعض الواجبات والتعاهد على المستحبات التي يراها الناس كالصلاة جماعة . والشاهد قوله (ع) فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا مارأينا منه الاخيرا». فان من يقال في حقه ذلك يكون متصفاً بحسن الظاهر في محلته أو عند قبيلته .

ثم أنه لا دلالة في بقية نصوص الباب تعارض ما استظهرناه من الصحيحة وهو

ان العـدالة صفة نفسية وان حسن الظاهر هو طريق الى معرفة ثبوتها . وقـد استدل القائل بكونها نفس حسن الظاهر بنصوص : منها قوله (ع) في صحيح حريز : اذا كان أربعة من المسلمين ليس يعرفون بشهادة الزور اجيزت شهادتهم» ...

وقوله (ع) في صحيح ابن المغيرة : كل من ولد على الفطرة وعرف بالصلاح جازت شهادته» .

وقوله (ع) في مرسل يونس : اذا كان ظاهرا مأموناً جازت شهادته ولا يسأل عن باطنه» . وقوله (ع) في خبر علقمة : ومن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ولم يشهد عليه شاهدان فهو من اهل الستر والعدالة والعدالة وشهادته مقبوله وان كان في نفسه مذنباً» . وقوله (ع) في خبر علاء بن سيابة : لا بأس به اذا كان لايعرف بفسق» ...

لكن التحقيق عدم ظهور هذه النصوص فيما ادعاه لان جميعها في مقام بيان ما يترتب عليه آثار العدالة في مقام العمل والدليل اعم من المدعى فلا سبيل الى دعوى دلالة هذه النصوص لبيان حقيقه العدالة .

ثم ان ما يترتب عليه آثار العدالة في مقام العمل قد يكون عند الجهل بمفهومها وقد يكون عند الجهل بمصداقها حال العلم بمفهومها ، وليس ذلك الا نفس حسن الظاهر وهو الذي ينزل منزلة العدالة أو يكون طريقاً لمعرفة ثبوتها .

ويشهد لما قلنا من ان النصوص انما تكون في مقام بيان ما يترتب عليه آثار العدالة ، قوله (ع) : « فهو من اهل الستر والعدالة » فان الظاهر من هذا التعبير هو التنزيل منزله العدالة والا لقال (ع) : «فهو عدل» .

مضافاً الى أن جميع هذه النصوص متفقه بحسب المعنى مع ما وقع في ذيل صحيحة عبد الله ابن ابي يعفور بعد قوله (ع) : «والدلالة عليه الخ» . فان الدال يجب ان يكون مغايراً للمدلول .

للبحث صلة

يا أطلال الإسلام

أبو علي - بيروت

يا أطلال الإسلام : هلي على الإنسان حبا ورحمة وسلاماً
وتجري في كيانه رحمة الله ، وفيضي ـ على ثراه ـ غماما
انثري فيه أريجيات الصحراء زهوا وخصب الأياما
وابدأي رحلة المجد ، أبا دك ملأ الفضاء والآثاما

* * *

علميه ، من وحي آيابك الغراء ـ أن يستكين للإيمان
أن يعيش الطهر الذي يستريح الروح فيه لهدهدات الحنان
ونثر الحروف تنساب بالحب ، ليجتاح ثورة الشيطان
وعلى كل كلمة زهرات من سعان وروعة من حنان

* * *

علميه ، ان أسلم الهجر بجدواه الى الحس والأذى والسباب
واستكانت للحقد دنياه . نعلي ـ حول ثراه ـ دماء الشباب
علميه العفاف والطهر بالنجوى ورفق الأحباب بالأحباب
لا تسوا فقد تعود الصدى بالكفر عدوا ، من كافر سباب

* * *

علميه ، ان استثار الصراع المر ، أفكاره ، ليوم عصيب
وأهاجت أعصابه ، كلمات الإثم ـ سحر اللظى ـ بوحي اللهيب
أن يعيش الهدوء في العالم الأرحب ، كالنور في الفضاء الرحيب

ثم بخطو هنيهة كالنسيم العذب رخواً على جناح الطيوب

* * *

خطوة خطوه ، ونطلق الايمان بالحق ، كالصباح الجميل
في هدوء الأبرار في ملتقى اليقظة ، في الفجر ، في نداء الرسول
لن يعيش الصراع حرا اذا ما ارهقت روحه بقايا الذحول
قد نسير الجياد عدوا ولكن لن ينال الرهان غير الاصيل

* * *

علميه : ان الحقيقة اسلوب وفكر يهل بالاضواء
فاذا اتعبت خطى الفكر اصداء السرايا باللغو والضوضاء
واندفعنا ، فها هنا كلمة تصرى وأخرى تثور بالشحناء
فسيبقى الانسان في التيه يحيا رحلة الموت في مدى الصحراء

* * *

علميه : ان حمت السيئات السود بالحقد شهوة للدماء
ان فجر الانسان بالحسنات البيض في ملتقى الاماني الوضاء
وهما في الطريق ليسا سواء لو أحب الانسان درب السواء
فهنا تشرق المحبة طهرا ، وهناك النفاثة البغضاء

* * *

علميه ان الحياه وان عاشت خطاها على طريق الفناء
غير انا نهفو بوحي الرسالات ، الى الخلد في دروب البقاء
فاذا ما تمرد الحقد يدعونا الى الموت في خطى الأعداء
ووقفنا لنستند في الساح نلهو بالافاعي في الفتره السوداء

* * *

أومأ الوحي للوداعه أن توقظ فينا وداعة الانبياء
وترينا ان الذي يكسب الشوط ويسمو الى الذرى الشماء
هو من يحمل الرسالات توحي احسن القول في نجاوى السماء
فنعيد العدو فينا ولياً تصطفيه طهاره الاولياء

* * *

عبد الله بن سبأ (٢)

بين الواقع والخيال

بقلم : السيد هادي خسروشاهي   ترجمه : محمد توفيق

هل ان عبد الله بن سبأ شخصية حقيقية ام خرافية ؟

سؤال طرحه الكثير من المحققين ـ الشيعة منهم والسنة ـ على انفسهم وبعد البحث والتحقيق خرجوا بنتيجة واحدة هي «ان ابن سبأ والسبئية اسطورة اختلقها اعداء الشيعة ، وسلطوا عليها الاضواء وتعاظم امرها بمرور الزمان ، حتى ادعى البعض ان بعض صحابة النبي (ص) الكبار وقعوا تحت تأثير افكارها» .

ونحن لا ندعي اننا قد جئنا بشيء جديد في هذا الموضوع ولكن الذي يظهر انا من تتبع أدلة الباحثين والمحققين في عصرنا ان ابن سبأ لم يكن سوى اسطوره وهمية بعيده كل البعد عن عالم الحقيقه والواقع .

وليس هذا الكلام مجرد دعوى وانما له ادلته وبراهينه ونحن نضع هنا بين يدي القارىء خلاصة ما كتبه بعض من حقق في هذه الاسطوره وخرج منها بالنتيجة التي اشرنا اليها آنفاً .

ماذا يقول الدكتور طه حسين ؟

الدكتور طه حسين في الجزء الاول من كتابه « الفتنة الكبرى » يشكك بادئ الامر في وجود ابن سبأ ولكنه يعود بعد ذلك في الجزء الثاني لينكره اصلا ونحن هنا نثبت النصين :

«... ويذهب بعضهم الى انه - أي ابن سبأ - احكم كيده احكاماً ونظم في الامصار جماعات خفية تستتر بالكيد وتتداعى فيما بينها الى الفتنة . حتى اذا تهيأت الامور وثبت على الخليفة ، فكان ما كان من الخروج والحصار وقتل الامام .

ويخيل الي ان الذين يكبرون من امر ابن سبأ الى هذا الحد يسرفون على انفسهم وعلى التاريخ اسرافاً شديداً ، واول ما نلاحظ انا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصت امر الخلاف على عثمان . فلم يذكره (ابن سعد) حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتقاض الناس عليه . ولم يذكره «البلاذري» في «انساب الأشراف» وهو فيما ارى اهم المصادر لهذه القصة واكثرها تفصيلا . وذكره الطبري عن سيف بن عمر وعنه اخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر .

ولست ادري اكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن ولكني اقطع بأن خطره ان كان له خطر ليس ذا شأن ، وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب اسلم ايام عثمان ، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة واذاعة الكيد في جميع الاقطار ، واو أخذ عبد الله بن عامر او معاوية هنا هذا الطارئ الذي كان يهودياً فلم يسلم الا كائداً للمسلمين لكتب احدهما او كلاهما فيه الى عثمان ولبطش به احدهما او كلاهما والذي يكتب الى عثمان يستأذنه في البطش بابن ابي بكر وابن ابي حذيفة وعمار بن ياسر خليق الا يعفي من عقوبته رجل من اهل الكتاب قد اتخذ الاسلام وسيلة لاثارة الفرقة بين المسلمين وتشكيكهم في امامهم بل في دينهم كله ، ولم يكن ايسر من ان يتتبع هذا الطارئ ومن ان يأخذوه ويعاقبوه وهم كانوا مهرة في تتبع المعارضين واخراجهم من ديارهم وارسالهم الى معاوية او الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

ومن اغرب ما يروى من امر عبد الله بن سبأ هذا انه هو الذي لقن ابا ذر نقد

معاوية فيما كان يقول من «ان المال هو مال الله» وعلمه ان الصواب ان يقول: ان المال مال المسلمين» .

الى ان يقال انه هو الذي لقن أبا ذر مذهبه كله في نقد الاغنياء وتبشير الكانزين للذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وما اعرف اسرافاً يشبه هذا الاسراف .

فما كان ابو ذر في حاجة الى طارىء محدث في الاسلام ليعلمه ان للفقراء على الاغنياء حقوقاً وان الله يبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب اليم . وغير ذلك من الامور الواضحة لم يكن ابو ذر بحاجة الى هذا الطارىء ليعلمه هذه الحقائق الأولية من حقائق الاسلام ، وابو ذر سبق الانصار جميعاً وسبق كثيراً من المهاجرين الى الاسلام وهو قد صحب النبي فأطال صحبته ، وحفظ القرآن فاحسن حفظه وروى السنة واتقن رواتها ... فالذين يزعمون ان ابن سبأ قد اتصل بابي ذر فالقى اليه بعض مقاله يظلمون انفسهم ويظلمون ابا ذر .

والرواة يقولون : ان ابا ذر قال ذات يوم لعثمان بعد رجوعه من الشام الى المدينة : لاينبغي لمن ادى الزكاة ان يكتفي بذلك حتى يعطي السائل ويطعم الجائع وينفق من ماله في سبيل الله ، وكان كعب الاحبار حاضراً هذا الحديث فقال : من ادى الفريضة فحسبه ، فغضب ابو ذر وقال لكعب : ياابن اليهودية ! ماانت وهذا ؟ اتعلمنا ديننا ثم وجأه بمحجنة ، فأبو ذر ينكر على كعب الاحبار ان يعلمه دينه بل أن يدخل في امور المسلمين حتى بابداء الرأي ، مع ان كعب الاحبار مسلماً ابعد عهداً للاسلام من ابن سبأ ، ثم لايتحرج من ان يتلقى من عبد الله بن سبأ اصلا من اصول الاسلام وحكماً من احكام القرآن .

فاعجب لرجل من اصحاب النبي (ص) ينكر على كعب أن يجادل في الدين ثم يتلقى الدين نفسه عن عبد الله بن سبأ .

واكبر الظن ان خصوم الشيعة ايام الامويين والعباسيين قد بالغوا في امر عبد الله بن سبأ هذا ليشككوا في بعض مانسب من الاحداث الى عثمان وولاته من ناحية ، وليشنعوا على علي وشيعته من ناحية اخرى ، فيردوا بعض امور الشيعة الى

يهودي اسلم كيداً للمسلمين فلنقف من ه

ولنكير المسلمين في صدر الاسلام عن يهودي لعصبية ابن سبأ يذكر انعكاس وضع رجل اقبل من صنعاء وكان ابوه يهودياً وكان المساوسة وهو يسخر من الاسلام قالا : لارغباً ولا رهباً ولكن مكراً وكيداً وخداعاً ثم صاره يقع ورفق هنفنايسعى فحرض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه وفرقهم بعد ذلك شيعاً واحزاباً هذه كلها امور لاتستقيم للعقل ولا تثبت للنقد . ولا ينبغي أن تقام عليها امور التاريخ» .

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب(١) يقول الدكتور طه حسين :

والغريب ان المؤرخين الذين اكثروا من ذكر ابن السوداء عبد الله بن سبأ واصحابه حين رووا امر الفتنة ايام عثمان وأكثروا من ذكرهم بعد مقتل عثمان قبل ان يشخص علي من المدينة للقاء طلحة والزبير وام المؤمنين ، ثم اكثروا من ذكرهم حين كان يسعى الى طلحة والزبير وام المؤمنين في الصلح ، ثم زعموا انهم ائتمروا على حين غفلة من علي واصحابه باسباب القتال، ثم زعموا انهم انشبوا القتال وجاء حين التقى الجمعان عند البصرة وورطوا المسلمين في شر عظيم .

الغريب ان هؤلاء المؤرخين قد نسوا السبئية نسياناً تاماً ، او اهملوها اهمالا كاملا حين رووا حرب صفين .

واقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء في حرب صفين ان امر السبئية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفاً منحولا ، قد اخترع بآخره حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية .

اراد خصوم الشيعة ان يدخلوا في اصول هذا المذهب عنصراً يهودياً امعاناً في الكيد لهم والنيل منهم ، ولو قد كان امر ابن السوداء مستنداً الى اساس من الحق والتأريخ الصحيح لكان من الطبيعي ان يظهر اثره وكيده في هذه الحرب المعقدة والمعضلة التي كانت بصفين ، فكيف يمكن تعليل هذا الاهمال أو كيف يمكن ان يفسر غياب ابن سبأ في وقعة صفين وعن نشأة حزب المحكمة ـ الخوارج ـ امانا فلا اعلل الامرين الا بعلة واحدة وهي **ان ابن السوداء لم يكن الا وهماً ، وانما هو**

---

(١) الفتنة الكبرى : عثمان ، للدكتور طه حسين ، الفصل ١٣ .

لثورة كانت في ذلك الحين لابد منها فحن لانحتاج الى التعليل لظهورها ، انما نحتاج بالاحرى الى التعليل فيما لو لم تحدث اذ ذاك ثورة او فتنة .

يخيل لي ان ابن سبأ الذي ينسب اليه تحريك الثورة كان وهماً من الاوهام كما قال الدكتور طه حسين .

ويبدو وأن هذه الشخصية العجيبة اخترعت اختراعاً وقد اخترعها اولئك الأغنياء الذين كانت الثورة موجهة ضدهم ، وهذا هو شأن الطبقات المترفة في كل مرحلة من مراحل التاريخ ازاء من يثور عليهم .

فكل انتفاضة اجتماعية يعزوها اعداؤها الى تأثير اجنبي ، وقد اشار الى هذا البروفسور سمل. الباحث الاجتماعي المعروف في بحثه عن الغريب (stanger) ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان محمداً نفسه اتهمته قريش في بدء دعوته بانه كان يأخذ تعاليمه من غلام نصراني اسمه جبر (حياة محمد لمحمد حسين هيكل ص١٣٦) واتهمه بعضهم بعد ذلك بأنه كان يتلقى افكاره من بحيرا الراهب وسلمان الفارسي وغيرهما (شخصيات قلقة في الاسلام لعبد الرحمن بدوي ص ٣٣) .

... ان كل مبدأ جديد يعزوه المغرضون الى تأثير نزعة اجنبية غريبة حدث هذا كما أبان البروفسور سمل ، في مختلف مراحل التاريخ ... ثم يستطرد قائلا ارجع المؤرخون السبب الاكبر في تلك الفتنة الى عبد الله بن سبأ ذلك اليهودي الطارىء الذي دخل في الاسلام يريد الكيد به ...

الظاهر ان اصحاب الملكيات الكبيرة التي نشأت في ايام عثمان ، هالهم ذلك التذمر الذي انتشر بين الجمهور ازاء ثرواتهم المفرطة فنسبوا هذا التذمر الى شخص يهودي طارىء جاء يريد المكيدة بالاسلام وأهله ، وكأنهم بذلك ارادوا تغطية السبب الاصلي في ثورة الغوغاء عليهم .

ان الاعمال العظيمة التي تنسب الى عبد الله بن سبأ لايمكن أن يقوم بها الاعبقري أو ساحر أو منوم مغناطيسي من طراز فذ ، فهو لابد ان يكون ذا عيون مغناطيسية تكسر الصخور او ذا قوة نفسية خارقة تجعل الناس امامه كالغنم يتأثرون باقواله من حيث لا يشعرون .

ولو كان قد ظهر في ايام عثمان مثل هذا الرجل لوصل اليناوصفه على وجه من الوجوه ، والغريب اننا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة التي قصت امر الخلاف على عثمان ... ولست ادري كيف ظهرت في التاريخ حكاية وهمية تروج وتبقى على توالي الدهر مثل هذه الحكاية السخيفة ...

ولذا نجد ابن سبأ قد تحمل اوزار العالمين جميعاً ، ولو كان ابن سبأ شخصاً حقيقياً لكثر بكاؤه واعتراضه على هذه التهم التي تكال له وهو نائم . والنتيجة التي يستخلصها الدكتور الوردي من بحثه هي :

ان عبد الله بن سبأ موجود في كل زمان ومكان فكل حركة جديدة يكمن وراءها ابن سبأ ، فان هي نجحت اختفى اسم ابن سبأ من تاريخها وأصبحت حركة فضلى ، أما اذا فشلت فالبلاء نازل على رأس ابن سبأ وانهالت الصفعات عليه من كل جانب . ان ابن سبأ لايهدأ على كل حال فهو دائب ينتهز الفرص في كل سبيل ومادام الظلم موجودا فان كل انسان يحتمل أن يكون سبئيا والعياذ بالله . يراجع (كتاب وعاظ السلاطين) .

هل كان عمار بن ياسر هو ابن السوداء ؟

عمار بن ياسر هو الصحابي الكبير الذي قال في حقه رسول الله(ص) «عمار تقتله الفئة الباغية» (وقد قتل رضوان الله عليه في حرب صفين على ايدي جنود معاوية) وله خطبة في ايام صفين قال فيها :

ولكن القوم ذاقوا الدنيا واستحبوها واستمرؤوها ، وعلموا ان صاحب الحق لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها» (١) .

ويذكر ابن العربي في « العواصم والقواصم » (٢) عماراً ، ويقول عنه : بأنه

(١) عمار بن ياسر للسميتي ص ١٥٠ ، وعاظ السلاطين الوردي ص ٢٦٤

(٢) العواصم والقواصم ص ٦٥ .

كان له رأي متطرف في عثمان وما جرى في زمانه ولكن علياً لامه على ذلك ، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقولون في حقه بانه كان سبئيا ، وان السبئيين قد اتصلوا به يتعاونون معهم .

يذكر الدكتور علي الوردي في كتابه «وعاظ السلاطين» هذا المعنى عن ابن العربي ويعقب على ذلك بقوله «ان هؤلاء المؤرخين – اي الذين ذكروا اتصال السبئيين بعمار – لم يقولوا عن عمار انه كان سبئياً كأنهم لم يجرأوا ان يطلقوا عليه هذا النعت الذميم وهو ذلك الصحابي الجليل الذي عذب في سبيل الله كثيرا وتحدث النبي بفضله مرارا ، والواقع انه كان سبئياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى – وأتصور انه كان زعيم السبئيين الاكبر – اي انه كان ابن سبأ بالذات . كما سيأتي بيانه قريبا .

وبعد صفحات يطرح الدكتور الوردي هذا التساؤل فيقول: وهنا قد يعترض سائل ويقول : اين ذهب ابن سبأ في هذه المعمعة الكبرى – اي حرب صفين ؟

ان من اغرب الامور ان نجد ابن سبأ حاضرا في كل حادثة من حوادث الثوره على عثمان والحوادث التي جرت بعدها ، ثم نراه غائباً في معركه صفين يوم قتل عمار بن ياسر . فلماذا اختفى هذا الداهيه الدهماء في تلك المعركة الطاحنه . وأين اختفى ؟.

ان المؤرخين لم يجيبوا عن هذا السؤال المحير قليلا او كثيراً .

الواقع ان ابن سبأ لم يختف اثناء معركة صفين ، وهو بالاحرى لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي . انه كان وهماً كما ذكرنا والوهم يأتي ويذهب تبعاً لمقصد اصحابه والمخترعين له .. يخيل لي ان حكايه ابن سبأ من اولها الى آخرها كانت حكايـة متقنة الحبك رائعة التصوير ، ان القرشيين لم يكونوا دهاه في ميدان السياسة فحسب وقد كانوا ماهرين في فن القصص ايضاً ، ويبدو ان قريشاً كانت في ايام عثمان تتحدث عن عمار في منتدياتها الخاصة وتسميه سراً ، حيث لم تكن ترى من مصلحتها اعلان تسميته امام الناس آنذاك .

وربما سمع احد الرواه قريشاً تلهج بذكر ابن السوداء وتسميه فظن انها تعني شخصاً اخر غير عمار بن ياسر .

«من يدري فلعل حكاية ابن سبأ نشأت في اول الأمر من هذا الظن الخاطىء ثم تراكمت حولها الأساطير بعد ذلك شيئاً فشيئاً ومن غرائب التاريخ ان ترى كثيراً من الامور التي تنسب الى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار بن ياسر على وجه من الوجوه وهذا امر يدعو الى التأمل .

اعرض على القارىء فيما يلي بعض هاتيك الأمور التي اشترك فيها عمار وابن سبأ لكي نرى رأيه فيها :

١ ـ كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء وقد رأينا كيف كان عمار يكنى بابن السوداء ايضاً «ويذكر الدكتور الوردي في مطاوي بحثه بعض اقوال الاشراف قريش والتي كان يطلقون منها لقب ابن السوداء على عمار في وقائع مختلفة» .

٢ ـ كان عمار ابن اب يماني . ومعنى هذا انه كان من ابناء سبأ ، فكل يماني يصح أن يقال عنه أنه (ابن سبأ) فأهل اليمن كلهم ينتسبون الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وفي القرآن قال الهدهد لسليمان انه جاءه من سبأ وقصد بذلك اليمن .

٣ ـ كان عمار شديد الحب لعلي بن ابي طالب يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل .

يحكي الالوسي في تفسيره روح المعاني : ان رجلا جاء الى عمار يسأله تفسير الاية القرآنية القائلة : « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم » فقال عمار عن هذه الدابة المتكلمة انها علي بن ابي طالب(١)

وهذا القول نجد انه مثلا ينسب الى ابن سبأ حيث كان فيما يقولون يؤمن برجعة علي الى الحياة بعد موته .

٤ ـ قد ذهب عمار في ايام عثمان الى مصر واخذ يحرض الناس ثمة على عثمان فضج الوالي منه وهم بالبطش به (٢) .

(١) روح المعاني ج ٦ ص ٣١٢ .

(٢) الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين ج ١ ص ١٢٨ .

وهذا الخبر يشابه ما نسب الى ابن سبأ انه استقر في مصر ، واتخذ الفسطاط مركزاً لدعوته .

٥ ـ ينسب الى ابن سبأ قوله ان عثمان اخذ الخلافة بغير حق وان صاحبها الشرعي هو علي بن ابي طالب ، والواقع ان هذا هو كلام عمار بن ياسر بالذات فقد سمع ذات يوم يصيح في المسجد اثر بيعة عثمان «يامعشر قريش.. امااذاصرفتم هذا الامر عن بيت نبيكم هاهنا مرة وهاهنامرة ، فما انا بآمن من ان ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله (١) .

٦ ـ ويعزى الى ابن سبأ انه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة ابان معركة البصرة ـ ومن يدرس تفاصيل الواقعة يجد عماراً يقوم بدور فعال فيها فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الاشتر الى الكوفة يحرض الناس على الانتماء الى جيش علي .

٧ ـ قالوا عن ابن سبأ انههو الذي حرك أبا ذر فيدعوته الاشتراكية ولو درسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جداً فكلاهما من مدرسة واحده هيمدرسة علي بن ابي طالب ان ابا ذر لم يكن ليحتاج الى ابن سبأ ليعلمهبأن الفيءهو مال المسلمين، ان صاحبيهعماراً وعلياً اجدر بأن يعلماه ذلك اذا كان لم يعلم به من قبل .

نستخلص من هذا أن ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر فقد كانت قريش تعتبر عماراً رأس الثورة على عثمان ولكنها لم تشأ في اول الامر أن تصرح باسمه فرمزت عنه بابن السوداء او ابن سبأ وتناقل الرواة هذا الرمز غافلين وهم لايعرفون ماذا كان يجري وراء الستار (٢) .

للبحث صلة

---

(١) أهل البيت لعبد الحميد السحار ص ٦٦ .

(٢) وعاظ السلاطين للدكتور علي الوردي الفصل السابع .

مع الآية الكريمة: لم يلد ولم يولد

قيس آل قيس
مدرّس اللغة العربية كلية الآداب - جامعة تبريز

بسم الله الرحمن الرحيم

«قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد»

السؤال المطروح هو : (لم قدم سبحانه وتعالى قوله : لم يلد على قوله : ولم يولد ، مع أن مقتضى الطبيعة أن يكون الشيء أولاً مولوداً ثم يكون والداً) .

لقد وقعت البداءة بأنه لم يلد ، لانهم ادعوا أن له ولداً ، حيث أن مشركي العرب قالوا : (الملائكة بنات الله) ، وقالت اليهود : (عزير ابن الله) ، وقالت النصارى : (المسيح ابن الله) وقالت المجوس (الشمس والقمر والنجوم أبناء الله) لم يدع أحد أن له والداً . فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال : لم يلد ، ثم أشار الى الحجة فقال : ولم يولد ، كأنه قيل الدليل على امتناع الوالدية وأنه سبحانه وتعالى لم يكن ولداً لغيره ، ولم يكن في الاصلاب ولم تضمه الارحام .

والسؤال الاول الذي يطرح نفسه الان هو :

(لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال : لم يلد ولم يقل لن يلد ؟) .

الجواب : انما اقتصر على ذلك ، لانه ورد جواباً عن قولهم ولد الله والدليل عليه قوله تعالى : **(الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله)** ، فلما كان المقصود من الآية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك في الماضي ، لا جرم وردت الآية على وفق قولهم ، وورد النفي على صيغة الماضي ، أي لم يصدر عنه ولد لانه لايجانسه

شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد ،كما نطق به قوله تعالى **« أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة »** ، ولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه .

والسؤال الثاني « لم قال سبحانه وتعالى في هذه السورة لم يلد ، وقال في سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولداً ؟ » .

والجواب هو ان الوالد يكون على وجهين : الأول ان يتولد منه مثله وهذا هو الوالد الحقيقي ، والثاني هو أن لايكون متولداً منه ولكنه يتخذه ولداً ويسميه هذا الاسم وان لم يكن ولداً له في الحقيقة ، والنصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال ان الله اتخذه ولداً تشريفاً كما اتخذ ابراهيم خليلا فقوله لم يلد فيه اشارة الى نفي الولد في الحقيقة .

وقوله لم يتخذ ولداً اشارة الى نفي القسم الثاني ، ولهذا قال لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، لان الانسان قد يتخذ ولداً ليكون ناصراً ومعيناً له على الأمر المطلوب ، ولذلك قال في سورة اخرى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه هو الغني» وهو اشارة الى ما ذكرنا من ان اتخاذ الولد انما يكون عند الحاجة.

والسؤال الثالث : «نفي كونه تعالى والداً ومولوداً هل يمكن ان يعلم بالسمع أم لا ، وان كان لا يمكن ذلك ، فما الفائدة من ذكره » .

الجواب : كونه تعالى والداً مستفاد من العلم بأنه تعالى ليس بجسم ولا منقسم ونفي كونه تعالى مولوداً مستفاد من العلم بأنه تعالى قديم ، والعلم بكل واحد من هذين الاصلين متقدم على العلم بالنبوة والقرآن فلا يمكن أن يكونا مستفادين من الدلائل السمعية .

(بقي أن يقال لما لم يمكن استفادتهما من السمع فما الفائدة من ذكرهما في هذه السورة؟) . ان المراد من كونه أحداً كونه سبحانه في ذاته وماهيته منزهاً عن جميع انواع التركيب . وكونه تعالى صمداً معناه كونه واجباً لذاته ممتنع التغير

[redacted]

في ذاته وجميع صفاته . واذا كان كذلك والأحدية والصمدية يوجبان نفي الولدية والمولودية . فلما ذكر السبب الموجب لانتفاء الوالدية والمولودية لا جرم ذكر هذين الحكمين والمقصود من ذكرهما تنبيه الله تعالى للسامعين على الدلالة العقلية القاطعة على انتفائهما .

السؤال الرابع : هل في قوله تعالى لم يلد ولم يولد فائدة اريد بها نفي الوالدية ونفي المولودية ؟

فيه فوائد كثيرة وذلك لأن قوله : الله أحد اشارة الى كونه تعالى في ذاته ومادته منزه عن التركيب وحقيقته أبدية أزلية لا تعتريها حال بعد حال. صفتها الكمال المطلق في جميع الأحوال .

وقوله : الله الصمد اشارة الى نفي الأضداد والأنداد والشركاء والأمثال . وهذان المقامان الشريفان مما حصل الاتفاق فيهما بين أرباب الملل والاديان وبين الفلاسفة الا انه من بعد هذا الموضع حصل الاختلاف بين أرباب الملل وبين الفلاسفة فان الفلاسفة قالوا : انه يتولد عن واجب الوجود عقل وعن العقل عقل آخر وهكذا على الترتيب حتى ينتهي الى العقل الذي هو مدبر ما تحت كرة القمر . وعلى هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الاول الذي هو تحته ، ويكون العقل الذي هو مدبر عالمنا هذا كالمولود من العقول التي فوقه فالحق سبحانه وتعالى نفي الولدية اولا كأنه قيل انه لم يلد العقول والنفوس ثم قال والشيء الذي هو مدبر اجسادكم وارواحكم وعالمكم هذا ليس مولوداً من شيء آخر فلا والد ولا مولود ولا مؤثر الا الواحد الذي هو الحق سبحانه .

اسرج الشمس

في رحاب ميلاد الرسول الأكرم (ص)

محمد علي اكبر

اسرج الشمس في الدرى يا رجاء ولقد اومأ العهد الوضاء
يا جراح الصحراء لوعك الجدب تهادي . . ولترقص الصحراء
يا عذارى الربيع دونك الهجر فعودي ولسكر الارجاء
ينهل الشوق من رؤاها رحيقاً عبقرياً ترشه الانداء
يا فريش الشموس قم عارك الصحو لترهو في قلبك الاوباء
واملأ الروح اكؤساً تتراءى في لماها الاغنية الحسناء
فاذا لاح من سناها بريق ينتشي الحس تسكر الصهباء

* * *

يا تلال الذبيح اتعبك النوم وهلا يعافك الاعياء
نائمات .. والفجر صحوك يملأ الكون من نداها الصفاء
نائمات . . والله في لوحة الغيب تجلى . فكان ذاك العطاء
فانهضي واهتفي بكل انفتاح ولد النور والهدى والعلاء
يا سفين الحياة مزقك الموج وهدت شراعك الانواء

ولمـاذا الوجـوم . . يـا طغمـة التيـه ودنيا «محمـد» الإبـاء

* * *

يا رواق الطريق هاتي حروفي هم نار في ماها الفداء

ثـم قطعنا الطريـق في لهفـة الشوق وسرنا نشدنا الأضواء

نغسـل الشمـس دربنـا فـي خشـوع ونغنـي مسيرنـا الآلاء

نزرع الحـق نـوره في خطانا هـاذا الخطـو عزمـة ومضاء

مجدنا المحمود أعلى علاه وعلى النور أركتنـا السمـاء

ودعينـا نمسـي حيـاة المعالي حيث الهب أمالهـا الأنداء

* * *

يا رواق الطريق أين المعالي ؟ مرتعها في وطنها الأرزاء

أمـه ... ار فـي ظلهـا المجد وعنـت هاماتهـا العليـاء

مزق الكفـر روحها الطهر بالوهم وراحت . . . تهابها الأعـداء

حـبل ما في وجودها مسقطات وخيـال ودرحـه وغبـاء

وتنادى يصيـح فـي وجهـا القهـر صراحـا ويحتويـه الخـواء

هكذا المجد حاولته رجال وسلاح الرجال حقا غناء

* * *

يا رواق الطريق فلنعقد العزم بحد . . . كيما يعود اللقاء

أنتم اليوم عده وعديد . . . أنتم اليوم طاقه ورجاء

فازرعوا الدرب بالخطى واستقيموا بزهر النور فيكم والعطاء

ومن المولد الشريف اعتذار فلقد حل عن حروفي الثناء

* * *



١ - الزيارات الهامه :

* قام سماحة السيد سعيد احمر رضوي مسؤول الجمعية الاسلامية (بلال مسلم ميشن) في تانزانيا بزيارة هذه المؤسسه وقد تجول في ارجاء الدار واطلع على بعض فعالياتها وجرى معه تبادل الخبرات التبليغية ومن ثم قام بزيارة سماحة الامام السيد المؤسس في داره حيث استمع سماحته عن الاوضاع التبليغية ونشاطات الجمعية الاسلامية وتفضل بتوجيهات قيمة لرفع مستواها التبليغي .

* كما قام وفد ديني لبناني على مستوى عال بزيارة هذه الدار وكان الوفد برئاسة سماحه مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد وعضوية كل من سماحه الشيخ طه الحاجري ، والاستاذ زهير الشاويشي ، والاستاذ حسن القوتلي والاستاذ سامي الشعار ، والاستاذ شريف سويره والدكتور عبد الحميد ساتيلا وقد استقبله عند باب الدار سماحه حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبى العراقي مدير الدار وباقي اعضاء هيئه الاستقبال ، وبعد ان اطلع الضيوف الكرام على اقسام الدار ونشاطاتها ومنها المكتبة العامه حضر الحفل الذي اقامه طلابها للترحيب بمقدم الوفد الديني اللبناني وقام احد الطلاب بالترحيب بالسادة الضيوف ثم قام احد الافاضل بالقاء كلمه ارتجالية اكد فيها على اهميه هذه اللقاءات الهامة والسانح الممنوحاه منها ثم رد سماحة الشيخ طه الحاجري على الكلمه وأكد التلاحم العقائدي والمصيري بين كل فصائل الامة .. ودعا باخلاص لان يجد هذا التلاحم واقعه الفكري والعملي بينها .

هذا وكان الوفد قد قام قبل ذلك بزيارة سماحه آية الله العظمى السيد شريعتمداري في بيته حيث كان سماحته وبعض العلماء والافاضل في استقباله ، وهناك جرى حديث قيم عرضت فيه بعض المشاكل واساليب حلها كما وقام احد الافاضل بالقاء كلمة ارتجالية تناولت قضايا الامة ووجوب العمل الجاد على منحها ما تتطلبه من مواقف ، كما وأشار الى وقوف الشعب الايراني المسلم مع شعوب جبهة القتال

ضد العدو المشترك : الصهيونية والاستعمار ، وبعدها تفضل سماحة الضيف رئيس الوفد بكلمة رد فيها على الكلمة الآنفة موضحا أن جهود الشقاق والفرقة قد ولت الى غير رجعة ومعبرا عن سعادته التي شعر بها وهو يلتقي هنا سماحة الامام والسادة العلماء و سيصدر قريباً كراس يوضح تفصيلات هذه الزيارة .

* وقد قام بزيارة سماحة الامام فريق عربي ضم عددا من المستشرقين ودار هناك حوار قيم واستمع الى كلماته الحكيمة ، ثم قام بزيارة الدار ومعقد شؤونها وحضر الحفل الذي اقيم بهذه المناسبة .

وألقيت فيه بعض الكلمات المتبادلة مما ترك في نفوس الزائرين أثراً كبيراً عبروا عنه وهم يغادرون الدار .

٢ ـ مكتبة دار التبليغ الاسلامي :

* صدر بيان عن ادارة المكتبة بيان فيعلن عن بلوغ الكتب المهداة خلال المدة من صفر ١٣٩٣ ـ ربيع الثاني ١٣٩٤ ـ الى ٣٢٤٣ كتاباً والكتب المشتراة ١٥٧٣ كتاباً والمجلات ، والمجلات المهداة ٢٦٠ مجلة ، وأن عدد المطالعين بلغ ٢٦١٣٤٧ شخصاً ، وان عدد الكتب التي طولعت بلغ ٢٨٣٩٣٢ كتاباً .

* وقد صدر بيان من ادارة المكتبة يعلن عن تمديد مدة فتح ابوابها للمطالعين من ٨ ساعات في اليوم الى ١٢ ساعة فهي تستقبل المطالعين الى الساعة الثانية عشرة ليلا .

٣ ـ مطبوعات جديدة :

اصدر قسم اللغة العربية في الدار كراساً مجانياً حول حياة الرسول الأكرم (ص) وخصائص الرسالة باختصار باسم (مع الرسول والرسالة) .

هذا ونحن نطلب الى القراء الكرام القيام بمراجعة وكلاء مجلة الهادي في مختلف الاماكن لتسجيل عناوين اصدقائهم لارسالها الينا لكي نقوم بانتظام بارسال مايصدر من نشرات وكتب مجانية .

٤ ـ نشاطات اخرى

* قام مركز النشر والتوزيع التابع للدار بفتح شعبته الثالثة له في مدينة تبريز وذلك ليساهم في دفع عجلة الثقافة الدينية ويواصل مهمة الدار التبليغية .

اخترناك

حوار مع صحفي فرنسي مسلم

نشرت جريدة الفجر الجديد الطرابلسية في عددها (٢٩٠) حوارا أجراه مراسلها مع الصحفي الفرنسي المسلم علي عمر (آلان فالنا) نقتبس منه ما يلي :

(س) هل يسمح الاخ (علي عمر) بأن يعطي نبذة مختصرة للقارىء عن تكوينه الثقافي والمهني ؟

(ج) أحمل شهادة البكالوريا الفرنسية «شهادة اتمام الدراسة الثانوية» وأشتغل بالصحافة منذ عشرين عاماً .. وخبير في مجال التصوير «الفوتوغرافي» ومتخصص في التحقيقات العالمية وأتعاون مع الاذاعة المرئية الفرنسية في مدها بالتحقيقات المصورة كما أني اشتغل بالكتابة عامة .

(س) ما الدوافع النفسية والروحية التي دفعتك الى تبني الدين الاسلامي عقيدة ومنهجاً في الحياة ؟ .

(ج) منذ نشأتي وأنا أحس في باطني بشيء يدفعني الى البحث المستمر عن شيء مجهول شيء غير مادي .. ولقد ظل هذا الاحساس يرافقني في صباي وشبابي وصار يتعاظم بداخلي خاصة بعد أن فقدت الحضارة الغربية كل معنى في نظري، ان الحضارة الغربية تحتضر وذلك لأنها قائمة فقط على دعائم مادية ، ولما كنت كثير الترحال بحكم عملي وطبيعتي فقد اتاح لي ذلك المجال الزيارات الكثيرة ، خاصة

الى بلدان الشرق الاسلامي ، وقبل ثماني سنوات ذهبت الى تركيا ليس في مهمة صحافية ، ولكن كسائح . وهناك اكتشفت حقيقة هذا الشيء المجهول ، الذي كان يحرك في جوفي عوامل كثيرة متشابكة متصارعة انه : الايمان ذلك الذي انعكس امامي في روحانية الشرق عامة .

كان يمكن أن يحدث هذا السحر الباطني في أي بلد مسلم آخر غير تركيا . لكن هذا كان يعتمد على تطوري النفسي وعلى نوعية الصراع الباطني الذي كنت أكابده بغض النظر عن الاماكن الجغرافية .. اخترت ان أكون مسلماً بعد تجربة روحية طويلة قصصتها مستغرقاً متأملا في الانسان ومصيره في الوجود وكنهه في الله وعظمته لقد اخترت الاسلام لانه دين عقلاني . . دين روحاني أصيل . . وأنا ضقت ذرعاً بماديه الغرب .. ان الاسلام في نظري فلسفة حياة وموقف من الانسان والوجود والآخرين .

الاسلام دين لا يورث .. أنت لا تولد مسلماً انما تختار الى أن تكون مسلماً .. هذا هو الجانب الذي شدني الى الاسلام .. والذي جعلني أقع تحت تأثيره بمحض اختياري ، وربما كان ذلك بسبب كوني افضل الجانب الروحي على الجانب المادي في الحياة ، والفكرة عندي أسبق من وجودها ، والروح في نظري ابقى من المادة ..

دين العقلانية الانسانية :

أنا مثالي الفكر ، انساني الهوى ، والاسلام هو بحق دين العقلانية والانسانية .. في الشرق هنا بينكم أشعر براحة أكثر . . أشعر بالامن النفسي والمادي معاً ، ان العلاقات الانسانية في بلادكم اكثر اخلاصاً وأكثر بساطة وصراحة من أي مكان آخر في العالم .. أنا لم أر مثل هذه الصراحة والبساطة ..

وهذه هي عظمة الدين الاسلامي انه دين التسامح والاخاء كما انه دين المبدأ والمعتقد والفكرة والممارسة أيضاً .. فالاسلام يحث الانسان المسلم على أن يشتبك يومياً مع واقعة فاعلا مؤثراً فيه ، على أن يكون هذا الفعل والتأثير من خلال الفكرة

من خلال المبدأ أو المعتقد وأود القول بأن المسيحية مثلا اصبحت اليوم سلاحا في أيدي القوى الاحتكارية والرأسمالية الاوربية .. ومن الطبيعي أن تستخدم هذه القوى المسيحية لا في تجسيد وتحقيق المبادىء الاخلاقية والسمحة الاصيلة وانما في تحقيق أكبر قدر من الثراء والاغتناء على حساب الآخرين ..

وأرجو أن تدون هذه الملاحظة انني ضد استخدام الدين في تنويم الفقراء من الناس والاغتناء على حساب حاضرهم ومستقبلهم . انا ضد القوى الرجعية التي توظف الدين وتكرسه لخدمة مآربها الشخصية سواء أكانت هذه القوى مسيحية أم مسلمة .

في أوروبا الالة تمتلك الانسان :

(س) أنت مسلم وتعيش في مجتمع غربي « أي في مجتمع ما بعد الصناعة » فكيف يمكن أن توازن بين الجانب الروحي المتأصل فيك والجانب المادي المتمثل في طغيان المجتمع الغربي القائم أساساً على الاستهلاك؟ .

(ج) المسألة بسيطة .. وكما سبق أن ذكرت لك فان الجانب المادي لا يحتل الاولوية من اهتماماتي الحياتية ليس معنى ذلك انني أحرم نفسي من المسكن اللائق او من الثلاجة الخ ...

ولكن معناه أن لا أصبح عبداً لشيء فيجب أن يكون الشيء ملكاً لي لا أنا ملك له ان الوضعية السائدة في اوروبا الان هي عكس ذلك تماماً فالانسان لا يملك الالة.. بل الالة هي التي تمتلكه ، وهذا شيء مخيف حقاً .. انني أحد من طغيان المادة علي . . وأقاوم قدر الوسع والطاقة مؤثرات مجتمع الاستهلاك كما ذكرت في سؤالك .. ان المجتمعات ما بعد الصناعية تنتج كما تستنزف ثروات الانسان .

ولا اقصد بثروات الانسان ثرواته المادية فلو كان ذلك لهان الامر ولكني أقصد بالتحديد ثروته الروحية : بعده الداخلي . . انسانيته .

ان الاسلام قادر على اضفاء الجانب الروحي على مجتمع الاستهلاك ..الاسلام قادر على علاج أمراض مجتمع الاستهلاك ان بامكان الاسلام أن يضفي على هذا المجتمع البساطة ، الحقيقة ، المساواة ، الاخاء . .

الحوار لكسب الشباب الاوروبى :

(س) ما أنجع السبل فى نظرك لكسب الشباب الاوروبى المستمر؟

(ج) الحوار هو خير سبيل لكشف مثل هؤلاء الشباب ـ قليلون أولئك الذين يعرفون حقيقةأفكاركم ونواياكم في اوروبا ولا يمكن أن تتضح الصورة الابالحوار... لابد اذن من مد الجسور مع الشباب الاوروبي . . وأعتقد أن الحوار هوسبيل اللقاء معه حول قاسم مشترك من الفهم لقضايا الانسان والله والمصير ..

وانني أثق تماماً في مقدرة الشباب الاوروبي على تفهم مواقفكم ، لانه يعيش الان في تمزق روحى وضياع نفسى بغيض .. والاسلام كفيل بايجاد الدواء الناجع لامراض البشرية جمعاء ..

* * *

نشرت مجلة الازهر فى عددها الصادر فى محرم ١٣٩٤ مقالا للاستاذ توفيق على وهبه بعنوان «حرية الرأى وحرية الكلمة فى الاسلام» نقتبس منه مايلى :

ان الاسلام يتعرض لحملات تضليل وتشويه شرسة منعتة من داخل بلادالأسلام من مسلمين وغير مسلمين ، وهذه الحملات يجب أن توقف فوراً ، وأن يحرس الضالون المضلون المرجفون الحاقدون الى الابد . . ان الهجوم على الاسلام من أعدائه أمر مفهوم ومعلوم بحركة الحقد والضغينة اللذين يملأ قلوبهم وصدورهم، أما الغريب حقا فهو ما نلحظه ـ أحيانا ـ من هجوم خفي أو علني من بعض المنتسبين الى الاسلام بالاسم والاسلام منهم بريء .

ونود أن نبين رأي الاسلام في هؤلاء بوضوح ما يلي :

١ ـ تنص دساتير الدول العربية والاسلامية على أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام ـ ويستتبع ذلك ان يقوم كيان الدولة على اساس الدين الاسلامي ويجب أن تكون الشريعة الاسلامية هي الحكم بين الناس في تعاملهم وفي كل ما يخصهم من أمور الدين والدنيا ، وأي مساس أو خروج عن تعاليم الاسلام يعد مساساً بالدولة نفسها وعدواناً على سلطتها ..

والنص على دين الدولة فى الدستور من النظام العامالذي لا يجوز مخالفته ، ويعاقب كل من يخالف النظام العام للدولة أو يحاول الاعتداء عليه، وعلى ذلك فكل

اعتداء أو هجود على الدين الاسلامي يستوحب عقاب فاعله بأشد العقوبات ..ولكني لا أدري لماذا تتراخى الحكومات عن معاقبة هؤلاء المحرمين والصرب على أيديهم حتى توقف عبثهم وتمنع نشر أباطيلها .. »

وقد يقول قائل ان الدساتير تنص ايضاً على حريه العقيده ولكن حرية الاعتقاد المكفولة للجميع لاتمنح لاحد مهما كانت عقيدته أو شخصيته الحق في مهاجمة دين الدولة الرسمي .

وتنص الدساتير كذلك على حريـه الرأي ، وهذه الحريه مكفوله أيضـا في الحدود التي لا تسمح بالاعتداء على حق الغير ..فاذا ماجاوز الرأي الحدود المطلوبة فاعتدى على الغير وجب وقفه فوراً وعقاب صاحبه ..

ان عمليات الهجوم التي مني بها الاسلام منذ نشأته وحتى الآن لم يكن الباعث عليها حرية الفكر أو الاعتقاد . ولكن الواقع الحقيقي لكل هذا هو محاولة تقويض كيان الدولة والقضاء عليها اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا .

* * *

وتحت عنوان «دفاعا عن الاسلام» نشرت مجلة جوهر الاسـلام التونسية في عددنا ٢-٣ السنة السادسة مقالا للأستاذ الناصر الجويلي جاء فيه :

«منذ أزمان طويلة وأعداء الاسلام يحاولون الايقاع به والاطاحة بسمعته العاليه التي بلغها ، ولقد جاهدوا واجتهـدوا في بذل كل ما استطاعوا من قوة لتحقيـق اغراضهم خاصة بعد ان منوا بخيبة مرة وفشل في الحملات المتتاليـة التي تمت في القرن الثاني عشر .

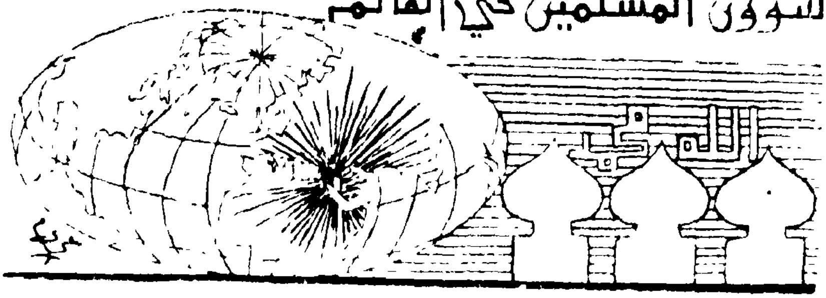
تلك الحملات التي كانوا يريدون من ورائها القضاء على الاسلام والمسلمين. ولما لم يستطيعوا ذلك اتخذوا من القلم لساناً حاداً يدافعون به عن انفسهم وبالتالي عقيدتهم دفاعاً شديداً .

فكانت الارساليات التبشيريه ، التي نشطت في هذه القرون الاخيرة ، والتي انفقت الكنيسة في سبيلها أموالا طائلة عسى ان يبلغوا صوتها الى العالم الخارجي وتظفر بضعاف العقول فترجعهم عن دينهم وعقيدتهم بكل سهولة ، والى جانب هذا

الحركات التبشيرية تظهر من حين لآخر كتب أو بالاحرى كتيبات صب فيها أهلها
جام غضبهم وبثوا فيها سمومهم حقداً على الاسلام والمسلمين ، في وقت نحن اشد
... الى التمسك بديننا الحنيف والذب عنه حمايةله من عبث العابثين وفساد المفسدين
ومن حسن الطالع وجد هؤلاء الناس اعراضاً عن دعوتهم وتبرما من برهاناتهم الباطلة
التي يروجونها من حين لآخر ، ومن الكتب التي روجت صيف هذا العام كتيب
تحت عنوان : « هل يمكن ان نعتقد في القرآن » «Peut on croire au coran?»
... باللغة الروسية ، وترجم الى احدى وكالاتها ، وليس من المستبعد ان يكون
هذا العمل من قبيل الاعمال والاشاعات التي يروجها الصهاينة ، عقب اغتصابهم
... المقدس ، اذ ما انفكوا يعملون على كسر شوكة الاسلام . واطفاء نور
« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون »
حتى نسي انهم نشر أفكارهم ومبادئهم ، خاصة وانهم يعرفون حق المعرفة ،
انه مادام الاسلام قائماً في وجوههم فانهم لايستطيعون بسط نفوذهم العقائدي بأي
وجه من الوجوه خاصة بعد ان أصبح امر هذه العقيدة وامثالها مفضوحاً وظاهراً
للعيان . وما اعتناق ٣٥٠٠ شخص باقليم صباح من جنوب شرقي آسيا للدين
الاسلامي هذا العام وبالضبط يوم (٨ حزيران ٧٣) لا خير دليل على الفشل الذريع
الذي منيت به المسيحية واليهودية معاً ، لذا فان العمل الدعائي لا تأثير له امام العزم
الشديد الذي عليه أهل الاسلام اليوم ، الم يكن رائدهم في ذلك قوله عليه السلام :
« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر مافعلت
حتى يظهره الله او اهلك دونه . . » ولقد حاول الاستعمار الفرنسي فرنسة الشعب
التونسي وردة عن دينه اكثر من مرة في وقت كان فيه زمام الامور بيدها الا انه فشل
في مهمته تلك لان الشعب كان مصراً على دينه اصراراً كلياً .

وبعد هذا يبدأ الكاتب بتفنيد الادعاءات الباطلة التي جاء بها الكتاب المذكور.

شؤون المسلمين في العالم



اعداد: ابو مقداد

الملتقى الثامن للفكر الاسلامي

عقد في مدينة (بجاية) في الجزائر الملتقى الثامن للفكر الاسلامي في الفترة من الفاتح الى الثاني عشر من ربيع الاول ١٣٩٤ هـ وقد ناقش المجتمعون بعض المواضيع الهامة كان منها وضع الاقليات والجاليات الاسلامية في بلدان العالم.

ودور المفكر اليوم وعلى مر العصور في امته وتجاه الانسانية، ومساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في مختلف مجالات العلوم والتراث الانساني .

وبعد البحث والمناقشة خرج الملتقى بتوصيات هامة يجدها القاريء ملحقة بهذا العدد من المجلة وقد مثل اسرة مجلة الهادي في هذا الملتقى سماحة العلامة السيد هادي الخسروشاهي ، وسوف يوافي القراء الكرام في العدد القادم بانطباعاته عما جرى ودار في الملتقى ولا يسعنا هنا الآن نكبر جهود المشرفين على الملتقى ونقدر مساعيهم الحميدة لبيان عطاء الفكر الاسلامي وقدرته على حل مشاكل الانسانية التي بدأت تتململ من حمى الافكار الضيقة التي صاغتها يد الانسان القاصر .

واملنا وطيد بأن نجد الملتقى في السنوات القادمة ذا قدرة أكبر في الخروج بقرارات عملية صارمة وتلح بجميع ما لديها من امكانيات وسبل لجعلها في حيز التنفيذ على صعيد العالم الاسلامي أجمع، بدلا من أن تبقى مجرد توصيات لا تلقى من المسؤولين آذاناً صاغية ونعود لنؤكد تقديرنا للمشرفين والمساهمين وخاصة

معالي الاخ الاستاذ السيد مولود قاسم داعين له ولهم جميعاً بالتوفيق والسداد المستمر .

المسلمون يطالبون بالمساواة

فى الحبشة

اديس ابابا . ٢٠ نيسان ـ وصف ـ شهدت عاصمة اثيوبيا اليوم اضخم تظاهرة شعبية منذ بدء الازمة الحالية في البلاد .

وتحركت المسيرة التي ضمت عشرات الالاف من المسلمين الاثيوبيين في اتجاه وسط العاصمة فيما حاولت قوات الشرطة القليلة العدد ان تسيطر على هذا المد البشري .

وفيما كانت المسيرة تخترق شوارع العاصمة الرئيسية في صفوف متراصة ومنظمة يتقدمها المسؤولون عن طائفة المسلمين ، انضم اليها الالاف من المضربين والعاطلين عن العمل والطلاب بحيث قدر عدد المشتركين فيها عند الظهر نحو ٢٠٠ الف شخص .

وحمل المتظاهرون لافتات وهتفوا بشعارات تطلب «بمساواة المسلمين في الحقوق ومنحهم جميع حقوق المواطن الاثيوبي» وتقدم زعماء الطائفة الاسلامية بقائمة لرئيس الوزراء تضم ١٣ مطلبا أهمها السماح للمسلمين الذين يمثلون ٥٠ في المئة من السكان بشراء الممتلكات ، وهو أمر محظور عليهم حالياً ، والاحتفال باعيادهم الدينية وتأسيس شركات كما يفعل المسيحيون .

وتمثل كل هذه المطالب التي رددها المتظاهرون في اناشيدهم وشعاراتهم صعوبة جديدة لحكومة «ما كوبين» الذي يحاول منذ قرابة شهر ونصف ان ينفذ برامج الاصلاحات الذي وعد به .

كما قام في أديس أبابا في ٢٢ نيسان تظاهرات اخرى نظمها وقادها الرهبان المسيحيون وحملت مجموعات من المتظاهرين لافتات كتب عليها «اثيوبيا هي ارض مسيحية» واخترقت شوارع العاصمة وحاصرت مقر البطريركية الاثيوبية خالقة جواً من البلبلة في انحاء المدينة .

وهكذا يتضح ان الليل مهما استطال فلابد من فجر يبدد ظلامه وان الظلم مهما قسا ولن يستطيع القضاء على امة لها كيانها وعقيدتها وايمانها ، فبعد سنين متطاولة من السكوت والحرمان تحرك الدم من جديد في أوصال مسلمي الحبشة ليطالبوا بأدنى ما تقره لهم القوانين الانسانية من

حقوق : حق المواطنة في الارض التي ولدوا فيها ويعيشون على ترابها ، حق شراء الممتلكات، حق الاحتفال بأعيادهم الدينية .

وانما نهيب بالمسلمين انما كانوا أن يضموا اصواتهم الى أصوات اخوانهم مؤيدين هذه الحقوق المشروعة التي لا يجادل فيها انسان منصف .

ولكن المرء ليصاب بالدهشة حينما يقرأ ان تظاهرة اخرى طافت شوارع أديس أبابا قادها المسيحيون وشعارهم «اثيوبيا هي أرض مسيحية» أليس هؤلاء هم من بين الذين يخرجون في مظاهرات اخرى هذه الايام ويطالبون بالقيام باصلاحات دستورية واعطاء مزيد من الحرية والديمقراطية لشعب اثيوبيا .

فما بالهم حين يرتفع صوت مسلم يطالب هو الآخر ببعض حقوقه لايطيقون سماعه ويهيبون الضرب على يديه واسكاته .

أفهل يريدونها عدالة في نطاق المسيحيين في اثيوبيا ويرغبون في حرية لاتكون الا لهم ، واصلاحات لاتخدم سواهم اما المسلمون هناك وهم يمثلون نصف العدد فهم من الدرجة الرابعة بل العاشرة لايستحقون عدلا ولا حرية .

مع مؤتمر القمة الاسلامي في لاهور

عقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني في **لاهور** في الفترة من ١ صفر ١٣٩٤ هـ - ٣ صفر ١٣٩٤ ، الموافق ٧٤/٣/٢٢ - ٧٤/٢/٢٥ وحضره ممثلو أكثر من ثلاثين قطراً اسلامياً . وأسفر عن عدد من القرارات والتوصيات .

واننا هنا لايمكننا الا أن نسجل بعض الحقائق مع كل تحفظاتنا حول طبيعة ما صدر من القرارات وهل انها قد حققت كل ما يتطلع اليه المسلمون من أماني وآمال أو على الاقل حظ هذه القرارات من الالتزام والتطبيق والتنفيذ ، فالحقيقة التي لايمكن التنكر لها هي ان المسلم اليوم بدأ يعي ذاته والامة ككل بدأت تسير وتتحرك على طريق هذا الوعي مهما كانت الخطى بطيئة ومتئدة وانطلاقاً من هذه الحقيقة نقول ان المسلم الواعي لواقعه يشعر اليوم بوجوب ان تكون قرارات المسؤولين والمؤتمرين في أي اجتماع أو مؤتمر على مستوى وعيه ويفترض فيها ان تكون عاملا فعالا في الارتفاع بواقع امته في كل المجالات ، روحية كانت او فكرية أو اجتماعية واقتصادية ، ان المسلم الذي يدرك وبكل وضوح التمزق في كيان

مجتمعه وبعد التردي والانحطاط الخلقي ينخر في أوصال افراده والتفرق واختلاف الكلمة بين الذين يريد منهم القرآن أن يكونوا اصفا كأنهم بنيان مرصوص لبتوقع من أمثال هذه المؤتمرات أن تعقد بروح الشعور العميق بالمسؤولية يريدها أن تكون تحت شعار – من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم – وتحت شعار – كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . اذ لا يمكن الوصول الى النتيجة المتوخاه وروح التستر والمجاملة تسيطر على كل الحركات والاقوال بدلا من النقد البناء الذي يطلب الحقيقة ويتوخى الصلاح والاصلاح .

فهل طلب – على سبيل المثال – الالتزام بالعمل بنظام الاسلام في شتى الحقول والميادين ، وعدم الخروج عليها والاستعانة بالافكار الهدامة شرقية كانت او غربية فان الاسلام ليس عقيده هامدة منفصلة عن روحها ونظامها ، بل الاسلام عقيدة ونظام، فكر وتشريع وأخيرا لا يمكننا ونحن في هذا الصدد الآن نشير الى الحرب النفسية التي يشنها أعداء الاسلام ، الذي لا يريدون ولا يستطيعون أن يروا للمسلمين اجتماعاً واتحاداً في الكلمة. انهؤلاء يثيرون الغبار ويحاولون دائماً ان يوحوا المسلمين بعدم جدوى الاتكاء والاستناد الى الاسلام في العمل، فتراهم يطبلون ويزمرون ويتحدثون من نقاط الضعف عند المسلمين وسيلة التشكيك في نفس الاسلام ، وعدم واقعيته . فيقولون مثلا ماذا عملت الدول الاسلامية لانقاذ فلسطين والقدس الحريح من براثن الصهاينة سيما وانها كانت الغاية من كثير من الاجتماعات؟ ماذا عملوا أكثر من الدول غير الاسلامية في هذا المضمار؟ وهكذا يبدرون التشكيك في صفوف المسلمين الذين يتطلعون الكل عمل واجتماع يقوم على أساس الاسلام ، ويجدون فيه نقطة تحول و انطلاق نحو الغايات والأهداف السامية في بلوغ المجد التليد . هذه الامور والحقائق نضعها نصب اعين الجميع رائدنا فيها الاخلاص والشعور بالمسؤولية علها تساهم في تصحيح بعض اوضاعنا والارتفاع بواقعنا واستعادة امجادنا – مكررين ترحيبنا بكل لقاء يعقد تحت ظلال الاخوة الاسلامية ويتخذ من الاسلام قاعدة انطلاق العمل .

فكرة خاطئة

نشرت جريدة النهار اللبنانية في عددها الصادر يوم الاحد ١٩٧٤/٤/٢٨ تصريحاً للاستاذ كمال جنبلاط لدى عودته من زيارة قام بها الى المملكة

العربية السعودية ، وقد جاء فيه :«ومن اجمل الساعات التي أمضيناها في السعودية تلك التي كانت في مكة والمدينة فقد كونت فكرة وعرفت ان النبي محمد مؤسس الدولة كان هدفه توحيد الجزيرة العربية . ان التذكارات الكثيرة التي تراها هناك تتيح للانسان ان يفهم العروبة أكثر».

الهادى :

ان الفكرة التي كونتها ايها الاستاذ مع الاسف الشديد ، فكرة خاطئة فلم يكن هدف النبي محمد (ص) توحيد الجزيرة العربية وحسب . فالقد غابت عنك عالمية دين محمد (ص) وانه قد بعث للناس كافة ، ومن المؤسف حقاً ان اشخاصاً مثل الاستاذ كمال جنبلاط لم يكلفوا انفسهم بالنظر ولو سطحياً الى رسالة الاسلام وتاريخ النبي محمد(ص) وان فعلوا ذلك لصححوا الكثير من آرائهم ولبدلوا الكثير من مواقفهم فهذا القرآن ينادي «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» وليس لتوحيد الجزيرة العربية ، وهذا هو التاريخ يثبت ان النبي (ص) راسل كسرى وقيصر وأرسل رسله الى مصر والحبشة يطلب منهم اعلان اسلامهم واتباع الدين الجديد ولو كانت المنية قد امهلت النبي (ص) مدة أطول لوجد الاستاذ جنبلاط ان النبي (ص) قد اقام وركز راية الاسلام لا في الجزيرة العربية فحسب بل في جميع اركان المعموره .

ايمان الابطال ...

نشرت مجلة المصور في عددها ٢٥٨٢ - ١٢ ربيع الاول ٩٤ - ٥ ابريل ٧٤ تحقيقاً حول دور بعض الشهداء في معركة رمضان الظافرة نوردمنها مايلي:

يتحدث أحد الجنود الذين كانوا يعملون تحت قيادة **البطل الشهيد العقيد ابراهيم عبد التواب أحمد فيقول :**

كان القائد عبد التواب يصلي بنا الفجر كل صباح ، ويطلب من المقاتلين المسيحيين قراءة الانجيل كل يوم ثم يقود الهجوم بنفسه ضد دبابات العدو . . ذات يوم دمر وحده ٣ دبابات باتون ، وقال الفضل للجنود حولي ، بدونكم ، وبدون اصالتكم ماذا استطيع أن أحققه !!

وظل آخر من يأكل ، وآخر من ينام وعندما تغمض عيوننا تبقى عينه مفتوحة يقظة تكشف ظلام الليل ، كان حارسنا وقائدنا ، وباعث القوة والاقتدار والجسارة في أرواحنا ، حتى قدم البطل روحه فداء للنصر في احدى معاركنا الهجومية التي خاضها يوم ١٤ يناير ١٩٧٤ ، وكان كعادته دائماً يتوضأ ويصلي قبل فتح النيران

وتقول زوجة البطل :

كان يحمل المصحف في جيبه دائماً

وعنـدما اصيب قال لـرفيق سلاحـه :
«احمل هذا المصحف الى اولادي . . انه هديتي لهم» .

وعن البطل الشهيد المقدم صلاح عبد السلام حواس . . يقول : قال لي بعض رفاق السلاح :

ـ حين تقرر العبور ، ذهب وتوضأ على الفور ، ثم أخذ يصلي فوق الرمال وجنوده يؤدون الصلاة خلفه ، بعد ذلك خطب في المقاتلين ، تكلم قليلا ، واختتم كلمته بالاية الكريمة «**قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا**» ثم اندفــع الى شرقي القناة .

الهادى :

بهذه الروح المؤمنه دخل الكثير من ابطالنا ساحات الشرف والقتال فـي معركة الكرامة والمصير .

ان الايمان والروح الدينية لتتجلى للقارىء وهو يطالع هذه السطور المشعة عن الساعات الاخيرة في حياة هـؤلاء الابطال .

صلاة ... ودعاء ... وتلاوة قرآن وخطب حماسية تثير الروح الاسلامية التي تزخر بالتضحية والفداء .

ونلاحظ كذلك روح القائد وصلابته وعدم تعاليه على جنوده بل هـو العين الساهرة واليد المدافعة عنهم يتقدمهـم في القتال ويتأخر عنهم في الاكل والنوم وهنيئاً لهؤلاء الابطال روحهم العالية وايمانهم المشرق وأملنا أن تبقى دماؤهم محركة ودافعة للجماهير المسلمة في استـرداد الحقوق كاملة ، وعدم التفريط باي حق فان في ذلك خيانة وأي خيانة ، لانها هدر وتفريط بتلك الدماء العزيزة التي ما سالت الا لحفظ هيبة الامة المسلمة وكرامتها .

ملحق مجلة (الهادي)
العدد الثاني - السنة الثالثة

توصيات

الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

منشورات القسم العربي - دار التبليغ الاسلامي
قم — ايران

بسم الله الرحمن الرحيم

مرة اخرى تلقت مجلتنا (الهادي) دعوة كريمة موجهة من قبل المشرفين على تنظيم ملتقى الفكر الاسلامي في الجزائر المسلمة :

وقد قام فضيلة العلامة السيد هادي الخسروشاهي ممثلا لاسرة مجلة الهادي ودار التبليغ الاسلامي بالاشتراك في جلسات المؤتمر الذي انعقد في جو من المحبة والتطلع الى الافكار الاسلامية الحية وتداول مختلف البحوث وخرج بتوصيات هامة نقدمها في هذا الكراس تحقيقا لحرصنا على توصيات الملتقى السابع ووفاء للقراء الكرام في موافاتهم بكل جديد في عالم الفكر الاسلامي.

اللجنة الاولى

الجاليات الاسلامية

ان اللجنة الأولى المنبثقة عن الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ، والمنعقد ببجاية فيما بين فاتح ربيع الاول و١٢ منه لعام ١٣٩٤ هـ الموافق لـ : ٢٥ مارس الى ٥ أبريل سنة ١٩٧٤ م وبعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة : الدكتورة ليلى الصباغ (سوريا) والدكتور محمد نجاة الله الصديقي (الهند) والاستاذ فرنسيس مونهايم (بلجيكا) والدكتور سلفاتوري بونو (ايطاليا) والدكتور عبد الكريم سايتو (اليابان) والاستماع الى المناقشات والتعقيبات ، والملاحظات وأسئلة الطلبة والرد عليها ،

ونظراً لما تبدى من تعرض الجاليات الاسلامية في المهجر ، لاوضاع اقتصادية

واجتماعية وثقافية سيئة ، وما يمكن أن يؤدي هذه الأوضاع اليه من عزلة وانفصام عن الوطن ، واندماج في المجتمعات المقيمة بها .

ونظراً لاشتداد محاربة أخطار الدعايات المعادية ، نتيجة لنشاط العنصرية والاستعمار والصهيونية ، كأحداث مارسيليا ، والاغتيالات الموجهة ضد العرب والمسلمين ، وما تتعرض له الأقليات الاسلامية من اخطار العنصرية كما هو الحال في الفلبين وايريتريا .

ونظراً لضرورة العمل على حماية حقوقها الانسانية ، وحرية ممارسة شعائرها الدينية .

وتكملة لما صدر من توصيات عن الملتقى السابع للفكر الاسلامي، فان الملتقى الثامن فيما يتعلق بالجاليات الاسلامية يوصي بما يلي :

١ ـ ضرورة مواصلة السعي بصورة منسقة على مستوى دول المغرب العربي من أجل استرجاع مسجد باريس .

٢ ـ تهيئة فرص العمل في البلدان الاسلامية لاعادة المغتربين للاسهام في تنميتها الاقتصادية .

٣ ـ تنسيق جهود السفارات الاسلامية وتوحيد خطة عملها لحماية هذه الجاليات من الاضطهادات ، وتوفير المناخ الثقافي الاسلامي للحيلولة دون انسلاخها عن شخصيتها الاسلامية. وتعليم ابنائها اللغة العربية لفهم الدين الاسلامي .

٤ ـ ارسال مرشدين للتوعية الاسلامية في أوساط اخواننا بالبلدان المقيمين بها ، وفتح مفتشيات ومراكز للشؤون الدينية لجاليات المغرب الاسلامي .

٥ ـ مطالبة الحكومات الاسلامية بتعيين موثقين بسفاراتها لمباشرة قضايا الاحوال الشخصية .

٦ ـ ضرورة التعاون بين مختلف الهيئات الاسلامية في المهجر ، والسعي لتنسيق العمل بينها .

٧ ـ الاهتمام بالمخيمات الصيفية الخاصة باستقبال ابناء المغتربين في الوطن الاصل ، وتوعيتهم بالثقافة الوطنية والاسلامية .

٨ ـ التعريف بقيم الاسلام وحضارته في البلاد المقيم بها المغتربون ، تمتيناً للعلاقات وحسن التفاهم والاحترام المتبادل ، ونشر اللغة العربية في هذه البلدان.

وفيما يتعلق بالاقليات الاسلامية ، يطالب الملتقى الثامن بما يأتي :

١ ـ أن تحترم حكومات البلاد التي بها أقليات اسلامية ، ميثاق الأمم المتحدة، وميثاق حقوق الانسان ، حماية لشخصية هذه الاقليات الجسمية والمعنوية .

٢ ـ ويطالب الحكومات الاسلامية بالقيام بواجب الاخوة الاسلامية تجاه هذه الاقليات المستضعفة .

٣ ـ العمل من طرف الحكومات الاسلامية على انشاء اذاعات موجهة الى الاقليات والجاليات الاسلامية .

وأما الجاليات غير المسلمة المقيمة في دار الاسلام ، فان الملتقى الثامن من بعد التقرير بأنها تتمتع بحقوقها الكاملة ، يوصي : بالاستمرار على هذه المعاملة الحسنة التي تمتعت بها هذه الجاليات في ظل الحكم الاسلامي ، والتي نصت عليها أحكام الشريعة الاسلامية .

اللجنة الثانية

دور الفكر في الحاضر والمستقبل

تناولت اللجنة الثانية بالبحث والمناقشة موضوع النقطة الثانية من نقاط الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ـ المنعقد ببجاية ١ ـ ١٢ ربيع الاول ١٣٩٤ هـ ، الموافق ٢٥ مارس ـ ٥ ابريل ١٩٧٤ م ـ على ضوء الابحاث والمناقشات التي جرت في الملتقى وعلى ضوء ما طرحه اعضاء اللجنة من آراء تبين لهم ما يلي :

اعتباراً للدور الاساسي الذي يجب أن يقوم به الاسلام في توجيه ثقافتنا ،

ونظراً لما للصراع الفكري المعاصر من أثر بالغ في توجيه المجتمعات ،

ونظراً لتكالب الاستعمار الثقافي من جميع الجهات على الشعوب المتخلفة قصد اخضاعها لتبعية فكرية ، وبالتالي لتبعية سياسية واقتصادية ،

ونظراً لتقنع كل هذه السمات الاستعمارية السيئة بقناع العالمية ، والعصرية ، ونشر الحضارة :

يرى الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المنعقد ببجاية من ١ - ١٢ ربيع الاول ١٣٩٤ هـ الموافق لـ (٢٥ مارس - ٥ ابريل ١٩٧٤ م) ما يلي :

١ - ان المفكر هو الملتزم بقضايا مجتمعه تحليلا ، ونقدا واثراء ، وريادة ، انطلاقاً من مفهوم الاسلام الصحيح .

٢ - ضرورة ارتباط المفكر بالمجتمع ومشاكله حتى يتسم تفكيره بالواقعية والالتزام ، وحتى يكون انتاجه ذا اثر فعال في التقدم المستمر لمجتمعه .

.. ونظراً لما تقدم يوصي الملتقى الثامن للفكر الاسلامي بما يلي :

١ - العمل على تحليل تراثنا الثقافي ، ودراسته ونقده ونفي الجوانب السلبية عنه وتوضيح العناصر الحية في صورة مناسبة للعصر ، مع تنشيط حركة احياء التراث .

٢ - العناية بكتابة تاريخنا كتابة منهجية تحرره من كل الوان التزييف الاستعماري ، والتحريف المغرض . وذلك لتزويد اجيالنا الصاعدة برؤية موضوعية سليمة لتاريخنا في سائر مجالاته ، ولبناء نهضتنا المستقبلة على بصيرة من ماضينا الذي شوهت بعض معالمه كثير من كتب التاريخ .

٣ - تؤكد توصيات الملتقى السابع الفكر الاسلامي خاصة وجوب ممارسة الاجتهاد ممن توفرت فيه شروطه .

٤ - أن يكون للمفكر المسلم اطلاع دقيق على التفكير العالمي المعاصر بروح نقدية حتى يستفيد من العناصر الايجابية منه ، ويرفض كل مايتنافى ومقوماتنا الاساسية .

٥ - الاستفادة من العلوم والتكنولوجيا ومن العناصر البناءة في تجارب الامم الاخرى تحقيقاً لكل ما يمكن مجتمعنا الاسلامي من تقدم حضاري ، ومقاومة كل ما يتعارض والعقيدة الاسلامية والاخلاق .

٦ - التزام وسائل الاعلام المختلفة بالسير في خط متواز مع مبدأ الاسلام ، وانما لنؤكد مرة أخرى توصيات الملتقى السابع الخاصة بوسائل الاعلام وندعو لمراعاتها .

٧ ـ نظراً لما للتربية والتعليم من أهمية بالغة في تكوين المفكر فان الملتقى يوصي بضرورة وضع فلسفة تربوية ترسم فيها الأهداف الأساسية الصالحة لاعداد المواطن المسلم . وتوضع بمقتضاها المناهج والبرامج الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف . ويعقد لهذا الغرض ملتقى خاص .

٨ ـ العناية بتدريس الثقافة الاسلامية في جميع المستويات التعليمية .

٩ ـ احداث جامعة اسلامية نموذجية من حيث التجهيز والأطر في كل قطر اسلامي لاعطاء التعليم العالي صبغة اسلامية ، بالاضافة الى تدريس جميع العلوم والتخصصات .

١٠ ـ التحرر من النزعة المكرية الأجنبية في ميدان الدراسات الاجتماعية والانسانية عامة تلك النزعة التي اصطبغت بها الجامعات في البلاد الاسلامية ، وتوجيه هذه الدراسات النظرية منها والتطبيقية الى تفهم التغييرات الاجتماعية التي يمر بها مجتمعنا اليوم .

١١ ـ العمل على اقامة دائرة معارف اسلامية موضوعية عصرية بمشاركة سائر المختصين في مختلف المعارف والفنون .

١٢ ـ مقاومة كل مظهر من مظاهر الجمود، واقتلاع جذور كل ألوان الشعوذة والدجل وكل رواسب الانحطاط وعوامل التخلف وكل أنواع الانحرافات عن السنة القويمة .

١٣ ـ العمل على تحقيق التعريب الكامل في البلاد العربية باعتبار اللغة العربية مقوما أساسياً من مقومات كياننا الوطني . والعمل على نشرها في مختلف البلاد الاسلامية لما لها من صلة وثيقة بالعقيدة والفكر الاسلاميين، وتؤكد توصيات الملتقى السابع فيما يتصل بالعناية بالعربية في البلاد الاسلامية باعتبارها **الاداة الضرورية** لفهم الاسلام فهما صحيحاً .

١٤ ـ تشجيع المفكر الجاد الفعال بمكافآت تقديرية لانتاجه الفكري .

١٥ ـ العمل على أن يشارك المفكر الاسلامي في اغناء الفكر الانساني ببذل الجهد من اجل تحقيق التفوق في سائر مجالات الفكر والفن والعلم استمداداً من أن

الفكر الاسلامي في أصوله فكر عالمي لايفرق بين بني البشر الا على أساس الخير والعمل الصالح قال تعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

١٦ ـ تضامن المفكر الاسلامي الفعال مع الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية المجابهة للصهيونية لتحرير فلسطين والقدس الاسلامية .

١٧ ـ مساهمة المفكر الاسلامي في بناء العالم الحاضر بدعم حركات التحرر للشعوب والدعوة لتصفية الاستعمار ومناصرة المضطهدين واقرار السلم والاحترام المتبادل بين سائر الامم ومناصرة كل القضايا العادلة في العالم .

١٨ ـ اضطلاع المفكر بدوره الطلائعي الفعال في أمته وعلى مستوى الانسانية كلها كموجه لها ، معزز لاتجاهاتها الصحيحة ، ناقد لأوضاعها الباطلة ، ومشاركة الفعالة في العمل على النهوض بمجتمعة في مختلف المجالات العقائدية ، والثقافية والاقتصادية ، والسياسية ، بغية تحقيق العدالة الاجتماعية وتمكين المواطن المسلم من حياة الحرية والكرامة الانسانية .

اللجنة الثالثة

بجاية الحضارية وأثرها في الفكر الاسلامي والعالمي

تناولت اللجنة الثالثة بالبحث والمناقشة موضوع النقطة الثالثة من نقاط الملتقى الثامن للفكر الاسلامي ـ المنعقد ببجاية من ١ ـ ١٢ ربيع الأول ١٣٩٤ هـ الموافق ٢٥ مارس ـ ٥ أبريل ١٩٧٤ م . ـ وعلى ضوء الابحاث والمناقشات التي جرت في الملتقى .

ـ وعلى ضوء ماطرحه أعضاء اللجنة من آراء تبين لهم مايلي :

* ان عوامل ازدهار الحضارة ببجاية ومشاركتها في الفكر الاسلامي والعالمي تعود الى ما يلي :

اولا موقعها الجغرافي المميز وما نجم عنه من آثار في النهضة الاقتصادية

ثانياً ما يتمتع به السكان من استعداد فطري حسن ومقدرة على تمثل معطيات الحضارة العالمية .

ثالثاً ماكان للاسلام من فضل في توحيد صفهم وتربيتهم وصقل نفوسهم بالمساواة بينهم في الحقوق والواجبات .

رابعاً ما تحقق من انسجام بين السلطة الحاكمة والشعب واتضح من حرص السلطة على احقاق العدالة بين الناس والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ .

خامسا . ما اتصف به نظام الحكم من حرص على تحقيق التسامح الديني في ميدان المعايش والثقافة ، وخير مثال على ذلك وجود المسجد كجامعة علمية للمسلمين ، ومنارة «بيت الحكمة» يؤدي نفس المهمة العلمية للمسلمين ولغيرهم ممن كانوا في بجاية أو وافدين عليها لطلب العلم والمعرفة .

سادساً احتضان بجاية لطلاب العلم والعلماء من الاندلس والمغرب وقيام الندوات للبحث والدرس والمناظرة والاستماع .

سابعاً احتضانها لكبار المفكرين ذوي المبادىء البناءة التي ساعدت على انشاء حضارات انسانية وفيها التقى ابن تومرت مع تلميذه عبد المؤمن بن علي على تخطيط ادى الى تأسيس دولة الموحدين التي قامت على انقلاب جذري .

ثامناً المساهمة الفعالة من علماء القرى في منطقة بجاية وما نجم عنها من مساهمة فعالة في النهضة الفكرية والحضارية داخلا وخارجاً .

تاسعا النهضة العمرانية المتمثلة في الاهتمام بالري ، والمواصلات من انشاء الطرق وتعبيدها ، وتنظيم القوافل ، وتوفير الأمن لسيرها والانتفاع بها .

عاشراً التكامل في ميدان الانتاج : الزراعة والصناعة والتجارة وما تبعه من مركب بحري كامل يقوم على ديوان البحر والميناء والاسطول والمعاهدات التجارية والعمليات المصرفية التجارية .

حادي عشر الاصالة في الفن المعماري والزخرفي في بجاية وانتقاله الى مراكز

الحضارة في حوض البحر الابيض المتوسط الغربي وخصوصاًصقيلية وسردانية.

* وأما عوامل انحطاطها فقد رأوا انها تعود الى مايأتي :

اولا ما تعرضت اليه من غزوات نصرانية من النورمان ، والاسبان ، وفرسان مالطة وغيرها من اخوايات الفرسان ، ومن هجمات الأساطيل لجمهوريات كبيشا ، وجنوه ، والبندقية ، واخيراً هاجمها اسطول شرلكان واحتلها وشرد جنده سكانها وخرب معالمها ، وقضى على نشاطها في ميدان الفكر .

ثانياً ما أصابها من فتن او حروب ناشبة بين المسلمين ، كهجومات بني غانية وافتكاكها من ايديهم .ومن قبلهم استيلاء الموحدين عليها واسقاطهم لدولتها واعتبارهم اياها عاصمة ولاية بعد ان كانت عاصمة دولة . ثم هجمات المرينين ، والحفصيين. والزيانيين ، وغير ذلك من فتن الثورات والانقلابات بين الولاه .

ثالثاً ما تعرضت له من افسادالاعراب وتخريبهم لباديتها وقطع طرق المواصلات وافساد نظام الري والقوافل ، وتخريب القرى والمنشآت الزراعية .

رابعا نقل حكام الترك عاصمة الدولة منها الى الجزائر ـ وكانت عاقبة ذلك فقدانها لدورها التاريخي في الحضاره والاقتصاد والعلم .

خامساً هجرة سكانها واعيان رجالها من علماء وتجار واداريين بحلول جيش الاسبان بها منذ سنة ٩١٥ هـ ـ ١٥٠٩م وانتقال مركز الحكم والمقاومة ودور العلم الى داخل البلاد .

سادساً انهيار الاخلاق وتفشي الفساد والاقبال على اللهو واللعب والترف يدل على ذلك قيام ابن تومرت بتحطيم آلات الطرب وتكسير اواني الخمور وخيانة بعض قاده الجيش والوزراء الذين فتحوا الباب لعبدالمؤمن وانهوا بعملهم دولة الحماديين.

ان اللجنة بعد أن عرضت دور بجاية المشرق أيام عزها ودواعي انحطاطها وما آلت اليه مستخرجة من التاريخ العبر والعظات تود ان ترى بجاية تعود الى عزها السابق وتلعب دوراً في خدمة الفكر والحضارة حقيقاً بسمعتها التاريخية ولهذا فانها توصي بما يأتي :

اولا بالعمل على كتابة تاريخ كامل لبجاية في مختلف عصور تاريخها .

ثانياً باعداد «بيبليوغرافيا» أي ثبت مستوعب لمصادر بجاية الحضارية مستمد من الكتب وأوراق الخزائن والاثار وغيرها .

ثالثاً باعداد ديوان (كربوس) لآثار بجاية من قصور ومساجد وقلاع وشواهد قبور ، ونقوش الخ ...

رابعاً باعداد ديوان لرجال بجاية في شتى الميادين وديوان للامكنة الجغرافية يستفاد منه .

خامساً باعداد ديوان للمخطوطات البجائية والبحث عنها والكشف عن طلوسها. مايوجد منها في مكتبات اروبا وأمريكا وآسيا .

سادساً تكوين معهد الدراسات البجائية .

سابعاً اعداد ديوان (كربوس) عن النقود والصياغة واللباس والأسلحة والفولكلور وايجاد متاحف لذلك .

ثامناً ضبط مجموعات الفن التطريزي والرسوم والموسيقى .

تاسعاً اقامة لوحات تذكارية تعين الاماكن التاريخية وتشرح دورها الماضي التاريخي .

عاشراً تنظيم مواسم ثقافية لاحياء ذكرى بعض اعلام بجاية في ميادين الفكر والجهاد .

حادي عشر العمل على انشاء كلية علمية تابعة للجامعة الاسلامية في بجاية احياء للمهمة التي كان يضطلع بها (بيت الحكمة) .

اللجنة الرابعة

مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في التراث الانساني

١ - تمهيـد

بلغت الحضارة الاسلامية مرتبة رفيعة في التاريخ وتميزت بالاصالة والرحابة، ولكن اسباباً كثيرة - أخلاقية واجتماعية - قد أثرت في هـذه الحضارة فادت الى

تأخرها ، في مختلف المجالات . ويرى اعضاء اللجنة ان ذلك التأخر يعود الى عدة اسباب اهمها :

٢ - أسباب الانحطاط

١ ـ الابتعاد عن روح الدين، والقعود عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . والنكر للاجتهاد ، والانصراف عن التشريع الاسلامي . ويضاف الى ذلك مجافاة روح العلم والانحراف عنها انحرافاً انتج تخاذلا عقلياً واخلاقياً . تلمس آثاره في المجتمع الاسلامي المعاصر .

٢ ـ فقدان الحرية الفكرية ، وتهاوي الروح المعنوية ، وما صحب ذلك من التفكك في الوحدة الاسلامية عامة .

٣ - شروط الانبعاث

ولبعث الفكر والحضارة الاسلاميين ، ترى اللجنة ان تقدم بالتوصيات الآتية:

١ ـ احياء التراث الاسلامي بين أهله ، والعمل على نقله الى غيرهم .

٢ ـ وضع فهارس جديدة للمخطوطات الاسلامية الموجودة في مختلف دور الكتب في العالم ، ونشر ما يستطاع نشره من هذا التراث .

٣ ـ الحرص على تشجيع نشر الكتب العلمية باللغة العربية ، لكبار المفكرين في الاسلام والقضاء على المعوقات الحالية التي تعرقل انتشارها .

٤ ـ العناية بالتربيـة الاسلامية في مراحل التعليم المختلفة لتجديـد شخصية الانسان المسلم ، وابراز قيمه الاخلاقية .

٥ ـ الحرص على تدريس مادتي «الحضارة الاسلامية» «وتاريـخ العلوم في الحضارة العربية الاسلامية» في الجامعات والمدارس الثانوية الاسلامية .

٦ ـ العمل على تهيئة الاستقرار النفسي والمادي للمفكرين والعلماء في العالم الاسلامي ، حتى يفرغوا للانتاج الفكري ، للقضاء على الاسباب الحقيقية الداعية الى هجرة العقول الاسلامية . مع بذل الجهد لاسترجاع اكبر عدد ممن هجروا ديار الاسلام.

٧ ـ تزكية التعـليم العالي في العالـم الاسلامي والعربي ، لكـي يستجيب لمطالب النهضة .

٨ ـ تنسيق الجهود في جميع الميادين مع تبادل ذوي الكفايات والامكانيات الضرورية لانبعاثهم ومساهمتهم في موكب الحضارة الانسانية .

ويحيى الملتقى بالتفاؤل بوادر الوعي الجديد الذي بدأت تتجلى مظاهره في العالم الاسلامي

اللجنة الخامسة

الانية والاصالة والتفتح والعالمية

التوصيات

اجتمعت اللجنة الخامسة يوم الاحد ٧ ربيع الاول ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤/٣/٣١م ، برئاسة معالي السيد عبدالله بن بيه، وزير العدل في الجمهورية الاسلامية الموريتانية، رئيسا شرفيـا ، والدكتور زكي نجيب محمود . أستاذ المنطق الوضعي بجامعـة القاهرة ، رئيساً فعلياً .

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته تقرر اللجنة ما يلي :

اولا: تحديد مفاهيم الانية والاصالة والتفتح والعالمية

١ ـ **الانية:** هي وعي الذات لنفسها وتوكيدها كذات مسلمة .

٢ ـ **الاصالة:** هي تنمية الذات بالتزام القيم الاسلامية والتعبير عن هذه القيم في مختلف مجالات الحياة .

٣ ـ **التفتح:** هو تبليغ رسالتنا الروحية الى العالم في ممارسة الاخذ والعطاء . وهي اقتباس كل ما تتأكد الحاجة اليه مما هو لدى غير المسلمين في حدود الاصالة .

٤ ـ **العالمية:** بعد التوكيد أن ما يدعى بالمعاصرة هو تعبير عن الحضـارة الغربية في طور سيطرتها وأنه لا ينبغي لها ادعاء تمثيل البشرية جمعاء فان اللجنة ترى أن العالمية هي تلك الجوانب التي تلتقي فيها مجموعة الثقافات على تنوعها .

وبناء على هذه التعريفات الاولية ترى اللجنة الا تناقض بين هذه المفاهيم التي يمكن أن تتعايش في حياة اسلامية موحدة ـ وبعبارة جامعة فعلى المسلم أن ينظر الى

المعاصرة من منظار الاسلام ولا ينظر الى الاسلام من منظار المعاصرة .

ثانياً : **التوصيات**

ولذلك كله توصي اللجنة بما يلي :

١ ـ في ميدان التربية :

أ ـ بأن تبث التعاليم الاسلامية الصحيحة للناشئة في مراحل التعلم كلها بحيث ينتهي الدارس وهو متمسك بالتعاليم وملتزم بها .

ب ـ توصي اللجنة بتعميم التدريس على جميع مستويات التعليم باللغة العربية حرصاً على تبليغ الاسلام وتعاليمه باللغة الأصلية ، لغة القرآن .

ثانياً : **في ميدان وسائل الاعلام**

أ ـ توصي اللجنة بأن تعمل وسائل الاعلام المكتوبة والمصورة والمنطوقة على نشر الثقافة والمفاهيم الاسلامية الصحيحة .

ب ـ كما توصي بمراقبة جميع ما تستورده وسائل الاعلام ، في ميدان السينما والتلفزيون وغيرهما للحيلولة دون نشر وانتاج كل ما يتنافى مع الاسلام .

ثالثاً : **في ميدان الفكر والادب والفن**

أ ـ توصي اللجنة بأن يضطلع رجال الفكر والأدب والفن ـ كل بوسيلته الخاصة ـ بمهمة ترسيخ صورة الحياه الاسلامية كما ينبغي لها أن تكون حتى نضمن للجماهير الاسلامية غذاء فكرياً وأدبياً وفنياً نابعاً من الروح الاسلامية ومعبراً عنها .

ب ـ بدعوة المسؤولين السياسيين ورجال الادب والفن والفكر الى أن يواجهوا خطر الغزو الفكري بما يدفعه عن الامة الاسلامية التي يشكك في مقوماتها .

رابعاً : **في ميدان نقل العلوم**

توصي اللجنة بنقل العلوم الطبيعية والتجريبية والتكنولوجية الى الشعوب الاسلامية بلغاتها الوطنية للاستفادة منها على أوسع نطاق وليكون ذلك وسيلة في ايدي المسلمين تمكنهم من التحكم في عصرهم اثباتاً لوجودهم .

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الثالث ـ السنة الثالثة

رجب ـ ١٣٩٤ هجريه

الفهرس

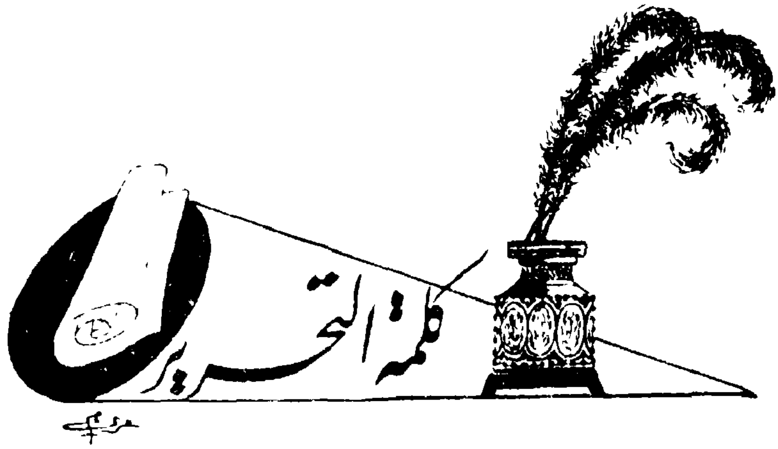
حكمة العدد

الا وان اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة والغاية النار ، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته؟ الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟ ألا وانكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ، ولم يضرره أجله، ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، وضره اجله. ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة .

الامام امير المؤمنين ع

في
نهج البلاغه

بسم الله الرحمن الرحيم



التنازلات المبدئية

أحد أدوائنا المعاصرة

كانت نغمة نشازاً .. تلك التي رددها بعض كتاب هذا العصر حول الدعوة الى حل الخلافات الفكرية ، والاختلافات المتنوعة في وجهات النظر على أساس جذري(!!) هو الرجوع الى المبادىء وتغييرها (!)

.. ولئن وجدت هذه الدعوة من يؤيدها ولو بطرف خفي .. فانها على الاغلب قد رفضت من قبل الكثيرين بل الاكثرية الساحقة ممن تعرضوا لها بالخصوص أو بطريقة غير مباشرة .. لانها وبأبسط عبارة تتعارض على الاقل مع الايمان بالمبدأ أياً كان ذلك المبدأ وأياً كانت الاسباب التي أدت الى اعتناقه .

وقد لا تعجب اذا كانت هذه الدعوة منطلقة في اناس يختارون مبادئهم اعتباطاً ، ووفقاً لميولهم الشخصية .. ولكن العجب ان تكون منطلقة في امة وعت أن حياتها في مبدأ معين دون غيره ، وان فطرتها والواقع يركزان عليه .. فاعتنقته .. فأحياها بعد موت وأيقظها بعد غفوة ، وجعلها محور الحضارات بعد أن كانت تركض وراء السراب !!

كان هذا كله على الصعيد الشعوري حيث ووجهت هذه الفكرة بالرفض الشامل .

ولكن الذي يدعو الى الاسف ان نشاهد بعض افراد الامة الذين تصدوا لمراكز حساسة فيها من قيادة فكرية أو اجتماعية قد تنازلوا عن قضايا مبدئية بشكل لا شعوري ـ كما يبدو ـ حتى عدنا نرى هذا التنازل يتعدى جانباً أو جانبين ليصبح ظاهرة مرضية خطيرة .. تتطلب المزيد من العناية والبحث عن اسبابها وطرق علاجها ومحو مظاهرها ..

وعندما نحاول التصدي لمعرفة أسباب هذه الظاهرة الغريبة خصوصاً على امتنا تبرز

لنا ظواهر اخرى ، تشكل بدورها المبررات الموضوعية والعلل الرئيسية لها .

وأبرزها جميعاًهو انعدام (الوعي الشامل) للشريعةالاسلامية ، وعقائدها ونظراتها العامة ونظرياتها الشاملة لكل نواحي الحياة .

وهذه الظاهرة لا تشكل علة بروز المرض الذي نتحدث عنه فحسب بل هي في الواقع علة العلل في كل مشاكلنا الاجتماعية.

ولقد أثرت هذه الظاهرة في ايجاد صنفين من المؤمنين ، لا يرى الاسلام انهما ممن يصح أن يوصف بـ(الايمان) .

الاول : صنف المؤمنين المقلدين للاباء والمحيط .

الثاني : صنف ضعاف الايمان الذين هم في أية لحظة مستعدون للتخلي عن نقاط مبدئية في سبيل خلق التلاؤم بين عقيدتهم والاراء الوافدة .

.. وقد زاد الطين بلة تلك النكبات الاجتماعية المريرة التي مرت بها امتنا ..فلم تصح الا والاعداء يحيطون بها من كل جانب والغزو بكل أوجهه يحطمها ويفرض عليهـا نفسه رائداً وبانياً .

وهكذا تهيأت الارضية الملائمة ـ مع الاسف ـ لبروز ظاهرة التنازلات اللاشعورية على مختلف الاصعدة .

والذي يهمنا أن نتعرض له هنا ونشير اليه من مظاهر هذه الظاهرة هي بعض تأثيراتها في المواقف الفكرية ، والمواقف العملية .

أما تأثيراتها في المواقف الفكرية فيمكننا ان نلمحه بكل سهولة حيناً . . وبشكل معمق أحياناً اخرى .

فمن الاشياء التي ما عادت بدعاً ـ وهي بدع ـ ما نلاحظه من مؤلفات فكرية كثيرة كلها تركز على أن تلبس الافكار الغريبة تماماً على الروح الاسلامية لبوساً مبدئيا يجعلها تتجاوز مرحلة قبول الاسلام لها الى مرحـلة تبنيها واشاعتها ، في حين انها في الواقع تتعارض مع المبادىء الاسلامية معارضة جوهرية، ولا تعني عملية التوفيق بينهما الا التنـازل عن مقتضيات المبدأ نفسه .

وفي الامثلة الشائعة في هذا المجال ما نسمعه أحياناً من نغمات «الاشتراكية الاسلامية، والوطنية في الاسلام ، والقوميـة المؤطرة باطار الاسلام ، والديمقراطية في التشريعات الاسلامية» .

كما ويمكننا ان نصنف الى جنبها كـل الدراسات التي تحاول أن تنطلق في دراستها للحياة الفكرية والعملية الاسلامية من منطلق (الباحث الاجتمـاعي) الذي يفسر كل شيء بعامل اجتماعي ، متناسياً كل مبادئه ومسلماتها الاولية . . . أو اولئـك الذين يحاولون أن يبنوا ما يعتقدون على أساس من المنافع المادية التي يمكن تصورها لذلك تماما كما تقول نظرية (البراگماتزم) ، وقد تسمح لنا فرصة اخرى نتعرض بالتفصيل لهذا الجانب ومـا يعكسه من ظواهر .

وأما المواقف العملية والتي نشاهدهـا اليوم تتكثر على الساحة الاجتماعيـة ومجال التعامل مع الاعداء التقليديين للامة فهي ذات أمثلة كثيرة ، نقتصر منها على مثال واحـد، لاهميته وارتباطه بمستقبل مصيري لهذه الامة.

وهذا المثال هو « القضية الفلسطينية » والمواقف المتنوعة منها .

والمتتبع لتدرج المواقف من القضيـة منذ ارهاصات الهجوم اليهودي وحتى اليوم يجد التناقض العجيب بينها أولا ، ويشاهـد التنازلات المبدئية الكبرى بعد ذلك .

فلقد كانت مواقف المسلمين من القضيـة واحدة في البدء ، وهي كلها تؤكـد على ان الاسلام لن يقبل مطلقاً أن يضام أهله ، وان تسلب أرض هي جزء حبيب من أراضيه،وعلى هذا الاساس فقد قاوم الجميع وتعاون الجميع

وكاد العدوان يرفع لولا تدخل القوى الكافرة الكبرى على اختلافها واحتضانها القضية الصهيونية ، ودعمها بكل وسائل الدمار : الفكرية والعسكرية، وحل الاحتلال واقتطعت الارض ، وأصيبت الامة بهذه النكبة .

وهنا لم تكف اليد الاثمة عن العمل بل عملت على أن تنسي الامة قضيتها هذه وتهونها لديها . . فما قيمة أرض صغيرة أمام كل تلك الصعاب التي يجب أن تواجهها الامة في تحريرها أولا ؟ ثم ليست هي الا قضية تخص طائفة من هذه الامة ، وهنا بدأت التنازلات العربيه بحصر القضية بالامه العربيه ، واماته كل مساهمة فعالة في مجال مساهمة المجموع الاسلامي في التحرير .

ولئن تجاوزنا عن التنازلات الاخرى ، ـ وهي بدورها خطيرة ـ فاننا نعتبر رفع شعار «الدولة العلمانية» هو المرحلة التالية ، التي تشكل تنازلا خطيراً . . فأني يا ترى يمكن أن نبرر رفع هذا الشعار في وسط معركه الاسلام والصهيونية الحاقدة ، ومن قبل من يعتبرون رأس الرمح في العمل نحو تحرير فلسطين ؟! ثم ألا يعتبر رفع هذا الشعار تفريطاً بكل ما يمكن أن تقدمه الوحدة الاسلامية والتعاون الاسلامي في الامة الاسلامية من عون فعال في سبيل التحرير الكامل ؟ !

قد يقول البعض من أصحاب هذا الشعار انه السبيل الوحيد لاقناع اوربا بأننا لا نريد أن نلقي اليهود في البحر .. ولكن هذا المنطق بعيد عن الصواب ، اذ متى رأب اوربا المجتمع الاسلامي يلقي أهل الكتاب في البحر . . ان اليهود والنصارى عاشوا في كنف المجتمع الاسلامي قرونا وقرونا يتمتعون بحقوق هي فوق الكفاية ماداموا ملتزمين بقوانينه العامة، هذا بالاضافة الى أن رضا الرأي العام الغربي لا يعني الا التنازل التام لا غير، وذلك مضمون قوله تعالى : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم !.... » .

اللهم ان هذا تنازل خطير وان لم يشعر به أهله .

واليوم نجد على الساحة الاسلامية أشباحاً اخرى لتنازلات أعمق وأبعد غوراً من أمثال الشعبين المنفصلين . . وأخيراً الفكرة القائلة بأن النزاع انما هو في جوهره اختلاف وجهة النظر بين الدول العربية واسرائيل، ولا دخل للقضيه الفلسطينية في البين !

ويجب التنبيه هنا على أن مثل هذه التنازلات تعني الاستسلام للامر الواقع ، وهو يحمل في ثناياه ضياع الكثير من ممتلكاتنا ، ويتطلب منا فيما بعد الكثير من التنازلات الاخرى التي يضيق عنها الحصر .

وأخيراً فاننا نذكر الاخوة المسلمين بتعاليم الاسلام الخالدة التي لن تتغير أو تتبدل ، وبطريقته التي ستبقى هي هي الطريق الامثل لنجاة البشريه، وبأوامر القرآن الحكيم ووعوده بالنصر لو استقمنا على الطريقة .

«وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً » .

«قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون».

كما ونذكرهم بأن أي تنازل عن أي جزء من مقتضيات العقيدة يعني في الواقع تنازلا عن الكل ، وهذا ما يمكن أن نستفيده من انكار القرآن على من يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الاخر ، وذلك ان العقيده والنظام الاسلامي كل مترابط لا يقبل التجزيء.

وفق الله الجميع للخير والصواب والعمل في سبيله انه السميع المجيب .

هيئة التحرير

النبي لا ينسى ما يوحى اليه من القرآن

السيد ابو الفضل ميرمحمدي

ان عصمةالنبي (ص) عن النسيان ، فيمايتعلق بالاحكام الشرعية ، وتبليغها ، وعلى الاخص بالنسبة لمايوحى اليه من الايات القرآنية . . لهي من الامور البديهية، التي يحكم بها العقل ، ويدل عليها النقل . .

وقد اخترنا أن يكون محل بحثنا هنا هو الشق الثاني . . أعني : عصمته صلى الله عليه وآله وسلم عن نسيان ما يوحى اليه من الايات القرآنية . . وان كنا قد نستطرد في البحث الى جهات اخرى ترتبط بهذا الموضوع ، من قريب او من بعيد . . هذا . .

ويدل على عصمته (ص) عن نسيان ما يوحى اليه من القرآن عدة آيات ، نذكر منها :

اولا: قوله تعالى : **لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه، وقرآنه، فأذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه . .» (١) .**

قال في مجمع البيان : «خاطب سبحانه نبيه (ص)؛ فقال: «لا تحرك به لسانك لتعجل به»، قال ابن عباس : كان النبي (ص) اذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه به ،

---

(١) القيامة الاية ١٦.

لحبه اياه ، وحرصه على أخذه وضبطه ؛ مخافة ان ينساه ؛ فنهاه‌الله عن ذلك .. الى أن قال : وقال البلخي : الذي اختاره أنه لم يرد القرآن ، وانما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة ؛ يدل على ذلك ما قبله ، ومابعده» . . .

ومن الواضح أن البلخي يشير الى قوله تعالى قبلها : «ينبؤ الانسان يومئذ بما بما قدم وأخر ، بل الانسان على نفسه بصيرة ، ولو القى معاذيره» والى‌قوله‌تعالى‌بعدها: «وجوه يومئذ ناضرة‌الى ربهاناظرة» . .ولكن هذه الايات المتقدمة والمتأخرة عن الايات التي نحن بصددها ، والتي يستشهد بها البلخي . . وان‌كانت واردة‌لبيان الحقائق الاخروية ، ومقتضى السياق حينئذ أن يكون قوله تعالى: لاتحرك‌به لسانك الخ ناظراً الى الامور الاخروية ايضاً .، الا ان قوله تعالى : ان عليناجمعه وقرآنه، وكذلك قوله تعالى : ثم ان علينا بيانه . . لايساعد على ان يكون المرادأن لا يحرك به لسانه في الآخرة حسب ماذكره‌البلخي ، وعليه فالظاهران هذه جملة معترضة لا تحتاج فى تمام معناها الى ماتقدم وما تأخر عنها . .

وخلاصة القول هنا : ان الاية دالة‌بظاهرها على منع النبي (ص) من تحريك لسانه بالقرآن ، ومنعه عن القراءة حتى يتم جبرئيل (ع) قراءته ، وبعدذلك يقرأ النبي (ص) امتثالا‌لقوله تعالى :فاذا قرأناه‌فاتبع قرآنه،واذاثبت مانقل عن‌ابن‌عباس: فان الاية تدل أيضاً على‌ان النبي (ص) لاينسى القرآن حتى ولوصبرولم‌يعجل،والا فلا معنى لنهيه حينئذ . . ويؤيده قوله تعالى: ان‌علينا جمعه ، اى: فى‌صدرك،كما فى مجمع البيان . . وقال فى الكشاف : ثم‌علل النهي عن العجلة بقوله : ان علينا جمعه فى صدرك ، واثبات قراءته في‌لسانك . . الى ان قال : فكن مقفياً‌له ، و لا تراسله ،وطامن‌نفسك ؛ انه لا يبقى غير محفوظ ، فنحن في‌ضمان تحفيظه . .الخ».

وثانياً:قوله تعالى : «ولا تعجل بالقرآن من قبل‌ان يقضى اليك وحيه، وقل رب زدنى علماً» (١) .

قال في تفسير البرهان : «قال ــ أى القمي ــ كان رسول الله (ص) اذا نزل

(١) طه الاية ١١٤ .

عليه القرآن يبدأ (بادر خ ل) بقراءته ، قبل نزول تمام الاية والمعنى ؛فأنزل الله: ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه، أي : يفرغ من قراءته» انتهى ..

وقد روى في الدر المنثور (٢) هذا المعنى عن ابن ابى حاتم ، عن السدي ، الا أن فيه : انه (ص) كان يفعل ذلك حوفاً من النسيان» ..

وهذا هو أحد الوجوه الثلاثة التي فيمجمع البيان ..

والمعنى الثاني: ما قال (ره) فيهمن أن معناه :ولاتقرأهلاصحابك،ولاتملهعليهم؛ حتى نبين لك معانيه ،عن مجاهد ، وقتادة ، وعطية، وأبىمسلم.

والمعنى الثالث : ماقالهرحمهالله فيه (أي في المجمع) أيضاً ، أن المعنى: ولا تسأل انزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه ؛ فان الله تعالى انما ينزل القرآن على وفق المصلحة ، واقتضاء الوجه . . .

هذا . . والظاهر بعد التدبر في الاية أنه يحتمل فيقولهتعالى: منقبلانيقضى اليك وحيه ، وجهان :

الاول:ان يكون نهياً للنبي (ص) عن التعجيل في قراءه القرآنقبلان يوحى اليه ، فكأنه (ص) كان مطلعاً على القرآن قبل ان يوحى اليه ثانياً ، ولكنه قدمنععن الاظهار في هذه الاية ويؤيد هذا الوجه الروايات الدالةعلى ان القرآن قد نزلعلى النبي (ص) دفعة ، قبل أن ينزل عليه نجوماً . .

لكن هذا الوجهلايتلائم ، ولاينسجم مع التعبيربكلمة«يقضى» الواردةفيالاية.

الثاني:أن يكون نهياً للنبي (ص)عن القراءة قبل كمال الوحيوتمامه،ويكون وزان هذه الاية وزان قوله تعالى : لا تحرك به لسانك لتعجل به . .

ويشهد لهذا الوجه أنه (ص) لم يكن يعلم الكتاب ،كما قال عزوجل:ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان (١) «وان كان يحتمل أن تكون هذه الاية لبيان حال النبي (ص) قبل نزول الوحي عليه دفعة ونجوماً» .

---

(١) على مافي تفسير الميزان ..

(٢) الشورى الاية ٥٢ .

ويشهد لهذا الوجه ايضاً التعبير في الاية بكلمة «يقضى» ، الدالةعلى أن (ص) كان يعجل بالقرآن قبل انقضائه ، أي : قبل تمام الوحي . .

وهذا الوجه في الاية هوالاقرب للاعتبار بالنظر الى سياق الاية، واعتضادهذا السياق بالاية الاخرى المشار اليها آنفاً ، أعني قوله‌تعالى : لاتحرك‌به لسانك‌الخ..

وحينئذ ، وحيث ثبت أنه (ص) كان يعجل في قراءة القرآن‌قبل كمال‌الوحي وتمامه ؛ فلابد وأن يكون ذلك منه (ص) لغرض مقتض لذلك التعجيل ، وهو كما عن الدر المنثور خوف النسيان ؛ فنهاه عزوجل عن التعجيل هذا . . مما يعني‌تعهداً ضمنياً منه عزوجل بأنه لاينساه ، والا لم يكن معنى للنهي المذكور . .

ثالثاً:قوله تعالى : سنقرؤك فلا تنسى ، الاماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ، ونيسرك لليسرى ، فذكر ان نفعت الذكرى» (١) .

ودلالة هذه الاية على المطلوب أظهر من الايات المتقدمة حيث انه‌تعالى‌وعد نبيه(ص) بالاقراء ، الذي هو -على مانص عليه اهل‌اللغة-أخذ القراءة على القارىء بالاستماع لتقويم‌الزلل، يقال : أقرأ الاستاذ ، وقرأ التلميذ ، لتثبيت القراءة في‌ذهن ذلك التلميذ ، أو لتصحيح قراءته ، وتنقيتها من الاغلاط .

ومحصل معنى الاية : نحن‌نجعلك‌قارئاً ، وانك لاتنسى لاننا نثبت القراءة في ذهنك؛ لتتمكن من قراءة القرآن كما أنزل ، من غير تبديل بزيادة او نقيصة ؛او تحريف: بسبب النسيان ، وعليه فالاقراء المراد بالاية هو الاقراء لتثبيت المعنى في الذهن لا الاقراءلتصحيح الاغلاط ؛ اذ لم يعهد من النبي أنه يقرأ شيئاً فيغلط فيه اولا يحسن قراءته . .

وأماقوله‌تعالى :الا ماشاء الله فهو كماقال‌العلامةالطباطبائي في‌تفسير الميزان.. ليس استثناء لاخراج بعض افراد النسيان من عموم النفي ؛ اذ لا معنى لاختصاص هذا الوصف «أعني نسيان اشياء وحفظ أشياء» بالنبي (ص) بلحن الامتنان عليه به ، مع كونه مشتركاً بينه‌وبين غيره ؛ اذ أن كل انسان يحفظ‌شيئاً وينسى اشياء . .بل‌هو

---

(١) الاعلى آية ٦ .

استثناءمفيدلبقاء القدرة الألهية على اطلاقها ، بمعنى أن له عزوجل انيشاء انساءك متى شاء ، وان كان لايشاء ذلك ، فهو نظير قوله تعالى : **«واما الذين سعدوا ففى الجنةخالدين فيهامادامت السماوات والارض الاماشاء ربك عطاء غيرمجذوذ..»**(١) وقوله تعالى: **«ولو شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ، ثم لاتجدلك به علينا وكيلا . .»** (٢) .

الى غير ذلك من الايات التي يمكن الاستدلال بها للمقام ،ونحسب ان فيما ذكرناه كفاية ...

هذا .. وبعد ان عرفنا مايقوله القرآن ـ وقوله الفصل،وحكمه العدل ـ فىهذه القضية ، وفى كل قضية .. فان من الطبيعي ان نجد الامامية متفقين تقريباً فى هذه المسألة ؛حيث ان المعروف بينهم هو عصمة الانبياء عن النسيان والخطأ ، الامانسب الى الصدوق ، وشيخه ابن الوليد من تجويزهما الاسهاء من الله ، لاالسهو الذى يكون من الشيطان ، ولعلهم ـ أى الاصحاب ـ قداستندوا في قولهم بعصمةالانبياء عن الذنب والنسيان والخطأ الخ . . الى حكم العقل القاضي بوجوب عصمتهم عن كل رذيلة ونقيصة ، قال المحقق الطوسي في تجريد الاعتقاد : « .. ويجب في النبي العصمة ، ليحصل الوثوق ، فيحصل الغرض ... الى ان قال : و كمال العقل ، والفطنة ، وقوة الرأى ، وعدم السهو ... الخ» ،وقال العلامةفى شرحه لهذا الكلام « .. ولا يصح عليه السهو ، لئلا يسهو عن بعض ماأمر بتبليغه ، ووانضح أن السهو معناه النسيان، والذهول عن الامر ..»

ولايخفى أن مانسب الى الصدوق من جواز السهو على النبي (ص) ، انما هو في الصلاة وغيرها من الاحكام المشتركة بينه (ص) وبين سائر الناس ، واماماكان مخصوصاً به (ص) كالتبليغ فقد صرح رحمه الله بعدم جواز وقوع السهو مطلقاً فقد قال في «الفقيه» فى احكام السهو :«ان الغلاة والمفوضةينكرون سهو النبي(ص)

---

(١) هود الاية ١٠٨ .

(٢) الاسراء الاية ٨٦ .

ويقولون : لوجاز أن يسهو في الصلاة ، جاز أن يسهـو فى التبليغ ، لان الصلاة عليه فريضة .. وهذا لايلزمنا ، وذلك لان جميع الاحوال المشتركة يقع على النبي فيها مايقع على غيره ، وهو متعبد بالصلاة كغيره ممن ليس بنبى ، وليس كل من سواه بنبى كهو ، فالحالة التي اختص بها هي النبوة، والتبليغ من شرايطها، ولايجوز أن يقع عليه فى التبليغ مايقع عليه في الصلاة .. الخ ماقال » .

واما شيخه ابن الوليد ـ على ما نقله الصدوق ايضاً فى فقهه باب السهو فى الصلاة ـ فهو ايضا قد ذهب الى ذلك حيث قال فى الأخبار الدالة على سهوه (ص) « ولوجاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى ، لجاز أن تـرد جميع الأخبار الخ » .

وعليه فما قاله العلامة المجلسي ره فى البحار ج ٦ من الطبعة القديمة فى باب سهو النبي (ص) من أن : «اصحابنا الامامية رضوان الله عليهم اجمعوا على عصمة الانبياء ، والائمة صلوات الله عليهم من الذنوب ، الصغيرة والكبيرة ، عمداً وخطأ ونسياناً ، ولم يخالف فيه الا الصدوق ، محمد بن بابويه ، وشيخه ابن الوليد قدس الله روحهما ..»،

ـ هذا القول ـ اعني : نسبة المخالفة الى الصدوق ، وشيخـه ـ صحيح فى غير التبليغ ، كما اتضح من عبارة الصدوق المتقدمة ، واما في الذنوب الصغيرة والكبيرة ، وكذلك في نحو التبليغ ، فلم يخالف فيه أحد الاصحاب ، بل كلهـم قائلون ، حتى الصدوق وشيخه بوجوب عصمة الانبياء ، من الخطأ والنسيان .. والحق معهم .. ويدل عليه مضافاً الى ماسبق من حكم العقل ، والآيات ، قوله تعالى :

«وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » (١) .

حيث ان فيه اخبار من الله تعالى بأن ماقاله النبى (ص) ويقوله ـ والمتيقـن منه هو الآيات القرآنية ـ ليس الا وحياً يوحى ، وعليه فلو احتمل انه قد ينسى بعض الاية وقرأ المطلق من دون المقيد ، والعام من دون الخاص نسياناً ، وهكـذا . .

---

(١) النجم الاية ٣/٤ .

لا يكون مانطق به وحياً ، لان ماأوحي اليه ليس هو هذا ، وانما هو شيء آخر..

كما ان الحق معهم ، لامع الصدوق بالنسبة الى سهو النبى فى غير التبليغ ايضاً ، وذلك لحكم العقل المتقدم ووجوب تنزه النبى (ص) عن النقائص ، الى غير ذلك من الأدلة ، التي لسنا هنا في صدد بيانها وتتبعها .

ومن الواضح أن الصدوق وشيخه انما ذهبا الى ماذهبا اليه ـ حسب مابيناه ـ لمارأوه من الأخبار الواردة فى هذا الموضوع ، وفاتهما انها متروكة ، لانها انما كانت ـ حسب ماأشار اليه الشهيد في الذكرى ، وغيره ـ لمتابعة ماكان مشهوراً آنذاك ، اذ ان سائر الفرق الاسلامية الاخرى كانت ولاتزال تقول بعدم عصمة الرسل فى غير التبليغ ، قال الشيخ محمود أبورية :

«وماذكره العلماء فى ذلك (يعني فى عدم كون أوامر الرسل فى غير التبليغ مولوية) انما هو لان الرسل غير معصومين فى غير التبليغ قال السفاريني في شرح عقيدته : قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: وانهم معصومون فيما يؤدونه عن الله تعالى ، وليسوا بمعصومين في غير ذلك من الخطأ والنسيان والصغائر . وقال ابن عقيل في الارشاد : انهم عليهم السلام لم يعتصموا فى الافعال بل فى نفس الاداء ، ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى وهذا ينكره العلماء الشيعة ، فانهم اجمعوا على ان الانبياء لايخطئون ، ولايعتريهم السهو والنسيان ـ وهم مجمعون على انهم معصومون فى الكبر ، والصغر ، حتى فى امور الدنيا . . . الخ (١) ما قال وما اتى به من الشواهد ـ بزعمه ـ لمدعاه .

وعلى كل حال فان لهذا البحث مجالا آخر نأمل ان نوفق له فى فرصة أخرى ومحل بحثنا هنا نسيانه (ص) مايوحى اليه من الايات القرآنية ، وقد عرفت القول الفصل فيه ، والحمدلله ، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى .

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٤٢ الطبعة الثالثة .

من حياة الامام زين العابدين (ع) :

ابتهال

على تلال مكة



حسين احمد شحاده

... عند الظهيرة كانت الشمس المتوهجة الحمراء ... تنفث فحيحاً ملتهباً ساخناً تدفعه على بطاح مكة فتثير بين اعطاف رمالها بريقاً اصفر يلمع كلمعان النار على سحنات الحصى والمدر الصغير .

وامتدت التلال المحترقة خلف مكة في تشابك غضوب ... كمن طوي في اعماقها سعيرا جهنمياً مجنوناً يتدفق في صراع حقود اعمى ينذر بانفجار بركان .

وليس في مكة ولا في تلالها بركان او نذير بركان .. لكنه الجدب والقحط والجفاف يخنق اخضرار الحياة وطراوة الحياة .

فالينابيع تمتعض .. والابار .. وسعف النخيل يتلوى ظامئاً بيبوسته والواحات تتشنج في محل مميت !

لقد حل الجدب بارض مكة ... واجتمع الناس على حفافي الازقة والدروب يتقون لظى الشمس وسعيرها كما تجمعهم دائماً محن الدهر وصروف الايام .

يتساءلون عن الفرج .. من أين يأتي الفرج ؟ من اي افق؟ وقراب الماء هي الاخرى ظمأى تشكو مرارة الفراغ ! .

رحماك يارب .

وقفت بينهم لحظات يلسعني العطف عليهم ويلسعني الاشفاق .. ويكظني العطش لم اقو على تحمل ذلك .. فتركتهم تجرني الحيرة ويجرني الاكتئاب ! اللهم رحمتك

... تلفت الى الهضاب الجرداء.. حيث الشمس تلفح صدرها الكالح الممتد وتشق فيه طريقها بقيظ لايرحم فتحيله الى بقعة تشبه الجمر حينما يتكوم .

وفيما كنت اردد لفتاتي الحائرة على تلك الهضاب اذبى المح من بعيد شبحاً اسود داكن السواد لكنه بديع القوام يشعر الناظر اليه بقوة عجيبة موحية توشي عن عظيم تقواه .

لم اعجب لوجوده هناك في اللحظات الحامية . . فها هو يركع وها هو ذا يسجد ويطيل في السجود . ولكن !

من اين له بهذا الجلد كله ؟

ومن اين يهبط عليه الصبر على حر الهجير ؟

بل من يكون هو حتى تتفجر من اعماقه سكينة الخشوع ؟

وضعت عباءتي على راسي وهرولت اليه مسرعاً استلهم من فصولي قوة ومن حب الاستطلاع نشاطاً اي نشاط .

* * *

وقفت وراءه استمع الى تمتماته.. . فادركته في القنوت يدعو بشفتيه الذابلتين ، يتذلل في دعائه ويعلو علي حتى كأنه يود لو يعانق السماء ..

ويهدر دمعه السخين بغزارة مجهشة من عيونه العمش بلوعة وانين . . .

وتنحدر على الوجه قطرات من الدمع الساخن وتتمتم الشفاه ..وفجأة تتلبد السماء وينزل الغيث ... ويتعالى الدعاء الطاهر . . والحمد . .

ووصل العبد الى مكة ..

والناس في فرح لاهون .. وانا اتتبع خطاه ، وابصره وهو يستغفر لهم . . وسار حتى وصل دار الامام علي بن الحسين (ع) ..آه انه عبده !!

* * *

. . . دخلت الى فناء الدار ثم توجهت الى بهو شاسع لا تجد فيه من متاع الدور والمنازل الاحصيراً معقوداً من سعف النخيل وبعض أثاث .

هناك . . يخلو علي بن الحسين الى هموم المسلمين ومشاكلهم يتناولها برفق

البقية في ص ١٣٢

بحوث من تفسير «الميزان»

للعلامة الطباطبائي

الأنبياء والبشرية

في القرآن الكريم

عرض وتلخيص محمد علي برغاني

(كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (١) .

نظرية القرآن في نوعية المراحل الاولى للخليقة :

النظرة الاجمالية : تعرضت هذه الاية الشريفة لمواضيع ثلاثة هي :

أ ـ الوحدة الفطرية الاولى: فالانسان الاول دفعته فطرته بصورة رئيسية الى تكوين مجتمعه الأول الذي كان يتصف بالوحدة بشكل طبيعي .

ب ـ بدء الاختلاف : وكان طبيعياً ان تتنوع المستويات وتختلف الحظوظ باختلاف الفرص الخارجية من جهة واختلاف المزايا الجسمية والفكرية من جهة

(١) البقرة ٢١٣ .

اخرى ، ومن هنا نبع الأحساس البسيط بالحاجة الى نظام ينظم المجموعةالبشرية ويعطي كل ذي حق حقه على أساس من العدالة ، ومن هنا ايضاً نعـرف ان مشكلة النظام هي أعمق مشكلة واجهها الانسان من حيث تاريخها وصعوبة حلها وآثارهـا على حياته العامة .

جـ ـ ضرورة الدين :

ومع ضرورة النظام من جهة وضعف الانسان الطبيعي عن وضـع القانون الكامل من جهةاخرى فقد توجهت رحمة الله للبشرية فكانت ان انزلت اليهاقانونها الكامل الذي يناسب تلك المرحلة من حياة البشرية ، ولما لم يكن أي قانونيؤدي دوره الفعال في حياة المجتمع بدون عقيدة ، وقبل ذلك لما لم يـكن للانسان ان يعيش حياة الغباء والبعد عن الحقيقةالكونية الهائلة التي تمسك السماواتوالارض أن تزولا والتي لها الامر من قبل ومن بعد ، فقد ابتنى النظام على اساس عقائدي شامل ، وأصبح يسمى المجموع من العقيدة والقانون (ديناً) . وكان لا بد للدينمن أن يستكمل نفوذه ويفرض طاعته ، فكان التبشير بالنعم الالهية من جهة ، والأنذار بالعقاب الألهي عند العصيان من جهة اخرى ، كما كان لا بد للدين من ان يفرض طابعه وروحه في المجال العام للمجتمع الانساني فقدم العبادات بصيغ مختلفـة : كاطار للتنفيذ من جهة وكشعار عام للمجتمع المتدين من جهة اخرى .

الى هنا والوحدة الفطرية التي نقضها الأختلاف السابق قدتحولت الىوحدة على اساس من الدين ، وذلك سير طبيعي ، ولكن القرآن يحدثنا عن الانحـراف المبدأي القائم على اساس :

الاختلاف المبدأي : فبعد ان توضحت للبشرية التي اوتيت كتب الله تعالى معالم هذه الكتب تماماً ووعت معارفه وأصولها نمت في البعض منها عوامل كثيرة دعتها الى التحريف في العقيدة والاختلاف في الدين أولا ، والذي تبعه بصـورة طبيعية ايضاً الاختلاف في الامور الاخرى ، ومن هنا فذلك بغي وظلم من افـراد الانسان انفسهم بعد أن تبينت لهم معالم الرشاد ومنحتهم السماء رحمتها الواسعـة

فالاختلاف اذن على نوعين :اختلاف طبيعي ينشأ كما اسلفنا من اختلاف الشروط والاستعدادات ، وهو أمر واقع ، ولاحله شرع الدين ، فجاء يعدل الفطرة بالقوانين الواقعية التي تعترف بها وتحاول ان تعدل في مسيرتها .

وهدى الله سبحانه المؤمنين الى الحق المختلف فيه باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

واختلاف عقائدي : استند الى بغي الباغين وظلمهم وتفرعت منه نتائجه السيئة التي كانت لها آثارها العميقة الجرح في تاريخ الانسان ، وبهذا الاجمال عرضت هذه الاية لحياة الانسان (الاجتماعية والعقائدية) تاركة التفصيل لما تقرره الايات المتفرقة في القرآن الكريم والنازلة في شؤون مختلفة . فما هي الصورة التفصيلية اذن ؟ ان علينا أن نجمع خيوط الصورة من تلكم الايات المتفرقة لتكمل لدينا مفصلة بعد أن عرفناها بصورة اجمالية .

بدء تكوين الانسان :

والذي يتحصل لنا من خلال دراستنا لتلك الايات المتفرقة ان النوع الانساني الموجود بأجياله المتعاقبة ، ليس ـ كما يصوره البعض ـ مرحلة متكاملة من نوع آخر حيواني أو غيره جاء نتيجة لقانون التكامل المادي ، بعد أن تدرج في مختلف المراحل ، وانما هو نوع أبدعه الله تعالى من الارض ، بعد ان لم يكن شيئاً ، بمعنى ان السماء والارض وما عليها كانت ولم يكن هناك انسان مطلقـاً ثم خلق الله تعالى زوجين اثنين من هذا النوع، اليهما تنتهي هذه الاجيال جميعها .

قال تعالى في محكم كتابه الكريم : «انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل» (١) .

وقال تعالى : «خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها» (٢) .

وقال تعالى : «كمثل آدم خلقه من تراب» (٣) .

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) الاعراف ١٨٨

(٣) آل عمران ٥٩ .

اما الفوضيات الطبيعية المعروعة اليوم فلنا معها حديث آخر عند البحث عن قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) .

الانسان : جسم وروح

وقد أنشأ الله سبحانه هذا النوع ـ حين أنشأه ـ مركباً منعنصرين جوهريين هما المادة التيتشكل جسمه، والروح التي تشكل العنصر الفعال المحرك للمادة ، وهذان العنصران متلازمان مادامت الحياة الدنيوية ، وبعملية الموت تفترق الروح الحية عن الجسم الميت فيرجع الانسان الى الله تعالى :

قال تعالى **(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفةعلقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)(١)** فالايات تتحدث عن مراحل النشوء المادى للانسان الى أن تصل المادة الى المرحلة التي تصبحفيها مستعدة لقبول الروح وهنا يعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله **«ثم انشأناهخلقاً آخر»** وفي هذا المعنى ورد قوله تعالى**(فاذا سويته ونفخت فيهمنروحيفقعوا له ساجدين)** (٢) والاوضح من هذه الايات قوله تعالى **(وقالوا أاذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)** (٣) والآية تتحدث عن استبعاد الكافرين لعملية البعثوارجاع العظامالباليةوالأجزاء النخرة مرة ثانية والرد عليهم بأن ملك الموت يتوفاهم ويضبطهم فلايدعهم ، فهم غير ابدانهم اذن ،فابدانهم وان تفرقت شتى في الأرض لكنهم اي لكن نفوسهم غير ضالة ولا مستهلكة ، وتفصيل البحث في معطيات القرآن في حقيقة الروح لـه مجال آخر .

---

(١) المؤمنون ١٦ .

(٢) ص ٧٢ .

(٣) السجدة ١١ .

نعمتان : الفكر والتسخير

فقد وهب الله تعالى الانسان هذه الطاقة الفكرية الخلاقة التي بها يتميز عن باقي الموجودات الحية فهي من مقومات شخصيته العامة ، وبهذه النعمة الكبرى يستطيع ان يقوم بعملية تخزين للصور الذهنية التي تمر عليه بالملايين في حياته واسترجاع الصور المخزونة عند مايحتاج الى ذلك وكذلك عملية تمثل للصور الحاضرة وحدس للصور الاتية بملاحظه القرائن الدالة عليها ومن هنا فيمكن ان نقول ان له (احاطة من نوع معين بجميع الحوادث) . قال تعالى : «علم الانسان ما لم يعلم» (١) .

قال تعالى : «والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً . وجعل لكم السمع والابصار والافئدة» (٢) .

وكانت النعمة الثانية ان سخر له كل شيء وخلقه موجوداً يقبل الارتباط بكل شيء ويمكنه الانتفاع من كل أمر سواء كان ذلك بالاتصال به أو جعله واسطة الى غاية من غاياته ، وهذا ما نلاحظه بوضوح في هذا البناء الفكري الانساني ، وتلك الفنون التي انتجها ذلك البناء .

قال تعالى : «خلق لكم ما في الارض جميعاً» (٣) .

وقال تعالى : «وسخر لكم ما في السموات والارض جميعاً منه» (٤) .

العلوم العملية :

وكانت من نتيجة هاتين النعمتين (الفكر والتسخير) ان يمتلك قدرة رائعة على تكوين مجموعة من العلوم والادراكات التي تشكل المرحلة الاولى من مراحل النفوذ الى الاشياء والتصرف فيها ، وتسخيرها للانتفاع والحفاظ على مجرى حياته الخاصة

---

(١) العلق .
(٢) النحل -٧٨ .
(٣) البقرة-٢٩ .
(٤) الجاثية - ١٢ .

والخارجية العامة .

ولتوضيح ذلك نحتاج الى عملية تجريد الذهن ونظر دقيق الانسان ، بحيث يفرض الباحث نفسه يرى الانسان لاول مرة وهو يقوم بعملية فكريةيبتغي منورائها القيام بأمر حياتي ما .

فانا والحال هذه نجده يزج الى ميدان فكره الكثير الكثير من الادراكات والأفكار المتشعبة الجهات والمتسعة الأطراف . التي أوجدتها وجمعتها الحواس الظاهرة والباطنة في الانسان ، أو كانت نتيجة للتصرفات الابتدائية أو المتكرر للقوة الفكرية .

واذا أمعنا النظر في نفس هذه العلوم والادراكات فانا نجدها على قسمين :

فالقسم الاول منها هي العلوم والادراكات التي تحكي عن الخارج فقط دون أن تتدخل في تكوين ارادة معينة أو صدور فعل معين ، من قبيل مفاهيم : الارض والسماء والماء والهواء ، والانسان والفرس ونحو ذلك من التصورات . ومعاني قولنا (الاربعة زوج ، والماء جسم سائل ، والتفاح أحد الثمار) ، وغير ذلك من التصديقات ، وهيعلوم وادراكات نشأتنتيجة التفاعل الحاصل بين الأشياءالخارجية والحواس والوسائل الادراكية ، وكذلك من قبيل الكليات المعقولة كعلمنا الناتج من ملاحظة انفسنا نحن أي هذه (الانا) التي يشعر بهاكل فرد .

والقسم الثاني . وهو من قبيل قولنا (ان هناك حسناً وقبحاً ، وما ينبغي ان يفعل وما يجب ان يترك والخير تجب رعايته ، والعدل حسن ، والظلم قبيح ، ومن قبيل مفاهيم (الحكومة والمحكومية، والرئاسة والمرؤوسية ، والعبوديةوالمولوية هذه الافكار هي التي لا يتم فعلارادي الا بتوسيطها واعمالها للوصول الى الاهداف وتحقيق وسائل السعادة .

وهي أمور لا تحكي عن واقع موضوعي ثابت بصورة مستقلة عن افهامنا كما هو الامر في القسم الاول فليست هي نتيجة التفاعل بين الواقع الموضوعي والقوى الحسية في الانسان ، بل هيامور انشأناها نحن وألهمناها نتيجةالاحساسات

التي تقتضيها القوى الداخلية العاملة والمولدة بنزوعها نحو العمل ، ونفورها عما لا يلائمها اذ نتيجة لذلك تحدث صور في الاحساسات الباطنية كالشوق والبغض ، والحب والميل مما يبعثنا بالتالي الى اعتبار وانشاء هذه الادراكات من معنى الحسن والقبح وينبغي وما لا ينبغي ويجب ويجوز الى غير ذلك ، وبتعبير جامع فان العلوم من النوع الأول انما تتحدث عما هو كائن ، بينما تتحدث العلوم من النوع الثاني عما ينبغي ان يكون من الامور العملية لذا سميناها بـ (العلوم العمليـة) وسنستوفي البحث فيها ايضاً في محلها .

وقد الهم الله تعالى الانسان هذه العلوم العملية ليمنحه القدرة على ان يدخل مرحلة العمل والتصرف في الواقع الخارجي ليقضي الله امراً كان مفعولا قال تعالى (الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) طه ـ ٥٠ .

وقال تعالى (الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) الاعلى ـ ٣ .

فالايتان تتحدثان عن الهداية العامة لكل موجود سواء كان ذا شعور او بلا شعور الى ماهو كمال وجوده .

وقال تعالى في الانسان خاصة (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) الشمس ـ ٨

مقرراً هذا الالهام الفطري للنفس كي تعي ماينبغي ان تفعله وما لاينبغي وهي كما سبق العلوم العملية التي لاواقع لها خارج النفس الانسانية ولعل اضافتها الى النفس في الاية الكريمة اشارة الى ذلك .

وقال تعالى : (وماهذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) العنكبوت ـ ٦٤ .

فاللعب خيال في الحقيقة وكذا الدنيا (من جاه ومال وتقدم وتأخر ورئاسة ومرؤوسية وغير ذلك انما هي امور خيالية وجودها ذهني والموجود حقيقة هو الحركات الطبيعية التي يؤثر بها الانسان في المراد بلافرق بين افراد الانسان واحواله.

ففي مثل (الانسان الرئيس) الموجود واقعاً هو الانسان اما الرئاسة فهي اعتبار وخيال مثل الثوب المملوك، الموجود منه هو الثوب واما انه مملوك فذلك امر خيالي لايتجاوز حد الذهن وهكذا باقي الامثلة .

عنصر الاستخدام :

وقد تبين ان الافكار العملية هي التي تشكل نوعية ارتباط الانسان بالمادة ومن جملة هذه الافكار (فكرة الاستخدام) وتعني ان الانسان حينما يطمح الى التكامل فانه يرى نفسه محتاجاً لعوامل مساعدة تشكل ارضية ذلك الكمال ومهيئاته والدافع هو مدفوع طبيعياً لاستثمارها في هذا السبيل لابقاء وجوده حياً متطوراً متكاملا وهذا الاستثمار والاستخدام يبدأ في المادة من الانواع البسيطة منه كاستخدام السكين والابرة والاناء الى الانماط المعقدة من انواع الصنائع والفنون وهكذا قل عن النبات في استثماره في الغذاء واللباس والسكن ثم يصل الامر الى استخدام الحيوان في هذا المجال للانتفاع باللحم والدم والجلد والشعر والوبر . . . ويصل الامر في النهاية الى استخدام الانسان لابناء نوعه بما امكنه وكل هذا مما لاريب في كونه امراً طبيعياً .

مدني بالطبع :

ووجود عنصر الاستخدام يتمثل في كل الافراد فكل منها طالب ومطلوب في آن واحد ومن هنا كان عليه لتمشية اموره ان يقر موازين معينة تنظم التعامل الاجتماعي والتعادل بين النسب والروابط بما اسماه بـ (العدالة الاجتماعية) في اطار مجتمع متمدن نسبياً ، اذن فهو قد اضطر الى ان يحكم بلزوم صياغة المجتمع ومن ثم لزوم العدالة الاجتماعية . ولولا الحاجة مادعاه داع لذلك .. ومن هنا نجد انه متى ما اختل ميزان القوى بين الشخصين تقلصت في نفس القوى دوافع العدل وهذا ما نشاهده واقعاً في التاريخ والحاضر رغم ادعائه بأنه عصر الحضارة والحرية وهو الذي يستفاد من قوله تعالى .

(**انه كان ظلوماً جهولا**) الاحزاب ـ ٧٢ وقوله تعالى (**ان الانسان خلق هلوعا**) المعارج ـ ١٩

وقوله تعالى : (**ان الانسان لظلوم كفار**) ابراهيم ـ ٣٤ .وقوله تعالى : (**ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى**) العلق ـ ٧ .

فليس العدل من مقتضيات الطبع الاولى للانسان والا لكان العـدل والتعاون هو الظاهرة العامة فى المجتمعات وهو خلاف الواقع .

حدوث الاختلاف الاجتماعي :

فبانضمام هذه الحقيقة وهى احتياج الانسان الى(عنصر الاستخدام) الى الحقيقة الاخرى وهى (الاختلاف الطبيعى للافراد من حيث الصفات الجسمية والمؤهلات العقلية ومناطق السكن وغير ذلك الذي ينتج فى النهاية الاختلاف بينهم مـن حيث الضعف والقوة) بانضمام هذه الى تلك يكون الاختلاف الاجتماعي ايضاً أمراً لامفر منه فينحرف الانسان حينذاك عن جادة العدالة الاجتماعية ويختل ميزان الافادة والاستفادة اذ يحل عنصر الغلبة محل عنصر التوازن فى الاحتياج وببروز هذا الاختلاف فالفوضى متوقعة واستثمار جهود الآخرين يقابله تحين لفرصة الانتقام وقـد ينقلب الميـزان ويكون الهرج والتناحر والهلاك فى النهاية وبطلان السعادة .

والى هذا يشير قوله تعالى **(وما كان الناس الا امة واحـدة فاختلفـوا)** يونس١٩ وقوله تعالى **(ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)** وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة التى نبحث فيها **(ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)**

ومن هنا نقول ان هذا الاختلاف الطبيعى بما فيه من نتائج هو الذي استدعى ان تشرع السماء للارض كما تقر العدالة وترجع التوازن بفرض القوانين العامـة المبنية على اسس واقعية .

والأسلوب المتبع اليوم لحمل المجتمع على قبـول الانضواء تحت لـواء القانون والتقيد باحكامه له شكلان :

أ ـ القوة الحاكمة التى تفرض على الناس ان يراعوا موازين العدالة وتقوم بتوزيع الثروة توزيعاً عادلا وتفرض المساواة فى الحقوق والواجبات كـل ذلك بغض النظر عن اي جانب معنوي من (ايمان واخلاق) بمعنى عدم الاعتماد على العنصر العقائدي من جهة وبناء الاخلاق على اساس من المنفعة المتطورة مـن مجتمع الى

مجتمع وحال الى حال من جهة اخرى .

ب ـ القوه التي تقوم بانزال القانون الى المجتمع عن طريق ايجاد نو
من التربية الخلقية مع النظر للجانب العقائدي وعدم الاعتراف باثاره الاجتماعيـ
وكلا الشكلين اللذين يشكلان اساس وحدة الامة ، مبنيان على اساس الجهل وينجر
بالانسانية الى الزوال والفناء ذلك انهما نظرا الى الانسان منعزلا في هذا الكون الرهي
عن مبدأه وعن منتهاه وغايته فالانسان موجود يتعلق وجوده بصانعه العظيـم كَ
تفرض ذلك فطرته النقية ، بدأ منه وسيعود اليه في حياة خالدة تتلو هذه الحياة الد
التي هي مرحلة من مراحل التكامل ، وتلك الحياه تتشكل بنوعية السلوك في هـ
الحياة ومقدار الوعي فيها .

فالانسان بلا عقيدة وجود منفصل عن جذوره الاصلية لن يقوى على الصمـ
والبقاء ،ان مثل المجتمع في هذه الحالات مثل قافلة سلكت طريقاً الى بلد ناءوحمل
معها ما يكفيها من زاد ولوازم اخرى ولكنها ماأن حلت في منزل معين حتى بـ
الصراع والخلاف وتطور الى القتل والفتك وحين اجتمعت للتشاور وتنظيم الامو
طرح في البين حلان .

الاول : ان يشترك المجتمع بالانتفاع بالزاد واللوازم وذلك حسب ما لَهُ
من الوزن الاجتماعي ، على ان تقوم قوة مشكلة بمهمة ملاحظة تطبيق هذه المقررا
ومعاقبة المتخلفين .

الثاني : ان يعي الجميع واجباتهم ويلاحظوا مصالحهم ويدركوا بعض المعا
الخلقية التي تعود عليهم جميعاً بالنفع ثم يقوموا على اساس من ذلك بتطبيق بعـ
المقررات التي تضمن العدالة وامكان البقاء والمتخلف تأخذه القوة ،وكلتا الاطروحة
مخطئتان اذاقصرتا نظرهما على هذه المرحلة من السفر فقط وجهدت على ان تحـ
مشاكلها فيها فقط ، اذ ان القافلة تحتاج بوضوح لان تدرك مسيرتها وغايتها واحتياجا
الوصول الى هذه الغاية ومحاولة توفيرها باقتصاد وتخطيط ، وان لم تفعـل ذا

ورفعت الخلاف بينها في خصوص المرحلة الواحدة بغض النظر عما امامها فقد عرضت نفسها الهلاك والدمار لذا فالعقلاء في القافلة هم الذين يخططون لمرحلتهم الحاضرة ومستقبلهم الاتي ويلائمون بين نواحي التخطيط .

الدين هو الحل :

ولذلك فقد رأينا ان السماء برحمتها الواسعة خططت للبشرية نظاماً شاملا عاماً يحل لها كل مشاكلها على اساس من مقاييس واقعية وحلول على نفس المستوى باعتبار ان المشرع هو الاعلم بالمصالح والمفاسد وهو ارحم الراحمين ، وكانت قاعده هذا التشريع العقيدة الفطرية التي تحدد للانسان نقطة انطلاقه وموقفه من الكون ككل وتعين تعامله مع كل جزء منه مركزة على ان الحياة الدنيا حياة تتلوها حياة خالدة باقية واعياً لان كل هذه الاسس تحتاج الى عملية تعليم وتدريب بانماط مختلفة لتشترك الفطرة والعقل في عملية وعي التشريع الالهي وتطبيقه ، وان الجهل هو سبب كل الانحرافات .

قال تعالى (**ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) (١) وقال (فمع الله ...) ليقرن بين التعبد والانذار (**وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون**) (٢) .

(**يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم**) (٣)

وهذه الحياة هي التي يشير اليها قوله (**أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**) (٤) .

فالعلم والدين اذن هما الضمان للانطلاق في مسيرة صحيحة ويكفي ان يسمى

---

(١) التوبة ـ ٤٠ .
(٢) الجاثية ـ ٢٠ .
(٣) الانفال ـ ٢٤ .
(٤) الانعام ـ ١٢٢ .

عصر ما قبل الاسلام عصر الجاهلية .

ومن هنا نعرف بعد قول من قال ان الدين يعني الجمـود الفكـري اذ ان هؤلاء بعد ان بهرتهم العلوم التجريبية ولم يستطيعوا ان يجعلوها اساساً يثبتون به عالم ماوراء الطبيعة وذلك لقصور في التجربة نفسها لذا فقد حكموا بأن تعاليـم الدين امور تنافي العقل وساعدهم في ذلك سلوك بعض من انتسبـوا الى الديـن ورفعوا شعاراته وهو منهم بريء اذ هو أرفع من أن يدعو الى تقليد اوجهل اوعمل لاعلم معه او قول بغير هدى ولا كتاب منير **(ومن اظلم ممن افترى على الله...)**

الاختلاف في نفس الدين :

وعلى ماسبق فقد عرفنا ان الحل الوحيد الذي يمكنه ان يضمن السعادة الاجتماعية والمشي المتزن على طريقها هو الدين بكل مافيه من تعاليم واساليب كما يعرف ان مالدى البشرية اليوم من حلول فهي قائمة على اساس الدين ان كانت نافعة والا فهي غير واقية ولن تستطيع تحقيق ماتصبو اليه الانسانية .

وبعد ان تحدث القرآن عن رحمة السماء برفع الاختلاف عن طريق الديـن والتشريع الالهي انتقل ليصف ظلم الانسان وجوره وبغيه فلم يحمل الدين بعد ان حمله واعطي العلم، وكانت نقطة الخلاف من نفس اولئك الذين اوتوا العلم وعرفوا بكتاب الله بعد ان غلبتهم شهوتهم ومصالحهم .

قال تعالى «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ـ الى ان قال ـ وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ولو لا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم» الشورى ١٤ وقال تعالى «وماكان الناس الاامة واحدة فاختلفوا ولولاكلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون» يونس ١٩ ، والكلمة المشار اليها في الآيتين هو قوله تعالى «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» .

الملتقى الثامن

للتعرف على الفكر الإسلامي

السيد هادي الخسروشاهي

ان انعقاد المؤتمر الفكري العالمي الكبير (الملتقى الثامن للفكر الاسلامي في الجزائر) يعتبر من الاحداث الاسلامية الكبرى في شهر ربيع الاول الماضي .. وقد استضافت الجزائر فيه العلماء والمفكرين الاسلاميين من الاقطار البعيدة والقريبة للعالم الاسلامي الوسيع، ليلتقوا هناك مرة اخرى بعضهم مع بعض ، ومع العديد من الشباب المثقف ، والراغبين للتعرف على الفكر الاسلامي .. في جو من الحرية والصراحة والموضوعية . . وذلك لكي يثمر هذا اللقاء المقدس على صعيد تنمية الذهنية الاسلامية عالمياً .

وقد وجهت الدعوه هذه السنة أيضاً من قبل وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في الجزائر الى مجلة الهادى التي يصدرها القسم العربي في دار التبليغ الاسلامي ، المؤسسة التي تحمل لواء العمل التبليغي في ايران وغيرها من الاقطار

الاسلامية الاخرى ، وقد قمت بالاشتراك في جلسات المؤتمر ممثلا لأسرة مجلة الهادي ودار التبليغ الاسلامي ، كالعام السابق .

ومما يذكر ان الملتقى السابع ، والذي كان قد انعقد في مدينة نيزي اورو اشترك فيه حوالي ١٥٠ شخصية علمية اسلامية وحوالي ١٥٠٠ شاب وجامعي، في حين انه اشترك في الملتقى الثامن، حوالي ١٠٠ شخصية اسلامية وغير اسلامية، وحوالي ١٠٠٠ من الطلاب الجزائريين وغيرهم . وقد عقدت في مدينة بجاية التاريخية والتي تقع على بعد ٢٤٠ كم تقريباً عن العاصمة ،واستمرت جلساته ١٢ يوماً .

وقد اختيرت هذه المدينة ليعقد فيها هذا المؤتمر لما تتمتع بها من تاريخ حضاري اسلامي راق . . اذ كانت يوماً ما مركزاً علمياً وحضارياً اسلامياً مهماً يشع على كل ارجاء الشمال الافريقي . . وقد تخرج منه الكثير من الشخصيات الاسلامية العلمية . . وما زالت تلوح للنظر آثار بعض فطاحلهم .

والملاحظ هنا أن انعقاد هذا الملتقى كان في جو ربيعي رائع ، على العكس من فترة انعقاد الملتقى السابع في العام الماضي حيث كان في الصيف . . وكانت الموضوعات التي طرحت على صعيد البحث ذات أهمية خاصة نشير اليها باختصار، فيما يلي :

أ ـ الجاليات الاسلامية والاقليات :

وتبرز أهمية هذا الموضوع عندما ندرك الاحوال السيئة التي تمر بها الجاليات الاسلامية في مختلف الاقطار والاماكن . . ويمكن أن نمثل لذلك بقضايا المسلمين في الفليبين وتايلاند والاماكن الاخرى، وقد كانت فرصة طيبة للاطلاع على الاقتراحات البناءة للاساتذة والمفكرين حول هذا الموضوع الهام .

ب ـ دور المفكر في الحاضر والمستقبل .

ج ـ بجاية الحمادية واثرها في الفكر الاسلامي والعالمي .

د ـ مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين في التراث الانساني .

هـ ـ الانية والاصالة مع التفتح والعالمية .

وكان هذا من المواصيع المهمة جداً في المؤتمر وقد تلخص في اعطاء افضل توفيق صحيح بين ضرورة حفظ الاصالة في الامة المسلمة والفرد المسلم من جهة ومسألة الانفتاح العالمي على المدنية الحاضره والعلوم المفيده الانسانية جمعاء من جهة اخرى .

* * *

وعلى العموم فانه يمكن القول بأن انعقاد هذا المؤتمر الأسلامي، كانت له آثار ومداليل كبرى ونحن نشير هنا الى بعض الملاحظات في هذا الصدد :

١ ـ ان انعقاده كان يعبر عن التطلع الاصيل المتنامي في ذهنية الامة للتعرف على اسلامها ، وحلوله التي يقدمها للمشاكل ومتابعة ما يجري على الأرض الأسلامية من مخططات غريبة ، وملاحقتها وحصرها والقضاء عليها .

٢ ـ ان اشتراك العديد من الشخصيات العلمية الاسلامية وغيرها ممن له ارتباط بالبحوث الاسلامية ، فرصه جميلة لان يلتقي هؤلاء وهم يمثلون مختلف المذاهب الاسلامية ـ من الشيعة والسنة ـ لحل مشاكل الامة ، مستنيرين بهدى القرآن الذي ينير الافكار فتعطى نتاجها المطلوب .

٣ ـ ان لاشتراك ما يقرب من ١٠٠٠ طالب له أثره البالغ في تقوية اسسهم العقائدية والفكرية . . .

٤ ـ ولا شك ان للزيارات العديدة التي قامت بها الشخصيات العلمية لمختلف المدن الجزائرية ، لهاأثرها الكبير في التعريف بهذا القطر الاسلامي الذي لانزال نعيش في ذكريات ثوارها وشهدائها الابطال ...

٥ ـ ان لعملية جمع المحاضرات والمناقشات والتعقيبات العلمية الملقاة في المؤتمر و طبعها و نشرها في نطاق واسع ، اثرا كبيراً في مجال نشر المعرفة والثقافةالاسلامية في العالم ولاشك انها ستكون موسوعةقيمةومصدراًهاماًيرجع اليها الباحثون في كل مكان ...

* * *

وقد اشتركت في الملتقى الثامن ـ خلافاً للسنة الماضية ـ شخصيات غير مسلمة من المستشرقين المسيحيين من كل من: فرنسا ، ايطاليا ، اسپانيا ، آلمانيا الغربية وحتى الشيوعيين من آلمانيا الديمقراطية ، هذا بالاضافة الى العلماء والمفكرين المسلمين الذين جاءوا من كل من : سوريا ، مصر ، السعودية ، السودان، ايران، الكويت لبنان، اليابان، ليبيا ، الهند ، اليمن الشمالية، موريتانيا، تونس والمغرب وغيرها .

ومع ان اشتراك هؤلاء المستشرقين كان له اثره الايجابي فى سير المؤتمر . ولكنه كان يحمل فى طياته نتائج سلبية ـ نشير اليها ـ مما يوحي لنا بأن اشتراكهم لم يكن امراً ضرورياً ـ فى المؤتمر الاسلامي الخالص ـ على الاقل ، اذ انه اشغل المؤتمر فى خلافات جانبية . كنافي غنى عنها ...

ان مثل هذه المؤتمرات الاسلامية ، يفترض فيها ان تكون مجمعاً اسلامياً لحل المشاكل فى العالم الاسلامي ، لا مجمعاً عالمياً لاستعراض انماط الفكر ، اى فكر كان ! . . .

وان كان اشتراك المستشرقين مع علماء المسلمين ومفكريهم ضروري فى لقاءات اخرى تعقد لهذا الغرض . . . ونحن نرحب بها كل ترحيب . . .

ويمكننا ان نضرب مثالا على ذلك، الدكتور جوزيف فان ايس مدير المعهد الشرقي بجامعة توبنجن فى المانيا الغربية والذي القى محاضره باللغة العربية عن موضوع «نشأة علم الكلام» ؟ .

وكانت محاضرته مليئة بالاشتباهات والأخطاء الفكرية والتاريخية والتحريفات والأحقاد، التي لا يمكن غض النظر عنها ومحاضرته وان كانت قد اجيبت عنها فى المؤتمر بالحرية التامة ، لكنها توضح مدى خطورة اشتراك امثال هؤلاء المستشرقين فى مثل هذه المؤتمرات ، (علاوة على اتلاف اوقات المؤتمر ، فى الاجابة عليها)...

* * *

وقد كانت فى اعمال الملتقى الثامن برامج خاصة وممتعة فى الزيارات واللقاءات ومنها زيارات المراكز الاسلامية القديمة مثل قلعة بني حماد و آثار مدرسة ابن خلدون

والسياحة البحرية في خليج بجاية واقامة حملة غداء على متن الباخرة .و عند العوائل، وزيارة الكهوف العجيبة وغيرها . ..

ولكنه كانت من اروع هذه البرامج القيام باداء صلاة الجمعة في المسجد الكبير سيدى موهوب والدى بنى في القرن السادس الهجرى وقامت قوات الاحتلال للاستعمار الفرنسي في سنة ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م- بأمر من نابليون الثانى والبابا عريغوريس بتحويله رسمياً الى كنيسة!...

وقد ارجع البناء الى حصيرة الاسلام مسجدا عامراً بالمصلين في ذكرى ميلاد النبي (ص) واشتركت فيها وفود المؤتمر وكان منظراً رائعاً جداً ان تعود ارض اسلامية لتؤدى وظيفتها الكبرى في مجال العمل... وقد قام المؤرخ التونسي الكبير الاستاذ عثمان الكعاك بالقاء محاضرة قيمة حول دور المسجد في البناء العلمي والفكرى في العالم الاسلامي ، طيلة القرون الماضية ..وكان لها وقعها في نفوس الحاضرين...

* * *

واخيراً : وان من المناسب ان اورد هنا نص ما القيته في الملتقى الثامن كتعقيب مرتجل على محاضرة الدكتور (جوزيف فان ايس) حول «نشأة علم الكلام» ولعلنا نعوده الى بعد محاصرته بكل تفصيل في وقت آخر ...

أيها الاخوة - أيتها الاخوات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحييكم اجمل تحية وابارك لكم هذا الملتقى العامر بالفكر الفياض والشوق الشديد للتعرف على الثروة القيمة التي يحملها الفكر الاسلامي على اختلاف المنابت الجغرافية والزمانية التي نمى وينمو فيها واحيي وفاء الجزائر المسلمة لروحها الاسلامية التي كانت معين ثورتها الكبرى ضد الاستعمار والتخلف المرير واشكر معالي الأخ الاستاذ مولود قاسم لما يقوم به من نشاط واسع مما هيأ لنا ان نلتقي بكم في هذا الملتقى الاسلامي الكبير .

وبعد :ونظراً لانني تأخرت في الطريق وفي العاصمة (الجزائر) عدة ايام لظرو قاهرة ، كنت حسبت اني لن اقف على هذه المنصة فأبدي رأيي في النقاط ال يتناولها الملتقى وقلت بيني وبين نفسي فلنكتف بالاستفادة من الاخوة الاساتذة، ولك فوجئت بمطالعة محاضرة عن النقطة الرابعة حول نشأة علم الكلام في الاسا هذه المحاضرة القاها الدكتور جوزيف فان ايس مدير المعهد الشرقي بجامع توبنجن في المانيا الغربية، هذه المحاضره التي اعتقد انها ازعجت وجدانكم ك ازعجت وجداني ...

لقد جاء في السطر الاول من المحاضرة ما نصه : «ليس علم الكلام ظاهر من صميم الاسلام كما هي الحال في المسيحية» ! وهذا الكلام غريب جداً من مستشرق يدير المعهد الشرقي في جامعة من جامعات اوربا ، لان موضوع علم الكلا ليس الا البحث عن التوحيد والنبوة والمعاد، التي هي اصول الاسلام واغلب الظن ان المحاضر اراد من هذه الجملة ان يشير الى ان المسيحية متقدمة على الاسلام في البحث اللاهوتي! ولا شك فيه ،لان المسيحية جاءت قبل الاسلام ولها كلامها وطبعاً يكون علم الكلام فيها متقدماً ايضاً .

ثم قال المحاضر : «ان العلماء لم يشتغلوا بعلم الكلام الا في القرون الاسلامية الاولى وفي بلاط العباسيين» ! وانا اعتقد ان هذا خطأ آخر يرتكبه المحاضر ولو كان المحاضر عارفاً بموضوع علم الكلام لعرف بأن أصول علم الكلام مأخوذة من القرآن والاحاديث النبوية فلا معنى للقول بأن علم الكلام نشأ في بلاط العباسيين !...

فان كان قصده تدوين الكلام ووضع اسم العلم على غلاف الكتاب او تماير فرق من المسلمين بهذا العلم فقد نوافقه . اما ان يدعى ان نشأة العلم جاءت هكذا متأخرة ، فهذا ، تكذبه سور القرآن بما ورد فيها من استدلال على الوحدانية .

ثم انه اشار الى مواضيع شتى من آراء القدرية والجبرية والمعتزلة والاباضيه والزيدية وغيرها مع اننا نعرف ان موضوع كلامه هو نشأة علم الكلام وليس آراء الكلامية والمذاهب الاسلامية فيما بعد هذه النشأة ...

و كما تتجاوز عن دلك لو انه وقف بالرأي في مفترقات الطرق ليبين تحولا ليشير الى اتجاه اتخذه الكلام ، الا انه فتح الاقواس ليضمنها ماامكنه من صور خلاف العقائدي بين المسلمين واظهار جانب هم نسوه بالفعل او انساهم الزمان ه فانا نعرف أن بعض الفرق قد صارت أثراً بعد عين ولم يعد لها وجود في الواقع.

ولعل المحاضر يريد بذلك ان يوجد بلبلة واختلافاً بين المسلمين ولكنه معشل في ذلك ، لانهم على يقظة تامة ، لتجاربهم التاريخية ولعلمهم بنوايا حاقدين . .

.. ثم تعرض المحاضر لموضوع السبئية وآرائهم ومنها اعتقادهم بأن القرآن حرف ويقول بالنص «بأنهم يزعمون ان نبي الله كتم تسعة اعشار القرآن . . .»! عتقد شخصياً ان الكلام عن السبئية التي انقرضت حين وجدت في عهد الامام علي ه السلام، حديث مكرر موروث وراءه نية سيئه موروثة تتجدد مع الايام وتستهدف ماً النيل من قداسة القرآن ومن ثم لتخريب عقائد المسلمين وتشكيكهم في أنفسهم لله يقيس بذلك على ماحدث للاناجيل والتورات! .

هذه الحزازة التي ننساها نحن المسلمين ولا نترء قلوبهم منها ولو ان المحاضر ، اولى المسألة عناية يقتضيها البحث من كل باحث وأجهد نفسه في استقصاء حقيقة لما رج بنفسه في هذا المأزق الحرج .فلو ان مازعمته السبئية من تحريف رآن ! كان حقيقة ، لما احرقهم الامام، فأحراقهم دليل على كذبهم وشذوذ ماذهبوا ه عن القاعدة العامة التي كان عليها المسلمون .

واليك كلام «العلامة الحلي» الحجة الشيعية القاطعة في هذا الصدد. اذ يقول ـ عبد الله بن سبأ غال ملعون وقد احرقه امير المؤمنين بالنار وكان يعتقدان علياً الله» !...

واذا راجعنا كتب : الفرق بين الفرق ؛ الملل والنحل والعقد الفريد نجـد حابها جميعاً يذكرون ابن سبأ في عداد فـرقة الغلاة الخارجين عـن الاسلام صرحون ان علياً قد احرق بعضاً منهم ونفى آخرين (وقد كان نصيب ابـن سبأ يده الى ساباط المدائن) .

ومن الضروري وقد اشرنا الى الغلاة والسبئية ، ان نعرف ان علماء ال
بالاضافة الى طرد هذه الفرق المنحرفة، يحكمون عليهم بانهم خارجون عن الا
فالشيخ **محمد بن النعمان الملقب بالمفيد** وهو من اكابر علماء الشيعة، يقول في
الغلاة والسبئية ما نصه : « ان الغلاة من المتظاهرين بالاسلام ، هم الذين نسـ
الالوهية والنبوة لعلي ووصفوا فضائل آل البيت الدينية والدنيوية وصفا تجاوزوا
الحد وقد حكم الائمة (عليهم السلام) بكفرهم وخروجهم عن الاسلام ».

هذا... واما الاتجاه الى المساس بحرمة آل البيت وعدم التورع من اسناد سفاسـ
الصفات اليهم ، فهذا ما يأسى القلم له وما لا يقبله اي مسلم . فما عهدنا بهم حـ
الا انهم كانوا ينابيع الفضل والكرامة والله تبارك وتعالى ينزههم في كتابه الكريم ويقو
«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً» .

ونريد ان نسأل المحاضر فنقول : **لو انهم كانوا يأخذون اموالا فلماذا دفعـو**
ضريبة الدماء اماماً بعد امام سلسلة تتمادى في الزمان فداء للشهادة ودفاعاً عن الاسلام وكلمة
الحق. فهل كانوا يأخذون ثمن دمائهم بضع دريهمات ؟ ومن ذا الذي كان منهم يفعل هذا ؟
الامام الحسن(ع) وهو المعروف بالتصدق بالدرهم الاخير في جيبه ؟ .

أم الامام الحسين سيد الشهداء(ع) الذي بذل حياته على علم بمصير دوجاد بروحه ليطهر
نور الاسلام ؟

أم الامام زين العابدين (ع) الذي طلق الدنيا .. ام غيرهم ؟

ففي جرأة المحاضر وخيانته للتاريخ والاسلام وآل البيت شيء لن نقبله نحن
المسلمين ، لاننا نقدس الاسلام ونعتز بآل البيت كمثل عليا لنا ، ولا نتيح لاحد ان
يلمسها من قريب أو بعيد ...

* * *

وفي الختام احمل لكم تمنيات شعب مؤمن مسلم يعيش هناك في قلعة الاسلام
التي انجبها الاسلام من جديد وصاغ روحها من جديد ، فعادت موئلا لدعاته ومفكرية
خلال القرون الماضية من مسيرة الاسلام .. ومازال هذا الشعب المؤمن ممثلا في
قيادته الدينية التي تتمثل في الجامعة الاسلامية ودار التبليغ الاسلامي في مدينة قم

مازال يعمل بجد ونشاط الى جنب الشعوب المسلمة الاخرى في سبيل اعادة اطروحة الاسلام من جديد الى الحياه وتطبيقها في الواقع المعاش معتقداً أنه البديل الصالح الوحيد لكل هذه النظم التي تدعى انها تستطيع ان تقود الحركة العالميــة نحــو شواطىء الخير والسعاده الحقيقية ولكنها أركست المسيرة الانسانية فيما لاتحمد عقباه وانحرفت بها الى دروب الضلال ...

واننا أيها الاخوة لنرجو من اعماق القلب ان يكون هذا الملتقى الأسلامي الخير منبر الهداية والعوده الى الفكر الاسلامي الاصيل والعمل بكل تعليماته وتطبيقها فى كل نواحى حياتنا الفردية والأجتماعية .

وارجو من الله تعالى ان يوفقكم لما فيه خير هذه الامة وسؤددها ورقيها وان يهدى الامة سبل الرشاد والاقتداء بهدى قادتها الابرار فتعمل بكل ما لديها من طاقات على ان تستعيد ماضيها التليد ومركزها السابق كأمــة هي الــوسط وعليها المعــول فى النهوض الرائع بالانسان الذي مزقته الحضــارة المادية اليــوم فخبط خبط عشواء لايهتدى الى سبيل . وفقكم الله وسدد خطاكم وأدام لنا اللقاءات المثمرة على صعيد الفكر والاخوة .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لفت نظر :

الحلقة الثالثة من مقال «عبد الله بن سبأ بين الواقع والخيال» سيطبع فى العدد القادم باذن الله تعالى .

الزهد رهبنة أم معنوية؟

بقلم الشيخ مرتضى المطهري

ترجمه الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي - قم

ومن فلسفة الزهد : ايجاد المعنوية في روح هذه الحياة المادية . ومن الواضح انا لا نقصد هنا الماديين في هذه الحياة ، فان من البديهي أن الزهد عن الدنيا وثرواتها وجمالها ، والاعراض عن عبادة أموالها ، وترك التقيد بلذائذها ، لا يجد لنفسه عند اصحاب النظرية المادية أي معنى قط . انما الحديث هنا مع من يرى لهذه الحياة المادية شيئاً من المعاني ايضاً ، فنقول :

ان من الواضح البديهي لدى هؤلاء أن الانسان ما لم يتحرر عن قيود المادة واغلالها ، وما لم يحترز عن اغوائها وأهوائها ، وما لم يفطم طبيعته عن الـانهـا . وأخيراً ما لم يكن يحسن جعل الدنيا وسيلة لا غاية . . لا يتهيأ صعيد قلبه لتلقي الفيوضات الالهية والالهامات الربانية والاحساس المقدس ، والشعور الطاهر والفكر النير ، وأخيراً العقل السليم الى جانب العاطفة الرحيمة .

ومن الواضح ايضاً : أن عبادة الحق والحقيقة ، بكل ما لهما من المعاني الواقعية والتلذذ في طاعتهما ، وذكر الله الحق المطلق في كل حال والأنس بالخالق ولطفه عند خدمة المخلوق ، تتنافى وعبادة النفس والنفيس ، والتقيد باللذة ، والوقوع في اسارة المادة وزخرفها وزبرجها .

بل وفوق هذا نقول : ان عبادة الله هي التي تستلزم نوعاً من الزهد في الدنيا فقط ، بل ان الالتزام والغرام بأي عبادة أو ريادة ، في دين أو مذهب ، أو فكرة أو مبدأ أو قومية او وطنية . . تستلزم نوعاً من الزهد والاعراض عن الشؤون المادية حتى في المذاهب المادية ايضاً .

الا ان الفرق بين العلوم والفلسفات والتعشق بالخيال وبين الصحيح من العبادات ان العباده .. بما ان مقرها في الفكر او القلب لاتقبل الضرة او الرقيب فلامانع من ان يتعبد الفيلسوف في فلسفته بدراهم المادة ثم لايدير افكاره الاحيثما دارت الدراهم والدنانير مثلا ، ولكن لامجال في فكر هذا الفيلسوف او قلب هذا العالم للتعبد والالتزام بتضحية من تلك التضحيات الانسانية ، او المبدئية او المذهبية بل و حتى القومية ، والوطنية ، فضلا عن محبة الخالق في خدمة المخلوق .

اذن فتفريغ القلب عن التقلب بالمادة العمياء ، واخلاؤه عن اصناف الذهب والفضة الغراء ، شرط لازم للرشد المعنوي في الانسان ..

وقد صرحت الروايات والاحاديث الاسلامية ، بهذه الفلسفة للزهد ، وان الانسان لا يستطيع ان يجمع في قلبه لنفسه دنياً وآخرة يعبدهما معاً : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) (١) .

وفي هذا يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) : (ان الدنيا والاخرة : عدوان متفاوتان ، وسبيلان مختلفان ، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الاخرة وعاداها . وهما : بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما ، كلما قرب من واحد ، بعد من الاخر : وهما بعد ضرتان) (٢) .

بل يترقى الامام الصادق (ع) اكثر من هذا فيقول : (وكل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط ، وانما أرادوا الزهد لتفرغ قلوبهم للاخرة . .) (٣) . ان الامام

---

(١) الاحزاب ـ ٥ .
(٢) ١٠١ حكم الامام ج ٣ ص ١٥٩ نهج البلاغة ت محمد عبده .
(٣) عن رواية عنه في بحار الانوار ط كمپاني المجلد ١٦ الجزء ٢ ص ٨٤ .

الصادق (ع) ـ كما نراه في هذه الرواية ـ يعد جميع أنواع عبادة الهوى واللذائذ شكاً بالله ، أو شركاً مع الله تعالى ، ويقول : ان الزهاد في الدنيا انما أرادوا الزهد فيه للرغبة في الآخرة ، ولتفرغ قلوبهم من كل أمل سوى الله تعالى .

ولذلك نرى علياً (ع) حينما يسأل عن ازاره الخلق المرقوع يقول : (يخشع له القلب ، وتذل به النفس ، ويقتدي به المؤمنون) (١) ويقصد بذلك أن المؤمنين الذين لا يجدون لانفسهم ازاراً احسن من هذا الازار الخلق المرقـوع ! سوف لا يجدون فيه مورد حقد على المجتمع،أو شعوراً بعقده الحقارة في النفس اذ يجدون امامهم قد اكتفى من دنياه بطمريه هذين الباليين،ثم لم يعد لبالي ثوبيه طمراً جديداً لعيد أو غيرعيد ، فهو اذ يقول (ليس العيد لمن لبس الجديد) لم يلبس الجديد اذ دخل العيد ، بل قال وهو يخاف الوعيد .

ولذلك ايضاً نراه يقول في نهاية كتابه الى عامله على البصرة (عثمان بن حنيف الانصاري) : (. . وأيم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله ـ لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدومـاً . ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها ، أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك وتشبـع الربيضة من عشبها فتربض ، ويأكل علي من زاده فيهجع ؟ ! قرت اذاً عينـه ! اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية) .

ثم يقول : «طوبى لنفس أدت الى ربهـا فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها ، وهجرت في الليل غمضها ، حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم ، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ، اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون» (٢) .

قسمنا ـ كما سبق ـ هذا المقطع من كتاب الأمام (ع) الى هذين القسمين ،

---

(١) الحكمة ١٠٠ من حكم الامام ج ٣ ص ١٥٩ نهج البلاغة ش محمد عبده .
(٢) نهج البلاغه ح ٣ ص ٧٥ ش محمد عبده .

وان الجمع بين هذين القسمين معاً يوضح لنا العلاقتين الزهد والمعنوية بكل وضوح.

وخلاصة هذين القسمين من الكتاب : ان لا بد للانسان المسلم ان يختار أحد هذين الطريقين : اما الدنيا واما الاخرة ، اما الشهوة : الاكل والشرب والغرام والمنام ، كالانعام ، واما الانسانية الالهية ، والنور الرباني ، الذي يخص القلوب والارواح النيرة الطاهرة .

ومن هنا يعرف الفيلسوف (ابو علي الحسين بن علي بن سينا) : الزهد ، في النمط التاسع من انماط كتاب (الاشارات) في (مقامات العارفين) فيقول : (الزهد عند غير العارف معاملة ما كان يشترى بمتاع الدنيا الاخرة . والزهد عند العارف : تنزه عما يشغل سره عن الحق ، وتكبر على كل شيء غير الحق) ، وبعبارة احرى الزهد عند غير الواعين : ترك التلذذ بنعيم الدنيا من اجل التنعم بها في الاخرة ، ولكنه عند الواعين : استصغار الاشتغال بما سوى الله تعالى لانهم يكرمون ضمائرهم فلا يريدون أن تشتغل بغير الحق المطلق سبحانه .

الزهد والرهبنة :

وهنا يتجه سؤال يطرح نفسه وهو : انا نعلم أن الأسلام يحارب الزهد والرهبنة ويعدها بدعة الرهبان كما يقول القرآن (**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**) (١) ويقول الرسول (ص) : (لا رهبانية في الاسلام) (٢) .

وحينما اخبر بجماعة من أصحابه انهم تركوا الدنيا وأعرضوا عنها وتوجهوا الى العزلة والعبادة عابهم و قال لهم : أنا بينكم ولست كما تفعلون .

وقد اعلن الرسول بهذه الكلمة : أن الاسلام دين حيوي اجتماعي لارهباني أضف الى أن تعاليم الاسلام في المسائل الاجتماعية والسياسية والاخلاقية كلها مبنية على اساس احترام الحياة الاجتماعية والاقبال عليها لا الاعراض عنها وأضف الى

(١) الحديد ـ ٢٧ .
(٢) بحار الانوار ج ١٥ باب ١٤ (النهى عن الرهبانية) .

ذلك أن الرهبانية والاعراض عن الحياة تتنافى ووجهة نظر الاسلام العالمي المتفتح على الحياة . فان الاسلام ليس كبعض الفلسفات الاخرى ينظر الى الحياة بنظرة مقيتة ولا يقسم الحياة - كبعض الأديان الارضية الاخرى - الى حسن وقبيح ونور وظلمة.

والحقيقة في الجواب أن نقول : ان الزهد الاسلامي شيء والرهبنة شيء آخر فالرهبنة : انقطاع عن الخلائق الى العبادة على اساس التضاد بين عمل الدنيا وعمل الاخرة ، فاما العبادة ورياضة النفس في الدنيا لاستكمال نعيم الأخرة واما الحياة الدنيا للحياة فيها فحسب. ولذا فان الرهبنة تستلزم الانقطاع عن الحياة والمجتمع والمسؤلية أيضاً ! فهذه هي الرهبنة المقيتة .

واما الزهد الاسلامي : فهو وان كان يستلزم اختيار حياة ساذجة غير متكلف فيها ، وعلى اساس الاعراض عن التنعم والتجمل بلذائذ الحياة وكمالياتها الاضافية لكنه علاقة اجتماعية ورابطة حيوية، تنبع من مسؤولية التعهدات الاجتماعية في الاسلام ومن اجل الخروج الصحيح عن عهدة ادائها لوجهها . وليست فلسفة الزهد في الاسلام نفس تلك الفلسفة التي اوجدت الرهبنة في المسيحية المحرفة ، فليس في الاسلام تضاد بين الحياتين ، بل ولا تجزئة بينهما ولا بين العمل لهما ، بل ان الاسلام يرى العلاقة بين هاتين الحياتين علاقة ظاهر الشيء بباطنه ، والشعار بالدثار، والجسد بالروح ، لاوحدة ولا تضاد ، انما الاختلاف في الكيفية وفي الحقيقة : كل ما كان صالحاً لتلك الحياة فهو صالح لهذه الحياة أيضاً ، وكذلك كل ما كان صالحاً - واقعياً - لهذه الحياة فهو صالح ايضاً لتلك الحياة الاخرى ولذا وجب الترابط بين العمل الصالح في هذه الحياة لتلك الأخرى بالنية ، ولذلك : فلو عمل المرء عملا منطبقاً على المصالح السامية لهذه الحياة ، ولكنه خال من النية الصالحة لتلك الحياة عد هذا العمل دنيوياً ، ولكنه اذا كانت الناحية الانسانية في هذا العمل مثلا منطوية على أهداف أسمى من الدنيا رامية الى الاخرة فذاك العمل عمل أخروي مقرب محبوب راجح اما واجب أو مستحب مندوب اليه . فالزهد الاسلامي كما بينا : تكييف خاص للحياة ينشأ من ادخال معان من المثل والقيم الأخلاقية القيمة في الحياة

الاجتماعية للفرد المسلم . وهو ـ كما يتجلى من النصوص الاسلامية . يستقر في صميم الحياة الاسلامية على أسس ثلاثة :

أ ـ أن الافادة المادية من مواد هذه الحياة والتمتع بنعيمها الفاني ، ليس وحده العامل الوحيد لتأمين سعادة الانسان ، بل لابد ايضاً من امور معنوية اخرى لاتكفي بدونها الحياة لاسعاده فيها أو بعدها .

ب ـ ان مصير سعادة الفرد لاينفك عن مصير أمته ، وان له بحكم انسانيته سلسلة من العلائق العاطفية ، والاحساس بالمسؤولية ، لايستطيع معها أن تكون له راحة وطمأنينة فارغاً عن قلق الاخرين واضطرابهم .

ج ـ أن للروح اصالتها كما للبدن ، ولها الام ولذائذ ، وهي تحتاج ـ كالبدن ـ بل اكثر منه الى الغذاء والدواء والطعام ، والشراب ،والتربية والتهذيب ، والتأييد والتسديد ، وهي لاتستغني عن الجسد وسلامته وقوته وقدرته ،ولكن انغماس الانسان في اللذائذ المادية ، والاقبال على التنعم والتجمل الجسماني ، لايدع مجالا لتقوية الروح ، بل يوجد نوعاً من التضاد بين النعم المادية والروحيه .

وليست نسبة الروح الى البدن ـ كما يتصورها البعض ـ نسبة الالم الى النعيم فليس كل ماكان يرتبط بالروح الماً وكلما يرتبط بالبدن نعيماً اذ ان اللذائذ الروحية قد تكون اصفى واعمق وأدوم من لذات البدن ، وان الاقبال الشديد على لذائذ البدن لمما يقلل من الراحة واللذة الواقعية للبشر ولهذا لاترانا نستسيغ التخلي عن اللذات الروحية حينما نواجه الحياة ونريد ان نكسبها رونقاً وصفاء وبهجة وجلالا ونصنع منها جمالا وكمالا .

واذا التفتنا الى هذه الاصول الثلاثة للزهد الاسلامي ، الصحيح ، أتضح لنا كيف ان الاسلام حين ينفي الرهبنة يضع زهده في صميم الحياة وقلب المجتمع .

وفي نهج البلاغة :

عرف الزهد في موضعين من (نهج البلاغة) :

الاول : في الخطبة ٧٩ حيث يقول : (**الزهادة : قصر الامل ، والشكر عند النعم والورع عند المحارم**) .

الثاني : في الحكمة ٤٣٩ اذ يقول : (**الزهد بين كلمتين من القرآن :**

قال الله سبحانه «**لكيلا تأسوا على مافاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ..**»

ومن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه) اذ لم يجعل الدنيا اكبر همه ، بل وسيلة لتقوية دينه .

اذن فلا ينبغي بعدهذا ،ان يلتبس الامر على اناس بين التحرر من قيود عبودية الذهب والفضة والأعراض عن كل مايقبل التبادل بهما . والرهبنة وترك المسؤولية والتعهد . بل ان المسؤولية انما تنبع في ظل هكذا زهد اسلامي مسؤول ولا تبقى كلمة فارغة من دون معنى ودعوى غير مصدقة .

كما نرى ان الزهد والمسؤولية قد جمعتا في شخصية الامام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام . فقد كان (ع) أول زاهدفي العالم وفي نفس الوقت كان ينطوي في صدره قلب هو الاقوى شعوراً بالمسؤولية من جميع القلوب انه عليه السلام كان يقول :(**ما لعلي ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى**) ولكنه من ناحية أخرى كان قد يسهر الليل كله لحيف في العدالة مع مظلوم ، ولا يرضى ان ينام مبطاناً (**ولعل بالحجاز او اليمامة من لاطمع له في القرص ولا عهد له بالشبع**) ان علياً (ع) بما انه زاهد ويرى العالم مسؤولية مترابطة أمام الخالق العظيم لذلك كان يشعر بهكذا مسؤولية أمام تعدي حدود الحقوق والواجبات الاجتماعية ولو كان شخصية ثرية متنعمة متنفذة لكان من المحال أن يشعر بمثل هذه العهدة والمسؤولية .

الاسرائيليات (٣)

في التراث الاسلامي

الشيخ ابراهيم الانصاري

ما ورد في ابليس من الاسرائيليات

١ ـ هل هو موجود خارجي أو كنايه عن النفس الاماره ؟

٢ ـ هل الشيطان والملك جنس واحد ؟

٣ ـ هل كان ابليس من الملائكه ؟

الاسرائيليات في ابليس :

من المسائل التي لعبت بها يد الخيانة الاسرائيلية موضوع ابليس ، فقد كثرت فيه الخرافات الاسرائيلية ، ولكن نشير الى بعضها في ضمن أربع مسائل :

المسأله الاولى : هل هو موجود خارجي حقيقي مثل الانسان والملك ؟ أو انه موجود خيالي جعل رمزاً لقوى النفس الشريره حتى يكون المراد منه النفس الاماره مع ما لها من القوى الشهوية والغضبية وغيرها .

ذهبت جماعة من المعتزلة الى انكار الجن والشياطين كما يقول الاشعري «وذهب الى انكار الجن والشياطين ذاهبون ، وزعموا انه ليس في الدنيا شيطان ولا جن غير

الانس الذين نراهم» (١) ثم حاولوا تأويل الآيات والروايات التي تصرح بوجود
طان وجوداً خارجياً له شخصية حقيقية .

ومع كونه مورد الاجماع والضرورة فلا يقبل تأويلهم ، لان التأويل انما يقبل
يحتمل خلاف الظاهر ، وأما لو كان صريحاً بحيث لايمكن حمله بخلاف ظاهره
رده رأساً فلا .

وأيضاً انما يصار الى التأويل اذا دل دليل قاطع من العقل أو النقل على عدم
ة ظاهر الكلام لا في مثل المقام ، اذ ليس في الاعتقاد بوجود الجن محذور عقلي
نقلي صحيح . قال في كتاب دائرة المعارف الاسلامية ما هذا لفظه « وقد ورد ان
، انسان ملكاً وشيطاناً موكلان به ، الاول يدفعه الى صالح الاعمال ، والثاني
به الى طالحها ، ويروى عن الحسن البصري انه قال : «انما هما همان يجولان
القلب» (٢) ، وظاهر الحصر بكلمة انما انحصار الامر بالهمين الذين يجولان
القلب ، وانه ليس هناك موجود خارجي يسمى بالملك أو بالشيطان، فان كان مراد
سن البصري انكار الملك والشيطان الموكلين بالانسان فالقرآن الكريم يصرح
بودهما في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : « اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن
ال قعيد ، ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد» (٣) .

وان كان مراده انكار تسلط الجن والشياطين ، حتى يكون الانسان مسلوب
ختيار رأساً ، فهذا صحيح وان كان بعيداً عن ظاهر عبارته .

وكيفما كان فهناك قرائن تشهد بأن هذه العقيدة مأخوذة من آراء علماء اليهود
اسيرهم للكتب المقدسة وان كانت كتبهم المقدسة بنفسها صريحة في وجود
خصية الشيطانية والقرائن التي اشرنا اليها امور :

١- ذكر في ترجمة التلمود (٤) في ضمن البحث عن الشيطان هكذا : «النكتة
همة ان الشيطان و«القيصرهاراع» الغريزة الشهوية والميل الى السوء وملك الموت

---

(١) مقالات الاسلاميين ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٤ ص ٤١

(٣) سورة ق ١٧ .　　(٤) گنجینه‌ای از تلمود ص ٧٥ .

واحده وليست ثلاثة عند علماء التلمود » فنرى انهم أولوا الشيطان وملك المـوت بالغريزة الشهوية مثل المعتزلة .

٢ ـ ويذكر في ترجمة التلمود أيضا ماهذا لفظه«وبالرغم من ان الاعتقادبقدرة الملائكة كانت من الحقائق التي لها جذور عميقة بين اليهود في عهد التلمود، ومع هذا لقد شهدت شواهد كثيرة على انه كان هناك اهتمام كثير من علماء اليهود لتضعيف عقيدة الناس بقدرة الملائكة وقلة أهميتها» (١) وحيث ان الشياطين عند اليهود من سنخ الملائكة والاهتمام بتضعيف عقيدة الناس بالملائكة اهتمام بتضعيف عقيـدة الناس بوجود الشيطان عندهم .

٣ ـ يقول العقاد «فله أي ابليس في الديانة العبرية دور عامل مستغنى عنـه لانه شبه بغيره ... على مسرح الخلق دور الشيطان في الديانة العبرية دور النـكرة التي ينوب عنه كل نكرة مثله» (٢) .

وقد احسن في التعبير فان اليهود قد يعبرون عنه بالحية القديمة او التنين العظيم وقد يجعلونه ملكاً وقد يعبرون عنه بغير ذلك مما يورث الشك في اصل اعتقادهـم بالشيطان كموجود له شخصية خارجية .

المسألة الثانية : هل الشيطان من الملائكة او من الجن ؟

ونحن لانريد الا الاشارة الى ان أياً من القولين ماخوذ من اليهود وأيهما من صميم الاسلام ؟ فنقول : قال ابو الحسن الاشعري في كتابه (واختلفوا هل الملائكة جن ام ليسوا بجن فقال قائلون : هم جن لاستتارهم عن الابصار ومن هنا قيل للجنين انه جنين ، وقال قائلون : ليسوا بجن» (٣) .

اقول لا اشكال انه لو ثبت ان الملائكة والجن واحد ثبت ان الشيطان من سنخ الملائكة لانه ايضاً من الجن لقوله تعالى « الا ابليس كان من الجن » .

ولكن التشكيك في مغايرة الجن مع الملائكة تشكيك في واضحات المفاهيم الاسلامية وجهل بتصريحات القرآن ونصوصه وذلك :

(١) گنجينه از تلمود ص٧٩ (٢) ابليس ص١٤٩ (٣) مقالات الاسلاميين ج٢ص٥ .

لان الملائكة بصريح القرآن ،«لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون»(١)

وأما الجن فقـد اعترفوا انفسهم فقالوا : « وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (١) .

ولقوله تعالى ايضاً «ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من بعدهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون» (٣) .

فالحق المطابق للقرآن ان الجن موجود مغاير للملائكة والانس ، مخلوق مـن نار كما ان الملائكة خلقوا من نور والجن موجود سفلي كما ان الملك مـوجود علوي واما كون الجن بمعنى غير المرئي فلا يدل على صحة اطلاق الجن على كل مالايرى ومعه يكون الله تبارك وتعالى جناً والعرش والكرسي وروح الانسان والقوى والمعاني كلها من مصاديق الجن. كما ان تسمية الانسان بالانسان كانت لوجود صفة الانس فيه ومع ذلك ليس كل مافيه صفة للانس من الكلب والهرة والحمار وغيرها يعتبر انساناً وحينئذ تعرف قدر ماروي عن بعض الصحابة مما يدل على اتحاد الجن والملائكة ونذكر من ذلك مايلي :

١ ـ روى الطبري عن القاسم بن الحسن قال حدثنا حسين قال حدثني حجاج عن ابي جريج قال قال ابن عباس كان ابليس من اشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض قال :قال ابن عباس وقوله كان من الجن انما سمي بالجنان لانه كان خازناً عليها كما يقول للرجل مكي ومدني وكوفي وبصري .(٤)

٢ ـ قال ابن جريج وقال آخرون هم سبط من الملائكة قبيلة فكان اسم قبيلته الجن (٥) .

٣ ـ وفي تفسير الطبري قال حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حـدثني حجاج عن ابي جريج عن صالح مولى التؤامة وشريك ابن ابي نمر احدهما او كلاهما عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن وكان ابليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والارض (٦) .

---

(١) سورة التحريم ٦ .　　(٢) سورة الجن ١٥ .　　(٣) ... أ ... ٤١ .

(٤-٥-٦) تفسير الطبري ج ١ ص ٢٢٥ .

٤ ــ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اشرف من كان من الملائكة واكرمهم يقال لهم الجن لانهم استتروا عن اعين الملائكة لشرفهم وكان ابليس منهم (١) .

٥ ــ وروي ايضاً انه كان من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلقت الملائكة من نور غير هذا الحي وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا التهب ، وكان سكان الارض فيهم يسمون الجن من بين الملائكة . وقال قتادة جن عن طاعة ربه والعرب يقولون ماالجن الا كل من اجتن فلم ير قوله تعالى كان من الجن أي كان من الملائكة وذلك ان الملائكة اجتنوا فلم يروا وما سمي بنوا آدم الانس الا لانهم ظهروا فلم يجتنوا فما ظهر فهو انس وما اجتن فهو جن ،وكان ابليس من اشرف الملائكة وكان من ذوي الاجنحة الاربعة(٢) .

الى غير ذلك من الروايات. والشاهد على كونها اسرائيلية امور :

١ ــ اشتمال اسنادها كثيراً على علماء اليهود الذين اسلموا في الظاهر مثل ابن جريج ووهب وغيرهما كما في الروايات السابقة .

٢ ــ التناقض الواضح في وجه تسميته بالجن فقد روي ان سببه اجتنابه وخفاءه عن ابصار الناس . وروي ان سببه خفاءه عن اعين الملائكة . وروي ان سببه كونه خازناً على الجنان . وروي ان اسم قبيلته الجن وروي ان سببه ان سكان الارض من الملائكة كانوا يسمون الجن وروي ان سبب تسميته بالجن انه جن عن طاعة ربه الى غير ذلك ولو كان من الاسلام كان خالياً عن التناقض .

٣ ــ يقول جامع التلمود «سمائل الملك الذي شغله التخريب والفساد رئيس الشياطين.. . المفسدون من الملائكة كلهم تحت قيادة الشيطان كلهم رفقاء المفسدين والدليل على وجود الشيطان هو الدليل على وجود روح القدس والملائكة وطبيعة الشيطان روحاني ، لانه كان ملك من الملائكة يمتاز عن ساير اصناف الموجودات : والشيطان وملائكته يسعون دائماً لايقاع الانسان في المعصية ومنعه

(١) دائرة المعارف ج ١ ص ٣٣٩ (٢) تفسير الطبري وغيره .

عن التقدس(١) .

٤ ـ ثم يقول للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته(٢) .

اقول هذه العبارة تدل على ان الشياطين كلهم من سنخ الملائكة، وان الملائكة صنفان : صنف منهم ملائكة الله وصنف منهم ملائكة ابليس .

٥ ـ يقول العقاد « على مسرح الخلق دور الشيطان في الديانـة العبرية دور النكرة الذي ينوب عنه كل نكرة مثله ، اذ ليس بين الشيطان والملك طريق مفترق ولا عمل منقسم» (٣) .

هذه خلاصة ما ظهر للعقاد بعد التتبع الكثير وهي ان الشيطان والملك لافرق بينهما في الديانة اليهودية .

ويقول ايضاً في موضـع آخر « ففي الروايات التلمودية المتأخره ارتقـاء عن وسوسة الحية الى وسوسة شمائيل رئيس الملائكة الذي عمل في القصة عمل ابليس » (٤) .

٦ ـ ذكر يوحنا الرسول في مكاشفته بهذه العبارة «وحدثت حرب في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس الذي يضل العالم كله طرح الى الارض وطرحت معه ملائكته» (٥) .

٧ ـ وربما نرى علماء التلمود يريدون تأييد عقيدتهم باحداث القول بان الملائكة خلقوا من النار واليك نص عبارة التلمود «سأل امبراطور الروم يهوشوع بن حننيه

---

(١) گنجينه از تلمود ٧٤ ، وقاموس كتاب مقدس ص ٥٤٧ .

(٢) انجيل متى الاصحاح ٢٥ ـ ٤١ .

(٣) ابليس ، تأليف عباس العقاد ، ص ١٢٩ .

(٤) ابليس ص ١٠١ .

(٥) مكاشفة يوحنا ، الاصحاح ١٢ رقم ١٣ .

فقال اين تذهب هؤلاء الملائكة ؟ فقال يهوشوع : الى ما خلقوا منه، قال الملك من اين خلقوا ؟ قال من نهر النار، قال الملك ماصفة نهر النار؟ قال نهر يجري فيه النار دائماً كما يجري الماء في نهر الاردن ولا يقف جريانه ابداً» (١) .

ونظيره ما ورد في كتاب المزامير « هو الله الذي جعل رسوله من الريح وخدامه من النار الملتهبة » والمراد بخدامه هم الملائكة .

ومن هنا يظهر ان ماورد في بعض الروايات من ان : من الملائكة صنفاً خلقوا من نار . وامثال ذلك مأخوذ من علماء اليهود .

المسئلة الثالثة : انه على فرض مغايرة الجن مع الملائكة وكونهم نوعين مختلفين هل كان ابليس من الجن او من الملائكة فقال الشيخ الاعظم ابو عبدالله المفيد «ان ابليس من الجن خاصة وانه ليس من الملائكة . . . قال الله تعالى **«الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه»** وجاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى من آل محمد(ص) بذلك وهو مذهب الامامية كلها . وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث » (٢) .

وفي مقابل هؤلاء جماعة من المعتزله وغيرهم وكثير من التابعين ذهبوا الى ان ابليس كان من الملائكة ، وعندي انه بعد تصريح القرآن بقوله **« الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه »** (٣) لا يصغى الى هذه الاراء الاسرائيلية ولا الى ما ذكروا من التأويلات البعيده للقرآن الكريم .

وما ذكرناه في المسألة الثانية يكفي لابطال القول بأن ابليس كان من الملائكة كما ان ما ذكرناه من الشواهد يشهد بأن هذا القول ايضاً مأخوذ من اليهود ، فلا نطيل الكلام بذكرها ثانياً .

(١) تلمود ، ص ٦٩ .
(٢) اوائل المقالات ص ١١٠ .
(٣) الكهف : ٥٠ .

لماذا اختار المسلمون الحبشة ؟



في هجرتهم الاولى

السيد حسن الأمين - بيروت

حين اشتد الضغط على المسلمين الاولين وتعرضوا للاذى والتعذيب وكر محمد رسول الله (ص) في طريقة تحميهم ، وتحمي عقيدتهم ، فلم ير أفضل من أن يتركوا وطنهم ويهاجروا الى بلد يمكنهم أن يجدوا فيه الراحة والامان . وجمعهم النبي (ص) وقال لهم : تفرقوا في الارض .

ولكن أية ارض يريدهم الرسول محمد (ص) ان يتفرقوا فيها ؟ وهل يقصد ان يذهبوا فرادى كل واحد أو اثنين أو ثلاثة الى مكان معين ، أو مكان غير معين ، بحسب ما يختارون هم ؟

أم يقصد ان يهاجروا كتلة واحدة الى بلد يحدده لهم ؟ هذا ما تساءلوا عنه فقالوا : يا رسول الله أين نذهب ؟

الى الحبشة

ولم يتردد النبي (ص) في الجواب . فقال الى الحبشة ، فكانت هجرة المسلمين الاولى الى افريقيا السوداء حيث نزلوا ارض الحبشة ، وكان ذلك بعد خمس سنين من جهر النبي (ص) بدعوته . وكان عدد المهاجرين احد عشر رجلا وأربع نسوة تركوا البلاد التي ولدوا فيها ونشأوا ، ونزلوا غرباء في أرض اجنبية بعيدة اختارها لهم نبيهم .

ولم تطل اقامتهم في الحبشة ، لان اخباراً وصلتهم عن اسلام قريش واستجابتها لدعوة النبي (ص) ، وبذلك يكون الضغط قد ارتفع عن المسلمين ولم يبق من مبرر لهجرتهم فأسرعوا الى العودة بعد ان مكثوا في الحبشة شهرين فقط .

ولكنهم لم يكادوا يصلون الى ضواحي مكة حتى علموا ان الاخبار التي وصلتهم لم تكن صحيحة . وان قريشاً لم تسلم . وان التعذيب لا يزال ينتظرهم ، فتسللوا الى مكة ، ولم يلبث احدهم وهو ابن مسعود ان عاد وحده الى الحبشة، أما الاخرون فقد لبثوا ينتظرون المصير المعد لهم .

ولم يطل انتظارهم ، لان قريشاً قد ازدادت عناداً ، وأصرت على التمسك بوثنيتها واستمرت تعذب المسلمين اشد انواع العذاب . فكان لا بد من هجرة ثانية تنقذ المسلمين ، وكانت هذه المرة ايضاً الى الحبشة نفسها . ولكن قافلة المهاجرين كانت هذه المرة اكبر ، وكان على رأسها رجل من اقرب الناس الى النبي هو ابن عمه جعفر بن ابي طالب الذي مضى الى الحبشة يقود ثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة ، بينهن زوجته اسماء بنت عميس .

وظل هؤلاء المسلمون في الحبشة الى ان استقر النبي (ص) في المدينة وتتابعت انتصاراته وبدت طلائع نجاح دعوته واصبح هو واتباعه في مأمن من الاذى والتعذيب وعند ذلك عاد المهاجرون الى وطنهم .

لماذا اختار الاسلام افريقيا دون غيرها ؟

هنا يعرض لنا السؤال الذي لابد منه . لماذا اختار الاسلام افريقيا دون غيرها؟ ولماذا خصها محمد (ص) بان تكون ملجأ لانصاره؟ هل كان ذلك اعتباطا امصدفة ؟.

والواقع ان كل شيء كان يبعد عن ذهن النبي (ص) التفكير في افريقيا لولا دعوة الاسلام لم تكن ذات اهداف اصلاحية عالمية ، وذات مناهج تحررية عميقة .

فان اي بلد غير افريقيا هو اقرب لأن يهاجر اليه المسلمون المضطهدون . وان اي وطن غير الحبشة هو اسهل ليلقوا فيه الحماية المطلوبة . ولكن الاسلام اختار افريقيا دون غيرها بالرغم مما يفصلها عنه من بحار وعما في طريقها من مشقات.

لقد كان من المعقول ان تكون الهجرة الى اي بلد قريب لا يخضع لسلطة قريش وغيرها من العرب الوثنيين . لقد كان من المعقول ان تكون الهجرة الى البلاد التي تخضع لحكم الروم كبلاد الشام ، او البلاد التي يحكمها الاكاسرة كالعراق، فان اي واحد من هذين البلدين جدير بأن يكون مقصد المهاجرين المسلمين ولكن محمداً (ص) لم يشر الا الى افريقيا ، ولم يطلب الى اتباعه أن يهاجروا الى غير بلاد اللون الاسود .

وذلك لان دعوته انما جاءت لتحرير الانسانية . وضمان المساواة بين جميع الناس .

جاءت هذه الدعوة في الوقت الذي كان فيه الانسان الاسود هو احقر مخلوق بنظر الاخرين لايفرقون بينه وبين اي حيوان معد للخدمة والعمل .

دولة الاكاسرة ودولة القياصرة

وكان لابد من خوض اعنف المعارك لرفع ظلم الانسان عن الانسان وضمان سيادة الحرية والمساواة. وكانت دولة القياصرة ودولة الاكاسرة الدولتين المسيطرتين في ذلك العصر والمتمثل فيهما شر انواع الحكم فساداً ، والدولتين اللتين تحميان

لعيان البيض على السود ويمدان هذا الطغيان على اسوأ الاشكال .

ولذلك كان الاصطدام بين هاتين الدولتين وبين الاسلام امرا محتوماً ، فلم يكن من المعقول :ان يلجأ اليهما المسلمون في حال الضعف ثم يحاربوهما في حال القوة.

لقد كان محمد(ص) ودعوته الاسلامية واتباعه المسلمون اشرف واكرم من ان يقابلوا الاحسان بالاساءة . وكيف يحتمون اليوم بمن هم مصممون على محاربتهم وتخليص الانسانية من فساد حكمهم ، وكيف يلجأون الى جماعة سيهاجمونهم في المستقبل.

لذلك كان لابد من اختيار مكان في غير بلاد الروم وغير بلاد الاكاسره ، لابد من اختياره في بلاد اللون الاسود الذي سيكون اول ما يفكر الاسلام في حمايته وانقاذه من الظلم ، ثم في اعلاء شأنه وتكريمه .

كان لابد من اختيار مكان الهجرة في بلاد لن يقع صدام بينها وبين المسلمين في المستقبل لان الاسلام ادماجاء لتحريرها مما كانت نخضع له من مهانة واذلال .

ولذالك اختار محمد (ص) افريقيا السوداء مكانا لهجرة انصاره . ثم اختار من افريقيا السوداء نفسها رجلا رفعه الى اعلى مكانة يطمح اليها انسان ، اختار بلالا الافريقي الاسود اللون ليكون مؤذنه الخاص وبذلك دخلت قضية السود في عهد من التكريم والاعظام لم يحلم به من قبل حالم .

الوزير الافريقي

فكرت في هذا كله وأنا اقرأ الاخبار اليومية وماذكرته هذه الاخبار في تلك الايام من ان الرئيس السابق الامريكي (جونسون) قد اختار لاول مرة في التاريخ وزيرا زنجيا ، فعدت هذه له مكرمة كبرى ، واعتبرت فتحاً في عالم المتمدينين الذي استطاع ان يجعل من الزنجي الاسود وزيراً . . .

العدالة في الفقه

(٢)

ابو نافع ...

حقيقة العدالة :

ان العفاف صفة نفسية فهو الكف ، والكف ايضاً فعل نفسي والاباء والامتناع والحياء والكف وماشابه ذلك كلها تعبيرات عن افعال نفسية . والعفيف عفيف ولو لم يتفق له في الخارج مايعف عنه .

ثم ان الاتصاف بالستر والعفاف لايصدق على الاباء عن ارتكاب اثم مرة بل الصدق موقوف على استمرار الاباء في مقدار من الزمان ، كما أن لقوله : « كف البطن والفرج واليد واللسان » ، ظهوراً في استمرار هذا الفعل فلا يصدق على من امتنع عن ارتكاب أثم في زمان ودخل في اثم في زمان ثان ، أنه كاف لبطنه وفرجه ويده ولسانه . فالفقرتان ظاهرتان في اشتراط الاستمرار لذلك الفعل النفسي ولا تشملان الصفة النفسية التي تمنع عن الجريمة مرة واحدة فان هذا الامتناع موجود في كثير ممن يرتكب الاثام لولم نقل أنه موجود في جميعهم . فالنص ظاهر في ان العدالة هي الاباء عن الاثم مستمراً في زمان غير قصير ولانعني من الملكة الا ذلك ، فانها صفة نفسانية لا تزول بسرعة من جهة رسوخها في النفس وصيرورتها سبباً لصدور أفعال أو تروك في الخارج على سبيل الاستمرار في زمان غير قصير كملكة الشجاعة وملكة الكرم فان من أظهر البسالة في موقف وجبن في موقف آخر لا يقال له شجاع فان دوام البسالة واستمرار العطاء مقوم لصدق الشجاع والكريم وكذلك الحال في بقية الصفات النفسية .

فالعدالة ملكة نفسانية مثل ملكة الكرم بدليل قوله (ص) «من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته وظهرت عدالته» (١) .

فظاهر قوله (ص)«وظهرت عدالته» ان العدالة شيء وظهورها شيء آخر فهي صفة كامنة في النفس تظهر باثارها الخارجية التي منها الأمور الثلاثة فالمروة صفة للمرء باعتبار أفعاله الخارجية واليها يشير قوله (ص) «كملت مروته» والعدالة صفة نفسية للمرء ، تظهر في افعاله وأقواله .

ويدل على ان المبدأ - أي المصدر - في أمثال هذه الصفات مأخوذ بنحو الملكة صدق العفيف على الموصوف بالعفة في جميع حالاته حتى في حال لا يكون فيها فاعلا لواجب أو تاركاً لحرام ، كما يصدق الشجاع على الموصوف بالشجاعة حتى في حال عدم صدور فعل منه ويصدق الكريم على الموصوف بالكرم ولو في حال النوم ، وكذلك الحال في صدق سائر العناوين الواردة في النصوص المختلفة لفظاً المتقاربة معنى ، مثل الخير والصائن والعدل .

فان اعترض علينا بأن هذه العناوين وان كانت دالة على الملكة ، لكنها لاتدل على الملكة الخاصة المعتبرة فى العدالة لامكان حصول الملكة للمتلبس بها من جهة اخرى كطلب المنزلة عند الناس .

أجبنا بأنه ان حصلت الملكة للمرء فهي الباعث والزاجر في جميع الاحوال وفي جميع الأوقات، فالشجاع شجاع دائماً والكريم كريم دائماً، فمن يبدي البسالة في حال وهو جبان في حال اخرى ليس بشجاع ، ومن يسخو في وقت ويضن في وقت آخر ليس بكريم ، اذ الاول فاقد لملكة الشجاعة ، والثاني فاقد لملكة الكرم وهذا المعنى لا صلة له بضعف الملكة وقوتها ، اذ المفروض مساواة الأحوال من حيث فاعلية الملكة، فالذي يأبى الدخول في الاثم وهو في المحضر ولا يأبى الدخول

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الشهادات ٤١/١٥ .

فيه في الخلوة ليس بعفيف ، وهو فاقد لملكة العفة ، لان واحدها بأراد في جميع احواله .

ففاعلية الملكة طبيعية . نعم قد تصير الملكة مغلوبة في بعض الاحوال من جهة معارضتها بأقوى منها ، لكن المغلوبية لا تتنافى مع وجود الملكة وهذا غير الامتناع في المحصر والارتكاب في الخلوة فان المغلوبية لا تختلف في الغيب عنها في الشهادة ومما ذكر ظهر فود المسلك الثالث من مسالك القوم ، وهو الذي سلكه العلامة الحلي قدس سره وتبعه كثير ممن تأخر عنه . . .

قال صاحب الذخيرة على ما حكي عنه ، بعد ذكر تعريف العدالة بالملكة ، «اني لم اجد في كلام من تقدم على المصنف وليس في الاخبار منه شاهد ولا أثر» .

أقول : أما عدم وجود هذا التعريف في كلام من تقدم على العلامة فغير مضر به فكم ترك الاول للاخر . وأما دعوى عدم وجود شاهد عليه في الاخبار فغير صحيحة فقد عرفت دلالة النص الصحيح عليه ، بل ونصوص اخرى .

ثم ان هناك وجوهاً قد اوردت على القول بالملكة :

أحدها ما عن المحقق البهبهاني في شرح المفاتيح : « من أن حصول الملكه بالنسبة الى جميع المعاصي بمعنى صعوبة الصدور ، ربما يكون نادراً بالنسبة الى نادر من الناس اذا فرض تحققه ، ويعلم ان العدالة مما تعم به البلوى وتكثر اليه الحاجات في العبادات والمعاملات والايقاعات ، فلو كان الامر كما يقولون لزم الحرج واختل النظام مع ان القطع حاصل بأنه في زمان الرسول (ص) والائمة ما كان الامر على هذا النهج بل من تتبع الاخبار الكثيرة يحصل له القطع بأن الامر لم يكن كما ذكروه في الشاهد ولا في امام الجماعه .

ويؤيده ما ورد في أن امام الصلوة اذ أحدث أو حدث له مانع آخر أخذ بيد آخر ، وأقامه مقامه » .

والجواب : بعد تسليم الندرة ان القول بالملكة انما يستلزم الحرج واختلال النظام اذا لم يجعل حسن الظاهر وجوداً تنزيلياً للعدالة ، والا فلا يستلزم ذلك .

مضافاً الى ان أصل الندرة محل منع ، قال شيخنا الانصاري قدس سره :

« ان المعتبر في العدالة هو الحالة التي يجد الانسان بها مدافعة الهوى في أول الامر وان صارت مغلوبة بعد ذلك ، ولذا تصدر الكبيرة عن ذي الملكة كثيراً

وهذه الحالة غير عزيزة على الناس وليست نادرة حتى يلزم من اعتبارها الحرج والاختلال بل الانصاف أن الاقتصار على ما دون هذه المرتبة يوجب تضييع حقوق الله وحقوق الناس . . . » .

ثانيها : ما عن السيد الصدر شارح الوافية وخلاصته :

« اني لم اطلع على دليل ظني فضلا عن القطعي على اعتبار الشارع العدالة بمعنى الملكة ، وصحيح ابن أبي يعفور على خلاف ذلك أدل ، وأما جعل حسن الظاهر طريقاً الى معرفة الملكة فمستلزم لئلا يكون ثمرة للنزاع في أن العدالة ماذا؟» .

اقول ولعله قد اخذ ذلك من كلام المحقق السبزواري في الذخيرة وقد عرفت دلالة النصوص على اعتبار الشارع العدالة بمعنى الملكة وكيف يكون صحيح ابن ابي يعفور على خلاف القول بالملكة أدل وقد فسر فيه العدالة بالستر والعفاف تارة وبكف البطن والفرج واليد واللسان أخرى مع ان العفاف والكف من افعال النفس

وأما الثمرة لجعل حسن الظاهر طريقاً الى ثبوت العدالة بمعنى الملكة فهي عدم اعتبار القطع والاطمينان بوجود الملكة لترتيب آثار العدالة وعدم لزوم الفحص عن خفايا الناس وأسرارهم وكفاية ظاهرهم المأمون لترتيب اثار العدالة .

ثالثها : ان الحكم بزوال العدالة عند عروض ما ينافيها من معصية أو خلاف مروة ورجوعها بمجرد التوبة ينافي كون العدالة هي الملكة .

وقد اجاب عنه شيخنا الانصاري قدس سره بان المعتبر في مانعية الملكة عن صدور المعصية هو المنع الفعلي اذ لاقائل بكون العدالة مجرد الملكة من غير اعتبار المنع الفعلي واما التوبة فهي رافعة لحكم المعصية وتجعلها كغير الواقع فزوال العدالة بالكبيرة حقيقي وعودها بالتوبة تعبدي بل الندم على المعصية يعيد الحالة السابقة وهي الملكة المتصفة بالمنع اذلا فرق بين من يمنع ملكته عن ارتكاب المعصية وبين من توجب عليه تلك الملكة الندم على ما مضى منه لامتناع صدور المعصية حال الندم » .

ويرد عليه ان زوال العدالة بالكبيرة ليس حقيقياً بل هو تعبدي فان الملكة في جميع الصفات النفسية التي تكون سبباً لافعال خارجية لم تؤخذ بنحو العلية التامة بل أخذت بنحو المقتضي ولذا قالوا: ان الجواد قد يكبو وان الصارم قد ينبو ، فأخذ ملكة العدالة بنحو العلية التامة جاء من ناحية الشارع .

وأما عودها بالتوبة فليس بتعبدي لأن مغلوبية الملكة في مورد غير ملازم لزوالها فهي عند صدور كبيرة ليست بزائلة حتى يكون عودها بالتوبة تعبدياً ومن المعلوم ان الندم على المعصية كاشف عن بقاء الملكة وليس بمعيد لها .

فالصواب في الجواب ان يقال : ان زوال العدالة عند عروض ماينافيها غير مناف لكون العدالة هي الملكة لان ملكة العدالة أخذت بنحو الاقتضاء مثل بقية الملكات للصفات كما ان رجوعها بمجرد التوبة غير مناف ايضاً مع كون العدالة ملكةبهذا المعنى فان فعلية تأثيرها راجعة بمجرد التوبة فانالمعروفأن الملكة بنحو الاقتضاء غير زائلة و انما الزائل فعلية تأثيرها وهي عائدة بالتوبة . نعم ملكة العدالة عند الشرع أخذت بنحو العلية وهي تزول عند ارتكاب كبيرة .

وبعبارةاخرى ان صدور المعصية من صاحب الملكة لازم أعملزوالها بمعنىانه غير كاشف عن زوال ملكة العدالة الطبيعية وانكان يكشفعن زوال العدالةالشرعية

فاذا صدرت معصية من عادل فاما ان يحصل الندم على فعلها أو لايحصلفان حصل فهو كاشف عن بقاء الملكة الطبيعية .

فالندم والعزم على عدم العود يمكن القول بتحقيق مصداق العدالة الشرعية فما يزول بسرعة يعود بسرعة وأما اذا لم يحصل الندم لم تعد العدالة .

رابعها: ما هوالمشتهر بينهم من تقديمالجارح على المعدل وذلك لايتأتى الاعلى القول بأن العدالة هي نفس حسن الظاهر وأما على القول بانها الملكة فلايتجهلان المعدل انما ينطبق عن علم حصل له بعد طول المعاشرة والاختبار أو بعد الجهدفي تتبع الاثار فيبعد صدور الخطأ منه .

ويرشد الى ذلك تعليلهم تقديم الجرح بأن الاخذ بقول الجارح تصديق له

وتصديق المعدل لانه مانع من وقوع الجرح والتعديل بأن يكون كل منها اطلع على ما يوجب أحدهما وانت خبير بأن المعدل على القول بالملكة انما يخبر عن علم بالملكة وما هو عليه في نفس الامر ففي تقديم الجرح و تصديقهما معا جمع بين النقيضين» ...

والجواب عنه اولا : أن ذلك يرد على القائل بالملكة اذا لم يكن قائلا بجعل حسن الظاهر طريقاً لها والا فان كان قائلا بذلك كما هو مقتضى التحقيق ـ فاخبار المعدل كما يمكن أن يكون عن علم حصل له بالملكة كذلك يمكن أن يكون حصوله من ناحية الظاهر المأمون في الراوي ولا بأس بدعوى كون أكثر التعديلات ناشئة من احراز حسن الظاهر .

وثانيا: أنه على القول بان العدالة هي الملكة لا يصير تقديم الجرح وتصديقهما معاً جمعاً بين النقيضين لان حصول الملكة لاحد غير ملازم لدوامها وبقائها في جميع حياته فاخبار المعدل وان كان عن وجودها واخبار الجارح وان كان عن عدمها لكنهما غير متعرضين لوحدة الزمان في المخبر به فلا يكون تصديقهما معاً جمعاً بين النقيضين فان وحدة الزمان شرط في التناقض ...

ثم ان القول بان العدالة هي الاستقامة في الاعمال وانها صفة للافعال الخارجية فقط لا يخلو من ضعف اذ يرد عليه :

اولا: ان هذا القول مستلزم لصدق العادل على من أتى بالواجبات بداع الهي و ترك المحرمات بغير داع الهي .

وثانيا : ان المراد من الاستقامة في العمل ليس الاستقامة فيه من ابتداء زمان التكليف الى آخر العمر قطعاً . كما انه ليس المراد منهـا الاستقامة في خصوص زمان ترتيب آثار العدالة بل المراد هو الاستقامة في مقدار من الزمان يمضي على اتيان الواجبات و ترك المحرمات بحيث يصدق عليه أنه مستقيم العمل او عدل او خير أو غيرهما من العناوين الواردة في الباب وذلك يكشف عن كون العدالة هي الملكة النفسانية اذ لا حصول للاستقامة في المقدار المعتبر من الزمان الا بالملكة لان

الاستقامة لا تتحقق الا بالمراقبةوهي تحصل بالملكة بل انالمراقبة فى زمانغير قصير محصلة الملكة .

وثالثا : أن الاستقامة في العمل جعلت في النصوص معرفاً للعدالةووجوداً تنزيلياً لها وقد مرت اليه الاشارة وسيجيء الكلام فيها تفصيلا فليست هى نفس العدالة.

اشتراط التأثير الفعلي للملكه

قد اجمع الفقهاء على ان ارتكاب الذنب ولو مرة واحده يضر بالعدالة ، فالعدل هو الذى لا يرتكب كبيرة اصلا ويدل عليه اطلاق قوله (ع) فى الصحيحة « وتعرف باجتناب الكبائر » .

واطلاق قولهالاخر «والدلاله على ذلك كله أن يكون ساترا لجميع عيوبه» ويشهد له خبر علقمة : «فمنلم تره بعينك يرتكب ذنبا ولم يشهد عليه شاهدان فهو من اهل الستر والعدالة» . وخبر ابن سيابة : « لا بأس اذا كان لا يعرف بفسق » وتنكير الذنب والفسق فيهماشامل للدخول فيالجريمة ولو مرة فمندخل فيها مرة فقدخرج عنالعدالة.

كل هذا بمقتضى الشرع وان ظاهر النص والفتوى اشتراط التأثير الفعلي للملكة فهي مأخوذة بنحو العلية لكن ملكات الصفات عندغير الشارع مأخوذةبنحو المقتضى لا بنحو العلية التامة ولذا فان جبنالشجاع فيمعركةلا يدل علىزوالملكة الشجاعة فقد يجتمع الجبن مع الشجاعة وذلك اما لضعففيالملكة فتصير مغلوبة او لفقدان الشرط لفاعليتها . بخلاف ملكة العدالة عند الشارعفانها لاتجتمع معاي فسق اصلا . وقد تحصل مما ذكرنا ان العدالة صفة نفسانية ، حاصلة من خوف الله تعالى تجعل المرء مراقبا لنفسه ملاحظا لافعاله واقواله فى جميع احواله وانشئت قلت انها ملكة الاجتناب عن محارم الله ...

وتعليق الحكم على الوصوف مشعر بالعلية فالاجتناب من الاثم من جهةكونه من محارم الله تعالى .

الاجتناب عن الصغيرة

هل الاجتناب عن المعصية الصغيرة داخل في العدالة ام لا ؟ وجهان بل قولان .

استدل الاول باطلاق متعلق قوله (ع) «بالستر والعفاف» ومثله قوله (ع) «وكف البطن والفرج واليد واللسان» فانها تفيد ان تقوم العدالة انما هو بالاجتناب عن مطلق الاثم كبيراً كان او صغيراً .

وكذا عموم قوله (ع) . «والدلالة على ذلك كله أن يكون ساترا لجميع عيوبه» فان كلمة جميع من أدوات العموم .

ويمكن ان يقال أنه لما كانت الكبيرة لايختص صدورها بالبطن والفرج واليد واللسان بل قد تصدر من عضو آخر كالفرار من الزحف فانه يصدر من الرجل ، كالرياء الذي لايصدر من عضو خاص وكذلك عقوق الوالدين فيكون تخصيص الاعضاء الاربعة بالذكر من جهة كثرة صدور الكبائر منها واذا تقرر ذلك فاطلاق الكف لايخلو من اشكال من جهة احتمال قرينية الموجود لكون الكلام ناظراً الى الكبائر فقط كمايرد الاشكال في اطلاق الستر والعفاف ايضاً فان الفقرتين متداخلتان من حيث المدلول ، ووارد تان لبيان معنى واحد ومما ذكرنا ظهر النظر في الاستدلال بعموم قوله (ع) «لجميع عيوبه فان سوق الكلام بشيء قد يصير قرينة على ان المقصود من العيب هو الكبيرة فقط وهناك قرينة أخرى شاهدة وهي الفقرة التي جاءت في ذيله وهي قوله (ع) : «حتى يحرم على المسلمين ماوراء ذلك من عثراته وعيوبه».

اذ لو كان المقصود من قوله (ع) : جميع عيوبه ، عموم الكبائر والصغائر لما بقي ماوراء ذلك عيب وعثرة مع أن المفروض في الكلام بقاء عيوب وعثرات بعد تلك العيوب ويمكن الاستدلال لعدم دخول الاجتناب عن الصغائر في العدالة باطلاق قوله (ع) «ويعرف باجتناب الكبائر» .

فان اطلاقه حاكم بعدالة من عرف باجتناب الكبائر سواء عرف باجتناب الصغائر ام لا ، ومن القريب أن يكون لفظ «الكبائر» مبيناً لما حذف من متعلقي

الجملتين ، فاطلاق المتعلق فيها يكون منتفياً .

ويمكن الاستدلال باطلاق قوله (ع) في صحيحة حريز « اذا كانوا اربعة من المسلمين ليس يعرفون بشهادة الزور اجيزت شهادتهم جميعا » (١) فأن شهادة الزور من باب المثال وهي كناية عن مطلق الكبائر . . ومثله ما عن امير المؤمنين (ع) : «ان المسلمين عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد لم يتب منه او معروف بشهادة الزور أو ظنين» (٢).

وأما خبر العلا بن سيابة : « سألت ابا عبد الله (ع) عن شهادة من يلعب بالحمام ، قال : (ع) لابأس اذا كان لايعرف بفسق) (٣).

وخبر علقمة : «فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ، أو لم يشهد عليه شاهدان فهو من أهل الستر والعدالة » (٤) فلا سبيل لتعارضهما لضعف في سنديهما ولشك في اطلاق الفسق والذنب حتى يعم الصغيرة ، لانهما واردان في مورد آخر فلا نظر لهما الى هذه الجهة ، ولاحتمال كون اطلاق الفسق والذنب ينصرف الى الكبيره حتى لا يقال للصغيرة فسق أو ذنب الا بتوصيفه بالصغر فيقال ذنب صغير . نعم الاصرار على الصغيرة داخل في الكبيرة بحكم النص كما سيأتي فالاجتناب عن الاصرار عليها داخل في الاجتناب عن الكبيرة .

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الشهادات ٤١ / ١٨ .
(٢) وسائل الشيعة كتاب الشهادات ٤١ / ٢٣ .
(٣) وسائل الشيعة كتاب الشهادات ٤١ / ٦ .
(٤) وسائل الشيعة كتاب الشهادات ٤١ / ١٣ .

الشعوبية (٣)

حركة نشأت من طبيعة العلاقات بين العرب والايرانيين في الدولة العربية

الشيخ محمد مهدي شمس الدين

[illegible] في البحث [illegible]

[illegible]

وقد [illegible] في البحث [illegible]

[illegible] السياسة الأموية على [illegible]

[illegible] في هذا البحث [illegible]

[illegible] الفعل ضد السياسة الأموية [illegible]

على ردود الفعل [illegible] مما نتج عنه [illegible]

النهاية .

ردود الفعل ذات الطابع العسكري الثورات :

١ — في قريش :

اذا كانت سياسة الامويين القرشية في تقديم [illegible] ابق قد جاءت في النهاية ، فانها في هذا [illegible] يحتل المركز الاول لانها [illegible] حماها السلطان وردود [illegible]

[illegible] الامويين [illegible] قبائل [illegible] المطلقة [illegible] والهاشميون طامحون [illegible] والعلويون ، وكلهم يرفضون [illegible] من اساسها .

اذن كل هؤلاء جميعاً طامحون الى السلطة ، [illegible] عن طموحهم اولا بالنقد ، ثم [illegible] طموحهم هذا بالثورة ، وكانت ثورات [illegible] يولد مزيداً من الحقد ومزيداً من التعصب ، ومزيداً من الثورات وسفك الدماء .

ولكن من هم هؤلاء الذين كانوا يشكلون قاعدة هذه الثورات وجمهورها، ووقودها في النهاية ؟.

ب ــ في العرب :

تحت شعارات الاسلام ثار الطامحون الى الحكم من الزعامات القرشية وغيرها، وتحت شعارات الاسلام أيضاً ثارت القبائل العربية المضطهدة

وقد رأينا ان معاوية وخلفاءه لم يسيروا في سياستهم العربية وفقاً للمنطق القومي، وانما وفقاً للاعتبارات القبلية، وكانوا كما رأيناه تارة يعتمدون على مجموعة قبائل اليمن وأخرى يعتمدون على مجموعة قبائل مضر، وكانت زعامات اليمن او زعامات مضر حين تكون بعيدة عن الحكم معرضة للحرمان وللاضطهاد فكانت هذه القبائل تثور بقيادة زعمائها القبليين وتستمر ثورتها ذات طابع قبلي محض او توالي زعيماً من زعماء قريش الناقمين الطامحين او تمادى بمذهب الخوارج الذين يمثلون الرفض المطلق والحاسم لجميع مسلمات النظام الاموي ولجميع الشعارات البديلة التي رفعها الثائرون القرشيون.

ولعل خير ما يصور لنا موقف العرب من الامويين، وحقدهم عليهم، وتحينهم الفرص لتحطيمهم هو ابيات عبدالرحمن بن همام السلولي التي قالها بمناسبة توليه معاوية العهد لابنه يزيد:

فان تأتوا برملة أو بهند
نبايعها اميرة مؤمنينا

اذا ماماتت كسرى قام كسرى
نعد ثلاثة متناسقينا
فيا لهفاً لو ان لنا أنوفاً
ولكن لا نعود كما عنينا
اذا لضربتموا حتى تعودوا
بمكة تلعقون بها السخينا
حسبنا الغيظ حتى لو شربنا
دماء بني امية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم وانتم
تصيدون الارانب غافلينا

هذه هي المشاعر التي كانت المجموعات القبلية البعيدة عن الحكم تواجه بها بني امية وحكمهم وكانت هذه المشاعر تقودها الى الانضواء تحت لواء كل ثائر طمعاً في تغيير الواقع الذي تعاني منه الى واقع أحسن تأمل أن تحصل عليه .

ج ــ المسلمون غير العرب :

اذا كان المسلمون العرب يثورون على بني أمية باستمرار نتيجة لسياستهم العربية ذات الطابع القبلي، فماذا ننتظر من المسلمين غير العرب أن يفعلوا ازاء المشهد الماثل امامهم، هل يندمجون فيه أم يبقون متفرجين عليه ؟

المشهد هو: حكم قائم باسم الاسلام يضطهدهم، ولا يوفر لهم حقوقهم التي ضمنها لهم الاسلام، هذا في جانب . وفي الجانب الآخر ثائرون عرب من زعامات عربية من خلدة زعماء النظام وأهل النظام، ثائرون تحت شعارات العدالة الاسلامية .

ان المسلمين غير العرب من الناحية الموضوعية جزء من المشهد فهم أيضاً مسلمون لديهم اكثر من العرب الثائرين مبررات الثورة

والعرب الثائرون مواطنون من الدرجة الثانية انهم مواطنون من الدرجة الثالثة ، وهذا ... اليهم كمواطنين على الاطلاق . ... وحد من شأن ... لا ... لا يقف المسلمون غير العرب ... على المشهد .

وان منطق الاشياء تقضي عليهم بان يأخذوا ... الطبيعي في المشهد ، ... من الثائرين وهذا ما حدث في واقع الامر .

ان هذا التحليل يسلمنا الى حقيقة ... الاموية ، وهي ان المسلمين غير العرب لم يكن لهم رد فعل ... عن غيرهم من اخوانهم العرب المسلمين المضطهدين ... وهم لم يقوموا بثورات مستقلة عن العرب ... ذاتها وجماهيرها ضد الدولة الاموية ، انما كانوا ... الثائرين ... دائماً ... وكان ... العرب يتقدمونهم ... دائماً كان الثائرون من العرب ... عربية .

لقد كان المسلمون العرب ... الى ... يحقق لهم فيه المساواة في المعاملة مع غيرهم من العرب الذين يتمتعون بفرص السلطة ... ، وهذا ما كان يطمح له المسلمون غير العرب أيضاً وقد وجد كل فريق في الاخر حليفاً طبيعياً ضد الحكم الذي ... الاسلام ولا يطبق الاسلام .

وهكذا يتضح ان الشعوبية (في مظهرها العملي الثوري ضد السلطة الاموية) ليست فعلا اصيلا ، وانما هي رد فعل مرافق لرد فعل العرب الساحقة الثائرين ... رد الفعل هذا وذلك ضد ... نتيجة اصطراع العرب ... .

... مع العرب وغيرهم من المسلمين . ... تناقض اساسي بين شعار الدولة وعقيدتها ... وبين سياسة السلطة وواقعها ... هذا التناقض الاليم الى التمزق الاجتماعي ثم الى الثورات .

لقد كان يمكن أن ... الدولة الاموية ... او انها كانت قومية مطلقاً وحقيقة ... بالتأكيد ... اكثر مما ... انها كانت اسلامية مظهراً وحقيقة .

... والدولة ذات ... اسلامي وذات حقيقة قبلية ، تحت شعار ... من العنصرية العربية . وكان لابد ان تلاقي المصير الذي لاقته في النهاية على يد المسلمين العرب وغيرهم وتحت قيادة ... عربية ... ممثلة بالعباسيين .

ه جاء العباسيون .

والمعروف الشائع انه بمجيء العباسيين ... العنصر العربي ... ، ولم يعد له ... في الدولة ، واستأثر الفرس بكل ... هذا الرأي بعيد عن الصحة تماما . ... خلاف الامويين لم يكن الحاكمون العباسيون قبليين ولا عنصريين ، وانما كانوا في العصر العباسي الاول رجال دولة مصممين على ... وعلى الاحتفاظ بسلطانهم الكامل فيها ، وكانوا يستعينون بكل قوة سياسية او عسكرية تؤمن لهم هذا الهدف . وكانت القوة السياسية و... المتاحة لهم خليطاً من العرب والفرس ، وينبغي لنا ان نعلم انه ليس الفرس

وحدهم هم الذين جاءوا بالعباسيين الى السلطة بل كانوا شركاء العرب في ذلك كما رأينا آنفاً حين ذكرنا ان المجموعات القبلية المضطهدة من قبل الامويين ثارت عليهم ، وساعدت العباسيين - مع الفرس - على الوصول الى السلطة

ومن هنا نستطيع أن نعتبر العصر العباسي الاول عصر المشاركة بين العرب والفرس في الدولة الى حد كبير ، باستثناء فترات قليلة سيطر فيها العنصر الفارسي كما حدث في عهد البرامكة ، وذلك لان العباسيين وان كانوا قد اعترفوا بمساعدة الفرس لهم في تأسيس دولتهم الا انهم لم ينسوا عروبتهم ، وحبهم الملك والسلطان ، فلم يسمحوا لمواليهم وأنصارهم ان يزاحموهم في سلطانهم ، أو يعملوا على تحويل الامر الى اعدائهم العلويين ، ومن ثم رأينا الخلفاء العباسيين ينكلون بوزرائهم الذين مالوا الى العلويين أو اتهموا بالميل اليهم ، او الذين سيطروا على السلطة بدرجة كبيرة ونجد ابا العباس السفاح قد نكل بأبي سلمة الخلال ، والمنصور نكل بأبي مسلم الخراساني والمهدي بيعقوب بن داود ، والرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل ، وكل هؤلاء فرس .

وكما كانوا لا يمكنون الفرس من السيطرة المطلقة كانوا يحولون بين العرب وبين ان يستعيدوا قوتهم لدرجة تهدد السلطان .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان النفوذ العربي كان في عهد المنصور قوياً الى درجة ان المنصور خاف من اتحاد كلمة جنده ، فلجأ الى تفريق كلمتهم وتمزيق صفوفهم باثارة النعرات القبلية بينهم بواسطة قثم بن العباس بن عبيد الله ابن العباس ، فافترق جيش المنصور فصارت مضر فرقة ، واليمن فرقة ، والخراسانية فرقة وربيعة فرقة . فقال قثم لابي جعفر « فرقت بين جندك وجعلتهم احزاباً ، كل حزب يخاف ان يحدث عليك حدثاً فتضربه بالحزب الآخر »(١)

في العصر العباسي الاول ثار العرب في اماكن متعددة ، كما ثار الفرس ايضاً ، وكانت ثورات العرب تحت شعارات دينية هي شعارات الخوارج تارة وشعارات العلويين اخرى ، كما ثار الفرس الطامحون الى استعادة شخصيتهم الحضارية والقومية ولكن كما قمعت ثورات العرب قمعت ثورات الفرس ايضاً ، وكانت القوة العسكرية الضاربة هي القوة الموالية للنظام او الحزب العباسي ، وهي مؤلفة من العرب والفرس معاً ، العنصرين اللذين كان الجيش يتكون منهما في العصر العباسي الاول .

لا اريد ان انكر وجود صراع عربي فارسي في العصر العباسي الاول ولكن الصراع لم يهدأ ، كان العرب يطمحون الى درجة ممتازة من المواطنية ، كما كان الفرس يطمحون الى ذلك ، ولكن خلفاء العصر العباسي الاول لم يمكنوا اياً من الفريقين من تحقيق مطامعه على حساب الفريق الآخر ، لما ذكرنا من ان هؤلاء الخلفاء كانوا رجال دولة لا يفكرون تفكيراً عنصرياً او قبلياً وانما كانوا يدركون انهم يحكمون دولة مكونة من هذين العنصرين

---

(١) الطبري / ط دار المعارف ج ٨ ص ٣٧-٣٩ .

، ادهم الاحتفاظ بها وسلطانهم عليها .

أما في العصر العباسي الثاني فقد تغيرت الصورة تماماً ، فمنذ عهد المعتصم حل الأتراك في جبهة الصورة وأصبحوا العنصر الأول في الدولة ، وذلك بسبب عزله العرب والفرس معاً ، من الجيش من العطاء (الراتب السنوي الذي يدفع للمحاربين) وفقدوا مراكزهم القيادية في الجيش . وبهذا نشأ عامل جديد من عوامل الصراع في جسم الدولة العباسية ثم دخل المغاربة والفراعنة والديالمة كقوى سياسية وعسكرية متصارعة في داخل الدولة ، وقد أدت تفاعلات هذا الصراع في النهاية الى انحلال الدولة العباسية .

* * *

هذا التحليل يؤدي بنا الى النتائج التالية

أ ـ بالنسبة الى الدولة الاموية:

١ ـ لم تكن الدولة الاموية اسلامية الروح ولا قومية الروح ، وانما كانت قبائلية الروح ولذا فانها لم تكن تمثل المسلمين جميعاً ولا العرب جميعاً ، وانما كانت تمثل من العرب الفريق الذي تعتمد عليه في مرحلة معينة.

٢ ـ هذا الواقع ادى الى ان يعاديها العرب الساخطون والفرس الساخطون معاً ، كرد فعل لموقفها من الفريقين معاً .

٣ ـ واذن فليس الفرس وحدهم مسئولين عن انهيار الدولة الاموية ، لقد ساهموا في تحطيمها . نعم ولكن كان لهم شركاؤهم العرب الاخرون .

٤ ـ واذن ، فموقف الفرس لا يمثل عداء للعرب بقدر ما يمثل عداء للامويين ونظام حكمهم القبلي ، شأنه في ذلك ما يمثل موقف العرب الساخطين من عداء الامويين ونظام حكمهم القبلي .

ب ـ بالنسبة الى الدولة العباسية :

١ ـ الدولة العباسية نتاج جهد عربي فارسي مشترك .

٢ ـ الخلفاء العباسيون (في العصر الاول) لم يكونوا ذوي تفكير قبلي ولا عنصري وانما كانوا رجال دولة ولذا فلم يتحيزوا مع العرب كما لم يتحيزوا مع الفرس ، وانما حاولوا تحقيق التوازن بين العنصرين وجندوا لكل ثائر من العرب والفرس جيوشاً مؤلفة من العرب والفرس معاً .

٣ ـ انحلت الدولة العباسية (ابتداء من العصر العباسي الثاني) لا بسبب الفرس وانما بسبب دخول الاتراك الى السلطة ، والاخلال بسياسة التوازن بين العناصر القومية في الدولة .

هذه خلاصة عن ردود الفعل ذات الطابع العسكري للثورات .

ردود الفعل ذات الطابع الفكري / المثالب:

لقد احتقر الفرس في العصر الاموي ، وشتموا وديست كرامتهم الانسانية باستمرار ، فقد اعتبرهم (العرب) دونهم دماً ، ولغة ، وحسباً ، وأرباً ، وشجاعة ، وخلقاً ، حتى لقد اعتبر جرير ان الاساءة الى غير العربي (الموالي) لا تعد عيباً وذلك حين نزل بقوم ولم يضيفوه حتى اشترى منهم طعامه فقال :

يامالك بن طريف ان بيعكم
رفد القرى مفسد للدين والادب

قالوا نبيعكم بيعاً فقلت لهم
بيعوا الموالي واستحيوا من العرب

ولكن غير العرب سكتوا في العصر الاموي فلم يعيبوا العرب ولم يشتموهم ، لان هذا كان خليقاً بان يعرضهم لاضطهاد أشد واحتقار أو جرح وكان قصارى ما يفعل من واتته الجرأة من شعرائهم ان يرد على الاحتقار والشتائم بالفخر بأصله وتأريخه دون ان يتجاوز ذلك الى شتم العرب وتجريحهم . وكانوا في كثير من الحالات لا يسلمون من الايذاء اذا افتخروا كالذي صنعه هشام بن عبد الملك باسماعيل بن يسار حين أنشده شعراً يفتخر فيه

واذن فقد كان الاحتقار والسباب في العصر الاموي من جانب واحد هو جانب العرب ضد الفرس ، دون أن يرد هؤلاء بشيء يذكر على هذه الحملة الكلامية التي استهدفوا لها . أما في العصر العباسي فقد تبودلت حملة السباب والشتائم والتجريح من الجانبين وشبت حرب كلامية قذرة بين الفريقين كانت نتيجتها شعر هجائي كثير ، ونثر تضمنه ما يسمى بكتب المثالب مثالب العرب يكتبها الفرس ومثالب الفرس يكتبها العرب ، وتشيع بين الناس من هؤلاء وهؤلاء فتنشر بين الاخوة روح العداء وتغرس في نفوسهم بذور الكراهية والاحقاد .

من المسؤول عن هذا ؟

ان المسؤولية الاولى تقع - بلا ريب - على الامويين الذين اوجدوا بسياساتهم المجافية للاسلام المناخ الملائم لهذه الروح بين العرب انفسهم فنشأ ما يسمى بـ «النقائض» وبين العرب والفرس فنشأ ما يسمى بـ «المثالب» .

ولكن اذا كان الامويون مسؤولين فهل يعفى من المسؤولية اولئك الذين فجروا هذا الصراع في العصر العباسي ، فشجعوا على بث روح العداء بين كتاب وشعراء ابناء الامة . الفرس والعرب جميعاً ؟

بمقياس اسلامي واخلاقي لا نستطيع ان نعفي هؤلاء من المسؤولية أبداً .

ولكن من هم ؟

من هم الذين فجروا هذا الصراع في العصر العباسي فدفعوا الآخرين الى مقابلتهم والرد عليهم؟

انا لا نملك نصاً صريحاً يعين هؤلاء او هؤلاء .

وربما يقال بأن الملاحظة الدقيقة لكثير من النصوص الشعرية للشعراء غير العرب تكشف عن ان شعرهم رد على «التعيير» ورد على «التساؤل» وما أشبههما مما قد يوحي بان هذه النصوص ردود فعل ضد التحدي ، وليست تحديات ابتدائية ونتيجة لذلك يكون العرب هم المسؤولين عما حدث

ولكننا نلاحظ ان هذا الاسلوب التعبيري في الاستهلال أسلوب تقليدي عند العرب ايضا الجاهليين منهم والاسلاميين ، وكثيراً ما ينشأ مشهد افتراضي لا يتمتع بأي واقعية ، ولذا فلا يمكن ان تشكل هذه الملاحظة قرينة تدين العرب في هذه القضية .

من جهة أخرى نلاحظ أن الاعتبارات النفسية والاجتماعية مضافاً الى الشواهد الشعرية التي نملكها من صدر الدولة العباسية ومن

أيام أبي العباس السفاح بالذات تشير الى الفرس ، أم هم المسؤولون عما حدث

ان روح البغضاء للاده من اسمت شماب ...رهم من العرب ، وان د كريات الاستبهاد والاحتقار الكثيرة ، والضاربة عميقاً في التاريخ دوما بشعراء وكتاب الفرس الى ميدان الهجاء والشتائم كرد فعل لما عانوه من احتقروا ستبهد وأدى هذا الى أن يرد عليهم العرب ، وعندما نشبت المعركة واتسعت مع الايام

ولقد كان من الممكن تفاديها لو أن القيادات الثقافية ذات المنشأ الفارسي اعتصمت بتعاليم الاسلام في هذا المجال ، ولكانت قد تحقق على ايدى الفرس والعرب معاً من ازالة العصبية القبلية والعنصرية في ظل دولة تحقق التوازن بين جميع فئات سكانها لو ان العرب اقتصروا على الفخر واعتصموا بالاسلام، ولو أن الفرس اقتصروا على الفخر واعتصموا بالاسلام ولم يشتم الفرس العرب لما شتم العرب الفرس ، و لما نشبت الحرب الكلاميه ولما اتسع .. ه وتعاظمت .رها .

بين يدي الان أبيات للخريمي الشاعر دولي ابن خريم اعتبرها نموذجا لما كان ينبغي ان يكون ، انه يفتخر فيها ، ولكنه يرى ان الفخر الاعلى انما يكون بالدين والعقل ، وهو يؤكد فيها على مبدأ المساواة الانسانيه التي يكون التفاضل فيها بعمل الخير

أبا الصغد بأس اذ تعيرني جمل
سفاهاً ومن أخلاق جارتي الجهل
فان تفخري يا جمل او تتجملي
فلا فخر الا فوقه الدين والعقل
ارى الناس شرعاً في الحياة ولا ارى
لقبر على قبر علاء ولا فضل
وما ضرني ان لم تلدني يحابر
ولم تشتمل جرم علي ولا عكل
اذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

هذا النموذج مثال لما كان ينبغي ان يكون من العرب والفرس معاً ، ولكن ما حدث سار في غير هذا الاتجاه ، فكان الطوفان

* * *

هذا عرض وتحليل للشعوبية في مظهريها العملي والنظري

وهي في مظهرها العملي / الثورات ، تملك المبررات الواقعية والدينية والاخلاقية ولكنها في مظهرها النظري / المثالب، اذا كانت مبررة من الناحيه الواقعيه ، فانها غير مبررة دينياً واخلاقياً .

غير مبررة من البادئين من اى الفريقين كانوا ، وغير مبررة من الراوين عليهم من اى الفريقين كانوا . ان الشعوبية في مظهرها النظري وصمه عار في تاريخ المسلمين يحب ان ندان أياً كان القائمون بها والمفتعلون بمارتها من جميع الاطراف. ولسنا بحاجة الى ان نلطف اخطاءنا بالقاء وزرها على غير نا نحن المسلمين بل علينا ان نعري هذه الاخطاء وان ندفنها ونتبرأ منها ومن فاعليها ، وان نأخذ انفسنا بعدم التورط فيها الان وفي المستقبل

وهذا ما يضعنا أمام مسؤوليا تنا الان ان ثمة محاولات بذلت وما تزال تبذل حتى الان لتمزيق الوحدة

الروحية والشعورية عند المسلمين ، وذلك بطرق شتى : احياء الثقافات الجاهلية القديمة قبل الاسلام والتركيز على الاخطاء التاريخية التي ارتكبت بعد الاسلام لا لاجل ادانتها وانما لاجل بث الحياة فيها وجعلها جزءاً من مشاعر المسلم العادي ، ان الاستعمار وراء هذه المحاولات ، كما كان وراء محاولات احياء الشخصيات الاقليمية في العالم العربي . انها محاولات يجب ان تفضح وان تدان ، ان نداء الله هو ما يجب أن يصغي اليه المسلمون في مشارق الارض ومغاربها لا نداء العصبيات الجاهلية المدمرة .

فان نداء الله هو الذي يضعهم ـ ان استجابوا له ـ في مركز معلمي العالم كيف يتعايش بالحب والتعاون على البر والتقوى .

المصادر

١ ـ تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك

٢ ـ تاريخ المسعودي : مروج الذهب

٣ ـ ابن عبد ربه الاندلسي : العقد الفريد

٤ ـ عبد العزيز الدوري : مقدمة في دراسة تاريخ صدر الاسلام .

٥ ـ دكتور محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية

٦ ـ دكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام

٧ ـ دكتور علي ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامي العام .

٨ ـ احمد الشايب : الشعر السياسي .

٩ ـ احمد امين : فجر الاسلام .

١٠ ـ احمد امين : ضحى الاسلام

١١ ـ يوليوس فلهاوزن : الخوارج والشيعة

١٢ ـ فان فلوتن : السيادة العربية .

١٣ ـ محمد مهدي شمس الدين : ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية

١٤ ـ بعض الدواوين الشعرية

مع حياة القادة

أهل البيت (ع) (٨)

الشيخ محمد علي التسخيري

- مما سبق .
- المثال الأخير (قضية الإمام المهدي (ع)).
- الاعتقاد بالمهدي من المسلمات الإسلامية .
- إن لم يكن هذا كافياً فكيف نصل إلى الإسلام؟
- وقفة احترام وتقديس لنظرة أهل البيت (ع) .

مما سبق

ذكرنا أن البحث في حياة أهل البيت الفكرية والعملية يلزم أن تراعى فيه بدقة قواعد البحث المنطقية العامة لأنه يتصل بقضية قيادة الإنسان عبر العصور .

وقلنا بأن البعض من الباحثين ـ إن صح هذا التعبير عنهم ـ لم يلتزموا بها..

وعرضنا مثالين على القارىء الكريم فإنا في هذه الحلقة سنعرض مثالاً واحداً يلاحظ فيه عدم توفر القواعد السابقة لندخل فيما بعد إلى رحاب حياتهم (ع) في شيء من التفصيل .

والمثال الذي اخترناه هنا هو :

«قضية الامام المهدي (ع)»

وهي القضية التي كانت في مطلع الايمان بها من اشد الضروريات التي اعتقد بها المسلمون خلال قرون ولكنها عادت بعد ذلك فاصبحت مورداً للطعن والتشكيك من قبل البعض تبعاً لتغير المنطلق في البحث والنظرة الى الاسلام ومصادر احكامه من نظرة ايمان وتعبد مصحوبة بالمقارنة الموضوعية الى نظرة هي اشبه الى رؤيتنا ومعالجاتنا لاية قضية اجتماعية وجدت كظاهرة جديدة واستناداً الى ذوقنا الشخصي وبتعبير ادق انها اصبحت مورداً للتشكيك بعد ان حاولنا ان نفرض على العقيدة من عندياتنا التي استنبطناها من دراسة خاصة او تأريخ معين او موقف مذهبي متميز وحتى هذا الموقف ايضاً لم يراع مايجدر به أن يراعيه .

فالمراجع لهذه القضية الهامة يجد ان مقومات البحث المنطقي مفقودة بكل اصولها عند المشككين فيها فيتصدى للبحث اشخاص ليسوا هم في مستواها او هم ذووا اختصاص ولكن في جوانب اخرى لاتمت الى البحث الا بصلة بعيدة:

فتساق رواية او روايتان ، مثلا او قول لمؤرخ ثم تبنى على أساس ذلك نظرة عامة تجعل مقياساً للحكم في قضايا كبرى دون النظر الى سند هذه الرواية ، او مبرر ذلك القول وشخصية صاحبه وبلا ملاحظة لمعارضيها مثلا حتى بالروايات المتواترة التي لاتدع شكاً في مضمونها او تحمل على الطرف الاخر امور تحسب على اساس انها من مسلماته وهو لا يؤمن بها مطلقاً .

وهكذا يمر البحث في منعطفات ملتوية ومقدمات واهية لاجل جر الحقيقة الى الفكرة التي وضعت مسبقاً .

المهدي من المسلمات الاسلامية

مما لايتطرق اليه ريب ان اهل البيت (ع) بمجموعهم ركزوا على مسألة الامام المهدي والاعتقاد به قبل أن يولد وذلك تبعاً للرسول الاعظم (ص) وبشاراته به . . ولا يختلف اثنان في هذا المعنى وفي أنهم اكدوا من خلال الروايات الكثيرة على

عنصر الانتظار الذي يجب ان يتحلى به الانسان المسلم في غيبة الامام مما يؤكد بعداً رائعاً للشخصية الاسلامية بعد الغيبة امتداداً لصفة الانتظار التي تحلت بها شخصية المؤمنين عبر التاريخ ونعني بها انتظار اليوم الموعود والذي يكون فيه الدين كله لله والذي ينتشر فيه العدل فيملأ الارض بعد ان ملئت ظلماً وجوراً .

ومن الواضح ان صفة الانتظار هذه تعتبر من أشد الدوافع نحو تهيئة الارضية اللازمة لتحقق المنتظر ايستغلها في صالح الهدف المنتظر . حتى ان بعض علماء الاجتماع المحدثين لا يطلقون اسم الانسان الا على (المنتظر) .

وقد ركزت الاديان كلها على القائد المنتظر الذي يحقق اليوم الموعود واشارت اليه بالاجمال ولكننا نجد ان الرسول الأعظم محمد(ص) بالاضافة الى تركيزه على المنتظر فقد سماه بالخصوص وعينه في أهل بيته ومن ولد الامام امير المؤمنين(ع) وركز عليه في جملة تركيزه على الاثنى عشر خليفة وأميراً من بعده ـ كما سيتضح فيما بعد .

وقليلة تلك المواضيع التي وردت فيها اخبار متواترة كالتي وردت في المهدي مما لا يدع للشك سبيلا في هذا المجال .

ونحن اذ لم يكن صدر هذه المجلة يسع البحث المطول في هذا الخصوص نشير اليها والى رواتها بسرعة معتمدين على بعض المصادر وما اكثرها هنا .

ا ـ يتجاوز عدد الصحابة الذين رووا احاديث المهدي (ع) اعلى حد موضوع للتواتر عند علماء الحديث وفيهم عثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ،وابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر ، والخدري، وابو هريرة ، وانس بن مالك ،وابن اليمان وابن اياس وغيرهم كثير .

ب ـ كما وخرج احاديث الامام المهدي بالاضافة الى كل المعاجم والمسانيد الشيعية ما يقارب الاربعين او اكثر من كتب السنة التي الفها الائمة والحفاظ فيهم ومنهم:ابو داود والترمذي وابن ماجه ، والنسائي ، واحمد ، وابن حيان والحاكم، وابن شيبة ، وابو نعيم ،والطبراني ، والدار قطني ، والبارودي ،والبزار وابن ابي

اسامة ، والخطيب وابن عساكر ، وابن منده والحربي وتمام الرازي وابن جرير وغيرهم كثيرون .

ج ـ وقد الف الكثيرون كتباً مفصلة موجودة في الامام المهدي (ع) ومنهم ابو بكر بن ابي خيثمة ، والحافظ ابو نعيم، والسيوطي وابن كثير ، وابن حجر المكي وعلي المتقي الهندي .ومرعي بن يوسف الحنبلي ، والقاضي الشوكاني ، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني وغيرهم .

د ـ وقد حكم بتواتر احاديث المهدي (ع) كثيرون منهم الحافظ السجزي وابن القيم ، ومحمد البرزنجي والشيخ محمد السفاريني، والقاضي الشوكاني والشيخ القنوجي ، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم والباقون جميعاً اعتقدوا بانها مستفيضة بل لم ينكرها من الناصبين سوى رجلين اثنين (١)ـعلى ما نقل الشيخ محسن العباد في محاضرته في جامعة المدينة المنورة(٢)ـوهما أبو محمد بن الوليد البغدادي الذي وصفه ابن تيمية نفسه بانه ليس مما يعتمد عليه لضعفه .

وقال الشيخ العباد «**ولم اقف على ترجمة لابي محمد المذكور**» .

وأما الثاني فهو ابن خلدون المغربي . ولم ينكر صريحاً وانما تردد في ذلك وقد ناقشه الكثيرون من العلماء في ذلك فقد جاء في كتاب الاذاعة تعقيباً على ذلك **«لامعنى للريب في امر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالادلة بل انكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حد التواتر»** .

والأعجب ان ابن خلدون يقول في صدر الفصل الذي عقده للمهدي مايلي :

«اعلم ان في المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين» ويعقب عليه الشيخ العباد قائلا «**الايسعه في ذلك ماوسع الناس على ممر الاعصار كما ذكر ابن خلدون نفسه ، وهل ذلك الا شذوذ بعد معرفة ان الكافة على خلافه؟ وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ والامر لبس**

---

(١) وهذه ظاهرة تستحق التأمل .

(٢) راجع مجلة الهادي ، العدد الاول والعدد الثاني ، السنة الاولى ص ٤٣ .

اجتهاديا وانما هو غسي لايسوغ لاحد انبانه الا بدليل من كتاب الله او سنة نبيه(ص) والدليل معهم وهم اهل الاختصاص» .

وقد وردت في كلامه نقاط أهمها الاشارة الى غيبة المسألة ومعالجتها من قبل غير اهل الاختصاص بمقاييس لا تتلاءم معها .

هـ ـ ورغم زعم النص فقد وردت الاحاديث التي تشير الى المهدي اجمالا في الصحيحين .

منها ما رواه البخاري عن ابي هريرة (قال : قال رسول الله (ص) كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) .

ومنها ما رواه مسلم (قال : فينزل عيسى بن مريم (ص) فيقول اميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة) .

كل هذا :

اذا تجاوزنا عن الاحاديث التي يحسبها ان وصفناها بالمتواترة لكثرتها ـ عن اهل البيت(ع)وهم امناء الرسالة والذين ارجع الله اليهم الامة بعد النبي(ص)في احاديث متواترة اخرى مما لا يدع اي مجال للانسان الواعي ان يتشكك في قضية الامام المهدي (ع) .

ب ـ ان لم يكن هذا كافيا فكيف نصل الى الاسلام

والحقيقة

اننا لنتساءل ـ بكل تحد وبعجب في آن واحد ـ اذا لم تكن كل هذه الادلة كافية لاثبات ان قضية الايمان بالمهدي المنتظر قضية ضرورية فكيف يمكننا ان نؤمن بأية قضية ضرورية اخرى ، او أي مفهوم اسلامي آخر فضلا عن القضايا الفرعية غير البديهية والمتنازع عليها سواء في مجال الفكر او في مجال النظام .

ويا ترى هل يسمح المسلمون بان يتركوا قضاياهم تحت رحمة الفكر المطعم بشبهات الغرب والمستمد مبادئه من أسس تتغاير جوهريا مع الاسس الاسلامية .

ونحن اذ نذكر هذا نشير الى ما يمكن ان نسميه مدرسة (احمد أمين) الفكرية

وأتباعها من امثال الدكتور علي سامي المشار ، والدكتور احمد محمود صبحي ، والنشاشيبي وغيرهم .

ولاجل ان نلقي بعض الضوء على معالم هذه المدرسة التي تتركز احياناً في بعض اقطابها وتخف في الآخرين احياناً اخرى فاننا نلاحظ :

انها مدرسة اعطت نفسها فوق ماينبغي فالقائمين عليها اناس مهما بلغوا فانهم لن يتعدوا ان يكونوا باحثين اجتماعيين وكلنا يعلم ان البحث الاجتماعي حقل من حقول المعرفة لم تتوضح اصوله بعدولم تصل سائحه الى المرحلة العلمية حتى ان علماء الاجتماع انفسهم مازالوا يحارون في تعريفه وفصله عن باقي العلوم .

وفي حين انهم ارادوا دراسة الحالةالاجتماعية السائده في العصور الاسلامية فقد تعرضوا وبكل سرعة و بلا امعان الى كل القضايا الفكرية الرئيسية التي عاشها المجتمع خلال اربعة عشر قرناً واصدروا احكامهم في كل منها دون ان يلاحظوا ان كل جانب من تلك الجوانب يحتاج الى اختصاصيين هم بالمستوى المطلوب لمناقشتها فليس من السهل ان نحكم الانسان بمثل هذه العجالة على قضايا رسالة عالمية واحداث مهمة رافقت ظهورها وسارت معها وهي تنتشر في الوجود .

والمدرسه اذن فقد شرط توفر مقومات المستوى في المقاس وهي بالتالي تعتنق الفكره التي تتلاءم مسبقاً مع الهدف المقصود ثم تبحث عما يمكن ان يكون دليلا على فكرتها ، وما يمكن ان يرد الرأي الاخر في الطرف المقابل وانما تميزت بهذه الخاصية لانها وبمقتضى طبيعة عملها الاجماعي لم تتبع الاسلوب المنطقي الصحيح الذي سار عليه المسلمون انطلاقاً من مبادئهم العقائدية في اثبات القضايا ونفيها بالقرآن الكريم والسنة الشريفة مع ضم القرائن الموضوعية اللازمة ، وانما حاولت ان تمنح كل فكره بعداً خارجياً اجتماعياً خالطة بين قضايا التاريخ وقضايا العقيده المؤرخ لها .

ومن ثم لم تعتمد مطلقاً على المصادر الاصيلة في مناقشة اية فكرة عقائدية سادت المجتمع وانما رجعت الى ذوقها هي وساعدتها على ذلك بحوث المستشرقين

التي تنطلق من نفس المنطلق في مناقشة القضايا غافلة عن الاختلاف الجـوهـري في زوايا النظر بيننا وبينهم .. ومن هنا اليوم لايدرك خطر بحوث الاستشراق على العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي !

ولو اردنا ان نسوق مثالا توضيحياً نمل ان نذكر المثال الذي يتعلق بموضوعنا نحن فانما نسوق ماركس ونظريته التي سميها (الاشتراكية العلمية) مثالا على ذلك فمن الواضح انه حين استهدف ان يقضي على النظام الرأسمالي ويحل محله نظامه الاشتراكي وحدنفسه لكي يحكم اسس فكرته ان يعود الى القواعد المنطقية البديهية فيقلبها وان يقول بمبدأ مركب من المادية من جهة والاسلوب الديالكتيكي من جهة اخرى ليحاول ان يطبق ذلك على الكون كله فيجعله كله مجموعة تناقضات ينطوي على اساس منها ومن ثم ينتقل الى المجتمع باعتباره جزءا من الكون فيطبقه على تاريخ المجتمعات متسلسلا في ذلك حتى يصل الى ماأراد من السابق وهو (اضفاء طابع الحتمية التاريخية على (مذهبه في الاشتراكية) باعتباره مرحلة تاريخية يتطلبها وضع القوى المنتجة) ومن ثم عمل على ان يلتمس الشواهد من هنا وهناك من التاريخ والكون على صحة هذا التسلسل الذي اعتبره منطقاً آخر .

وهكذا مدرستنا هذه التي نشير اليها ، والتي تحاول ان تفسر ماتستطيع تفسيره على ضوء الوضع الاجتماعي نظراً لطبيعة عملها (١) .

ولنلاحظ كيف تعرضت هذه المدرسة لقضية الامام المهدي : ـ فبعد ان يستعرض احمد امين حديثاً واحداً عن الصادق (ع) يقول «ومن هذا او نحوه يظن ان فكرة المهدية وعصمة الائمة تقديسهم واعلاء شأنهم نشأ في ذلك العصر عصر الامام الصادق (ع)»

هكذا وبكل بساطة انتهى الحكم على هذه القضية بعوامل اجتماعية كانت تتوفر في عصر الامام الصادق (ع) بلا أية ملاحظة لاي دليل شرعي ومن ثم يقول .

---

(١) راجع آراء الدكتور احمد امين في المرأة والحرية وغيرها في كتابه (الاخلاق) تجده لا ينطلق ابداً من منطلق اسلامي صحيح بل يمشي وفق ذوقه الاجتماعي حتى ليجعل المرأة الامريكية نموذجاً تسير المرأة الشرقيه لتصل اليه .

(وكره المهدي هذه لها اسباب سياسية واجتماعية ودينية وهي نظري انها نبعت من الشيعة) (١) .

ويأتي بعده الدكتور احمد محمود صبحي في كتابه ـ نظرية الامامة ـ فيستعرض اقوال المستشرقين في رد هذه العقيدة ناقلا اياها بلا نقد ثم يصدر حكمه رأسا مقلداً احمد امين في ردها للظروف السياسية (٢) تبعاً للمستشرق (فان فلوتن) ومن الطريف المبكي حقاً انه يجعل ايمان السنة بالمهدي ايضاً نابعاً من الظروف السياسة ناقلاً عن يوسف بن يحيى الدمشقي في (عقد الدرر) نصاً يوضح صاحبه ان الحاجة في عصره قد اشتدت للامام المنتظر مع انه اي الدمشقي يوضح في نفس النص ان الاحاديث جمة في ظهوره (ع) (٣) .

وقد تجيىء لحظات يشعر معها اتباع هذه المدرسة بانهم اوغلوا كثيراً في ادخال العنصر الاجتماعي فيقول الدكتور صبحي نفسه بعد ان يشير الى المفكرين من اتباع هذه المدرسة (غير ان موقف هؤلاء الباحثين المتأخرين قائم على عامل الزمن من ناحية حيث مر اربعة عشر قرناً . وعلى التفكير الوضعي الحديث الذي ينكر الحكم الثيوقراطي من ناحية اخرى) (٤) .

هكذا اذن كونت هذه المدرسة الفكرة المسبقة ثم راحت تلتمس لها الادلة وما هي طبيعة هذه الادلة ؟!

وفي مجال اقامة الدليل تغافل تماماً عن كل ما ورد من احاديث او تغافل عن الاسناد وعنصر الالزام العقائدي الذي تحمله هذه الاخبار ولا تقيم وزنا لذلك وانما تحاول ان تبرر ما اعترض به على العقيدة بالمهدي (ع) .

فيقول احمد امين (وهذه نظرية لاتتفق وسنة الله في خلقه ، ولا تتفق والعقل الصحيح) (٥) .

---

(١) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤١ .
(٢) نظرية الامامة ص ٣٩٩ .
(٣) نظرية الامامة ص ٤٠٥ .
(٤) نظرية الامامة ص ٤٠٤
(٥) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤٥ .

ويقول صاحب نظرية الامامة (ولا شك ان حياة المهدي اكثر من الف عام موضع الارتياب وكفيل ان يهدم العقيدة من اساسها).

هكذا اذن يكفي ان تكون اية عقيدة (حتى ولو كانت من الضرورات الدينية) باطلة لانها تخالف العادة المألوفة او العقل التجريبي الذي يعبر احمد امين عنه بـ (الصحيح) .

ولسنا في مقام مناقشة هذا القول ولكن هل يمكن الحكم على قضية قام اساسها على (الغيبية) بمثل هذه المقاييس . . اذن اين الاعتقاد بقدرة الله تعالى ؟!

وهل ان بقاء انسان طول هذه المدة من المستحيلات العقلية ؟!

انا لو اردنا ان نتبع هذا المنهج في البحث وجب علينا ان ننكر الكثير من القضايا التي هي ثابتة قطعا بنص الكتاب العزيز .

فهل ان تكلم الاطفال في المهد امر يقع وقد جرت عليه سنة الله في الامور العادية او يوافق عليه (العقل التجريبي الصحيح !!) وكذلك مسألة انقلاب عصا موسى الى ثعبان . او [illegible] كذلك مسألة بقاء طعام عزير (لم يتسنه) مائة عام والتي خرقت العادة الجارية في بقاء الطعام اي طعام كان آلاف المرات ؟!

او ان علينا ان ننكر كل ذلك معاً لمجرد هذه النزعة ؟

ان العقل انما يكون حاكماً في قطعياته وضرورياته . ونحن بذلك نؤول حتى النصوص اما ظنياته فلا وجه لها امام النص والا كان ذلك اجتهاداً في مقابل النص .

ان المنهج الصحيح هو ان نلاحظ مسألة النسبة الى الشريعة فان تمت لاحظنا الموانع المتناسبة مع تلك المسألة لان نحكم جزافاً بمقاييس لا ترتبط بها .

نجد هنا ان الدكتور صبحي يعترف بانه لا يرفض الاحاديث بل لم يمحصها ولكنه يدخل مسبقاته التي تصورها في تفسير الامر فينطبق عليه قول برتراند راسل الذي جاء به هو راداً على غير الموضوعيين (١) .

(١) نظرية الامامة ص ٤٢٠ .

والموضوع المهم الاخر الذي يوجهه هؤلاء نقداً الى الاعتقاد بالمهدي هو مسألة ادعاء المهدوية من قبل من لم يكونوا اهلا لان يملأوا الارض قسطاً وعدلا وهذا النقض من اعجب الامور اذ لو تم وجب علينا ان ننكر النبوة لانه قد ادعاها أمثال مسيلمة الكذاب !!

ولنا هنا ان ننقل نصاً عن الدكتور احمد صبحي في هذا المجال يوضح عدم موضوعيته اذ يقول (ولقد قامت حركات كثيرة باسم (المهدية) وبعضها قد خرجت من صفوف الشيعة كالبابية والبهائية ولكن التشيع من اشد المذاهب انكاراً للحركات المهدية لا لانها دعاوى كاذبة ولكن لان اليوتوبية في عقيدة الاثنى عشر لاتدع مجالا لامكان تحقق العقيدة في الواقع الملموس)(١) .

فالشيعة اذن لم يقفوا في وجه البهائية استناداً لاصولهم المذهبية وعلائم التكذيب التي رافقتها بل لان (يوتوبيتهم) منعتهم من ذلك .

وهذا مثل آخر على التأثر بالنظرة الاجتماعية في تحديد الموقف .

والا فهل راجع موقف الشيعة من هذه واسلوب رفضهم لها ليتأكد ان حكمه هو ينبع من طوبائية تجريدية معرقة في البعد عن الواقع .

وبعد هذا فلست ادري كيف منح الدكتور احمد الاهواني – في مقدمة الجزء الرابع من ظهر الاسلام – منهج احمد امين سمة البعد عن الدجماطيقية (٢) .

والجزم بالرأي قبل البحث والتنقيب .

وهل ذلك الا كمثل قوله فيه انه (روج علم المهادنة بين الشيعة والسنة حتى تتحد كلمة المسلمين) .

وقفة احترام وتقدير لنظرة اهل البيت (ع) في المسألة .

وأخيراً فان الذي ينبغي ان يقال في ختام هذا العرض الخاطف لبعض جوانب هذه المسألة :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٢٦ .   (٢) ظهر الاسلام ج ٤ ص ١١-١٥ .

اما لو امعنا النظر في الامر ولاحظناه بكل موضوعية وتدبر وارتفعنا الى مستوى المقياس الصحيح الحكم على القضايا في اطارها الصحيح وجب ان نذعن ونتحني لرأى اهل البيت (ع) في كون الامام المهدي (ع) هو الثاني عشر منهم وذلك بعد ملاحظة مايلي :

١ - احاديث الثقلين المتواترة في حد ذاتها والتي استفدنا منها كما مر المقياس الصحيح في تشخيص الاشخاص الذين يقصدهم الرسول (ص) بعبارة (وعترتي) وهو عدم الافتراق عن القرآن حيث جاء فيها (ولن يفترقا) .

٢ - احاديث الاثنى عشر اميراً او خليفة كلهم من قريش وهي بدورها متواترة ثابتة ايضاً .

٣ - احاديث المهدي على اختلافها والتي تدل كل منها جانباً معيناً منه (ع) فاننا بملاحظة هذه الامور الثلاثة نطمئن تماماً الى ان المقصود من الطائفة الثانية هي أهل البيت (ع) بشهادة الطائفة الاولى نصاً بعبارة (وعترتي) وبطريق غير مباشر اي بواسطة المقياس الذي اعطته لتشخيصهم فاذا ثبت هذا وجمعنا بالتالي بين الروايات المتفرقة والحوادث المعينة لشخصية الامام المهدي وقارناه بقول اهل البيت انفسهم بأنه الثاني عشر منهم تأكدنا وايقنا بما لاريب فيه بأن نظرتهم هي النظرة الاصيلة التي ركز عليها النبي الاكرم (ص) .

وبالتالي فنحن نؤكد باننا لم نتعرض - لشخصية الامام - وحتى بشكل موجز وانما تعرضنا لها بالمقدار الذي يوضح لنا عملية الانحراف عن المنهج المنطقي الصحيح في البحث التاريخي والعقائدي من قبل البعض تجاه اهل البيت (ع) .

حروف مضيئة

لا تدعن حقاً لغد فان لكل يوم ما فيه .

الرسول الاعظم (ص)

وان الله لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ، ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد أزل وبلاء .

الامام امير المؤمنين (ع)

فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك . والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر .

الزهراء (ع)

فوت الحاجة خير من طلبها الى غير اهلها .

الامام الحسن (ع)

مالك . . ان لم يكن لك ، كنت له ، ولا تبق عليه فانه لا يبقى عليك . وكله قبل أن يأكلك .

الامام الحسين (ع)

التارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره الا ان يتقي تقاة . قيل له : وما يتقي تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه او أن يطغى .

الامام السجاد(ع)

في كل قضاء الله خير للمؤمن .

الامام الباقر(ع)

من ايقظ فتنة فهو أكلها .

الامام الصادق(ع)

لا تذهب الحشمة بينك وبين اخيك ، وابق منها فان ذهابها ذهاب الحياء .

الامام الكاظم(ع)

لايعدم العقوبة من ادرع بالبغي .

الامام الرضا(ع)

العامل بالظلم والمعين عليه ، والراضي به شركاء .

الامام الجواد(ع)

ان الظالم الحليم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه ، وان المحق السفيه يكاد أن يطفىء نور حقه بسفهه

الامام الهادى(ع)

ما اقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذله .

الامام الحسن العسكرى(ع)

لا اختيار لمن لايعلم ما تخفي الصدور ، وما تكن الضمائر ، وينصرف عنه السرائر .

الامام المهدى المنتظر(ع)

المرحلية

في الأديان السماوية القديمة -(٢)-

السيد مهدي الحكيم - بيروت

«... أحبوا أعداءكم .. باركوا لاعنيكم .. أحسنوا الى مبغضيكم .. صلوا من أجل الذين يسيئون اليكم ..».

سلبية مطلقة، مثلها كمثل الدواء الناجع من يد طبيب حاذق عرف العلة المتأصلة، فأعطاها جرعتها القوية، لتصل بالمريض الى فترة النقاهة، ومن ثم الى الشفاء التام... وشتان بين دواء يعطى في حالة مرض، ضمن ظروف خاصة، وبين منهج يفرض للناس كافة على صحة واعتدال، في جميع الظروف والاحوال.

طغت المادية على «اليهودية» وهي المفروض أنها منهج الهي، وعمت بطغيانها العالم أجمع. فارتكس الانسان وتغيرت مفاهيمه ونظرته الى نفسه والكون. واعشت عينيه غرائزه الحيوانية، وارتباطاته بالارض، عن كل ماهو قريب من الروحانيات والمثل فارتد أسفل سافلين.

ومن سنة الله في الكون، أن لايترك البشر يتخبطون طويلا في الظلام.. وقد حان الوقت للاصلاح، وآن الاوان لظهور حركة تنبثق ضمن الديانة، تصحح مفاهيم

« اليهود » ، وتبدل تصوراتهم المريضة ، وأباطيلهم الضالة ، بتصورات صحيحة ، وحقائق ثابتة .

اليهود يترقبون ظهور «مسيح» مصلح من ابناء داود

وعلى الافق بشائر ، وفي الاسماء نبوءات . . واليهود ينتظرون منذ القدم ملكاً مسيحاً من نوع ملوكهم الذين كانوا يمسحونهم بالزيت المقدس ، ويسمونهم «مسحاء الرب» . كما أنهم يترقبون رجوع الدولة على يد فاتح ظافر من ابناء داود ، يجرد الكتائب ويجتاح الحصون ، ويقمع الأعداء بالنار والحديد . ولكنهم يئسوا بعد وقوعهم في قبضة روما - من الخلاص . وعندها أخذ صلحاؤهم يترقبون «مسيحاً» في عالم الروح - كما بشر انبياؤهم - يكون خلاصه المنتظر ، خلاص النفوس والضمائر بالتوبة والتطهير (١) .

عندما تتعادل القوى يحصل التوازن

ولكي تنجح هذه الحركة الموعودة في أهدافها وتعود بالضمير الانساني الى رشده وهداه ، لابد من ان تتجه نحو النقيض . . من المادية المطلقة الى الروحانية الصرف . . من آله على شاكلة البشر ، غيور شديد البطش ، متعطش الى الدماء ، لايحب الا شعبه . . الى آله لاتدركه الابصار ، رحيم واسع الاناة ، رب العالمين جميعاً . . ومن انسان بطر جشع ، أكال للسحت والربا ، محب للمال مدنس بالشهوات ، سيء السيرة مع ربه . الى انسان زاهد ورع ، يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، متأدب مع ربه ، يحبه ويرجوه ، ويدعوه تضرعاً وخفية ، «يقلع عينه اذا هي اعثرته ويلقي بها ، لانه خير له أن يهلك أحد أعضائه من أن يلقي بدنه كله في جهنم (٢) . .» انسان متسامح ، شديد التسامح : عدله احسان ، وكرمه ايثار ، ورأفته بر ، وعبادته صوف . .

(١) انظر كتاب «الله» للعقاد ص ١٣٦ .
(٢) انجيل متى / اصحاح ٥ رقم ٢٩ ومرقس / اصحاح ٩ رقم ٤٧ .

بهذا يتم الاصلاح ، بالاتحاد من النقيض الى النقيض . اذ بين المادة والمث وشائج متينة . ترتبطهم فيها أواصر القربى وأسباب التراب . لايستطيعون منها فكاكا ـ مهما يحاولوا ـ بل تحديهم اليها جذباً لاهوادة فيه . وعلى قدر هذه الجاذبية المادية يجب أن تكون طاقة الاندفاع الروحي ، حيث تتعادل القوى ، وعند يحصل التوازن !!

ظهور المسيح(ع) ، عداوته للمظاهر ، وحثه على تطهير النفس

طهر المسيح (ع) . . بتعاليمه المترفعة المتسامية التي يمفح فيها من روحه الصافي وكلها دعوة التطهير والروحانية ، دعوة ترتفع بالانسان عن نفسه ، وتصل به الى الآفاق العليا التي تسمو عن الجسد والمادة . وتنطلق من قيود الأرض ومن نوازع الشهوات .

وكانت بشارته اعظم فتح في عالم الروح . لانها نقلت العبادة من المظاهر الجوفاء الى الحقائق الابدية ، ومن العرض الزائف الى الجوهر النقي ، كما أرجعتها من عالم الحس الى عالم الضمير . . فقد طلب أن تنقى الكأس من داخلها ، وعلم الناس أن ملكوت الله قائم في ضمائرهم فهو «لايأتي على موعد مرتقب . ولا يقولون هو هنا أو هو ذا هناك . لان ملكوت الله فيكم» (١) . وكان ينكر كل مايراد به الظاهر ولا ينبعث من أعماق الوجدان . فلا احسان عنده للمرائين لانهم تجار أخذوا أرباحهم فلا حق لهم عند الله : «. .... واذا بذلت الصدقة فلاتنفخ أمامك بالبوق ، كمايفعل المراؤون . . لكي يمجدوا من الناس .. فالحق اقول لكم انهم قد استوفوا أجورهم فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ..» (٢) .

حثه على تنقية الضمير

أما الضمير فقد جعله كفؤاً للعالم بأسره ، ان لم يكن زائداً عليه : «لانه بما ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه؟»(٣)

---

(١) لوقا/اصحاح ١٧ رقم ٢١

(٢) متى/اصحاح ٦ رقم ٢-٣ . (٣) مرقس/اصحاح ٨ رقم ٣٦ و ٣٧ .

والطهر كل الطهر في نقائه ، وكل اليقين مرجعه اليه : « فليس شيء من خارج الانسان يدنسه ، بل ما يخرج من الانسان ، هو الذي يدنس الانسان» (١) وكل شيء في العالم ينقاد لقوة الضمير : « .. لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الشجرة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم» (٢) .

حثه على التوكل

وأما حياة الانسان ورفاده ، وقوامه وطعامه ، فهي برعاية الله الرحيم وعنايته. الذي ينظر الى خلقه بعين الرأفة والمحبة ، والشفقة والبر . . . والانسان لا يحيا بالخبز وحده ، وانما يعيش بكل كلمة من كلمات الله ، فعليه أن يثق بربه فوق ثقته بنفسه ، وان يعتمد برزقه عليه أكثر من اعتماده على سعيه وحيلته ، ولا يهتم بالغد لأن الغد يهتم بما لنفسه : « وطيور السماء لاتزرع ولا تحصد ولا تخزن والله يطعمها وزنابق الحقل لاتتعب ولا تغزل والله يلبسها ، وسليمان في كل مجده لايلبس كواحدة منها !!..» (٣) أفليس الانسان حرياً بالتفضل عليها ؟!

حثه على التسامح المطلق

واما علاقة الانسان بأخيه ، فان أقرب الناس الى الله من احبه واحب خلقه..ولا يستحق الغفران من لم يغفر للمسيئين : «أحبوا أعداءكم .باركوا لاعنيكم . أحسنوا الى مبغضيكم .صلوا من أجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ..» (٤) و«ان أخطأ اليك أخوك فوبخه . وان تاب فاغفر له وان أخطأ اليك سبعا في اليوم وتاب اليك سبعاً ، فاغفر له » (٥)

(١) مرقس/اصحاح ٧ رقم ١٥ ومتى/اصحاح ١٥ رقم ١١ .

(٢) لوقا/اصحاح ١٧ رقم ٦ .

(٣) متى/اصحاح ٦ رقم ٢٦ - ٣٠

(٤) متى/اصحاح ٥ رقم ٤٤

(٥) لوقا/اصحاح ١٧ رقم ٣ ، ٤

علاقة قائمة على التسامح ، دعامتها السلبية المطلقة : «... أما أنا فأقول لكم
تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الايمن ، فحول له الاخر .. ومن أراد
ن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضاً .. ومن سخرك ميلا واحدا فأذهب
ه اثنين . من سألك فأعطه..ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ..» (١)..فالضمير
ـ الجانب الذي توجهت اليه رسالة السيد المسيح (ع) ـ كما رأيت ـ ورعاية
ه لروح الانسان هي الملاذ الذي رأى الناس منصرفين عنه فعاد بهم اليه .كل ذلك
حفظ التوازن ويرجع بالناس من ماديتهم المطلقة الى مرحلة الوسط ، حيث يلتقون
ى شاطيء السلامة ، ويتعارفون فوق بر الامان .

تعاليم المسيح (ع) ليست نظاماً دائماً للبشرية

ومهما يكن من أمر فان هذه التعاليم المرفرفة الصافية ، لم يكن يقصد بها أن
تكون النظام الدائم الذي تسير عليه البشرية ـ اذ هي في الحقيقة تمثل فترة المراهقة
بما فيها من تحليق متواصل في عالم المثل والاحلام ـ كما انها في حرفيتها بعيدة
بعد كله عن ان تكون نظاما لفئة من الناس في وقت من الاوقات . فكيف للبشر
جميعاً في كل العصور ؟ .. وهذه السلبية المطلقة انما مثلها كمثل الدواء الناجع
ن يد طبيب حاذق عرف العلة المتأصلة فأعطاها جرعتها القوية ، ليصل بالمريض
ى فترة النقاهة ، ومن ثم الى الشفاء التام ... وشتان بين دواء يعطى في حالة
رض . ضمن ظروف خاصة ، وبين منهج يفرض للناس كافة ، على صحة واعتدال
ي جميع الظروف والاحوال !!

كانت دعوته (ع) حركة اصلاح ضمن التوراة

هكذا يجب أن نفسر دعوة المسيح(ع) ، ونحافظ على صفائها .. اذ من العبث
ن تفرض على الناس فروض فوق طاقتهم ، تعطل فيهم دفعة الحياة ، فتحبب اليهم

(١) متى /اصحاح ٥ رقم ٣٩-٤٢ .

العزلة وتبعث فيهم روح التواكل والجمود .

ولكن . . . جل الله عن العبث ، وعن التدبير بغير حكمة . . فالمسيح عبده ورسوله أرسله لبني اسرائيل هدى ونوراً ، ليداوي مرضاهم ، و «يهدي خراف بيتهم الضالة» (١) وبعيد مفاهيمهم المحرفة . ولم يبعثه ليبدل شرائعهم ، وينقض نواميسهم بل أرسله ليكملها ، (٢) ، وليعود بهم الى حظيرة الروح ، ويدخلهم ضمن نطاق العدل والاحسان .

تحول هذه الدعوة - فيما بعد - الى قيود مبرمة

ولم يطل الوقت - بعد المسيح (ع) - حتى تحولت تعاليمه الى قيود متزمتة شددت بها الكنيسة ورجال الدين ، وانصرفت الى «رهبانية» سلبية تنعزل عن الحياة وتقهر النوازع الفطرية بحجة أنها دنس ينبغي أن يتطهر منها الاتقياء . ومع ذلك لم يرعوها حق رعايتها ، فما لبثوا أن اشتطوا بالمغالاة في الهرب من طيبات الحياة والبعد عن لذائذها بالتعذيب لأجسامهم ومكافحة نشاطاتها ، فحرموا على انفسهم الغسل بالماء وعدوا نظافة الجسم منافية لنقاء الروح ... وكان اكثرهم يهربون من الناس ، حيث يسكنون في الكهوف المبعدة ، والآبار النازحة ، والمقابر المهجورة ويقتاتون من نبات الأرض (٣) .

كما لم يكن العقلاء من احبارهم ليحاولوا الاصلاح او التأثير في هذا الجو .. ثم مالبثت عدوى التمسك أن سرت في الجماهير الجاهلة ، فبلغوا فيها حد الهوس والجنون . وناهيك بنسك الجهال وما فيه من سخف ، يقول «والترالسون فيلبس»

(١) انجيل متى ، اصحاح ١٥ رقم ٢٤ والاصحاح ١٠ منه ايضا رقم ٦

(٢) متى / اصحاح ٥ رقم ١٧ .

(٣) تاريخ اخلاق اوربا / لايكي / نقلا عن كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» للندوى الهندى ص ١٦٨ / الطبعة الرابعة .

الأستاذ في جامعة دبلن : «لقد أقدم قسم كبير الى تعذيب أنفسهم في سبيل التقوى - على زعمهم - وحملوا من القذارة والمرض طابع القداسةوشعارها المشرق .. حتى كان بعض النساك - ممن تتقزز النفوس لمرآهم- يعرضون أوساخهم وقروحهم ليتبرك بها المؤمنون .. في حين انتكر غيرهم أساليب أروع في تأديب نفوسهم -أو قل في الاعلان عنها - وكانوا ينامون على فرش من «المسامير الحديدية» أويجلسون أعواماً برمتها فوق عمود (١) .

كل ذلك ليكفروا -في زعمهم- عن الخطيئة التي دمغت الجنس كله بالاثم.. ولكي يلحقوا بالمخلص ابن الانسان .. ويتحدوا فيه وينالوا الغفران . .

والخلاصة

والآن ، بعد عرضنا الموجز للسمات العامة في الديانتين السماويتين ..وبعدأن استقرأنا التاريخ بتجرد . وحكمنا العقل والوجدان . ألا يحق لنا أن نتساءل :«هل استطاعت هاتان الديانتان معاً ، بله احداهما أن تمنح البشرية منهجها القويم ، الذي تنتظره وتتطلع اليه بلهفة ، لكي تحقق بها سعادتها ، وتعيد بهامنها وطمأنينتها ؟؟

سؤال جوابه في طيه . وشاهده مارأيت من مادية مفرطة ، وروحانية محلقةلا تعيش الا في عالم المثل والأحلام .. بعيدة عن دنيا الناس ، وعما يشغل بالالناس.

---

(١) انظر «تاريخ العالم» / المجلد الرابع ص ٣٦٧ - طبع القاهرة

قناديل

الأزهر

نغمة من آل فاطمة

(*) الشيخ أحمد حسن الداوري

متى اصبحت ثم استقلت عبيدها   وبات بأطراف الثمام بعيدها
تجلت كما لاحت اصيلان واحة   تغنت روابيها وصاغت ورودها
وهش لها شمل صديق وأمة   على الود لا البغضاء قام عمودها
وهتها الدواهي بالخلاف وقد   وأمسى أخف المجد عنا يذودها
وليس لها الا الوثوق على الهدى   والا طريف يرتضيه تليدها

* * *

رعى الله انسالا لفاطمة الهدى   وبورك منها كهلها ووليدها
تنادوا الى الحسنى وراحت وفودهم   ظماء الى قبر الحسين ترودها
وحول الشهيد الطهر أخصبت المنى   وقد رف واديها وأورق عودها
هناك تناجى بالمودة أخوة   وغادر احناء الصدور حقودها
ورحنا جميعا في قلوب نقية   مودات اخوان الصفاء تقودها
هم الأهل مهما شتت الدهر شملنا   وهم زينة الدنيا وهم بعد صيدها

(*) نشرتها مجلة البيان الكويتية في عددها ١٤ من السنة الثانية .

وما الازهر المعمور وهو حريده تعيض بهـاء نظمها وفريدهـا
سوى نعمة من آل فاطمة الرضا تأبى على طول الزمان جحودها

* * *

جزى الله خيراً شيعة فاطمية تحرى بها الخير المرجى عميدها
تلاقى عليها كل حر وحره وصان تقاها غيدها وأسودها
بقايا سيوف الغدر والغدر نزوة تسود ليأتي اثرها من يسودها
حللنا بهم ثم ارتحلنا وبيننا مواثيق ود لا تحيس عهودها
مواثيق من حكم المسوه حكمها ومن عبرة الايام صيغت قيودها
تجمعنا من كل شرق ومغرب كما جمعت حباب در عقودها

في رحابنا يا نجوم

هومي في رحابنا يا نجوم ان جوع الدنيا علينا يحوم
مشرئب الى لماظتنا الكبر وقد هش مجلاهـا العظيـم
جوع دنيا تلفتت واذا [الاسلام] اشراقها النبيل الكريم
هومي يا نفوس عند مجاليه [اله] هاد و [دين] قويـم
كل ايماءة على خطه الهادف ، خير يسعى ، ونعمى تـدوم
كل ايماضة على نهجه الاسمى ، شراع هاد ، ومجرى سليم
كل ايحاءه على لمحه لوضاء كمر باق ، وخير عميم
[المساواه] و [الاخاء] ومجلى يتشهاه ، ركبنا المستقيـم
يترامى [بعـدلـه] ، كالمسافات ، وفي معطياتـه ما نـروم
أي عذر ، لمصدرين ، بعيـداً وبأيديهـم الثـراء العظيـم
مانصبنا لكي نصب أمانينا ،.. مع الجدب ، في الخواء يقيم
جوهر الشيء نفسه لم يبدل محتـواه ، وسـره الموسوم
انها قصـة العبيـر ، متـى ما يتملـى يعافـه المزكـوم
انها قصة العيون ، . . متى تعشو ، يتيه التثمين والتقييم

النجف الاشرف ـ محمود البستاني

على عتبات الإمام الحسين (ع)

الشاعر المصري محمود جبر

سعيت الى الرحاب اذيع احبي
وأطرب بالنشيد السامعينا

أحيي في سنا الاشراق حبا
ونحنانا امير المؤمنينا

ومن وجدي ومن اعماق قلبي
أصوغ اليه اشعاري لحونا

وبين يدي من احبار قومي
أحاديث تهز العالمينا

لقد تحدوك في الهيجاء زمرا
فكانوا الملهمين الطاهرينا

بالاستشهاد قد اصبحت اجما
تثير حماسة المستبسلينا

وقفت على النبي جميع ذخري
وآل البيت خير العالمينا

أبا الشهداء والابطال انا
نحدنا منك قدوتنا الامينا

وبين ربوعنا الاحباب جمعاً
يرون حماك حصنهم الحصينا

وحاشا ان نضام وأنت فينا
وحاشا أن نذل وان نهونا

أبا الشهداء تلك لحون نصر
نرددها بساحك هاتفينا

وحاشا ان يعاودنا انتكاس
ونحن هنا رسول الله فينا

توحد مسلموا الدنيا ودانوا
بآيات الهدى مستمسكينا

توحد مسلموا الدنيا وصاروا
شموساً في طريق المدلجينا

توحد مسلموا الدنيا وأضحوا
بأعجاز التوحد موقنينا

سلام يا أبا الشهداء منا
نردده بساحك ماجدينا

هرعت مع الجموع اليك شوقاً
نحيي في الحما المستشهدينا

* * *

وليد الهدى

مكي حسن

سائل المحراب عن هذا الوليد
كيف احيا الناس بالنهج السديد ؟
بعث الهمة فيهم من جديد

فاطاعوه وصلوا حمدا وعلوا فيه مقام المرقد

* * *

شيدوا بالامس في الارض حضارة
زادها الله جلالا ونضاره
هكذا قد سجل الحق انتصاره
واقتدى الناس بنهج المصطفى واقتفوا آثاره في الرشد

* * *

والى الاسلام ـ هيا ـ ياشباب
جددوا العزم ـ أروني الانقلاب
عجبا كيف خدعتم بالسراب
أو ما أنزل رب المصحفا وسقى الشرك كؤوس النكد ؟

المودة في القربى

الشاعر اليمني الكبير
العلامة الحسن بن علي الهبلي

حبي لمن يسقى الأنام غدا ومن — تنمى بترب نعاله الاحداق
لمن استقامت ملة الباري به — وعلت وقامت للهدى اسواق
ولمن اليه حديث كل فضيلة — من بعد خير المرسلين يساق
لمحطم اللدن الرماح وقد غدا — للنقع من فوق الرماح رواق
لفتى تحيته لعظم جلاله — من زائريه الصمت والاطراق
صنو النبي وصهره ياحبذا — صنوان قد وشجتهما الاعراق
وابو الاولى فاقوا وراقوا والاولى — بمديحهم تزين الاوراق
انظر الى غايات كل سيادة — اسواه كان جواده السباق
وامدحه لامتحرجا في مدحه — اذ لا مبالغة ولا اغراق
ولاه احمد في الغدير ولاية — اضحت مطوقة بها الاعناق

الغيبة

ومكانها ومفهومها في الاسلام

بقلم : كاتب اسلامي كبير

الغيبة في الحقيقة الركن الاول للاسلام ولكل دين ايضاً ـ ويرسم ذلك القرآن الكريم حينما يحدد اوصاف المتقين في اول سورة البقرة «الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» ثم يصف المتقين ويضع لهم خمسة شروط :

اولاً ـ «الذين يؤمنون بالغيب» .

ثانياً ـ «ويقيمون الصلاة»

ثالثاً ـ «ومما رزقناهم ينفقون» .

رابعاً ـ «والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك» .

خامساً ـ «وبالآخرة هم يوقنون» .

المبدأ الاول هو الايمان بالغيب . فالفرق الاساسي بين الدين وبين جميع الاشياء الاخرى ـ الفرق بين الدين والعلم ، بين الدين والفلسفة، بين الدين والاخلاق بين الدين والتجارب الاجتماعية والانظمة المالية الاجتماعية والشيوعية والرأسمالية، وسائر القوانين الوضعية ، الفرق الاساسي هو مبدأ «الغيبة» ومن باب المثل الفرق بين الحكومة الدينية اي الحكم القائم على اساس المفاهيم الدينية والحكم والحكومات الاخرى بشتى انواعها الاشتراكية او الرأسمالية او الدكتاتورية او الديمقراطية ـ هو

ان مصدر الحكم الديني يرجع سلطانه وتخطيطه ورسم مناهجه وبيان قوانينه الى «مبدأ الغيب» الى الله تعالى الكامل المطلق . ومصدر الحكم الاخر يرجع لتحديد مناهجه وتشريع سلطاته الى الانسان اي الى المبدأ المشهود اللاغيبي . وهكذا كل شيء يرتبط بالدين يرجع الى الغيبية في نهاية المطاف حتى لو كان منطقياً مقنعاً لافكار الانسان وآرائه واعتبار هذا المبدأ ضروره ملحة لحياه الانسان فى شتى المجالات وبيان ذلك :

١ ـ الغيبية ضرورة ملحة لحياة الانسان :

اى شيء فى الحياة مهما عظم وكبر وارتفع ، مهما تعالى بالصناعة والتكنولوجيا والتنظيمات فى هذا العصر بلغت درجة مدهشة لا يقوم مقام الغيبية او مانسميه «الايمان بالمطلق» لان العلم فى تكامل دائم حيث انه انتاج بشري والانتاج البشرى فى تجدد دائم فالانسان يتعرف على اشياء جديده وكم من مضر يظهر نفعه غدا وكم من نافع هذا اليوم يظهر ضرره غدا وهكذا الامر فى مختلف حقول المعرفة وفى سائر حقول المطالب البشرية كالتكنولوجيا والتجارب الاجتماعية وفى تجارب ناظم الحكم والاخلاق . وفى الفلسفة الماورائية الميتافيزيقية ، ان كل انتاج بشرى متكامل وكل متكامل متطور ومتغير وكل متغير غير مستقر ـ ولا يحقق للانسان الهدوء والاطمئنان وهذا الشيء يشير اليه القرآن الكريم «الا بذكر الله تطمئن القلوب» .

وهنا حري بنا ايضاً ان نلاحظ ان تحرك الانسان التكاملي فى شتى المجالات لم يكن الا نتيجة حتمية لايمانه الفطرى بالاحسن ، بالاكمل ، بالكامل المطلق فهو يتحرك على هذا الاساس ولا يتكامل الانسان ولا يمكن ان يتحرك فى الحياه لولا ايمانه بالمطلق . وبذلك يتحرك ويتكامل وهو مطمئن فى الانطلاق ومطمئن فى الهدف ـ فالاطمئنان والتكامل انما يصلان بالايمان المطلق فحسب . فالايمان بالمطلق لا ينفصل عن الانسان المتدين فى جميع الحالات والاوقات والظروف وهو ضرورة اساسية لتقوية شخصية الانسان ولانطلاقه التكاملى فى الحياة فى شتى مجالات الحياة

من نقطة ثابتة الى هدف لانهائي وبهذا يتضح ان الغيبيـة ركن اساسي الدين وفي حياة الانسان .

٢ـ حقيقة الغيبية في الاسلام وخطها المنحرف المستحدث

على ضوء ماتقدم نفهم ان مفهوم الغيبية في الاسلام يختلف في الاساس عـن المفهوم السائع ، الغيبية معتبرة في الاسلام على اساس الاقتران بالشهود ، بالواقع العملي والحسي في الحياة ، وبذلك كانت ضرورية في الحياه ـ المحرك التكاملي للانسان في شتى مجالات الحياه ،والغيبية كمبدأ تجريدي منفصل عن الحياه لاواقع له اساسا في الاسلام. قال رسول الله(ص):«لارهبانية في الاسلام»واي سلوك في هذا الجانب هو تحول عن الخط الاسلامي العام وانحراف عن نظريته وهذه بعض الامثلة:

ان اول كلمة اعطى فيها رسول الله(ص) الصورة الموجزة عن الرسالة الاسلامية قوله«انا النذير العريان» ثم قال « لااعرف احداً جاء لامته خيرا مما جئتكم به،جئتكم بخير الدنيا والاخرة » والدعوة الاسلامية من الاساس الدعوه للدنيا والاخرة، الحياة المادية الحسية والحياه الغيبية لذلك لانجد اطلاقا في القرآن الكريم التركيز على الدنيا وحدها ولا على الاخرة وحدها بل انما جاءت الدعوة للدنيا فهي مقرونة حتما بالدعوة للاخرة ، وعلى هذا الاساس تسير الحياة كل مجالات الحياه في الرحاب الاسلامي قال تعالى «لمن عمل صالحا منكم من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكان يعملون» . الجهاد في الاسلام يسير ايضاً على هذين الخطين «ولا تحسبن الذين قتلـوا في سبيل الله امواتاً بـل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم» .

الدعوة كما نرى واضحة تسير على منهاج واضح جلي ، الجهاد دعوة الـى الاستشهاد الحسي المادي الـكريم في سبيل الحق ، وهو بنفس الوقت دعوه الى شهادة المطلق الى شهادة الله الحق ، الى شهادة ربه وكرمه وفضله وجزائه ، وبهذا استطاع الاسلام نهائياً ان يلغي مفهوم الهزيمة من المجتمع الاسلامي ويضع امامهم

، مصدر الحكم الديني يرجع سلطانه وتخطيطه ورسم مناهجه وبيان قوانينه الى
بدأ الغيب» الى الله تعالى الكامل المطلق . ومصدر الحكم الاخر يرجع لتحديد
احده وتعريع سلطاته الى الانسان اي الى المبدأ المشهود اللاغيبي . وهكذا كل شيء
تبط بالدين يرجع الى الغيبية في نهاية المطاف حتى او كان منطقياً مقنعاً لافكار
لانسان و آرائه واعتبار هذا المبدأ ضروره ملحة لحياة الانسان في شتى المجالات
بيان ذلك :

١ ـ الغيبة ضرورة ملحة لحياة الانسان :

اى شيء في الحياة مهما عظم وكبر وارتفع ، مهما تعالى ، الصناعة ، التكنولوجيا ،
التنظيمات في هذا العصر بلغت درجة مدهشة لايقوم مقام الغيبية او ما نسميه «الايمان
لمطلق» لان العالم في تكامل دائم حيث انه انتاج بشرى والانتاج البشرى في تجدد
ائم فالانسان يتعرف على اشياء جديده فكم من مصر يظهر نفعه غدا وكم من نافع
لذا اليوم يظهر ضرره غدا وهكذا الامر في مختلف حقول المعرفة وفي سائر حقول
لمطالب البشرية كالتكنولوجيا والتجارب الاجتماعية وفي تجارب ناعي الحكم والاخلاق ،
ى الفلسفة الماورائية الميتافيزيقية ، ان كل انتاج بشري متكامل وكل متكامل متطور
متغير وكل متغير غير مستقر ـ ولا يحقق للانسان الهدوء والاطمئنان وهذا الشيء
شير اليه القرآن الكريم «الا بذكر الله تطمئن القلوب» .

وهنا حري بنا ايضاً ان نلاحظ ان تحرك الانسان التكاملي في شتى المجالات
م يكن الا نتيجة حتمية لايمانه الفطري بالاحسن ، بالاكمل ، بالكامل المطلق فهو
تحرك على هذا الاساس ولا يتكامل الانسان ولا يمكن ان يتحرك في الحياة لـولا
يمانه بالمطلق ، وبذلك يتحرك ويتكامل وهو مطمئن في الانطلاق ومطمئن في الهدف
ـ فالاطمئنان والتكامل انما يصلان بالايمان المطلق فحسب . فالايمان بالمطلق
لا ينفصل عن الانسان المتدين في جميع الحالات والاوقات والظروف وهو ضرورة
ساسية لتقوية شخصية الانسان ولانطلاقه التكاملي في الحياة في شتى مجالات الحياة

من نقطة ثابتة الى هدف لانهائي وبهذا يصبح ان الغيبية ركن اساسي الدين وفي حياة الانسان .

٢ـ حقيقة الغيبية في الاسلام وخطها المحرف المستحدث

على ضوء ماتقدم نفهم ان مفهوم الغيبية في الاسلام يختلف في الأساس عن المفهوم الشائع ، الغيبية معتبرة في الاسلام على اساس الاقتران بالشهود ، بالواقع العملي والحسي في الحياة ، وبذلك كانت ضرورية في الحياة ـ المحرك التكاملي للانسان في شتى مجالات الحياة ،والغيبية كمبدأ تجريدي منفصل عن الحياة لاواقع له اساسا في الأسلام. قال رسول الله(ص) «لارهبانية في الاسلام»واي سلوك في هذا الجانب هو تحول عن الخط الاسلامي العام وانحراف عن نظريته وهذه بعض الامثلة:

ان اول كلمة اعطى فيها رسول الله(ص) الصورة الموجزة عن الرسالة الاسلامية قوله«انا النذير العريان» ثم قال « لااعرف احداً جاء لامته خيرا مما جئتكم به،جئتكم بخير الدنيا والآخرة » والدعوة الاسلامية من الاساس الدعوة للدنيا والآخرة، الحياة المادية الحسية والحياة الغيبية لذلك لانجد اطلاقا في القرآن الكريم التركيز على الدنيا وحدها ولا على الآخرة وحدها بل انما جاءت الدعوة للدنيا فهي مقرونة حتما بالدعوة للآخرة ، وعلى هذا الاساس تسير الحياة كل مجالات الحياة في الرحاب الاسلامي قال تعالى «لمن عمل صالحا منكم من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكان يعملون» . الجهاد في الاسلام يسير ايضاً على هذين الخطين «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم» .

الدعوة كما نرى واضحة تسير على منهاج واضح جلي ، الجهاد دعوة الى الاستشهاد الحسي المادي الكريم في سبيل الحق ، وهو بنفس الوقت دعوة الى شهادة المطلق الى شهادة الله الحق ، الى شهادة ربه وكرمه وفضله وجزائه ، وبهذا استطاع الاسلام نهائياً ان يلغي مفهوم الهزيمة من المجتمع الاسلامي ويضع امامهم

الهدف الصالح ـ النصر دائماً ـ التحرر من الفشل على كل التقادير وفي شتى الظروف قال تعالى «قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين» منطق المسلمين في الحرب هو النصر دائماً، اما النصر المشهود فهو الانتصار على الظلم والانتصار الحسي المشهود ويكون لهم الحكم والحضارة والعالم وهذه الحسنى الاولى ـ واما الآخرة المبدأ الغيبي الشهادة، شهادة الرحمة و دخول الجنة، الفوز برضوان الله تعالى هذه الحسنى الثانية. بهذا الاسلوب الواقعي استطاع الاسلام ان يخط المجتمع النصر المطلق والطريق الذي لايدخله الفشل والهزيمة نهائياً.

وهكذا نظام العقوبات في الاسلام لايلتزم الاتجاه الغيبي فقط بل يسير على نفس المنهاج قال تعالى «ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب» الاتجاه الحسي المشهود «ولعذاب الاخرة اخزى لو كانوا يعقلون» الاتجاه الغيبي ـ هكذا تسير الدعوة الاسلامية في شتى مجالاتها، واتجاها واحداثاً، ومناهجاً على اساس مبدأ الغيب المقترن بالشهود لا على احدهما فقط.

٣ـ الانحراف في مبدأ الغيبية

اتخذت الغيبية طابعا تجريدياً فاصبحت صورتها الجديدة حسب تعبير المجتمع «الدين لله والوطن للجميع» والكل يردد هذه الكلمة من دون تفهم لمضمونها، الدين بين الانسان والله ـ وهكذا يعني انفصال الغيبية وانعزالها عن الحياة على عكس المفهوم الاسلامي تماماً. الاخرة في المفهوم الاسلامي هي النتيجة الحتمية للتفاعل بين الانسان والحياة. قال علي (ع) «الدنيا مزرعة الاخرة» اي نتيجة تفاعل بين الانسان والحياة سوف يراها في الاخرة ـ يرسم القرآن الكريم هذا الواقع بجلاء، يقول سبحانه: «ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا» ويقول الرسول (ص) «لارهبانية في الاسلام» والايمان بالله الواحد الاحد لاقيمة له الا اذا لم ينعكس على نفسية الانسان وسلوكه ومنهاجه واهدافه ـ لان مبدأ الايمان بالغيب مقترن اقتراناً عميقاً بالشهود بالحياة ولا انفصال لاحدهما عن الاخر ـ ومن

هنا يتضح لنا انكار الاسلام لمبدأ الرهبنة الذي التزم به اهل الكتاب قال سبحانه «ورهبانية ابتدعوها» ويتضح لنا ايضاً انحراف التقسيم المتعارف وهو الدنيا لاهل الدنيا ، والاخرة لاهل الاخرة . وتصنيف الناس والاشغال . الى انسان دنيوي يبيع او يعمل والى انسان اخروي يصلي ويصوم وتقسيم كل شيء على هذا الاساس - يتضح لنا انحراف ذلك عن المفهوم الغيبي في الاسلام لان غيبية الاسلام لاتعني التجريد والانفصال والانعزال عن المسؤولية في الحياة . لا تعني العلاقة مع الغيب فقط . بل الغيب في المفهوم الاسلامي على صعيد المفهوم العصري على صعيد الاتجاه على صعيد التنفيذ . على صعيد القيم وعلى صعيد شتى وجميع نشاطات الحياة ، والغيب مقترن بالشهود والغيب والشهود وجهان لحقيقة واحدة ، كما ان الجسم والروح وجهان لانسان واحد ، وعلى هذا الاساس يتضح لنا ضرورة الغيبية لحياة الانسان ومركزها الرئيسي في استقراره .

بيعة الإمام الرضا « ع »

ظروفها واسبابها

(٢)

السيد جعفر مرتضى

تحدث الكاتب عن ظروف البيعة واستعرض بعض اسبابها وهو يستعرض ماتبقى منها في هذا المقال .

٤ ـ انه كان يهدف من وراء لعبته تلك التي كان يحسب أنها سوف تكون رابحة جداً الى أن يحصل على قاعدة شعبية واسعة ، وقوية ، حيث كان يعتقد ، ويقدر أن نظام حكمه سوف ينال منه التأييد . والقوة والنفوذ ، بمقدار ماكان لتلك الشخصية من النفوذ ، و التأييد ، والقوة ... واذا مااستطاع في نهاية الامر ان يقضي عليها ، فانه يكون قد أمن خطراً عظيماً يتهدده من قبلها ، بمقدار ما كان من العظمة والخطر ..

نعم .. لقد اختار المأمون لولاية عهده شخصاً يحضى بالاحترام ، والتقدير ، من جميع الفئات والطبقات ، وله من النفوذ ، والكلمة المسموعة مالم يكن لغيره في ذلك الحين .. بل لقد كان الكثيرون يرون أن الخلافة حق له (ع) وينظرون الى الهيئة الحاكمة على أنها ظالمة ، وغاصبة لذلك الحق .. لقد اختار للخلافة رجلا هو (الأرضى) في الخاصة والعامة ، حسب ماصرح به المأمون .. ومن كانت

كتبه تنفذفي المشرق والمغرب ، حتى ان البيعة له بولاية العهد لم تزده في النعمة شيئاً .. ومن كان له من قوة الشخصية مايدفع احد اعدائه لان يقول :«انه واللهصنم يعبدون الله ! » الى غير ذلك مما قدمنا «غيضاً من فيض منه» في فصل آخر من كتابنا .

لقد اختار المأمون . . رجلا له هذه المكانة من جهة ، وليس عباسياً منجهة ثانية وليكون في ذلك قد ربط الامة بالخلافة ، وكسب ثقتهافيها، وشد قلوبالناس وانظارهم اليها ، حيث اصبح باستطاعتهم أن ينتظروا منها أن تقيم العدل ، وترفع الظلم ، وأن تكون معهم وفي خدمتهم ، وتعيش قضاياهم . وليكون لها من المكان والتقدير ما يجعلهافي مأى ومأمن من كل من يتحينون بها الفرص ويبغون لها الغوائل..

وهكذا .. فما على العباسيين ـ بعد ذلك ـ الا أن يقروا عيناً ، وينعموا بالا، فان المأمون كان يدبر الامر لصالحهم ، ومن اجلهم وقد لاحظنا قوله لهمفي رسالتهالتي ارسلها اليهم «وان تزعموا أني أردت أن يؤول اليهم ـ يعني العلويين ـ عاقبة، ومنفعة ، فاني في تدبيركم . والنظر لكم ، ولعقبكم ، وابنائكم من بعدكم».

٥ ـ يضاف الى ذلك أن الحكم قد اصبح تمليك شخصيةعلمية تعنو لهاالجباه بالرضا والتسليم .. ولقد كان الحكم بأمس الحاجة الى شخصية من هذا القبيلفي مقابل اولئك المتزلفين القاصرين ، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسي ،طلماً للشهرة وطمعاً بالمال .. والذين لم يعد يخفى على أحد حالهم ..والذين كانأكثرهم في الجهة المناوئة له يشدون من ازرها ، ويقيمون أودها .. وعلى الاخص بعد أن رأى كل أحد فشلهم في صد حملات علماء الملل الأخرى التي بلغت اوجها في عهد المأمون.

٦ ـ ولعل من الاهمية بمكان .. بالنسبة اليه ،انه يكون قد أتى الامة بمفاجأة مثيرة من شأنها ان تصرف أنظار الناس عن حقيقة مايجري ومايحدث ، وعن واقع المشاكل التي تعاني الامة منها ، وما أكثرها ..

٧ ـ هذا .. وطبيعي بعد هذا انه يكون قد كفر عملياً عن فعلته التي كانت

لسبب في أن يفقد الناس ، على اختلاف اتجاهاتهم وفئاتهم الثقة به، إلا وهي قوله جاء الأمين الذي ولما أنه كان عزيزاً لدى العباسيين ، والعرب.. حيث اصبح باستطاعته أن يدعي بل قد ادعى بالفعل على مأمون كتاب العهد ، الذي كتبه بخط يده للامام: أن جميع تصرفاته وأعماله إنما يهدف من ورائها إلا الخير للأمة ، ومصلحة المسلمين العليا ... وحتى ولده أحب إليه أن يكون من أهل الحكم والرئاسة بقدر ما كان من أجل خير المسلمين ، والمصلحة العامة . ولهذا فإنه عندما رأى أن خير الأمة إنما هو في اخراج الخلافة من بني العباس كلية ــ وهم الذين ضحوا في سبيلها، وقد قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد ــ بادر إلى ذلك ، بكل رضا نفسي وطيبة خاطر .. وليكن في ذلك ضمانة لكل تصرف يقدم عليه . ولكل عمل يقوم به في المستقبل ، مهما كان غريباً ، ومهما كان غير معقول فإن على الأمة أن تعتبره صحيحاً، وسليماً . لا ريب فيه . ولا غبن معه . وإن لم تعرف ظروفه، ودوافعه الحقيقية . بل حتى مع علمها بها ، فإن عليها أن تؤوله بما يقبل التأويل .. وإلا فإن عليها أن تتناسى ما تعلم . أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن ادراك المصالح الحقيقية الكامنة في تلك التصرفات الغريبة . وأن ما أدركته ــ وإن كان حقاً ــ لا واقع له ، ولا حقيقة وراءه .

٨ ــ ثم .. وبعد أن أقدم على ما أقدم عليه .. فليس من المنطقي بعد للعرب أن يسخطوا عليه . بسبب معاملته أبيه ، أو أخيه ، وسائر أسلافه لهم ، فإن المرء فيما كسب هو لا فيما كسب أهله . ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وليس لهم بعد حق في أن يغضبوا مادام قد أرجع الخلافة إلى العرب .. بل وإلى اعرق بيت في العرب .. وعرفهم عملياً أنه لا يريد لهم ، ولغيرهم إلا الصلاح والخير . ولا يجب أن ينقموا عليه قتله أخاه . ولا أن يمقتهم أو يزعجهم تقريبه للايرانيين مادام أن الخلافة قد عادت إليهم ، على حسب ما يشتهون ، وعلى وفق ما يريدون ، وفي أهل بيت نبيهم بالذات ولهذا نراهم قد تلقوا بيعة الرضا بنفوس طيبة ، وقلوب رضية حتى أهل بغداد فقد تقبلوها إلى حد كبير ، فقد نص المؤرخون

على ان بعضهم وافق .. وبعضهم . وهم انصار بني العباس رغم ذلك، وهذا يدل دلالة واضحة على ان بغداد معقل العباسيين الاول كانت تتعاطف مع العلويين الى حد كبير ..

٩ ــ واما الأمر الذي يتعلق بعامة الخراسانيين خاصة ، والذين كانوا معروفين بميلهم الى العلويين وحبهم لهم ، والذين ساعدوا العباسيين ، وعاضدوهم على اقامة دولتهم الا لأن دعوتهم كانت في بادىء امرها ، بل والى آخر لحظة ، للرضا من اهل البيت (ع) وللرضا من آل محمد (ص) ، والذي اظهروا المناحة على يحيى بن زيد سبعة ايام ، ولم يولد في خراسان في سنة قتل يحيى مولود الا سمي بيحيى (١) والذين كان يجري في عروقهم التشيع على حد تعبير احمد امين ، حسبما تقدم . والذي يلوح من جهة لأهل البيت ان المأمون كان يخشى على نفسه منهم لو اراد ان يرجع عن البيعة للرضا (١)..

اما هؤلاء ، فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له ، وثقتهم به بعد ان حقق لهم غاية آمالهم ، وأعلى أحلامهم ، وأثبت لهم عملا حسبما يحبون ويودون . وأن لا ميزة عنده للعباسي على غيره ، ولا للعربي على غيره ، وأن الذي يعنيه هو فقط خير الأمة ومصلحتها ، بجميع فئاتها ، ومختلف طبقاتها ، وأجناسها ..

١٠ ــ كما أنه بالبيعة للامام الرضا بولاية العهد بعده يكون قد حصل على اعتراف من العلويين على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية . ولقد صرح المأمون نفسه بأن ذلك كان من جملة ما كان يرمي اليه ، حيث قال : « .. وأردنا ان نجعله ولي عهدنا ، ليكون دعاؤه لنا ، وليعترف بالملك ، والخلافة لنا ..» (٢) .. أي ان قبول الامام بأن يكون ولي عهد المأمون ، معناه أنه قد أقر على نفسه بان الخلافة ليست له دون غيره ، ولا في العلويين دون غيرهم ، وانه كما يمكن ان يكون هو جديراً بها ، وأهلا لها ، كذلك غيره يمكن أن يكون كذلك .. وليتمكن المأمون بذلك

(١) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج ٤ ص ٤٤

(٢) بحار الانوار ج ٤٩ ص١٨٣ ، وعيون الاخبار الرضا ج ٢ ص ١٧٠ وسنتكلم على ذلك بالتفصيل فيما يأتي ان شاء الله تعالى

السبب في أن يفقد الناس ، على اختلاف اجناسهم وفئاتهم الثقة به، الا وهي قتله اخاه الأمين الذي قلنا أنه كان عزيزاً لدى العباسيين ، والعرب.. حيث اصبح باستطاعته أن يدعي بل قد ادعى بالفعل على ما في كتاب العهد ، الذي كتبه بخط يده للامام: أن جميع تصرفاته واعماله لم يكن يهدف من ورائها الا الخير للامة . ومصلحة المسلمين العليا .. وحتى قتله أخاه لم يكن من أجل الحكم والرياسة بقدر ما كان من أجل خير المسلمين ، والمصلحة العامة ، ولهذا فانه .. عندما رأى أن خير الامة انما هو في اخراج الخلافة عن بني العباس كلية ـ وهم الذين ضحوا في سبيلها، وقد قدموا من أجلها ما يعلمه كل أحد ـ سارع الى ذلك ، بكل رضا نفسي وطيبة خاطر وليكن في ذلك حماية لكل تصرف يقدم عليه ، وكل عمل يقوم به في المستقبل، مهما كان غريباً ، ومهما كان غير معقول فان على الامة ان تعتبره صحيحاً، وسليماً ، لابد منه ، ولا غنى عنه ، وان لم تعرف ظروفه، ودوافعه الحقيقية ، بل حتى مع علمها بها ، فان عليها أن تؤول ما يقبل التأويل .. والا فان عليها أن تتناسى ما تعلم . أو أن تعتبر نفسها قاصرة عن ادراك المصالح الحقيقية الكامنة في تلك التصرفات الغريبة.. وأن ما أدركته ـ ولو كان حقاً ـ لا واقع له ، ولا حقيقة وراءه ..

٨ ـ ثم .. وبعد أن أقدم على ما أقدم عليه .. فليس من المنطقي بعد للعرب ان يسخطوا عليه ، بسبب معاملة ابيه ، او أخيه ، وسائر أسلافه لهم ، فان المرء فيما كسب هو لا فيما كسب أهله ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ..

وليس لهم بعد حق في أن يغضبوا مادام قد أرجع الخلافة الى العرب ، بل والى اعرق بيت في العرب ، وعرفهم عملياً انه لا يريد لهم ، ولغيرهم الا الصلاح والخير ، ولا يجب ان ينقموا عليه قتله أخاه ، ولا ان يحنقهم أو يزعجهم تقريبه للايرانيين مادام أن الخلافة قد عادت اليهم ، على حسب ما يشتهون ، وعلى وفق مايريدون ، وفي أهل بيت نبيهم بالذات ولهذا نراهم قد تلقوا بيعة الرضا بنفوس طيبة ، وقلوب رضية حتى أهل بغداد فقد تقبلوها الى حد كبير ،فقد نص المؤرخون

على ان بعضهم وافق ، وبعضهم ، وهم انصار بني العباس رفض وهذا يدل دلالة واضحة على ان بغداد معقل العباسيين الاول كانت تتعاطف مع العلويين الى حد كبير . .

٩ ـ واما الايرانيون عامة والخراسانيون خاصة ، والذين كانوا معروفين بميلهم الى العلويين وحبهم لهم ، والذين ماأحابوا العباسيين ، وعاونوهم على اقامة دولتهم الا لان دعوتهم كانت في بادىء امرها ، بل والى آخر لحظة.. للعلويين واهل البيت (ع) والرضا من آل محمد (ص) ، والذي اظهروا المباحة على يحيى بن زيد سبعة ايام وكل مولود ولد في خراسان في سنة قتل يحيى سمي بـ «يحيى» (١) والذين كان يجري في عروقهم التشيع على حد تعبير احمد امين ، وغيره مما تقدم .. والذين بلغ من حبهم لاهل البيت ان المأمون كان يخشى على نفسه ان يقتلوه ، لو اراد ان يرجع عن البيعة للرضا (١)..

اما هؤلاء .. فقد ضمن المأمون استمرار تأييدهم له ، وثقتهم به بعد ان حقق لهم غاية أمانيهم ، وأعلى أحلامهم وأثبت لهم عملا حبه لمن يحبون ، وودّه لمن يودون ، وأن لا ميزة عنده لعباسي على غيره ، ولا لعربي على غيره ، وأن الذي يهمه هو فقط خير الامة ومصلحتها ، بجميع فئاتها ، ومختلف طبقاتها ، وأجناسها..

١٠ ـ كما أنه بالبيعة للامام الرضا بولاية العهد بعده يكون قد حصل على اعتراف من العلويين على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية ..ولقد صرح المأمون نفسه بأن ذلك كان من جملة ما كان يرمي اليه ، حيث قال : « . . فأردنا ان نجعله ولي عهدنا ، ليكون دعاؤه لنا ، وليعترف بالملك ، والخلافة لنا ...» (٢) ..أي ان قبول الامام بأن يكون ولي عهد المأمون ، معناه أنه قد أقر على نفسه بان الخلافة ليست له دون غيره ، ولا في العلويين دون غيرهم ، وانه كما يمكن ان يكون هو جديراً بها ، وأهلا لها ، كذلك غيره يمكن أن يكون كذلك .. وليتمكن المأمون بذلك

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج ٤ ص ٤٤٠

(٢) بحار الانوار ج ٤٩ ص١٨٣ ، وعيون الاخبار الرضا ج ٢ ص ١٧٠ وستكلم على ذلك بالتفصيل فيما يأتي انشاء الله تعالى ...

من محاربة العلويين بنفس السلاح الذي بأيديهم، وليصير من ثم ـ من الصعب استجابة الناس لهم، اذا دعوا لاية ثورة ضد حكم اعترفوا هم بشرعيته، وأيدوه، وتعاونوا معه من قبل ..

بل كان يريد أن يحصل منهم على اعتراف بأن الحكم حق للعباسيين فقط، اما هم فليس لهم فيه أدنى نصيب، وما فعله المأمون ما كان الا تفضلا منه وكرماً، ولقد حاول المأمون ان ينتزع اعترافاً من الامام بذلك فكانت النتيجة عكس ماارادالمأمون كما انه عرض مرة بالمن على الامام بأن جعله ولي عهده .. فأجابه الامام بأن هذا الامر لم يزده في النعمة شيئاً، وانه وهو في المدينة كانت كتبه تنفذ في المشرق والمغرب الخ .. بل لقد صرح المأمون مرة بذات نفسه، فقال لحاجبه حميد بن مهران: «... وليعتقد فيه المفتونون به بأنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير وان هذا الامر لنا دونه ... الخ» (١) .

هذا .. ولا يكون من المبالغة في شيء لو قلنا : ان حصول المأمون على اعتراف من العلويين، والامام الرضا خاصة .. بشرعية خلافته، وخلافة بني ابيه اخطر على العلويين من الاسلوب الذي اتبعه اسلافه من الامويين والعباسيين، من قتل العلويين، وتشريدهم، وسلب اموالهم .. الى غير ذلك مما هو معروف ومشهور ..

١١ ـ يضاف الى ذلك انه يكون قد حصل على اعتراف ضمني من الامام بشرعية تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، وليعطي الناس الصورة التي يريدها عن الحكم، والحاكم، وليؤكد لهم ان الحاكم هذا هو سلوكه، وهذه هي تصرفاته .. من كان، ومهما كان، واذن فليس لهم بعد ان يتطلعوا الى حكومة أحد على ان بها شيئاً جديداً، ولا ان ينظروا الى جهة على انها يمكن ان يكون بها المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات الى النور، حتى ولو كانت تلك الجهة هي آل بيت نبيهم، فان من الطبيعي ان يتكلم السياسيون بأشياء كثيرة ينسونها بمجرد وصولهم الى الحكم، وبتسلمهم زمام السلطة .. فان تلك لاتعدو كونها وعوداً انتخابية، يحتاجون اليها ثم يستغنون عنها .. كما كانت الحال في وعود المأمون، التي تحدث عنها الجنرال جلوب بما تقدم .

---

(١) المصدر السابق .

وهكذا .. فيكون سكوت الامام ، وهو ولي العهد عن تصرفات الهيئة الحاكمة، يدل على رضاه بها ، ويعتبر امضاء لها .. وبعد هذا .. فلا يجب ان يكون من اليسير عليهم ان يتصوروا طبيعة وماهية حكم الامام وكل من يقدر له ان يصل الى الحكم سواء من العلويين او من غيرهم واذا كانت الصورة واحدة والجوهر واحد، والاختلاف فقط في الاسم والعنوان .. فليس لهم بعد حق في ان يطلبوا حكماً افضل، ولا حكاماً اعدل .. فانه طلب لغير موجود ، وسعي وراء مفقود . .

١٢ ـ انه كان من نتيجة اختياره للامام ، والبيعة له بولاية العهد من بعده.. ان اخمد ثورات العلويين ، في جميع الولايات . والامصار ..

بل لقد حصل على ثقة الكثيرين منهم ، ومن والاهم ، وشايعهم . والخراسانيين منهم .. ويشير المأمون الى هذا المعنى فيما كتبه لعبد الله بن موسى . فهو يقول : «.. ماظننت احداً من آل ابي طالب يخافني بعد ماعملته بالرضا (١)» كما انه كتب الى العباسيين في بغداد يقول لهم انه يريد بذلك ان يحقن دمائهم، ويذود عنهم، باستدامة المودة بينه وبين العلويين ، كما قدمنا ..

ولعله لم تقم اية ثورة علوية ضد المأمون بعد البيعة للامام بولاية العهد،سوى ثورة عبد الرحمن بن احمد في اليمن ، وكان سببها باتفاق المؤرخين هو ظلم الولاية وجورهم فقط .. هذا .. ولم يكن نتيجة ذلك انه اخمد ثوراتهم ، وحصل على ثقة الكثيرين منهم .. وانما بايعه ايضاً منهم ومن اشياعهم من لم يكن قد بايعه بعد،وهم قسم كبير جداً .. بل لقد بايعه اكثر المسلمين، ودانوا له بالطاعة بعد ان كانوا ممتنعين عن البيعه له ، كما يفهم من وثيقة العهد حسبما قدمنا .

وهذه كانت دون شك احدى اماني المأمون . بل هي أجل امنياته ، واغلاها..

١٣ ـ هذا .. ولا يجب ان يفوتنا هنا التنبيه على ان اكثر ثورات العلويين ، التي قامت ضد المأمون ، واسلافه قبل البيعة للامام طبعاً ـ كانت من بني الحسن وبالتحديد من اولئك الذين كانوا يتخذون نحلة الزيدية ...

وقد كانت هذه النحلة شائعة في تلك الفترة من الزمان ، وكان للقائمين بها نفوذ

(١) مقاتل الطالبيين ص ٦٣١ .

واسع وكلمة مسموعة .. حتى ان المهدي قد استوزر يعقوب بن داود ، واخاه وهو زيدي . . بل كان لاينفذ للمهدي كتاب الى عالم ، فيجوز حتى يكتب يعقوب الى امينه ، وثقته بانفاده (١) . .

كل ذلك من اجل ان يدله على عيسى بن زيد العلوي ، كما قدمنا ..

وقد ارسل يعقوب هذا الى الزيدية ، واتى بهم من كل اوب ، وولاهم من امور الخلافة في المشرق والمغرب كل جليل ، وعمل نفيس ،والدنيا كلها في يديه(٢) حتى قال بشار بن برد :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود

وقد كان معاونو يعقوب هذا هم : متفقهة الكوفة ،والبصرة ، واهل الشام(٣)

وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال ،على الثقافة العامة ، والاتجاهات الفكرية الى حد كبير .. حتى لقدصرح ابن النديم (٤)بأن : اكثر علماء المحدثين الاقليلامنهم، وكذلك قوم من الفقهاء مثل :سفيان بن عيينة كانوا من الشيعة الزيدية (٥) الخ :

وقد صرح المؤرخون ايضاً : بأن اصحاب الحديث جميعهم قد خرجوا مع ابراهيم بن عبد الله ، او افتوا بالخروج معه (٦) .

ولهذا نرى ان المأمون قد طبق اللقب الذى طالما دعا اليه الزيدية واعترف به العباسيون ، بل ودعوا اليه في بدء دعوتهم «الرضا من آل محمد» ـطبقه ـ على

---

(١) الطبرى ج ١٠ ص ٤٨٦ .

(٢) الطبرى ج ١٠ ص ٥٠٨، والوزراء والكتاب ص ١٥٨ ، والكامل لابن الاثير ج٥ ص٦٦ / ٦٧ انه سعى بيعقوب الى المهدى . وقيل له : «ان الشرق الغرب فى يد يعقوب واصحابه ، وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد ، فيأخذوا الدنيا . . الخ» .

(٣) الطبرى ج ١٠ ص٤٨٦ (٤) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٢ .

(٥) مقاتل الطالبيين ص ٣٨٧ وغيرها من الصفحات ، وغيره من الكتب .

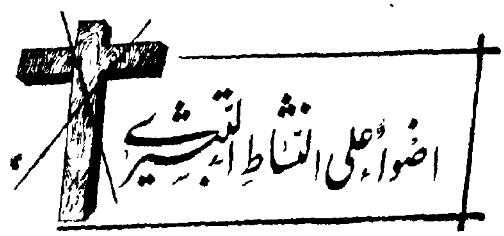
الامام علي بن موسى (ع) فسماه «الرضا»(٢) فاصبحت بذلك حجته قوية على الز
بل لم تعد لهم حجة اصلا .. مما تسبب في اضعافهم ، وشل حركتهم الى حد ك
ومما ساهم الى حد كبير أيضاً في اضعافهم اختياره للامام (ع) بالذات . حيث
يمكن لاحد كائناً من كان ان ينكر فضله ، وعلمه وتقواه وسائر مزاياه وصفاته الت
تكن لاحد في زمانه على الاطلاق .. فليس لهم بعد طريق للاعتراض على المأ
والقول بأن الذي اختاره لولاية عهده ، والخلافة من بعده ليس اهلا اما اهله له.
انهم فعلوا ذلك لما صدقهم احد ، ولكانت الدائرة في ذلك حينئذ عليهم . والخس
لهم دون غيرهم .

---

(٢) راجع ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٩٤ ، والفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٧.
صرح بذلك غير واحد من المؤرخين كالطبري وابن الاثير والقلقشندي ، وابو الفرج واله
وكل من تعرض لولاية العهد بل لقد صرح بذلك نفس المأمون في وثيقة العهد وهذا يد
فيما نحن بصدده ولقد قال دعبل

ايا عجباً منهم يسمونك الرضا   ويلقاك منهم كلحة وغضون

وهناك نصوص مفادها أنه سمي الرضا لرضا اعدائه واصدقائه به وديهي انه ليس من اليس
أن ينال من شخصية الرضا اي احد حتى الاعداء وهذا مما يدعونا الى القول بل والاعتقاد الجا
بانه كان هناك سر الهي اختصت به تلك الشخصية دون غيرها من سائر بني الانسان .



التبشير والاستعمار (*) في المغرب العربي

الاستاذ الحبيب الجنحاني
كلية الآداب - الجامعة التونسية

تعد حركة التبشير من اخطر الحركات التي واجهها العالم الاسلامي في تاريخه الحديث والمعاصر، وازداد خطرها عندما ارتبطت في القرن التاسع عشر بالمطامع الاستعمارية التي فرضت على كثير من البلدان الاسلامية .

ان تاريخ حركة التبشير، والمراحل التي مرت بها، والأساليب التي استعملتها معروف من الناحية الدينية، وتصدى كثير من المفكرين المسلمين ولاسيما في المشرق الاسلامي الرد على حملات التنصير، والتهجم على الاسلام. ولكن القضية التي سنحاول معالجتها هنا هي ارتباط حركة التبشير بالسياسة الاستعمارية، وهي ظاهرة نجدها في جميع البلدان التي استعمرتها الدول الاوروبية، تعرضنا في تاريخ الاستعمار في الشرق الاقصى وفي البلدان الافريقية جنوب الصحراء، وفي امريكا اللاتينية بالنسبة للاستعمار الاسباني والبرتغالي، ولكننا سنقتصر في هذه الكلمة على المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر .

ان ارتباط الكنيسة بالاستعمار ما يزال في حاجة الى دراسات علميـة مركزة تعتمد خاصة وثائق الكنيسة من جهة ووثائق الادارة الاستعمارية من جهة اخرى،

---

* هذا مقطع من المحاضرة التي القيت في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بمدينة (تيزي وزو) بالجمهورية الجزائرية .

وتدرس بدقة رد فعل المجتمع الاسلامي ضد حركات التبشير ، وما اتصل بهـا من اساليب تبشيرية مقنعة . وتعوز الباحث الوثائق الكافية عن رد فعل البلدان الاسلامية نظراً للوضع الذي كان عليه العالم الاسلامي آنذاك ، وندرة النصوص الاصلية حول رد الفعل هذا .

وتجدر الاشارة هنا الى ان المؤرخين الاوروبيين الذين كتبوا عن تاريخ بلدان المغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين لم يتحدثوا عن حركة التبشير ، ودور الكنيسة في تدعيم اسس النظام الاستعماري الفرنسي ، ونميل الى انه سكوت مقصود فنجد مثلا احد المختصين الفرنسيين في تاريخ المغرب العربي الأستاذ شارل اندريه جوليان يضطر في كتابه «تاريخ الجزائر المعاصرة» Histoire de L Algerie contemPoraine الى التعرض في صفحات مقتضبة وبحذر واضح الى دور الـكردينال (لافيجري) بالرغم من انه دور خطير وأساسي في الفترة التي يعالجها الكتاب .

ان الباحث يستغرب من هذا الصمت ،خاصة حين يدرك ان الكنيسة كانت تمثل دعامة أساسية من دعائم السياسة الاستعمارية ، وهي ثالثة الأثافي :الجندي الاستعماري والصليب ، والمستعمر .

* * *

وقبل الحديث عن حركة التبشير في القرن التاسع عشر نتساءل كيف كان وضع الاقليات المسيحية في العالم الاسلامي قبل هذا العهد ، وما هو التحول الذي حدث في القرن التاسع عشر ؟ ان من المعروف أن الاقليات المسيحية في العالـم الاسلامي في العصر الوسيط كانت تتمتع بحماية الدولة الاسلامية. وبحرية ممارسة طقوسها الدينية ، خاضعة لمبادىء الشريعة الاسلامية في معاملة اهل الكتاب .وهكذا كانت العلاقات بين المسيحية والاسلام علاقات طبيعية تتسم بروح التعايش والتفاهم وبروح التسامح الاسلامي ، وقد تغيرت طبيعة هذه العلاقات حين شنت اوروبا

المسيحية حملاتها الصليبية ضد العالم الاسلامي (١٠٩٦ م ـ ١٢٧٠م) .

وبعد انتهاء الحروب الصليبية ، وانتصار العالم الاسلامي اصبحت الاراضي المقدسة ، ومدينة القدس بالذات خاضعة لسيادة الدوله الاسلامية ، وهو الوضع الجديد الذي يطلق عليه مؤرخو الكنيسة «سقوط مملكة القدس اللاتينية تحت ضربات المسلمين» .

وحاول العالم الاسلامي ان يطوى صفحة الماضي الأليم بالرغم من المآسي التي مر بها المجتمع الاسلامي اثناء الحملات الصليبية ، وسمح للاقليات بممارسة نشاطها التجاري ، واداء طقوسها الدينية .

ولكن الكنيسة لم تنس انتصار المسلمين ، واستعادتهم بيت المقدس ، واضطرت بعد هزيمتها العسكرية ان تغير السياسة وحولتها من سياسة عسكرية الى سياسة دبلوماسية ، وخاصة بعد سقوط عاصمة البيزنطيين «القسطنطينية» تحت ضربات دولة اسلامية قوية آنذاك «الدولة العثمانية» .

وقد بدأ هذه السياسة الدبلوماسية فرانسوا الأول في اتفاقية سنة ١٥٣٥م مع الباب العالي ، فاستقر رهبان يسوعيون فرنسيون في اسطنبول ابتداء من ١٥٨٣ م فعوض التسرب الفوري والديني ، والبعثات التبشيرية .. الحملات العسكرية .

وبالرغم من هذه الاتفاقيات فقد كانت الدولة الاسلامية ايام قوتها آنذاك بالمرصاد لمحاولات التبشير ، وكانت البعثات الدينية تقصر نشاطها بين افراد الجاليات المسيحية المقيمة في كثير من المدن الاسلامية ، وخاصه الساحلية منها ، لأنها كانت تمارس التصدير والتوريد بالخصوص في نشاطها التجاري .

فقد كانت تعيش في كثير من المدن المغربية اقليات مسيحية تحترف التجاره وتمارس طقوسها الدينية بكل حرية ، فنجد اقليات في طنجة ، وسبته ، ووهران ، وتلمسان ، الجزائر ، وبجاية ، وعنابة ، وتونس ، والمهدية ، وصفاقس ، وقابس ، وجربة ، وطرابلس ، وكانت لهم كنائسهم ومقابرهم الخاصة بل اتخذ بعض امراء المغرب الاقصى ، وتلمسان وبجاية وتونس حرسا خاصا من المسيحيين ، وسمحوا لهم بممارسة

طقوسهم الدينية ، وقامت جمعيات مسيحية تألفت لشراء العبيد المسيحيين، ولاسيما اولئك الذين اسروا اثناء الغزوات البحرية التي قامت بها سفن مغربية ضد القراصنة الاوروبيين بنشاطها بكل حرية .

ولكننا نلاحظ ان رد فعل المجتمع الاسلامي كان دائما عنيفاً حين تجاوزت البعثات المسيحية حدود نشاطها بين الاقليات الاجنبية ، وقامت بحملات تبشيرية ، مهاجمة للاسلام .

فلما ارسل سان فرانسوا داسيس (Seint - francois D' Assise) انصار طريقته الجديده (Franciscains) سنة ١٢١٩ الى تونس والمغرب الأقصى القيام بالرسالة التي أوصاهم بها :

(التبشير بدين المسيح بدون خوف وتحمل جميع الوان العذاب) ، ونزلوا في ميناء حلق الوادي مبشرين بالمسيحية،مهاجمين للاسلام كاد أن بطش بهم المسلمون، واحتموا بالتجار المسيحيين المقيمين هناك .

ونرى ان المجتمع الاسلامي يقوم في هذه الحالات بالدفاع الذاتي دون الالتجاء الى الحاكمين .

وامام موقف المسلمين هذا .وانتشار حركة القرصنة تقلص ظل الحركة التبشيرية في المغرب العربي قبل القرن التاسع عشر . واشهر المبشرين الذين ارسلوا الى تونس ، ثم الجزائر في القرن التاسع عشر هو «جان لوفاشي»(Gehn leVacher) الذي قام بدور تمهيدي خطير لحركة التبشير في تونس اولا(من١٦٥٠م الى١٦٦٨م)، ثم انتقل الى الجزائر ليقوم بنفس الدور .

ولكن الوضع يتغير جذرياًمع بداية القرن التاسع عشر،الدولة العثمانيةتنتقل من حالة ضعف عسكرية ، وتقهقر امام الجيوش الاوروبية ، وحالة ركود اقتصادية وتعفن نظام الحكم المطلق القهري الى حالة ازمة خانقة جعلت حالة الرجل المريض تزداد سوءاً من فترةلاخرى ، ويصبح عاجزاً عن الوقوف امام التوسع الاستعماري الاوروبي . ان الاحتلال الرسمي لكثير من اجزاء العالم الاسلامي لم يسبقه تسرب

اقتصادي ، ونفوذ سياسي فحسب بل مهداليه تسرب ديني تبشيري ويكفي ان نذكر هنا بالاتفاقيات التي فرضتها الدول الاوروبية على الباب العالي ، والتى تنص على الحقوق التجارية والسياسية للدول الاوروبية ، وعلى الحريات الدينية للاقليات الاوروبية الخاضعة للدولة العثمانية ، وما أدى اليه ذلك . . من نظام الامتيازات الشهير ،ونذكر ايضاً بقضيةالارض المقدسة ، واستغلالها من طرفالدول الاوروبية لفرض سيطرتها على العالم الاسلامى ، وتعديتها للحرب الدينية والطائفية في بلاد الشامبالخصوص .

فلا غرابة ـ اذن ـ أن نجد الكنيسةتسير فى مقدمةالزحفالاستعمارى الفرنسى على أقطار المغرب العربى ، وجعل احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ حركة التبشير فى المغرب تدخل عهداً جديداً .

وتستعمل الكنيسة فى تبريرها امناصرتها للسياسة الاستعمارية ذلك الاساس النظرى الذى استند اليه مفكروها فى اثبات حق الاستعمار ، وربطه بحق التبشير، وقد شرحه العالم الدينى الاسبانى «فرانسوا دوفيتوريا» (Francois Devittoria) وبقى مفكرو الكنيسة يعتمدون الى الثورة الجزائرية حيث نجد الحركات الدينية الرجعية تستند على ذلك الاساس النظرى لتبرير موقفها فى مناصرة سياسية القمع التى اتبعتها الادارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائرى المجاهد .

ويتلخصهذا الاساس النظرى فىانالعالم قد خلق لجميعالناس ، ولايستطيع أى شخص أن يضع العراقيل أمام بلوغالانسان ثروات العالم حيثما كانت . ان الانجيل يأمر قائلا:

«اذهبوا وعلموا جميع الامم» ،ولايمكن لاى شخصأنيعرقلالدعوةالتبشيرية بدين المسيح .

فقد أصبح حق التبشير اذن وحق الاستعمار ، والاستيلاءعلى ثروات الشعوب الاخرى حقاً واحداً ، وهوبالتالى حق استعمال العنف ضدكلشعبيدافععنارضه، وثرواته، وعقيدته .

وقد أشرفت البابوية نفسها على تقسيم المستعمرات في البدايـة ، فلما نشب

الخلاف بين البرتغال واسبانيا حول التجارة الافريقية أعلن البابا نيقولا الخامس عن حق البرتغال فى احتلال الأراضى الافريقية الى غينيا ، وما بعدها ، وحرم على بقية المسيحيين ممارسة التجارة فى هذه المناطق مهدداً أياهم بالطرد من الكنيسة.

ولما برزت اسبانيا كقوة بحرية كبرى بعد اكتشافات (كريستوف كولومب) قسم البابا الكسندر يوم ٤ ماى ١٤٩٣ م مناطق النفوذ فى العالم بين اسبانيا والبرتغال .

ولا مناص هنا من توضيح ثلاث نقاط :

اولا ـ قد يتساءل أحدهم قائلا :

ولكن الكنيسة نددت ببعض حركات القمع التى قامت بها النظم الاستعمارية ضد الشعوب المستعمرة !

قد وقع التنديد فعلا فى بعض الحالات ولكن لابد ان نعرف أنه صدر عن بعض رجال الكنيسة ، اوعن ممثليها المحليين ، ولكن ليس عن الكنيسة كمنظمة ، وهذه المواقف النادرة نددت بعمل معين دون ان تدين النظام الاستعمارى نفسه .

ثانياً ـ ان الكنيسة قد غيرت اساليب سياستها التبشيرية فى القرن التاسع عشر نتيجة تجربة طويلة امتدت من نهاية الحروب الصليبية الى القرن التاسع عشر ، فأصبحت لاتدعو مباشرة الى اعتناق المسيحية ، وخاصة فى المجتمع الاسلامي ، ولا تهاجم الأديان الاخرى ،ومن المعروف أن هذه السياسة القديمة تسببت لها فى مشاكل معقدة بل ركزت جهودها على ميدانين اساسيين : «الاعمال الخيرية» من انشاء المستشفيات ومآوى لليتامى والعجز ، وارتفع شعار «الطب فى خدمة التبشير» من جهة، وانشاء المدارس من جهة اخرى .

وهكذا عملت الكنيسة على تدعيم ثقافة المستعمر ، ومحاولة طمس الثقافة الوطنية آملة ان تصل عن طريق التسرب الفكرى الى التسرب العقائدى .

ثالثاً ـ ان هذه النقطة الثالثة تتصل بتعاون الكنيسة الفرنسية مع النظام الاستعمارى الفرنسى فى بلدان المغرب العربى ، لانه يبدو ان هنالك تناقضاً بين مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وسياسة الحكومة اللايكية فى فرنسا نفسها والتعاون المتين بين الكنيسة

والادارة الاستعمارية فى المستعمرات الفرنسية ، وهو التناقض الذى لاحظه مستشرق فرنسى شاب اصبح فيما بعد من كبار المبشرين «اوجان بور» (Eugene Bore) حيث كتب من سوريا يوم ٣٠ نوفمبر ١٨٣٧ يشير الى هذا التناقض بين سياسة الحكومة الفرنسية اللايكية فى فرنسا في مساندتها الواضحة لحركات التبشير الارثوذكسية فى المشرق الاسلامى ، ولكن اعترافه بنتائج هذه المساندة لدى الاقليات المسيحية فى المشرق وانتصاب العلم الفرنسى مرفوعاً فوق الكنائس ، هنالك يكشف عن اهداف هذه السياسة رغم ما يبدو عليها من تناقض .

ان سياسة الدولة الفرنسية تجاه الكنيسة فى المستعمرات لا يدع مجالا للشك فى اعتماد السياسة الاستعمارية الفرنسية على الكنيسة ورجالها . وقد قبلت الكنيسة هذا الدور بالرغم من موقف الدولة تجاهها فى فرنسا نفسها لانه يمكنها من تنفيذ اهدافها السياسية والدينية التي تتحد مع اهداف النظام الاستعمارى .

وقد اتسمت علاقات حركات التبشير بالنظام الاستعماري الفرنسى فى بلاد المغرب بطابع التعاون الوطيد ، ورأت فى احتلال الجزائر عسكرياً فتحاً مسيحياً ، وبداية اعادة امجاد الماضي ، وتحقيق الحلم القديم حلم افريقيا المسيحية ، ومن الاعمال الاولى التى قامت بها الكنيسة بعد انتصابها تحت حماية الجيش الفرنسى فوق ارض الجزائر العربية المسلمة محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الافريقية ، والعودة الى العهد الرومانى والبيزنطى لتعطى لرسالتها التبشيرية الجديدة أسساً تاريخية تعود الى قرون بعيدة وترى فى الفتح الاسلامى وانتشار الاسلام فى ارض المغرب العربى غلطة لاتغتفر جعلت الدور التبشيرى الجديد تفصله عن الكنيسة الرومانية قرون طويلة من الصعب طمسها بسهولة .

للبحث صلة

مكتبة المجلة

الشيخ والشاب
من حيث الافكار والميول

المؤلف : الشيخ محمدتقي الفلسفي
الناشر :هيئةنشر المعارف الاسلامية
طبع :مطبعة جامعة طهران في ٣٨٧ صفحة

والكتاب مؤلف باللغة الفارسية ويعد احدى الحلقات الدراسية حول التفاوت الفكري العاطفي بين الجيل السابق والجيل اللاحق وقد عودنا الشيخ المؤلف حفظه الله على امثال هذا الكتاب الشامل الدقيق ومن مواضيعه :

تفاوت الميول بين الشيخ والشاب تكريم شخصية كل منهما .

الاحساس بالحقارة اثر التربية على الروابط بينهما . خلق التوازن بين هذه الروابط وغيرها من المواضيع الهامه .

والكتاب جدير حقاً بالمطالعة المستوعبة

اقامة الحجة في واقعة صفين

المؤلف :الشيخ قوام الدين القمي الوشنوي

المطبعة : الحكمة في قم-ايران في ١٣٤ صفحة والكتاب تحقيق تاريخي حول هذه الواقعة بما يكشف عن حقائق ينبغي التوجه اليها ، وهو يركز بالتالي على ان الفئة التي حاربت امير المؤمنين (ع) انما هي التي وصفت في النصوص الاسلامية بـ (البغاة) او (القاسطين) وقد اهداه الشيخ المؤلف الينا مع مجموعة من مؤلفاته التي ذكرناها سابقاً .

محاولة لفهم المشكلة اليمنية

المؤلف : الأستاذ زيد بن علي الوزير
الناشر : مؤسسة الرسالة في ٢٢٤ صفحة

وهو كتاب قيم جدير بالمطالعة ممن يريد تفهم مشاكل هذا الجزء من الوطن الاسلامي خصوصاً وقد الفه خبير موضوعي بهذه المشاكل .

ولكل امة ... رسول

المؤلف: الشيخ حسن موسى الصفار
الناشر: مكتبة الامام الصادق ـ الكويت
عدد الصفحات ٨٨

وهو كراس موفق يعتبر باكورة عمل لمؤلف ويعالج موضوع النبوة والانبياء ـضعه لمناسبة ذكرى ميلاده (ص).

الدين والحياة

من نشرات التوعية الدينية في الادارة لعامة للدعوة في جمهورية مصر العربية هي نشرات دينية قصد بها توعية الامة تركيز الروح الاسلامية فيها ممايؤهلها لان لخوض المعركة المصيرية ...

وتمتاز بالاستيعاب والنصوص الكثيرة الفكرة البناءة للشخصية المقاومة.

محمد (ص)
آخر الانبياء

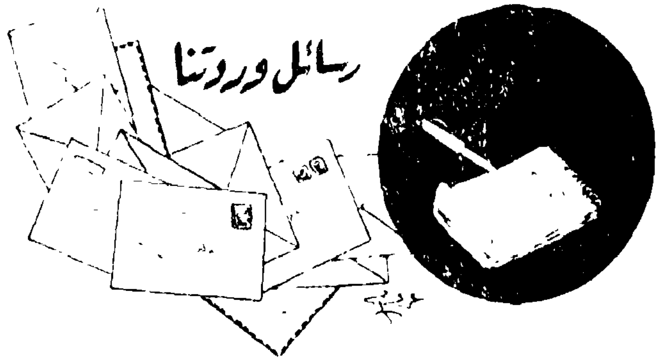
المؤلف: الاستاذ الشيخ وهبي اسماعيل امام ومدير المركز الاسلامي الالباني وهو باللغة الانجليزية ويقع في صفحة ١٦٨.
ويتناول حياة القائد العظيم للانسانية جمعاء ويعرضها عرضا موفقاً مبيناً جوانب العظمة والسمو فيها ممايجب ان ينعكس على حياة المسلمين جميعاً.

ملامح الامة القاديانية

المؤلف: اغاشورش كاشميرى مدير جريدة جتان بلاهور ـ پاكستان ويوضح المؤلف في هذا الكراس المختصر اهداف «خونة الاسلام» هؤلاء والتى تتلخص في امرين.

أ ـ الغاء حكم الجهاد في الهند ومن ثم في العالم لاماتة روح المقاومة في الامة.

ب ـ صيرورتهم معبراً للاستعمار بكل اوجهه.



١ ـ وصلتنا من الاستاد ابو القاسم اميني الامين العام للمركز الاسلامي الثقافي في ايطاليا رسالة يقول فيها مشكوراً :

«هذا ويسرنا ابلاغكم ان مجلة «الهادى» تتهافت عليها الاخوة الاعضاء المسلمون الذين يترددون على المركز لما تحويه المجلة من موضوعات اسلامية ومواد شيقة وبحوث عميقة ، ولذا فاننا باسم الجالية الاسلامية في ايطاليا نتقدم لكم بوافر الشكر لموافاتنا باعداد المجلة الممتازة من جميع النواحي .

وبهذه المناسبة نحيطكم علماً بأن مركزنا قد حصل من بلدية روما على ارض تبرعاً منها لبناء مسجد ومركز اسلامى فى العاصمة الايطالية، وتبلغ مساحة الارض ٣٠/٠٠٠ متر مربع يبلغ ثمنها بسعر السوق ١٥ مليوناً من الدولارات الامريكية. ان التقديرات الاولى لبناء المسجد تبلغ ٢٠ مليون دولار ، ولا شك ان ذلك يقتضي ان يتكاتف جميع المسلمين فى العالم للتبرع والمساهمة في بناء مسجد يقام لاول مرة فى التاريخ فى بلد يعتبر مركز الكاثوليكية فى العالم .

لذا نكون شاكرين لو تفضلتم بنشر ندائنا هذا فى مجلتكم الغراء المنتشرة في جميع انحاء العالم الاسلامى ، ولكم جزيل الشكر وعظيم الاجر والثواب من الله.. ان الله لايضيع اجر من أحسن عملا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢ ـ ومن الهند وردتنا رسالة من طلاب الجامعة الاشرفية بمباركفور ورد فيها «نحن الطلاب الملتحقون بالجامعة الاسلامية الشهيرة المسماة «بالجامعة الاشرفية» بمبار كفور اعظم گر في ولاية اترابروش ، التي اضاءت نور الاسلام وضياءه في هذه

البقعة الهندية البعيدة عن العرب والمراكز الاسلامية التي تلألأت بها الحقيقة المباركة المقدسة .

وهذه الجامعة قامت باعمال جليلة يعرفها المسلمون الهنود كل المعرفة وأدت دوراً هاماً في الحقل الاسلامي الروحي والثقافي .

وبعد فنحن الطلاب نلتمس منكم ان ترسلوا الينا مجلتكم الغراء التي تعرض على المسلمين والجماهير من الناس تعاليم الاسلام وهداياته السامية وانتم تعلمون ان افراد الجيل الناشيء يستحقون عنايات خاصة بالنسبة الى غيرهم .

وليست وراء هذا الصوت منفعة مادية او دنيوية الا اننا نحن الطلاب لم نزل نتمسك باذيال ديننا وافكارنا وآرائنا وحضارتنا وتعارفاتنا وعزنا ومجدنا ولانقع فريسة امام الاغراءات الضالة المضلة وعرصة لتوجيهات مفكري المدنية الغربية و رجالها في كل مجال من مجالات الحياة من روحية وفكرية وثقافية ونهديكم على الختام اركى تحياتنا وأسمى تقديرنا» .

٣ ـ ومن جمعية التعاضد الخيرية في النبطية ـ لبنان، وردتنا رسالة كريمة تطلب منا ارسال المجلة وباقي المنشـورات الثقافية للدار ، ونحـن بكل استعداد سنقوم بتنفيذ الطلب .

٤ ـ وقد وردتنا رسائل شكر وتقدير من كل من :

الاستاذ سالمين عوض العامري رئيس جماعة انصار السنة المحمدية في كينيا.

الاخت مها ابراهيم حافظ من الرميثية ـ الكويت .

الاستاذ محمد طاسين الندوي الازهري عميد الجامعة التنظيمية الاسلامية في جمهورية ميري لنكا.

الاستاذ حسن علي آل خليف من القطيف المملكة العربية السعودية.

الاستاذ كاظم موسى الموسوي وكيل امين مكتبة الجوادين العامة ـ مؤسسة الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني الكاظمية ـ العراق .

٥ ـ ومن الاستاذ السيد رضا الطباطبائي امين مكتبة جامع النقي العامة ـ الكويت وصلتنا رسالة كريمة يعبر فيها عن تقديره للمجلة في ثوبها الجديد ويعلن تبرع المكتبة

بمهمة توزيع المجلة في الكويت الحبيب .

٦ ـ ومن مكتبة الامام المهدي العامة في الكويت وصلنا نص البيان الذي يعلن عن مسابقتين اسلاميتين احداهما في موضوع الحجاب وتختص بالنساء ، والأخرى في موضوع «ايمان ابي طالب» .

ونحن بدورنا نشجع امثال هذه البرامج وندعو الله تعالى ان يوفق الجميع للقيام بالمسؤولية الاسلامية .

٧ ـ ومن الاستاذ عميد مدرسة الاصلاح (يوپي ـ الهند) وردتنا رسالة مفصلة يبدي فيها تقديره لجهود المجلة في توعية المسلمين بكل ما يستطيعون معه ان يقاوموا التيارات الفكرية الالحادية ويطلب منا تزويد المكتبة العامرة لدى المدرسة بالمجلة.. ثم يتحدث مشكوراً عن شتى جوانب هذا المعهد وتاريخه الذي يربو على نصف قرن والذي يتسم بسمة التسامح والمرونة والذي تدرس فيه مختلف العلوم الاسلامية وعلى مختلف الآراء المذهبية . . . والذي انجب العدد الكبير من رجال الفكر والدعوة ومفسري القرآن . . . مما استطاع معه ان يثري المكتبة الاسلامية بكثير من المؤلفات النافعة .

. . . وأخيراً فانه يذكر انه ارسل الينا بعض هذه المؤلفات النافعة .

ونحن بدورنا نشكر الاستاذ العميد على هذا التفضل وهذا الاعلام بنشاطات امثال هذه الجمعيات الاسلامية . . . كما ونشكره على اهدائنا مجموعة من منشوراتها.

ونهيب بباقي الاساتذة ان يقوموا بتعريف جمعياتهم ليكون بيننا اتصال وثيق يثمر التعاون في المجال الفكري ان شاء الله .

حول
مؤتمر كوالالامبور

**نص الرسالتين المتبادلتين بين سماحة الامام السيد شريعتمدارى دام ظله
فضيلة الاستاذ السيد محمد حسن التهامى امين عام المؤتمر الاسلامى وذلك
بمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى كوالالامبور .**

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ السيد محمد حسن التهامي السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسأل الله سبحانه أن يأخذ بأيديكم لما فيه الخير والصلاح وأن يبارك لكم فى مؤتمركم هذا ويجعله منطلقاً مباركاً لمعالجة قضايانا المصيرية التي تأتي قضية تحرير فلسطين وسائر اراضينا المحتلة فى طليعتها .

ان انعقاد هذا المؤتمر الاسلامى ليذكرنا بحريق المسجد الاقصى المبارك الذي مايزال مستباحاً ... ينتظر من القلوب المؤمنة والافئدة الطاهرة التي تهوى اليه.. ان يحرر ويبدد ما أحاق به من اسى نتيجة لما اصابه على يد العدو .

ثم ان ثمة نقاط على ما اعتقد غير خافية على السادة المؤتمرين الا اني رأيت ان الواجب الديني يملي اثارتها هنا .

١ ـ الوحدة الاسلامية : اتناول هذه الناحية على صعيدين : ١ ـ ضرورتها : هي اوضح من ان يلتمس لها دليل ، فكلنا نعلم اننا أتينا من تشتتنا وتناحرنا .

اذن على هذا الصعيد لا جديد يمكن ان يضاف اللهم الا التأكيد على شيء هو غاية في الدقة والاهمية . . انه الاخلاص..نحن بحاجة لان يلامس مفهوم الوحدة الاسلامية شغاف قلوبنا لا ان يكون مجرد كلام للاستهلاك ،

ب ـ لابد للوحدة من اساس : ونحن نمتلك بحمد الله أساساً متيناً هو كتاب الله واحكامه الخالدة التي اراد سبحانه وتعالى ان تكون منهاج حياة لنا .. ولو سرنا في طريق الالتزام بهذا الاساس المتين نكون قد سرنا في طريق الاتحاد الذي اصبح ضرورة حياتية لنا .

وفي سبيل وحدة اسلامية واقعية لا بد من التوفيق بين الشريعة الاسلامية والقوانين المعمول بها في الدول الاسلامية حتى يأتي يوم لايكون فيه في بلاد المسلمين حكم يخالف احكام الله جلت عظمته واهداف الشريعة المقدسة واننا ـ ومعنا جميع المسلمين ـ لنترقب ذلك اليوم الذي تزول فيه بقايا الاستعمار وآثاره من بلادنا الاسلامية كلها ، وفي هذا الشأن نذكر ـ ومن باب المثال ـ بمظهر واحد من مظاهر الاستعمار الكافر التي زرعها في بلاد المسلمين ليقطع صلتهم باسلامهم وتقاليدهم ذلك هو جعل يوم الاحد العطلة الرسمية الاسبوعية للدولة مع انه من الواضح الجلي ان عطلة المسلمين كانت ولا تزال هي يوم الجمعة الذي هو في الواقع يوم الاجتماع والتزاور ، يوم الاستراحة والعبادة ، فكما ان اصحاب الديانات الاخرى ليسوا على استعداد للتنازل عن ايامهم المقدسة وتغيير عطلتهم الرسمية فمن الاولى بنا نحن المسلمين أن نعظم شعائرنا ونحافظ ـ باصرار ـ على تراثنا العظيم واصالتنا ، رافضين بذلك كل مظاهر التبعية والتقليد الاعمى ومثبتين استقلالنا وسيادتنا وكياننا .

٢ ـ الاقليات الاسلامية : تتعرض الاقليات الاسلامية في بلاد شتى كالفليبين وغيرها لالوان الضغوط ولمحاولات تصفوية مختلفة ... ولاجل دفع الظلم عنهم ولكي ينالوا حقوقهم في حياة حرة كريمة كسائر ابناء البلاد التي يعيشون فيها .. نطالب المؤتمر باتخاذ موقف جاد وحازم في هذا المضمار ...، ويؤسفنا ان نسجل بالمناسبة اسفنا البالغ للسكوت الذي ووجهت به مجازر الفليبين الاخيرة .

٣ ـ الشبيبة المسلمة داخل البلاد الاسلامية وخارجها : نأمل ان تتخذ القرارات

التي تتيح لنا بناء جيل عقائدى ... قرارات تعني بالشبيبة من جهة لكي لايلفها الضياع ، وبالاسلام الاصيل . . . على انه عقيدة حية حارة مرتبطة بحركة الحياة ، بل هي التي تسير الحياة وليست عقيده الأزواء وطقوس وترانيم .

٤ ـ وسائل الاعلام : لقد اصبحت مواد وسائل الاعلام في وقتنا الحاضر مصدر خطر من جهات عديدة ؛ وبصرف النظر عن الواجب الديني ترانا مدعوين الى تهذيبها فكيف اذا أخذنا بعين الاعتبار ذلك الواجب الذى لايمكن صرف النظر عنه ابداً.

اننا نطالب الدول الاسلامية بأن يكون أعلامها اسلامياً ... وطبيعى ان ذلك لن يكون بجرة قلم ولكن نرجو ان نرى تباشير فجره المنير .

٥ ـ القرارات :

نرجو ان يتخذ اللازم بشأن تنفيذ القرارات الاسلامية التي صدرت وتصدر عن مؤتمركم كى تؤتي اكلها .

وفي الختام ابتهل الى الله تعالى ان يوفق السادة المؤتمرين لكل خير واتمنى لهم السلامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الزعيم الديني للشيعة في ايران سيد محمد كاظم شريعتمدارى

قم ـ ايران

٢٠ / ربيع الاول ١٣٩٤ هـ

الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي

Secrétariat Général Conférence Islamique

General Secretariat Islamic Conference

حضرة صاحب السماحة الشيخ سيد محمد كاظم شريعتمداری

الزعيم الديني للشيعة في ايـران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني خطابكم الكريم الذي يفيض بمشاعر الحرص على مصالح الأمة الاسلامية ووحدة كلمتها واقتراحاتكم بشأن تقنين الشريعة الاسلامية وجعلها مسارا لدول أمتنا الاسلامية والاعلام الاسلامي ويسرني أن أدعم رايكم هذا وأؤكد لكم اننا نحرص غاية الحرص معكم على تثبيت هذه المعاني ومحاولة ايجادها في مقام التنفيذ ونحن قد دعونا بذلك في مؤتمر لاهور للقمة والمؤتمرات السابقة .

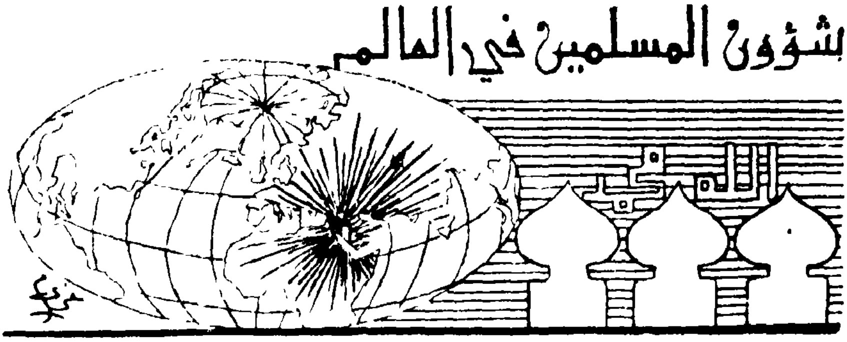
ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكننا من تحقيق هذه الأمنيات والآمال الاسلامية العريضة عندما تتوفر الامكانيات المادية والفكرية لمنظمة المؤتمر الاسلامي التي نحن بصدد اقامة دعائمها على أسس متينة تحقق للمسلمين والمؤمنين آمالهم وطموحهم في اعادة كيان بناء الأمة الاسلامية ووجودها في عالمنا المعاصر وسوف يسرنا استمرار مكاتبتكم في هذا المجال كلما استجد معنى من تلك المعاني الرفيعة التي نتفق معكم فيها والتي نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأدائها وأن نجمع حولها مفكري العالم الاسلامي في شتى ميادين الفكر والعقيدة والروح .

وأدعو الله سبحانه وتعالى — وندعوكم أن تدعوه معنا — ليقوي شوكة المسلمين ويجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم ويهدينا جميعا سبل الرشاد وانه على ما يشاء قدير والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله الطيبين الطاهرين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد حسن محمد التهامي

جدة في ١٣٩٤/٤/١٩ هـ



اعداد: ابو مقداد

وزراء الخارجية في كوالالمبور

عقد في الفترة بين ١/ج٢ - ٥ج٢ مؤتمر لوزراء خارجية البلدان الاسلامية وكان في جدول أعماله مواضيع عديدة هامة،منها : الاحتلال الاسرائيلي المستمر للمقدسات والاراضي الاسلامية، ووضع الاقليات المسلمة ، وخاصة في الفليبين حيث يتعرض المسلمون هناك لحملات ابادة تشنها الصليبية الحاقدة ، وقواها الظالمة .

اضافة الى بحث التعاون الاقتصادي بين الدول الاسلامية .

وقد اسفر المؤتمر عن قرارات وتوصيات هامة .

ونحن - كما كنا نؤكد في مواقفنا السابقة من مثل هذه الاجتماعات ، والمؤتمرات التي تعقد باسم الاسلام وتحت رايته - في الوقت الذي نرحب فيه بالخطوات التي تتخذ في سبيل النهوض بهذه الامة ورفع مستواها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، الا اننا نطالب بالعمل ثم العمل على التنفيذ والانجاز والالتزام والاخلاص ، والابتعاد عن المزايدات والمناقصات ، والا فستكون النتيجة عكس الغاية المتوخاة .

وأخيراً فليت المؤتمر كان قد بحث الى جانب الاوضاع السيئة التي تعيشها

الاقلية المسلمة في الفلبين مثلا ـ ليته كان قد بحث وضع المسلمين في البلاد الاسلامية نفسها وما يتعرضون له في بعضها من تقتيل وابادة لا يقصر ان لم يفق على ما في البلاد غير الاسلامية .

المسلمون فى الفليبين

لا زالت المذابح والمجازر الرهيبة تسود المناطق التي يقطنها المسلمون في هذه الجزر البائسة ، وتطالعنا الصحف بين حين وآخر بمزيد من التفاصيل عما يجري ويعانيه اخوان لنا في الدين هناك.

والعجيب ان هذه المسألة مع انها طرحت باهتمام ظاهر من المسلمين على الصعيدين الرسمي والشعبي للبحث عن حلها ومعالجتها ، الا انها ما زالت تنتظر المواقف الجدية الصلبة والاهتمام العميق الذي يفرضه على المسلمين حينما يتعرض بعضهم للظلم والاضطهاد، فالمؤمنون اخوة وكالجسد الواحد ، وبعضهم اولياء بعض اذن فالواجب يقتضي منا ان لا يهدأ لنا بال وجملة من اخواننا مهددون بالفناء سواء كانوا في الفليبين أو في فلسطين ، في قبرص أو سنغافورة أو غيرها من بلاد الله . . .

لقد طرحت مسألة مسلمي الفليبين في مؤتمر وزراء الخارجية للبلدان الاسلامية وقد حز في نفوسنا ان نرى كيف ينبري البعض للدفاع عن مواقف الحكومة الفليبينية ، مؤكداً على نواياها الحسنة وذلك حفاظاً على العلاقات الحسنة ، وروح المجاملة والمهادنة ، متناسين ما يحل بأخوة لهم فى العقيدة من ظلم وهلاك .

ان التاريخ سوف يحاسبنا على مسؤولياتنا تجاه قضايانا التي يجب ان لا تتحكم فيها أية مصالح ومنافع خاصة ، فلا مصلحة فوق مصلحة العقيدة ، ولا حلف ولا رابطة اقوى من رباط العقيدة البناءة ، ولنتعلم من الدول المسيحية التي طالما تدخلت في شؤون الدولة العثمانية بحجة الحفاظ على الرعايا المسيحيين ولنأخذ درساً من كل الضجيج والعويل الذي يقيمه اليهود الاسرائيليون وكثير من الدول التي تدعمهم حين يدعون اضطهاد اليهود في هذه الدولة المسلمة أو تلك، وأما نحن فتتحكم فينا المجاملات والمصالح ، حينما يتعرض ابناء عقيدتنا الى المذابح الحقيقية والفناء المحتم .

..والغارات المستمرة على لبنان

ولنربط بين كل هذه المجازر وحروب الابادة التي يتعرض لها المسلمون هنا وهناك : ففي مكان تنبري الصليبية وفي مكان آخر تتولى المهمة ربيبتها الصهيونية كل ذلك لاضعاف واماتة روح اليقضة والانبعاث في هذه الامة .

ان القصف الوحشي الذي يتعرض له لبنان الجريح على ايدي السفاكين الذين ينبزون هتلر والنازية بأبشع الالقاب في الوقت الذي حازوا فيه قصب السبق عليه وتعدوه بمراحل ومراحل في الوحشية والهمجية ، ان هذا القصف ليستصرخ المسلمين على الخصوص وأهل الضمائر الحية من غيرهم ـ ان وجدوا ـ ان يهبوا للنجدة وايقاف المعتدي عند حده .

لست أدري أين ذهبت تلك الروح التي كانت تتقد وتشتعل غضباً ، وتشتد ضراوة اذا تعرض اخوانها في أي مكان في العالم لحيف أو ظلم، وكانت تهب هبة رجل واحد لنصرته ، كيف خمدت هذه الجذوة التي حرص الاسلام ان يجعل منها حارساً لمصالح المسلمين وحافظاً لوحدتهم، والتي كان قادتنا وأئمتنا ينمونها ويزيدونها توهجاً .

ويمكننا بهذا الصدد الى ان نشير الى خطبة لامير المؤمنين علي(ع) يخاطب فيها المسلمين ويستثيرهم بأسلوبه البلاغي الفذ وذلك عندما اغار البغاة من جيش معاوية على بعض المسلمين من اصحاب علي (ع) فانبرى الامام (ع) قائلا: «ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلائدها ثم انصرفوا وافرين .. فلو ان امرءاً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً» .

فليت شعري ماذا كان يقول لنا الامام لو وجدنا ونحن على هذه الحالة التي يرثى لها، والانكى والامر ان كل المصائب تحل بنا ونحن في كثرة في العدد ووفرة في الخيرات والنعم، فلو حاولنا الاستفادة من كل ما حبانا الله لاستطعنا ان نغير من اوضاعنا، ونحتل مركزنا مركز الصدارة في هذا العالم ، ولكن المهم في الامر ليس العدد والعدة وانما هو القلوب التي في الصدور ، فمتى ما تغيرت استطعنا ان نغير احوالنا والعالم اجمع ، وصدق الله تعالى حيث قال :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

هل سيعقد مؤتمر الكنائس العالمي في اندونيسيا ؟

لا زالت الانباء تذكر ان مؤتمر الكنائس العالمي سيعقد في البلد المسلم «اندونيسيا» التي يمثل المسلمون فيه نسبة ٩٠٪ من السكان ، والذي يعتبر الان اكبر بلد اسلامي .

ومع انه صدرت بعض التصريحات عن بعض المسؤولين هناك تبدي تحفظات بشأن انعقاد هذا المؤتمر الا اننا نهيب بالمسلمين على جميع الاصعدة رسمية كانت أو شعبية، وكذلك المنظمات والجمعيات الاسلامية أن تبرق وتناشد المسؤولين في اندونيسيا بأن تضرب بيد من حديد على الجهود المحمومة التي يبذلها المبشرون المسيحيون في هذا البلد الاسلامي بالذات، وأن يقفوا دون تحقيق مآربهم وغاياتهم في انعقاد هذا المؤتمر المشبوه .

فتنة القاديانيين في باكستان

لقد أثارت الفرقة المنحرفة المسماة بـ «القاديانية» فتنة عمياء في البلد المسلم الممتحن (باكستان) الذي لا زال يئن من جراحاته السابقة . والذي يظهر في الافق ان القوى الملحدة مصممة على تمزيقه وتفتيت وحدته، ليتسنى لهم بايجاد دويلات صغيرة ضعيفة ، ان يتدخلوا ويتسربوا للسيطرة على مقدراتها ، اذ لا تروق لهم أن يجدوا دولة مسلمة كبيرة قوية ، لان في القوة حائلا دون اطماعهم الشريرة ، في هذا الوقت بالذات والمؤامرات الخارجية تحاك ضد هذا البلد الاسلامي يتحرك هذا الطابور الخامس في الداخل ليمزق الجبهة الداخلية ، ويجعلها بالتالي عديمة القدرة على التصدي للاعداء في الخارج .

ولا غرو في ذلك فكلما يعلم ان هذه الفرقة وأمثالها من البهائية وغيرها لم تؤسس الا على عين الاجهزة الاستعمارية التي كانت تريد من وراء ذلك تنفيذ مخططها الرهيب في تمزيق هذه الامة ، والقضاء عليها وعلى مفاهيمها . فجاء القادياني ليبغي الخاتمية في الرسل ، وامتداد الوحي الى ما بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله اضافة الى محو الجهاد من قاموس الشريعة وهو الفرض الذي لولاه لما استقام الدين ولما بقيت للامة شخصية أصيلة قوية تقف في وجه الاعداء الطامعين .

لقد راح ضحية للفتنة الاخيرة اعداد كثيرة من المسلمين ، وأريقت دماء زكية ما كان ينبغي أن تراق ولكنها ستبقى حية

وصرخة مدوية في وجه هذه الطائفة الضالة تدينها، وتدعو المسلمين حكومات وشعوباً لبيان موقفهم الصريح تجاه هذه الفرقة المنحرفة .

خطوات ضد الميوعة والانحلال

صدرت في بعض البلاد الاسلامية -مثل الاردن وتنزانيا- قرارات وتعليمات تقضي بالحد من انتشار الأفلام الخليعة ومنع الشباب من ارتداء الملابس المشينة، كما قامت في ايران حملة واسعة لمكافحة الاعتياد على المواد المخدرة كالهيروئين والافيون وغيرها .

واننا لنأمل ان تتخذ القرارات الصارمة بشأن مكافحة هذه المظاهر القاتلة، وان تكون هذه الاجراءات على صعيد العالم الاسلامي أجمع ، وشاملة لكل ما من شأنه أن يميع شبابنا ويبعده عن الصلابة وقوة الشخصية المفروضة فيه ، وفي هذا المجال لا بد أن نؤكد على انه حينما نريد أن نحارب هذه الظواهر المتميعة فلا بد أن نقتلعها من جذورها ، ونضع ايدينا على مكامن الداء وأسبابه ، أما معالجتها مباشرة وبشكل سطحي فلا نرجو له النجاح والوصول الى الهدو المرجو في انقاذ مجتمعاتنا منها .

وفي رأينا - ونحن نعلق على هـ الموضوع بسرعة وعسى أن نعود بتفصيل اكثر - ان من اسبابه الرئيس الفراغ والخلاء الذي يواجهه غالبي شبابنا مما يدفعهم الى التشبث بهذا النح من الامور عساهم يملأون بها فراغ ويسدون بها النقص الذي يشعرون، اضا الى اننا لا بد أن نواجه حقيقة مرة قاس وهي ان وسائل الاعلام - مع الأس الشديد - تساهم مساهمة فعالة في تميي شخصية الشباب بالصور المبتذلة والافا الخليعة ، وكتابات الأدب المكشو والاغاني المهيجة وغيرها .

اذن فلا بد - ان أردنا ان نكو جادين ومخلصين - ان نخلص جسم المج من هذه النفايات الضارة ، ونركز اذهان شبابنا مبادىء الاسلام الاصيل ونشبعهم بثقافته العالية كي لا يجد الفراغ القاتل الذي يلهيهم بمثل ه الخزعبلات .

فى ذمة الخلود . . .

الزعيم الاسلامي المغربي . . . علال الفاسى

حملت وكالات الانباء الى العالم نبأ وفاته . .

وكان نبأ صاعقاً لكل ارجاء العالم الاسلامي . . ذالك لانها عرفت المرحوم الفاسى رجلا عاملا فى سبيل تربية جيل مؤمن مجاهد . . . وصوتاً حراً يعلن بين الحين والاخر نداء الحق دون ان تأخذه لومة لائم،من على مختلف المنابر ومنها المنبر الصحفى، حيث كانت مجلة العلم المغربية تنشر مقالاته الطافحة بالتوجيه السديد وبكل المعانى التي يمكن ان توجد تياراً مؤمناً يدفع القضية الاسلامية للامام ويقف في وجه زحف الاعداء . . كل ذلك اقتناعاً منه بأن داء الامة لن يزول الا بالرجوع الى الاسلام.وقد قام الأستاذ المرحوم بزيارة الجامعة الاسلامية الكبرى في قم ممثلة فى دار التبليغ الاسلامي حيث تفقد شؤونها واطلع على فعالياتها . . كما وقام بملاقاة سماحة الامام المؤسس وجرت بينهما احاديث اسلامية على صعيد عال .

رحم الله الفقيد

الحاج امين الحسيني . . الزعيم الفلسطيني

. . وقد كان لنبأ وفاة هذا الزعيم المجاهد وقع اليم على القلوب وخصوصاً اولئك الذين عاشوا القضية الفلسطينية بكل ابعادها . . وادركوا اعظم ما قامت به هذه الشخصية من اعمال خلال حياتها الجهادية الحافلة بمعانى الصبر . . والحكمة . . وبعد النظر . . والعمل الدائب حتى آخر لحظة فيها .

وقد كانت له اراؤه السديدة فى كثير من القضايا بالاضافة لقيادته الفعالة للجان والهيئات التي تأسست في سبيل انقاذ القضية الفلسطينية .

ومن هذه الاراء رأيه القائل بأننا اضعنا كثيراً من القوة وفقدنا الكثير من التأييد عندما تجاهلنا المسلمين ! !

. . وهذا ولم تكن القضية الفلسطينية على عظمها لتشغله عن مشاكل الامة فى كل بقاع العالم .

والهـادى : اذ تنعى هذين الزعيمين الكبيرين لتدعو لدراسة حياتهما واستلهام العبر منها رغم انها قد لاتلتقى مع بعض آرائهما السياسية والاجتماعية .

ولين وهدوء وحذر لاسيما ويزيد بن معاوية قد راد من عيونه وحراسه يسراقبو ن ويسجلون كل همسة تدور في ارجاء الدار .

دخلت عليه . . فلم اجد عنده الا بعض عبيده يتحلقون حوله بحفاوة بالغ وانسجام . . كأنهم من زائريه . .

وقد كان السجاد (ع) يكثر من شراء العبيد . . فيربيهم بحنانه ويؤدبهم بآدا الاسلام حتى اذا انقضى عليهم العام او بعضه اعتقهم في سبيل الله . .

ودنوت يغمرني من جلاله نور .. وخفضت صوتي . . فسالني عن حاج فقلت في حياء .. هبني هذا العبد . . فمالبث الا ان قال : وهبتك اياه وتملكن الخجل . . فاستأذنت للخروج ..

وطأطأ ابو رافع رأسه وقد اذهلته المفاجأة وكاد يعترض على سيده لولا ان ماتعود طيلة حياته التى عاشها فى كنفه الا الطاعة والتسليم .

فألتفت الى ناحيتي وصوب الى نظرات تشع بالعتاب وقداحس بواقع الا فتحول عني وفي عينيه ألف من العفو والصفح والغفران ،هكذاخيل الي ... ورو يديه نحو السماء وتمتم :

«اللهم ان كانت سريرة بينك وبيني قد ادعتها علي فاقبضني .

اللهم ان كانت سريرة بينك وبيني قد اذعتها علي فأقبضني اليك ياالله .

وأسترسل فى مناجاته المؤثرة وفى انغام دعائه وقع يهز ضمير الصخر . .

وما ان وصلت الى اعتاب منزلي مرعفا ارتعش . . حتى وافانى رسول الاما يقول :ـ ان شئت ان تشيع جنازة صاحبك فهيابنا .

بكيت بلوعة وأجهشت بمرارة تحز القلب وتدميه . . وتمنيت حينذاك .. لو تبلعني الارض ، ولا اسمع زلزال هذا النعي الاليم .

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الرابع ـ السنة الثالثة

رمضان ـ ١٣٩٤ هجرية

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة التحرير

اللامبالاة في الشخصية المعاصرة

واثر الصوم فيها

.. قد يكون الابتعاد الشديد الاكيد الذى يتوجه الى مجتمعات المدنية الحاضرة متركزاً في عمليات التحلل المتعدد الجوانب .. التحلل من سماع نداء الفطرة .. التحلل من المقتضيات الاخلاقية .. التحلل من الانتماءات العقائدية .. واخيراً موجة التحلل المفرط من كل ماهو انساني واجتماعي .

وهذا العرى الاجتماعي والاخلاقي انما هو في الحقيقة ظاهرة مرضية نسميه خطيرة لمرض (اللامبالاة) وهي تصيب الشخصية الفردية يتيه الفرد في دروب انعزالية تارة ، وفوضوية اخرى ، وتصيب الشخصية الاجتماعية فتسلبها اهم عنصر مقوم لتماسكها وكينونتها وبقاء اطارها الاجتماعي ، وهي الكون بمستوى المسؤولية حيث لا يكون له اي مفهوم عند طرو ذلك المرض الخبيث ...

... ويمكن ان نمد اعيننا الى اية حضاره حلة في اى عصر فنلاحظ ان الامة التي كانت تحمل شعلتها كانت متماسكة قوية مادامت روح المسؤولية والعالم ، وتحمل تم ابعاء الحضاره روحاً سارية فيها ، ولكن ما ان تبدأ تلك الروح بالذوبان حتى يبدأ المؤشر الحضاري بالميل نحو علائم السقوط .. ويمكننا والحال هذه ان نؤرخ للنمو الحضاري في الامه بمسيرة نمو وتعاظم الشعور بالمسؤولية حيث ينتهي موضوع اللامبالاة نتيجة للوعي العام . في حين نلاحظ الانحسار الحضاري التدريجي يتابع عمليات نقصان الشعور بالمسؤولية وتعاظم مرض اللامبالاة في الفرد والمجتمع .. ويكفينا ان نلاحظ انطلاق المسيرة الاسلامية الظافرة من مهدها الاول .. وكيف كانت نتيجة الوعي الاقصى في الرسول الكريم ان حملته السماء مسؤولية ترمة البشرية وايصالها الى نهاية مطافها الذى اراده الله لها . وكذلك كيف كانت الانتصارات تلو الانتصارات نتيجة تركز شعور المسلمين الاوائل بالمسؤولية التي تجاوزت مسؤولية فرد أو قطر او امة فبلغت الى حد مسؤولية عالمية وهم انساني يتجاوز حتى حدود الزمانية ..

لمركز نظارة المجتمع الاسلامي الاول على «اليوم الموعود» الذي يكون الدين كله لله.

.. وهكذا يمكننا ان نتابع بعد ذلك الهبوط الحضاري الذي اصاب الامه نتيجـة لدخول عصر اللامبالاة بالعقيدة او بمضامينها و ترك الامور على عواهنها، وانشغالها بامور تافهة جانبية ، واهداف مادية رخيصة . . مما اورثها الانحلال والضياع وافقدها حتى ارضها كما في تجربة الاندلس.. وانتهى الى ما نراه اليوم من وضع لا يطاق تحمله .

ترى هل نستطيع ان نوفق ـ او في مرحلة الحمال ـ بين المسؤولية الحاملة الملقاة على عاتق الفرد والامة وبين هذه «اللامبالاة» التي نلاحظها متفشية في كل تصوراتنا ومجالات حياتنا الفردية والاجتماعية حتى غابت بعض صور المسؤولية التي حملها النبأ التاريخي في مجتمع صدر الاسلام ، غابت خيالا وحلما .. وهي دافع طبيعي في الاصل .. وذلك في امثال قول امير المؤمنين (ع) «ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة . ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع .. او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى .. أأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين . ولا اشاركهم في مكاره الدهر .. أو اكون اسوة لهم في جشوبة العيش ! فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة ، همها علفها ..» (١)

.. ان المسلم اليوم رغم ايمانه بالاسلام ومسؤولياته الجسام ليعيش حالة قلق في مجال التوفيق بين هذه المقتضيات ومن اعراض هذا المرض الخبيث «اللامبالاة» وقد يكون قد توصل الى توفيق خيالي بينهما جاء نتيجة كبيرة نتيجة لانحراف بعض المفاهيم الاسلامية في ذهنه كالزهد والقناعة والصبر عن مدالملها الاسلمة، ونتيجة لتهويلات واباطيل المرجفين الذين صاغوا صيغاً شوهاء لهذا التوفيق من جهة وفسروا الاطار كل قطعة من اجزاء المجتمع الاسلامي على ظروفها المؤية فحسب .

.. هذا هو المرض .. فكيف العلاج؟!

والحقيقة .. ان مثل هذه الامور لن نستطيع ان يعالجها مقال او كتاب .. كما يجب ان لا نتوقع اعجازاً سماوياً جديداً بعد ان توضحت معالم الرشاد والانحراف و «قد تبين الرشد من الغي» .. ولذا فان مشروع علاج الامة من هذا الداء يجب ان تستنفر الجهاز التربوي والاعلامي في المجتمع من الاسلوب الاسلامي في علاج حالة الموت الحضاري بمفهومه الصحيح والتي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الاسلام .

.. انما لو تابعنا ذلك العلاج الالهي امكننا ان نلخصه بامور ثلاثة (الايمان .. الوعي .. العمل المجسد لهما) فلقد كانت خطوات الرسول الاعظم (ص) الاولى تركـز على مسألة خلق المؤمن ، وتغيير النظرة الى الكون ، وتحديد مركز الانسان كمخلوق يقف الى صف كل اجزاء الكون المخلوقة في مجال الاحتياج للخالق الرازق الواحد المهيمن .. «قولوا لا اله الا الله تفلحوا» .. وكان التركيز شديداً حتى غدا الانسان المسلم الاول يحس احساساً عميقاً بهذه الرابطة بينه وبين خالقه ويهاجم في نظرة كل الالهة المصطنعة .

.. كان الوعي الذي غرسه الرسول في النفوس المؤمنة .. وعي مقتضيات الايمان بالله والرسول العظيم والاسلام .. وعي علاقة الانسان المسلم للارض ، وعي كون الامة المسلمة الطليعة الحضارية لكل امم الارض ، وعي العمل لانقاذ الارض من براثن الظلام والالحاد والضياع ، وعي دخول اخر مرحلة

(١) نهج البلاغة فهارس صبحي الصالح ص ٤١٨ .

من مراحل التكامل الانساني والعمل على ايصال القافله البشرية الى الغاية ،كان ذلك الوعي هو الذي رسم على جبين الانسانه اروع صور التلاحم والتماسك وهو الذي اذن للمؤهر الحضاري ان يبدأ خطه التصاعدي فعمروا وجه العالم الكئيب خلال فترة لاتعد شيئاً في عمر الانسان الى وجه مشرق مليء بكل الصفات الانسانية الحقة .

وهكذا تشابك الايمان والوعي فلا ايمان صاع بدون وعي لمقتضياته .

وجاءت مرحلة العمل . . فعمل الاسلام على ان يخصص شطراً من سلوك الانسان فوجهه فيها بتوجيهات اسمها (العبادات) محاولاً فيها اروع محاولة ان تكون النماذج الملائم لتجسيد ذلك الايمان والوعي وكذلك التصميم والعزم والتزود من الطاقات الخيرة والمخططة للعمل الانساني العام في مختلف الحقول .

وهكذا كان الدور المركزي العملي للعبادات يواكب نمو الايمان والوعي ويذكر بدرجتهما في الانسان . . فكان المسلم حينما يقف للصلاة يشعر بعمق بحرارة الايمان الواعي وبروعة الصلة بينه وبين خالقه . . ويحاول ان يجسد هذه العلاقة تجسيداً حينما يقول في صلاته «اياك نعبد واياك نستعين» او «سبحان ربي العظيم وبحمده» . . بما لايمكن للقلم هنا ان يستوعب جوانبه، وهكذا كان في عملية الصوم الرائعة التي استهدفت ضمن الاطار العام للعبادات تركيز الايمان بالله من جهة حيث تصل العلاقة بين الصائم وربه علاقة مراقبة ورحمة في كل آن اذ يشعر انه في ضيافته تعالى الخاصة التي تعبر عن الضيافة العامة وهي حياته ضمن عطاء الله العام . . واستهدفت تركيز الوعي . . اذ اشعره بمقتضيات ايمانه واسلامه ولزوم الائتمار بها وحملها والعمل بها والقضاء على كل المشتهيات التي تعوق تطبيقها . . وامتلاك الارادة الواعية المؤمنة في اي مجال من مجالات العمل العام .

. . اننا هنا لن نستطيع ان نعرض الى الدور الفعال للعبادات بصورة عامة ودور الصوم خاصة في هذا المجال .

. . ولكننا نريد ان نذكر - ونحن نعيش ايام شهر رمضان المبارك - بأن العطاء العبادي كان فعالاً - حينما كانت العبادة تلامس روح الانسان وتنفذ الى اعماقه وتتفاعل مع وعيه.

. . فالى رجال التربية الاسلامية . . والى رجال الاعلام الاسلامي ،، والى كل فرد مؤمن متحمس لتصميم بوجه هذه الدعوة المخلصة.. لنقوم جميعاً على عملية تركيز الايمان في الامة بمبادئها اولاً .. ثم توضيح مقتضيات ذلك الايمان وابعاده الحقيقية الخالصة من اي شوب..

وبالتالي تحسس الامة ورفد شعورها بمركز العبادات واسلوب ادائها الامثل الذي يتمثل في الصلاه مثلا حينما تصل الى مرحلة (النهي عن الفحشاء والمنكر) واقعاً وفي الصوم عندما يصبح سبيلا رحباً للوصول الى التقوى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).

وفق الله الجميع للخير والصواب انه السميع المجيب

هيئة التحرير

الحتمية التاريخية

الاقتصاد الاسلامي

السيد مرتضى الحكمي

اشرقت انوار الرسالة الاسلامية والمجتمع الانساني في احلك ظلمات التيه والضلالة ، وفي اعمق اعماق التخلف والانحراف ، ولم يكن العرب ـ وحدهم ـ في كماشة هذا التخلف والانحراف وفي دوامة هذا التيه والضلالة . بل كان غيرهم من الامم لايختلفون عنهم في حاجتهم الى حضارة تفتح اعينهم على النور والهداية .

تطلع المجتمعات المتخلفة :

ولم تكن الامة العربية ـ يومذاك ـ لتتجه الى نقض ما عاشته من الاعراف والتقاليد التي تعودت اليها . ولا تتطلع الى انظمة اجتماعية وسياسية تعيشها الفرس والروم وهي جزء من ذاتها واصالتها . بل كانت تأنف منها ، وتحجم عنها . وتقاوم غزوها لمجتمعها .

ولم يجد المجتمع العربي في واقعه ما يتحول به الى حياة حضارية سليمة ولافي غيره من الامم مايستقطبه منها في بناء مجتمعه ، ومستقبل تاريخه فلم تعد تتفاعل تلك المجتمعات المعاصرة ذات الاعراف والسنن المختلفة فيما بينها تفاعلا حضارياً يحررها من نطاقها الضيق ويحورها عن اوضاعها التقليدية المألوفة .

الا ان سنة تاريخية اخرى وضعت هذه المجتمعات المتخلفة في مسير التطور الاجتماعي الواحد عبر التاريخ . فان من طبيعة تلك المجتمعات أن تتطلع الى آفاق حضارية منشودة تنسجم مع فطرتها، وطبيعتها الانسانية ، تظل تبحث عنها في مراحل

زمنية بعيدة عن نطاق التكلف والتعقيد والتخلف .

ولما كانت المجتمعات العربية بالذات لم تمسها المدنية العصرية بحال من الاحوال ، ولم يحور واقعها اى تحول جذري عميق فقد ظلت تتطلع الى حضارة اصيلة تنبع من سذاجة الفطرة السليمة ، والنزعة الانسانية السليمة .

وعلى ارضية هذا التطلع الأصيل ظهر الاسلام في فترة زمنية ملائمة ، تفتح فيها العالم بأجمعه لقبول هذا التحرك السريع وان مقتضى حتمية التاريخ هو الذي دفع بمختلف شعوب العالم - على حد سواء - الى التفاعل مع حضارة الاسلام ، وثورته التاريخية الخالدة .

فاعلية المبادىء السماوية :

وعندما نضع حياة تلك الامم بمختلف ابعادها - قبل ظهور الاسلام - في ميزان التقويم ، وفي محك الحضارة الاسلامية بالذات لانجد حياتها تلك الا مرحلة من مراحل التخلف الحضاري ، والجمود العقلي الخانق الى جنب تلكم التفتحات العقلية ، والتحولات الانسانية البعيدة المرمى ، التي عاشتها الامم بعد استطالة الاسلام واتساع حضارته وحريته وتاريخه .

وهكذا لم تكن الديانات التي اجتاحت العالم لتظهر الا في ظروف تاريخية ملائمة تتطلب ظهورها فيها . وهي تحمل تلكم المبادىء الثورية التي تقلع من المجتمعات الانسانية جذور التخلف والانحراف ، وتقمع بذور الجهالة والضلالة ، وتضيىء طريقها الى سبل الخير والسلام ، وتكشف لهم عن مواطن الهداية والايمان .

ولم تستطع هذه الديانات المتعاقبة ان تنفذ الى المجتمعات الانسانية الا من مسارب الفطرة ، وعوامل النزعة الاخلاقية فيها ، لتتمكن من ان تجلي عنها ادران الجهالة التي رانت عليها ، واوضار الظروف الحالكة التي حرفتها ، بل والتحرك ذاتها ، وتقوم فطرتها من العوامل والخبرات السيئة التي الحت عليها بالركود والاعوجاج ، واركستها في متاهات المآسي والآثام .

ولم تأت هذه الديانات السماوية المختلفة بشيء يجانب فطرتها ، او يناقض ذاتها ، بل استهدفت في مبادئها سعادة المجتمعات الانسانية وركزت في شرائعها على

حاجتها الى الاستقرار والانعاش والتحضر . كما انها لم تأت في معجزاتها بأشياء لم تألفها ولم تتعقلها .

وعلى اساس هذه الملائمة الطبيعية لواقع البشرية وسلوكها، فان المعجزات التي جاء بها الانبياء هي نفسها كانت تدفع حضارة الانسان وتطورها، كما ان الشرائع التي صدعت بها هي التي كونت معرفته وثقافته ، واستجابت لطروحه ، ومتطلبات حياته، وهي التي سارت به الى حياة افضل من التكامل والانفتاح .

وعلى اساس هذه الملائمة الطبيعية ايضاً ، فقد تعاقبت الاديان، وظهر في كل جيل مايلائم منها مستوى ذلك الجيل وتدرجت تلكم الديانات الالهية حتى تكاملت بظهور الاسلام الذي بدأ ينعكس في تشريعاته ومبادئه صياغة الانسان ونضجه وبلوغه.

الدين ام المتطور؟!

وفي واقع هذه الملائمة الطبيعية بين التحولات التاريخية للاجيال البشرية وبين تعاقب الاديان السماوية وتناسخها فيما بينها : نستطيع ان نتبين ـ بوضوح ـ عوامل التسابق في هذه التحولات المشتركة وتفاعلها .

فهل ان التحول الانساني العام هو الذي كان يتدرج الى ضرورة التحول الطبيعي في الاديان السماوية المتعاقبة ، ام ان تحولات الاديان السماوية في ذاتها هي التي كانت تتدرج بالحياة الانسانية الى تصاعدها وتطويرها بشكل دائم ومستمر؟!.

ثم هل ان السلوك الانساني العام هو الذي يتحول ـ بشكل تلقائي ـ على اساس مختلف العمليات التجريبية التي يمارسها المجتمع الانساني في مختلف نواحي الحياة وشؤونها ، ام ان حضارة الاديان وتشريعاتها البناءة الهادفة هي التي تدفع بالحياة الانسانية الى هذا التصاعد الحضاري المتطور ؟! .

ولكن الحق الذي لامراء فيه: هو ان الاديان السماوية هي التي حولت البشرية من نطاق سلوكها البدائي الضيق، واخذت تتدرج بها الى الاكمل والامثل من التحول الدائم ، بفعل قدرتها على تكييف تشريعاتها الحية البناءة التي ظلت تحور ـ بدورها ـ الاعراف والسنن الاجتماعية الموروثة . فان الاديان السماوية هي التي تستطيع ان

تدرك بحكمتها ونفاذها ـ ضرورة هذا التحول وأبعادها ؛ كما تستطيع ان تدرك جيداً بدايات هذا التحول العام ومجالاته ، حين تحاول خلق حضارة انسانية جديدة. واذا كان هناك تفاعل دوري بين تحول السلوك الانساني العام ، وبين الاتجاه التاريخي المتطور للاديان ، او كان بينهما اي تسابق زمني فان الوحي السماوي هو الذي يبدأ هذا التطور، ثم يواكبه. ويتفاعل معه على مر الاجيال، وعبر التاريخ الانساني الطويل.

القوى الانتحارية المعاكسة .

وهناك حتمية تاريخية في تفاعلات الظروف تتهيأ فيها الانسانية للتحول الى الاصلح . والتطلع الى رؤية النور . والتهام الايمان والهداية ، وهي نفسها تؤثر في ظهور النبوات ، وقبول رسالاتها . ونفاد دعوتها في تلكم المجتمعات .

ومن الطبيعي ـ في هذه الحالة ـ ان تواجه تلكم الدعوات التاريخية الخيرة في طريقها قوى شريرة مضادة تحاول الابقاء على نفسها ، وعلى التقاليد الموروثة والعقائد السلفية العميقة الجذور . والاوضاع الاجتماعية المختلفة . ومن الطبيعي ـ كذلك ـ ان توجد تلك القوى المضادة في واجهات ابابية شريرة ، اذ لانه جدلك القوى الشريرة المضادة بفعل حتمية التاريخ ـ ايضاً ـ بمعاداة الاصلح ، بل هي رد فعل معاكس لها . فان التاريخ الانساني ـ بشكله الطبيعي العام ـ انما ينزع ـ في اخلاقيته ـ الى الاصلح من الحركة والتحول . ومن طبيعة هذه التحولات الجذرية ان تنكفىء في طريقها هذه القوى والثورات المجتمعية المضادة وهي تنطلق في وضعيات ـ لااخلاقية ـ انتحارية ، تنتهي الى القضاء على ذاتها في مجالات هذه المقاومة الصلدة . ولو لا ظهور تلكم القوى المعاكسة في صراع عنيف مع هذه التحولات العميقة ، ولولا مواجهتها مع قوى الخير والحق ، واندحارها بفعل هذه المجابهة العنيفة ، لعاشت القوى والطاقات الشريرة في اعماق تلك المجتمعات الانسانية ابداً ، ولما امكن قلعها والقضاء عليها بحال من الاحوال .

فلقد كانت النبوات ورسالاتها الالهية هي الانتصار الناجز لهذه الحتمية التاريخية الخالدة على صعيد هذه التحولات الانسانية الى الاصلح والقضاء على الاوضاع

الخلقية الاجتماعية الفاسدة .

القدرات الرسالية الفذة

وحينما ظهرت الرسالة الاسلامية ، واكتسحت دعوتها جزيرة العرب برمتها : ثارت في وجهها قوى شريرة احدت تقاومها ، وتحاول تمزيقها ، والقضاء عليها الا ان فاعلية الرسالة الاسلامية ، وقدراتها هي التي اجهزت عليها ، وابادتها ، واجتثت جذورها .

وليست هذه الرسالة الاسلامية الخالدة رسالة جامدة ، تقف - لحظة واحدة - عن حركتها وفاعليتها ، بل هي رسالة حية هادفة - ذات ابعاد وجذور - تستوعب الحركة الانسانية كلها ، او تصعد بها الى مدارج الحضارة ، والعقل والايمان .

وقد صدع النبي -ص- بهذه الرسالة العريضة . وركز فيها على تنظيم الحياة كما ركز فيها على تهذيب السلوك الانساني العام ، واذ درت على البشرية انظمة حياتية استجابت لحاجاتها كذلك درت عليها انماطاً سلوكية ، وطاقات روحية تدرجت فيها الى تكامل الخلق والفضيلة .

ولابد لهذه الرسالة العريضة الشاملة من ان تتحصن بقدرات رسالية فذة ، كما لابدلها من ان تقوم حمايتها بقوة فهمها ، وعمق استيعابها ، ومحاولة تركيزها وتمريرها في اعماق الاجيال والمجتمعات .

وقد جاهد الرسول -ص- على تشريعها وتنزيلها ، وجاهد اوصياؤه - من بعد - على تجليد هذه الرسالة ، وتحديد دوارسها ، وعلى تعريزها وتركيز اصولها ونواميسها وعلى بعثها الى العالم في كل جيل .

وحين نقلب صفحات جهاد الرسول -ص- في سبيل هذه الرسالة نتبين في جهاده حبلا يتصل بذريته واهل بيته ، وحين نقلب - ايضاً - مناهضة الكفار لها نتبين في اساس ذلك حبلا يتصل ببني امية واعوانهم .

عوامل التسلط الجائر

فقدحولت امية المجتمع الاسلامي ـ بفعل ثورتها المضادة ـ الى مجتمع يعيش الفتن والاثام ، ويخوض القلق والاستسلام ، ويمارس الخيانة والخديعة والانتقام ، ومن واجهة اخرى فقد كسروا شوكة الاسلام ، واطاحوا بمنعته الروحية ، واسبغوا على حكمه طابع الحكم الذي كان يمارسه الروم والفرس ، ولم يبق للحكم السياسي في الاسلام ـ عند ذاك ـ ماتستقطبه الامم الاخرى ، وما يقتدون به .

فكانت لقوى الحق والخير رسالة محمد ـ ص ـ وجهاده ، وجهاد اهل بيته ـ ع ـ وكانت لقوى الشر والضلالة محاربة المشركين ، ومناهضة اعداء الاسلام من بني امية في الجاهلية والاسلام .

وكانت تكمن في خطر امية على الاسلام هذه العوامل الهدامة :

١ ـ لم تتمتع امية ـ في تاريخها الطويل ـ بسلوك اصيل يعكس عليها اسلامها ، فلم تكن للحرمات ـ عندها ـ اي زمام ، ولا للقيم الخلقية اي اعتبار في سيرتها وسياستها .

٢ ـ ان امية حملت سياستها لمحق معالم الاسلام ، واثارة الفتن والتحلل في المجتمع الاسلامي طيلة ادوار هذه السياسة .

٣ ـ ان بني امية تهالكت على الحكم وامرة المسلمين في اسلوب رخيص دل على خسة هذا التهالك وضعته . كما دل على ضعتهم واحساسهم بالنقص المركب فيهم .

فقد استطاعت ان تبدأ حكمها ، وان تتوصل الى قمة هذا الحكم ، وتتحكم في رقاب المسلمين في هذه الفرص المواتية :

١ ـ في فرصة تلاعبهم بالامرة وقيادتهم لها نحو المنافع الشخصية .

٢ ـ وفي فرصة اضعاف المسؤولية عند المسلمين ، واماتة المعارضة في نفوسهم .

٣ ـ وفي فرصة استخدام سلاح الدهاء ، وسبل ارهاب المسلمين بالسيف وارضائهم والتصدي للفئة الواعية التي تركها النبي قدوة لامته ورائدة لها ، وقتلها وتشريد شيعتها واتباعها .

المجتمع الثالث :

وحين تدرج المجتمع الاسلامي من مجتمع الشرك والضلالة والضعف والتمسخ الى مجتمع الهداية والتوحيد ، والقوة والمنعة كان المنافقون — في هذا المجتمع المتماسك — ظاهرة اجتماعية وسلوكية اوجدها هذا التحول السريع الذى امتص بقدر تدوواعليته ظاهره الشرك . وحول المشركين — الذين لم يؤمنوا بقلوبهم — الى منافقين يتظاهرون بالاسلام ، ويتقمصون جلباب الايمان من دون ايمان .

فقد كان المجتمع الاسلامي — بعد ذلك — يتشعب الى طبقتين :

١ — طبقة المؤمنين .

٢ — طبقة المنافقين .

وكان الطابع العام لهذا المجتمع الموحد هو طبقة المؤمنين التي امتصت طبقة المشركين فتحول قسم منهم الى منافقين .

الا ان هذا الطابع العام قد اصبح في عهد الامويين ، ومن قبل بني امية انفسهم ينكمش ويتضاءل وبدأت تظهر على واجهة المجتمع الاسلامي طبقة متميزة اخرى تجاهر بعقيدتها في التلاعب بالدين . وهي طبقة بني امية ومن سار على نهجهم وسياستهم . ونشأوا في ظلهم وذابوا بعهدهم ، وقد افصحوا عن دفائن شركهم ، واسفروا عن دخائل كفرهم ، وجاهروا بمناهضة الدين كقوة مضادة تحاول استعادة جاهليتها بكل شرورها وآثامها وفسادها .

وفي عرض هذا التاريخ المناهض نجد تعاطفاً وترابطاً بين هذا المجتمع المتفاقم وبين المنافقين انفسهم ، ونتبين من ذلك : ان طبقات المسلمين من الناحية السلوكية اصبحت تتمثل في :

١ - مجتمع المؤمنين الذين تمسكوا بالرسالة الاسلامية — نصاً وروحاً — من اعماق قلوبهم .

٢ — ومجتمع المنافقين الذين تستروا بالاسلام ، وعملوا على هدمه والافساد فيه .

٣ — ومجتمع امية الذين تجاهروا بمناهضة الاسلام وتحكموا فيه لصالح

حكمهم وتسلطهم .

وليست امية هذه الفئه المناهضة ـ التي انحدرت الى تاريخ الاسلام كسلطة تخريبية ـ هي القوة المضادة وحدها . بل ان تلك القوى المضادة قد تمثلت في البيئة الاموية ، وفي سيرتها وسياستها المناهضة للدين ، وواقع الرسالة الاسلامية. فقد خلفت العباسيين ـ ايضاً ـ على نهجها واتجاهها ، كما خلفت القوى الشريرة الاخرى التي جعلت من الدين احبولة للدنيا ، ومن الخلافة احبولـة للاستعباد ، واقصوصـه للحكم الفردي الجائر .

ولم تكن السياسة الامويه هذه ، وما استحلفه من العهود التي احتذت تحذو حذوها وتترسم خطاها ، هي المجابهة الوحيده التي ابطنت هذه القوى المضـاده على طول التاريخ ، بل انها كانت القوه المضاده الاولى التي استطاعت ان تقف لاول مره ـ دون منعه الاسلام وشموخه ، وأمكن للصليبية والاستعمار والالحادـ بعد ذلك ـ من ان تفترسه وتجهز عليه .

ومن الطبيعي ان تكون هذه القوى المضاده التي امكنت في دخائل المجتمع الاموي ، وتمثلت فيما ورثته من الجاهلية ، وفيما اثارته من الآثام والشرور تترصد ـ بجد وحزم ـ في كل فرصة منفذاً للمعركة والمهوص . وكانت هذه القوى المعاكسة ـ في المجتمع الثالث ـ تتجسد بعد دعوه الرسول ـ ص ـ في بني امية وحدها ، كما كانت الثوره المحتمة عليها هي تلك الثوره التي تمثلت في بني هاشم ، وجهـاد الحسين ـ ع ـ وانصاره .

الحق الاسلامي الظافر .

وكانت حتمية التاريخ الاسلامي قد اطلقت ـ مره اخرى ـ يد الدين من عقالها فكان جهاد الحسين ـ ع ـ وثورته الجبارة التي حطمت اصنام الجاهلية المتمثلـة في بني امية ، بعد ان هدموا الكعبة ، وولغوا في دماء المسلمين ، وبددوا اموالهـم وبذروا فيهم النفاق والشقاق ، وعاثوا في مجتمعهم بالاثم والفساد ، واضاعوا الدين

وانحرفوا بالمسلمين الى وجهة الردة والجاهلية الاولى .

وهكذا . . . برز الحق الاسلامي ـ مرة اخرى ـ في نهضة الحسين ـ ع ـ وثورته العارمة على الظلم والاستبداد ، وفي تضحياته من اجل الدين ، وانقاذ حياة المسلمين من الانتكاسة والردة والفساد .

وقد انتصرت ثورة الحسين ـ ع ـ عبر الاجيال على هذه القوى الشريرة المضادة بتوعية المسلمين وتعرية اعدائهم وما يريدون بهم من الهدم والوقيعة والظلم والهلكة. وقد وعى المسلمون بفعل هذه الثورة الجبارة وادركوا ان سلطان بني اميه وسياستهم المحرقاء هي الردة عن الدين والرجوع الى جاهلية الامويين . يريدون بهم ان يقادوا الى أغراضهم ومآربهم وان يكونوا وقوداً لاهوائهم وشهواتهم . ولكن ثورة الحسين ـ ع ـ كان احساساً في اعماق المؤمنين اندلعت من معقل النبوة لتنقذهم وتحميهم ، وتصلح امرهم فرداً بعد فرد ، وجيلا بعد جيل .

وكانت من حتمية التاريخ الاسلامي ان يتخص الاسلام ويتسع ، لتمضي حضارته في مسارب الاجيال ، ولتضيء مصابيحه حوالك البشرية كلها ، وليهتدي بها ابيضها واسودها وحاضرها ومستقبلها .

الحتمية النهائية

وستنتصر ـ مرة اخرى ـ حتمية التاريخ الاسلامي الخالد على القوى الشريرة المضادة الانتصار الاخير ، وستنبثق فكرتها المتأصلة في ضمير العالم ووعيه . فان المجتمع الانساني ـ باسره ـ ليحس من اعماق نفسه ومن خلال ضوابطه الفطرية وما تكشف حياته العامة من الهزات والمعضلات ـ التي تتعقد يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل ـ ان هناك مصلحا سوف يقترب ظهوره للعالم اجمع ، لينقذ البشرية المعذبة من مآسيها ، وتناقضات حياتها . ومن حيرتها وقلقها ، ومما تستابها من الحروب النفسية ، والمجازر الدموية ، ومما تشاهده على مسرح عالمها التي تعيش فيه من التصارع

على استعبادها ، والتسابق في التسلط عليها ، والسيطره على موارده ، و الحلول والمبادىء التي تحاول ان تجعل من مجتمعها تجربة قاسية لفلسفتها ، و رخيصة لتنفيذ سياستها ، وهي تجد الان في البشرية مسرحاً لدعاياتها ، وواجهة لش ان العالم كله لينتظر في أعماق ضميره واحساسه ذلك المنقذ الذي يشمخ وينشد الاصلاح والخلاص فيه ، وان كانت البشرية قد ضلت طريقها اليه ، و في ادراكه ومعرفته .

ولكن المسلمين يعرفون من هو هذا المصلح الذي سوف يبني للمج الانساني عالمه الجديد . ذاك هو : المهدي الموعود الذي يملأ الارض قسطاو بعدما ملئت ظلما وجورا .

ونجعلهم الوارثين

«ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين» .

قرآن كريم

القصص ـ ٢٨

العدالة في الفقه

٣

هل المروة معتبرة في العدل ؟

السيد رضا الصدر

في اعتبار المروة في العدل وعدمه :

ان للمروة اطلاقات في لسان الروايات وكلمات الفقهاء منها قول الصادق (ع): المروة مروتان : مروة الحضر ومروة السفر . فاما مروة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة اهل الخير والنظر في الفقه . واما مروة السفر فبذل الزاد في غير مايسخط الله وقلة الخلاف على من صحبك وترك الرواية عليهم اذا فارقتهم».

ويراد من المروة في هذا الحديث صنف من محاسن الآداب التي تتعلق بالمرء باعتبار نفسه وباعتبار عشرته مع غيره . ومنها قول امير المؤمنين (ع) : لاتتم مروة الرجل حتى يتفقه في دينه ويقتصد في معيشته ويصبر على النائبة اذا نزلت به ويستعذب مرارة اخوانه» ويراد من المروة هنا حسن الشيم والفضيلة .

ومنها قوله (ع) : حين سئل عن المروة فقال : لاتفعل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية وقول الحسن المجتبى (ع) في جواب من سأله عن المروة :

«شح الرجل على دينه واصلاحه ماله وقيامه بالحقوق» .

فالمراد من المروة في مثلهما مايقرب من معنى العدالة ...

ومنها قوله (ص) : من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروته وظهرت عدالته» والمراد هنا مايقرب من معنى

العدالة لكنها تفترق عنها بأن المروة صفة للفعل الخارجي والعدالة صفة نفسية .

وأما المروة في لسان الفقهاء الذين اعتبروها في العدالة زائداً على نفس مع فالمراد منها غير المراد في هذه النصوص واول من اعتبرها منهم حسب ما ا العلامة الحلي قدس سره فقد عرفت ان المفيد والشيخ وابن ادريس لم يجعلوها داخلة مفهوم العدالة عند الشرع .

والمناسب قبل الدخول في البحث عن اعتبارها في العدالة وعدمه ان نبي المراد من المروة في لسانهم ليكون البحث عنها على بصيرة فنقول :

ان اكثر القوم لم يفسروا المروة في كلماتهم حق التفسير واكتفوا لها بالمثا وقد مر عليك كلام الشيخ الطوسي وابن ادريس في اوائل هذه المقالات...

قال صاحب الحدائق : وفسر المروة باتباع محاسن العادات واجتناب مساويها وما ينفر عنه النفس من المباحات ويؤذن بدناءة النفس كالاكل في الاسواق والبول في الشوارع وكشف الرأس في المجامع وتقبيل الزوجة او الأمة في المحضر ولبس الفقيه لباس الجندي والمضايقة في اليسير الذي لايناسب حال الفقيه» ...

واقول ان الذي يؤذن بدناءة النفس وخستها هو المثال الاخير فقط دون البقية وان بعض هذه الامثلة يكشف عن قلة العقل فلاصلة له بالعدالة. واعلم ان محاسن العادات ومساويها مختلفة بحسب الاقوام والاعصار والبلاد بل بالنسبة الى الافراد بل الى شخص واحد في حال دون حال .

وقال قدس سره : ان اعتبار المروة في العدالة يدفعه :

ماورد عنه (ص) : انه كان يركب الحمار العاري ويردف خلفه وانه (ص) كان يأكل ماشياً الى الصلوة بجمع من الناس في المسجد وانه كان يحلب الشاة ونحو ذلك».

ونظير هذا الكلام ماورد من اظهار حبه للزهراء (ع) وللحسنين (ع) وحملهما حال الصلوة والحال انه المقتدى للجماعة . . .

والتحقيق ان هذه السيرة غير دالة على عدم اعتبار المروة في العدالة فقد عرفت اختلاف محاسن العادات بحسب الاشخاص فقد تكون عادة تنافي المروة بحسب

رجل ولا تنافي مروة رجل آخر ثم ان المصلح العظيم الذي يقصد كسر اصنام الجاهلية والسنن الوثنية قاصداً ارشاد قومه واسعادهم ، لابدان يكون له مثل هذه السيرة .

مضافاً الى انه قد ورد عنه (ص) التزامه (ص) بترك بعض منافيات المروة فلم ير (ص) على غائط قط ، وماشابه ذلك من محاسن الاوصاف وفضليات الاداب .

وفسر في العروة الوثقى منافيات المروة ، بالدالة على عدم مبالاة مرتكبها بالدين» . . .

وفيه انه كيف يكون زائداً على معنى العدالة لان العادل الذي له ملكة الكف عن الذنوب هل يمكن ان يكون غير مبال في الدين حتى يكون اعتبار المروة امراً زائداً على حقيقة العدالة بل هي نفس العدالة دون غيرها واما فرض تحقق العدالة من دون المبالاة بالدين فهو فرض لاجتماع المتناقضين فهل يكون العدل غير مبال بالدين ؟ !

والتحقيق في تفسير المروة ماذكره فخر الدين في الايضاح من أنها اجتناب مايسقط المحل والعزة من القلوب. ويدل على عدم الحياء وعدم المبالاة من الاستنقاص» ان المروة ليست بصفة واقعية بل هي امر اعتباري يختلف حسنا وقبحا باختلاف الازمان والبلاد والاشخاص والاشغال وسني العمر بل يختلف ايضاً بحسب اختلاف النظار فلا سبيل الى الحكم عليها بالحسن المطلق وعلى منافياتها بالقبح المطلق ...

نعم هناك اوصاف منافية للمروة ربماتكون قبيحة عند جميع الناس في جميع الاحوال .

قال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام : المروة ان لاتطمع فتذل ولا تسأل فتقل ولا تبخل فتشتم ولا تجهل فتخصم . فقيل ومن يقدر على ذلك ؟ !فقال (ع) : من احب ان يكون كالناظر في الحدقة والمسك في الطيب وكالخليفة في يومكم هذا في القدر» . . .

ولا يخفى انه لايجوز الحكم بالفسق على الصفة التي تسقط عزة الموصوف

بها عن القلوب بل ان ينفى عنه كمال العقل اولى من ان ينفى عنه العدالة .

وقريب لما ذكره الفخر في ايضاحه ماعن الشهيد قدس سره :

«ان المروةتنزيه النفس عن الدناءةالتي لاتليق بامثالها» .

واعلم ان خلاف المروة لايختص بالافعال كماتوهم الامثلة التي جاءت في كلمات القوم بل يعم الاقوال التي تسقط عره قائلهاعن القلوب فاذا تبين معنى المروة نقول :

الحق عدم اعتبار المروه في العدالة زائداً على الكف عن الاثام اذ يلزم من اعتبارها ان يكون رجلا في بلد اوعند قوم عادلا عند الشرع وهو في بلدآخراوعند قوم آخرين ليس بعادل عند الشرع مع وحدةفي افعاله الشرعية ولا يجوز احتماع النقيضين عند الشرع .

مضافاً الى ذلك ان لازم اعتبار وصف المروة في العادل ارتفاع وصفي العادل والفاسق عمن يصلح للاتصاف بكل منهما اذا كان كافاً عن الاثم دون منافي المروة، مع ان العدالة صفة للشخص باعتبار نفسه ويكون اتصافه بها غير تابع لان يعلم ذلك احد فللعدالة وجود واقعي ثبوتي غير تابع لوجودها العلمي الاثباتي ولذلك جعلت في الشرع امارات لمعرفتها عند الجهل بها . بخلاف صفة المروة فان ثبوتها عين اثباتها ووجودها العيني تابع لوجودها العلمي ويستحيل وجودها مخفياً عن الغير لكونه جمعا بين النقيضين.

على ان المروة امر ظاهر بمجرد العشرة فلا تحتاج الى امارةمنصوبةلمعرفتها. وذلك هو الحال في جميع الاوصاف التي تكون موجوديتها تابعة لمعلوميتها .

ويلزم من اعتبارها في العدالة ان يكون صدور فعل واحد في المحضر مضراً بالعدالةلكنه اذاصدرفي الخلوة يصير غيرمضر ويصير حكم الخالق تابعاً لحكم المخلوق.

ويدل على عدم اعتبار المروة في العادل اطلاق قوله (ع) : ويعرف باجتناب الكبائر» .. فمن عرف بذلك تقبل شهادته ولو لم يكن مجتنباً عن ماينافي المروة.

وكذلك الاطلاق المقامي الوارد في صحيح ابن ابي يعفور فان الامام (ع)

عند الجواب يكون في مقام بيان جميع ما له دخل في قبول الشهادة فالاطلاق المقامي في الصحيحة حاكم بعدم اعتبار المروة في العادل .

وكذا اطلاق قوله (ع) اذا كان اربعة من المسلمين ليس يعرفون بشهادة الزور احيزت شهادتهم» . . .

ثم انه لو كانت المروة معتبرة في العدل عند الشرع لبان من جهة كثرة الابتلاء وانت لاتجد الدلالة عليها ولا الاشارة الى اعتبارها في النصوص فعدم الدليل لمثل ذلك دليل العدم .

ويشهد على عدم اعتبارها اتفاق النص والفتوى على رجوع العدالة بالتوبة من الفسق فالتائب من الذنب عادل سواء أكان مرتكبا لخلاف المروة ام لا ،تاركا له أم لا .

ومما يؤكد ذلك اطلاق خبر علقمة :فمن لم تره بعينك يرتكب ذنبا ولم يشهد عليه شاهدان فهو من اهل الستر والعدالة وشهادته مقبولة وان كان في نفسه مذنباً» .

ثم ان خبر علي بن سيابة نص في عدم اعتبار المروة : سألت ابا عبدالله (ع) عن شهادة من يلعب بالحمام ؟ قال : لابأس اذا كان لايعرف بفسق» .

فان اللعب بالحمام من منافيات المروة عند الناس ولذا سأل الراوي عن شهادة اللاعب به .

وأما مايتوهم دلالته على اعتبار المروة في العدالة فهو الفقرات الثلاث في صحيح عبد الله بن ابي يعفور :

واحداها قوله (ع) : بان تعرفوه بالستر والعفاف » .وجه الدلالة ان حذف المتعلق مفيد للعموم فيعم ستر جميع العيوب الشرعية والعرفية .ثانيها قوله (ع) : «كف البطن والفرج واليد واللسان» .وجه الدلالة بمثل مامر فيفيد عموم الكف عن القبايح الشرعية والعرفية :

ثالثها قوله (ع) : وان يكون ساتراً لجميع عيوبه» . وجه الدلالة ان لفظ الجميع من ادوات العموم ...

ويرد على هذا الاستدلال ان المتبادر من الستر والكف في كلام الشارع تعلقهما بالعيوب الشرعية والقبايح الاسلامية ومناسبة الكلام مع المتكلم شاهدة لذلك فالحمية في لسان الطبيب منصرفة الى عموم مايجب الاحتماء عنه عنده فلا يشمل الاحتماء المطلوب عند قائد الجيش في ساحة القتال .

فافادة حذف المتعلق العموم منصرفة الى العيوب التي تكون عيباً لدى الشارع دون غيره ويشهد لذلك قوله(ع) :«وتعرف باجتناب الكبائر».فدعوى ان الظاهر من كف الاعضاء الاربعة في كلام ولي الله هو الكف عن محارم الله دون الكف عن محارم سكان قرية شد غيث مقبولة ...

مع ان الظاهر من الستر والعفاف هو الاباء عن العيب الحقيقي اما الذي يكون عيباً عند قوم وليس بعيب عن قوم آخرين فليس من العيوب الحقيقية . وهكذا ظهر النظر في الاستدلال بعموم قوله : ان يكون ساتراً لجميع عيوبه» .

ولايعود خافيا على احد ان اشتراط العدالة في الشاهد في الاسلام انمايكون من باب حصول الوثوق بصدق كلامه وانه لايكذب . واين المروة من ذلك .

ومن العجب ان الفقهاء الذين اعتبروا المروة في العدالة فرعوا بعد تفسير العدالة بما يخالفها ولم يأتوا بفرع من ناحية خلاف المروة .
قال العلامة قدس سره في القواعد : العدالة كيفية نفسانية تبعث على ملازمة التقوى والمروة فلا تقبل شهادة الفاسق ويخرج المكلف عن العدالة بفعل كبيرة» .ثم قال قدس سره : ويخرج بفعل الصغائر مع الاصرار او الاغلب ولا يقدح النادر للحرج».
ولايخفى مافي دليله فان الحرج رافع للحكم التكليفي لاالحكم الوضعي . ونظير هذا الكلام كلام غيره ممن اعتبر المروة في العدالة . ولم يفرعوا عليه الكلام بقبول شهادة فاقد المروة وان كان تاركاً للكبائر ولا يخفى ان التقيد الشديد بعدم ارتكاب خلاف المروة كاشف عن كثرة الاعتداد بالناس والاهتمام بهم وهذه صفة لايحبذها الموحد المؤمن .

نعم التصوف الكلامي غير ممدوح عند الشرع بل هو مبغوض للشارع فان

الاسلام قد صرح باصلاح ظاهر المسلم واصلاح باطنه فتطهير السر وتنزيه العلن جناحان للمسلم . قال الله تعالى : **الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** .(١) وقال تعالى : **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية قبل ان يأتي يوم لابيع فيه ولا خلال** (٢) .

.. ثم ان الحج وصلوة الجماعة من افضل العبادات ولا يمكن الاتيان بهما سراً . . .

معرفة الكبير من الاثام وتمييزها عن الصغيرة . . .

ان المعاصي الكبيرة ثابتة بنص من الكتاب الكريم قال الله تعالى :

ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما.(٣)

وقال تعالى : والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون .(٤)

وقال تعالى : الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم. . (٥) .

ان الكبيرة بدلالة عليها من الشرع او بحكم من العقل والدلالة الشرعية قد تكون تصريحية وقد تكون تلويحية فلمعرفة الكبيرة طرق: احدها التصريح بها ومن النصوص المصرحة بذلك مارواه الكليني (٦) في الصحيح عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال : حدثني ابو جعفر الثاني (ع) قال سمعت ابي يقول : سمعت ابي موسى بن جعفر (ع) يقول : دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الاية :

«**الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش**» ثم امسك .

فقال له ابو عبد الله (ع) ما اسكتك ؟ ! .

قال أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزوجل .

فقال (ع) نعم ياعمرو . أكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله: «**ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة**» .

---

(١) البقره ـ ٢٧٤ (٢) ابراهيم ـ ٣١ (٣) النساء ـ ٣١ .

(٤) الشورى ـ ٣٧ (٥) النجم ـ ٣٢ (٦) اصول الكافي ـ باب الكبائر ٢٢ وسائل الشيعة كتاب الجهاد ابواب جهاد النفس ٤٦ / ٢ .

وبعده اليأس من روح الله لان الله تعالى يقول : لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون، ثم الامن من مكر الله عزوجل يقول. فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون».

ومنها عقوق الوالدين لأن الله سبحانه جعل العاق جبارا شقياً في قوله تعالى: وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقياً) «وقتل النفس التي حرم الله الابالحق لان الله عز وجل يقول: فجزاؤه جهنم خالداً فيها) .وقذف المحصنة لأن الله عزوجل يقول : لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ، واكل مال اليتيم لان الله عز وجل يقول :«انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا» .

والفرار من الزحف لأن الله عز وجل يقول : «ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواهم جهنم وبئس المصير» . واكل الربا لأن الله عز وجل يقول : الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» .والسحر لان الله عزوجل يقول: ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخرة من خلاق» . والزنا لان الله عز وجل يقول : ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا» . واليمين الغموس الفاجرة (١)لأن الله عز وجل يقول: الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم في الاخرة».والغلول (٢) لان الله عزوجل يقول:(ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة) .ومنع الزكوة المفروضة لأن الله عز وجل يقول : فتكوى بهاجباههم وجنوبهم وظهورهم). وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول :ومن يكتمها فانه آثم قلبه،وشرب الخمر لان الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان ... وترك الصلوة متعمداً او شيئاً مما فرض الله لان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ترك الصلوة متعمداً فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله (ص) . ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله عزوجل يقول: (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

---

(١) الغموس هي اليمين الكاذبة سميت غموسا لانها تغمس صاحبها في الاثم ثم في النار.

(٢) الغلول : الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل تقسيمها .

قال : فخرج عمرو بن عبيد وله صراخ من بكائه وهو يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم فى الفضل والعلم) .

ان الموجود فى هذا النص اثنان وعشرون معصية لكنه (ع) لم يكن فى مقام ذكر جميع الكبائربل لم اجد نصاً كافلا لجميع الكبائروقد ورد فى نصوص اخرى اعداد اخر من الكبائر ثم ان النص حاكم بان الكبائرذات مراتب : اعظمها الاشراك بالله تعالى واطلاق قوله : اكبر الكبائر الاشراك بالله ، حاكم بأن لاذنب فوقه ولاذنب فى صفه وطبقته ، حتى وصف دون سواه من الاثام فى الكتاب الكريم بالعظيم قال تعالى : ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما .(١)

والمرتبة الثانية اليأس من روح الله والمرتبة الثالثة الامن من مكر الله .

واما الكبائر المعدوده فيه فليست من الاولى ولا من الثانية .

ومنها مارواه الفضل بن شاذان عن الرضا(ع)في كتابه الى المأمون قال(ع) الايمان هو اداء الامانة واجتناب جميع الكبائر وهو معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ، الى ان قال (ع) : واجتناب الكبائر وهي قتل النفس التي حرم الله تعالى والزنا والسرقة وشرب الخمر وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل مال اليتيم ظلماً واكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به من غير ضرورة وأكل الربا بعد البينة والسحت والميسر وهو القمار والبخس في المكيال والميزان وقذف المحصنات والزنا واللواط واليأس من روح الله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله ومعونة الظالمين والركون اليهم واليمين الغموس وحبس الحقوق من غير عسر والكذب والكبر والاسراف والتبذير والخيانة والاستخفاف بالحج والمحاربة لاولياء الله والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذنوب» .

واما النصوص الواردة في ان عدد الكبائر خمساً أو سبعا أو تسعاً فهي اشارة الى كبائر الكبائر بنحو الاجمال كما يشهد بذلك خبر ابى الصامت عن ابى عبدالله(ع) قال (ع) : اكبر الكبائر سبع: الشرك بالله العظيم وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق

(١) النساء ـ ٨٤ .

ثم عد منها انكار ماانزل الله عزوجل .

ثانيها : الوعيد بالنار لاهلها وتدل على ذلك نصوص ويكفيك قوله في صحيح ابن ابي يعفور : «ويعرف باجتناب الكبائر التي اوعدالله عليها النار من شرب الخمر والزنا والربا وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وغير ذلك» .

ثالثها : نفي الصغر عن الذنب ويدل عليه صحيح ابن ابي عمير (١) قال سمعت موسى بن جعفر (ع) يقول : من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر الى ان قال (ع) قال النبي (ص) : «لاكبير مع الاستغفار ولا صغير مع الاصرار» . وقد عرفت ان الاصرار على الذنوب قد عد من الكبائر في خبر الفضل .

رابعاً : حكم الشرع باشدينه من كبيرة قد ثبت كبرها كما في قوله تعالى: «والفتنة اشد من القتل» .

خامسها :ورود النص بعدم قبول شهادة فاعله مثل شهادة الزور الذي دل عليه صحيح حريز وقد مر .

سادسها : حكم العقل على ذنب بكونه مساوياً لكبيرة او اكبر مثل التجسس للكفار المحاربين للاسلام او اعانتهم بما يوجب الغلبة لهم على المسلمين فان العقل حاكم بأن مثل هذا الذنب أكبر من الفرار من الزحف .

وذكر صاحب العروة الوثقى طريقاً سابعاً وهو كون الذنب عظيماً في نفوس اهل الشرع ...

وفيه نظر حتى لو قيدنا اهل الشرع من حيث كونهم اهل الشرع .

اذ لايمكن الوثوق بوصول كبره من ناحية الشارع فمن المحتمل ان رسوخ كبره في نفوسهم جاء من انذارات الوعاظ ومبالغات الخطباء ويشهد على ذلك انه قد نرى اهتمام العامة من الناس ببعض المندوبات اشد من اهتمامهم بالواجبات كما انهم يرون وجوب ارضاء الزوج حتى بمعصية زوجته. فتقرر من ماذكر من طرق معرفة

---

(١) وسائل الشيعة . كتاب الجهاد ، ابواب جهاد النفس ٤٧ / ١١ .

الكبيرة تعريف الصغيرة فهي الاثم الذي لايكون موصوفاً باحدى تلك الصفات وقد ظهر ان الاصل عند الشك في كون معصية كبيرة او صغيرة حاكم بأنها صغيرة ، اذ المأخوذ في تعريف الكبيرة قيد وجودي وأمر ايجابي فاذا شك فيه فالاصل حاكم بعدمه .

فظهر فساد ماني الفصول من ان مقتضى الاصل عند الشك هو الكبيرة ..

قال الشهيد قدس سره في المسالك : ذهب جماعة من اصحابنا منهم المفيد وابن البراج وابو الصلاح وابن ادريس والطبرسي الى ان الذنوب كلها كبائر ونسبه الاخير في تفسيره الى الاصحاب بقول مطلق . والمعتمد لهم في هذا القول اشتراك الكبائر والصغاير في مخالفة امره تعالى ونهيه وحملوا الوصف بالكبير والصغير اضافياً . وذهب المحقق والعلامة وكثير من المتأخرين الى ان الذنوب تنقسم الى أن الكبائر والصغائر قسمة حقيقية .. والحق مع القائلين بالقول الاخير والشاهد هو الكتاب والسنة .

اما الأول فقد قال تعالى : ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم» .

فان الظاهر من اضافة الكبائر الى ماتنهون عنه يفيد انها عدد معين من الذنوب وهناك قرينة عقلية ايضافان الكبائر لو لم تكن عدداً معينا لكانت الاية الكريمة ارشاداً الى المجهول .

اضف الى ذلك ان السيئة قد اطلقت في الاية الكريمة على مايقابل الكبيرة فارتكابها مخالفة لامره تعالى ولكن ليس بارتكاب كبيرة .

واما السنة فهي مستفيضة والصحاح دالة على ان الكبائر عدد معين وليست بامر اضافي وقد مرت الاشارة الى بعضها مع انه لاريب في تناهي اعداد الذنوب فالذنب الذي لاشيء أكبر منه ليس بصغير والذنب الذي لاشيء اصغر منه ليس بكبير .

واما ماذكر من المعتمد لهم من اشراك جميع الذنوب في مخالفته تعالى وان كان صحيحاً في نفسه لكنه غير مفيد لاثبات مذهبهم اذ غاية مايدل هذا الدليل ان الصغيرة ذنب ومخالفة للرب ولا ريب في قبح فعلها واما كون تقسيم الاثم الى الصغيرة والكبيرة اضافياً وليس بحقيقي فلا .

مضافاً الى انه لاريب في كون بعض الواجبات اهم عند الشرع من بعض وقد ورد من الشارع تصريحات بذلك بل هو من ضروريات الفقه وعليه يبتني باب التزاحم.

فمخالفة الواجب الذي ليس فوقه واجب كبيرة وليست بصغيرة. وقد يدعى دلالة قوله تعالى: «وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان». على ان الكفر في المكروهية اشد من صاحبيه مع اشتراك الثلاثة في المكروهية.

الرجاء... والعمل

يدعي بزعمه أنه يرجو الله ! كذب والعظيم، مابا له لايتبين رجاؤه من عمله ؟ فكل من رجى عرف رجاؤه في عمله، وكل رجاء الارجاء الله تعالى فانه مدخول، وكل خوف محقق الاخوف الله فانه معلول : يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد مالايعطي الرب ! فما بال الله ثناؤه يقصر به عما يصنع لعباده، اتخاف ان تكون في رجاءك له كاذبا ؟ أو تكون لاتراه لرجاء موضعا ؟

الامام امير المؤمنين

في

نهج البلاغة

ج٢ ص ٥٧

فرائد الاصول

للشيخ الانصاري

الشيخ ابراهيم الانصاري

١ ـ التعريف الاجمالي .
٢ ـ طريقته في البحث والتحقيق .
٣ ـ تنسيقه للمسائل الاصولية .
٤ ـ آراؤه الجديدة .
٥ ـ من مزايا هذا الكتاب .

التأليف والمؤلف :

فرائد الاصول : المشهور «بالرسائل» حتى لا يعرف غالبا الا بهذا الاسم، اسم كتاب في علم اصول الفقه ولا يوجد اشهر واعرف واكثر تداولا من ناحية البحث والتدريس منه ، فهو من الكتب التي تدرس في جميع الحوزات العلمية للشيعة ولا يرون الاستغناء عنه لمن يريد التعمق في هذا العلم عالماً كان او متعلماً ، فهو أهم مايدرسه طالب العلم بعد استكمال المقدمات كما انه مدار البحث والتحقيق عند اكابر العلماء والمدرسين في الدروس الاكاديمية فهو كما قال العلامة الطهراني : **«لم يكتب مثله في الاواخر والاوائل» . . . ونسج على منواله المتأخرون حتى صار الفخر في فهم مراده وكتب كل شرحا او حاشية عليه بقدر ماغمر فيه فكره ودرى» (١) .**

---

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة المجلد ١٦ ص ١٣٢ .

اما مؤلفه قدس سره فهو الشيخ مرتضى بن محمد امين المنتهى نسبه الى الصحابي جابر بن عبد الله الانصارى ، شيخ المتأخرين على الاطلاق ، ورئيسهم بالاتفاق مؤسس علم الاصول الحديث ، ومشيد مبانيه العلمية الجديدة ، واستاذ اساتذة علماء الشيعة كما يقول العلامة الامين العاملي «وضع اساس علم الاصول الحديث عند الشيعة وطريقته المعروفة الى ان انتهت اليه رياسة الامامية في شرق الارض وغربها بعد وفاة الشيخين السابقين (١) وصار على كتبه ودراستها معول اهل العلم ، لم يبق احد لم يستفد منها اليها يعود الفضل في تكوين النهضة العلمية الاخيرة في النجف الاشرف ..»(٢) كان مضافاً الى مقامه العلمي الرفيع زاهداً للغاية مخالفاً لهواه مطيعاً لامر مولاه ، لم يترك من الدنيا مايذكر اصلا ، وكان كثير الصلاة والصيام ، وساير العبادات ، دائباً على زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام ، فلا عجب ان يروى في حقه من الكرامات والايات مالايتفق الا في حق اولياء الله العظام وعباده المكرمين .

ولاشك في ان رسائل الشيخ الانصارى احسن كتاب الف فى علم اصول الفقه الى يومنا هذا ، لانه حاز سهولة فى الالفاظ وفصاحة فى المعاني وقوة في الاستدلال، وعمقاً فى البحث وغوراً فى التحقيق والتدقيق ، واستيعاباً لفروع الموضوع واحاطة بجميع جهات المسألة واصابة في النظر ، ودقة في البحث، وحرية في التفكير ، ووضوحاً في التشبيه والتنظير ، وموضوعية فى المناقشة واجتناباً عن التعصب الذميم والمجادلة بالباطل .

ولقد أسس فيه الشيخ مباني جديدة، وبنى عليها قواعد محكمة مهمة ، واستنتج منها نتائج مفيدة ، واشتمل كتابه هذا على مزايا لم تجمع في اى كتاب غيره ، نشير منها الى عدة جهات :

---

(١) الشيخ على بن جعفر كاشف الغطاء والشيخ محمد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام .

(٢) اعيان الشيعة ج ٤٨ ص ٤٤ .

١ - طريقته في البحث والتحقيق :

ترى الشيخ قدس سره اذا اراد الخوض في المسألة ،بين صورة المسألة على وجه لايلتبس بغيره، ثم يبين صورها على نحو الاستقصاء وماهو محل النزاع،ويتعرض غالباً في اول البحث لكيفية البحث وأن المسألة اصولية محضة، أو أنها غير أصولية محضة يبحث عنها في الاصول استطراداً ولمناسبة ما ، او انها ذات جهتين فهي من جهة مسألة أصولية ومن جهة مسألة غير أصولية، ثم يذكر الاقوال في المسألة بتمامها غالباً ، باستثناء الاقوال الشاذة ، ثم يشرع في تأسيس أصل في المسألة يرجع اليه عند الشك في حكمها وعلى فرض عدم تعين واحد من الاقوال .

ثم يأخذ في ذكر الاقوال غير المرضية عنده مع ماذكر ويمكن ان يذكر لها من دليل بأمانة وانصاف ، وبعد عرضها عرضاً كافياً تأتي مرحلة تفنيدها ، ويقدم الشيخ أدلته على بطلان هذه الاقوال ، ثم جهات ضعفها بحيث يظهر لكل منصف وهنها اما في مقدمة من مقدماتها ، أو في كيفية الاستنتاج منها ، وكأن الشيخ ، يتصور أصحاب تلك الادلة قد جاؤوا بأدلة أخرى واعتراضات على تفنيده لارائهم ..فيعرض ذلك كله في جولة اخرى حتى لايبقى وجه للدفاع عن قول الخصم الا ذكره مع جوابه . ثم يشرع في الاستدلال على القول الصحيح الذي يكون مطابقاً للمشهور غالباً حتى اشتهر فيما بين الطلاب ان «الشيخ يدور ، ثم يأخذ المشهور» ولكن لا تقليداً أو تعصباً بل مبرهناً عليه من الادلة الاربعة (الكتاب والسنة والاجماع والعقل)

احتجاجه بالقرآن :

انه يبحث في الاية كانه امام المفسرين فيبين الاقوال المذكورة في تفسيرها والوجوه التي لم يذكرها احد ثم يذكر ماهو الصحيح منها مع شاهده من نفس الاية (كماهو الغالب) او من القرائن والشواهد الخارجية ، ويرد ما بقي من الاحتمالات ،ثم يذكر ان الاية مع مااختاره من المعنى هل ينتج ما هو بصدده ام لا ، ولنذكر قطعه من عبارته اذ قال قدس سره في مقام الاستدلال على حجية الخبر الواحد بالايات هكذا :

«ومن جملة الايات قوله تعالى في سورة براءة **فلولا نفر من كل فرقة . . .** الاية دلت على وجوب الحذر عند انذار المنذرين من دون اعتبار افادة خبرهم العلم لتواتر او قرينة فيثبت وجوب العمل بخبر الواحد .

اما وجوب الحذر فمن وجهين : احدهما : ان لفظ لعل بعد انسلاخه عن معنى الترجي ظاهر في كون مدخوله محبوباً للمتكلم واذاتحقق حسن الحذر ثبت وجوبه اما لما ذكره في المعالم -يقصد كتاب معالم الأصول - من انه لامعنى لندب الحذر ، اذ مع قيام المقتضي يجب وبدونه لايحسن ، واما لان رجحان العمل بخبر الواحد مستلزم لوجوبه بالاجماع المركب لان كل من اجازه فقد اوجبه .

الثاني : ان ظاهر الاية وجوب الانذار لوقوعه غاية للنفر الواجب بمقتضى كلمة لولا فاذا وجب الانذار أفاد وجوب الحذر لوجهين : احدهما : وقوعه غاية الواجب فان الغاية المترتبة على الواجب مما لايرضى الامر بانتفائه سواء كان من الأفعال المتعلقة التكليف ام لا كما في قولك تب لعلك تفلح واسلم لعلك تدخل الجنة وقوله تعالى :

«فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى» الثاني :انه اذا وجب الانذار ثبت وجوب القبول والا لغى الانذار ، ونظير ذلك ماتمسك في المسالك (١) على قبول قول المرأة وتصديقها في العدة من قوله تعالى **«ولا يحل لهن ان يكتمن ماخلق الله في ارحامهم»** فاستدل بتحريم الكتمان ووجوب الاظهار عليهن على قبول قولهن بالنسبة الى مافي الارحام . . .) (٢) ونظائر هذا كثيرة فراجع ماافاده في تفسير آية النبأ وآية النفر والسؤال والكتمان (٣) من الوجوه والاحتمالات

---

(١) وهو كتاب الفقه الشهيد الثاني رحمه الله في شرح شرائع الاسلام للمحقق الحلي .

(٢) الرسائل ص ٧٨ .

(٣) المراد باية النبأ قوله تعالى :انجائكم فاسق بنبأ الاية ، والمراد بآية النفر قوله تعالى:فلو لانفرمن كل فرقة منهم طائفة الاية ، والمراد بآية السؤال قوله تعالى :فاسألوا اهل الذكران كنتم لاتعلمون ، والمراد بآية الكتمان قوله تعالى : ان الذين يكتمون ما انزلنامن البينات. . .

والمناقشات في بحث حجية خبر الواحد ،وماذكره في فقه الايات المستدل بهاعلى اصالة البراءة او الاحتياط .

فقه الحديث :

ثم يخوض في البحث عن فقه الاحاديث المستدل عليها في المسألة بمالم يسبقه اليه أحد ، وفي الحقيقة بحث الشيخ عن فقه الحديث على وجه الاستيعاب والاتقان مما يجرئنا على القول بانه مبتكر طريقة خاصة في فقه الحديث لايشبه من سبقه من الباحثين ، وان كنت في شك مما ذكرنا فراجع وتأمل ابحاثه القيمة في الموارد المناسبة لذلك مثل ما ذكره في توجيه اخبار النهي عن التفسير بالرأي التي استدل بها الاخباريون على عدم حجية ظواهر الكتاب ، وماذكره في تفسير حديث الرفع والحجب (١) وحديث (لاضرر ولاضرار في الاسلام) واحاديث الاستصحاب واخبار باب التعارض من الابحاث الدقيقة والمناقشات العلمية .

ونموذج فقهه للاحاديث ماذكره في مبحث تعارض الاخبار في مقام شرح ماورد في احاديثنا من عرض الاحاديث على كتاب الله فما وافق الكتاب يؤخذ بـه وماخالفه يطرح ، بهذه العبارة:

«فنقول ان ظاهر الكتاب اذا لوحظ مع الخبر المخالف فلا يخلو عـن صور ثلاث :الاولى ان يكون على وجه لو خلي الخبر المخالف له عن معارضة المطابق له كان مقدماً عليه لكونه نصاً بالنسبة اليه لكونه اخص منه او غير ذلك بناء على تخصيص الكتاب بخبر الواحد ... والترجيح بظاهر الكتاب لايتصور في شيء مـن فروض هذه الصورة .

الثانية ان يكون على وجه لو خلي الخبر المخالف له عن معارضه لكان مطروحاً

(١) المراد بحديث الرفع قوله (ص) رفع عن امتي تسعة الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه وما لايعلمون الخبر، والمراد بحديث الحجب قوله (ص) ماحجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم .

كما اذا تباين مضمونها كلية كما لو كان ظاهر الكتاب في المثال المذكور وجو
اكرام زيد العالم واللازم في هذه الصورة خروج الخبر المخالف عن الحجية رأ
لتواتر الاخبار ببطلان الخبر المخالف للكتاب ، والمتيقن من المخالفة هذا الفـر
فيخرج الفرض عن تعارض الخبرين ، فلا مورد للترجيح في هذه الصورة ايضاً لا
المراد به تقديم احد الخبرين لمزية فيه ، لالما يسقط الاخر عن الحجية ،وهـذ
الصورة عديمة المورد فيما بايدينا من الاخبار المتعارضة . الثالثة : ان يكون على
وجه لو خلى المخالف له عن المعارض لخالف الكتاب لكن لا على وجه التباين الكلي
بل يمكن الجمع بينهما بصرف احدهما عن ظاهره وحينئذ فان قلنا بسقوط الخبر
المخالف بهذه المخالفة عن الحجية كان حكمها حكم الصورة الثانية والا كان الكتاب
مع الخبر المطابق بمنزلة دليل واحد عارض الخبر المخالف والترجيح حينئذ بالتعاضد
وقطعية سند الكتاب فالترجيح بموافقة الكتاب منحصر في هذه الصورة ...» (١)

هذا الى ما افاده في فقه احاديث الاستصحاب من الابحاث الدقيقة والمناقشات العلمية وكذا ماذكره في تحقيق مفاد احاديث باب التعارض .

ثم يتعرض لحال المسألة من جهة الاجماع والخلاف ،وان الاجماع الموجود هل هو من الاجماعات التي توفرت فيها شرائط الحجية اولا ؟

وفي الختام يبحث عن حكم العقل في المسألة ان كانت المسألة عقلية ، وعن حكم العرف والعقلاء ان كانت عقلائية .

وفي نهاية البحث يذكر غالباً تنبيهات يشير فيها الى بعض فروع المسألة التي يختلف حكمها عن حكم الاصل أو قيل باختلافه ، او المسائل التي ليست من فروع المسألة ولكنها متحدة معها في الحكم المذكور ،وربما يذكر بعض الشرائط والموانع المعتبرة لترتب الحكم على موضوعه .

---

(١) الرسائل ص ٤٧١ .

٢ ـ تنسيقه للمسائل الاصولية :

قسم كتابه هذا الى ثلاثة مقاصد على حسب موضوعات بحثه: القطع، والظن، والشك، وخاتمة في التعادل والترجيح، على حسب الترتيب الطبيعي كما انه قسم مباحث الشك الى الاصول الاربعة كذلك واليك نص عبارته قدس سره في اول الكتاب (اعلم ان المكلف اذا التفت الى حكم شرعي فاما ان يحصل له الشك فيه او القطع او الظن. فان حصل له الشك، فالمرجع فيه هي القواعد الشرعية الثابتة للشاك في مقام العمل وتسمى بالاصول العملية، وهي منحصرة في الاربعة لان الشك اما ان يلاحظ فيه الحالة السابقة، ام لا وعلى الثاني، فأما ان يمكن الاحتياط ام لا، وعلى الاول، فاما ان يكون الشك في التكليف، أو في المكلف به، فالاول(١) مجرى الاستصحاب، والثاني (٢) مجرى التخيير، والثالث (٣) مجرى اصالة البراءة، والرابع (٤) مجرى قاعدة الاحتياط).

وقسم القطع الى الطريقي والموضوعي تارة، والى التفصيلي والاجمالي ثانية، والى المطابق للواقع والمخالف له المسمى بالتجري والانقياد ثالثة، والى القطع الحاصل في المقدمات العقلية وما لايكون كذلك، والى قطع القطاع والمتعارف ثم بحث عن احكام كل واحد مما ذكر بغاية الدقة والمتانة.

وقسم الظن الى الظن المطلق اي الحاصل من الاسباب التي لم ينص على حجيتها بخصوصها والى الظن الخاص نظير الاجماع وظواهر الكتاب: والخبر الواحد. والشهرة وقول اللغوي، وبحث عن الجميع مفصلا.

وقسم مباحث الشك الى الاصول الاربعة كما مر وقسم موضوع كل من البراءة

(١) الشك الذى لوحظ فيه الحالة السابقة

(٢) مالايمكن فيه الاحتياط مثل دوران الامر بين الوجوب والحرمة.

(٣) ماكان الشك فى اصل التكليف.

(٤) ماكان اصل التكليف معلوماً وكان الشك في المكلف به

والاشتغال والتخيير الى ماكان الامر فيه دائراً بين الحرمة وغير الوجوب المسمى بالشبهة التحريمية او بين الوجوب مع غير الحرمة المسمى بالشبهة الوجوبية،او بين الحرمة والوجوب المسمى بدوران الامر بين المحذورين .

وقسم كلا من الاقسام الثلاثة الى ماكان منشأ الشك فيه عدم النص او اجماله او تعارضه او اشتباه الموضوع الخارجي وهكذا في بحث الاستصحاب والتعارض فلا نطيل بذكر تفاصيلها .

هذه المباحث كانت متفرقة قبل زمان الشيخ رحمه الله ولم تكن لها ترتيب طبيعي يجعل كل بحث في مورد مناسب له لايتقدمه ولا يتأخر عنه فجمعها الشيخ(ره) ورتبها ترتيباً يقتضيه طبع المسألة .

٣ ـ الاراء والمسائل الجديده :

عنون في هذا الكتاب مباحث جديده لم تكن معنونة في الكتب الاصولية، ولا مبحوثاً عنها في كلمات علماء الاصول اصلا ،او وقع البحث عنها ضمناً وهذا القسم من المباحث كثير في كتاب «الرسائل» ، وان ادعى في بعضها وجودها في كلمات المتقدمين على الشيخ وكيف كان فنحن نذكر بعض ماادعى انه من هذا القبيل وان أمكن أن يسبقه غيره وهي أمور .

أ ـ كان العلماء قبل الشيخ قدس سره يرون النسبة بين الدليلين المختلفين بل بين الاصل والدليل منحصره بين التخصيص والتقييد والنسخ والتعارض وقد التفت الشيخ قدس سره الى قسمين آخرين غير ماذكروا هما الحكومة والورود .

فالحكومة ان يكون الدليل الحاكم مسبباً لخروج موضوعه عن موضوع دليل المحكوم تقيداً مع كونه من افراده واقعاً كقوله (ع) «اذا شككت فابن على الاكثر» وقوله (ع) (لاشك لكثير الشك) فرواية كثير الشك تدل على خروج كثير الشك عن افراد الشك وعلى أنه لاشك له مع انه شاك وجداناً فالمقصود نفي

حكم الشك بلسان نفي الموضوع يعني لاحكم لشك كثير الشك (١) .

والورود هو ان يكون الدليل سبباً لخروج مورده من تحت دليل المـورود واقعاً بعد ماكان داخلا فيه كما في ورود الدليل العلمي على اصالة البراءة فان موضوع البراءة الشك في الحكم الشرعي والدليل العلمي يرفع الشك واقعاً .

ب ـ بحث الترتب وهو الامر بشيء معلقاً ومشروطاً بعصيان امر آخر كقولنا ازل النجاسة عن المسجد فان عصيت فيها فصل وهذا قد سبقه فيها المحقق الثاني و كاشف الغطاء في اصل الالتفات الى الترتب واما البحث عنه مستقلا فمـن الشيخ قدس سره على مااعلم .

ج ـ تقسيم القطع الى الطريقي والموضوعي واقسام كل واحد منهاو الا فقد سبقه في بعضها المحقق صاحب ضوابط الاصول .

د ـ الاستناد الى بناء العقلاء في اثبات حجية الخبر الواحد بل وغيره مـن المسائل الاصولية كاكبر دليل يعتمد عليه وجعله كالاساس في اكثر المسائل الاصولية

هـ ـ تقسيم الاستصحاب الى الفعلي و التقديري باعتبار كون شكه فعلياً او تقديرياً .

و ـ تصحيح الامر التعبدي بالدليل الثانوي المسمى في اصطلاح الاصوليين بمتمم الجعل كما بين في محله .

ز ـ الالتفات الى الشبهة الصدقية في مقابل الشبهة المصداقية (٢) .

ح ـ تقسيم شهرة الرواية الى الشهرة الاستنادية حيث تكون فتوى المشهور مستندة لهذه الرواية وغير الاستنادية فالاولى تكون جابرة لضعف سند الرواية دون الثانية .

ط ـ اثبات حجية الظن في موارد خاصة لانسداد باب العلم فيها ، وهذا سمي

---

(١) ربما يقال ان الحكومة بين الدليلين قد اشار اليها صاحب هداية المسترشدين واما الورود فلا .

(٢) قد قيل بان صاحب القوانين صرح بالشبهة الصدقية كما ان صاحب اشارات الاصول قد سبقه في مسألة متمم الجعل .

بالانسداد الصغير كما تمسك به لاثبات حجية قول اللغوي ، وهذا في مقابل الانسداد الكبير أعني دعوى انسداد باب العلم في جميع الاحكام الشرعية والمزايا الاخرى هي .

٤ - التدقيق والتعمق في كل مسألة بالنسبة الى كشف ماتبتني عليه من المباني التي هي كالاصل لهذه المسألة وهذه فروع لها ، وهذه طريقته المستمره التي التزم بها الشيخ قدس سره في جميع أبحاثه الفقهية والاصولية ولانطيل بذكر الشواهد وان شئت فراجع ماذكره في ابتناء عدم حجية القطع الحاصل من المقدمات العقلية على كون القطع طريقيا او موضوعياً ، وما افاده من ابتناء مسألة ورود الامارات على الاصول اوحكومتها على ان موضوع الاصول مطلق الشك اوعدم الدليل وهكذا .

٥ - يذكر في كل مسألة اصولية عدة من الفروع الفقهية التي تبتني على المسألة المبحوث عنها او يتوهم مخالفته لما ذكره كماذكر في مبحث حرمة مخالفة العلم عدة من الفروع مما توهم مخالفته لما ذكره واجاب عنها (١) .

وما ذكرة قدس سره من الامثلة الكثيرة عند البحث عن قاعدة (لاضرر) وامثلة التعارض .

٦ - المناقشات مع الفرقة الاخبارية ودفع شبهاتهم ونقل ادلتهم بامانة وانصاف وبيان مواضع غفلتهم في محل الخلاف ، ويظهر من شدة عناية الشيخ بهذه الجهة انها كانت مهمة في نظره جداً بحيث كان بيان اشتباهاتهم من جملة أهداف الشيخ وغاياته في تأليف الكتاب وهي كثيرة جداً نشير الى بعضها حتى يراجع القارىء الكريم فمنها انه ذهب الاخباريون الى عدم حجية القطع الحاصل من المقدمات العقلية وبين الشيخ خطأهم في ص ٨ .

ومنها أنه ذهب الاخباريون الى عدم حجية ظواهر الكتاب ، واجاب الشيخ قدس سره عنهم بما لامزيد عليه ص ٣٤ ومنها انه نقل عن الاخباريين حجية اخبار الكتب الاربعة ، وردهم ص ٩٢ وما بعدها .

---

(١) ذكرها الشيخ قدس سره في موردين الاول في بحث العلم الاجمالي ص ١٧ والثاني في بحث الشك في المكلف به ص ٢٤٣ .

ومنها قول الاخباريين بوجوب الاحتياط في الشبهة التحريمية ورد الشيخ عليهم ص ٢٠٥ ومنها رده على تفصيل الشيخ الحر العاملي في بحث البراءة ص ٢٢٣. ومنها انه ذهب اكثر الاخباريين الى وجوب الاحتياط في الشبهة الوجوبية واجاب الشيخ عنهم ص ٢٢٦ ومنها انهم ذهبوا الى عدم حجية الاستصحاب في الشبهة الموضوعية واكثر افراد الشبهة الحكمية ورد عليهم الشيخ ص ٣٢٧ .

ومنها انه ذكر بعضهم ان الجمع بين الاخبار المتعارضة مهما امكن اولى من الطرح ورد عليه الشيخ قدس سره ص ٤٣٣ .

٧ - يخوض معركة البحث في كل مسألة مع فحول علماء الاصول واكابرهم خصوصاً اول من احدث الخلاف في المسألة او شيد بنيانه فينقل عبارة كتابه ويناقشها مناقشة عميقة لطيفة فله مناقشات مع الشيخ الطوسي قدس سره في مواضع من كتابه منها ص ٤٥١ ومع السيد بحر العلوم ص ٣٢٠ ومع الشيخ كاشف الغطاء في ص ٣٠٩ ومع الفاضل القمي في حجية ظواهر الكتاب وفي ص ٢٦٩ ومع المحقق الخونساري ص ٣٤٦ ومع صاحب الفصول ص ٦ ومع استاذه في الفقه الفاضل النراقي ص ٣٠٤ ومع استاذه في الاصول شريف العلماء ص ٣٢٢ وص ١٠٢ وغيرهم وانما اشرنا من كل واحد منهما الى مورد او موردين لان المقام لايتسع للتفصيل .

٨ - الاحاطة الكاملة بجميع جهات المسأله حتى لايكون توجهه الى جهة معينة سبباً لغفلته عما ينافي غرضه او يؤيده فانظر الى مايرد في الاخبار الدالة على حجية ظواهر الكتاب في مقابل الاخبار التي توهم الاخباريون انها بالعكس واليك نص عبارته : (هذا كله) مع معارضة الاخبار المذكورة باكثر منها مما يدل على جواز التمسك بظاهر القرآن مثل خبر الثقلين المشهور بين الفريقين ، وغيرها مما يدل على الامر بالتمسك بالقرآن والعمل بما فيه وعرض الاخبار المتعارضة بل ومطلق الاخبار عليه ، ورد الشروط المخالفة للكتاب في ابواب العقود ، والاخبار الدالة قولا وفعلا وتقريرا على جواز التمسك بالكتاب (١) ثم ذكر اثني عشر مورداً من

---

(١) الرسائل ص ٣٦ بحث حجيه ظواهر الكتاب .

من الموارد التي تمسك ائمتنا (ع) فى مقام اثبات الحكم الشرعي بظاهر القـرآن ثم قال الى غير ذلك مما لايخفى .

٩ ـ استقصاؤه لجميع الاشكالات والتوهمات الموجودة في محل البحث سواء كانت موجودة في كتب الاصول او مسموعة عن اساتذته ومعاصريه أوخطرت بذهنه الشريف حتى ادعى بعض اهل التحقيق انه لايوجد اشكال وتحقيق المتقدمين والمتأخرين الا وقد تعرض له الشيخ قدس سره تصريحاً او تلويحاً .

وهذا الادعاء وان كان غلواً لايمكن الركون اليه بيسر ... الا انه يعطينا صورة عن مدى احاطة هذا المحقق العظيم .

١٠ ـ اصابة النظر واستقامة الفكر مما جعله يجرد المسألة عن قوالب الاصطلاحات وينظر اليها بنظر ثاقب بحيث يكفي تصورها في تصديقها ويغني البحث عن ثبوتها عن مؤونة اثباتها كما هو الحال فى القضايا التي قياساتها معها .

هذا مختصر من مزايا هذا الكتاب والتفصيل يعرف بمراجعة نفس كتاب الرسائل ومطالعته .

الارشيات المباركة

(٣)

عندما العرب لحمل الاسلام لاول مرة

السيد مهدي الحكيم - بيروت

كان العرب — بتوحدهم في بواديهم، وبطبيعة أرضهم ومناخهم، وبحياتهم الفطرية البسيطة — جديرين بالحرية، والعيش في كنفها. من نبعها نهلوا ومن لبانها اغتذوا. فبرزت فيهم — تحت سمائها المشرقة أمارات الوعي والنضج. اذ لا شيء كشعاع الحرية يبرز دقائق الخواطر، وينمي مكنونات الضمائر ..

ذكرنا — فيما سبق — أن البشرية تمر بمراحل زمنية شبيهة بالمراحل التي يمر بها الانسان الفرد. وأن الديانات القديمة انما كانت تخاطب الناس في فتراتهم الاولى قبل ان يبلغوا أشدهم، ويصلوا الى مرحلة النضج الذي نحن بصدده وهذا النضج لم نذكره الا من باب التجوز اذ لا نقصد منه الا الادراك العقلي الذي يؤهل البشرية لان تعقل ذاتها وتعي ماحولها من ظروف وملابسات، وتفكر في وضعها ازاء مايحيط بها من واقع حاضر، وما ينتظر هامن غيب مجهول.

أما عن حقيقة النضج الاخلاقي والعاطفي والاجتماعي وغيرها من الانواع التي لايدركها الحصر، فهي — في مجموعها — تابعة للنضج العقلي، وبدونه تصبح أسماء بلا مسميات، كما أنها أيضاً معارف تحصيلية لاتكتسب الا بالمران والجهد، على أيدي الانبياء والمصلحين الذين جعلوا من أنفسهم أداة لخدمة الانسانية، والارتفاع بها من عبودية الاوهام والخرافة الى ذروة الحق والخير والحرية.

ولو كانت هذه المعاني هي التي نقصد، لانتفت الحكمة من الوحي وارسال

الانبياء اذ ان البشرية لاتستطيع أن تصل اليها وتلم بحدودها وتفاصيلها ـ مهمابلغ من تقدم في ميادين الفكر والحضاره ـ ذلك لان لها ارتباطات بعالم الغيب ، من منبعه ترد ومن خزائنه تستمد .

تفاوت الافراد والامم في القدرات :

ومرحلة النضج العقلي ، اذا قيست على صعيد الافراد ، لاتقتصر على زمن دون آخر ، اذ طالما حدثنا التاريخ عن رجال افذاذ ، استنارت عقولهم وسبقوا عصرهم.. كما أنها لو قيست على صعيد الامم في جيل واحد ، لرأينا احداها تصعد في ميادين التقدم ، بينما الاخرى أو الاخريات ، لاتزال تعيش في سبحات الطفولـة واحلام الحداثة . ولا تنقصنا الشواهد ... فها نحن أولاء في القرن العشرين : قـرن العلـم والمدنية ، نراقب عن كثب : فنرى أمة تسابق الزمان بأفكارها ، وتطمح ـ بعد ان سبرت أغوار الارض ـ أن تكتشف مسالك النجوم وترتاد مجاهل الفضاء . وننظر الى شعب آخر ، فاذا به يعيش في الرغام ، قد أذله الجهل وعضته الفاقـة ، فهـو والحيوان الاعجم سواء . . . لايسمو بتفكيره الى أبعد من لقيمات تقيـم أوده ، وبعض سهام يرد بها غائلة عدوه . . وكلاهما يعيشان في عصر واحد ، وعلى أرض واحدة ، وقد لاتفصل بينهما مسافة تذكر .. اذا عدت المسافات .

امة واحدة ، بلغت أشدها ، قد تقود بقية الامم:

وليس من المحتم أبدا ، أن تصل الانسانية كلها دفعة واحدة الى مرحلة النضج العقلي ، حتى تتلقى كلمة السماء الاخيرة . فأمة واحدة بلغت أشـدها ، مـن حيث الوعي والتفكير تستطيع ـ تحت قيادة رسولها الملهم ـ أن تقوم بدور المعلم الصالح شريطة ان تتحرر من أهوائها وتتخلص من نوازع الشر والعصبية فتقود ـ عندئـذ ـ بقية الامم الى ما فيه الخير والسعادة والتقدم والترقي . . .

والتاريخ لم يعرف أمة ، اجتمع فيها جل هذه الصفات ، واشتملت على قسط

وافر من الحيوية والانطلاق، غير الامة العربية التي أنزل عليها القرآن. حيث قيضت لها الاقدار أن تكون في الطليعة بين أمم الارض .. في عصر سادت فيه روح الجمود والعبودية والانحلال في الاخلاق والقيم. الى جانب التخاذل والخنوع والجشع وحب الاثرة، التي من شأنها جميعاً التردي بالكرامة الانسانية الى الهاوية والهبوط بها الى حضيض الذل والصغار.

نزول القرآن في امة العرب، دليل على نضجهم :

وحقائق التاريخ تشهد بذلك وتقر، يدعمها برهان جلي لايضاهيه برهان .. الا هو القرآن نفسه. اذ ان نزوله في أمة العرب دليل ثابت على انها تعدت طور الطفولة منذ أزمان .. وهو في بلاغته انما كان يخاطب قوما يفهمونه ويتذوقونه. وفهمه وتذوقه لايمكن أن يقعا اتفاقاً وبدون استعداد بل لابد من ان تكون عند الجماهير التي سمعته وتأثرت به، واعتنقت مبادئه، ثقافة عقلية خاصة، ومعرفة بأفانين البلاغة وليس من المفروض أن تكون هذه الثقافة والمعرفة من حيث العمق والاصالة، كالتي ظفر بها العرب بعد الاسلام. ولكنها على كل حال كانت تتناسب مع مافي القرآن من فصاحة وعمق. وخير دليل لذلك مايقرره الكتاب العزيز نفسه. فانه قد عرض لكثير من المعضلات العقلية والاجتماعية والروحية التي كانت تغزو أفئدة العرب في جاهليتهم، مصوراً لحقائقها تصويرا أدبيا رائعا، بلغ حد الاعجاز .. ماكان من المعقول أن يفهموها، ويؤمنوا بها لو لم يكونوا في حالة من النضج العقلي والادبي تسمح لهم بذلك: «وانه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين.

.... ولو نزلناه على بعض الاعجمين. فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين..»(١)

كما يقرر الاسلام أن: «لااكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي» (٢)..

(١) سورة الشعراء / الايات ١٩٢ حتى ١٩٥ والايتان ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) سورة البقرة / آية ٢٥٦.

ومعنى ذلك ان من سمع القرآن الكريم يتلى ، لايفتأ أن يفهم آياته ويتدبرها ويميز -بواسطتها- بين سبيلي الرشد والغي ، وهذه صفة لاتتأتى الا لمن ادرك حظا من الثقافة والنضج العقلي . أما من أعرض عنها ولم يصح اليها سمعه ، فان اعراضه ماهو الا تعنت واستكبار فقد جحد بها واستيقنتها نفسه . وذلك اما لمآرب شخصية يخاف أن تفلت من يديه واما لجشع واحتكارات يخشى - تحت سطوة الدين الجديد - أن تضيع عليه .

لقد نزل القرآن بلغة العرب ففهموه أصدق فهم ، ووصل الى قرارة نفوس المؤمنين فملأها روحا ويقينا ، واستثار الدفائن في صدور المشركين ، فأعلموا ما في قلوبهم من غيظ وما في رؤوسهم من عناد . أفكان شيء من ذلك يقع لو نزل القرآن بأساليب لم يكونوا يفقهونها ؟

لم يكن العرب في عزلة عن الحركات الفكرية المعاصرة لهم :

فلنرجع الى التاريخ نستقرئه فهو يخبرنا بأن العرب - وان كانوا أمة بدوية لم تأخذ بأسباب المدنية - الا انهم لم يكونوا في عزلة تامة عن الحركات الفكرية في البلاد المجاورة لهم . ولانجدهم في ذلك أدنى حالا من معاصريهم . فهؤلاء الروم البيزنطيون الذين هم ورثة الفلسفة اليونانية، لم يكن لديهم في القرنين: الخامس والسادس - عصر الجاهلية العربية - الا صوفية وفقه يشوهون بهما الفلسفة والعلم . «فيوحنا فيلوبونوس الاسكندراني» الذي شهد أواخر القرن السادس الميلادي (ايام زهير بن أبي سلمى وعنترة) أعلن ان افلاطون قد فكر بوحي من موسى ، كما أنه قد طبق مذهب «أرسطو طاليس» على التثليث ، واستنتج أن «الاب والابن والروح القدس» ثلاثة أشخاص مفترقون . (١) .

بعض علومهم ، ومعرفتهم بالطب :

كما ان التاريخ يحدثنا أيضاً بأنهم قد ألموا بعلوم شتى ، لاعلى طريق تعلم الحقائق ولا عن حب في البحث ، وانما لاحتياجهم اليها في سبيل المعيشة . من ذلك

(١) تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص ١١٠ نقلا عن «بربيه» .

معرفتهم بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها الى جانب معرفة بطرق المواصلات التي كانوا يحتاجون اليها في رحلاتهم وانتجاعاتهم .

أما عن الطب فقد عرفوه معرفة جيدة، وبرعوا في الجراحة كما برعوا في أمراض العين . . وكان فيهم اطباء درسوا في فارس أو في بلاد الروم، واستفادوا من خبرتهم بعقاقير بلادهم . «فالحارث بن كلدة الثقفي» سافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتمرن هناك وعرف الداء والدواء . وكذلك ابنه «النضر» نشأ طبيبا كأبيه ، وسافر كسفره . . . وعاشر الاحبار والكهنة وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر واطلع على علوم الفلسفة .(١)

دقة الملاحظة أو المشاهدة العاقلة في الشعر الجاهلي :

أما عن علوم العرب التي برعوا بها ، وفاروا فيها بالقدح المعلى ، وكانت كما يقول صاعد الاندلسي - «علوم لسانها وأحكام لغتها ونظم الاشعار وتأليف الخطب» .

فقد روى تاريخ الآداب قصائد مطولة ، ومساجلات شعرية كثيره كانت تدور في حلقات الجاهليين وندواتهم . وهي ، ان دلت على شيء ، فانما تدل على ذكاء فطري حاد ودقة في الملاحظة يجليهما ذوق أدبي رائع، واحساس فني مرهف. ولسنا بحاجة الى ذكر كثير من الامثلة والشواهد لانها مشهورة معروفة .بل نكتفي بذكر بيتين من الشعر من معلقة طرفة بن العبد البكري ، يصف بهما رأس الناقة وقلبها من ضمن ستة وثلاثين بيتاً يصفها بها ، يقول :

وجمجمة مثل العلاة كأنما   وعى الملتقى منها الى حرف مبرد
وأروع نباض أحذ ململم   كمرداة صخر في صفيح مصمد

فقد وصف جمجمتها بالعلاة (السندان) وأدرك أنها مؤلفة من اقسام من العظام يمسك بعضها ببعض لان اطرافها مسننة متداخلة . اما القلب فقد وصفه بأنه أخذ

(١) اما تاريخ الفكر العربي ص ١١١ .

(ضامر) وململم (مجتمع ومدور ومصموم) . كمرداة صخر (قاسه بالحجر الـذى تكسر به سائر الحجارة) مصمد (ملموف فى مثل الخرقة أو المنديل) فى صفيـح (في سماء ، أى معلق) .

ان هذه الاوصاف لاتدل على ملاحظة عابرة ، بل على مشاهدة عاقلة ودرس دقيق ليس من نطاق الشعر بل هو بعلم التشريح الصق . (١)

هذه المشاهدات العاقلة هى ارهاص بانفتاح واع على المعاني المجردة:

وعند عير طرفة من شعراء الجاهلية تحد كثيراً من هذه الملاحظات الدقيقة أو فلنسمها بالمشاهدات العاقلة ، والتي هي فى الحقيقة ارهاص بانفتاح واع علـى المعاني العقلية المجردة . أضف الى ذلك مانجده فى الشعر الجاهلى من آراء كثيره تتصل بالفلسفة الخالصة ، من نظرية المعرفة ومن السياسة فى العدل والحرية والحلم والشورى والاخلاق . مما نقرؤه فى حوليات زهير ، وأشعار طرفة وأمية بن أبى الصلت وغيرهم . أما الحكم العامة التي وردت في أشعارهم فكثيرة متنوعة .

على ان التاريخ يحدثنا عن حركة فكرية نشأت فى الجاهلية سمي أصحابهـا بالحنفاء . . هؤلاء صمت عقولهم فتركوا عبادة الاوثان ، ولم يرضوا عن الحياه الاجتماعية العامة التي كانت تسيطر على الناس ، كمالم يجدوا اطمئناناً الى اليهودية المنطوية على نفسها ، ولا الى النصرانية التي كانت منقسمة الى مذاهب متعادية يتقاتل أهلها بالسنان واللسان . من أجل ذلك انصرفوا الى حياه فطرية تأخذ عناصرها من الاخلاق الشخصية وحب الخير للناس.. وساح بعضهم فى الارض ترفعا وتنسكا.(٢)

أشرق الاسلام على العرب فى ابان نهضة عقلية :

وهكذا ، فان الاسلام أشرق على العرب فى ابان نهضة عقلية وأدبية ـ ضمن

(١) انظر المرجع السابق أيضاً ص ١١٢ .

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودى ح ١/ ص ٦٥ وما بعدها (باب ذكر أهل الفترة)، والكامل فى التاريخ لابن الاثير ح١/ص ١٥٠ .

حدود الامكان - اذ لايمكن لرجل فرد كالرسول العربي الكريم(ص) ، والله-سبحانه- يخاطبه: «**أفأنت تكره الناس حتى تكونوا مؤمنين ، وماكان لنفس أن تؤمن الا باذن الله** . .» (١) «**فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر** . . .» (٢) لايمكن له أن ينقل أمة كاملة من الكفر الى الايمان ومن العدم الى الوجود، ومن الظلمات الى النور ، ومن العبودية الى السيادة ، مالم تكن تلك الامة قد استعدت في أعماقها . وفي ضمائرها وفي عقولها لتلقي الرسالة والايمان بها ، ومن ثم الى الدفاع عنها ، والجهاد في سبيلها . حيث فرضت سيادتها - في مدة وجيزة - على أجزاء مهمة من العالم.

ولو كان يكفي أن يكون المرء نبيا ليفعل مافعله رسول الله محمد(ص) لما رأينا أنبياء كثيرين لم يصلوا - مع بذل ما بوسعهم من جهد - الى ما وصل اليه هو (ص) من فوز في مهمته بذ به كل من سبقه من الانبياء والمرسلين .. فالسبب اذن- واضح جلي ، فان أمم هؤلاء الانبياء لم تكن - بعد - قد بلغت النضج ، لذلك كانت غير صالحة للبعث والنهوض .

الحرية التي عاش في كنفها العرب كانت من اسباب نضجهم العقلي:

ونحن - في حديثنا - لانزعم أن العرب وحدهم من بين العالمين جميعاً قد اجتازوا بمرحلة الصبا الى سواء الادراك . بل نفترض أن بوادر النضج العقلي فيهم كانت أشد ظهوراً منها في بقية الامم المعاصرة . ذلك لان هذه الامم كانت تعيش في جو مظلم من العبودية ران على بصائرها فأعشاها ، وتركها تتخبط في متاهات الشكوك والاوهام .. عبودية للنظم الجائرة يفرضها الاقوياء ، وعبودية للاراء والمذاهب يوحي بها تجار الدين . واستخذاء أمام الغرائز البهيمية تقهرهم فتردهم أسفل سافلين ، الى غيرها من الاسباب التي لايدركها حصر ، والتي حجبت نور الفكر وشمس العرفان من أن يشرقا على الناس .

---

(١) سورة يونس آية ٩٩ - ١٠٠ (٢) الغاشية / آية ٢١ - ٢٢ .

ولكن الى جانب هذه العبوديات المظلمة ، كانت تومض ـ بين حين وآخر ـ بعض قبسات من سمات الفكر . منها ماهو قريب من حركة اصلاحية ، ومنها مايشبه محاولة فلسفية ... وكل هذه المحاولات كان الشك رائدها ـ والشك من بوادر الانفتاح العقلي ـ فعلى صعيد العقائـد دلت عليه كثرة المذاهب وتشعبها، وفي العادات والتقاليد بينته نزعات التجديد المتوالية . . . الا أنها جميعاً كانت مجرد ومضات لاتلبث أن تتلاشى في عمار الدجنة الحالكة .

أما العرب فكانوا ـ بتوحدهم في بواديهم ، وبطبيعة أرضهـم ومناخهم وبحياتهـم الفطرية البسيطة ، وبعدهم عن مطامح الانظار ، بكل ذلك وبكثير غيره ـ جديرين بالحرية والعيش في كنفها . . . من نبعها نهلوا ، ومن لبانها اغتدوا . فبرزت فيهـم تحت سمائها المشرقة ـ أمارات الوعي والنضج . اذ لاشيء كشعاع الحرية يبرز دقائق الخواطر ، وينمه مكنونات الضمائر .

التناسب بين الفساد والنضج في غمة الايمان:

وأخيراً ـ بعد أن تحدثنا عن مرحلة النضج ـ لانقرر أنها كانت السبب الوحيد لبزوغ فجر الاسلام على العالم . فثمة أسباب كثيرة غيرها ، أدت الى ظهوره في وقته المعين . منها ماوضحت لنا حكمتها وتجلت سافرة ، ومنها مازالت مطويـة في سجلات الغيب .

أما ما وضح منها ، فأهمها الفساد الذي استشرى داؤه ، وعم بظلامه البشريـة جمعاء . فمن تفسخ في الاخلاق والقيم ، واستهتار بالكرامات الانسانية ، الى البعد عن كل ماهو خير وحق وشرف وفضيلة ...ولعل العنف الذي اتسم به طابع هذا الفساد ، والضراوة التي رافقته ، مرجعه الى فترة النضج ذاتها . وقد يبدو هـذا القول غريباً للوهلة الاولى ، ولكنها غرابة ستزول عندما نعلم أن الفساد يتناسـب تناسباً مطرداً مع درجة النضج والذكاء ، فكلما اتقدت شعلتهما ـ وكان الضمير محجوباً والنفس لاوازع لها ولا زاجر ـ ازدادتا ايغالا في المعاصي وتعمقا في الرذائل ، وتفنناً في اساليب الشهوات . . . وليست مفاسد قرننا العتيد ، ببعيدة عن أذهاننا ـ وقد رأتها أعيننا ووعتها أسماعنا ـ ففيها أقوى شاهد وأعظم دليل . .

ومع هذا ماس أحد يشك في نبوغ أهله ، وأنهم من العبقرية في القمة، ومن النضج العقلي في أعلى ذروة .. ذلك لأن الزمان يدور .. والتاريخ يعيد نفسه .

وسنستعرض - باذن الله - في أحاديث قادمة ، نماذج من هذا الفساد . حيث يستقرىء التاريخ متجرد ، عن الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ورسوله الكريم .. وأول ما نبدأ بالعرب اولئك الذين نزل الذكر الحكيم بلسانهم من بين العالمين.

اضواء على النشاط التبشيري

التبشير والاستعمار في المغرب العربي

الاستاذ الحبيب الجنحاني
كلية الآداب — الجامعة التونسية

ومن ابرز الرهبان الذين كرسوا جهودهم لكتابة تاريخ الكنيسة الافريقية الراهب (ج.مسناج)(Geen mosnage.)

وقد وردت عليه رسائل الشكر والتمجيد من رجال الكنيسة بمناسبة صدور كتابه «المسيحية في افريقيا» ، كتب اليه الأسقف «قوبي»(Goffi) قائلا : «اهنئكم على دراستكم الجديدة الهادفة الى القاء أضواء على أمجاد الحضارة الاسلامية في افريقيا الرومانية» وكتب اليه «بيار فرنان» (Pierre Firnane) أسقف وهران يقول: «..ولا بد من الاشارة الى الفصلين ٤ و ٥ حول توسع دعاية التبشير في هذا البلد الذي اصبح بلدنا » ! !

ونشطت الكنيسة اثر احتلال الجزائر ، في تنظيم هياكلها في الجزائر وبعث الجمعيات التبشيرية ، فبعث القساوسة جمعية المبشرين وجاء قانون الابرشة الصادر سنة ١٨٤٩ ينص في أحد بنوده على مايلي :

«لاينسى الرهبان رسالتهم الاصلية لدى الاهالي ، أي تنصيرهم عندما تحين الفرصة ، ولذا يجب عليهم تعلم العربية ،والقرآن ،ودراسة عادات الاهالي وتقاليدهم حتى يتمكنوا من اطلاعهم على الجانب الغالط واللاأخلاقي في عقيدتهم» .

واول من تزعم حركة التبشير في الجزائر ، ثم تونس في القرن التاسع عشر ، وقام بدور كبير هو **الكاهن فرانسوا بورغاد (١٨٠٦ – ١٨٦٦)** ، فقد برز دوره ، في تونس بعد قدومه اليها من الجزائر سنة ١٨٤٠ مرافقاً «لاخوات الصفاء الساعيات في مصالح الفقراء والمرضى ابتغاء مرضاة الله» ، وقد غادرن الجزائر متوجهات الى تونس بعد خلافهن مع اسقف الجزائر .

وقد طبق بورغاد أساليب التبشير الجديدة فأسس مدرسة ، ومعهد سان لويس ومستشفى ، ومطبعة حجرية وألف كتبا بطريقة الحوار البسيط حول قضايا الأديان ليصل في نهاية الحوار الى تفضيل المسيحية على الاسلام ، وضرورة اعتناقها

وقد أسس سنة ١٨٤٧ م «جمعية سان لويس أو حملة صليبية سلمية هدفها نشر الحضارة المسيحية بين المسلمين بواسطة مؤلفات مكتوبة في لغتهم ، أو مترجمة اليها» .

واشهر مؤلفاته «مسامرة قرطاجنة» ، وقد طبع بالفرنسية اولا في باريس سنة ١٨٤٧ م ، ثم ترجمه مع أحد تلامذة معهد سان لويس سليمان الجزائري (١٨٢٤م – ١٨٧٧م) وطبع في المطبعة الحجرية في تونس سنة ١٨٥٠ م ، وقد طبع بالعنوان التالي «مسامرة قرطاجنة بمحادثات بين مفتي وقاضي وراهب نصراني» ثم ألف كتاب «مفاتح القرآن» ، وكتابا ثالثا بعنوان «المرور من القرآن الى الانجيل» .

ولا نريد هنا أن نسهب في الحديث عن أعمال الكاهن بورغاد التبشيرية . ولكنما نريد الاشارة الى انه استطاع أن يقوم بهذا النشاط التبشيري في تونس ، وهي لم تستعمر بعد ، وذلك نتيجة النفوذ الاوروبي ، وتأثير احتلال الجزائر على الاوضاع في تونس وكان عمله يهدف الى تمهيد احتلال البلاد التونسية ، وقد سعى جاهدا الى بيان فضل الانجيل على القرآن ، . والى خدمة أهداف الاستعمار الفرنسي ، ونجده في المحاورة الاولى من كتابه «مفاتح القرآن» يحضر في الحوار شخصية جزائرية يلقبها «بالدزيري» ليخصص

فصلا طويلا عن «مشاريع الحكومة الفرنسية الرامية الى تحسين حالة الاهالي في الجزائر» وايشنع على الامير عبد القادر وأنصاره ، اد «أن سلوكه في افريقيا يضر مصالح العرب ودين القرآن أكثر مما ينفعها» .

وتأتي ثورة ١٨٤٨ فتضطرب الاحوال في فرنسا ، ويغادر تونس بعد ذلك ليواصل نشاطه في باريس ، وقبل ان يموت مسيا تعترف الدولة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في اقطار المغرب فتقلده وسام الشرف الفرنسي .

وتعيش السياسة التبشيرية في المغرب منعرجا جديدا على يد شخصية بارزة كرست جهودها لتدعيم الكنيسة والنظام الاستعماري في كل من الجزائر وتونس سنوات طويلة ، ونعني هنا شخصية الكردينال لافيجرى (١٨٢٥ م - ١٨٩٢) فقد كان اول اتصاله بالعالم الاسلامي ، وبنصارى الشرق الاسلامي سنة ١٨٦٠ م حين زار بلاد الشام .وحمل الى المسيحيين هنالك اعانة جمعت في اوربا لمساعدة المسيحيين الذين اضطهدهم الدروز في الحرب الطائفية التى اندلعت بين الدروز والمسيحيين، والتي اثارتها الدول الاوروبية نفسها فبرر تدخلها في شؤون الباب العالي ، وآمن آنذاك أن الاسلام أخطر أعداء المسيحية ، ولذا يجب العمل على القضاء عليه ، وتخليص معتنقيه من شروره ، وادخالهم في احضان المسيحية ، ويعود من المشرق الى باريس مارا بالبابا في الفاتيكان فيحرضه على مساندة حركات التبشير في العالم الاسلامي ، ولفت انتباهه الى أهمية الموضوع ، وفي باريس تعترف الحكومة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في العالم الاسلامي فتسند اليه اعترافا بالجميل/وسام الشرف الفرنسي في ١٨٦١/٢/٨ م .

ويرتبط تعيينه من طرف الماريشال ماك ماهون ، حاكم الجزائر العام أسقفا في الجزائر بأسطورة رؤيا سبقت هذا التعيين رأى فيها رسالة الهية للقيام بعمل مسيحي جبار في هذه القارة الافريقية التي يجب ان يعاد لها مجدها المسيحي الروماني قبل كل شيء ! !

ولما وطئت قدماه لاول مرة الارض الجزائرية في ١٥ ماى ١٨٦٧ م كان يؤمن:

أولا ـ أن الجزائر هي نقطة الانطلاق التي ستتسرب منها حركة التبشير الى افريقيا كلها .

ثانيا ـ أن نشر المسيحية ركن اساسي في البناء الاستعماري الذي تنشده فرنسا ، فالكنيسة وفرنسا متحدان لاحياء أمجاد الماضي ، فقد كتب الى رهبان الجزائر يوم ٥ ماي ١٨٦٨ قائلا : سآتيكم ، اخواني الاعزاء ، في ساعة مشهورة في تاريخ افريقيا المسيحية . . . الكنيسة وفرنسا متحدان لاحياء أمجاد الماضي .

ثالثا ـ انه جاء لاحياء الماضي المجيد ، فهو الوارث لكرسي القديس سيبريان فهو يقول : «وكنيسة تونس هي كنيسة قرطاج الا ان قرطاج ... هي مهد المسيحية في افريقيا وفيها كرسي الجاثليق المشرف على سبعمائة كنيسة أسقفية وهي مدينة العديد من الشهداء والعلماء والمعرفين والعذارى المقدسات ، هي مدينة ترتيليان ، وسيبريان وفولجانس، وفيليسيتي ، وربيتو ، ومدينة تلك المجامع الشهيرة التي كانت مدة طويلة نور العالم المسيحي» .

وهذا الدور التنصري سوف لا يقتصر على انقاذ الشعب الجزائري وادماجه في فرنسا بعد تنصيره كما يقول نفسه : «واذا وقعت المواظبة على هذا المشروع (مشروع تربية الاطفال) . . . فستكون لنا بضع سنوات مشتلة من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي والاصدقاء له ، ولنقلها بوضوح : من العرب المسيحيين ان هؤلاء الاطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء سواء بأمور دينهم ، أو بغيرها ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق وأي نفور منا ، ولا أشك في ان الكثير منهم متى استفادوا من أقوالنا ومن أفعالنا سيطلبون بأنفسهم يوما ما التعميد .

وسيكون ذلك بداية تجدد هذا الشعب ، وهذا الادماج الحقيقي الذي يبحث عنه لكن بدون طائل لان البحث عنه قد كان الى حد الان مع القرآن ، وسيكون مع القرآن ، وسيكون مع القرآن بعد ألف سنة كما نحن اليوم كلاب من المسيحيين وسيكون ذبحنا والقاؤنا في البحر عملا مقدسا يثاب عليه صاحبه ... يجب انقاذ

هذا الشعب ، ينبغي الاعراض عن اخطاء الماضي لابد من الكف عن حصره في قرآنه كما وقع ذلك في مدة طالت اكثر من اللازم وكما يراد فعله الان بواسطة مملكة عربية مزعومة ، يجب ان نلهمه عن طريق امانته على الاقل ، أحاسيس أخرى ومبادىء أخرى ، وينبغي أن نقدم له فرنسا ، بل أنا مخطىء تسمح بأن تقدم له مبادىء الانجيل باشتراكه أجيراً في حياتنا ، أو أن تطرده في الصحاري، بعيداً عن العالم المتمدن (٧) المسيحية ـ اذن ـ أو التشريد في الصحاري ، قد أشرنا الى أن الدور التبشيري سوف لا يقتصر على انقاذ الشعب الجزائري فحسب ، بل يجب أن يعبر الصحراء ، ويشمل شعوب افريقيا الوسطى بعد أن «أصبحت الجزائر المسيحية مزرعة حقيقية حية» في نظر لا فيجري . وقد أرسل دعاته فعلا يبشرون بالمسيحية بين شعوب افريقيا الوسطى .

فهو يقول في رسالته الشهيرة الموجهة الى رهبان الجزائر : «انني سعيت لتحقيق الفتح معكم ، ولجعل الأرض الجزائرية مهد الامة عظيمة ، سخية ، مسيحية ، فرنسا أخرى

وفي كلمة واحدة : نشر من حولنا الانوار الحقيقية لحضارة يكون فيها الانجيل المنبع والقانون ،وحمل هذه الأنوار الى ماوراء الصحراء ، الى قلب هذه القارة الكبرى السابحة في الوحشية ، أي ربط افريقيا الشمالية وافريقيا الوسطى بحياة الشعوب المسيحية ، ذلك هو المصير الذي اختاره لنا الاله (٨) وقد أدى تعصبه لسياسة التبشير ، وادماج الشعب الجزائري في الشعب الفرنسي عن طريق التنصير الى ظهور خلاف بينهم وبين المسؤولين العسكريين في الجزائر ، وفي مقدمتهم المارشال «ماك ماهون» لانه أراد أن يبث المبشرين بين القبائل الخاضعة للسلطة التي تخشى رد الفعل ، واندلاع ثورات جديدة ، ولكن الكرد ينال لافيجري يريد أن يحمي الجيش الفرنسي حركة التبشير ، ويشن حملة ضد سياسة الحكومة الرسمية الهادفة آنذاك الى بعث مملكة عربية داخل الأمبراطورية الفرنسية، ويقول: ان القضية ليست قضية بعث مملكة عربية بل هي قضية ادماج عن طريق التنصير ، ويصبح لافيجري يمثل سلطة الكنيسة في الجزائر التي فاقت السلطة السياسية والعسكرية،

وبالرغم من معارضة «ماك ماهون» لسياسة الكردينال التبشيرية المفضوحة ، وتهجمه على الاسلام وقد خشي المارشال أن يؤدى الى حرب دينية وبالرغم من تحفظ الامبراطور نابليون الثالث ، وقد نصح الكردينال سلوك سياسة لبقة وحذره في هذا الميدان فان الكردينال يواصل سياسته التبشيرية المتعصبة فيستغل انتشار المجاعة سنة ١٨٦٨ م ، فينشيء مأوى للارامل واليتامى في سهول وادى شليف يريدها ان تتحول الى « قرى عربية مسيحية » ، ويرسل رجال طريقته الجديدة «جمعية مبشرى افريقيا» المعروفة (بالآباء البيض) لجمع الاطفال الايتام، ليوزع عليهم الخبز اولا ، ثم لينصرهم فيما بعد وقد اتهمه ماك ماهون نفسه بأنه «يريد أن يدفع أولئك العرب المساكين ثمن الخبز الذي يوزعه عليهم بالتضحية بدينهم» ، وحاول عبثاً أن ينفد هذه التهمة ، لانسلوكه يصدقها ، فقد جمع ١٧٥٣ يتيماً وأراد تنشئتهم في القرى التي أنشأها ، ولما طلب منه . . اعادتهم لاسرهم بعد المجاعة رفض ذلك رفضا باتاً ، وقال : «لايمكن أحدهم من مآويهم الا بالقوة» .

ولم يتورع الكردينال من اختلاق قصص خيالية ليبين نتائج تنشئته لاطفال المسلمين، فرجال الكنيسة الدين أرخوا لحياة لافيجرى يذكرون قصته مع «شارل عمر بن سعيد» بكل فخر ، واسمحوا لي ان اقصها عليكم كما وردت في كتاب الراهب «بونارد» (Bounard) عن لافيجرى (ج ١ ،ص ٢٠٣ - ٢٠٤) .

التقى لافيجرى بنفسه في يوم من أيام سنة ١٨٦٧ م مع شاب في سن العاشرة تقريباً ، فجرت المحادثة التالية :بين الكردينال وبين الشاب الجزائرى الذي اصبح يعرف باسم «شارل عمر بن سعيد» :

- من اين أنت قادم يابني ؟ .
- من الجبل ، بعيداً ، بعيداً .
- وأبواك ، اين هما ؟
- ابي توفى ، وامي في كوخها .
- لم فارقتها؟
- قالت لي : نفد الخبزهنا ، اذهب الى قرى المسيحيين ، فأتيت .

ـ ماذا فعلت فى الطريق ؟

ـ أكلت العشب ، اسير اليوم فى المروج ، وفى الليل اختفي فى الحفر حتى لايختطفني العرب ، فقدقيل لي : انهم يقتلون الاطفال ، ويأكلونهم .

ـ والان ، اين ستذهب ؟

ـ لااعرف .

ـ هل تريد ان تذهب الى شيخ زاوية عربي ؟

ـ لا ، ابداً ، فعندما ذهبت الى هؤلاء الشيوخ طردونى ، وعندما لم اذهب بسرعة فأنهم اطلقوا علي كلابهم لينهشونى .

ـ هل تريد ان تبقى معي ؟

ـ نعم ، بكل سرور اريد ذلك .

ـ اذن تعال الى دار اطفالي ، سأعاملك مثلهم . وستسمى مثلي «شارل» .

ويصبح شارل عمر هذا مسيحياً ـ حسب هذه القصة ـ ويتزوج مسيحية ، ويقول له الاسقف بعد مدة :

ـ هل تريد الرجوع الى أمك ؟

ـ لا ، لاأريد .

ـ لماذا ؟

ـ لانني وجدت أبا أحسن من والدتي !

وهكذا يصل لا فيجرى الى بيت القصيد ، فينهى أسطورته في سرور واطمئنان. وقد اختار لافيجرى منطقة القبائل الكبرى بصفة خاصة لتطبيق خطته التبشيرية ، ولذا ليس من الحدس التاريخى القول: ان أحد العوامل الرئيسية فى اندلاع الثورة الشعبية فوق هذه الارض المجاهدة ، الثورة المعروفة بثورة المقراني(١٨٧٠-١٨٧١م) يعود الى رد فعل السكان ضد سياسة التنصير هذه ، واستغلال مجاعة ١٨٦٨ م فجمع الارامل واليتامى في قرى لافيجرى المسيحية ، خاصة اذا ذكرنا هنا سياسته الرامية الى بث الشقاق بين العرب والبربر ، وقد بدأ أحد اتباعه الراهب «كروزات» (Creuzat) يعمل فى هذا الاتجاه ، ولكن سياسته باءت بالفشل الذريع حيث يعترف

الكولونال «هانوتو» (Hanetau)في تقاريره باضطراب الوضع فى المناطق التي نشط فيها الراهب ، وبرد فعل السكان ، الأمر الذيادى الى قلق السلطة العسكريــة، وخشيتها من الانتفاضات .

وهنا نتساءل : هل نستطيع ان نقوم لافيجرى بكل هــذا النشاط لولا ذلــك التعاون المتين بين الكنيسة والأدارة الاستعمارية ، فقد أشرنا الى الربــط دائماً بين التنصير وسياسة الادماج والأحتلال النهائى للجزائر ، فقد كتب يتحدث عن القرية التي جمع فيها عدداً من اليتامى الذين نصرهم قائلا : « ان ما نريد هــو خاصة ضرب مثل . وفعلا نريد ان نبين ما يمكن ان يرجى يوماً ما من هذاالجنس الافريقي الذي هوى الى الحضيض بانشاء قرية عربية فى ظل الصليب ، ولو كان ذلك فى ظروف غير ملائمة فان مانعترض احتلالنا النهائى للجزائر هو فى الواقع مسألة دين كما قلناه مراراً» (١٠) .

ومن المعروف ان دور لافيجرى التبشيرى الاستعمارى تجاوز الجزائر ،وبلغ افريقيا كما أشرنا ، وهو الذي رفع شعار «انتصاب حماية فرنساالدينية» على تونس، وكان دليل «قامبتا» و«جول فيرى» فى وضع خطة احتلال البلادالتونسية ،فقدكتب: «لويس بارتورو» (Louis Berfraud)بمناسبة مرور قرن على مىلاد لافيجرى سنة ١٩٢٥يقول : «اولم يقم الا بتهيئة انتصاب حمايتنا على تونس ، تلك الحماية التى كان يمكن عقدها قبل الا وان الذي عقدت فيه لو استمع اليه ، وباقل مما كلفتنا من الرجال والاموال بكثير لاستحق كل اعتراف بالجميل من الوطن الام . . . » ان احتلال تونس مرتبط لدى الكنيسة . وبالخصوص فى ذهن ممثلها الاول فى افريقيا الكردينال لافيجرى ببعث مجد قرطاج الروماني ، ومتابعة أهداف الحملة الصليبية التى قادها ملك فرنسا «سان لويس» ضد الشعب العربي المسلم فوق الأرض التونسية.

وقد فرض قنصل فرنسا فى تونس «ماتيو دوليسبس» (Mathieu De Lesseqs) بعد اسابيع قليلة من احتلال الجزائر على باي تونس معاهده (فى ٨ أوت ١٨٣٠) ينص فصل سرى منها على التنازل الأبدي لفائده فرنسا عن ربوه بيرصا بقرطاج

لانشاء معبد تخليداً لذكرى سانلويس المتوفي فى ذلك المكان اثناءالحملة الصليبية (١٢٧٠ م) .

ونجد لافيجرى يهتم بمجد قرطاج المسيحي الروماني ، وبانشاء كنيسةلسان لويس بعد تسميته اسقفا في الجزائر وتونس معاً، وقبل احتلال البلاد التونسيةرسمياً بسنوات طويلةوقدواصل الاستعمار الفرنسي والكنيسةسياسةالتبشير والتنصير فى بلدان المغرب العربي فى القرن العشرين ، وأصبح له المجالفسيحاًفى المغرب الاقصى ابتداء من سنة ١٩٠٧ بالخصوص ، ثم جاء فرض الحماية على الشعب المغربى سنة ١٩١٢ مقترناً بتطبيق سياسة لافيجرى التبشيرية التي بدأها بين قرى هذه الارض المجاهدة .

وقد حاولت الكنيسة والاستعمار بث روح الشقاق بين العرب والبربر فى المغرب الاقصى .

وماالظهيرالبربرى فى المغرب الاقصى وسياسة التجنيس فى تونس،ثم انعقاد لمؤتمر الانخاريستي سنة ١٩٣٠ الذي جمع أكثر من سبعمائة راهب تحت خيام حملة صليبية جديدة نصبت فوق ربوة بيرصا بقرطاج ، وقرب قبرسان لويس ، وما حتوى عليه برنامج المؤتمر من مسيرة صليبية فيشوارع تونس تحت حمايةالجيش لاستعماري احتفالا بمرور قرن على احتلال الجزائر ، ونصف قرن على احتلال ونس،ماكانذلك كله الا مظهراً بيناً لمواصلة سياسة التنصير فى القرن العشرين، ارتباطها بأهداف السياسة الاستعمارية فيالادماج ، والقضاءعلى معالم الشخصية وطنية الاسلامية العربية لشعوب المغرب العربي .

أردنا بهذه الاشارة الخاطفة الى ربط حركة التبشير فىالقرنالتاسع عشر،وهو ضوع كلمتنا ، بمحاولات التبشير والتنصير فى القرن العشرين وهي محاولات نضع لنفس الخطة وتخدم نفس الاهداف ، واذ تباينت الاساليب فىبعض الاحيان ؤكد من جديد على ظاهرة الترابط الوثيق بين السياسة الاستعمارية والكنيسة من ة ، وعلى فهم الحركات الوطنية المغربية لذلك الترابط ، ولذا اصبحت مقاومة

الاستعمار هي في نفس الوقت مقاومة لسياسة الكنيسة التبشيرية ، وجهاد في سبيل العقيدة الاسلامية .والوطن ، بل نجد كثيراً من الانتفاضات انطلقت من مبدأ الجهادفي سبيل الاسلام ، والذود عن حماه ، وقد اشرنا سلفاً الى الاتصال المتين بين سياسة لافيجري التبشيرية وانشائه القرى المسيحية وتنصيره اليتامى وبين اندلاع ثورة المقران الشعبية وفوق هذه الحبال الشامخة البطلة . .

للبحث صلة

ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون. يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون. ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون .

عبد تخليداً لذكرى سان لويس المتوفي فى ذلك المكان اثناء الحملة (١٢٧٠ م) .

نجد لافيجرى يهتم بمجد قرطاج المسيحي الروماني ، وبانشاء كنيسة لسان عد تسميته اسقفا في الجزائر وتونس معاً، وقبل احتلال البلاد التونسية رسمياً طويلة وقد واصل الاستعمار الفرنسي والكنيسة سياسة التبشير والتنصير فى بلدان العربي فى القرن العشرين ، وأصبح له المجال فسيحاً فى المغرب الاقصى ن سنة ١٩٠٧ بالخصوص ، ثم جاء فرض الحماية على الشعب المغربى ١٩ مقترناً بتطبيق سياسة لافيجرى التبشيرية التي بدأها بين قرى هذه الارض .

قد حاولت الكنيسة والاستعمار بث روح الشقاق بين العرب والبربر فى الاقصى .

ما الظهير البربرى فى المغرب الاقصي وسياسة التجنيس فى تونس، ثم انعقاد الأنخاريستي سنة ١٩٣٠ الذي جمع أكثر من سبعمائة راهب تحت خيام صليبية جديدة نصب فوق ربوة بيرصا بقرطاج ، وقرب قبر سان لويس ، وما عليه برنامج المؤتمر من مسيرة صليبية فى شوارع تونس تحت حماية الجيش اري احتفالا بمرور قرن على احتلال الجزائر ، ونصف قرن على احتلال ما كان ذلك كله الا مظهراً بيناً لمواصلة سياسة التنصير فى القرن العشرين، بها بأهداف السياسة الاستعمارية فى الادماج ، والقضاء على معالم الشخصية الاسلامية العربية لشعوب المغرب العربي .

ردنا بهذه الاشارة الخاطفة الى ربط حركة التبشير فى القرن التاسع عشر، وهو ع كلمتنا ، بمحاولات التبشير والتنصير فى القرن العشرين وهي محاولات لنفس الخطة وتخدم نفس الاهداف ، وان تباينت الاساليب فى بعض الاحيان من جديد على ظاهرة الترابط الوثيق بين السياسة الاستعمارية والكنيسة من وعلى فهم الحركات الوطنية المغربية لذلك الترابط ، ولذا اصبحت مقاومة

الاستعمار هي في نفس الوقت مقاومة لسياسة الكنيسة التبشيرية ، وجهاد في سبيل العقيدة الاسلامية .والوطن ، بل نجد كثيراً من الانتفاضات انطلقت من مبدأ الجهاد في سبيل الاسلام ، والذود عن حماه ، وقد اشرنا سلفاً الى الاتصال المتين بين سياسة لافيجري التبشيرية وانشائه للقرى المسيحية وتنصيره اليتامى وبين اندلاع ثورة المقراني الشعبية فوق هذه الجبال الصامدة المطلة . .

للبحث صلة

ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون. يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون. يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون

بحوث من تفسير «الميزان»

للعلامة الطباطبائي

(٢)

الأنبياء والبشرية

في القرآن الكريم

عرض و تلخيص: محمد علي الزنجاني

الانسان بعد الدنيا :

ومن خلال عرض القرآن الكريم لمسيرة الانسان الصاعدة اصلا ينتقل الى الحياةالتى تعقب الحياة الدنيا او التيسماها ب (الاخرة) فيعطي هـذه الحياة صفة كبرى تتميز بها عن الحياة الدنياانها حياة انفرادية ونقصد بهذا التعبير أن الانسان ـ كماسبق ـ اعتمدفيحياته الاولىوشؤونها على اساس التعاون والاواصر الاجتماعية التى تشكل قوتها ومن الانسان الفرد وضعفهاوتفككها نذر الفناء للفرد في حدنفسه فضلا عن المجتمع .فالانسان اذنفي حياتهالدنيا يعيش الالتحام الاجتماعي فيحين انه كما يصفه القرآن الكريم يجب ان يمشي طريق الاخره بمفرده لايستضيء الا بضوء ينبعث اليه من حياته الاولى مختلف باختلافدرجات سلوكه في تلك الحياة فلا تأثر بالغد سواء في اولى مراحل الاخرة وهي البرزخ او مابعدها من مشاهد فهو اذن يمشي لوحده بلا تأثر بغيره .

ذلك الانسان خلف النظام المادي الطبيعي وراء ظهره وبدأ يشهد عوالم أخرى ببصره فيها حديد بعد ان انكشف عطاء المادة عنه وذابت كل تلك العلوم العملية التي بنى على اساس منها مراحل حياته الاولى فلا مجال في قاموس حياته الثانية لامثال الاستخدام والتصرف والمدنية والمجتمع المتعاون ولا سائر ما يلازم ذلك مما كان ضرورياً لبناء انسان اجتماعي خير .. كلا فليس له قرين في مسيرته الانفرادية الا العمل بكل ما فيه من نتائج، العمل الذي قدمه من قبل يجده الآن بين يديه يعكس روحه الخيرة او الشريرة . . فتبدو له حسناته وسيئاته وتظهر له حقيقة امره ويتمثل له النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون .

مع مقاطع الاية المباركة :

فوله تعالى : كان الناس امة واحدة ، الناس معروف وهم الافراد المجتمعون من الانسان ،والامة هي الجماعة من الناس ، وربما يطلق على الواحد كما في قوله تعالى : «ان ابراهيم كان امة قانتاً لله» النحل ١٢٠ . وربما يطلق على زمان معتد به كقوله تعالى : «فأذكر بعد امة»يوسف ـ ٤٥ ، اي بعد سنين وقوله تعالى : «ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة»هود ـ٨ وربما يطلق على الملة والدين كما قال بعضهم في قوله تعالى : «ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون»المؤمنون٥٣ وفي قوله تعالى:«ان ان هذه امتكم واحدة وانا ربكم فاعبدون» الانبياء ـ ٩٢ واصل الكلمة من ام يام اذا قصد واطلق لذلك على الجماعة لكن لا على كل جماعة ، بل على جماعة كانت ذات مقصد واحد وبغية واحدة هي رابطة الوحدة بينها ، وهو المصحح لاطلاقها على الواحد وعلى سائر معانيها اذا أطلقت .

وعلى اي فان في الاية ظهوراً يدل على ان البشرية مرت بفترة انسجام ووحدة تقوم على اساس بسيط ساذج لا تمزقها الاهواء والميول والاطماع المادية وبتعقد الحياة شيئاً فانشأ الاختلاف الذي دعى الرحمة الالهية لان تقوم بارسال النبيين مبشرين ومنذرين ولكن بعض حملة الكتاب بغوا واعتدوا فنشأ اختلاف آخر في الدين وهذا الظهور في الاية يمكننا ان نعتبره وفقاً لطبيعة الامر والواقع بعد التحليل.

فنحن نشاهد هذا الرقي المادي المتدرج للانسان فترة بعد فترة وجيلا بعد جيل محاولا بذلك ان يرسي اسس مجتمع رصين يؤمن له العلم مايحتاجه من الطبيعة من جهة ويدفع عنه عادياتها من جهة اخرى ويشق له الطريق بكل سرعة نحو امتلاك الارض بازمتها وتسخيرها تسخيراً مركزاً لمصالحه . . هذا هو هدف الانسان على الاقل وان كان اخطأ في اجتهاده بسلوك الطرق التي تؤدي الى تحطيم نفسه .

متى ماحاولنا الرجوع الى اعماق التأريخ الانساني فانما كلما غرنا فيها بعداً نجد الحياة تتحول الى ابسط قدر ممكن لاتفترض معه نظريات فكرية من محتوى ولو بشكل بسيط وانما يفترض سير الانسان انذاك وفق البديهيات التي لم تخل منها حياته بما تستتبعه من نزر قليل من المعرفة بشؤون الحياة وحدود العيش ، كالتغذي بالنبات اوشيء من الصيد ، وسكنى الكهوف الطبيعية والدفاع عن النفس بالحجارة والاخشاب ومن الواضح ان مثل هذه الحياة البسيطة جداً لامعنى لظهور الاختلاف فيها بشكل يعتد به انه حينذاك اشبه الى القطيع لاهم لافراده الا الاستناد الى الافراد الاخرى ومحاولة الوصول لما وصلوا اليه والتجمع في المسكن والمعلف والمشرب .

ولكن الحياة الانسانية بالطاقات المودعة فيها بدأت تسير نحو الاكمل والاعقد وبدأت تظهر الاختلافات الطبيعية من حيث الاستعداد والقوى المؤهلة لبعض الافراد لان يتسنموا مركزاً اكبر من غيرهم خصوصاً مع ملاحظة ماأشرنا اليه من غريزة الاستخدام حيث تدفع الانسان المؤهل لاستخدام كل مالديه للاستئثار بالمقدار الاوفر من النصيب العام بعد ان تنفتح امامه سبل لم تفتتح لغيره وبعد ان تنبه الى مزايا جديدة غفل عنها الآخرون ومن هنا ينشأ التنافس والاضرار والاختلاف وانما كان هذا الاختلاف امراً طبيعياً في حد نفسه فان اساسه وهو غريزة الاستخدام بعينها هي التي دعت من قبل الى الاجتماع والتعاون .

ولا ضير في كون حكمين فطريين متزاحمين اذا افترضنا حكماً ثالثاً يمكنه ان يزيح من الاثنين معاً كل سلبياتهما ويعدل امرهما ويصلح شانهما وذلك كالانسان تتنافس قواه في متطلباتها ويؤدي ذلك الى التزاحم فحاجته الى الغذاء وتلذذه به يدفعه

للاكل الى درجة يتعب معها الجهاز الهضمي ولكن العقل هو الذي يعدل بينهما ويفرض التوازن ويقضي لكل بما يناسبه .

والتنافي بين حكمين فطريين فيما نحن فيه من هذا القبيل فنفس كون الفطرة الانسانية دافعة الى التعاون والاستخدام ثم توقها الى التفوق والاستئثار كلاهما امران طبيعيان ومتزاحمان ولكن الله يرفع التنافي بالتشريع السماوي الواقعي والذي يبشر الانبياء به وينذرون من خالفه حاملين معهم الكتاب الحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

نتائج البحث :

ومن البيان السابق يظهر لنا فساد الاقوال التالية :

أ ــ ماذكره البعض من ان الناس كانوا امة واحدة من حيث كونهم مهتدين جميعاً ، وان الاختلاف انما نشأ من حملة الكتاب الذي انزل عليهم . اذ يرد هذا البعض :

١ ــ انه غفل عن ان الاية نثبت اختلافين لا اختلافاً واحداً .

٢ ــ لو كانت الامة متحدة على الهدى فما معنى بعث الانبياء وانزال الكتاب وحمل الناس على الاختلاف ، وتحريك غرائز السيطرة والشهوة لتشيع بعد ذلك مفاسد الاخلاق .

ب ــ ماذكره البعض من ان الناس كانوا امة واحدة من حيث كونهم ضالين ويرد هذا البعض ان الله تعالى نسب الضلال الذي اشار اليه بقوله (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق) الى سوء سريرة حملة الكتاب فمع كون الناس جميعاً قبل البعث ضالين لامعنى لنسبة الضلال الى هذه الطبقة بالخصوص .

ج ــ ماقاله البعض من ان المراد هم بنواسرائيل بدليل ان القرآن يذكر انهم اختلفوا في الكتاب بغياً بينهم اذ يقول في الجاثية ــ ١٦ «وما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» وهذا تفسير بلا دليل . فاتصاف بني اسرائيل بذلك لا يوجب تفسير الاية بهم .

د ـ ماقاله البعض من ان المراد بـ (الناس) هو آدم (ع) الذي كان على الهدى ثم اختلفت ذريته فبعث الله النبيين.

وهذا القول بعيد جداً عن الحق والآية غير مطابقة حتى لبعضه.

هـ ـ ماذكره البعض من ان (كان) في الآية منسلخة عن الزمان كما في قوله تعالى (وكان الله عزيزاً حكيماً) فهي انما تثبت هذه الصفة فقط وعند ذلك يكون المعنى:

ان الناس امة واحدة من حيث كونهم مدنيين بالطبع ولا يمكن ان تسير حياتهم الا بالتجمع والتعاون بين الافراد وتبادل الادوار واستثمار الجهود المشتركة. وهذا ثابت بالشواهد التاريخية القديمة جداً بل هو امر فطري لايمكن ان يفلت منه.. واذا ثبت هذا فانه بنفسه يؤدي الى الاختلاف وحينذاك فقد شرع الله سبحانه بلطفه وعنايته الشرائع لرفع هذا الاختلاف فالناس امة مدنية بالطبع لاغنى لها عن المجتمع الذي يوجب بدوره الاختلاف والذي يقتضي بعث الانبياء لرفعه بمقتضى اللطف الالهي

ويرد على هذا القول:

اولا انه جعل ميل الانسان المدنية امرا غريزياً مما يدفع بالضرورة للتجمع والتعاون، وقد توضح خلاف ذلك فعرفنا انه امر اضطر اليه الانسان وقد دل القرآن على خلاف كونه امرا طبعياً اولياً.

ثانيا: لامعنى لتفريع بعثة الانبياء على كون الانسان مدنياً بطبعه وانما نحتاج لتعديل جملة تكون هي الواسطة وهي ان مقتضى هذا الطبع الاختلاف الذي يتطلب بعثة الانبياء. والتقدير خلاف ظاهر الكلام على ان قائل هذا القول لايرتضي هذا التقدير الذي تبرعنا به.

ثالثا ـ ماقلناه سابقاً من ان الاية تذكر اختلافين احدهما بين الناس وهو الاول والثاني بين علماء الكتاب وحملته عن بغي وعلم.

(فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)

هكذا كانت حالة الانسان الأول . بامها السكون والخمول لايتطلب الانسان منها الا النصيب الذي يقيم به حياته .. وحينما بدأ الاختلاف بدأ اختلاوا سادجاً ولم يكن هذا ليؤجج فيهم حركية بل يعكر صفوهم الا انه مما استدعى لان يبعث الله الانبياء مبشرين ومنذرين ، وكان التعبير بالبعث دون الارسال لهذه الحكمة وهي ان بعث الانبياء كان يستهدف بعث الحركة في اوصال المجتمع وبث الروح المعنوية فيه ، ولعله لنفس الحكمة اسمى المبعوثين هؤلاء بالنبيين دون المرسلين ، فالبعث وانزال الكتاب يهدفان الى بيان الحق للناس وتنبيههم الى حقيقة وجودهم وحياتهم وهدايتهم الى انهم مخلوقون لربهم الذي لااله الا هو وانهم سالكون طريق الحياة كادحون فيها الى ربهم كدحاً وملاقوه في يوم عظيم ، وانهم يمرون في هذه الحياة على اساس انها مزرعة لحياة اعظم وهي منزل من منازل الطريق الى تلك الحياة وان مهيئات الغرور فيها كثيرة حتى عادت لا حقيقة لها الا الغرور فعليهم الوعي والتفكير والتأمل فيدركوا من اين اتوا؟ وفي اي طريق هم؟ والى اين هم سالكون ؟ وهذا المعنى انسب الى لفظ النبي منه الى لفظ الرسول باعتبار ان النبي هو الذي استقر عنده المأذون الرسول .

كما ان في اسناد بعث النبيين الى الله سبحانه دلالة على عصمة الانبياء في تلقيهم الوحي وتبليغهم الرسالة الى الناس واما التبشير والانذار فهما احسن مراتب الدعوة بحال الانسان العادي وان كان بعض الصالحين من عباده واوليائه تتعلق نفوسهم بالله تعالى حباً فيه لاطمعاً وخوفاً .

وقد تبين من الآية امور :

اولا : حقيقة الدين وانه مجموعة من القوانين العملية التي تبتني على اساس عقائدي يؤدي تطبيقها الى صلاح الدنيا والآخرة .

ثانياً : ان ظهور الدين انما كان لرفع الاختلاف الناشيء عن الفطرة ثم قام بوظيفة رفع الاختلاف الفطري وغيره .

ثالثاً : ان الدين تدرج في العطاء حتى استوعبت قوانينه كل حياة الانسان وعندها تختتم مسيرته ، وبالتالي فان الدين الخاتم يكون الدين المستوعب .

رابعاً : وعليه فكل شريعة لاحقة تعتبر اكمل من سابقتها .

خامساً : ان الانسان في نفس الوقت الذي يجد نفسه فيه ميالا للاجتماع تدفعه غرائزه للاستئثار والتفرد ، ولما كانت الفطرة هي سبب هذا الاختلاف فلن نضمن انها تستطيع رفع هذا الاختلاف فكانت النبوة هي الوسيلة التي انعم الله بها على الانسان لتقويم حياته واشباع متطلبات غرائزه اشباعاً متوازناً للوصول به الى الكمال الواقعي موازناً بين كماله التشريعي والتكويني .

بمعنى ان الاصلاح يجب ان يكون من مستوى اعلى من الاسباب التي ادت الى الاختلاف وهذا بالضبط مايقوم به الوحي ومن هنا بالضبط يتوضح الدليل الاصيل على وجوب بعثة الانبياء بصورة عامة وتتوضح لك مراحل هذا الدليل اذا ماراجعت الموضوع مرة ثانية بدقة .

اما البحث عن قدرة النبوة على تحقيق هذه المهمة فهو بحث يحتاج الى ملاحظة مصدر الوحي واطلاعه وشمول علمه لكل الجزئيات والكليات ومقارنة التعاليم التي جاء بها الانبياء الى باقي التعاليم ، وملاحظة ماانتجته التجربة الاسلامية الحية من عطاء في سني تطبيقها الاولى حتى انه يمكن ان نرجع

كل عوامل الخير في مختلف مجالات الحياة الانسانية الى الاشياء وهذا بحث له محله.

سادساً : ان الكمال الانساني المعنوي الذي يحققه آخر الاديان هو اقصى كمال متصور له وهذا مانجده واضحاً من خلال هذه القرون المتمادية فان الانسانية مهما ارتقت في معارفها فانها لم تستطيع ان تجد كمالا وتعاليم تؤدي الى مرتبة أعلى من ذلك ومن هنا فلا مجال للمعترضين على خلود الاسلام بان ذلك يتنافى والتطور المادي للانسان فقط اذفات هؤلاء ان الدين لم ينظر الى الكمال المادي للانسان فقط بل الى كمال الوجود الانساني .

ونحن نحيل هؤلاء لان يفترضوا مجتمعاً تمسك بكل التعاليم الدينية الاصيلة اليوم ليلاحظوا بدقة مدى الرقي المعنوي ومدى الطاقات الدافعة منه للرقي المادي ايضاً .

سابعاً: عصمة الانبياء عن الخطأ .

كتاب في مقال

الإسلام دين الحياة

تأليف. الشيخ علي مجتبى كرماني

ترجمة وتلخيص:

السيد علي الخسروي

(الاسلام دين الحياة) كتاب باللغة الفارسية يضم بين دفتيه عدة مفاهيم أساسية للاسلام عن الكون والحياة والانسان، كمفهوم الاسلام عن الدنيا وملذاتها، وموضوع الحياة الاجتماعية والقاعدة الرئيسية للمجتمع الاسلامي، ونوعية الدولة الاسلامية، وموضوع الاقتصاد ومشاكله والحلول التي يقدمها الاسلام مقارناً بالمذاهب الاقتصادية الحديثة. وموضوع الروابط الجماعية، والسلطة القضائية في الاسلام وموقف الاسلام من الحيوان وحقوق الاقليات الدينية في المجتمع الاسلامي ورأي الاسلام بشأن الحرب والسلام والقوانين الجزائية المقررة في الاسلام مقارناً بالقوانين الوضعية في المجتمعات البشرية .. هذه جملة ما ينطوي عليه الكتاب وبالرغم من صغر حجمه بالنسبة الى ما يحتوي عليه فانه يتناول هذه المواضيع بالبحث الدقيق واستيعاب اكثر الخطوط الرئيسة لها، وليس من شك في ان لمؤلف الاستاذ الشيخ علي الحجتي الكرماني حفظه الله أجهد نفسه في سبيل تأليفه وتنسيق ابحاثه واستنباط نظرة الاسلام من خلال المصادر المعتمد عليها. وكنا نود ان نترجم ملخص الكتاب كله للقارىء الكريم، ولكن نظرة عابرة في محتوياته ومعطياته الفكرية صممنا على ترجمة وتلخيص فصل خاص من فصوله، نظراً الى ان دمج المفاهيم المذكورة في مقال واحد وتلخيصها في صفحات قليلة لا يعكس للقارىء اهميتها وعمق نظرة الاسلام فيها، فاخترنا فصل الاقتصاد من الكتاب لما يتمتع به هذا الموضوع من اهمية كبرى في الحقل الفكري .

تمهيد

لاشك في ان المذهب الاقتصادي جذوراً ممتدة الى اعماق التاريخ فقد بدأ الانسان منذ اللحظة الاولى يخطط لاستثمار الطبيعة بطرق تختلف شكلياً حسب اختلاف درجة وعيه الناجم عن تفاعل المجتمعات البشرية بعضها مع البعض، وتفتحها على رسالات السماء وفي بداية العصر الرأسمالي. ومنذ اربعة قرون تقريباً انطبعت تلك المذاهب بطابع علمي خاص حيث تولد علم الاقتصاد الذي يتناول تفسير الحياة الاقتصادية بأحداثها وظواهرها وربط تلك الاحداث والظواهر بالاسباب والعوامل العامة التي تتحكم فيها (١) وهذا ما اتاحت الثورة الصناعية وكذلك تطور العلاقات وانتشار المذهب الشيوعي بسرعة مدهشة، الفرصة لعلم الاقتصاد ليعبر عن نفسه بصفة العامل الوحيد او من أهم العوامل التي تمتلك الموقف الرئيسي في عمليات التاريخ وتحدد الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاخلاقية وحتى الدينية، فانقسم العالم الى نصفين: شرق وغرب .. واقبل المذهب الاقتصادي الرأسمالي والشيوعي يكتسحان الاجواء كشكلين متناقضين، وقد ادى هذا التناقض المستقطب الى كوارث لا تعد ولاسيما في النصف الاخير من القرن الحاضر بالرغم من انه كان لهذا التناقض دوره الفعال

---

(١) راجع اقتصادنا ص ٦.

في الارتفاع بعلم الاقتصاد الى مصاف اهم العلوم الاجتماعية واكثرها تعقيداً . وتتلخص المشكلة الاساسية في الاجابة على هذا السؤال : ما هو المذهب الاقتصادي القادر على حل المشكلة الاقتصادية وماهي الطريقه المعادله لتوزيع الثروة على العوامل الرئيسة للانتاج (رأس المال والعمل والوسائل) :

ولكل من الشيوعية والرأسمالية والاسلام جواب مستقل على هذا السؤال

ومنذ المبدأ يجب تسجيل عدة نقاط

الاولى . تتفق المذاهب الاقتصادية على ان في الحياة الاقتصادية مشكلة يجب ان تعالج ، وانما الاختلاف في تحديدها وطريقة علاجها .

فالمشكلة في رأي الرأسمالية قلة الموارد الطبيعية للثروة وعدم قدرتها على تلبية الحاجات الحياتية للانسان التي تنمو باطراد ، فيؤدي الى التزاحم بين الافراد على اشباع حاجاتهم وتنشأ المشكلة وعلى ضوء هذه النظرية التي قررها (مالتس) تبنى هو الدعوة الى تحديد النسل تفادياً للمجاعة الهائلة في المستقبل والتي تنبأ بها على ضوء احصاءاته العلمية . والمشكلة في رأي الشيوعية تكمن في صميم التناقض بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع ، ومتى تم الوفاق بين ذلك الشكل وهذه العلاقات ساد الاستقرار في الحياة الاقتصادية .

والمشكلة في رأي الاسلام هي الانسان نفسه ، فالله تعالى حشد للانسان كل منافعه ووفر له الموارد الكافية لامداده بحياته وحاجاته المادية ، ولكن الانسان هو الذي سبب المشاكل الاقتصاديه بظلمه في حياته العملية المتجسد في سوء التوزيع وكفرانه بالنعم الالهيه المتمثلة في أهماله لاستثمار الطبيعة

الثانية انا في دراستنا للاقتصاد الاسلامي كما لا يجوز ان ندرسه مجزءاً بعضه عن بعض . كذلك لا يجوز ان ندرس مجموع الاقتصاد الاسلامي منفصلاً عن سائر كيانات المذهب ، بل يجب ان نعيه بوصفه جزءاً من مجموعة القوانين الاسلامية الذي ينظم قسماً من نواحي الحياة البشريه ، فمثلا يجب الالتفات الى ارتباط الاقتصاد الاسلامي بالعقيدة التي هي مصدر التعاليم الاسلامية ، وكذلك ارتباطه بكل من النظام الحكومي والنظام السياسي والاخوة العامه والعداله الاجتماعية والتضحية في سبيل المصالح العامه في الاسلام (١)

الثالثه . يجب ان لا ندخل العامل الذاتي في الدراسة كما صنع البعض ، بل يجب تمحيص هذه المفاهيم وبحثها في المجال الفكري بمعزل عن التعصب الفردي والمشاعر والاحاسيس المنحازة الى اتجاه خاص .

١ ـ الرأسمالية :

ترتكز الرأسمالية على أساس الملكية

---

(١) راجع نفس المصدر ص ٢٦٩ وص ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .

الفردية المطلقة (١) ولا تستهدف سوى الحصول على الربح الرأسمالي بعرضه العريض، ومن الطبيعي ان يولد هذا تناقضاً حاداً بين الرأسماليين لاينتج سوى قضاء القوى على الضعيف مما شكل أحد أسباب الفقر أضف الى ذلك انه يسبب تجمع الثروات في ايدى الاقوياء وذوى المواهب الفكرية والجسدية والفرص الطبيعيه، فيحتكرون عمليات الانتاج ويستولون على أسواق العالم لعرض منتجاتهم ، ومن هنا تنطبع الرأسماليه بطابع آخر سياسي بالاضافة الى الطابع الاقتصادي نظراً الى ان الدول الرأسماليه ـ باعتمادها على قدرتها العسكريه ـ وتحت شعار الاستعمار تسيطر على الثروات الطبيعيه والمواد الخام للشعوب الاخرى، فتعود الحرية الرأسمالية من افتك اسلحة الانسان بالانسان.

ونقطة الضعف الاساسية في النظام الرأسمالي التى تدفع به في النهاية الى قبره المحتوم ، استهدافها الربح كغايه . وذلك لان الراسمالي الذى يسعى للحصول على المزيد من الربح ـ وهو ينافس رقيبه في المعترك ـ يضطر الى توسيع نطاق الانتاج ليقدم السلعه للمشترى بثمن أقل ، فيواجه مشكلة قلة الربح نسبياً فاما ان يتجاوز القانون الحديدى للاجور **(وهو القانون الحاكم بلزوم خفض أجور العمال الى المستوى الضروري لمعيشتهم وعدم تصاعدها عن هذا المستوى)** ويخفض اجور العمال حتى عن المستوى المذكور ويضيف الى ساعات عملهم، وسيحتم ثورة العمال ضد النظام الراسمالي ، وتأسيس حكومة البروليتاريا على انقاضه واما ان يجدد ميزانية الانتاج ويحتفظ بربحه فتختل امور المعيشة ويدرس النظام الراسمالي .

وهكذا يتضح ان النظام الراسمالي اعجز مايكون عن تحديد المشكلة الاقتصاديه وحلها

٢ ـ الاشتراكية :

اطروحه يقدمها عدة من المفكرين يزعمون انهم يستهدفون من ورائها القضاء على عمليات الاستثمار والظلم النابعة من الراسمالية ، وتتلخص في محو الملكيه الخاصة، وتأميم وسائل الانتاج وتمتاز عن الراسمالية بارتكازها على العمل فهى ترى انه يجب من اجل القضاء على الراسمالية اعطاء العامل اجرة حسب عمله ، لان السبب الوحيد لنشوء الراسماليه في زعمها عبارة عن امتلاك الراسمالي ـ امتلاكاً غير مشروع ـ للقيمة الفائضة (اى الربح الناتج من بيع السلعه بعد اخراج مابذل في انتاجها من مواد اولية وغيرها) مع ان العامل

(١) للاقتصاد الرأسمالي بذرة علميه وبذرة مذهبيه لا ترتبط احدهما بالاخرى وليست الرأسمالية المذهبية وهى التى ترتكز على أركان منها الملكية الفرديه التى ذكرها المؤلف ولها اركان أخرى أيضاً . ليست نتيجة لعلم الاقتصاد ولا تستمد كيانها من القوانين العلمية . فمن الخطأ ان نطلق القول بأن الرأسمالية ترتكز على اساس الملكيه الفرديه ، فان البذرة العلمية للاقتصاد الرأسمالي لاترتكز على ذلك وليست الحريات الرأسماليه ضرورات علمية تحتمها القوانين الطبيعية .

راجع تفصيل هذه النقطة في المصدر السابق ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

هو الذى اضفى على السلعة المنتجه هذه القيمة

ويؤمن (ماركس) بالنظريه التى اشادها (ريكاردو) والقائلة بأن العمل البشرى المتجسد فى المنتوج الاساسى هو اساس قيمته التبادلية، ولذا تكون القيمة الفائضة حقاً للعامل يغتصبه الراسمالى بغير حق ، ومن هنا يتولد التناقض الطبقى ، فيجب ان يرتكز الاقتصاد الاشتراكى على اركان رئيسة

١ - تأميم وسائل الانتاج واعتبارها ملكاً للمجموع .

٢ - تثبيت الملكية العامة

٣ - محو الطبقية

٤ - التوزيع وفقاً لقاعده (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله) . (١)

ولنا حول هذا النظام ملاحظات:

١ - من الخطأ أن نعتبر العامل الاقتصادى هو العامل الاساسى فى حياة المجتمع كما تزعم الماركسية - فكم من تركيب طبقى كان يقوم على اسس سياسيه اودينيه اوعسكريه ، وليس من الحتمى اختفاء الطبقيه بازاله الملكية الخاصة بل يمكن ان يحدث للمجتمع الاشتراكى تركيب طبقى على اساس آخر . (٢)

٢ - قد يختلف الافراد فى الكفاءة الجسدية والفكريه ، مما يؤدى الى اختلاف قيم السلع المنتجة ، وليس بامكان النظام الاشتراكى آنذاك ان يقرر المساواة بين العامل الذى عمل ست ساعات والآخر الذى عمل اثنى عشر ساعة مثلا، او بين العامل الاعتيادى والعامل الموهوب بل يجب ان يقرر (لكل حسب عمله) ولا نجد الدولة فى ظل النظام الاشتراكى سوى ان تسلك احد طريقين

واما ان تطبق القانون الماركسى للقيمه الذى يفرض (لكل حسب عمله) فتزرع بذرة التناقض الطبقى من جديد ، واما ان تساوى بين الافراد، وتغتصب القيمة الفائضة التى تعتبرها الماركسية حقاً للعامل كما كان الراسمالى يغتصبها من قبل ! .

٣ - تعتبر النظام الاشتراكى العمل المتجسد فى السلعة مقياساً لقيمتها ويقصى عن حسابه موضوع اختلاف قيم المواد الخام الطبيعية ، وموضوع توفر السلعة وعدمه، وكذلك موضوع العرض والطلب(٣) وهذا يعنى ان ماركس اتبع فى استكشافه لقانون القيمة طريقة تجريدية بعيده عن الواقع الخارجى وتجاربه الاقتصاديه، ولا يمكننا ان نجعل من هذا القانون مقياساً ثابتاً للنظام الاقتصادى .

---

(١) و (٢) المصدر السابق من ١٩٠ - ١٩٥ .

(٣) لم تقص الماركسية عن حسابها نسبة العرض الى الطلب ومدى وجود الاحتكار فى السوق ، ذلك لانه حين آمن (ريكاردو) و (ماركس) من بعده بهذه النظرية (العمل اساس القيمه) أدركا بوضوح انها لا تنطبق على حالات الاحتكار التى تنعدم فيها المنافسة لان من الممكن فى هذه الحالات ان تتضاعف قيمة السلعة المحتكرة وفقاً لقوانين العرض والطلب التى يتحكم فيها المحتكرون دون ان تزيد كميات العمل المنفقة عليها ولذا اعتبر المنافسه التامة شرطاً اساسياً لقانون القيمة القائم على اساس العمل ، واعلنت الماركسية ان هذا القانون لا يسرى الى حالات الاحتكار. يراجع لاجل التوضيح المصدر السابق ص ١٥٢ و ص ١٥٦ .

٤ ـ أهمل النظام الاشتراكي الدور الذي تقوم به العواطف والاتجاهات الانسانية في صنع التاريخ ، وزعم ان التحولات في حياة المجتمع ترجع ـ جميعاً ـ الى تطور القوى المنتجة . ويلاحظ في هذا النظام السلطة التي يتناولها المروايتادها وهي سلطة دكتاتورية لا تملك أهم وسائل الانتاج فحسب ، وانما تملك ايضا القوى العسكرية والقيادية ، وليس هناك ما يمنع من تأثير الاتجاهات الخاصة والعواطف الفردية التي يمتلكها اشخاص الطبقة الحاكمة على الوضع الاقتصادي ، ومن الملاحظ ان الطبقة المحرومة التي كانت تمثل محو الطبيعة في ظل النظام الاشتراكي طبقة حاكمة مستأثرة بالسلطة بشكل غير محدود تتمتع بامكانيات سياسية واقتصادية واسعة النطاق تتيح لها التصرف حسب مصالحها الخاصة . فلم تربح الطبقة المحرومة شيئاً ، وانما استبدلت طبقة اشتراكية حاكمة بطبقة رأسمالية حاكمة وهما تحدد الحريات الانسانية التي تنمي الطاقات والمواهب، وبلغ النسبة بين الدخل المنخفض والدخل الراقي في روسيا كما قيل على العكس مما كان يتوقع

٥ % و ٥/١ % . (١)

٥ ـ تناست الانظمة الاقتصادية المادية ـ سواء الاشتراكية او الرأسمالية ـ المقام الانساني الرفيع وما يتمتع به من اخلاقيات ومعنويات، وقامت بمحاولة استنزاله الى الحياة المادية المحدودة ، ودرست حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية عن طريق تطوير الحياة المادية وتغيير الوضع الاقتصادي وشكل علاقات الانتاج وعلاقات التوزيع، مع اننا سوف نرى في دراسة الاقتصاد الاسلامي مدى تأثير المفاهيم الاخلاقية والقيم المعنوية في الوضع الاقتصادي .

مميزات الاقتصاد الاسلامي

المذهب الاقتصادي أو علم الاقتصاد ؟

هناك فارق جوهري بين المذهب الاقتصادي وعلم الاقتصاد ، فالمذهب الاقتصادي يشمل كل قاعدة أساسية في الحياة الاقتصادية تتصل بفكرة (العدالة الاجتماعية) وأما علم الاقتصاد فهو عبارة عن تفسير القوانين الاقتصادية بمقاييس علمية ومادية بحتة بصورة منفصلة عن فكرة (العدالة) اذاً الاقتصاد الاسلامي ليس علماً وانما هو عبارة عن طريقة عملية لتنظيم الحياة الاقتصادية وحل مشاكلها على أساس (العدالة الاجتماعية) . والخلط بين الطابع العلمي والمذهبي في البحث الاقتصادي لدى بعض اولئك الذين لم يجدوا في الاسلام بحثاً في الاقتصاد والانتاج والتوزيع نظير ما يجد في بحوث (آدم اسميث) و (ريكاردو) ، هذا الخلط هو الذي ادى بهم الى القول بان الاقتصاد الاسلامي ليس الا خيالاً . . . ولو عرفوا الفرق بين المذهب الاقتصادي وعلم الاقتصاد لتنازلوا عن تأكيدهم على عدم وجود اقتصاد اسلامي (٢)

العقيدة هي القاعدة الاساسية للاقتصاد :

عندما نريد ان ندرس الاقتصاد الاسلامي

---

(١) المصدر ص ٢٠٥ .

(٢) راجع بالتفصيل المصدر السابق ص ٣٤١ - ٣٤٦ .

حب ان ننتبه الى ماتناسته ساير الانظمة لاقتصادية ولاحظه الاسلاموفقا لمفاهيمهالخاصة ن الكون والحياة، وهو التركيب العام للانسان ماويه من كفاءات وعواطف واخلاق واف كار فطريـات ، ومصالحه الطبيعيـة والاجتماعيـة يستهدف الاسلام في المرحلة الاولى الارتفاع بقيمة الفكر الانساني عن المستوى المادي، وربطه بالايمان بمصدر الكون واليوم الاخر، بحيـث يشعر الفرد المسلم بمسؤولياته تجاه كـل شيء وكل عمل ، لانه يعتقد ان هناك قوة حكيمـة قادرة عالمة لايعزب عن علمها مثقال ذرة في الكون مالكة لكل شيء، تراقبه في تصرفاته ، فلايرى نفسه عبداً للثروة او هوى اوعلاقات مادية اخرى، بل هو مالك للثروة يتصرف فيها في حدود الادارة الالهية ، وفي المرحلة الثانية يقرر الاسلام الضمانات الكافية لتطبيق قوانينه ضمن أحساس الفرد بالمسؤولية واعتقاده بالثواب والعقاب الاخروي والقوانين الجزائية المقررة وماتتمتع به الدولة من قوة وهيمنة .

الملكية المسمية او المزدوجة :

يختلف الاسلام عن الرأسمالية والاشتراكية في نوعية الملكية اختلافاً جوهرياً فبينمايؤمن المجتمع الرأسمالي بالملكية الخاصة كقاعدة عامة ولا يعترف بالملكية العامه الا في حالـة ضرورية استثنائية. ويؤمن المجتمع الاستراكي بالملكية الاشتراكيه كمبدأ عام وليست الملكيه الخاصة في رأيه الا استثناءاً يضطر الى الاعتراف به احياناً يقرر الاسلام الاشكال المختلفة للملكية (الملكية الخاصة ، والملكية العامة ، وملكية الدولة) ويخصص لكل منها حقلا خاصاً يعمل فيه ولا يعتبر شيئاً منها شذوذاً وعلاجاً موقتاً اقتضته الظروف ومن الخطأ تسمية المجتمع الاسلامي مجتمعاً رأسمالياً ــ على أساس سماحه بالملكية الخاصة ــ او تسميته مجتمعاً اشتراكياً لانه أخذ بمبدأ الملكية العامة وملكية الدولة ذلك لانه ليست الملكية الخاصة ولا الشكل الاشتراكـي للملكية قاعدة عامة في رأيه ، كما ان من الخطأ ان يعتبره مزاجاً مركباً من هذا وذاك لان تنوع اشكال الملكية لايعني انشيئاً منها استثنائي او مبدأ عام في الاقتصاد الاسلامي ، بل التنوع يكشف عن تصميم قائم على اسس تناقض الاسس التي قامت عليها الرأسمالية والاشتراكية .

الملكية الخاصة :

لاشك في ان الاسلام اعترف بالملكية الخاصة في حدود معينه ، فيجوز للفرد المسلم الامتلاك بطرق مشروعة كالصيد والعمل والتجارة والارث وما اليها . ولا يجوز لاحد ان يتصرف في مال الغير من دون رضاه ، غير ان الاسلام يتدخل في تحديد نوعيه الحقوق المترتبة على هذه الملكية ويحفظ الاموال عن الضياع او سوء التنمية . فالقرآن الكريم يقرر ان المالك الحقيقي هو الله ، والانسان خليفته في الارض عليه ان يتصرف فيها حسبما يأمره ، فلايتمكن من اكتساب الثروة بطرق غير مشروعة كالربا والقمار والاحتكار والغصب والتزوير و . . . وبما ان الملكية الخاصه في رأي الاسلام مسؤولية اجتماعية فلو زاولها الفرد بشكل غير صحيح تسلب منه صفة المالكية وهذا هو الحكم المقرر بشأن السفهاء والمحجور عليهم ، وقد حرم

الاسلام الا لثمار وادخار الثروة ، وقرر ضرائب ثابتة كالخمس والزكاة ، ومتغيرة كالتي تأخذها الدولة وفقاً للصلاحيات التي تمتنع بها في الظروف الحرجة التي يواجهها المجتمع كل ذلك من أجل الحفاظ على التوازن الاقتصادي والمنع من تجمع الثروات في يد واحدة بل قد يقرر على ضوء بعض النصوص ان المجتمع في بادئ الامر هو المالك للثروة ، والفرد يملك سهماً منها عن طريق مشروع ، ويبقى السهام الاخرى ملكاً للمجتمع ، وطبعاً لايتنافى الاسلام وتحديد الملكية من أجل المصالح الاجتماعية . كما وعلته بعض المذاهب الاقتصادية بل يعتبر تعديل الوضع الاقتصادي للافراد من العوامل الاساسية لمحو الطبقة وخلق التوازن الاجتماعي كما نلاحظ ذلك بوضوح في المصارف التي حددها الاسلام للزكاة والخمس بوصفهما ضريبتين ثابتتين في رأيه (١)

الملكية العامة

وهي تعبير عن تملك الامة الاسلامية بامتدادها التاريخي لبعض الاموال على حد سواء دون اي امتياز لفرد او طبقة وقد طبقها الاسلام على بعض الاموال واليك قسماً منها .

١ ـ كل ارض دخلت دار الاسلام نتيجة للجهاد المسلح في سبيل الدعوة اذا كانت عامرة وقت الفتح بسبب جهود بشرية سابقة فهي ملك عام للمسلمين جميعاً ، من وجد منهم ومن يوجد ، ويتولى النبي (ص) او الامام (ع) بوصفه ولي الامر رعايتها ويتقاضى من المنتفعين بها خراجاً خاصاً يقدمه المزارعون اجرة على انتفاعهم بالارض ، ويصرف الخراج في سبيل المصالح العامة .

٢ ـ كل ارض يمتلكها المسلمون عن طريق صلح (١) شرط ان ينص عقد الصلح على تملك المسلمين لها فتخضع للملكية العامة ولايجوز لاحد ان يتصرف فيها على اساس الملكية الخاصة (٣)

٣ ـ المياه الطبيعية المكشوفة على سطح الارض كالبحار والانهار والعيون ، وكذلك المياه المكنوزة في اعماق الارض كمياه الابار كلها خاضعة لمبدأ الملكية العامة ، ويسمح الاسلام للافراد جميعا بالاستفادة منها ، وطبعاً لو اكتشف انسان عيناً بالحفر والعمل يصبح اولى بها من غيره ، وليس لمن لم يشاركه في عملية الاكتشاف ان يزاحمه في الانتفاع بها لكنه ـ في رأي بعض الفقهاء ـ لايملك نفس العين الموجودة في اعماق الطبيعة ، لان المادة لاتزال من المشتركات العامة ، وانما حصل

(١) راجع المصدر السابق ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠ .

(٢) اي الارض التي هجم عليها المسلمون لفتحها فلم يسلم اهلها ولا قاوموا الدعوة بشكل مسلح ، بل ظلوا على دينهم ورضوا بأن يعيشوا في كنف الدولة الاسلامية آمنين .

(٣) وهنا ايضاً يفرض عليها الخراج ويصرف في المصالح العامة . ويجب ان ننتبه الى ان هذا الحكم يختص بأرض الصلح العامرة بشرياً وأما أراضي الصلح العامرة طبيعياً كالغابات وما اليها وكذلك ايضاً الموات منها فالقاعدة فيها هي ملكية الدولة مالم تكن قد ادرجت في عقد الصلح ، راجع المصدر ص ٤٢٤ .

تشف حق الاولوية بها ، فيجب عليه اذا
، حاجته من الماء بذل الزائد للاخرين
يجوز ان يطالبهم بمال عوضاً عن شربهم
، حيواناتهم .

٤ ـ الموادالاوليةفى الارض كالنفط والملح
كبريت والياقوت والذهب والفضة والحديد
حاس ـ على رأى بعض الفقهاء ـ تعتبرمن
شتركات العامة ، ويسمح الاسلام للافراد
حصول على قدر حاجاتهم منها دون ان يتملكوا
جميعها الطبيعية (وطبعاً هذا لا يشتمل على المواد
ستخرجة من المعادن) .

ملكية الدولة

وتعني هذه الكلمة تملك المنصب الالهي
الدولة الاسلامية الذي يمارسه النبي (ص)
الامام (ع) لبعض الاموال . وقد اعترف
سلام بهذا الشكل من الملكية حفظاً للتوازن
جتماعي ومنعاً من تسرب الارباب الاقتصادية
نابعة ـ عادة ـ عن تراكم الثروات وتجمدها
أيادي معدودة الى المجتمع الاسلامي
ذي يعيش في ظل حكومة الهية تعتبر نفسها
ؤولة عن مراقبته وحل مشاكله الاجتماعية
لسياسية والاقتصادية وسائر جوانبه الحياتية
حل نطاق القوانين الاسلامية .ولنلاحظ بعض
احوال التي تخضع لمبدأ ملكية الدولة في
ى الاسلام :

١ ـ الاراضي التي امتلكها المسلمون
ون جهاد مسلح ،والاراضي غير العامرة، والاراضي
التي سلمها أهلها للدولة الاسلامية طوعاً ،
والاراضي التي انقرض أهلها .

٢ ـ الغابات والصحارى الشاسعة القاحلة ،
والمراتع المستقرة على قمم الجبال .

٣ ـ الثروات التي يستولي عليها الملوك
ويعتبرونها ملكاً خاصاً لهم ، وكذلك ايضاً
التركة التي يخلفها الميت ان لم يكن له وارث

٤ ـ المعادن على راى بعض الفقهاء.

٥ ـ الغنائم التي توفرها الحرب غير المشروعة
للمحاربين ، والحرب غير المشروعة هي التي
لا يقودها الامام (ع) لامباشرة ولا بصورة غير
مباشرة .

هذه هي الاشكال الثلاثة للملكية في الاسلام،
والاخيران وان اتفقا في نقطة هي رفض الملكية
الخاصة في مواردهما واستثمارها في مجال
المصالح العامة ، ولكن ينعكس الفارق بينهما
على طريقة الاستثمار ، فالثروات الخاضعة
للملكية العامة يجب على ولي الامر استثمارها
لاشباع حاجات الامة ككل كأنشاء المستشفيات
وتوفير العلاج وتهيئة مستلزمات التعليم . . .
وغير ذلك مما يخدم مجموع الامة ولا يجوز
استخدامها لمصلحة جزء معين من الامة مالم
ترتبط مصلحته بمصلحة المجموع ، واما املاك
الدولة فكما يمكن ان تستثمر في مجال المصالح
العامة للمجموع ، كذلك يمكن استثمارها
لمصلحة معينة . (١) «للبحث صلة»

---

(١) اقتصادنا ص ٤١٤ ـ ٤١٥ .

النبي والرسول

في الكتاب الكريم

الشيخ جعفر سبحاني

لقد وصف الله (تعالى) في كتابه الكريم اناساً بالرسالة والنبوة والامامة. ومدح الذين صدقوهم واقتفوا آثارهم، وذم العصابة الذين كانوا يكذبونهم ويخالفونهم، واوعدهم بالعذاب الشديد، ويجب - والحالة هذه - ان نتعرف عليهم بصفاتهم التي يتميزون بها عن غيرهم، وقد اضطربت كلمات المفسرين واصحاب المعاجم في تحديد تلكم المفاهيم القرآنية وجاءوا بفروق لايوافق الكثير منها الذكر الحكيم اذ لم يستعينوا في استيضاح المراد بالرجوع الى نفس القرآن، ونحن نذكر تلكم الفروق ثم نردفها بما اوصلنا اليه التدبر في الآيات، وما ننقله عنهم مذكور في كتب القوم تفسيراً ولغة.

لقد اصفق القوم الامن شذ (١) على نفي الترادف بين النبي والرسول، استناداً الى ظهور كثير من الآيات، واليك منها مايدل على مغايرتهما:

١ - الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذين يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل - الاعراف ١٥٧ -.

٣ - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في

---

(١) فروق اللغة، للجزائري ص ١٠٧.

امنيته»ـ الحج ٥٢ ـ .

٤ ـ واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً ـ مريم ٥١ ـ

٥ ـ واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً ـ مريم ٥٤ ـ .

وهكذا ترى أنه سبحانه يعطف الرسول على النبي ، وهو آية اختلافهما في المعاد وتوهم انه من قبيل عطف المرادف على مثله خلاف الظاهر ، لاسيما في قوله سبحانه : وما أرسلنا من رسول ولانبي . . . الاية .

ودونك الفروق المذكورة في كتب القوم (١) :

الفرق الاول

الرسول اخص من النبي ، فهو من اوحى اليه وامر بالتبليغ ، والنبي من اوحى اليه ، سواء امر بتليغه أم لم يؤمر ، وهذا هو المشهور بينهم ، نقله واختاره لفيف من المفسرين . (٢)

ولعل القائلين به ، استندوا الى الوجه التالي :

«النبي» صفة مشبهة زنة اللازم ـ بمعنى ذي النبأ والمطلع عليه ـ وكون الانسان صاحب نبأ وخبر ، لايلازم كونه مأموراً بابلاغة واعلانه ، فيصير عند ذاك أعم من أن يكون مأموراً بتبليغه .

نعم لو قلنا بأن «فعيل» بمعنى «فاعل» والنبي بمعنى المنبيء عن الغيب والمبلغ الخبر الخطير ، فربما يكون مشعراً بكونه مأموراً باعلانه ولكن الاشعار غير الدلالة ، اذ لا ملازمة بين الانباء عن الغيب وبين كونه مبعوثاً الى هداية الناس ، وانهم ملزمون باطاعته والانقياد اليه في مايأمرو ينهى .

---

(١) هذه الفروق كلها تشير الى أمر واحد ، وهو جعل الرسول اخص من النبي بوجوه مختلفة ، اختار كل واحد منها قوم ، غير انه طلباً للوضوح بحثنا عن كل واحد مستقلا .

(٢) التبيان ج ٧ ص ٣٣١ ـ مجمع البيان ج ٧ ص ٩١ ـ تفسير الجلالين في تفسير آية ٥٢ من سورة الحج ـ المنار ج ٩ ص ٢٢٥ ـ وغيرها .

اما «الرسول» فهو عبارة عن من تحمل رسالة من ابلاغ كلام او تمهيد عمل من جانب مرسله .

قال الراغب : «الرسول» يقال تارة للقول المتحمل ، كقول الشاعر :«الا أبلغ أبا حفص رسولا» وتارة لمتحمل القول والرسالة (١) وعند ذاك فاللفظ بماله من المعنى ، يدل على ان الرسول من بعث الى الغير لتمهيد رسالة كلف بحملها من قبل مرسله .

هذا غاية مايمكن ان يوجه به هذا القول .

ولكن يمكن مناقشته بوجوه

١ ـ انه سبحانه وصف النبيين عامة بكونهم مبشرين ومنذرين وقال : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب ـ البقرة ٢١٣ ـ .

وظاهر الاية يعطي أن كل نبي كان مبشراً ومنذراً ، وهل التبليغ الا التبشير والانذار ، سواء كان التبشير بشريعته او بشريعة من سبقه من الانبياء .

نعم ان في الاية احتمالا آخر تسقط معه المناقشة ، وهو أن المراد من النبيين فيها القسم الخاص منهم لاجميعهم ، بقرينة قوله سبحانه «وانزل معهم الكتاب» اذ من المعلوم انه لم يكن لكل نبي كتاب ، فالكتب السماوية محدودة معدودة ، لاتتجاوز المأة واربعة كتب (٢) وعلى هذا فالاية تدل على أن كل نبي أنزل عليه كتاب ، يكون مبعوثاً ومأموراً بالتبشير والانذار لاأن كل من كان نبياً وان لم يكن معه كتاب كان مأموراً بالتبليغ والتبشير والانذار .

٢ ـ ان القرآن ينص على عدم خلو نبي عن عدو من المجرمين من الانس والجن ، قال سبحانه : «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً» ـ (الانعام ـ ١١٢) وقال تعالى: «وكذلك

---

(١) المفردات ص ١٩٥ .

(٢) سوف يوافيك مايدل على ذلك فانتظر .

جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً» ـ الفرقان ـ ٣١ ـ
وعلى هذا يمكن أن يقال : لما كان كل نبي مأموراً بمكافحة الفساد وتطهير المجتمع البشري من كل عمل اجرامي ، لم يخل نبي عن عدو صار من الانس والجن ، ولو لم يكن كل نبي مأموراً بالارشاد والهداية ، ومكافحة الشر والفساد ، لم يكن للحكم بثبوت عدو لكل نبي على نحو الاستغراق الكلي وجه .

وهذا التوجيه لايخلو من وهن ـ فان للعداوة عللا واسباباً غير الدعوة الى الحق ، اذ ان كثيراً من الناس يبغضون من ليس على شاكلتهم وان لم يكن بينه وبينهم أية صلة ، والعصابة الضالة الجاهلة عدوة للصلحاء من الناس ، ولو فرض الصالح حيادياً تجاه فكرتهم العادية وعقيدتهم ، غير متعرض لشيء من اعمالهم وافعالهم من ذم او تنديد .

٣ ـ ان **الرسول** صفة مشبهة اخذت من فعل لازم وليس هو بمعنى المرسل الى الناس ، ولا الرسل بمعنى المرسلين اليهم . ويؤيد ذلك وقوع لفظ الرسول مفعولا لارسل في كثير من الايات ، كقوله تعالى : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ـ التوبة ٣٣ ـ .

وهذا الوجه لايصلح لان يكون رداً على هذا القول ، اذ ان الرسول وان كان مأخوذاً من الفعل اللازم ، الا ان لمعناه خصوصية تستدعي الاضافة الى الغير ، كسائر المعاني الاضافية والمسببية ، فان الرسول عبارة عن صاحب الرسالة وهي من المعاني ذات الاضافة ، تستدعي مرسلا (بالكسر) ورسولا ومرسلا اليه ، كالدخول الذي يتقوم معناه بالداخل والمدخول فيه ، وبهذا يتضح ان الرسول وان كان مأخوذاً من صيغة فعل لازم ، الا ان مفهوم الرسالة لايستقيم الا بوجود المرسل اليه .

واما وقوعه مفعولا لارسل ، فلا دلالة فيه على مارتآه ، اذ هو من قبيل «من قتل قتيلا له به بينة فله سلبه» (١) ويؤيد ذلك ان «المرسل» الذي لاريب في انه بمعنى المبعوث الى الغير ، قد وقع مفعولا لارسل ايضاً ، قال تعالى : «ومانرسل المرسلين

---

(١) نقله اصحاب السير عن النبي الاعظم (ص) راجع الاموال ٤٢٢ للحافظ ابي عبيد .

الا مبشرين ومنذرين» (الانعام – ٤٨ – و(الكهف ٦٥)وقال عز من قائل: «وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام» – الفرقان ٢٠ – .

٤ – لو كان الرسول اخص من النبي ، لكان اشرف وامثل منه .وذلك يناسب تقديم لفظ النبي على الرسول عند اجتماعهما في كلام واحد ، لان ذكر الخاص بعد العام اوقع وانسب ، والتدرج من الداني الى العالي او منه الى الاعلى احسن وابلغ ، مع ان الوارد في القرآن هو العكس . قال تعالى : «واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً» – مريم ٥١ – وقال سبحانه : «انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً مريم – ٥٤ – (١) ومما يبعث على العجب ، تفسير النبي في الآيتين بمعنى الرفيع مناراً والاعلى منزلة . قائلا بانه مشتق من النبوة اي الرفعة وعدم صحة هذا المبنى في غاية الوضوح ، فان الظاهر انه مشتق من النبأ ، لا من النبوة ، وعلى فرض صحته فالحمل عليه صعب جداً ، لكونه منقولا الى المعنى المصطلح ولم يستعمل هذا اللفظ وما اشتق منه ، معنى النبوة ، في القرآن ولا في الاحاديث الشريفة .الا في المعنى الدارج الشائع في قوله تعالى «وما كان لبشر أن يؤتيه الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله» مضافاً الى ان هذا لايتفق مع قوله سبحانه «وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» – الحج ٥٢ – اذ لايصح تفسير النبي فيه الا بالمعنى المصطلح . ثم ان صاحب المنار لما اختار هذا الفرق وجه تقديم الرسول على النبي في قوله سبحانه «الذين يتبعون الرسول النبي الامي» بكونه اهم واشرف (١) ولا يخفى عدم صحة هذا الكلام في قوله سبحانه : «انه كان رسولا نبياً» ولافي قوله : وما أرسلنا من رسول ولا نبي».

٥ – ان ماذكر من الوجه لايصح في قوله سبحانه : «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته» – الحج ٥٢ – فاذا كان الرسول

(١) قال سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي في ميزانه : والآيتان في مقام المدح والتعظيم ولا يناسب هذا المقام ، التدرج من الخاص الى العام . الميزان ج ٢ ص ١٤٥ .

هو النبي المبعوث الى الناس يكون المقصود من عديلهاعنى النبي ، غير المبعو
منهم فقط ، وان المبعوث منهم الى الناس داخل في الرسول وعند ذاك لايستقيم مع
الاية ، وينافيه قوله سبحانه : «ماارسلنا من قبلك» .

* * *

الفرق الثاني

الرسول هو الذي أنزل معه كتاب ، والنبي أعم ، وهو الذي ينبیء عن
وان لم يكن معه كتاب ، قال الزمخشري : قوله سبحانه : «ماأرسلنا من رسول
نبي . . .» دليل بين على تغاير الرسول والنبي ، وعن النبي (ص) انه سئل عن الا
فقال : مأة الف واربعة وعشرون الفاً ، قيل : وكم الرسول منهم ؟ قال : ثلاث
وثلاثة عشر جماً غفيراً . (١)
والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة ،الكتاب المنزل
والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر ان يدعو الناس الى شر
من قبله (٢) .

وقال في تفسير قوله سبحانه «واذكر في الكتاب موسى . . .» - مريم ٥١
الرسول ، الذي معه الكتاب من الانبياء ، والنبي من ينبیء عن الله عز وجل
لم يكن معه كتاب كيوشع (٣) .
وهذا الوجه لادليل عليه سوى ماعرفته من تفسير الرسول بكونه ذا رسالة ، واستلز
كون المبعوث ذاكتاب ،وينتج كون الرسول من انزل معه الكتاب ، وهو ضع
جداً ، فان تخصيص الرسالة بالكتاب ، مع امكان تحملها بغيره لاوجه له .
ويمكن الاستدلال عليه بقوله سبحانه: «لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الك

(١) رواه الصدوق في معاني الاخبار ص ٩٥ والخصال ج ٢ ص ١٠٤ .
(٢) الكشاف ج٢ ص ١٦٥ و ص ٣٥٢ ، تفسير النيسابوري ج ٢ ص ٥١٣، ونقله ال
في ج ٢٣ ص ٤٩ والبيضاوي ج ٤ ص ٥٧ والمجلسي في بحاره ج ١١ ص ٣٢ .
(٣) الكشاف ج ٢ ص ٢٨٢ .

والميزان . . .» (الحديد - ١٩ -) فان ظاهر الاية ربما يوحي بان كل رسول مرسل من قبل الله سبحانه ، قد انزل معه كتاب . وتوجيه الاية على هذا الوجه لايخلو من وهن لوجهين :

اما اولاً: فلانه منقوض من جانب الرسول ، فهذا هو القرآن ، وصف اناساً بالرسالة مع انه لم يكن مع واحد منهم كتاب . قال سبحانه : «واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا » - مريم ٥٤ - وقال عز من قائل : «كذب اصحاب الايكة المرسلين ، اذقال لهم شعيب الا تتقون ، اني لكم رسول امين - الشعراء ١٧٦ ، ١٧٧ - وقال سبحانه : «اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون ، اني لكم رسول أمين » - الشعراء ، ١٦١ - .

وهذه العصابة من الرسل لم يكونوا اصحاب كتب سماوية ولم يذكر أحد من قدماء الباحثين والمتأخرين كتاباً لهم . وما عرى اليهم أحد من أصحاب الملل وكتاب السير والتاريخ كتاباً وماجاء لكتبهم ذكر في الاحاديث الشريفة ، وفي مثل هذا المورد ، يصح ان يستدل بعدم الوجدان على عدم الوجود .

وقال سبحانه : «ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم . قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » - التوبة ٧٠ - فقد بعث الله هوداً الى عاد وصالحاً الى ثمود، وشعيباً الى مدين ، وعدتهم الاية من الرسل ولم تثبت لواحد منهم كتاب . نعم نص القرآن على صحف ابراهيم وقال : « صحف ابراهيم وموسى » - الاعلى ١٩ - كما نصت الروايات على كتاب نوح (١) .

واما تأييد هذا الوجه بقوله سبحانه : «ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب » الحديد ١٩ - حيث ان ظاهر الاية ان كل رسول أنزل معه كتاب - فهو ضعيف اذ من المحتمل جداً ان يكون المراد منها الكتب التشريعية الخمسة المعروفة او مع غيرها مما يقاربها ، والمراد من الاية أن هذه الكتب كانت اساس دعوتهم ومحور كلامهم ، سواء انزل الكتاب على نفس الرسول ، ام نزل على الرسول قبله ؛

(١) اخرج الصدوق في عيونه ص ٢٣٤ عن ابي الحسن الرضا . . . ان كل نبي بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه الى زمن ابراهيم الخليل - راجع البحار ج ١١ ص٤٠

وكان المتأخر منهم مأموراً بتبليغه واتباعه بالعمل على وفقه (١) .

على أنك لولاحظت موارد استعمال «الكتاب» في القرآن المجيد ، لقضيت بان ليس المراد من استعمال الكتاب فيه فيماذا اريد منهالكتاب السماوىالاالكتب التشريعية لاصحاب الشرائع الخمسة حتى ان زبور داودمع كونه كتاباً سماوياً لم يطلق عليه الكتاب .

وعلى هذا النحو يوجه قولهسبحانه : «كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب » اذ من الواضح انه لم يكن لكل نبي كتاب

فالمراد ان تبشيرهم وانذارهم ، كان على أساس الكتب النازلة على صحفهم سواء كان الكتاب نازلا على نفس المنذر ، اوعلى نبي قبله ، وانما كان هو مأموراً بتبليغ شريعته ودينه .

ثانياً: ان هذا القول لايلائم مع ما رواه الفريقان في عدد المرسلين والكتب، عن أبي ذر ، انه قال : قلت : يارسول الله كم النبيون؟ قال : مأة الف واربعة وعشرون الف نبي ، قلت : كم المرسلون منهم؟ قال ثلاث مأة وثلاثة عشر جماً غفيراً .. الى ان قال : قلت : يارسول الله ! كم انزل الله من كتاب قال مأة كتاب واربعة كتب ، انزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشرين صحيفة، وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان (٢) .

ولم يذكر فيه كتاب نوح ـ ولعله لم يكن في مقام الحصر والعد . روى صاحب الاختصاص تلك الرواية بسنده عن الصادق (ع) بصورة اخرى تختلف عن ماتقدم في عدد الانبياء قال : يارسول الله ! كم بعث الله من نبي ؟ قال (ص) : ثلاث مأة الف

(١) على انه لوصح الاستدلال بقوله سبحانه وانزلنا معهم الكتاب ، على ان كل رسول انزل معه كتاب ، فليصح الاستدلال بقوله سبحانه (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب) على ان كل نبي كان معه كتاب .

(٢) معاني الاخبار ص ٩٥ ـ الخصال ج ٢ ص ١٠٤

وعشرين الف نبي . قال : يارسول الله ! كم المرسلون ؟ فقال ثلاث مأة وبضعة عشر . قال : يارسول الله كم انزل الله من كتاب ؟ وقال : مأة كتاب واربعة وعشرين كتاب . انزل على ادريس خمسين صحيفة ، وهو «اخنوخ» وهو اول من خط بالقلم . وانزل على نوح(١) وانزل على ابراهيم عشراً . وانزل التوراة على موسى والزبور على داود ، والانجيل على عيسى والقرآن على محمد (ص) (٢) .

نعم روى في الاختصاص ايضاً عن ابن عباس انه قال : اول المرسلين آدم وآخرهم محمد (ص) وكانت الانبياء مأة الف واربعة وعشرين الف نبي ، الرسل منهم ثلاث مأة . . . الى ان قال : والكتب التي انزلت على الانبياء مأة كتاب واربعة كتب ، منها على آدم خمسون صحيفة وعلى ادريس ثلاثون وعلى ابراهيم عشرون وعلى موسى التوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد (ص) الفرقان (٣).

فالرواية على ماترى ، متفاوتة في حصر عدد الانبياء والكتب ومن نزلت اليهم هذه الصحف الا انها تنص على قلة الكتب عن الرسل ، وان الرسل كانوا اكثر من الكتب المنزلة باضعاف ، فكيف يمكن القول بان الرسول من انزل عليه كتاب ؟! . وسنوافيك بالفروق الاخرى بين اللفظين في مايأتي باذن الله .

---

(١) كذا في النسخ .

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ٦٠ .

(٣) بحار الانوار ج ١١ ص ٤٢ ـ الكشاف ج ٢ ص ٣٥٢ .

حروف مضيئة

□ أتحسبون الشدة في حمل الحجارة ، انما الشدة أن يمتلي احدكم غيظاً ثم يغلبه

الرسول الاعظم (ص)

□ وليكن أبعد رعيتك منك ، وأشنؤهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فان في الناس عيوباً : الوالي احق من سترها ، ولا تكشفن عما غاب عنك منها . فانما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك

الامام امير المؤمنين (ع)

في كتابه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر

□ فأنار الله بأبي محمد (ص) ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الابصار غممها .

الزهراء (ع)

□ علم الناس علمك ، وتعلم علم غيرك ، فتكون قد اتقنت علمك ، وعلمت مالم تعلم .

الامام الحسن(ع)

- من دلائل العالم انتقاده لحديثه وعلمه بحقائق فنون النظر .

الامام الحسين (ع)

- أبغض الناس الى الله من يقتدي بسنة امام ولا يقتدي بأعماله .

الامام السجاد (ع)

- من عمل بما يعلم علمه الله مالا يعلم .

الامام الباقر (ع)

- اني لأملق أحياناً فأتاجر الله بالصدقة .

الامام الصادق (ع)

- عونك للضعيف من افضل الصدقة .

الامام الكاظم (ع)

- وافضل العقل معرفة الانسان نفسه .

الامام الرضا (ع)

- من استفاد أخاً في الله ، فقد استفاد بيتاً في الجنة .

الامام الجواد (ع)

- أذكر حسرات التفريط ، بأخذ تقديم الحزم .

الامام الهادي (ع)

- ما أقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذله .

الامام العسكري (ع)

- فما ارغم انف الشيطان شيء افضل من الصلاة ، فصلها وأرغم الشيطان أنفه .

الامام المهدي (ع)

عبد الله بن سبأ

بين الواقع والخيال

«٣»

بقلم : السيد هادی خسروشاهی

بحثنا في العددين الاول والثاني من مجله الهادی حول موضوع عبد الله بن سبأ وقصته باختصار وقلنا :

اولا : ان ما نسب الى «عبد الله بن سبأ» ـ اليهودي المزعوم الذي اسلم لهدم الاسلام ! ! ـ من العقائد والوقايع . انما هي قصص اخترعها الحاقدون على الاسلام في القرون الماضية، ليمزقوا وحدة الامة الاسلامية . . .

ثانياً : ان عبد الله بن سبأ وقصصه المختلقة ، اسطورة وهمية وخيالية ، بعيدة عن التحقيق التاريخي كل البعد ، وادلة الباحثين المنصفين القدامى والمتأخرين ـ من السنة والشيعة ـ تدل على ذلك بوضوح .

وفي هذا العدد ، نشير الى موجز من دراسة احد علماء الشيعة الكبار المعاصرين ، الذين درسوا الموضوع بدقة عميقة واهتمام بالغ . . .

وفي العدد القادم ، ننهي المقال بعون الله .

✧ ✧ ✧

تحقيق سماحة العلامة الاستاذ السيد مرتضى العسكرى

من الباحثين المتتبعين الذين يرون ان قصة ابن سبأ اسطورة وخرافة لااساس لها ، المفكر الشيعي الكبير ، سماحة السيد مرتضى العسكرى وله تحقيق عميق وبحث كامل حول قصة ابن سبأ وقد ضمن نتيجة دراساته وبحوثه في كتاب قيم اسماه «عبد الله بن سبأ» في جزئين ، ، ونشر الجزء الاول وطبع عدة مرات في بغداد والقاهرة واما الجزء الثاني فقد طبع بطهران ، سنة ١٣٩١ ﻫ .

ان العلامة العسكري ايدرس الموضوع والأدلة التاريخية ويتتبع القصة ومصادرها ويصل الى ان المصدر التاريخي الوحيد ، لها هو « تاريخ الطبرى» لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ ﻫ . وهو يروي ذلك عن طريق راو واحد يسمى «سيف بن عمر التميمي» ! .

وقد ذكرنا نحن في اوائل بحثنا هذا نص رواية الطبري عن سيف بن عمر وشاهدنا انها كانت تشير بصورة مجملة الى عبد الله بن سبأ .

ولكن المؤلفين الذين جاءوا بعد الطبري ، اضافوا لها وزادوا فيها كل ما يريدون ، مع تصريحهم بان مايعتمدون عليه هو تاريخ الطبري وليس في المصادر التاريخية المهمة اية اضافات من قبيل مايذكرونه فيها .

وهذه الاضافات والزيادات ـ وبعبارة اوضح هذه التهم والافتراءات ـ تكاثرت شيئاً فشيئاً على مر الزمان الى أن وصل الامر بالمغرضين والحاقدين من الكتاب المعاصرين ، انهم حينما يتعرضون للحديث عن الشيعة ينسبون بعض افكارهم وعقائدهم الى ابن سبأ دون الاعتماد على أي دليل تأريخي .

وفي كتاب عبد الله بن سبأ نرى أن الراوي الوحيد لهذه القصة هو «سيف بن عمر» ليس غير فمن الضروري بيان ترجمته لنتعرف على قيمة رواياته من خلالها .

من هو سيف ؟ :

هو سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي مؤلف كتاب «الفتوح والردة» وكتاب «الجمل ومسير عائشة وعلي» وقد توفي سنة ١٧٠ ﻫ في عصر خلافة هارون

الرشيد . ولا شك ان شخصية أي راو تتضح بمراجعة كتب الرجال ومقالات اهل الجرح والتعديل وبعد أن تتحددمعالم شخصيته نعرف مدى قيمة رواياته .

ان سيف كما يذكره صاحب كتاب «الفهرست ، وميزان الاعتدال ،وتهذيب التهذيب (١)» كان ضعيف الحديث . عديم القيمة لانه يروى عن مجهولين ورواياته منكرة وانه متهم بالزندقة وجعل الحديث» (٢) .

وفي كتاب «الاصابة» ، والاستيعاب جاء ان «سيف متروك وضعيف،ولا اعتبار لاحاديثه» (٣) .

وهذا «جلال الدين السيوطي» في كتاب «اللئالي المصنوعة» ينقل عنه حديثاً واحداً فقط ومع ذلك فانه يعقب قائلا :

«هذا الحديث موضوع ، وفيه ضعفاء اشدهم سيف» (٤)

* * *

ومن اهم دوافع «سيف»اخلق هذه الاسطورة ونشرها فى التاريخ الاسلامي هي:

اولا: التعصب القبلي الى تمجيد العدنانيين ونشر فضائلهم ، ثم الوقيعة فى القحطانيين من قبائل اليمن ونشر معايبهم ، وبما أن السلطة كانت في قبائل عدنان مدى خلافة الخلفاء الاوائل ثم الامويين الى عصر سيف وكانت الفئات المعارضة لهم من آل قحطان ، لهذا يخيل للباحث ان سيفاً يضع الرواية ويختلق الاسطورة للدفاع عن أصحاب السلطة والحط من مساوئهم ، بينما هو يعمل ما يعمل بدافع التعصب القبلي لعامة عدنان ضد عامة قحطان .

ثانياً: تدفعه الزندقة الى تشويش معالم التاريخ الاسلامي ،وتشويه حقائقه،

---

(١) : الفهرست لابن النديم ص ١٣٧ وميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص ٤٣٨ رقم ٣٥٨١ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٩٧

(٢) : عبد الله بن سبأ ج ١ ص ١٧ الغدير للاميني ج٨ ص ٨٤ و ٨٥ .

(٣) : الاصابه ج ٣ ص ٢٣٠ والاستيعاب ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) . اللئالى المصنوعه فى الاحاديث الموضوعه رقم ٢٣٣ . عبد الله بن سبأ ج ١ ص ١٨ و ١٤٠ و ١٤١ الغدير للاميني ج ٨ ص ٨٤ و ٨٥ .

ولذلك صحف اسماء كثيرة وحرف اخبارها وغير سني الحوادث التاريخية واختلق الاساطير وقلب الحقائق ودس الخرافات في عقائد المسلمين الى غير ذلك مما فعل!

ولعل الاهم من كل ذلك ابرازه الجيوش الاسلامية في فتوحها قاسية متوحشة، واظهار حروبها حروب ابادة للمشرية ، ومن هنا زعم بعضهم ان الاسلام انتشر بالسيف والدم . (١)

ثم نمت الاسطورة المذهبية وتطورت على افواه الناس حتى دلت في القرن الثالث على من يعتقد الالوهية للامام علي بن ابي طالب .

واخيراً نسي المدلول السببي السبئية في كل مكان ، ولم يتبادر الى ذهن السامع من لفظة السبئية غير المدلول المذهبي اي المعتقد بوصاية علي او الوهيته .

وكذلك الامر في ابن سبأ فقد نسي (عبدالله بن سبأ) رئيس الخوارج واشتهر عبد الله بن سبأ الذي اخترع المذهب المزعوم الاول او الثاني على حد زعمهم والتبس الامر على العلماء ـ احياناً ـ واخطأوا في فهم بعض الاخبار التي تخص الاول وظنوا أنها تخص الثاني واستمر هذا اللبس طوال القرون الماضية .

على ان اللبس لم ينحصر بهما بل مثلهما في ذلك مثل التحريف والتصحيف اللذين وقعا في الاف الكلمات مما احصاها العلماء في مؤلفاتهم وما فاتهم التنبيه عليها حتى اليوم اكثر .

وكذلك الامر بالنسبة الى سيف وانه لم ينحصر تحريفه وتصحيفه بهذين اللفظين فحسب بل مثلهما عنده مثل فعله في غيرهما مما ذكرنا بعضها في مؤلفاتنا .

ويختلف تحريف سيف وتصحيفه عن غيره في انه من الجائز ان يكون التحريف من غيره وقع خطأ وعلى غير عمد، بينما هو عامد في فعله ويقصد الدس والتشويش بدافع الزندقة ، بالاضافة الى تعصبه لقبيلته .

ويختلف ـ ايضاً ـ تحريفه واختلاقه عن غيره في انه دس واختلق وحرف وصحف موافقاً لهوى السلطات ورغبة مختلف طبقات الناس وبذلك ضمن لما اختلق ودس وحرف الرواج والانتشار المدهش مدى العصور .

---

(١) «عبد الله بن سبأ» ج ٢ ص ٦ .

وخفي على العلماء امرها كما خفي عليهم اختلاق سيف عشـرات الصحابة والرواة والشعراء وكذلك اختلاق اخبارهم . (١)

اذاً فليس امر التحريف والاختلاق في ابن سبأ والسبئية بمستغرب مـن سيف وليس بمستغرب خفاء امرهما على العلماء مدى العصور بل هما موافقان للقواعد المألوفة في نظائرهما .

* * *

اما الروايات التي رويت في الكتب عن ائمة اهل البيت وفيها ذكر ابن سبأ فنقول فيها :

ان الرواية لاتصير غير الموجود موجوداً وقد مر علينا في البحث عن كلمة عبد الله بن سبأ انه لم يوجد شخص باسم عبد الله بن سبأ في عصري عثمان وعلي (ع) بتاتاً اللهم الا عبد الله السبائي ابن وهب فما امكن صدقها من تلكم الروايات على عبد الله السبائي جاز صدقها وصحة صدورها منهم ، مثل رواية :

اعتراضه على الامام في رفع اليدين للدعاء .

او رواية جلب المسيب اياه الى الامام لتكهنه بالغيب .

او رواية ابتلاء الامام به .

ومالم يمكن صدقها على عبد الله السبائي ابن وهب فموضوع علـى الائمة ومدسوس على علماء الحديث فانه لايصح اى خبر او اية رواية عن شخص مختلق مثل عبد الله بن سبأ او القعقاع بن عمرو حين لم يوجد احدهما بتاتاً .

وكذلك الامر بالنسبة الى السبئية فان كل خبر او رواية جاز صدقها على

---

(١) يجدر بنا هنا أن نشير الى الكتاب القيم لسماحة السيد العسكري حفظه الله الذي يحمل اسم «خمسون ومأة صحابي مختلق» وهو كتاب طريف في بحثه ويلقي الضوء على الكثير من احداث التاريخ الاسلامي ، ويتضح من خلاله ضرورة البحث الجدي الموضوعي العميق حينما نريد أن نؤرخ لتلك الحقبة من تأريخنا بعد أن وجدنا كيف لعبت أيادي الدس والتحريف في تأريخنا الاسلامي المجيد .

المنسوبين الى قحطان جاز صدقها وصحتها وكل خبر لم يجز صدقه عليهم مفترى ومختلق .

وبعد كل ما سبق من شرح وبيان ان كان هناك من لم يقبل بما ذكرناه فليؤمن بكل تلك الأساطير ايمان العجائز بخرافاتها التقليدية . (١)

ويشير سماحة السيد العسكري في نهاية بحثه الى نتيجة هامة ويقول انها هي الهدف الأساس لبحثه المضني ويدعو الباحثين ، الى تبنيها وفي هذا الصدد يقول:

. . . لم ينحصر هدفنا من نشر هذه البحوث المرهقة على ان عبدالله بن سبأ شخصية اسطورية او ان من بحثنا عنهم من صحابة مختلقين هم شخوص اسطورية او ان بعض الاماكن المترجمة في الكتب البلدانية مختلقة او نثبت ان بعض الشعر او الكتب السياسيه او الخرافات الاسطورية التي يتمسك بها المقتبون مدسوسة او ان بعض رواة الاخبار مختلقون لم يوجدوا ليرووا لنا رواية او خبراً

لم يكن هدفنا من هذه البحوث المضنية هذا فحسب .

بل لانا وجدنا انصرافاً معيباً عن تدارس سيرة النبي واهل بيته واصحابه.

ولما كانت روايات السيرة والتاريخ وكتبهما لم يعن بتدارسها والمحافظة عليها منذ أحقاب طويلة ضاعت مع الاسف الشديد آلاف الكتب الموثوقة في الباب امثال كتب اصحاب الائمة ثم حل محلها امثال تاريخ الطبري الذي يحوي من دس الزنادقة الشيء الكثير.

وبما ان عقائد المسلمين تنشأ بصورة عفوية من تدارس سيرة النبي واهل بيته واصحابه ومنه ينشأ تصورهم للاسلام وفهمهم له وعلى ضوء ذلك الفهم يفسرون القرآن والحديث ويؤولونهما اضف اليه ان امثال تلك الاحاديث قد تسربت من تلكم الكتب الى كثير من كتبنا الاخرى امثال كتب التفسير .

ومن ثم فانا نرى ان اثر تلك الروايات لم يقتصر على تشويش افكار عامة الناس دون الخاصة بل يوشك ان يكون الجميع فيه على حد سواء !

---

(١) وعبدالله بن سبأ ج ٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٢ .

ومن اجل ماذكرنا لم ينحصر هدفنا من نشر بحوثنا في بيان عدد المختلقات في كتب السير والتاريخ ولا بيان ان اخبارها كيف تسربت اليها بل استهدفنا بالاضافة الى ذلك: **التنبيه على مدى ضرورة قيام ائمة من العلماء بتدارس كتب السير والتاريخ وتدارس حال رواة اخبارها وتدارس متون الاحاديث فيها وعقد القواعد لتلك الدراسات كما عملوا مع احاديث الاحكام .**

وان يقدموا للمجتمع الاسلامي بعد ذلك نتائج بحوثهم في السيرة تماما كما يفعلون ذلك في ابواب الفقه . (١)

* * *

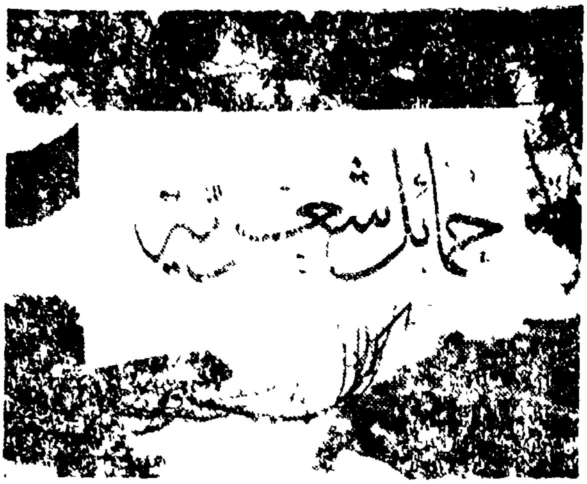
ولمزيد الاطلاع على الانتاج العلمي والتاريخي القيم للعلامة العسكري من الضروري مراجعة كل من الكتب التالية :

عبد الله بن سبأ واساطير اخرى ج١ و٢، مائة وخمسون صحابي مختلق، أحاديث سيف

للبحث صلة

* * *

(١) : «عبدالله بن سبأ» ج٢ ص ٣١٧ .



يارسول الحياة

ابو علي - بيروت

يارسـول الحياه شكوى ، طوينـا الدرب في ظـلال الجحـود
كل يوم لنا طريق يمينـا بأفـق يسمو عـن التحديـد
ومباد تصارعت فـي حنايانـا فكـل يومـي لنـا بالمزيـد
وجرينا في البحر ، والافق ينقاد شعاع الصباح نحو الجمود
وهدير الامواج يقتحـم الـزورق ، والريح في هياج شديـد
وتركنا في البر زورقك الهادي ، وسرنا بزورق من وعود
هكذا . . نحن معلمون . . ولكن بين حمر الخطى ، وحمر البنود
ليس ندرى من أمرنا غيـر أنا نملا الافق ضجـة بالعديد
ايـن روح الاسلام تغمر دنيانـا ، وايـن الانصار بين الجمود
ذهبت . . غير أننـا ها هنا نرنـو بشوق الى دمـاء الشهيد
وهنا نحن . . أعـين ترمق الفجر ، وايد تشل كف الحقود
سوف نجري - ومشعل الحق يهدينا - الى نهجك الاغر السديد
وسيبقـى صـداك يبتـدع الوعـي باعماقنـا لفجـر ولـود

الى اين يا امتي

محمد رضا الحائري

وكلما هبت بامتنا أعاصير الفناء
وتناثرت اشلاؤها بهنا هناك
ويد الفناء بها تحوط
ويد المرحم لاتعود
وتراكم الاموات ، اموات الضمير
لاشيء يوقضهم من الموت المحتم والمبيد
لاحد يرفعهم الىالمثل العلية ، لاالنداء
فالراحلون الى سحيق
حيث التزندق والجحود
حيث الشعارات المزيفة الوعود
حيث التعاسة والشقا والبؤس ، والخلق الشنيع
حيث الخلاعة والميوعة والمجون
حيث الملاهي والمجون
والمومسات ، وحيث حانات الخمور
حيث المراقص ، والمسابح ، والمسارح والنوادي والغناء
يامجد امتنا التليد
ياماضي الاباء والأجداد ، والزمنالبعيد . .
ها اين انت اليوم عن هذي الجموع
واليوم لايبقى بامتنا سوى الشمل الشتيت
واليوم لايبقى بمجمعناسوى الحقد المقيت
غير التفرق والتناحر والتشاجر والشجون
سنضل ننتظر الجديد
سنضل للمستقبل الزاهي نريد . .

ذكرى الألم (١)

شعر : علي البهادلي

حن الظلام وهاجت الصراء ... ماذا يقول لهولها الشعراء
فالحق غاب ، وجن في هذا المدى ... حقد الطغاة . وماجت الاهواء
والقلب مزقه الاسى بسرية ... هدت لفرط مصابها العلياء
والكون تعرقه الشجون وليس في ... ارجاه الا الحزن والظلماء
ذهب الامام الحق والعدل الذي ... شهدت بفضل خصاله الاعداء
من بعد أنوار الهداية صمما ... بانوأم الذكر الحكيم شقاء
وغدا لئيم رام اطفاء السما ... أو ينطفي دا الكوكب الوضاء

* * *

يا أيها الرجل المقدس . والحوى ... دوى له عبر الزمان نداء
ماذا نردد والمصاب لهوله ... تبكي العصور . وتندب العلياء
حيناك والذكرى تهيج لنا الاسى ... ونجمعنا ابداً يفوح ولاء . . .
حيناك أفواجاً نسير على هدى ... نهج تقدس مجده الحكماء
في كل قلب من مصابك صرخة ... دوت تردد رجعها الارجاء
في كل قلب . . . والشؤون كثيرة ... من مجدكم ياسادتي اشياء
أني نظرت وجدت شخصك سامقاً ... وبكنهه قد حارت الآراء

* * *

أنشدت من نبع الفؤاد قوافياً ... كي يرتوي بعد الظماء ظماء
جفت على شفتي عبارات الشجى ... لما رثيت وخانني الانشاء
ماذا أقول وانت نبع عدالة ... او طبقت صم الوجود صماء
[تلك العظام أعز ربك قدرها] ... فانظر فهذي القمة الشماء

---

(١) ذكرى استشهاد امام امير المؤمنين (ع) في الحادي والعشرين من رمضان المبارك

مانال مرضـاه الاله مداهـن | في حبكم ونجا نحيه مراء ...
الا الذي عقد الولاية مخلصاً | وبقلبـه أبـداً يـفيـض ولاء
أرجو الشفاعة منكم ياسادتي | يوم الحسـاب فانتم الشفعاء

حسن طراد العاملي

اسلامنا الخالد

زعموا الدين ـ وهوفجر تقـدم | رجعيـة تشقى بها الاحـرار
وهداه افيون الشعوب يصدهـا | عن ثوره تسمو بها الثوار
لكنها دعوى الجهـول يردهـا | وعى لاسرار الهدى نـوار
الديـن قانـونالسعادة قد سرى | نحو التطـور ، ركبـه السيار
والدين نبـراس العقول ينيرهـا | سبل الرشاد فتنجلي الأسـرار
صنعته الطاف السماء واين مـن | صنع الهدى ما يخبط الاغرار

أصالة الفلسفة الإسلامية

وأثرها في الفكر الغربي *

الدكتور عثمان أمين

ماذا نعني بالفلسفة الإسلامية ؟

نعني بها تلك المذاهب الناشئة من النظر العقلي المتعمق بالله والانسان والكون . تلك التي أقامها الفلاسفة المسلمون القدامى أمثال الفارابي ، وابن سينا وابن رشد والفلاسفة المسلمون المحدثون ، امثال الافغاني ومحمد اقبال .

ولكن الباحثين الغربيين اختلفوا في امر الفلسفة الاسلامية منذ ظهور الدراسات الاستشراقية ، اختلفوا في اسمها كما اختلفوا في وجودها فمنهم من رأى ان الاولى ان يطلق عليها اسم (الفلسفة العربية) لان رجالها كتبوا آثارهم باللغة العربية التي كانت لغة الثقافة في العالم الاسلامي ، ومنهم من رأى أنها ليست عربية لان جمهرة أهلها لم يكونوا عربا . ولم يقتصر الخلاف على اسم الفلسفة الاسلامية ، بل تعداه الى انكار وجودها : فمن الباحثين من نازع في ان يكون لها وجود مستقل ، زاعما أنها أشبه بأن تكون خليطا من آراء القدماء ، تعددت منابعها وانعدم الاتساق بين مواردها ، ومنهم من ذهب الى ان فلاسفة الاسلام انما اشتقوا فكرهم من الفلسفة اليونانية التي كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سورية والوثنيين من أهل حران ، وأضافوا

---

* مقتبس من المحاضرة التي القيت في الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المنعقد في الجزائر من ١ - ١٢ ربيع الاول ١٣٩٤ هـ .

اليها عناصر اقتبسوها من الهند وفارس ، ومنهم أخيراً من حكم على الفلسفة الاس
اجمالا بأنها جاءت شرحا مشوها لمذهبي أرسطو والافلاطونيين المحدثين .
نحن فلكي نكون منصفين يجب ان نعترف بأن الفلسفة الاسلامية تحتوي على ع
هامة من الفكر اليوناني ، وأنها تفترض أولا هضم الفلسفة اليونانية . ولكننا
مع ذلك بأن الفلسفة الاسلامية أو العربية شيء وأن مجرد الهضم والتمثيل لله
اليونانية شيء آخر . ان المذاهب الفلسفية الكبرى في العصور الحديثة متأثر
حد كبير بالفلسفة اليونانية . وأثر تلك الفلسفة ظاهر للعيان في مذاهب (بيك
(وديكارت) واسبينوزا ولايبنتز وكانط . ولكن من ذا الذي ينكر ما في مذاهب
الفلاسفة من اصالة ؟ واذن فكيف ساغ للبعض أن يظنوا أن عقلا كعقل الفارابي
سينا والغزالي وابن رشد كان عقلا جديبا لم ينتج في الفلسفة شيئا اصيلا ، وانه
يكن الا مقلداً لليونان . ويجب ان لا تغيب عن بالنا مسألة لها خطرها وهي أن
كتاب الغرب ممن كتبوا عن الفلسفة الاسلامية قد عجزوا عن أن يتبينوا أص
وخصائصها واتجاهاتها فمن جهة نجد أن المستشرقين تيسر لهم أن يقرأوا اللغة ال
التي كتبت بها الفلسفة الاسلامية عجزوا عن أن يحققوا لانفسهم فكرة واضح
تلك الفلسفة . ومن جهة اخرى نجد الكتاب العربيين المتخصصين في تاريخ ال
يكشفون عن عجزهم حين يواجهون الفلسفة الاسلامية ، ويرجع ذلك في ال
الى جهلهم باللغة العربية . وليس يسمح المقام بالخوض في مناقشة الا
التي ادلى بها في هذا الصدد الباحثون من مستشرقين ومؤرخين غربيين .

* * *

ولكني أبادر وأقول ان الفلسفة الاسلامية مكانتها التي يشهد بها الواقع و
أسرارها . وحسبنا لكي نتبين مدى الاسهام الفكري الاصيل الذي كان لها أن
الى أهم نظرياتها التي كان لها في العصر الوسيط كله صدى بعيد . وأول عمل
أصيل قام به فلاسفة الاسلام هو محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين : لانهم اع
بوجه عام أن الفلسفة والدين متآخيان متوافقان في المسائل الاساسية للحياة الانسانية ا

راي تعارض بينهما لايكون تعارضا حقيقياً ، وانما يكون نتيجةسوءفهم لكل منهما.

وقد بين لنا ابن رشد في كتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) ان الاسلام يحث المسلم على النظر العقلي ويدعوه الى التأمل الفلسفي، وان القرآن يحض على طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة . والفلسفة والدين عنده هدف واحد هو توجيه نشاط الانسان لبلوغ الكمال الذي تهفو اليه النفس الناطقة. ولفلاسفة الاسلام أيضاً مشاركة فلسفية ذات اصالة ، هي نظريتهم في النبوة . وقد بسط الفارابي هذه النظرية في كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) . وتفرقة الفارابي بين (النبي) و (الفيلسوف) سنجدها بنص عباراتها تقريباً بعد عصره بسبعة قرون في (الرسالة اللاهوتية السياسية) للفيلسوف اسبينوزا .وتبدو اصالةفلاسفةالاسلام واضحة في مسائل اخرى كمسألة «قدم العالم وحدوثه » ومسألة «تعلق العلم الالهي» وغيرها.

وواضح أن موقف الفلاسفة الاسلاميين من المسائل التي أوردناها موقف متميز عن مواقف فلاسفة اليونان من جهة ومواقف المتكلمين المسلمين من جهة اخرى واذن فمن التجني على الفلسفة الاسلامية الزعم بأنها انما هي شـرح مشوه لفلسفة أرسطو ـ والافلاطونيين المحدثين . والحقيقة أنها صاغت لنفسها مذهبا ضافيا لـه أصالاته ، وهي كما قال أحد الباحثين الغربيين : توشك أن تكون تقلبت في كـل الاطوار التي مرت بها الفلسفة في العالم الغربي بعدها بقرون .

ان من المسلم به الآن لدى الباحثين الغربيين أن الفارابي كان له أثر كبير في فلسفة العصور الوسطى : وقد ترجم كتابه(احصاء العلوم) الى اللغة اللاتينية وكانت له في المذاهب الفلسفية المسيحية واليهودية منزلة مرموقة ويظهر ذلك الاثر على الخصوص عند روجر بيكون وريمون لول.وترتيب الفارابي للعلوم هو نفس الترتيب الذي أخذ به الفلاسفة المسيحيون في القرون الوسطى مع فروق بسيطة . اما ابن سينا فيكفي أن نذكر كتابه (القانون) في الطب ، وأثره في الفكر المسيحي مشهور.

وقد جرى القديس (توما الاكويني) على نهج ابن سينا في التدليل على وحدانية الله وتنزيهه عن الجسمية . وسلك ديكارت في اثبات وجود النفس وروحانيتها واستقلالها

عن البدن مسلكا شبيها الى حد كبير بمسلك ابن سينا من قبل . وقد بين الاسـ
(جيلسون) مدى الاثر الذي كان لابن سينا في الفكر الاوروبي في العصور الوسط
المسيحية ، واوضح الصلات الوثيقة بين الفيلسوف الاسلامي واللاهوتيين المنتمـ
الى مذهب القديس (أوغسطين) ، وقرر أن الفلسفة الغربية في القرن الثالث عـ
عبارة عن مختلف المواقف من أرسطو وابن سينا وابن رشد ، واقترح (جيلسو
أن يطلق على هذا التيار الفكري في اوروبا اسم (الاوغسطينية النازعة الى السينوية
ثم جاء الاب (دوفو) وبين أن اللاهوتيين المسيحيين ـ النازعين الى السينوية (كا
يغترفون من منهل الفيلسوف الاسلامي ويتخذونه مصدرا لالهامهم ولكن وحد ا
جانب هؤلاء مفكرون آخرون كانوا يتابعون مذهب ابن سينا حتى في الموضوعا
التي تخالف العقيدة المسيحية : وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم (الاب دوفو) اسـ
(السينويين اللاتينيين) واول مفكر مسيحي تأثر بابن سينا هو (جنديسالينوس) رئيـ
ديوان الترجمة في اسبانيا . كتب رسالة في النفس بدأ فيها من ابن سينا وانتهـ
بأوغسطين . وقد اقتبس براهين ابن سينا عن النفس مبينا أنها جوهر لاعرض، وأ
خالدة وروحية . واقتبس من ابن سينا أيضاً رمزه المشهور المسمى برمز الرجـ
المعلق في الفضاء ، الذي لاصلة له بالعالم الخارجي ، ولكن فكره يكشف له أ
ذات مفكرة وأنها موجوده . وهذا الرمز نفسه قد ذكره كثيرون من مؤلفي العصـ
الوسطى للمسيحيين . ولذلك كان من الممكن أن يكون ديكارت قد اطلع عـ
فكان له صدى في تأملاته ، ولا سيما ان (الكوجيتو) الديكارتي قريب منه مؤيدا

واللاهوتي (حيوم الاوفرني) يذكر ابن سينا في كتبه حوالي أربعين مره معار
أقواله تارة ومقتبسا تعريفاته وأمثلته تارة أخرى : ياخذ تعريف ابن سينا للحق بـ
مايكون في الذهن مطابقاً لما هو عليه خارج الذهن ، ويقتبس من ابن سينا تفر
بين الماهية والوجود ، كما يقتبس تدليله على أن النفس تدرك ذاتها بذاتها دو
حاجة الى البدن . والحق أن ابن سينا قد أضاف الى الثروة الفلسفية والعلمية اضافا
جعلته من مفاخر الانسانية المفكرة . واذا انتقلنا الى ابن رشد وجدنا ان الاعجا

بشروحه لارسطو كان عظيماً في اوروبا حتى سماه الشاعر (دانتي : الشارح الأكبر) ومن المشهور أن مدرسة بادوا في ايطاليا كانت تنتمي الى مذهب ابن رشد ، وأن سيجرد وبرابان كان زعيم المدرسة الرشدية في فرنسا ابان القرن السادس عشر ، وقد ظل المذهب الرشدي متدارسا عند الاوربيين في الكتب والجامعات من منتصف القرن الثالث عشر حتى أوائل القرن السابع عشر . وقد يجد الباحث في فلسفة اسبينوزا أن موقف ذلك الفيلسوف من مسائل الفلسفة والدين والوحي والنبوة يشبه الموقف الذي سبقه اليه الفارابي وابن رشد. ولعل سبينوزا عرف شيئا من نظريات المسلمين عن طريق موسى بن ميمون ، وعرف فلسفة ابن رشد خاصة عن طريق الطبيب اليهودي (جوزيف دلميدجو) أحد أنصار الفلسفة الرشدية في القرن السابع عشر.

ولابد أخيراً من ان نشير الى فضل الفلسفة الاسلامية على الفلسفة اليهودية . وحسبنا هنا ان نذكر ان كتب ارسطو لم تنقل الى اللغة العبرية ، وان اليهود قنعوا في معرفتها بما كتبه المسلمون من ملخصات وشروح . ولقد تبين للباحثين الغربيين ان اصحاب اللاهوت من اليهود قد ساروا خطوة خطوة في اثر فلاسفة الاسلام ، وان المفكرين الذين سبقوا موسى بن ميمون مدينون بمنهجهم وآرائهم في الدين لفلاسفة المسلمين ، وان كتاب (دلالة الحائرين) لموسى بن ميمون وان يكن حافلا بنقد آراء الاسلاميين ومحاولة تفنيدها والرد عليها ، يجد قارئه في كل صفحة منه مايشهد شهادة قاطعة بأهمية الفلسفة الاسلامية وبعد اثرها في الفكر اليهودي ولسنا نحب ان يتسرب الى وهم احد من الناس اننا ننتحل الأسباب للاشادة بفضل الفلاسفة المسلمين على غير حق فالواقع ان كل ما اوردناه هنا في ايجاز شديد انما هو مقتبس من شهادة علماء الغرب في العصور الوسطى وفي عصرنا هذا وهي شهادة تقطع بأن ثقافة الغرب قد استفادت بقسط موفور من المواد التي قدمها اليها مفكرو الاسلام .

* * *

اما تخلف الفكر والفلسفة في العالم الاسلامي ابان العصور المتأخرة وأسبابه

معروفة ، وان يكن اكثر الناس لايريدون ان يعترفوا بها وان يواجهوها اذا هم تبينوها وليس من شك في ان هذه الاسباب راجعة في جوهرها الى سببين اساسيين: ـ **الاول : الابتعاد عن روح الدين وعن روح العلم؛ والثاني: التنكر للاجتهاد وفقدان الحرية والقعود عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر** . وقد نتج عن هذا التخاذل العقلي والاخلاقي تخاذل الارادات الفردية وتهافت (الروح المعنوية) كما يقال اليوم . لقد ذهبت الارادة الاخلاقية التي تزكي في كل انسان عقله ، وقلبه، وتجعله مركز اشعاع حواني ،وحل محلها جملة من العادات الموروثة لاتسوق الناس الى العمل الا بفضل بقية من قوة الانزلاق والقصور الذاتي كما يقول علماء الطبيعة وذهبت الروح المعنوية القوية الايجابية وحل محلها مايسمى الان بالرأي العام وهو شيء هوائي مصطنع متقلب يحركه في اغلب الاحيان أناس من الوصوليين أو على الاقل من المعرضين . وقد ألف المسلمون في عصور الاستبداد وانحسار الفكر الحر أن يفزعوا من الحرية ، حتى أصبح الراي العام واهنا هزيلا ضعفت مناعته من كثرة التوقى والحذر والتحوط والوسوسة . فاذا اراد المسلمون حقا ان يستعيدوا مجدهم الفكري الحضاري فلابد لهم من العودة الى فهم حقيقة دينهم : عندئذ يتبينون ان حياتهم قوامها تحقيق الرسالة الاسلامية على الحقيقة : وهي تزكية الوعى وتزكية الضمير ، وانما تكون تزكية الوعي بالاتجاه الى العلم والنور ، وتكون تزكية الضمير بمراعاة الذمة واتقان العمل .

وليس من سبيل الى الاصلاح الا ان يقتنع الجميع من حاكم ومحكوم بأن الحرية لازمة لحياة النفوس لزوم التنفس لحياة الابدان . والواجب اذن ان يمارس المسلمون حرية الفكر والعمل ممارسة دائمة موصولة غير مقطوعة . وواجبهم على الخصوص ان يشعروا في قرارة انفسهم بأنهم يستطيعون دائماً ان يعلنوا آراءهم في اصلاح بلادهم دون ان يتعرض واحد منهم للاذى والتنكيل . ولابد لهم من الشعور بالامن الحقيقي الذي لايوجد الا في كنف الحرية والنور وهما الحد الادنى لكفالة الكرامة الانسانية . ان كثيرين من مفكرى الغرب قد تعرضوا لازمة الانسان المعاصر

فصوروا الفراغ الروحي الذي يؤدي الى الشعور بالغربة واللامعقولية . ولكن ما عذرنا نحن المسلمين في الخوف من دعوة انفسنا ودعوة الانسانية كلها الى العودة الى مبادىء الاسلام ، وهو دين يؤكد منذ البداية ان التفكير فريضة وانه فرض عين لا فرض كفاية ، كما يقول فقهاؤنا . وهو ايضاً يؤكد حرية الانسان ، ويكرم المرأة ، ويتجه الى تدعيم الاسرة واستتباب السلام بين الطبقات . واقامة المساواة في الحقوق والواجبات ، وينبه الى ما في المجتمع من آفات نفسية ، ويحث على علاجها لتستقيم للمؤمنين الحياة على الارض ولكي تتم للانسان خلافة الله عليها . اذا اراد المسلمون سلوك الطريق الصحيح في الفكر والعمل ، فيجب عليهم ان ينزعوا من نفوسهم كثيراً من الاوهام عن العلم والايمان ، ويجب ان يعلموا أن الكشوف العلمية والانجازات العملية لا يمكن ان تتم بقرارات رسمية ، وان الموهبة وحدها لا تكفي ، بل يلزم الفكر الدائب والعمل المتواصل . وليس هذا الذي نقوله جديداً أولا تقليداً للغربيين بل لقد دعا اليه الرسول الكريم في قوله : (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه .) فالمشكلة الاولى والاخيرة في اصلاح الفكر والعمل هي مراعاة الضمير والسعي الى الاتقان . واملنا اليوم ، بعد ان ظهرت في الافق بوارق فجر لنهضة اسلامية جديدة ، ان تتفجر طاقات الامة ، فتمضي قدما الى ارساء قواعدها على فلسفة الاسلام الخالدة وهي فلسفة مثالية وواقعية في آن واحد ، لانها تحرص على الاصالة ، كما ترحب بالتفتح ، وتدعوا الى تنوير الاذهان سبيلا الى تحرير النفوس .

من حياة القادة

أهل البيت

إنسانية فذة .. وعطاء خالد (٩)

الشيخ محمد علي التسخيري - قم

- الموقف السياسي -

- ماذا نعني بالموقف السياسي ؟
- لايمكن فصل الموقف السياسي لهم (ع) عن باقي المواقف .
- الخطوط الرئيسة له .

ماذا نعني بالموقف السياسي؟

ما نعنيه هو التحديد الذي وضعه الائمة لموقفهم تجاه المسألة الاجتماعية ، من الزاوية القيادية ، اي من حيث «تسلم ازمة الحكم» و «قيادة المجتمع» .

وعليه فيدخل في بحثنا موقفهم (ع) من المسألة ككل اولا ، وممن قدر له ان يتسلم الزمام ثانياً ، ومن الامة الاسلامية ، من زاوية موقفها تجاه شخصية الحاكم واسلوب حكمه .

والملاحظ ـ احياناً ـ في بعض الكتاب انهم ينكرون على الأئمة (ع) اتخاذ موقف سياسي ايجابي معين ، بل قد يعتبر البعض الفترات التي تسلم الأئمة فيها ازمة الحكم ، فترات استثنائية تقتضيها الظروف ، وسرعان ما يرجع الائمة (ع) الى موقفهم الطبيعي ـ كما يتصور هذا البعض ـ وهو موقف الفتوى والتنمية العلمية .

والذي غاب عن اذهان اولئك وهؤلاء ان الأئمة (ع) حسب كل الشواهد والقرائن التاريخية القطعية ، كانوا يمثلون امتداد مسيرة الانبياء (ع) عموماً وامتداد مسيرة النبي الاعظم (ع) خصوصاً .

وهذا يعني انهم يضطلعون بمهمة مواصلة البرنامج التربوي الانساني العام في اطار الاسلام . ذلك البرنامج الذي استهدف منذ خطواته الاولى تركيز فطرة (خلافه الانسان) و «تحويلة حق اعمار الارض» والتي تستبطن استمداد الحكم والقانون من الخالق القادر العليم بعد الاقرار له بكل مراتب العبودية الخالصة . . والتي تقارنها ايضاً فكرة ان الانسانية لها هدف عام شامل تسعى اليه . وان الجميع مؤهلون ومطلوبون لتحقيق تقدم المسيرة نحو ذلك الهدف الذي هو اكبر من الاهداف الشخصية لكل فرد ، وان عمل هؤلاء الافراد سيفتح عليهم عوالم من الخير والجزاء في حياة اخرى تعد هذه الحياة مزرعة ومقدمة لها .

.. هذه النظرة الشاملة للكون استهدف الانبياء تركيزها ، وتكاملت اساليب التركيز على يد الاسلام العظيم خاتم الأديان .. ومن الواضح ان تركيز هذه النظرة يحتاج الى اسلوبين متناسقين : الاسلوب النظري والاسلوب التربوي .

والاسلوب التربوي يحتاج الى مقوم اساسي لتحقيقه واستثمار نتائجه وهو

«عنصر الهيمنة والتسلط»

.. وقد قلنا بانه عنصر مقوم .. لاننا نلاحظ وجود تناسب طردي بين درجة هيمنة المربي ، ومدى تأثيره التربوي في العناصر المرباة .

ومن هنا ـ بالضبط ـ نجد ان الانبياء والمرسلين (ع) حاولوا جهدهم ـ بعد

بواعد التقبل الشعبية ـ ان يستلموا زمام الامور مهما امكن . ويمكن ان نلاحظ
لك موقف كل من موسى (ع) وداود وسليمان (ع) ممن تسنى لهم ذلك . .
رأ عملية تسلم الرسول الاعظم (ص) زمام القيادة التامة ، لكل شؤون المجتمع
لامي .

فالائمة (ع) اذن كانوا ـ بمقتضى ذلك ـ يطمحون ويعملون على مسك ازمة
ر بايديهم ، اتماماً لعناصر التأثير المطلوب للعملية التربوية الكبرى
رية ، واشعار الامة بذلك ، بنصوص شريفة تدل على ذلك : يقول
ام امير المؤمنين في وصف اهل البيت (ع) وانهم وراث عملية التربية
برى ، ووظيفتهم الاجتماعية «هم موضع سره ، ولجأ امره ، وعيبة علمه ، وموئل حكمه ،
هوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم اقام انحناء ظهره ، واذهب ارتعاد فرائصه . . . هم اساس
دين وعماد اليقين ، اليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية
بهم الوصية والوراثة ، الان اذ رجع الحق الى اهله . . ونقل الى منتقله . . . (١)
بينكم عترة نبيكم ، وهم ازمة الحق ، واعلام الدين ، والسنة الصدق ، فانزلوهم باحسن
نازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش . . فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قعره البصر
لا تتغلغل اليه الفكر» (٢) « نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ، ومعادن
العلم ، وينابيع الحكم» (٣) «وعندنا ـ اهل البيت ـ ابواب الحكم وضياء الامر الاوان
شرائع الدين واحدة وسبله قاصدة» (٤) «وهم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد
الحق الى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل
وعاية ورعاية . لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل»(٥) .

ويقول الامام الحسن (ع) في مفتتح عهد توليه الخلافة «نحن حزب الله الغالبون وعترة
رسول الله الاقربون واهل بيته الطيبون الطاهرون ، واحد الثقلين الذين خلفهما رسول

(١) نهج البلاغة مع فهارس الدكتور صبحي الصالح ـ ص ٤٧
(٢) نهج البلاغة ص ١٢٠
(٣) نهج البلاغة ص ١٦٢ - ١٦٣
(٤) نهج البلاغة ص ١٧٦ .
(٥) نهج البلاغة ص ٣٥٨ .

الله في امده ، نانى كتاب الله الذى ومه تفصيل كل شيء لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فالعول علينافي تفسيره ، لاتتظنن بأويله بل تيقن حقائقه ، فاطيعونا وان طاعتنا مفروضة اذ كانت طاعة الله ورسوله مفروضة (١) .

ويروي في البحار عنه (ع) نص الخطبة التي القاها بعد الصلح وكلها تؤكد هذا المعنى باجلى بيان (٢) .

كما انا نجد ان الامام الحسين (ع) ردد نفس هذا المضمون عندما اقبل على العامل الاموي المأمور بأخذ البيعة منه «انا اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة . . ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم» (٣) .

وهكذا يمكننا ان نقدم الدليل القولي ، تلو الدليل على هذا المعنى . من باقي الائمة (ع) ، ولعلنا لانجد نصاً يوضح النظرة الحقيقية التي يجب ان يكونها الناس عن الامام اوضح من النص الذي ينقله عبدالعزيز بن مسلم عن الرضا (ع) حيث وصف له الامامة باروع وصف ، بعد ان حصرها في اهل البيت (ع) وقد جاء فيها «ان الامام زمام الدين ونظام المسلمين . . . الامام اس الاسلام النامي وفرعه السامي . . . الامام يحلل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله . . . امين الله في ارضه وخلقه ، وحجته على عباده ، وخليفته في بلاده . . . مضطلع بالامر ، عالم بالسياسة مستحق للرئاسة ، مفترض الطاعة . قائم بامر الله (١) .

الدليل العملي على ذلك :

ونحن اذ لم نطل في نقل النصوص الكثيرة عنهم في هذا الصدد ، واكتفينا ببعضها فانما كان ذلك يقيناً منا بأن الموقف العملي لاهل البيت اوضح دليل على ذلك ، ونقصد به : تسلم الائمة لزمام الحكم اولا ، وعملهم الدائب بعد ذلك على اعادة هذا الزمام الى ايديه الامينة ولكن بصورة طبيعية وبشكل تشعر معه القواعد الفعالة

(٢) صلح الحسن للشيخ الجليل راضي آل ياسين ص ٤٦ - ٦٧ .
(٣) البحار طبعة الاخندى والعلوى الجزء العاشر ص ١٣٨
(١) اعيان الشيعة ٤ القسم الاول ص ١٧٢ .
(٢) تحف العقول ص ٣٢٢ - ٣٢٥ .

في المجتمع بمركزهم (ع) تماماً ، وسيأتي توضيح لذلك ان شاء الله .

الى هنا اثبتنا انه لابد من موقف سياسي رائد للائمة (ع) من الاحداث وعلى اضواء ثلاثة :

أ ـ طبيعة مهمتهم كامتداد لمهمة الانبياء عموماً والنبي الاعظم (ص) خصوصاً مما يستدعي القيام بانجاح عملية التربية الكبرى في التاريخ الانساني .

ب ـ نصوصهم الكثيرة المتواترة معنى في هذا الصدد .

جـ ـ الموقف العملي لهم (ع) .

لا يمكن فصل الموقف السياسي عن باقي المواقف :

والحقيقة اننا لو كنا ازاء دراسة لشخص، او اشخاص آخرين غيرهم لاستطعنا بكل سهولة، ان نفصل الموقف السياسي لهم عن كل المواقف الاخرى، من فردية واجتماعية ... اما وأننا نحاول دراسة اناس: كل جنبة من جنبات حياتهم قدوة، وكل سلوك منهج وكل لفظة تشكل جزءاً من دستور : فهذا أمر صعب مستصعب ، وآية هذا المعنى ماقلناه سابقاً من أن رئاستهم وقيادتهم تنبع من قيامهم على تجربة تربوية عالمية. وهذا يعني ان الامة التي قادوها ، بل وكل جيل بشرى آت تنظر اليهم كوحدة متكاملة من جميع الجوانب، وذلك يتطلب منهم التخطيط لكل موقف، على شكل تتعاضد المواقف كلها، مشكلة تلك الوحدة .

. . ان قيام الأئمة (ع) في المجال التربوي بتربية فئة واعية من الاصحاب ، ومنحها ذلك الزخم التربوي والاخلاقي والعلمي مثلا ، لم يكن ليعني موقفاً سلبياً من الحكم ، وتطورات الاحداث السياسية ، بل انه ـ على العكس ـ كان يعني محاولة خلق القاعدة التي سينطلق منها الاصلاح ، والتي ستنبث بين الامة مؤججة حماسها ومجمعة قواها ، لتثبت وجودها المحاسب المراقب لتحرك الانحراف، ولتنبث بين الامة

فتحافظ عليها من الانحراف المتزايد نحو خط الطمع المادي او الشهواني، الذي كان من اسباب انتشاره كون الحاكم مبتلى بهذا الانحراف، او لتقوم بمهمة فضح المتلاعبين والمتسترين بستار العلم ، او التقوى العاملين على تقويض اسس المجتمع الاسلامي.

والنموذج الآخر الذي يمكننا خلال هذا المقال ان نذكره كدليل على التلاحم
ن مواقفهم (ع) بحيث لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر ودراسته على حدة
ومسألة «الادعية التي كان الامام السجاد يدعو بها او يعلم من يدعو بها»
.ذه المسألة قد ينظر اليها على اساس انها تطهير فردي او جماعي . ولكن بالحث
لى البكاء والتضرع والاحساس بعطاء الله المعنوي بصورة تقربه من الحس. وهذا
صحيح تمام الصحة . ان لم يكن المراد منه انه هو كل ما في الامر ، وذلك انه من
واضح كون ذلك الاسلوب الرائع عملا ايجابياً جليلا يقف الى صف عمل الائمة
لذين سبقوه (ع) ويصنف في نفس الاعمال التي قام بها اباؤه. بل هو الاسلوب المحتم
لك الروح العملية في ظرف كظرف الامام (ع) اولا ولاحل سد مثل هذا الفراغ في
جانب الروحي الذي ينعكس اجتماعياً بشكل عمل فعال ايجابي ثانياً .

اننا نلاحظ في امثال تلك الادعية تعاليم سياسية واجتماعية عالية صبت في قالب دعاء
تبتل وابتهال .. تلقى الانسان موقفه من الواقع امامه، ككل، وتعطيه الصورة التي يجب
ن تشكل منهج تصوره وعمله معاً في حياته . انما نلاحظ امثال التعبير التالي منتشراً
ي ادعيته (ع) وهو: «اللهم صل على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا.»
هذا - بالتأمل - يعتبر من انجح الاساليب الربط العاطفي الشديد باهل البيت فصلا
ن الربط الفكري وكذلك نلاحظ في هذه الادعية فقرات ترتبط بما قلناه من امثال:

«اللهم اني اعتذر اليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم انصره ومن كل انعم
رض لي فلم أهجره» (١).

«اللهم واجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التمني والتظني والحسد
كراً لعظمتك ، وتفكراً في قدرتك وتدبيراً على عدوك» (٢)

ونظر (ع) الى هلال شهر رمضان ودعا بدعاء جاء فيه «اللهم صل على محمد

---

(١) دعاء ابي حمزة الثمالي المشهور .

(٢) دعاء مكارم الاخلاق في الصحيفة السجادية

وآل محمد واجعلنا من خير من طلع عليه ، واركى من نظر اليه ... وصل اللهم على محمد وآله الطيبين واجعل لنا فيه عوناً منك على ماندبتنا اليه من مفترض طاعتك

ولنا الى هذا الموضوع عوده انشاء الله في البحوث الآتية .

ولكن وعلى الرغم من ذلك سنحاول التحدث عن كل جانب جانب للتوضيح والتركيز دون ان نهمل ملاحظتنا لباقي الجوانب عند دراسة جانب معين .

الخطوط العريضة للموقف السياسي ؟

ولدى محاولة التعرف على هذه الخطوط ، وذلك الاطار ، الذي لايمتدون الا من خلاله ، يجب ان نستحضر ذهنياً هذا المقام الذي تحدثنا عنه قبل وهلة ،ونحاول ان نستنبط مقتضياته ، ومن ثم نقوم بمقارنتها مع الواقع الذي ينقله لنا راو امين او محدث نزيه .

اننا – بعد ان نلاحظ ذلك – نجد ان الخطوط العريضة تنبع من كونهم امناء على التجربة الاسلامية ، بكلا عنصريها : المبدأ والامة ، وهي اذن كما يلي :

أ – المحافظة الجاده المتواصلة على المبدأ والعمل المتواصل على ابقائه حياً فعالا ، محركاً ، وصيانة صورته من ان تمسها يد التشويه والتحريف ، اوتقلل من طاقاتها الفعالة .

ب – المحافظة التامة على الامه ، وتربيتها تربية تؤهلها لحمل المبدأ ، وتمنحها الطاقات المؤثره في الوقوف امام أي هجوم عليه وهذان الخطان يستدعيان انتهاج امرين ، يأتي احدهما بعد الاخر ويمكنهما ان يشكلا الاطار المباشر الذي نلاحظه ينعكس بوضوح على سلوكهم (ع) وهما :

أ – مسك أزمة الحكم وذلك لتحقيق عنصر السيطرة الذي تحدثنا عنه والذي هو ضروري لدفع التجربة الاسلامية ، نحو الامام والقيام بتلك المهمة .

ب – وان لم يمكن ذلك فالعمل المتسم بالواقعية والمرونة حسب مقتضيات الظرف لاجل الحفاظ على المبدأ والامة ، من جهة ولو بصورة غير مباشرة او

والتخطيط الواعي الموضوعي لتسلم ازمة الحكم باعتبارهم اصحابها الحقيقيين.

وفي الدنيا أن نتنبه لما قلناه انما نجد الشواهد التاريخية الكثيرة التي تدل على انهم (ع) ـ ووفقاً لواقع الامر ـ لم يكونوا ليطالبوا بالحكم ولو على اساس ثورة مفاجئة او مؤامرات عاصفة ولم تكن تلك سنتهم (ع). وانما كانوا يعملون على تربية القواعد الشعبية الواعية لمركزهم كأوصياء النبي (ص) ومن ثم تقوم هذه القواعد بتهيئة الاجواء العملية لاستلام الحكم من قبلهم (ع) وهي بعد ان عادت تعيش اهدافهم الكبرى، تقوم بعد ذلك بحراسة المكاسب التي يتوقع حصولها حينئذ.

ويمكننا ان نذكر مثالاً على ذلك قصة سهل بن حسن الخراساني الذي جاء الى الامام الصادق (ع) يعرض عليه تبني حركة الثوار الخراسانيين قائلاً: يا ابن رسول الله ما الذي يمنعك ان يكون لك حق تقعد عنه وانت تجد من شيعتك مائة الف يضربون بين يديك بالسيف؟!

ويأمر الامام جاريته فتملأ التنور حطباً حتى اذا ما صار كالجمر يأمره بدخول التنور . . حينئذ يستعطفه الخراساني ويقيله، ولم تمر لحظات حتى يدخل هارون المكي احد اصحابه ونعله في سبابته ويأمره بدخول التنور فيمتثل لتوه، وهكذا التفت الامام (ع) الى الخراساني قائلاً: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فيجيب والله ولا واحداً . . ويعقب الامام على ذلك (نحن اعلم بالوقت) (١)

وسنحاول فيما يأتي عرض بعض المواقف السياسية لهم (ع) وملاحظة انطباق تلك الخطوط العريضة عليها معتمدين في اكثر ما نقول ونحكم على تحقيقات آية الله السيد محمد باقر الصدر في محاضراته العامة القيمة في تاريخ الاسلامي والتي كان يلقيها بين الحين والآخر على طلاب الحوزة العلمية في النجف الاشرف.

---

(١) مناقب الطالبيين ص ٢٢٧ طبعة المطبعة العلمية بقم المقدسة

على مشارف مكة (*)

حسن احمد شحاده

... سارت القافلة بنا تسعى الى بيت الله الحرام ... ترعاها عناية الله الرحيمة ويظللها ضوء القمر الخافت ، وهو يرسم امامها خطوات من نور تمتد الى نهاية الافق البعيد ... ظلالنا على الرمال الصفر تتمايل كلما مالت النوق في سيرها الحثيث.

سارت القافلة بنا بهدوء مريح تحدوها الابتهالات المرتجزة . وايقاعات الترتيل الحنون ، فكل مافي الاجواء يدعو للتفاؤل... وكل مايحيط بنا يدعو للاستبشار... ويصور لنا الدنيا حالمة ناعمة برقة الطهر وسماحة الصفاء .

الا انا . . . فقد كانت دنيا خيالي مليئة بالخطرات مشحونة بعلامات الاستفهام.. وفي جسدي وخزات من الالم المصر العنيد !

ان هذه الامواج المشرية تلتقي جميعها عند اعتاب البيت العتيق ،انها ثروة بشرية هائلة .

هنا تتوحد المسالك والغايات في عناق حبيب . ولكن !
في اي بحر تصب هذه الينابيع المتفجره ؟
ومن يقود هذا الرعيل الموحد ؟
الفكرة تقود ! ولكن ! اين افكارنا الان ... بل اين تتجلى تلكم الافكار ؟
هنا الكعبة المكرمة .
وهنا الحجيج المؤمنون في الطريق الى الله .
فالى متى ؟ واين . . ؟ اين ؟من اى غيمة يهطل المطر؟
اي ساعد مفتول سوف يقبض على عنق المجداف ؟

(*) مستوحاة من رواية وردت في كتاب الانوار البهية .

من يذيب الملح الذي يمور في احشائنا ؟.. ليمحلي الحب في حياتنا .. فتحح عقول كما تحج العواطف ... وتكون الكلمة مركز وحدة الارض ..

علام الصمت ؟

من ينتظرنا ومن ننتظر ؟

كمانا نزيفاً .. نريد بلسماشافياً للجراح! نريد سمواً على حياة الدعة والخمول . .!

* * *

كانت هذه الخطرات تريح في خيالي بقوة وعمق . بهذا بارد وطور أتصول ا بر اسمي انتبهت فجأة لادرك ان الحقيقة المرة! هي انني ابتعدت عن قافلتي وتجاوزني لصحب والرفاق . . . وانفصلت عن موكب الايمان .

حيرت في امري ! وقلقت على مصيري ولا ادري من اين امسى ؟ وبمن استعيث ؟ انا لاول مرة في حياتي احس بغربة الضياع !

ظللت وحاولت جاهداً ان اقتفي اثارهم ... دون جدوى ودون طائل ... فالى ين اسير ؟ وانا مجرد خيال تاه .. ترسو عيوني على كل مايحيط بها . . كماترسو عيون العاشق الظمآن على ملامح الوهم والسراب !

الى اين ؟

وانا سعفة نخيل خريفية تلهو بها روائع الليل المهيم !

غاب عني كل شيء وغبت عن كل شيء الاعن التفكير في مصيري المجهول ي صحراء لااعرف لها حدوداً سوى حد البصر !

يئست وهدني الارهاق ، والخوف والجوع وانفصلت عن الحياة بكل مافيها من اضواء والوان ومشيت احمل يأسي . . . حتى انتهيت الى واد قفر يـردد حفيف اوراق شجرة غريبة ذابلة فيلف صداها المرعب الى معروفة في جناتها الانين والبكاء..

آويت الى تلك الشجرة ... واستلقيت بجانبها كما تستلقي متاعب الفقراء . . واستلمت لكابوس هائل مخيف . . فبكيت ، كان دمعي العزاء الوحيد .

* * *

وبينما انا كذلك !

اذ بشاب اسمر اللون جميل ... يمشي الهوينى بصمت كصمت الجداول ويطيل النظر الى اعلى بوجه مشوق محبوب كأنه على موعد مع السماء ...

من تراه يكون ؟

ولم يبق من الليل الا ثلثه الاخير !

ايكون مثلي وقد ضل عن قاوله الرواق ؟

كلا ؟

فهذا الهدوء المطمئن الامين وتلك البسمة وذلك الجلال الوقور وتلكم النظرات العميقة ..

انها سعيدة . . . سعيدة جداً ملؤها الرضا والخشوع .

لا . . . فهذا الثوب الابيض الناصع .. يعلو عليه ويزيد بكمال بهائه وجماله متعالياً زاهداً بكل ماوي الحياة من متاع . رائع ابانه الذي يتكلم : اني راحل الى ربي لعلي اراه . . !

* * *

. . . كنت حائراً جداً . . . من الفكر والاحساس . . لا اعلم كيف اداري محمي ، كيف امسح عن عيوني حالات الحزن الثقيل .

الى ان اقبل علي ذلك الشاب يمشي هادئاً بثياب الاحرام ايحرني بصفائه الى عالم الغيب والروح وليكلمني من حيث لا اشعر بلغة السماء ورحمة السماء .

فمن يكون ؟ الاولياً من اولياء الله الصالحين ؟

فلاحتجب عنه كي لا ينفر مني وكي لا امنعه مما يشتهيه ولارى ماذا يكون من امره . . . فلربما اعثر على مثال رفيع قدوة . . . لخليفة من خلفاء الله في الارض ولربما . . . فكم انا تواق لمعرفة مايجول في قلبه من اسرار .

تهيأ الشاب الجليل للصلاة ولما يزل يجيل عينيه بين اطراف الكون برهة

بخضوع .. ووقف يردد ... كانت الكلمات تتدفق من فمه كأنها بعض كيانه .. يقتطعها من اعماق اعماقه فتنطلق بدايه الرجفة الهمة بحرارة الصدق وحرارة الايمان :

«رباه .... يامن حاز كل شيء ملكوتا .... قهر كل شيء جبروتا ... أولج قلبي فرح الاقبال عليك والحقني بميدان المطمعين اليك يامن رحمته وسعت كل شيء ... ياارحم الراحمين»

بكى .. ثم كبر للصلاة .. فهدأت اعضاؤه وسكنت حركاته .. وشرع يقرأ .. حتى اذا ماوصل الى قوله تعالى .. مالك يوم الدين .. كان يكررها ويرددها بوله عميق .. فيرتعش .. ويرتجف ويتمايل كما تتمايل الاغصان الى ان سقط مغشياً عليه ولا زال يتمتم : مالك يوم الدين .. مالك يوم الدين»

ويحاول مرة اخرى ... فيتعذب ويبكي بصمت .. كانما اسرع الخيال لتصوير نهاية المطاف .

* * *

... نظرت الى الليل وهو يحمل النشوة التقوى في روعة الترقرق والانسياب . ووجدته ساكناً يداعب الصدى وهو يتموج في افق النجوم اللوامع .. ليمتزج في عبير نورها الحالم .. لقاء ذهبياً حنوناً يقص حكاية الوفاء .

هرولت الى الشاب البكاء .. وانا اخشى ان تفوتني ظلاله وتخفى على اثاره لاسيما وانا مذ رأيته احسست بأنني امام محراب من ضياء وهيكل من نور .

وصلت اليه وفي كياني ارتعاش غريب ... حاولت ان اتكلم .. فتلعثمت .. وتاهت كل الحروف التي عندي بحمى الذهول .

نظر الي باسماً .. ثم اسبل جفونه .. ابتسامته العذبة قطرات ندى تومض من خلال وجهه الصبوح فتجرأت وقلت :

«بالله ... بالذي اسقط عنك ملال التعب الا الحقتني بملك جناح رحمة وكنف رقة فاني ضال وبغيتي كل ما صمت وعماي كل ما نطقت».

فأجابني :

ياعبد الله لو صدق توكلك ماكنت تائها ولا ضللت ولكن اتبعني واقف اثر وتوكل على الله . . ثم اخذ بيدي فخيل الي ان الارض تميد من تحت قدمي .
وشعرت كما يشعر النائم ان الارض تطوى لنا وانما نجتاز المسافه كما تجتاز الطيو مسافاتها .

* * *

بين احاديث النفس والقلب وبين شفافية الأحلام يبعثها الصمت الحاني .
لاحت مشارف مكة راضية مطمئنة واذا بمعالم الحرم الشريف ترفع جيدها عل الفجر . . . واذا الحجيج المؤمنون يلتقون جميعاً عند اعتاب البيت العتيق . .
ملحنات سامية تصدح بروعة اللقاء على حب الله ورضاه . . .

التفت الى صاحبي متسائلا : مالي اكاد ارى لكل قوم مائدة يسعون الي ويطوفون حولها وتفصلهم عن الاخرين مع انهم جميعاً ضيوف الله في بيته ؟ومـ ان الارض مكة . . . والبيت زهرة الصحراء . . . فلماذا نرى كل مجموعة من الهر اشار تحوم باتجاه ؟ ؟ ؟ فاجابني : ليتهم كانوا ضيوف الله حقاً . . . ! وليتهم يعون معنى ان يكو الانسان ضيفاً لله ! حينئذ . . نراهم يتحلقون حول مائدة اصلها ثابت وفرعها في السماء .
نراهم كما يحب الله امة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر دعاة حق مسلمين

كان الشاب يتكلم وفي عيونه بقايا دموع فسألته : بالله الذي ترجوه يو الازفة بالذي ترجوه يوم الفاقة من انت ؟

اسبل جفونه وبقايا الدمع في عينيه يتلألأ وقال : اما اذا اقسمت . . فانا . . . علي بن الحسن .

اخترنا لك

العودة الى الله

نشرت مجلة الحوادث اللبنانية في عددها المرقم «٩٢٨» والمؤرخ ٢٣ آب تحقيقاً لمراسلها في القاهرة السيد نشأت التغلبي .. نقتطف منه مايلي :

«بعد حرب ١٩٦٧ ، واحساس الناس في مختلف انحاء الوطن العربي من اقصى مغربه الى اقصى مشرقه بالخيبة للهزيمة التي انتهت اليها معارك الايام الست او معارك الساعات الست ـ كما وصفها احد كبار العسكريين ـ ظهرت في القاهرة عبارة من ثلاث كلمات ترددت على السنة كثيرين . تقول العبارة : هذه ارادة ربنا (دي ارادة ربنا) .

لكن ، لم يمض وقت قصير ، حتى ادرك معظم الناس ، ان في هذه العبارة مجردة من اي اسناد او توضيح ، نوعاً خطيراً من الاستسلام، وبالتالي تكريساً رهيباً للهزيمة . وقال هؤلاء : «صحيح ان كل شيء يتم بارادة الله ، لكن الصحيح ايضاً هو ان البشر هم الذين يجسدون ارادة الله .

وقد قال الله : «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» اما ان نتقاعس ونتواكل ، ونهمل ، ثم ننسب الهزيمة الى السماء وحدها دون ان نتحمل اية مسؤولية فيها فذلك مالا يريده الله .

ثم بدأت الالسنة تهمس : «الذين ينكرون وجود الله ، هم الذين يتعمدون ان ينسبوا اليه ما لحق بنا من هزيمة . والمسؤولون عن الهزيمة هم الذين يريدون لنا الاستسلام والخنوع والذل» .

الظاهرة التي تلت هذا المنكر مباشرة ، كانت تبدو في امتلاء المساجد والكنائس بالمصلين .

ورغم العدد الكبير من المساجد في القاهرة وفي مختلف مدن القطر المصرى فقد لوحظ انها بدأت تفيض بمن فيها ، وخاصة في ايام الجمعة . في هذه الاثناء بدأ تحول جديد في مصر .

كان التحول حتى الاونكريابي ناحية ، حينما راح الناس يفتشون عن الحقيقة ، ويصرون على التمسك بما «امر به الله في كتبه السماوية» ، ومظهريا من ناحية ثانية حينما راحوا يقبلون على المساجد والكنائس ويردون بشكل غير مباشر على من اعتقدوا انهم كانوا السبب في الهزيمة ، وان تخليهم عن الدين هو الذى الحق بمصر المصائب .

التحول الجديد كان مظهر آخر من الرد على ما يسمي (موجة الالحاد والاباحة) المتمثلة في الثياب القصيرة جدا . وفي العرى «الذي لا يقبله مجتمع محافظ له عاداته» .
كان هذا التحول مقتصرا حتى ذلك الوقت على الطالبات الازهريات نسبة الى جامع الازهر فاذا به يمتد الى جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ثم الى مختلف الجامعات المصرية .

والمعتقد ان وراء هذا التحول شعور معظم الناس بأن «الابتعاد عن الدين والانصراف الى ملذات الدنيا ، والنأي عن القيم الحقيقية التي تدفع بالانسان الى العمل من اجل الله ومن اجل الوطن ومن اجل الاسرة ، ومن اجل المجتمع هذا كله ، كان احد اسباب التدهور السياسي والاجتماعي والاقتصادى ومن ثم كان احد اسباب الاهمال الخطير الذى بدأ في حرب حزيران «يونيو» مما ادى «باكبر قوة ضاربة في الشرق الاوسط» الى الانحدار خلال بضع ساعات» .

في الايام الاولى من شهر رمضان الماضي ، تكررت ظاهرة «العودة الى الله» بظهور عدد كبير من الوزراء ، وضباط الجيش ، وضباط الشرطة ، ورؤساء مجالس ادارة المؤسسات المختلفة في مسجد الحسين في القاهرة لاداء الصلاة .

كان هؤلاء يأتون خاصة بعد انتهاء اعمالهم عصر كل يوم تقريباً

أثناء حرب رمضان ، ازداد ازدحام المساجد والكنائس.

قد لايكون الازدحام في حد ذاته هو المهم ، والمهم فعلا ، ان الوجوه التي كانت تظهر في المساجد والكنائس ، لم تكن تظهر من قبل فقد كان اداء الصلاة مقتصراً على عامة الشعب ، اي ان «ابناء الذوات» وكبار المسؤولين ، والذين بقي لهم شيء من ثرواتهم ، كان لهم من «مشاغلهم» مايحول بينهم وبين الصلاة !

هذا الموضوع بدأ يكثر خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، وتبدل اكثر واكثر مع مطلع شهر رمضان الماضي ومع ذروته خلال حرب رمضان ظهر اثر هذا كله في بعض البرامج الاذاعية ، وفي برنامج تلفزيوني شق طريقه بصعوبة بالغة ، ولايزال يعاني بعض المتاعب بسبب - كما قيل لي - وجود «طائفة من المسؤولين غير المؤمنين في البلد بعد»

البرنامج يحمل عنوان «هدى الله»

ابرز ماقبل الاعتذار اليه ، وجعله حديث الناس في القاهرة ، ان مقدمته فتاة - كريمان حمزة - اهتدت فجأة وانقلبت اوضاعها رأسا على عقب !

هذه الفتاة التي عاشت في اسرة ميسورة توافرت لها فيها اسباب الرفاهية كلها تزوجت من شاب ميسور ايضاً وهي في الخامسة عشر من عمرها ، فتوقفت عن الدراسة ، وبقيت في البيت تمارس مختلف انواع النشاط الرياضي والاجتماعي ، وتتردد على النوادي ، وتتقن رقص الباليه ، وكانت قد حصلت على كأس المدارس الثانوية في هذا النوع من الرقص .

كانت كريمان ترتدي «الميكروجوب» وتحضر الحفلات الساهرة ، وتقيم الحفلات في بيتها او تهتم بالسباحة ، وتحرص على ان تكون ثيابها متمشية مع اخر

صيحات الموضة .. لكنها مع هذا كله لم تكن راضية عن نفسها !.

لماذا ؟ ..

هي نفسها لم تكن تعرف .

كان من العسير عليها ان تجيب على هذا السؤال ، ان تعرف لماذا خلق الانسان وهل لهذا خلق؟ اى هل خلق لكي يأكل ويسهر ويشرب ويقيم الحفلات ويحضر الحفلات فقط ؟..

المهم ، ان التحول بدأ في حياتها ذات يوم عندما كانت تدير مفتاح الراديو ، فعثرت على المحطة التي تذيع القرآن الكريم طول اليوم .

تقول كريمان : «ما كدت استمع الى التلاوة ، حتى احسست انني ملتصقة الى الراديو بشكل غريب ، كنت اجلس مستمعة منذ بدء الاذاعة حتى نهايتها اى حوالى ١٢ ساعة . المدهش انني كنت فيما استمع ، اجد ردوداً على اسئلة كثيرة كنت اطرحها دون جدوى

كنت يومها في الاسكندرية . فاذا بي اجدني مهتمة صباح كل يوم باعداد طفلي الذهاب الى شاطيء البحر مع الخادمة ، ثم التفرغ لسماع القرآن الكريم بحيث لاتفوتني آية واحدة ، ولا كلمة واحدة . ورحت بعد ذلك اقرأ كتب التفسير ، ثم غرقت في قراءة الكتب الصوفية . . ثم بدأت اعيد النظر في تصرفاتي ، وفي الملابس التي ارتديها ، وقضيت وقتاً طويلا حتى توصلت الى وضع تصميم مناسب لوشاح الرأس الذي يغطي الشعر والرقبة والصدر لكي لايكون شكله منفراً» .

[وتستطرد المجلة بذكر مظاهر اخرى للعودة الى الله والتمسك باحكامه فتذكر هذا المثال قائلة :]

لقد بلغ من حدة الموجة الدينية الجديدة ان تصدت هذه الموجة لمشروع قانون الاحوال الشخصية الذي اقترحته الوزيرة الدكتورة عائشة راتب ، فرفضت ـ اى الموجة ـ تقييد الزواج بأكثر من زوجة واحدة ، ورفضت اخضاع الطلاق لارادة القاضي : لان للدين حكمته فيما سن من قوانين ولان التشريع المدني لايمكن ان يعطل التشريع الديني .

العامل الاساسي في هذه القضية الخطيرة ، هو ان الهزيمة بدلت كثيراً من المفاهيم

في مصر ، ثم جاءت موجة انكار الله ـ وهي موجة مصطنعة روج لها بعض الشيوعيين ـ لتعمق هذه المفاهيم ، ثم جاء انتصار رمضان ليغرس في نفوس الناس ان القيم الروحية هي الاجدى والابقى ، فكان ما كان ، وما ينتظر له انتشار واسع النطاق ليس في مصر وحدها بل في بلاد عربية كثيرة» .

* * *

ضرورة الاعتراف بالدين الاسلامي

في المانيا الاتحادية

[بعد ان تم في بلجيكا الاعتراف رسمياً بالدين الاسلامي نجد من الضرورة العمل في الدول الاخرى التي تحتوي على جالية اسلامية كبيرة فيها لتحذو حذو بلجيكا وتعترف بالدين الاسلامي كاحد الاديان الرسمية في بلادها وبذلك يتحقق للمسلمين في تلك الاقطار بعض المزايا والضمانات التي لازالوا محرومين منها ونحقق من جانبنا بعض مسؤولياتنا تجاه اخواننا في البلاد الغربية وبهذه المناسبة نقتطف للقراء الكرام هذا المقال من مجلة **الرائد** الاسلامية التي تصدر في المانيا الاتحادية]

البعثات السياسية العربية والاسلامية في المانيا الاتحادية امام واجب كبير .

ومكتب جامعة الدول العربية في المانيا الاتحادية امام واجب كبير ايضاً ...

هذا الواجب هو واجب اتخاذ الخطوات اللازمة للاعتراف بالدين الاسلامي في المانيا الاتحادية ، كما يعترف مثلا بالدين اليهودي ، والمسلمون في المانيا اكثر من اليهود .

ان هذا الاعتراف الذي نطالب به ، ونطالب بالسعي اليه ضروري جداً للاسلام والمسلمين في المانيا الاتحادية .

انه ضروري لوجود مؤسساتهم وحياتها .

ضروري لتعليم ابنائهم الاسلام ، وتربيتهم عليه .

ضروري لتوفير الشروط التي تسمح للمسلم بممارسة حياة اسلامية سليمة .

.. ضروري للمحافظة على الشخصية الاسلامية والمقومات الاسلامية الاساسية.

وفي المانيا الاتحادية مسلمون من اصل الماني ، وفي المانيا الاتحادية جاليات اسلامية كبيرة تحمل الجنسية الالمانية ممن نزح الى المانيا من الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية . وفي المانيا الاتحادية عدد كبير من المسلمين من مختلف البلاد العربية والاسلامية الذين يعيشون في المانيا الآن ، للعمل أو للدراسة او لغير ذلك ، ومع كثير منهم زوجاتهم وابناؤهم المعرضون للضياع .. ان عدد العمال الاتراك وحدهم في المانيا الغربية مع اسرهم يناهز المليون .

ومن واجب البعثات العربية والاسلامية ، ومن واجب مكتب جامعة الدول العربية ، ومن واجب الدول العربية الاسلامية ذات التمثيل السياسي في المانيا الاتحادية ان يفكروا مع المراكز والجمعيات الاسلامية العاملة في المانيا بالمسلمين المقيمين في هذه البلاد اقامة دائمة او موقتة ، وان يهتموا بأوضاعهم الدينية والثقافية والخلقية والاجتماعية . وان يدفعوا عنهم الاذى والغبن ان اصابهم الاذى او الغبن ، وان يعملوا لتحقيق مصلحتهم وخيرهم على كل المستويات .. في حدود القوانين والاعراف المحلية والدولية ، والروابط القائمة ، والمصالح المتبادلة ، والاساليب المناسبة.

انه ليس من المقبول ابداً ان تقتصر اكثر البعثات السياسية العربية والاسلامية ـ كما هو حاصل الآن ـ على الاعمال الروتينية العادية ، وان تتجاهل او تجهل اوضاع العرب والمسلمين في هذه البلاد ، ولا تهتم بهم ولا بمصائرهم ...

وليس من المقبول ان تفعل ذلك الحكومات العربية والاسلامية القادرة على القيام بالواجب ، والمسؤولة عنه أمام الله عزوجل .

والاهتمام بالعرب والمسلمين مقيمين او طارئين في هذه البلاد ، والاهتمام بامثالهم في كل بلد آخر خارج حدود الوطن الاصلي ، هو ـ كما لا يحتاج الامر الى بيان ـ خدمة من اكبر الخدمات للبلاد العربية والاسلامية على المدى القريب والبعيد .

اخبار دار التبليغ الاسلامي

أ ـ مكتبة دار التبليغ العامة .

صدر بيان من ادارة المكتبة يتضمن كشفاً ببعض الفعاليات خلال الاشهر (جمادى الثانية ـ رجب ـ شعبان) من سنة ١٣٩٤ هـ هو كما يلي :

اهدى ٣٩٣ مجلداً المكتبة ، و ١٣٥ نسخة من المجلات المختلفة ، واشترى ٢٠٢ مجلداً من الكتب المتنوعة وقد كان عدد المراجعين هو ١١٧٠٠ مراجع وكان عدد الكتب المطالعة بلغ ٢٥٤٠٠ كتاب .

هذا وقد وضح البيان ان السبب في قلة المطالعين هو غلق المكتبة خلال شهري جمادى الثانية ورجب لوجود عمليات تعمير فيها .

ب ـ قسم النشر :

وقد كان هذا القسم فعالا خلال الأشهر الثلاثة الماضية حيث انه قام بطبع وتوزيع الكتب الثلاثة التالية مجاناً في مختلف الأقطار الآسيوية والاوربية والافريقية والامريكية وهي كما يلي :

١ ـ فاطمة الزهراء (فارسي) ٢ ـ الصلاة اروع عروج روحي (فارسي)

٣ ـ مع الرسول والرسالة (عربي) .

كما شملت فعالياتها برنامجاً واسعاً للاجابة على مئات الاسئلة العلمية والدينية مما اسهم كثيراً في دفع الكثير من الشبه عن اذهانهم .

وكان اروع عمل قام به هذا القسم بالتعاون مع قسم الوعظ والارشاد هو (الدورة التربوية) الواسعة للجيل الشاب والطلاب مستهدفاً امرين رئيسين :

الاولالعقائد الاسلامية وتركيزها في الاذهان .

الثانيتعليم القرآن الكريم تلاوه وتفسيراً .

وقد قدم لهذا العمل الرائع ان بعث برسائل الى كل مدينة في ارجاء ايران المسلمة ترغب في فتح صفوف تربوية فكان ان انهالت سيل الطلبات من المدن الكثيره التي تجاوزت الـ ٦٠ مدينة مرحبةبهذهالفكرةالجليلة وخصوصاًمن الشباب المسلم المثقف المتطلع .

وهنا فتح هذا القسم دوره تدريسيه تعتبر كمقدمة لتلك الدورة الكبرى حيث تم فيها اعطاء التوجيهات اللازمة والتدريب على الاساليب الحية التي تحقق ذينك الهدفين الكبيرين .

وهكذا توجه حوالي ١٢٠استاذاً من المبلغين الى المناطق الراغبة وفتح ما يقارب ٤٥٠صفاً في المناطق المختلفة وقد كان الاقبال منقطع النظير اذ انضم الى هذه الصفوف حوالي ٢٥٠٠٠ (خمسة وعشرون الف) طالب كل منهم يتوق الى المعرفاكثر على العقائد الاسلامية والتوفر على اسلوب رائع لقراءة القرآنوتفسيره.

ومما يميز هذه الدورة التبليغية انها اعتمدت الاساليب التربوية الحديثة في ايصال المفاهيم والادلة العقائدية الى الاذهان مستعملة وسائل الايضاح المختلفة .. وكذلك فقد اتبعت اسلوباً جميلا يستهدف تعليم القرآن الكريم خلال ٣٠ حصة دراسية وتبدوروعة هذا البرنامج اذا تذكرنا انالطالبلايتكلم اللغة العربية وان كان مولعاً بها باعتبارها لغة القرآن الكريم .

وهكذا اثمرت الجهود المتواصلة من قسمي النشر والتبليغ والضبط الشديد والبعثاتالتفتيشية ،اثمرت كلها جيلا من القراء والشباب المسلح بسلاح العقيدة الواعي لواجباته واهدافه رغم قصر المدة المقررة لهذه الدورة .

الامام الشاهرودي في نبذة السطور

الامام الفقيد في سطور

□ ولد سماحته في عام ١٣٠١ هـ في احدى قرى «شاهرود» في بلاد ايران وربي في اوساط عائلة معروفة بالدين والفضيلة.

□ تلقى دروسه الاولية في مسقط رأسه. وانتقل بعد ذلك الى الحوزة العلمية في مدينة «بسطام» حيث قرأ ودرس وتتلمذ على ايدي علمائها ليبلغ مرحلة من مراحل الدراسة العلمية.

□ هاجر عام ١٣٢٨ هـ الى النجف الاشرف لينهل من نمير علمها وليتلقى الدروس العالية في الفقه والاصول وغيرهما على يد جهابذة هذه العلوم في النجف، وكان ان تتلمذ على يد المرحوم آية الله الشيخ محمد كاظم الآخوندي الخراساني والمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين النائيني تغمدهما الله برحمته ويعتبران من أكابر العلماء واساطين الفقه والاصول ولكل منهما مدرسة في الاصول لها مميزاتها وخواصها.

□ وفي فترة وجيزة وبسرعة فائقة استطاع الامام الفقيد ان يحتل مكانه في صفوف المجتهدين البارعين ومن ثم ليكون من مراجع المسلمين في التقليد والفتوى.

□ كان للفقيد الكثير من المقلدين الذين يتلقون عن طريق فتاواه الاحكام الشرعية، وينتشرون في الكثير من الاقطار الاسلامية.

□ خصاله وفضائله :

كان رحمه الله على جانب كبير من الزهد والورع والتقوى حتى عد مثالاً لذلك متعالياً على الدنيا وزبارجها يتحلى باخلاق عالية ودماثة وتواضع يحببه الى كل من يجلس اليه.

□ مكانته العلمية :

كانت للفقيد منزلة علمية عالية، وشهرة واسعة في اوساط الحوزات العلمية بالتحقيق في الفقه والاصول خصوصاً، ومن هنا فقد كانت حلقة درسه تحوي المئات

من الافاضل والعلماء ، وتخرج على يديه الكثير من المجتهدين والعلماء المنتشرين في الكثير من المدن والبلاد .

جهاده :

كانت للفقيد مواقف جريئة وشجاعة في مجن كثيرة المت بالمسلمين نذكر منها على سبيل المثال موقفه من المد الشيوعي في العراق حيث تضامن مع بقية العلماء المجتهدين وصدوا تلك الموجة الخطرة واصدروا فتواهم المشهورة «الشيوعية كفر والحاد» والتي كان لها اثرها الكبير في ايقاف ذلك الخطر الساحق .

كانت للفقيد اعمال وخدمات كثيرة منها انفاقه على الكثير من طلاب العلوم الدينية في ايران والعراق ، وبناء وترميم العديد من المدارس الدينية والانفاق عليها ، وبناء البيوت لطلاب الحوزة العلمية وتعهد الكثير من الفقراء والاهتمام بشؤونهم

وفاته :

توفاه ربه في الثامن عشر من شهر شعبان ١٣٩٤هـ وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً حيث تشييع جثمانه المقدس بموكب مهيب اشتركت فيه كافة طبقات المجتمع وانضمت اليه وفود عديدة من المدن المجاورة للنجف .

كما اقيمت له المئات من مجالس التأبين والفواتح التي عمت العراق وايران والكويت ولبنان وافغانستان والخليج وغيرها . . .

رحم الله الفقيد فقد كان مثالا حياً صالحاً وقدوة حسنة وعلماً من اعلام الامة وعوض الله المسلمين هذه الخسارة العظيمة بان يحفظ المراجع الكبار الباقين ليكونوا خير ذخر وحام لهذه الامة .

مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد الخامس ـ السنة الثالثة

ذي القعده ـ ١٣٩٤ هجريه

الفهرس

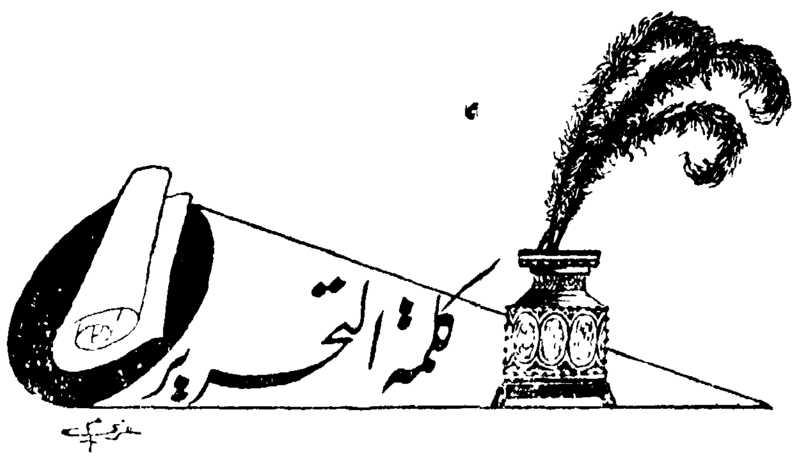
بسم الله الرحمن الرحيم

حكمة العدد

لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله ، ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله .

الامام الباقر ع .

الكافي ــ كتاب الايمان والكفر



وهكذا .. تتساقط المبادرات

يحمل الفكر في كل امة مركزا طليعيا ويعبر عن نفسيتها وتنعكس فيه نقاط الضعف والقوة فيها... فهو مقياس وجودها وتحركها الحضاري .

وكلما كانت دائرة العقول الواعية للفكر الذي تستمد اليه امة ما عضدا أوسع، كانت النتائج المتوخاة اقرب للتعمق بعض الشيء عن الاستعداد الطبيعي للفكرة للانتاج المطلوب .

ولذا قلنا ان نقول ان تاريخ اية امة هو تاريخ لفكرها ومنعرجاته .. لقوته وضعفه . . .

ولهذا نجد الاسلام وبمقتضى واقعيته ركز على الجانب الفكري وبنائه بركيزة آمنة يدا لا مثيل له . ونرى النبي (ص) والائمة (ع) ربوا الوعاة المفكرين لينتشر هؤلاء وينشروا الوعي للاسلام وفكره القائدي واهدافه العامة في الحياة ونظامه الاخرى ، حتى بني ذلك المجتمع القوي الذي نشر النور والحضارة خلال فترة لا تعد شيئا في عمر الزمن ، والذي هدم كل الايديولوجيات السائدة آنذاك رغم القوة والعمق المزعومين لبعضها .

وبقي التفكير الاسلامي بعد السير على اساس من معالم القرآن السامية والسنة الشريفة الى ان اصيب ببعض التطورات التي يمكن ان نعد منها انشغاله ببعض القضايا التي كان في غنى عنها تأثرا بما طرح في الفكر الجاهلي السابق ، وكذلك تقوقعه في اطار ضيق مما جعله ينسى الهدف الرئيسي من وجوده وهو توعية الامة ...

وهذا ما فسح مجالا للجهل كي يخيم في النهاية على القطاع الاكبر من ابناء الامة وكان ذلك السبات العميق التي مرت به .. حيث عاشت قرونا عديدة على اشعاعات فردية من علماء واعين ، وبما الايمان تبعها روح الاسلام فيها . وكان ذلك كافيا نوعا ما في جعلها تحتفظ بشخصيتها من الضياع .

وجاء دور الاستعمار المقيت المغرور بسلاحه الحديث وامكاناته الهائلة التي منحته القدرة على المواجهة المباشرة مع هذه الامة التي ظنت أنها في مأمن من مكائده الا انها

ثم لكن نشعر به . . . فانهارت على اثر الضربه الاولى . . .

وبعد سقوط القلاع امام ذلك الهجوم قام الاستعمار بمحاولة التصميم الفكري لملء ذلك الفراغ الذي كان محسوسا واستطاع ان يخدع الكثيرين ويحقق الكثير من الاهداف.

وهنا نبه الخطر الوعاة العلماء من ابناء هذه الامة والذين احسوا بالخطر وسبل دفعه قبل غيرهم فعملوا على نقل الفكر الواعي من الموقع السابق الى الواقع الاجتماعي العام وتمهيد قوالب تقريبية يستطيع الافراد تقمصها وساعدتهم على ذلك عوامل كثيرة منها سمة الامة التي كان الوهج المتبقي من الايمان كامنا في اشعال الحنين فيها للرجوع الى الله والاستمداد من عطائه .ومنها مالاقته من المستعمر الغاصب من ويلات الاستغلال والاستعباد هذا بالاضافة الى الطاقات الذاتية التي يحتويها الفكر الاسلامي الصافي الواعي وان كنا لاننكر أن الكثير من تلك الافكار كان مشوبا احيانا ببعض مخلفات قرون التخلف .

وعلى اية حال فقد اشعل العمل الواعي الحركة في ارجاء هذه الامة التي ثارت على الاستعمار وحطمت آماله وقلبت خططه . وقد لا ان الذي اشعل هذا انما هو العمل الواعي وامامنا العديد من الامثلة التي يمكن ان نجعلها شاهدا على مانقول ومنها ثورة العشرين الرائعة في العراق والتي قادها العلماء والمفكرون ضد الاستعمار الانكليزي الغاشم.

ولما باءت مشاريع الاستعمار المباشرة بالفشل ، فكر مرة اخرى في اهدافه وتحقيقها ولم يجد بدأ من تغيير خططه وتمرير اهدافه خلال شعارات براقة يمتص بها نقمة الامة عليه اولا ثم يجهز على مقاومتها ويضرب منابع النور في عمق وجودها ومن هنا فقد سخر عملاءه ليرفعوا شعارات وهاجة الى جنب الشعارات المرفوعة والمادية بما تتوق اليه الامة .

وصحت امتنا وخصوصا القسم العربي منها على صوت للسرايدة في الشعارات الالحاديه والثمانية والاحادية وانطلقت الحركات المختلفة وكل منها يحاول ان يجد لها موضع قدم في الوطن المسلم .

وعندما نلاحظ هذه الحركات التي نشأت تنادي بتلك الشعارات البراقة نجدها تشترك في جانب واحد وان اختلفت فيما بينها فمزقت جسم الامة وقطعته . وذلك الجانب المشترك هو انها حملت لواء ينافي في واقعه مع الاسلام.

وقد استطاع الاستعمار بذلك ان يحصل على اكبر الثمرات فقد تفادى بذلك النقمة العارمة التي وجدت في الامة نتيجة لاساليبه المباشرة مما جعل من المستحيل تمرير اي مبدأ استعماري بشكل مكشوف .

كما استطاع ان يملأ ذلك الفراغ العام لصالحه بتربية جيل بعيد عن اهدافه الاسلامية السامية يقتصر نظره على مصالحه القومية او الوطنية بعيداً عن المصلحة العليا للامة او الايحاء لاولئك المتعلمين بانهم امتلكوا ازمة الفكر فيجب ان ينفصلوا عن تاريخهم وعن فكرهم القديم .

وكان ذلك الانفصال الفضيع بين قطاعات كبيرة في الامة عن مصادر الفكر ومنابع الوعي مما خلق فيهم بالاضافة الى فقر الوعي،سوء النظرة والحقد الذي لامبرر له تجاه كل من ينتسب الى التراث الاسلامي وكل من يحاول نشر الوعي واعادة الفهم الصحيح للمبادىء الحية .

ولنا هنا ان نستعرض تاريخ فكرة استعمارية غربية جاءت الى الشرق المسلم اول ماجاءت وهي سافرة الوجه معلنة مبادئها مقدمة اياها في قوالب رائعة المظهر اخاذة سلبت بها لب الكثيرين .

فالذين ذاقوا بال الظلم والتمزق والحرب والاستغلال سيطربون اشد الطرب عندما يسمعون الفاظ الحرية والعدالة الاجتماعية ،والسلام وحقوق العامل والديمقراطية وحقوق العامل التي جاءت بها هذه الفكرة الاستعمارية وهي الماركسية .

ولكن الامة سرعان ما اكتوت بنار هذه الفكرة بعد ان احست بزيف تلك الشعارات البراقه وبعدم وجود واقع موضوعي لها حتى في منابتها ومواقعها الحصينة ورأت الكثير الكثير من حوادث الابادة العنيفة والاهم من ذلك انها احست بالضربة العقائدية التي لم تتضح من قبل واذا بها تطلع على واقع الحادي مرعب ووحش مادي كاسر يقف وراء تلك الشعارات المزيفة.

وكان النصيب الاوفر لهذه النوعية راجعاً لفئة من العلماء والمفكرين الذين نذروا انفسهم لتحسيس الامة بالواقع وشرح البديل الاسلامي الاصيل لكل تلك النظم الخيالية التطبيق... وهنا حسب الماركسيون حسابهم من جديد ، بل الصحيح ان الاستعمار الذي تستر وراءها فتح مجال محاسبة جديدة للموقف . . . وراح يخطط لتمرير اهدافه الخبيثة .

وكان ان غرس في هذا الجسم بعضاً ممن تشبعوا بآرائه ليقوموا بنشر الفكرة من جديد ولكن من دون التصريح بالاسس التي يتبناها محاولا مرة اخرى امتصاص ذلك التوق الاكيد للامة نحو واقع هذه الشعارات ..وكأن الاستعمار في هذا قد قبل فكرة المرحلية في النفوذ محاولا اتباع ما اسماه البعض من الشيوعيين بـ «ماركسية القرن العشرين» محاولين بذلك ان يصوغوا شكلا مخمماً من الماركسية يتناسب مع الاخلاقية الشرقية . . . وهكذا القى بكل ثقله وكل ما يمكنه ان يبذله في سبيل نشر هذه المبادىء المسمومة واستطاع ان يحصل لها على مواضع قدم بل استطاع ان يسلمها زمام الامور في بعض المناطق العربية.

وما ان استقرت لها قدم حتى وجهت كل همها لضرب منابع الفكر ومراكز الاشعاع التي تشكل اكبر عقبة في سبيل انتشار تلك الافكار فقامت بمحاولة عزلها عن الامة اولا ولما لم تجد ذلك مجدياً كشفت ثانياً عن قناعها الحقيقي حين استعملت العنف الشديد تجاهها .

وطاردت قادة النهضة ووأدت صرخات الوعي في الحناجر وفرضت الرقابة الشديدة على عطائها الفكري الممنوع والمشروع واتهمه اياها بالرجعية المقيتة تارة . . وبالليمينية المعادية للتطور تارة اخرى ...

والمطلوب من المسلمين اليوم وعي كل هذه التحركات وكشفها على الملا وتتبع خطواتها التي تشكل بمجموعها اذرعاً للاخطبوط العالمي المستغل . . . اوكما يصفها القرآن الكريم بـ «خطوات الشيطان» .

الموقف الصحيح من الانحراف الفكري

صدر في الكويت مؤخراً كتاب يزعم كاتبه وقوع التحريف في القرآن ومع انه لم يتح لنا الاطلاع على هذا الكتاب عن كثب الا أن بعض المعلومات عنه قد وردت في مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢٢٥ . ٢٨ . شوال ١٣٩٤

وقد نقلت المجتمع من الكتاب الصفحة ٨٩ مايلي

«اول من جمعه وحمله بين دفتين كتاباً هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وورث هذا القرآن امام بعد امام من ابنائه المعصومين عليهم السلام. وسوف يظهره الامام المنتظر المهدي اذا ظهر «عجل الله فرجه وسهل مخرجه . . .

واما مصحف فاطمة فهو مثل القرآن ثلاث مرات وهو شيء املاه الله واوحى اليها .

صحيفة الابرار ص ٢٧ عن بصائر الدرجات» .

ونحن نوافق على ان مايسمى بمصحف علي او مصحف فاطمة عليهما السلام هو بهذا المعنى الذي يذكره الكتاب المذكور فرية على علي وفاطمة عليهما السلام وعلى الحقيقة والدين والتاريخ تماماً كما نؤكد حقيقة عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم وان الله سبحانه تكفل بحفظه ولكن لنا عدة ملاحظات عن الاسلوب التي عالجت «المجتمع» به مسألة هذا الكتاب وهي

١ ـ ان اثارة الضجة حول هذا الكتاب واعلان انه ليس لصالح الاسلام والمسلمين لانها ترويج له ولكاتبه اكثر مما هي محاربة لهما . وخير دليل على ذلك ماحدث لكتاب نقد الفكر الديني حين صدوره في لبنان (١) .

٢ ـ لماذا لم تكلف «المجتمع» نفسها عناء التقييم العلمي لهذا الكتاب لترى ان موقفها كان سيختلف تماماً نقول هذا و نحن لم نر الكتاب بعد مستندين الى معلوماتنا الخاصة التي نجزم بصحتها

ان الكتاب المذكور ليس الا واحداً من كتب عديدة يزخر بها السوق التجاري ولا اقول المكتبة الاسلامية وكلها تدعى الكشف عن الحقائق الاسلامية . ولكنها مليئة بالاخطاء والتناقضات . . وما ذلك عن سوء قصد اوتعمد تشويه . . بل ذلك كله نتيجة لتقاعس المسلمين عن تولية امر عرض حقائق هذا الدين العظيم الى الاكفاء من اهل الخبرة والاختصاص

٣ ـ ان الافراط في الامن من مخططات الاستعمار ذات المظاهر المتعددة . . امر في غاية الخطر . . والافراط في التخوف من هذه المخططات هو كذلك في غاية الخطر لان الاول يوقع الامة في المشاكل دون ان تكون

(١) هذا الكتاب صدر قبل حوالي اربع سنوات وثارت حوله ضجة لايستحقها . .

قد اعدت لها واستعدت . . والثاني يفقدها شخصيتها وشجاعتها ويحولها الى شبح خائف . . ويلقى الفتنة في صفها . ولذا فانا لانوافق على ربط اى تحرك بشار بمخططات الاستعمار والصهيونية والصليبية واللادينية من دون ان نختبر ونقيم . . وهذا ما وقعت فيه «المجتمع» . . ان الكتاب المذكور نتيجة عدم تحملنا المسئولية في تأليف ونشر الكتاب الاسلامي

٤ ـ قالت المجتمع «ويصدر الكتاب كذلك في وقت يجدد فيه الاستعمار نشاطه ومخططاته لاثارة الفتنة الطائفية في اكثر من مكان» . ولاجل هذا نرى انه كان لزاماً ان تذكر المجلة ان الرأي الذي تضمنه الكتاب هو رأي الكاتب .

منعاً لاساءة الفهم والتفسير وحفاظاً على صفوف الامة ووحدتها . . .

ان التصرف الفردي لايمكن ان يتسم بالصفة الجماعية .

وجناية على العلم والموضوعية ان نتساهل في ذلك .

لقد قال بوقوع التحريف في القرآن الكريم ـ والعياذ بالله ـ من قال من كافة فرق المسلمين وطوائفهم . . ولكن ذلك لايمكن ان يحمل على المسلمين وعقيدتهم.

ان عقيدتنا ان القرآن هو مابين الدفتين ومن قال بغيره فرأيه قال . . وعن عقيدة الامة شذ . .

وان الله سبحانه لم يوح الى أحد غير النبي (ص) وان الوحي قد انقطع بعده دون شك

الموقف الصحيح

الموقف الذي نراه صحيحاً في مثل هذه القضايا هو أن يخنق كتاب الشبهات في الخفاء فيعمل لدى السلطات المختصة على مصادرته وحرقه . . دون اثارة اي ضجة . . ثم ينظر الى الشبهات التي تضمنها هذا الكتاب فيؤلف حولها كتاب يفندها واحدة واحدة بالبراهين العقلية والادلة العلمية لان الاسلام لايمكن له ان يعيش في ظلام الجهل . .

ومن المفروض ان لايثير الرد على اية شبهة اية حساسية طائفية . ولكي يتم هذا لابد من توحيد الموقف قبل مجابهة الشبهة . .

وهنا نرى أن توحيد الموقف كان ضرورياً فيتم التحرك من قبل الجهاز الفكري القائم بكل فروعه .

وانا اذ نؤكد على ذلك فلحرصنا على مصلحة الامه ومصلحة الشعب الكويتي المسلم . . ولاننا ندرك ان للاسلام في الكويت صوته . الذي يتوقف استمراره ونموه على بقاء الصفاء والمودة بين سائر ابناء الامة وقد رأينا من الضروري جواباً على شبهة الكتاب المذكور ان ننشر هذا المقال حول « صيانة القرآن من التحريف » . . ايماناً منا بأن الدليل المقنع هو الجواب الصحيح . .

صيانة القرآن من التحريف

بحث مستمل من كتاب «البيان في تفسير القرآن» للامام السيد الخوئي .

هل وقع التحريف في القرآن بمعنى ان المصحف الذي بايدينا ليس من الكلام المنزل؟

المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن ، وان الموجود بايدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الاعظم - ص - وقد صرح بذلك كثير من الاعلام . منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه ، وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الامامية . ومنهم شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي وصرح بذلك في اول تفسيره «التبيان» ونقل القول بذلك ايضاً عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى ، واستدلاله على ذلك باتم دليل . ومنهم المفسر الشهيد الطبرسي في مقدمة تفسيره «مجمع البيان» ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» وادعى الاجماع على ذلك. ومنهم العلامة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقى» ونسب القول بعدم التحريف الى جمهور المجتهدين ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابه (١) ومنهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد الجواد البلاغي في مقدمة تفسيره «آلاء الرحمن».

وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف الى كثير من الاعاظم منهم شيخ المشايخ المفيد ، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي ، والمحقق القاضي نور الله و غيرهم ، وممن يظهر منه القول بعدم التحريف : كل من كتب في الامامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ولم يتعرض للتحريف فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك اولى بالذكر من احراق المصحف وغيره .

وجملة القول : ان المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف نعم ذهب جماعة من المتأخرين من الشيعة وجمع من علماء اهل السنة الى وقوع التحريف قال الرافعي : فذهب جماعة من اهل الكلام

---

(١) الوافي ج ٥ ص ٢٧٤ ، وعلم اليقين ص ١٣٠ .

ممن لاصناعة لهم الا الظن والتأويل ، واستخراج الاساليب الجدلية من كل حكـم وكل قول الى جواز انيكون قدسقط عنهم من القرآن شيء حملا على ماوصفـوا من كيفية جمعه(١) وقدنسب الطبرسي في «مجمع البيان» هذاالقول الى الحشوية من العامة.

التحريف والكتاب :

والحق ان التحريف بالمعنى الذى وقع النزاع فيه غير واقع فى القرآن الكريم اصلا بالأدلة التالية :

الدليل الاول قوله تعالى :«**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ١٥ : ٩**» .
فان في هذه الاية دلالة على حفظ القرآن من التحريف ، وان الايدى الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه .

والقائلون بالتحريف قداولوا هذه الاية الشريفة ، وذكروا في تأويلها وجوها:
منها : «ان الذكر هو الرسول وقدورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى :
«**قد انزل الله اليكم ذكراً ، رسولا يتلوا عليكم آيات الله ٦٥ : ١٠ ، ١١**
وهذا الوجه بين الفساد : لان المراد بالذكرهو القرآن فى كلتا الايتين بقرينـة التعبير «بالتنزيل والانزال» ولو كان المراد هو الرسول لكان المناسب يأتي بلفظ «الارسال» او بما يقاربه في المعنى على انهذا الاحتمال اذا تم فى الاية الثانيةفلايتم في آية الحفظ ، فانها مسبوقة بقوله تعالى : «وقالوا ياايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ١٥ : ٦» .

ولا شبهة في ان المراد بالذكر فى هذه الاية هو القرآن فيكون قـرينة على ان المراد من الذكر فى آية الحفظ هو القرآن ايضاً .

ومنها : (ان يراد من حفظ القرآن صيانته عن القدح فيه ، وعن ابطال مايتضمنه من المعانى العالية ، والتعاليم الجليلة» .

---

(١) اعجاز القرآن ص ٤١ .

وهذا الاحتمال أبين فساداً من الاول ،لان صيانته عن القدح ان اريدبها حفظه من قدح الكفار والمعاندين فلاريب في بطلان ذلك لان قدح هؤلاء في القرآن قدوقع وهو فوق حد الاحصاء وان اريدان القرآن رصين المعاني قوى الاستدلال مستقيم الطريقة . وانه لهذه الجهات ونحوها ارفع مقاماً من ان يصل اليه قدح القادحين وريب المرتابين فهو صحيح ولكن هذا ليس من الحفظ بعد التنزيل كما تقوله الاية لان القرآن بماله من الميزات حافظ لنفسه ، وليس محتاجاً الى حافظ آخر ،وهو غير مفاد الاية الكريمة ، لانها تضمنت حفظه بعد التنزيل .

نعم هنا شبهة اخرى ترد على الاستدلال بالاية الكريمة على عدم التحريف .

وحاصل هذه الشبهة ان مدعي التحريف في القرآن يحتمل وجود التحريف في هذه الاية نفسها لانها بعض آيات القرآن فلا يكون الاستدلال بها صحيحا حتى يثبت عدم التحريف ، فلو اردنا ان نثبت عدم التحريف بها كان ذلك من الدور الباطل

بيان ذلك ان عدم تحريف القرآن متوقف على عدم تحريفها . وعدم تحريفها متوقف على عدم تحريف القرآن فتوقف عدم تحريف القرآن على عدم تحريف القرآن وهذا هو معنى الدور الباطل .

وهذه شبهة ترد على من عزل العترة الطاهرة عن الخلافة الالهية ولم يعتمد على اقوالهم وافعالهم ، فانه لايسعه دفع هذه الشبهة واما من يرى انهم حجج الله على خلقه . وانهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك فلاترد عليه هذه الشبهة ،لان استدلال العترة بالكتاب وتقرير اصحابهم عليه يكشف عن حجية الكتاب الموجود، وعدم تحريفه.

الدليل الثاني ـ قوله تعالى :

«وانه لكتاب عزيز ٤١ : ٤١ . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : ٤٢» .

فقد دلت هذه الايه الكريمة على نفى الباطل بجميع اقسامه عن الكتاب فان

النفي اذا ورد على الطبيعة افاد العموم ، ولا شبهة في ان التحريف من افراد الباطل فيجب ان لا يتطرق الى الكتاب العزيز .

وقد اجيب عن هذا الدليل :

بان المراد من الاية صيانة الكتاب من التناقض في احكامه، ونفي الكذب عن اخباره ، واستشهد لذلك برواية علي بن ابراهيم القمي ، في تفسيره عن الامام الباقر عليه السلام قال : «لا يأتيه الباطل من قبل التوراة، ولا من قبل الانجيل والزبور ولا من خلفه اى لا يأتيه من بعده كتاب يبطله» . ورواية مجمع البيان عن الصادق(ع) أنه : وليس في اخباره عما مضى باطل ، ولا في اخباره عما يكون في المستقبل».

ويرد هذا الجواب :

أن الرواية لا تدل على حصر الباطل في ذلك ، لتكون منافية لدلالة الاية على العموم ، وخصوصاً اذا لاحظنا الروايات التي دلت على ان معاني القرآن لا تختص بموارد خاصة ، وقد تقدم بعض هذه الروايات في مبحث «فضل القرآن» فالاية دالة على تنزيه القرآن في جميع الاعصار عن الباطل بجميع اقسامه ، والتحريف من اظهر افراد الباطل فيجب ان يكون مصوناً عنه ويشهد لدخول التحريف في الباطل الذي نفته الاية عن الكتاب أن الاية وصفت الكتاب بالعزة ، وعزة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير والضياع . أما ارادة خصوص التناقض والكذب من لفظ الباطل في الاية الكريمة ، فلا يناسبها توصيف الكتاب بالعزة .

التحريف والسنة

الدليل الاخر هو اخبار الثقلين الذين خلفهما النبي – ص – في امته واخبر انهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض – وامر الامة بالتمسك بهما ، وهما الكتاب والعترة وهذه الاخبار متظافرة من طرق الفريقين (١) .

---

(١) رواه الترمذي – ح ١٣ ص ٢٠٠ - ٢٠١ مناقب اهل البيت ورواه احمد في مسنده ج ٣ ص ١٤ – ١٧ – ٢٦ - ٥٩ عن سعيد الخدري ورواه في ح ٤ عن زيد بن ارقم وج ٥ عن –«

والاستدلال بها على عدم التحريف في الكتاب يكون من ناحيتين :

الناحية الاولى: ان القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسك بالكتاب المنزل لضياعه على الامة بسبب وقوع التحريف ولكن وجوب التمسك بالكتاب باق الى يوم القيامة لصريح اخبار الثقلين فيكون القول بالتحريف باطلا جزماً .

وتوضيح ذلك

ان هذه الروايات دلت على اقتران العترة بالكتاب ، وعلى انهما باقيان في الناس الى يوم القيامة ، فلابد من وجود شخص يكون قريناً للكتاب ولابد من وجود الكتاب ليكون قريناً للعترة حتى يردا على النبي الحوض، وليكون التمسك بهما حافظا للامة عن الضلال ، كما يقول النبي -ص- في هذا الحديث ومن الضروري ان التمسك بالعترة انما يكون بموالاتهم واتباع اوامرهم ونواهيهم ، والسير على هداهم . وهذا شيء لايتوقف على الاتصال بالامام ، والمخاطبة معه شفاهاً فان الوصول الى الامام والمخاطبة معه لايتيسر لجميع المكلفين في زمان الحضور فضلا عن ازمنة الغيبة . واشتراط امكان الوصول الى الامام -ع- لبعض الناس دعوى بلا برهان ولاسبب يوجب ذلك ، فالشيعة في ايام الغيبة متمسكون بامامهم يوالونه ويتبعون اوامره ومن هذه الاوامر الرجوع الى رواة احاديثهم في الحوادث الواقعة .

اما التمسك بالقرآن فهو امر لايمكن الا بالوصول اليه ، فلابد من كونه موجوداً بين الامة ليمكنها ان تتمسك به ، لئلا تقع في الضلال وهذا البيان يرشدنا الى فساد المناقشة بان القرآن محفوظ وموجود عند الامام الغائب فان وجوده الواقعي لايكفي لتمسك الامة به .

وقد اشكل على هذا الدليل :

-- زيد بن ثابت ورواه الدارمي في كتاب فضائل القرآن ج٢ ص٤٣١ ورواه جلال الدين السيوطي في جامعه الصغير ورواه بحاشيه في المستدرك ج ٣ ص ١٠٩ عن زيد ارقم وصححه ولم يعقبه الذهبي وغير هؤلاء وفي الفاظ الروايات اختلاف في التعبير لكنها متفقة في المقصود .

بان احبار الثقلين انما تدل على نفى التحريف في آيات الاحكام من القرآن لانهاهي التي امر الناس بالتمسك بها ، فلا تنفى وقوع التحريف في الايات الاخرى منه .

وجوابه :

أن القرآن بجميع آياته مما انزل الله لهداية البشر ، وارشادهم الى كمالهم الممكن من جميع الجهات ، ولا فرق في ذلك بين آيات الاحكام وغيرها ، وقد قدمنا في بيان فضل القرآن أن ظاهر القرآن قصة وباطنه عظة. على أن عمدة القائلين بالتحريف يدعون وقوع التحريف فى الايات التي ترجع الى الولاية وما يشبهها. ومن البين أنها لو ثبت كونها من القرآن ، اوجب التمسك بها على الامة .

اما الناحية الثانية فمذكورة في محلها .

شبهات القائلين بالتحريف :

وهنا شبهات يتشبث بها القائلون بالتحريف لابد لنا من التعرض لها ودفعها واحدة واحدة :

الشبهة الاولى :

ان التحريف قد وقع فى التوراة والانجيل وقد ورد في الروايات المتواترة من طريقي الشيعة والسنة : أن كل ما وقع فى الامم السابقة لابد وان يقع مثله فى هذه الامة . فمنها ما رواه الصدوق فى «الاكمال» عن غياث بن ابراهيم،عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل ما كان فى الامم السالفة ، فانه يكون فى هذه الامة مثله حذوالنعل بالنعل ، والقذة بالقذة» (١) .

ونتيجة ذلك : أن التحريف لابد من وقوعه فى القرآن ، والا لم يصح معنى هذه الاحاديث .

والجواب عن ذلك:

أولا : ان الروايات المشار اليها اخبار آحاد لاتفيد علماًولاعملا ، ودعوى

---

(١) البحار باب افتراق الامة بعد النبى (ص) على ثلاث وسبعين فرقة ج ٨ ص ٤ . وقد تقدم بعض مصادر هذا الحديث من طرق اهل السنة فى ص ١١ من هذا الكتاب .

التواتر فيها جزافية لادليل عليها ، ولم يذكر من هذه الروايات شيء في الكتب الاربعة ، ولذلك فلا ملازمة بين وقوع التحريف في التوراة ووقوعه في القرآن.

ثانياً : ان هذا الدليل لو تم لكان دالا على وقوع الزيادة في القرآن ايضاً ، كما وقعت في التوراة والانجيل . ومن الواضح بطلان ذلك .

ثالثاً : ان كثيراً من الوقائع التي حدثت في الامم السابقة لم يصدر مثلهافي هذه الامة ، كعبادة العجل ، وتيه بني اسرائيل اربعين سنة. وغرق فرعون واصحابه وملك سليمان للانس والجن ، ورفع عيسى الى السماء وموت هارون وهو وصي موسى قبل موت موسى نفسه ، واتيان موسى تسع آيات بينات وولادة عيسى من غير اب ، ومسخ كثير من السابقين قردة وخنازير ، وغير ذلك ممالايسعنا احصاؤه وهذا أدل دليل على عدم ارادة الظاهر من تلك الروايات ، فلابد من ارادةالمشابهة في بعض الوجوه . وعلى ذلك فيكفي في وقوع التحريف في هذه الامةعدم اتباعهم لحدود القرآن ، وان اقاموا حروفه كما في الرواية التي تقدمت في صدر البحث ويؤكد ذلك مارواه ابو واقد الليثي : « ان رسول الله (ص) – لما خرج الى خيبر مر بشجرة المشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها اسلحتهم . فقالوا: يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط . فقال النبي (ص) سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة . والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم » (١) فان هذه الرواية صريحة في ان الذي يقع في هذه الامة شبيه بما وقع في تلك الامم من بعض الوجوه.

رابعاً : لو سلم تواتر هذه الروايات في السند ، وصحتها في الدلالة ، لما ثبت بها ان التحريف قد وقع فيما مضى من الزمن ، فلعله يقع في المستقبل زيادة ونقيصة ، والذي يظهر من رواية البخاري تحديده بقيام الساعة فكيف يستدل بذلك على وقوع التحريف في صدر الاسلام وفي زمان الخلفاء .

البقية في ص ١٣٤

(١) صحيح الترمذي ، باب ما جاء لتركبن سنن من قبلكم ج ٩ ص ٢٦ .

اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟!!

قام الحكم القائم في العراق في الايام الاخيرة حاصة باضطهاد الجامعة العلمية العريقة التي وضع اساسها احد ائمة الفكر الشيخ الطوسي قبل اكثر من الف سنة وكانت خلال هذه المدة المديدة مصدر اشعاع ومدرسة عظمى يتخرج منها الاف من العلماء الذين ينتشرون ويبشرون معهم الوعي والثقافة الاسلامية ونعني بها الجامعة العلمية في النجف الاشرف بالعراق وذلك بعد ان راى عدم جدوى وسائله التي استعملها في سبيل عزل هذه الجامعة العلميه العريقة وايقاف الوعي الممتد فيها على العالم . . وقد بدأ حملاته هذه بالتشريد وانتهى به الامر اليوم الى الحكم بالاعدام والسجن المؤبد والسجن لمدد متفاوتة على مجموعة من العلماء وطلاب العلوم الدينية وغيرهم ولئن كان المسلمون وقادتهم في بعض البلدان الاسلامية قد وعوا واجباتهم وعبروا عن سخطهم الشديد وطلبوا ايقاف تنفيذ هذه الاحكام وفي طليعتهم العلماء الاعلام في مختلف البلاد وخصوصاً في الجامعة العلمية الكبرى في قم المقدسة وكذلك باقي الجامعات العلمية في مدينتي مشهد وطهران ، وقد قام هؤلاء العلماء الاجلة بتعطيل الحوزات الشريفة وارسال برقيات الاحتجاج وطالبوا الملوك والرؤساء في البلاد الاسلامية بالتدخل السريع لايقاف هذه الحملة الظالمة واقام المسلمون هنا مجالس الدعاء سائلين المولى عز اسمه ان ينجي هؤلاء المؤمنين .

ومع هذا فقد كنا نتوقع صرخات احتجاج اقوى من مختلف الاقطار الاسلامية لتقف مع الشعب العراقي المسلم في هذه المحنة .

هذا وان كنا لانتوقع شيئاً في قبال وقوفنا الحازم الى جانب كل القضايا الاسلامية لاننا نعتبرها قضايانا الحقيقية باعتبار ان موقفنا لايتجزأ من الموقف الاسلامي العام ولكن لاشك ان الهجوم على هذه الجامعة العلمية العريقة التي اثرت الفكر الاسلامي وقدمت ومازالت من ينابيع الفكر اعذبها وارواها . هجوم على العقيدة الاسلامية ككل وخصوصاً اذا عرفنا المخطط الذي يتبعه المهاجمون واسسهم الفكرية .

بحوث قرآنيه

كيف نزل القرآن

السيد ابو الفضل مير محمدي

لقد ذكر القرآن الكريم لتكليم الله عباده ثلاث طرق :
الاولى : أن يكلمه الله وحياً : أي الهاما والقاء في القلب..
الثانية : أن يكلمه من وراء حجاب . .
الثالثة : أن يكلمه بواسطة ملك ، وذلك بأن يرسل رسولا فيوحي باذنه . .

والذي نريد أن نبحث فيه هنا هو : كيفية نزول القرآن ، وايصاله الى النبي محمد (ص) ، وبأي من الطرق المتقدمة كان ذلك . .

الوجوه والاحتمالات بملاحظة الطرق الثلاث الآنفة الذكر كثيرة ، لكن الذي نختاره هو : ان جميع القرآن قد انزل على محمد (ص) بواسطة رسول الله اليه ، وهو جبرئيل . .

* * *

ويدل على ذلك آيات :

منها قوله تعالى : « . . . وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * » . (١)

ومنها قوله تعالى : « . . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر

---

(١) الشعراء ١٩٢ - ١٩٣.

لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (١) . .

ومنها قوله تعالى : **« . . قل من كان عدواً لجبريل ، فانه نزله على قلبك باذن الله ، مصدقاً لما بين يديه ، وهدى وبشرى للمؤمنين »**(٢)

* * *

وقبل بيان ما نحن بصدده لابأس بالاشارة الى نقطتين :

الاولى : ان من الواضح ان المراد بالروح الامين في الايات الاول ليس هو الله عزوجل ، وذلك . . بقرينة الآية الثانية التي تقول : «**نزله روح القدس من ربك**...» حيث انها تدل على ان روح القدس والروح الامين هو الواسطة بين الرب وبين عبده الرسول (ص) . . فلا يعقل ان يكون هو نفس الله عزوجل . .

الثانية : أن الروح الامين أو روح القدس في الايات الاول يراد به جبرئيل (ع) وذلك بقرينة الاية الاخيرة التي تقول : «**قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك** . . . » . فانها صريحة في ان منزل القرآن من الله تعالى على قلب محمد (ص) هو جبرئيل ، فلو كان المراد بالروح الامين أو القدس غير جبرئيل لوقعت المنافاة بين الايات . . .

اذا تمهد هذا قلنا .

انه يظهر من هذه الايات المذكورة ان جبرئيل قد نزل جميع القرآن على قلب محمد (ص) لابعضه ، وذلك لان الضمائر الواردة في قوله تعالى : **وانه لتنزيل رب العالمين . . و . . نزل به الروح الامين . . و . . نزله روح القدس** . .

هذه الضمائر لايرتاب أحد في ظهورها في القرآن الشريف الكائن بين الدفتين والكتاب الذي هو معجزة محمد (ص) الخالدة . .

ومما يشهد ويؤيد هذا الظهور المشار اليه هو تلك الايات الكثيرة التالية لقوله تعالى : **وانه لتنزيل رب العالمين** .. وهذه الايات هي :

«نزل به الروح الامين بلسان عربي مبين ، وانه لفي زبر الاولين أو لم يكن

---

(١) النحل ـ ١٠٣/١٠٢ .

(٢) البقرة ـ ٩٧ .

لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ، ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين ، كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ، لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ... وماتنزلت به الشياطين ،وماينبغي لهم ومايستطيعون ،انهم عن السمع لمعزولون . .»

وان من تأمل في هذه الايات يقطع بأنها تتحدث عن القرآن كله وهو مابين الدفتين وان الضمائر الموجودة فيها يراد بها الدلالة عليه كله لاعلى بعضه . .

* * *

ومن الايات الدالة على مانحن بصدده ايضاً قوله تعالى : «والصبح اذا تنفس ، انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ،وماصاحبكم بمجنون(١)».

اي ان القرآن الذي تقرؤه عليكم محمد (ص) ليس هو من عند نفسه ، وانما هو قول رسول كريم ، وهو جبرئيل ، وقد تلقاه محمد منه . .

ويدلنا على أن المراد بالرسول الكريم في الاية الشريفة هو جبرئيل ماعن علي بن ابراهيم ، بسند صحيح عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله (ع) ،في حديث الاسراء بالنبي (ص) ، وفيه : « . . . فقلت لجبرئيل — وهو بالمكان الذى وصفه الله : مطاع ثم أمين — الا تأمره أن يريني النار ؟ . فقال له : يامالك ،أر محمداً النار .: فكشف عنها غطاءها ، وفتح باباً منها . . الى آخر الحديث (٢) . . ».

اذ يستفاد من هذا الحديث أن النبي (ص) قد قرر أن كلمة «مطاع ثم أمين» . . الواردة في هذه الاية ، انما هي وصف من الله تعالى لجبرئيل (ع) ، وقد تجلت أمانة جبرئيل (ع) في انه كان هو المؤتمن على القرآن ، وايصاله الى محمد ، كما وظهر أنه مطاع ، من حيث أنه امر مالكاً ، وامتثل . . .

ومما يؤيد ذلك ايضاً ، ماورد في ادعية زين العابدين علي بن الحسين (ع) ،

---

(١) سورة التكوير – ١٩/ ٢٣ .

(٢) انظر البرهان في تفسير القرآن ، عند كلامه حول سورة التكوير .

على مافي الصحيفةالسجادية ، عند صلواته على كل ملك مقرب : . .وجبرائيل الامين على وحيك المطاع في اهل سمواتك ، المكين لديك المقرب عندك . . الخ » .

كما ان الايات الواردة في أول سورة النجم ، وهي قوله تعالى : «والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى ، وماينطق عن الهوى ، ان هو الاوحي يوحى ،علمه شديد القوى . . .» .

ـ هذه الايات شاهد آخر على أن المراد بقوله تعالى: ذي قوة عند ذي العرش مكين »هو جبرئيل (ع) . . . قال في مجمع البيان ـوهو يفسر آيات سورة النجم ـ « . . يعني جبرئيل القوي في نفسه وخلقته ، عن ابن عباس ، والربيع ، وقتادة ،.. وعن الكلبي أنه قال : ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود . ورفعها الى السماء ، ثم قلبها ، ومن شدته صيحته لقوم ثمود ، حتى هلكوا . .» . .

بل ان هذه الايات ـ اعني آيات سورة النجم ـ ليس فقط تصلح دليلا على ان المراد بالرسول ذي القوة المكين هو جبرئيل ـ . . بل هي ايضاً دليل آخر على مانحن فيه:اذأنها تدل على ان النبي (ص) لايتكلم بشيء ، قرآناً كان او غيره(١) الا ويكون ذلك الشيء وحياً ، علمه اياه شديد القوى ، الذي جبرئيل . . وهذا هو نفس مانحن بصدد اثباته .

هذا . . ويتضح بعد كل ماتقدم : أن القرآن كله قد نزل على محمد (ص) بوساطة جبرئيل (ع) . . ويبدو ان اهل السنة ايضاً لايمانعون في ذلك ؛ فقد رووا ذلك عن ابن عباس ، بأسانيد صرحوا بصحتها . . قال السيوطي في الاتقان :

« . . وعن الحاكم ، وابن شيبة من طريق حسان بن حريث ،عن سعيد بن جبير

---

(١) هذا بحسب ظاهرها ، ولا ينافي ذلك ماسيأتي منا في صحيحة هشام بن سالم ،من انها تدل على ان غير القرآن من الاحاديث القدسية ، قد تلقاها النبي (ص) ـ كلا أو بعضاً ـ بلاواسطة ، اذ يمكن أن تكون تلك الرواية مبينة للمعنى من الاية ، ومفسرة لها ، حيث يكون المراد منها حينئذ أن ماعلمه اياه شديد القوى هو خصوص القرآن . . .

عن ابن عباس قال : فصل القرآن من الذكر ؛ فوضع في بيت العزة ؛ من السماء الدنيا ؛ فجعل جبرئيل ينزل على النبي (ص) . . أسانيدها كلها صحيحة (١) . . »

* * *

وأخيراً . . . ولعلنا لانرى مبرراً لتوهم أن يكون ماقدمناه يخالف وينافي قوله تعالى : «ونزلنا عليك الكتاب . .» ونحو ذلك من الايات ، التي نسب فيها التنزيل الى الله ، لاالى جبرئيل . .

وذلك لان الفعل كما يصح اسناده الى المباشر المختار ، كذلك يصح نسبته واسناده الى السبب ، فالوجه في اسناد الفعل الى الله تعالى هو انه سبب ، والى جبرئيل هو أنه المباشر المختار . .

والا . . فان وساطة جبرئيل في الجملة مما لاريب فيه ، فاسناد تنزيل جميع القرآن الى الله تعالى لاتصح على اطلاقها أيضاً . .

ومن ذلك يعلم أن الوجه في نسبة تنزيل القرآن تارة الى الله تعالى ، واخرى الى جبرئيل (ع) هو ماذكرنا . .

هذا . . ولابد هنا من الاشارة الى ماربما يقال : من أنه لم لايلتزم بالتبعيض ، بمعنى وساطة جبرئيل في بعض آيات القرآن ، لافي جميعها ؟ . .

ولكن ذلك لايمكن الالتزام به ؛ حيث انه لادليل عليه ولاشاهد له ، سوى مايتوهم من الاخبار الدالة على أن نزول الوحي كان على نحوين :

أحدهما : ماكان جبرئيل واسطة فيه بين النبي (ص) وبين الله تعالى . .

والاخر : ماكان بلا واسطة شيء أصلا . .

فمن هذه الاخبار مارواه في البحار عن المحاسن ، بسند صحيح ، عن هشام بن سالم قال : قال ابو عبد الله (ع) : كان رسول الله (ص) اذا اتاه الوحي من الله ، وبينهما جبرئيل ، يقول : هو ذا جبرئيل ، وقال لي جبرئيل . . واذا اتاه الوحي

---

(١) الاتقان ص ٤١ ، باب كيفية انزاله .

وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبتة ، ويغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز اسمه (١).»

ولكن هذا الحديث لا يكفي لاثبات ما يراد اثباته هنا . . وذلك لانه في صدد بيان أن الوحي كان على نحوين . . أحدهما : بواسطة جبرئيل . . والاخر : بدونه وليس في صدد بيان أن الوحي القرآني من أي من هذين النحوين هو . . أو من كليهما .. ولا دلالة له على شيء من ذلك . وحينئذ فيحتمل أن يكون الوحي القرآني مما توسط به جبرئيل واما مالم يتوسط فيه جبرئيل ، فهو الوحي الذي جاء به (ص) في الموضوعات أو في غير القرآن المجيد . . مما يعبر عنه بـ «الاحاديث القدسية».

وهذا الاحتمال بعد أن عضده الدليل ، وأيدته الشواهد يكون هو المتعين ، ويخرج عن كونه احتمالا الى كونه من الامور المعتبرة والثابتة . .

ولابد لنا أخيراً من الاشارة الى أنه قد روى في البحار بعد هذا الحديث مباشرة حديث آخر يرتبط فيما نحن فيه . . وهو :

«عن العياشي ، عن عيسى بن عبدالله ، عن جده ، عن علي (ع) ، قال : كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ، وانما كان يؤخذ من أمر رسول الله (ص) بآخره . . فكان من آخر مانزل عليه سورة المائدة ، نسخت ماقبلها ، ولم ينسخها شيء ؛ ولقد نزلت عليه ، وهو على بغلته الشهباء ، وثقل عليها الوحي ، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الارض ، واغمي على رسول الله (ص) ، حتى وضع يده على ذؤابة منبه بن وهب الجمحي ، ثم رفع ذلك عن رسول الله (ص) ، فقرأ علينا سورة المائدة ، فعمل رسول الله (ص) ، وعملنا . . » .

ورواه ايضاً الامين الطبرسي ، في تفسير سورة المائدة عن العياشي مع اختلاف يسير . .

ولكن هذا الحديث لايدل بنفسه على أن جبرئيل ليس متوسطاً بين الله والنبي حين نزول سورة المائدة . . اذ لعلها قد نزلت بواسطة جبرئيل أيضاً . . اللهم الا ان نستظهر عدم وساطة جبرئيل فيها بمعونة غيرها من الروايات كأن نستظهر ذلك من الاغماء العارض للنبي (ص) ، والثقل ، حيث ان الاخبار التي سبق بعضها تدل على ان الوحي

(١) البحار أواخر باب : كيفية صدور الوحي .

ل بواسطة جبرئيل لم يحصل لاثقل ولا اغماء ، وإذا كان بدونه تصيبه (ص)
لسبتة ، والاغماء . .

هذا بالنسبة الى الدلالة في هذه الرواية مع الاغماض عن أمور أخرى يطول
ها المقام . .

وأما بالنسبة الى سندها . . فليس من القوة بحيث يثبت هذا المطلب المخالف
آيات كثيرة تقدمت ، وان الرواة الذين هم بين العياشي ، وعيسى بن عبدالله
رح باسمائهم ، حتى نعرف أنهم واجدون لشرائط اعتبار أقوالهم . .أم لا . .
كفي وحده وهنا في هذه الرواية ، واسقاطها عن درجة الاعتبار . .

وهكذا .. فان النتيجة تكون : أن جبرئيل كان واسطة في نزول تمام القرآن
لنبي صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين . .

التعريف بالتراث

(٥)

المحيط الاعظم والبحر الخضم

في تأويل كتاب الله العزيز المحكم

للسيد ركن الدين حيدر بن على الاملى

بقلم: السيد احمد الحسيني

السيد ركن الدين حيدر بن السيد تاج الدين علي بادشاه بن السيد ركن الدين يدر بن السيد تاج الدين علي بادشاه بن السيد محمد امير بن علي بادشاه بن ابي عفر محمد بن زيد بن ابي جعفر محمد بن الداعي بن ابي جعفر محمد بن ابراهيم ن محمد بن الحسين الكوسج بن ابراهيم سماء الله بن محمد الحرون بن حمزة بن بيدالله الاعرج بن الحسين الاصغر بن الامام علي بن الحسين زين العابدين بن

الحسين الشهيد بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام . (١)

ولد في آمل من بلاد مازندران ، واشتغل من عنفوان شبابه الى الثلاثين بالعلوم الظاهرية - المنقول منها والمعقول - على كبار الاساتذة في مسقط رأسه آمل وفي خراسان واستر آباد واصفهان لمدة عشرين سنة ، ولما بلغ الثلاثين من سني عمره عاد من اصفهان الى بلده آمل فاجتمع بفخر الدولة بن الشاه كيخسرو ، فقربه فخر الدولة حتى اصبح من أقرب اصحابه وأعظم ندمائه وجلسائه ، ثم طلبه فخر الدولة شاه غازي واخوته جلال الدولة اسكندر وشرف الدولة كستهم وسعد الدولة طوس الملك ، فحصل له منهم من الجاه والمال الشيء الكثير .

واما اتجهت اليه الدنيا ، حاز شرفاً ظاهرياً عظيما وأموالا طائلة ، علم ضلال هذا الطريق فترك المال والأهل والوطن ولبس دلقاً قيمته أقل من درهم ، فخرج بقصد الحج من آمل ووصل في مسيره الى اصفهان فاتصل هناك بالشيخ المحقق الكامل نور الدين الأصفهاني الطهراني - نسبة الى طهران (ويسميها العامة تيران أو تيرون) قرية على باب اصفهان - فاشتدت الصلة بينهما حتى عقدا عقد الاخوة بالرغم من أن الصحبة بينهما كانت أقل من شهر واحد ، فلبس من يد هذا الشيخ الخرقة الصورية واجيز منه اجازة لبس الخرقة .

ثم توجه من اصفهان الى ايدج ، وكان هناك في صحبة شخص كامل عارف منتظراً تهيئة الوسائل للذهاب الى بغداد ، ولكن أخفق في مهمته وعاد الى اصفهان فتمكن من الذهاب الى بغداد من طريق آخر ، ووفق بعد عناء لزيارة ائمة العراق عليهم السلام وجاور المشاهد المشرفة سنة كاملة ، ثم توجه الى حج بيت الله الحرام مجرداً فقيراً ، وبعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وآله وزيارة ائمة البقيع عليهم السلام بالمدينة المنورة عاد الى العراق وسكن النجف الاشرف مشتغلا بالعبادة

---

(١) نقلنا هذا النسب وترجمة المؤلف ملخصاً مما كتبه هو في مبحث الخرقة واسنادها من كتابه «المحيط الاعظم» ، ويراجع لمزيد الاطلاع : رياض العلماء (مخطوط) ، خاتمة مستدرك الوسائل ص ٤٥٩ ، مجالس المؤمنين ١ / ٥٤ ، اعيان الشيعة ٢٩ / ٢٥ - ٣٣ ، معجم المؤلفين ٤ / ٩١ ، الذريعة في مختلف الاجزاء ، مقدمات الكتب المطبوعة للمؤلف .

والرياضة والخلوة ، وكان بالنجف ولي من الأولياء خامل الذكر اسمه عبد الرحمن القدسي له اطلاع كبير بالتصوف والفلسفة، فقرأ عليه كتاب منازل السائرين وشرحه وكتاب فصوص الحكم وشرحه ورسائل فلسفية أخرى ، وطالع اكثر كتب التصوف من المطولات والمختصرات ، وكتب على كثير ـ منها شروحاً وحواشي ، وألف في مدة أربع وعشرين سنة أربعة وعشرين كتاباً .

واتصل في الحلة أيضاً بفخر المحققين ابن العلامة الحلي، فتتلمذ عليه واستفاد منه كثيراً من علوم اهل البيت عليهم السلام ، وكان فخر المحققين يخاطبه بـ «زين العابدين الثاني» ، وأجازه باجازات متعددة منها الاجازة التي كتبها بالحلة في شهر رمضان المبارك سنة ٧٦١ هـ . (١)

كان السيد حيدر الآملي من كبار الصوفية في القرن الثامن الهجري ، سعى كثيراً في تدوين آرائهم وما يتعلق بالتصوف الاسلامي، ولكن لم يكن من المتطرفين الذين لم يعرفوا من التصوف الا القشور الفارغة التي لا تمت الى روح الاسلام بصلة، ولم يعرفوا الا الرقص والرهز والعربدة والبعد عن التعاليم الدينية ، بل حاول في مؤلفاته الكثيرة ان يستعرض التصوف في اطار القرآن الكريم وما أثر عن النبي العظيم والأئمة من أهل البيت عليه وعليهم السلام، ولذا نراه في كتابه نص النصوص يندد بجماعة من الصوفية في أقوالهم الباطلة ويبين معايبهم وخرافاتهم ، كما يندد ببعضهم في كتابه الكشكول .وهذا يدل على أنه كان يتعلق بالتصوف كطريق اسلامي لتهذيب النفس والرقي بها الى مدارج الكمال .

من مؤلفاته «المحيط الاعظم والبحر الخضم» (٢) و «التأويلات» و «منتخب التأويل» و «جامع الأسرار ومنبع الانوار» و «أمثلة التوحيد» و «الاركان في فروع أهل الايمان» و «الامامة» و «فص الفصوص» و «تلخيص اصطلاحات الصوفية»

---

(١) الى هنا تلخيص لما كتبه المؤلف بخطه .

(٢) ملاحظة ما كتبه المؤلف على النسخة التي سنصفها تكشف عن أن هذا الاسم لكتاب واحد لا لكتابين .

و «رافعة الخلاف» و «الكشكول» و «أنوار الحقيقة» وغيرها .

* * *

أما كتاب «المحيط الاعظم» فقد رأيت منه نسختين : احداهما في خزانة الروضة الحيدرية بالنجف الأشرف برقم (٢٢) ، والاخرى في مكتبة آية الله المرعشي العامة بقم المقدسة برقم (٣٠١) . والآن لا يحضرني وصف النسخة النجفية تفصيلا الا ما كتبته بصورة مستعجلة جداً في «فهرست خزانة الروضة الحيدرية» المطبوع في النجف سنة ١٣٩١ هـ . واكتفي هنا بتلخيص ما كتبه علامة الفن المغفور له الشيخ آغابزرك الطهراني في كتابه القيم «الذريعة» ٢٠/١٦١ واصفاً نسخة الروضة لنرى بعد ذلك مدى انطباق وصفه على النسخة القمية التي ستكون موضوع دراستنا . قال رحمه الله ما ملخصه :

«جعله مرتباً على أربعة مطالب بحسب الذات والصفات والاسماء والافعال : فالمطلب الاول في فصل التوحيد . والثاني في معرفته وحقيقته ، والثالث في ترتيبه وتقسيمه ، والرابع في كيفيته وتفصيله . وفيه صورة الشجرة المشحونة بالاغصان والثمرة في مطالب التوحيد ، فرغ من اتمامه في شهر رمضان ٧٧٧ . ألفه برسم خزانة سلطان العرب والعجم جلال الدنيا والدين الشاه شجاع . وكتب على ظهر النسخة الوقفية لها . . . ويحتمل أنه احد الكتب الثلاثة التي انتخب منها كتابه التأويلات الذي قال هو في وصفه ان نسبته الى الكتب الثلاثة السابقة عليه كنسبة القرآن الشريف الى الكتب السماوية السابقة عليه ، مصرأ بأنه رابع التفاسير الثلاثة وناسخ لها كنسخ القرآن للتوراة والانجيل والزبور ، وقد صرح الاملي في أول كتابه جامع الاسرار انه كتبه بعد كتابه منتخب التأويل ، فيظهر منه أنه كتب أولا المحيط ثم التأويلات المطبوع ثم جامع الاسرار» .

وأما نسخة مكتبة آية الله المرعشي العامة بقم ، فهي التي تكون موضوع دراستنا هنا والتي فحصناها بشيء من الامعان :

الكتاب الحاضر يتكون من جزئين في مجلد واحد ، الاول يحتوي على بحثين وسبع مقدمات طويلة جداً ، والثاني يحتوي على مقدمات ثلاث مختصرة وقطعة

من تفسير اوائل القرآن الكريم .

أبحاث الجزء الاول كما يلي :

البحث الاول : في علة تقديم المقدمات ووجه حصرها في السبعة .

البحث الثاني : في العلة التي من أجلها أخذ من المصادر الخاصة التفسيرية والتأويلية .

المقدمة الاولى : في التأويل وتعريفه وبيان وجوبه عقلا ونقلا وأنه مخصوص بالعلماء الراسخين من أهل البيت عليهم السلام ، وفيه اوجه .

المقدمة الثانية : في كتاب الله الكبير الافاقي وكتاب الله القرآني الجمعي .

المقدمة الثالثة : في بيان الحروف الأفاقية الالهية وتطبيقها بالحروف القرآنية مطابقاً للحروف الانفسية الانسانية .

المقدمة الرابعة : في بيان كلمات الله الافاقية وتطبيقها بكلمات الله القرآنية .

المقدمة الخامسة : في بيان آيات الله الافاقية وتطبيقها بآيات الله القرآنية .

المقدمة السادسة : في بيان الشريعة والطريقة والحقيقة وأنها اسماء مترادفة لحقيقة واحدة باعتبارات مختلفة . (١)

المقدمة السابعة : (العنوان مخروم في مقدمة الكتاب والنسخة مشوشة وفيها نقص ولذا لم نعرف تفاصيل هذه المقدمة وعنوانها كما كتبها المؤلف ، ونظن أن تكون هذه المقدمة في تقسيم الناس بصورة عامة الى أهل الله وأهل النار ، فيذكر فيها الفرق الأسلامية والفرق الكافرة ويعين الفرقة الناجية من المسلمين) .

وأما الجزء الثاني فهو يحتوي على :

المقدمة الاولى : فضل القرآن الكريم نقلا وعقلا .

المقدمة الثانية : فضل فاتحة الكتاب وحدها .

المقدمة الثالثة : فضل البسملة .

---

(١) افرد المؤلف هذه المقدمة بكاملها وبلا تصرف في كتاب سماه «أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة واسرار الشريعة» ، ورأينا نسخة منه في مكتبة آية الله المرعشي العامة برقم (٣٨٨)، وقد ذكرنا تفاصيلها في فهرست المكتبة ١/٤٠٦ .

ثم تفسير سورة الفاتحة وتأويلها و تفسير سورة البقرة الى قولهتعالى «يابني اسرائيل اذكروا نعمتي» [سورة البقرة : ٤٠] .

طريقة المؤلف في كتابه انه يبدأ بآي من القرآن يكتبها بالحمرة، ثم التفسير ويستعرض فيه مايتعلق بالآيات من الجانب الادبي ووجوه القراءة وبعض الاحاديث التفسيرية وأقوال المفسرين ، ثم التأويل فيدخل في مباحث عقلية وصوفية عميقة .

والمؤلف في القسم التفسيري يختصر الكلام ما أمكنه مع استيعاب وشمول، وفي القسم التأويلي يطول الكلام جداً مع تقسيم وتفريع وتشقيق. ففي آية البسملة مثلا نجد القسم الاول لا يستوعب اكثر من صفحتين ، وأما القسم الثاني فيستوعب سبعاً واربعين صفحة في ستة ابحاث :الباء وتحقيقه، النقطة التي تحته ،السين والميم، الله وما يتعلق به ، الرحمن الرحيم ، تطبيق حروفها بحروف العالم كلها .

ومن هنا نعرف أن الكتاب ليس فيه من التفسير ـ على المعنى المصطلح ـ الا الشيء القليل ، بل هو كتاب حاول المؤلف أن يجمع فيه المباحث العميقة المتعلقة بالتصوف من كل جوانبها ، وقد وفق تمام التوفيق فيما أراد وقصد تحت عنوان تأويل القرآن الكريم .

والشيء الجديد الذي يلفت النظر في عمل المؤلف أنه يختصر كثيراً من الموضوعات والمباحث في جداول ودوائر وصور ، ولكن في النسخة التي نعرفها هنا بقي محل كثير من هذه الصور بشكل بياض لم ينقش فيه شيء ، وأما الاشكال المصورة فيها فهي :

١ ـ دائرة اسماء الافعال (يريد أسماء الله الحسنى) .

٢ ـ صورة درج الجنة ودرك النار .

٣ ـ دائرة مذاهب أهل الاسلام .

٤ ـ دائرة مذاهب أهل الكفر .

٥ ـ دائرة تعداد العوالم الكلية على حروف البسملة والاثنى عشر ألف عالم.

٦ ـ دائرة ثانية لتعداد العوالم الكلية على عدد حروف البسملة .

٧ ـ الدائرة الكلية الوجودية المعبر عنها بقاب قوسين .

٨ ـ دائرة النبوة المطلقة .

٩ ـ جدول أسماء المعصومين عليهم السلام .

١٠ ـ الدائرة الانفسية تطبيقاً بالاقطاب والائمة صورة ومعنى .

١١ ـ الدائرة الآفاقية تطبيقاً بالاقطاب والائمة صورة ومعنى .

ويستند المؤلف في معلوماتـه التفسيرية الى كتاب مجمع البيان للطبرسي والكشاف للزمخشري ، وفي التأويل الى أقوال الشيخ الكامل نجم الدين الرازى والمولى كمال الدين ، وينقل كثيراً عن شرح نهج البلاغة لابن ميثم والفتوحات المكية لابن العربي وكتاب الخطيب للجلودي ، وربما يقتبس عن بعض الكتب من دون اشارة الى المصدر كما فعل مثلا في فصل تقدم الامام امير المؤمنين عليه السلام على غيره في العلوم والمعارف . حيث اقتبس هذا الفصل من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي من دون تسمية الكتاب .

يقول المؤلف في مقدمته بصدد بيان خطته في كتابه هذا « . . أن اكتب له كتاباً جامعاً للتأويل والتفسير بحيث يكون التأويل مطابقاً لأرباب التوحيد وأهل الحقيقة غير خارج عن قاعدة أهل البيت عليهم السلام ، والتفسير موافقاً لارباب النقل وأهل الشريعة غير خارج عن قاعدة أهل البيت عليهم السلام بحسب الطاقة أعني يكون جامعاً للشريعة والطريقة والحقيقة لقول النبي صلى الله عليه وآله «الشريعة اقوالي والطريقة افعالي والحقيقة أحوالي». لان كل كتاب يكون جامعاً لهذه المراتب الثلاثة التي هي جامعة لجميع المراتب المحمدية يكون جامعاً لجميع المراتب الالهية والكونية حاوياً لمجموع الكمالات المنسوبة الى الانبياء والاولياء بأجمعهم لقوله عليه السلام « أوتيت جوامع الكلم وبعثت لاتمم مكارم الاخلاق» .

الجزء الاول من النسخة ناقص الاول والاخر وكذلك الجزء الثاني ناقص الاخر وقد جاء تاريخ الكتاب بخط المؤلف على الورقة الاولى من الجزء الثاني هكذا سلخ شوال بالمشهد المقدس الغروي سلام الله على مشرفـه من سنة سبع وسبعين

وسبعمائة هجرية نبوية .

* * *

بقي شيء نود ان نلفت القارىء الكريم اليه وهو :

ان الأوصاف التي ذكرها العلامة الراحل الشيخ آغا بزرك للنسخة النجفية لا تطابق مع أوصاف النسخة التي قدمنا الدراسة عنها في هذه الصحائف مع ان كلتيهما بخط المؤلف وكتبتا في سنة واحدة وسميتا باسم واحد ، وتلك صرح فيها بأنها الجزء الأول وهذه صرح فيها بأنها الجزء الأول والثاني .

ان أقرب الفروض في حل هذا الاختلاف بين النسختين أن نقول: ان المؤلف كتب النسخة النجفية أولا ، ثم بدا له أن يعدل عن منهجه ومباحثه فكتب النسخة الثانية بمنهج جديد فيه تفصيل أكثر وموضوعات اشمل ، واستمر عمله في النسخة الثانية في نفس السنة التي كتب فيها النسخة الاولى ولم يغير في عمله الجديد عنوان الكتاب . ان مقدمة الكتاب في نسختنا محرومة الاول ، ولكن يبدو مما أدرج فيها أنها وضعت لكتاب جديد وليس الجزء من كتاب سابق ، ولذا نجد المؤلف في مقدمة الجزء الثاني من نفس النسخة يشير الى سبق جزء أول وان فيه مقدمات طويلة للكتاب وسيختصر القول في هذا الجزء .

خزانة الروضة الحيدرية بالنجف الاشرف برقم (٢٢) كتبه المؤلف بخطه سنة ٧٧٧ برسم خزانة السلطان شاه شجاع ، ومعه رسالة «العلوم العالية» المؤلف

مكتبة آية الله المرعشي العامة في قم برقم (٣٠١) كتبه المؤلف بخطه سنة ٧٧٧ ، ناقص الاول والاخر ، يحتوى على الجزء الاول والثاني من الكتاب ، وفيه اشكال ودوائر هندسية ، وقد أضاف عليه المؤلف في الهوامش اضافات كثيرة

العدالة في الفقه

آية رضا الصدر ——— (٢) ———

- العداله والعصمة .
- اصاله العدالة في كل مسلم .
- هل الصحابة كلهم عدول ؟

العدالة والعصمه

ان لملكه العدالة مراتب ، بحسب قوة فاعليتها ، تجاه المعارضة ، وضعف فاعليتها في قبال الموانع ، فانها الصفة النفسية التي تدافع الهوى ، وتبعث الى الاجتناب عن المعصية ، وتزجر عن الاثم .

وافضل مراتبها هي التي لاتغلب أبداً ، وهي التي تزجر عن ارتكاب اي اثم، حدوثاً واستمراراً ، في اى حالة من الأحوال مهما كان الاثم مطلوباً . . .

وهذه المرتبة متحققة في الأنبياء والأولياءصلوات الله عليهم اجمعين ، وانما الكلام في اختلافها عن العصمة الموجودة فيهم او اتحادها معها .

اختار الثاني في المستمسك ، لكن ظاهر آية التطهير يعطي انالعصمة مرتبة اعلى من جميع مراتب العدالة ، ولا يمكن ان يوصف بها بشر الا بارادة الله تعالى فالعدالة هي الصفة التي تمنع عن ارتكاب الاثم ، والعصمةهي التي تمنع الشوق والميل الى الاثم ، فهلهي من مقولة العلماو منمقولة اخرى ؟للبحثعنهامقاماخر.

على ان العصمة قوة قدسية ،تحفظالمعصوم عن السهو والخطأ ايضاً ،بشهادة

قوله تعالى : – «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» ... ولو لم يكن الرسول واولى الامر معصومين عن الخطأ والزلل والسهو والنسيان ، لزم ان يكون الله تعالى آمراً بارتكاب منهياته ومحرماته ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . . .

(١) اصالة العدالة في كل مسلم

هل يحكم بعدالة كل واحد من المسلمين مالم يعرف منه فسق ؟ .

قال ابن الجنيد على ماحكي عنه «ان كل المسلمين على العدالة الا ان يظهر خلافها» . . .

وفيه مالايخفى ، لان تعليق قبول الشهادة على العدالة ثابت بالكتاب والسنة ، بل يحكم العقل به ايضا فانه لايحكم بوجوب قبول شهادة من لاوثوق بقوله فيلزم من هذا القول لغوية اشتراط العدالة .

ولو كان الامر كما ذكر لجاء في الكتاب والسنة بمانعية الفسق لاشتراط العدالة ، مضافاً الى ان ذلك خلاف فعل الرسول (ص) .

فالمروى عن التفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام عن ابائه عن امير المؤمنين (ع) قال (ع) : كان رسول الله (ص) اذا تخاصم اليه رجلان قال للمدعي : الك حجة ؟ فان اقام بينة يرضاها ويعرفها انفذ الحكم على المدعى عليه وان لم يكن له بينة حلف الله المدعى عليه : بالله ماله هذا قبله ذلك الذي ادعاه ولاشيء منه ، واذا جاء بشهود لايعرفهم بخير ولاشر قال (ص) للشهود : اين قبائلكما ؟ فيصفان ، اين سوقكما ؟ فيصفان اين منزلكما ؟ فيصفان . ثم يقيم الخصوم والشهود بين يديه ثم يأمر فيكتب اسامي المدعي عليه والشهود ويصف ما شهدوا به ثم يدفع ذلك الى رجل من اصحابه الخيار ثم مثل ذلك الى رجل آخر من خيار اصحابه ثم يقول (ص) : ليذهب كل واحد منكما من حيث لايشعر الاخر الى قبائلهما واسواقهما ومحالهما والربض الذي ينزلانه فيسأل عنهما . فيذهبان فيسألان . فان اتوا خيراً وذكروا فضلا رجعوا الى

رسول الله (ص)فاخبراه احضر القوم الذي اثنوا عليهما واحضر الشهود فقال القوم المثنين عليهما: هذا فلان بن فلان وهذا فلان بن فلان اتعرفونهما ؟فيقولون. نعم،فيقول: ان فلانا جاءني عنكم فيما بيننا بجميل وذكر صالح انكما... فان قالوا : نعم قضى حينئذ بشهادتهما على المدعى عليه . . . الحديث .

وضعف سنده منجبر بالقرائن العقلية الحاكمة بصحته قال الشيخ الطوسي(قدس سره) في مسائل الخلاف، كتاب آداب القضاء «اذا شهد عند الحاكم شاهدان يعرف اسلامهما ولا يعرف فيهما جرح حكم بشهادتهما ولا يقف على البحث الا ان يجرح المحكوم عليه فيهما بان يقول هما فاسقان فحينئذ يجب البحث .

وقال ابو حنيفة ان كانت شهادتهما في الاموال والنكاح والطلاق والنسب كما قلناه وان كانت في قصاص او حد لايحكم حتى يبحث عن عدالتهما . وقال ابو يوسف ومحمد الشافعي : لايجوز له ان يحكم حتى يبحث عنهما فاذا عرفهما عدلين حكم والا توقف في جميع الاشياء ولم يخصوا به شيئاً دون شيء، دليلنا اجماع الفرقة واخبارهم وايضاً الاصل في الاسلام العدالة والفسق طار عليه يحتاج الى دليل وايضا نحن نعلم انه ما كان البحث في ايام النبي (ص)ولا ايام التابعين وانما هو شيء احدثه شريك بن عبد الله القاضي فلو كان شرطاً ما اجمع اهل الامصار ــ الاعصار ــ على تركه»... ظاهر قول الشيخ: يعرف اسلامهما ولا يعرف فيها جرح ،وجود حسن الظاهر في المقام وان الشاهدين موصوفان به فهو الظاهر من عدم معرفة الجرح في شخص يعرفه الحاكم فان عدم معرفة الفسق ملازم لمعرفة الصلاح ويشهد لذلك تصديق المحكوم عليه بذلك ولذا اخرج صورة جرح المحكوم عليه فيهما كما يشهد لذلك استدلاله باجماع الفرقة واخبارهم واستدلاله بعدم البحث عن عدالة الشاهد في ايام النبي(ص) ولا ايام الصحابة ولا ايام التابعين فسيرة الكل كانت على الاعتماد على حسن الظاهر وعلى عدم الفحص عن البواطن . نعم اذا كان عدم معرفة الجرح فيه بنحو السالبة المنتفية بانتفاء الموضوع بان لم يكن الشاهد قد عرف اصلا،يجب الفحص عن حاله

فالحكم بالعدالة على كل مسلم مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

واما القول بامارية حسن الظاهر على العدالة فهو قول بالحق وسيجيء البحث عنها انشاءالله تعالى :

هل الصحابة كلهم عدول ؟

الواجب تعريف الصحابي اولا وقد عرف بتعريفات قال العلامة العسقلاني : اصح ماوقفت عليه من ذلك ان الصحابي : من لقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً ومات على الاسلام» . . (١)

ان الايمان قد عرف بالاقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان .

اقول : ان عماد الايمان وقوامه هو العقد القلبي بوحدانية الله ورسالة رسول الله (ص) ومن لم يكن مؤمنا بهذين الاصليين فهو كافر . قال الله تعالى «قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لااله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي» (٢) : وقال تعالى « ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا» (٣)

وان العمل بالاركان من ثمرات الايمان واثاره فهو خارج عن الايمان وليس بداخل فيه .

واما الشهادة باللسان التي هي اخبار عن تلك العقيدة القلبية فهي ايضاً ليست بداخله في حقيقة الايمان فاشتراط الشهاده في الايمان من جهة حكايته عنه فان لم تكن شهاده الرجل حاكيه عما في نفسه فهو ليس بمؤمن وسماه الله تعالى بالمنافق قال تعالى «اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون» (٤) وجعله مقابلا للمؤمنين قال تعالى «يوم يقول

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة، الفصل الاول من فصول المقدمة .

(٢) الاعراف - ١٥٧ .

(٣) الفتح - ١٣ .

(٤) المنافقون - ١ .

المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم (١) وقال تعالى «وما اصابكم يوم التقى الجمعان فبأذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا» وقال تعالى: «وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين» ثم حكم بأنهم للكفر أقرب من الايمان فقال تعالى :(هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم) . . ولعل لذلك جعلهم الله اخوة الكفار فقال تعالى : «الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا» (٢) واخبر تعالى بأن مثوى الطائفتين جهنم وامر نبيه بجهادهما قال تعالى:« ياايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير» (٣) وبشرهم بعذاب اليم (٤) ان المنافقين هم الذين كانوا يظهرون الايمان في أقوالهم وقد يشتركون مع المسلمين في عباداتهم وجهادهم لكنهم لم يكونوا مؤمنين قال الله تعالى «ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤون الناس» . (٥) وقال تعالى « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (٦) وهذه الاية الكريمة تخبرنا بكثرة عدد المنافقين حيث كان في استطاعتهم اخراج المؤمنين من المدينة حتى صارحوا بهذا الكلام . ومن المعلوم ان التجاهر به من فئة عرفوا بالنفاق وهم افراد قلائل بحسب العدد انما هو من جهة انهم كانوا مؤيدين من ناحية الحزب السرى المنافق الذي لم يعرف اعضاؤه وهم كثيرون قال الله تعالى (ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم) (٧) حتى ان بيعة الرضوان تخبرنا بأن هؤلاء قد شاركوا المؤمنين في هذه البيعة وبايعوا الرسول صلى الله عليه وآله اذ خص الله الرضا بالمؤمنين من المبايعين دون جميعهم قال تعالى: (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) (٨) فلم يقل تعالى شأنه : لقد رضى الله عن الذين

---

(١) سورة العنكبوت ـ ١٠ ـ
(٢) سورة الحشر ـ ١٠ (٣) سورة التوبة ـ ٧٣ سورة التحريم ـ ٩
(٤) سورة النساء ـ ١٣٨ . (٥) سورة النساء ـ ١٤٢ .
(٦) سورة المنافقين ـ ٨ . (٧) سورة التوبة ـ ١٠١ .
(٨) سورة الفتح ـ ١٨ .

يبايعونك تحت الشجرة كما في قوله تعالى « فعلم مافي قلوبهم» ايعاز الى ذلك فان المؤمنين ابدوا ببيعتهم ماكان في قلوبهم بخلاف المنافقين الذين كانوا يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم كما يخبرنا بذلك القرآن الحكيم واخبرنا بأن الله اعلم بما يكتمون(١) كما اخبر بكذبهم وأكد اخباره بشهادة الله فقال:(والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)(٢) وهم فساق وحكم الله بفسقهم قال تعالى : (ان المنافقين هم الفاسقون) (٣) .

ومن المؤسف ان هؤلاء المنافقين الذين يكتمون الكفر قد تستروا بعد وفاة النبي الكريم (ص) بستار الصحابي واتسموا بهذه السمة وقد كانت حياته المقدسة وقاية ذلك .

عود على بدء.

ان الايمان يزيد وينقص قال الله تعالى « هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم» (٤) فللايمان درجات ومراتب قويه وضعيفة قال الله تعالى « انما المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون(٥) فالمؤمن الذي اذا ذكر الله تعالى وجل قلبه هو الذي بلغ الى الدرجات العالية من الايمان فانا نعرف كثيراً من المؤمنين الذين اذا ذكر الله لم توجل قلوبهم ولايخفى ان ذيل الاية الكريمة يشير الى المراتب العليا والدرجات القصوى من الايمان .ان الدرجات القوية من الايمان مقترنة بالعدالة بل هي نفس العدالة فانها الايمان الذي يبعث نحو مرضاة الله ويزجر عما يسخط الله .

ومن البديهي ان صحابة الرسول (ص) بشر فلم يكونوا متساوين في درجات الايمان وهل يمكن ان يقاس ايمان الصحابي الذي اسلم قبل الهجرة وقت غربة الاسلام الى ايمان الصحابي الذي اسلم بعد فتح مكة؟ وهل يتساوى عند الله ، السابقون

---

(١) سورة آل عمران١٦٧

(٢) سورة المنافقين - ١ .

(٣) سورة التوبة - ٦٧ .

(٤) سورة الفتح - ٤

(٥) سورة الانفال - ٢

الاولون من المهاجرين والانصار في الايمان مع غيرهم ؟

وهل الصحابي الذي مثل بين يدي النبي واذا راى تجارة او لهواً انفض اليها وترك رسول الله (ص) قائماً ، يساوي بحسب الايمان مع الصحابة الذين تركوا الدنيا وما فيها في سبيل رسالة الرسول وآمنوا به لوجه الحق وايدوه ونصروه ووقفوا معه مواقف كريمة وحاربوا الكفر والعناد وجاهدوا الانانية واللجاج وبذلوا الامـوال والمهج وخاضوا المعارك واللجج لنصرة الحق المبين والدين القويـم . فمنهم من ادركته الشهادة ومنهم من اخترمته المنية والكل ربهم عنهم راض وهم عنه راضون ، وانصغ الى دعاء الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام. لنرى كيف يدعو لاصحاب جده وكيف يصفهم:

«اللهم واصحاب محمد خاصة الذين احسنوا الصحابة والذين ابلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه وأسرعوا الى وفادته وسابقوا الى دعوته واستجابوا له حيـث اسمعهم حجة رسالاته وفارقوا الارواج والاولاد في اظهار كلمته وقاتلوا الاباء والابناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ومن كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر اذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات اذ سكنوا في ظل قرابته ،فلاتنس لهم اللهم ماتركوا لك وفيك،وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك اليك واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش الى ضيقه ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم» . . . هذه عقائدنا معاشر الامامية في صحابة الرسول صلى الله عليه وآله لكن الكلام في ان الصحابة هل كلهم عدول ، بحيث لايوجد فيهم ضعفاء الايمان؟ فاختلف المسلمون في ذلك فقالت الامامية والمعتزلة ان الصحابة بشر فهم كسـائر المسلمين يوجد فيهم العادل وغير العادل . وذهب جمهور الاشاعرة الى ان الصحابة كلهم عدول ليس يوجد فيهم فاسق ولا فاجر .

قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في الفصل الثالث من فصول مقدمة كتاب الامامة : اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ من المبتدعة وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلا نفيساً في ذلك فقال :

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم

ومن ذلك قوله تعالى :(كنتم خير امة اخرجت للناس) وقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم امة وسطا) وقوله تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقوله : (السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله : (يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وقوله : (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) الى قوله تعالى : (انك رؤوف رحيم) في آيات كثيرة واحاديث شهيرة يكثر تعدادها وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج احد منهم مع تعديل الله له الى تعديل احد من الخلق على انه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لاوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم كافة افضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ثم روى بسنده الى ابن زرعة الرازي قال : اذا رأيت الرجل ينتقص احداً من اصحاب الرسول (ص) فاعلم انه زنديق وذلك ان الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وانما ادى الينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم اولى . وهم زنادقة «انتهى» .

لست ادري من اي وقت حصل هذا الاتفاق ؟ وفي أي بلد ومكان ؟ ومن اي مجمع حصر جميع اهل السنة واتفقوا على ذلك ؟ وكيف لم يضبط دقيقاً زمان وقوع هذا الحدث التاريخي الهام ؟ ثم على فرض ثبوت هذا الاتفاق في عصر فهل هو حجة على جميع اهل العصور اللاحقة ؟ .

مضافاً الى ان هذا الاتفاق على فرض ثبوته كان باجتهاد من المتفقين اذ المسألة لم تكن من البديهيات حتى لا تحتاج الى اعمال نظر وفكر فهل اجتهاد مجتهد يكون حجة على مجتهد آخر ؟ نعم المشهور بين اهل السنة عدالة الصحابة باجمعهم ولعل هذه الشهرة بدأت بعد انقراض طائفة المعتزلة في العصر العباسي فان هذه النظرية

لم تكن في عصر الرسول (ص) ولا عصر الخلفاء الراشدين ولا في عصر التابعين ولا في عصر تابعي التابعين .

فان رسول الله (ص) لم يكن ينظر الى جميع صحابته بالعدالة بشهادة اجراء الحدود التي اجراها عليهم وبشهاده القرآن الكريم . وكذلك الخلفاء الراشدون لم يحكموا بعدالة جميع صحابة الرسول (ص) ولا كانت سيرة الصحابة ولا سيرة التابعين على ذلك والشاهد الحروب التي وقعت بينهم فالصحابي حارب صحابياً والتابعي حارب الصحابي ايضاً .

ثم لم يظهر لي أنه في اى زمان حصلت لجميع الصحابة صفة العدالة وهل ذلك من حين دخولهم في الاسلام ؟ فكلهم كانوا عدولا زمان حياة النبي الكريم (ص) او حصلت لهم هذه الصفة بعد وفاته ؟ أما ثبوت هذه الصفة الكريمة لهم فى عصره صلى الله عليه وآله فينفيه القرآن الكريم والفرقان الحكيم قال الله تعالى «لقد نصركم الله من مواطن كثيرة ويوم حنين اذا اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» (١) فان هذه الكريمة تخبرنا بصدور الكبيرة منهم وهي الفرار من الزحف فى غزوة حنين وكانوا اكثر من عشرة آلاف نفر فلم يبق منهم مع النبي (ص) الا سبعة انفس وقال تعالى :«ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون»(٢) ولمز النبي (ص) ليس باثم حقير . وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم)(٣) قد صرح الله تعالى بوجود الفاسق بين الصحابة وصرح تعالى بانه كان فى الصحابة اناس يطلبون اطاعة الرسول لهم على خلاف امر الله باطاعته .

---

(١) سورة التوبة ـ ٢٥ .　　(٢) سورة التوبة ـ ٥٧ .

(٣) سورة الحجرات ـ ٦و٧ .

وقال تعالى: «ان الدين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شراًلكم بل هو خير لكم لكل امرء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم»(١) والعصبة الدين جاؤا بالافك واكتسبوا الاثم كانوا من الصحابة بشهادة قوله تعالى: (منكم . . .) وقال تعالى: «ياأيها الدين آمنوا مالكم اذا قيل الكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة» (٢) .

وقال تعالى: ومنهم الدين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ، قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للدين آمنوا منكم والذين تؤذون رسول الله لهم عذاب اليم» (٣) وقال رسول الله : (ومن آذاني فقد آذى الله) . . .

وأما ثبوت هذه الصفة الكريمة لجميع الصحابة بعد وفاة الرسول دفعة واحدة فهو امر محتاج الى سبب وما هو ذلك السبب ؟ !

فهل كانت حياته المقدسة مانعة عن عدالة أصحابه؟ لا والله بل كانت حياته مفتاحاً لسعادتهم ورحمة عليهم .

ولا يعد خافياً على أحد ان الامامية القائلين بعصمة اهل البيت طبقاً للاية الكريمة : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» . لا يقولون بعصمة جميع أقارب النبي (ص) وعشيرته ولا يدعون عصمة كل هاشمي ولا عدالة كل فاطمي بل يحصرون العصمة بعدد قليل منهم ثبتت عصمتهم بالادلة .

واما دعوى الخطيب بان عدالة الصحابة ثابتة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم فما اشوقني الى الاطلاع على موضوع هذا التعديل في كتابه وعلى محل اخباره تعالى عن طهارتهم وقد قال تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه»(٤) وقال تعالى : «فان الله أعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً» (٥) وقال تعالى :«السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه» (٦) فان هذه الايات حاكمة بكرامة طائفة منهم بشهادة كلمة من فأين اخباره

---

(١) سورة النور ـ ١١ . (٢) سورة التوبة ـ ٧٨ .

(٣) سورة التوبة ـ ٦١ . (٤) سورة الاحزاب ـ ٢٣ .

(٥) سورة الاحزاب ـ ٢٩ . (٦) سورة التوبة ـ ١٠٠ .

ن عدالة الجميع .

واليك التفصيل في البحث عن دلالة الايات التي ذكرها: اما الايتان الكريمتان الأوليتان فان المخاطب بهما جميع المسلمين فهما حاكمتان بأن الأمة الاسلامية خير الأمم واشرفها .

وثانياً ان خيرية مجتمع غير ملازمة لخيرية كل واحد من افراده وغاية مايلزم ، يكون عدول هذه الامة خير العدول وفساقها خير الفساق . واين الايتين من الدلالة على عدالة جميع الصحابة ؟ ! .

واما آية بيعة الرضوان فانها على خلاف مدعاه أدل، من جهة دلالتها على رضايته تعالى عن المؤمنين من المبايعين فقط والا كان تعالى يقول : لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة ، وهي ظاهرة في اشتراك غير المؤمنين في البيعة وهم المنافقون.. وقد نزلت هذه الاية في السنة السادسة من الهجرة وهي عام الحديبية .

وكيف يصح ان يرضى الله تعالى عن جميع من بايع فان عدد المبايعين ، كان يزيد على الالاف ، بالاجماع وانما الخلاف في مقدار الزيادة . . وان مثل عبد الله بن ابي سلول - وقد لقب برئيس المنافقين - وجد بن قيس وحرقوص بن زهير الملقب بذي الثديه ، كانوا داخلين في من بايع ! ؟ . . .

ثم ان الله تعالى قد ازال الستار عن حقيقة البيعة في الاية التاسعة من هذه السورة المباركة ، وهي الواقعة قبل آية بيعة الرضوان فقال عزوجل :

«ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً» . . .

وهذه الاية الكريمة مبينة أن البيعة المرضية عند الله تعالى هي التي لم تنكث واوفى المبايع بما عاهد عليه الله .

فالمؤمنون من الصحابة الذين اوفوا ببيعتهم ولم ينكثوا ، عدول قطعاً بلاشك.

لكن طائفة منهم لم يفوا بها فان بيعة الشجرة كانت على ان لايفروا ويثبتوا في الجهاد حتى يقتلوا ، أو يغلبوا وقد انهزم كثير منهم في بعض الغزوات التي وقعت بعد هذه البيعة بزمان قصير .

وقد انهزموا في يوم حنين بشهادة قوله تعالى : (ثم وليتم مدبرين) ولم يثبت منهم الا نفر يسير لم يبلغ عددهم عشرة . . واما آية «السابقون» فهي حاكمة بافضلية السابقين منهم واين هذه من الدلائل على عدالة الجميع ؟ وهل المراد هو السبق الزماني في الايمان او الشرفي ؟ وقوله تعالى «الذين اتبعوهم باحسان» قرينة حالية على ارادة السبق الشرفي مضافاً الى ان الايمان القوي ولو حصل متأخراً أحب عند الله من الايمان الضعيف ولو حصل متقدماً نعم الفضل لمن حاز السبقين.

واما آية الحسب فلا تدل على عدالة جميع الصحابة فلم يقل تعالى : حسبك الله ومن آمن بك بل قال تعالى : ومن اتبعك من المؤمنين، واين هذه من الدلالة على من لم يتبعه من المؤمنين في اعماله وأقواله ؟ ثم ان كلمة حسب لاتدل على العدالة بل معناها يجتمع مع غير العدالة .

واما الاية الاخيرة فهي مختصة ببيان فضيلة الفقراء المهاجرين الموصوفين بتلك الصفات واين هي من الدلائل على عدالة اغنيائهم اوعلى عدالة فقراء الانصار اوعلى عدالة الفقراء المهاجرين الذين لم يخرجوا من ديارهم واموالهم ولم يبتغوا فضلا من الله ورضوانا اولم ينصروا الله ورسوله ؟ . . .

وظهران قوله : يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج احد منهم مع تعديل الله له الى تعديل احد من الخلق ، دعوى من دون بينة وبرهان نعم لاشك في عدالة من هاجر وجاهد وبذل مهجته وامواله ومن قتل اباه وابنه وناصح في الدين ومن كان منهم ذا قوة في الايمان واليقين. انما الكلام في ان هذه الصفات كانت ثابتة لكل واحد منهم . وذلك اثبات الصغرى بالكبرى. واما الدليل الذي حكاه عن ابن زرعة فهو مثبت لعدم جواز جرح جميع الصحابة وهو حق لاريب فيه ومن جرح جميع الصحابة فليس بمسلم بل هو المكذب لكتاب الله ولسنة نبيه المتواترة لكن هذا الدليل غير مثبت لعدالة كل فرد منهم بل الذي يثبته ان البعض منهم عدول اتقياء ابرار حكماء مجاهدون لاتأخذهم في الله لومة لائم رضى الله عنهم ورضوا عنه ثم قال العلامة العسقلاني : والاحاديث الواردة في تفضيل الصحابة كثيرة ، من ادلها على

مقصود ماروه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن مغفل قال
ل رسول الله (ص) : الله الله في اصحابي لاتتخذوهم عرضا فمن احبهم فبحبي
بهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد اذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ن آذى الله فيوشك ان يأخذه» ثم قال «كما ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد
خدري من قوله (ص) والذي «نفسي بيده لو انفق احدكم مثل «احد» ذهبا ما أدرك مد احدهم
لا نصيفه ، وتواتر عنه (ص) قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم . وقال بهز بن
كيم عن ابيه عن جده عن النبي (ص) : انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على
ه عزوجل ، وروى البزاز في مسنده بسند رجاله كلهم موثقون من حديث سعيد بن
مسيب عن جابر قال قال رسول الله (ص) : ان الله اختار اصحابي على الثقلين سوى
نبيين والمرسلين» ... اقول : قد وصف اولا ، الاحاديث الواردة بالكثرة ، ثم ذكر
مسة احاديث ! فهل الكثير يصدق على الخمسة ؟ اما حديثي ابن مغفل وابي سعيد
لاستدلال بهما على اثبات عدالة جميع الصحابة لايخلو من خفاء لان صحة خبر
صحابي موقوف على ثبوت عدالته واثبات عدالته بخبره دور واضح . . .

وثانياً ان المخاطب بهذين الحديثين هو الصحابة فكيف يدلان على عدالتهم فالظاهر
، الرسول وصى لجماعة خاصة وهم اهل بيته الطاهرين بشهادة صحاح متواترة
ردة عنه بهذا المضمون وعليك بكتب الفضائل .

واما حديث خير الناس قرني فبعد تسليم تواتره فغير دال على عدالة فرد واحد
ن الصحابة فضلا عن جميعهم فان مفهوم الناس عام شامل للصحابي ولغير الصحابي
للمسلم ولغير المسلم وللعادل ولغير العادل . فيفسر بان ناس ذلك القرن خير من
مثالهم في قرون اخرى فمسلمهم خير المسلمين وعدولهم خير العدول وفساقهم خير
فساق وهكذا ومما ذكرنا ظهر الحال في الاستدلال بحديثي بهز وجابر سنداً ودلالة
لعجب من شيخ الاسلام العسقلاني حيث ادعى اتفاق السنة على عدالة جميع
صحابة بالمعنى الذى فسر الصحابي به ثم يحكي كلام المحقق المازري في شرح البرهان:
«لسنا نعني بقولنا . . . وانما نعني الذين لازموه وعزروه ونصروه» ولابأس
عوى ظهور قوله (ص) «الله الله في اصحابي» في ذلك .

«٣»

أضواء على النشاط التبشيري

التبشير والاستعمار في المغرب العربي

الأستاذ الحبيب الجنحاني

كلية الآداب — الجامعة التونسية

وبعد تلك اللمحة عن السياسة التبشيرية الاستعمارية يتساءل المرء عن نقطتين:

أولا — ماهي النتائج التي حققتها هذه السياسة التبشيرية ؟ .

النتائج معروفة ، انه الفشل الذريع ، وأبلغ حجة قاطعة على ذلك ثورة المجاهدين الجزائريين الابطال ، وكفاح شعوب المغرب العربي في الذود عن شخصيتها الاسلامية العربية ، هذا النضال الذي توج باستقلال الجزائر العربية المسلمة ، وثورتها الزراعية والاقتصادية اليوم ، وهي تهدف الى تحقيق الدعامة الثورية الثالثة. وهي الثورة الثقافية التي لا يمكن الا أن تكون ابرازا أو صقلا لمعالم الشخصية الوطنية العربية المسلمة ليس فقط الشعب الجزائري المجاهد بل لجميع شعوب المغرب العربي التي كانت خاضعة بالامس القريب لنفس النظام الاستعماري ، وميدانا لتطبيق سياسة الكنيسة التبشيرية .

ونذكر دليلا آخر اعترف به المستشرق الفرنسي الاستاذ «جاك بارك» ، وهو

ان عدد الجزائريين الذين اعتنقوا المسيحية في عهد لافيجري لم يبلغ الالف رغم الوسائل الكبرى التي سخرها ، ورغم مسانده النظام الاستعماري ، واستغلال لافيجري لانتشار المجاعة والاوبئة في سبيل تحقيق خطته .

وقد اعترف ممثلوا الكنيسة انفسهم بفشل سياسة التبشير ليس في بلاد المغرب فحسب بل في جميع المستعمرات ، وقد اعلن الراهب «قسطنطيني» (Constantini) سكرتير الدعاية المقدسة سنة ١٩٤٠ فشل سياسه التبشير رغم تغيير أساليبهاعلى يد البابا «بير» الحادي عشر ، سنة ١٩٢٢ ، ثم «بير» الثاني عشر سنة ١٩٣٩ قائلا «... بعد مايقرب من اربعة قرون من المجهودات الجبارة نعد اليوم تسعة ملايين من المسيحيين على ألف مليون وثني . انها قطرة ماء في محيط» ، هذا فشل الكنيسة بين الوثنيين ، أما فشلهابين المسلمين فهو أعظم وأشد .

وفشل سياسة التبشير في المستعمرات يعترف بها «الفاتيكان» في رسالةوجهها الى رئيس الاسابيع الاجتماعية في فرنسابمناسبةتنظيم أيام مسيحيةفي ليون سنة١٩٤٨ .

ثانياً ـ كيف كان موقف العلماء المسلمين تجاه هذه الحملات التبشيرية ،وخطط التنصير؟ لابدقبل الجواب من ذكر ملاحظتين :

الملاحظة الاولـى تتعلق بندرة الوثائق التأريخيةالتي وصلتنا عن موقف رجال الدين بالذات وذلك نظراً للوضع السياسي ، وللتخلف الفكري الذي كانت عليـه بلدان المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالخصوص .

أما الملاحظة الثانية فتهدف الى فهم كلمة علماء الاسلام في اطارها التاريخي في الفترة التي نتحدث عنها ، فاليقظة كانت نادره في أوساط رجال الدين ، وكانت ثقافة أغلبهم ثقافة اجترار وتكرار تتسم بالتقليد والجمود .

ونعود للجواب على السؤال مؤكدين ، باديء ذي بدء، على ضرورةالتفريق بين موقف بعض رجال الدين وموقف الجماهير الاسلامية التي ردت الفعل بصفةتلقائية، ذودا عن عقيدتها ، وحملت السلاح لمقاومة حملات التبشير والنظام الاستعمـاري المساند لها .

وينبغي علينا في تحليلنا لموقف علماء الاسلام التعريق بين موقف رجال الدين الاسلامي في القرى والريف ، والمنتسبين الى الفئات الاجتماعية الشعبية ـ وقد كان موقفاً متحداً مع موقف الجماهير الاسلامية ـ وموقف اغلب كبار رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بامتيازات مرتبطة بالحكم الاستعماري القائم في بلدان المغرب، فقد كانوا يتعاونون مع الارادة الاستعمارية حماية لمصالحهم ، وفي أحسن الاحوال يلوذون بالصمت وموقفهم تجاه السياسة الاستعمارية وما يرتبط بها من سياسة تنصير، وقضاء على الشخصية الوطنية للاسلام ، عن موقفهم تجاه الحكم المطلق القهري المتعفن الذي كان قائماً في البلدان الاسلامية قبل النظام الاستعماري ، او استمر بعده الى اليوم في بعض البلدان الاسلامية .

ولا بد من مناقشة موقف العلماء المسلمين تجاه هذه القضايا بكل جرأة وصراحة، لان هذه المواقف التصقت بالاسلام ، وهو منها براء ، وأضرت به .

* * *

أشرنا الى أن سياسة التبشير قد استمرت في القرن العشرين ، واستمر ارتباطها بالسياسة الاستعمارية في المغرب العربي الى آخر لحظة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : كيف الوضع بعد استقلال بلدان المغرب العربي ؟ ألم تنته القضية بعد ان وضع الاستقلال حدا للنظام الاستعماري وللسياسة التبشيرية معه ؟ ألم يحن الوقت لطي صفحة الماضي ، وفتح عهد الحوار بين النصرانية والاسلام ، كما ينادي البعض بذلك اليوم ؟

انني اعتقد ان هنالك لوناً جديداً من السياسة التبشيرية ، وتحطيم معالم الشخصية العربية الاسلامية لشعوب المغرب لا يقل خطرا عن سياسة التبشير القديمة ، فهو يملك وسائل جديدة مقنعة ناجحة تمكنه من التأثير دون اثاره رد الفعل الذي حدث ايام الاستعمار .

وتعرضت قصدا الى هذه النقطة التي سأعود اليها بعد حين لاطرح موضوع المناداة بفتح الحوار بين الكنيسة والاسلام ، وقد تعالت أصوات هنا وهناك يبدو

في الظاهر أنها أرتعمت صدفة ، ولكن تكمن وراءها فى الحقيقة سياسةجديدةتتبعها الكنيسة اليوم فقد سمعناهذه الأصوات تنادى بعد التصريح الخاص بالديانات غير المسيحية الصادر سنة ١٩٦٥ عن المجمع الثاني الفاتكين ، وهو تصريح يتوجهالى المسيحيين والمسلمين «لنسيان الماضي ، ومحاولة صادقةللتفاهم المتبادل» .

ونشرت كتب ، ودراسات ، وعقدت الملتقيات لبحث موضوع الحوار هذا بعد التصريح المشار اليه .

وقبل ان ندى رأينا حول هذه الدعوه الى الحوار نريدأن نتعرف الى آراء بعض دعاتنا ،ولاسيما الجدد يقول «هنرى نسلي Henri nessle مؤلف كتاب «حوار مع الاسلام» مخاطبا المسلمين : (ان العرب يستطيع أن يقدم لكم شيئاً آخر أحسن من ثقافته ، واحسن من عبقريته للابداع ، يستطيع أن يقدم لكم مملكة المسيح) (ص ١٤٧) . هذه هي النتيجة التي يريد دعاه الحوار المسيحيون أن يصلوا اليها ، ومن الغريب أن يعلق باحث مسلم محترم من دعاه الحوار على هذا الكلام قائلا : «لايمكن أن نقبل هذه النعمة رغم صدق الكاتب ، ونبل عواطفهالتى لامراء فيها » انني أشك آسفا فى صدق كاتب مسيحي يدعو للحوار ويقول هذا الكلام ، وهذا ليس حوارا بل هو تبشير .

اما الراهب جورج قنواتي فيدعو الى الحوار مع مسلمينمعينيــن ،مسلميــن تشبعوا بثقافة معينة ،ويعنى أولئك المثقفين الذين بقوا ــ دون ريب ــ مسلمين عقيده ولكنهم من أشد المدافعين عنالعرب ، وعن الثقافة الغربية ، فهم حماة الاستعمار الثقافى الجديد ، وهو ــ فى رأينا ــ من أخطر مظاهر الصليبية الحديدة ، ويشيــر الى أن الحوار مع علماء المسلمين ، وخاصةالشيوخ لايفيد ، ولا يؤدى الى نتيجة، لان الحوار بالنسبة اليهم يجب ان يخدم فى خاتمة المطاف مصالح الكنيسة .

ونلاحظ بهذه المناسبة أنهمن حسن حظالاسلام الا يتمحوار بين هؤلاءالشيوخ وبين ممثلي الكنيسة لان اكثر علماء المسلمين اليوم لايملكون ــ مع الاسـف ــ التكوين المهنى العلمى الضرورى لخوض معركة الحوار هذه . (١)

---

(١) الهادى : راى للمؤلف المحترم يتحمل هو مسؤولية الدفاع عنه .

ومن دعاة الحوار محمد الاستاذ أركون الذي يرى «أن المسيحيين يمكن اهم ان يتحملوا مستقبل الاسلام الديني بنفس العزم والالتزام التام ،وبنفس حرارة الايمان التي يضعونها في خدمة المسيحية» . وذلك أحسن طريقة في رأيه لاعداد الحوار ! !

ونقرأ في احدى الدراسات الجديدة الداعية الى الحوار مايفيد أن الاسلام أشد حاجة الى الحوار من الاديان الاخرى . وان المسيحية لم تقطع أبدا الحوار فعلا وهذا مايجعلها في وضع ممتاز نسبيا .

ومن المعروف أن الكنيسة قطعت الحوار مع الاسلام في فترات كثيرة ، وبطريقة عنيفة دامية ، ويكفي ان نذكر هنا بالحروب الصليبية ، وبمطاردة مسلمـي الاندلس ،وبالحملات التي أشرنا الى البعض منها في القرن التاسع عشر في المغرب العربي .

وبصرف النظر عن معطيات الحوار وأساليبه ، والشروط التي يجب أن تتوفر ليتم فانني أرى انه يجب مقاومة محاولات الحوار هذه التي تحوم حول الكثير منها الشبه ، ويحيط بها الغموض .

انني أبعد ما أكون عن التعصب الديني ، وعن التقوقع العقائدي،أو الثقافي، ولكنني أقف على هذا الموقف من الدعوة الى الحوار في هذه المرحلة التأريخية بالذات التي تمر بها المجتمعات الاسلامية ، لانني أعتقد أن مظاهر التبشير الغربي الجديد بألوانه أشد خطراً على المجتمعات الناميـة من حركات التبشير المسيحيـة الكلاسيكية .

انني أرى أن القضية ليست قضية حوار ديني عقائدي ، فالاسلام دين ومجتمع وحضارة ، وخطر الغـزو الغربي الجديد يهدد بالخصـوص المجتمع الاسلامـي والحضارة الاسلامية .

والكنيسة مرتبطة وثيق الارتباط بسياسة الدول الغربية الامبريالية ، وبمظاهـر الاستعمار الجديد ، وخاصة في الميدان الثقافي المهدد لمميزات الشخصية الثقافية العربية الاسلامية .

ولا احتاج الى اقامة الدليل على ارتباط الكنيسة بسياسة الاستعمار الجديد للدول الامبريالية اليوم كارتباطها بسياسة الاستعمار القديم بالامس .

فكيف ندخل في حوار ،وموقف الكنيسة مؤيد بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة لموقف الدول الامبريالية من قضايا العالم الاسلامي الكبرى وفي مقدمتها قضية فلسطين ، والقدس ، والاراضي المحتلة ، وموقفها من الحركات الثورية الشعبية في كثير من البلدان الاسلامية في سبيل بناء مجتمع يناهض جميع مظاهر الظلم واساليب الحكم المطلق القهري ، وهو مايزال يمثل مشكلة يعانيها العالم الاسلامي وهي المشكلة الأساسية التي طرحها كثير من رجال الاصلاح ، منذ القرن التاسع عشر ، ولم يجد العالم الاسلامي لها حلا الى يومنا هذا ! !

ملاحظة هامة :

ذكر الاستاذ المحاضر مراجع كثيرة في ختام بحثه القيم أثرنا هنا عدم ذكرها للاختصار بما يناسب حال المجلة الا أننا نشير الى مرجع هام اعتمد عليه كثيراً وهو حوليات الجامعة التونسية .

مختارات

السيد هاشم نصر الله

□ «ورد في العدد ٨٨١ من مجلة الحوادث اللبنانية مايلي :حدث مؤخراً ان اصيب أحد البيض بحادث فطلب احد المارة سيارة الاسعاف ونسي أن يذكر لون المصاب ، فحضرت سيارة اسعاف مخصصة لنقل السود . ولما رأى سائقها وقائدها ان المصاب من البيض رفضا نقله بسيارتهما بالرغم من ان الاثنين كانا من البيض ، وعادت السيارة السوداء الى قاعدتها لتجيء بعد قليل سيارة اسعاف مخصصة لنقل البيض فقط ، لكن الجريح كان قد توفي متأثراً بالنزيف الذي الم به . وقد أعلن والده باكياً ان ولده قتله التمييز العنصري الاحمق !»

. . . ياله من منطق اعمى نعيشه في القرن العشرين! فالفروق المميزة بين الانسان واخيه الانسان لاتكون في اللون او الجنس او الطول او القصر ، ولاتكون في أي شيء قهري ، ليس باختياري ، بل تكون بالعمل الجاد والقيم الرفيعة، وتكون في كل حسن اختياري يستطيع الانسان ان يفعله . . وان لايفعله . . وكلمة صريحة نقولها هنا : ان هذا هو ماجاء به الاسلام منذ اربعة عشر قرناً ، وصدع به الرسول القائد محمد (ص) ، وفي ذلك المجتمع الجاهلي الذي كان يعيش التمييز العنصري بابعد حدوده .

* * *

□ «نقلت مجلة الاخاء الايرانية في عددها ٣٣٢ ان المليونيرة الامريكية ـ اليونورا ـ اوصت ان تنفق بعد موتها كل ثروتها البالغة اربعة ملايين وخمسمائة الف دولار على رعاية كلابها البالغ عددها ١٧١ كلباً وان تنال الرعاية الكاملة من قبل اطباء بيطريين متخصصين يقومون بفحص هذه الكلاب مرتين في الاسبوع وذلك للتأكد من سلامتها . . ! ! »

. . . اللواتي من نمط هذه السيدة كثيرات في المجتمع الامريكي ـ ،ولكن ليت هذه الامريكية تعلم ان هناك في بعض المناطق الافريقية اناساً يتناولون وجبة طعام غير كاملة كل ٤٨ ساعة ،وليتها تعلم ايضاً ان الذين يموتون في اليوم الواحد خمسة عشر الفاً بسبب الجوع وسوء التغذية حتى توصي هي وزميلاتها بصف ثرواتهن بدلا من ان يوصين بكل ماعندهن للكلاب التي يمكن عيشها والحفاظ عليها بدون ذلك المبلغ الكبير . . . !

* * *

□ «نقلت احدى الاذاعات انه «قام رجال الشرطة في نيويورك بالقاء القبض على شخص اساء معاملة كلابه وقططه . . ثم سرد المذيع بيان جمعية الرفق بالحيوان وندد أخيراً بالاعمال الوحشية غير الانسانية ضد هذه الحيوانات» .

. . . لاندري لعل الحيوان لدى المترفين اهم كثيراً من شعوب باكملها تهان وتسحق فيندون بالاعمال الوحشية ضد الحيوانات ولا يندون بالمذابح الانسانية .

* * *

□ «في لندن العاصمة البريطانية ناد للشوارب الطويلة وذويها ،تكون اهمية العضو فيه بمقدار طول شاربه وذوي الشوارب الطويلة جداً هم اعضاء شرف في ذلك النادي ! »

. . . تصوروا ! ! ! عصرنا الذي نعيش فيه هو عصر الحضارة ، ولكن مع هذا أهمية الانسان تأتي عن طريق شاربيه ، بدلا من ان تأتي عن طريق ما يحسنه من عمل ، ونتيجة هذه الصراعات سنعلمها عن قريب ما دام ميزان الانسانية هو الشارب

وليس الاخلاق .

* * *

□ «كتبت مجلة المجتمع الكويتية في عددها ١٨٦ أن معهد غالوب في امريكا قام منذ مدة قريبة باستفتاء عام ، في جميع الاوساط فى الولايات المتحدة ، بصدد تعيين راى النساء العاملات الكاسيات . . . واذا هو ينشر الخلاصة الاتية : ان المرأة متعبة الان ويفضل ٦٥٪ من نساء أمريكا العودة الى منازلهن» .

. . . المرأة في عقيدتنا تمثل نصف المجتمع البشري ، والنصف الاخر يمثله الرجل : ولكن لكل منهما ميزات خاصة فالله سبحانه عندما خلق المرأة جعل لها مؤهلات ، حتى تكون المشرفة العليا في امور التربية والسيدة المطاعة . . .

واليوم وبعد ان غرقت المرأة في ميادين العمل الشاق - فى الغرب - الذي لايوافق طبيعتها ، نراها ترجع القهقري ، لانها سلكت الطريق المعوج الذي كان يجب اجتنابه . . . ونراها ايضاً تعترف بالعجز مفضلة العودة الى السبيل الطبيعي . . . وقد آن لها ان تستيقظ من سباتها العميق الذي استمر طويلا ، وآن لها ان تفتح عينيها على الحياة مثمرة مشرقة . . . !

* * *

□ «نشرت بعض المجلات الفارسية ان مدير شركة دفن الموتى فى فرنسا قال ان تجارته اصبحت تجارة خاسرة ، لان الناس كفوا عن الموت منذ انتشار البنسلين وتعميم اساليب الوقاية والتلقيح واضاف اننا نجتاز مرحلة عصيبة لان الاموات يتضاءل عددهم كل يوم نتيجة للاكتشافات العلمية ولتقدم الطب . .!»

. . . ماعشت اراك الدهر عجباً . . . ! ولكن هل تعلم اخي القارىء ان الاسلام اوجب على الانسان المسلم دفن اخيه الانسان ، وحرم اخذ الاجرة لذلك . ومضافاً الى هذا فقد جعل التجارة ببيع اكفان الموتى من المكروهات لانها تجعل البائع مادياً لايفكر الا فى مصلحته : ومحباً للموت الكثير حتى تتقدم تجارته وتزيد اربا حه كما هو الوضع الان في المدنية الغربية فقيرة المبادىء والقيم . . .

□ «ذكرت المحامية منى زحيل في مجلة لبنانية انهااعدت دراسةفي موضوع جرائم الشرف وتبين لها من خلال تلك الدراسة ان معظم المناطق التي تحدث فيها جرائم الشرف هي متخلفة ومحرومة وتسيطر عليها الروح القبلية والتقاليد المتخلفة وعقلية الشرف الذى لايسلم الا اذا اريق على جوانبه الدم . . . ! »

. . . لايخفى ان المقصود بالمناطق التي تسيطر عليها التقاليد المتخلفة هي مناطق العالم الاسلامي . .

ولكن المؤكد ان السيدة المحترمة ترمي كلامها جزافاً . فجرائم الشرف منتشرة في جميع اصقاع الارض .

والصحف الغربيةلاتخلو يومياًعن نشرمثل هذه الجرائم فمئات جرائم الشرف بل الالاف تحدث في عالم الحضارةوالرقي والتقدم ،خاصة في امريكا وجميع الدول الاوربية . . .

وهذا النوع من الجرائم اصبح معروفاً في الدول الشيوعية . وللمزيد من البيان نذكرماجاء في جريدة الحياة اللبنانية عدد ٩٠١٦ تحت عنوان جرائم الشرف في روسيا :

«موسكو : حكمت احدى المحاكم السوفياتية على بطل التنيس السوفياتي السابق توماس ليغوس بالسجن لمدة ثمانية اعوام لقتله زوجته بعد ان اكتشف وجود علاقة غرامية بينها وبين مخرج سينمائي سوفياتي» .

بقي ان نعرف ان جرائم الشرف التي تحدث في مناطقنا بشكل خاص ومناطق العالم الثالث المتخلف، بالنسبة لمايحدث في الغرب المتمدن ماهي الا نقطةفي بحر . .

* * *

□ «ورد في تقرير لاتحاد الصحافيين العرب :

في اعقاب حرب حزيران وجهت السلطات الاسرائيلية نداء لزيادة المواليد لاسباب وطنية واجتماعية ، ولتعويض خسائر الحرب ،وكان النداء يدعو الى عدم استخدام حبوب منع الحمل . . .»

ثبت لدينا بعد التتبع والتحقيق ان الدعوة الى تحديد النسل ـ والتي يروج لها دعاتها فى العالم الاسلامي ـ هي دعوة ليست في صالح العرب . والذي يؤيد قولنا هو رفض الصين الشعبية هذه الفكرة، على اثر اصرار الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية على وجوب تحديد النسل في مؤتمر السكان العالمي الذى عقد اخيراً في بوخارست . . . واعتبارها من مخططات الغرب ولا يغيب عنا ان عدد سكان الصين يتجاوز الثمانمائة مليون نسمة .

فلنعلم هذا . . . ولنكن على بصيرة من أمرنا .

* * *

□ «نشرت مجلة (اخبار العالم الاسلامي) في عددها المرقم ٣٩٧ مقالا بعنوان (هل انتهت الحروب الصليبية) تحدث فيه الاستاذ محمد عبدالله السمان عن الاصابع الصليبية وراء مقاومة الحركات الاسلامية فى الفيليبين واريتريا وتشاد واحداث قبرص» .

والحقيقة . . هي انها لن تنتهي وسنظل ننتظر المزيد المزيد . . رغم صرخات الحوار المنطلقة من هنا وهناك وذلك لسبب بسيط هو : كون الصراع فوق مستوى الحوار في هذه المرحلة على الاقل . . . وهل يمكن التوفيق بين انفتاح فكرة الهية واقعية على العالم ومحاولة قيادته نحو اقامة البديل الوحيد الصالح لكل الانظمة القائمة ومحاولة ايقافها عن هذه الرسالة العالمية .



دور المسجد الطليعي

خلال الثورة الجزائرية وبعدها

السيد هادي الخسروشاهي

استلمت من الاخ الاستاذ «عثمان شبوب» رئيس تحرير مجلة «الاصالة» رسالة يطلب مني ان أساهم ببحث او تجربة حية شخصية، تدور حول بعد من ابعاد الثورة الجزائرية . . . وذلك ضمن اعتزام مجلة «الاصالة» التي تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية اصدار عدد خاص بمناسبة الاحتفال بالذكرى العشرين لثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ الاسلامية .

. . . وانا بدوري اذ أعرب عن جزيل شكري وامتناني بتفضل الاخ رئيس التحرير بهذه الرسالة، أود أن اوضح للاخوة بان الوقت المحدد فى الرسالة لم يكن ليكفي لكتابة بحث وثائقي عقائدي حول الموضوع، خصوصاً وان لدي الكثير مما اقوله حول الجزائر البطلة التي زرتها

مرتين والتقيت بشعبها المسلم كما رأيت آثارها الاسلامية القيمة.

. . . ولكنني اساهم بالحد الذي أستطيعه الان في بيان بعض انطباعاتي وملاحظاتي عن مسيرة الثورة المجيدة في الجزائر آملا ان يكون الجزء الثاني من كتابي الذي سيصدر قريباً بعنوان : «كفاح الاسلام في افريقيا» حاوياً بحثاً مفصلا عن هذا الموضوع .

* * *

انها لفرصة ملأى بالشعور والعواطف المتأججة ان يقوم الانسان بزيارة قطر اسلامي يقع في شمال افريقيا ويقف بكل صمود وثبات امام قوى المستعمر الكافر ويكافح للحصول على خلاصه وطرد القوى الاستعمارية الجاثمة على صدره ليتوج اعواماً من الجهاد بالنصر الحاسم . . . ومن الطبيعي ان تثور اسئلة كثيرة في مخيلة الزائر :

لماذا انتصرت جبهة التحرير الجزائرية؟وكيف استطاع الشعب المسلم الذي لم يكن يملك سوى الاسلحة الخفيفة ان يقف بكل صلابة امام خمسمائة الف جندي مسلح من جنود الاستعمار بكل عتادهم الثقيل من مئات القاذفات والمدافع والدبابات وباقي الاسلحة الثقيلة . . ثم لينتصروا بكل جدارة ؟ كيف استطاعت الامة التي لم تكن لتحوي اكثر من ١٠ ملايين نسمة أن تقدم مليون شهيد لتحرير ارضها ؟ ماهو الدافع الاصيل لهذه الثورة والذي يشكل العامل الحقيقي للنصر ؟ . . . ان الاجابة على كل هذه التساؤلات يتوضح تماماً لمن يزور الجزائر ويلاحظ الايديولوجية الحاكمة على افكار الشعب الجزائري ، انهم يرتكزون على اساس عقائدي رائع هو الايمان بوجوب خلاص الوطن الاسلامي من اي تسلط اجنبي والايمان بلزوم الدفاع والجهاد في قبال اي هجوم خارجي وروح كل عملياتهم واقوى سلاح ومحرك لديهم هو الايمان بالله واللامبالاة بالموت والاطمئنان الكامل بالنصر وهزيمة العدو

كان سر ذلك النصر ، تلك التعليمات التي كانت تتلقاها الجماهير في طريق الجهاد حريري الاسلامي وذلك في المساجد ومن قبل الموجهين الدينيين .

ان الذي يزور الجزائر لتتوضح له الحقيقة كاملة وهي انه خلافاً لمدعيات بعض ،لم يكن هناك لاى دافع آخر غير الاسلام مثل ذلك التأثير الرائع والذي كل سد الثورة الحقيقي ولو أنا رأينا هذا الشعب قدم مليون شهيد لتخليص ؛ده المسلمة من براثن الاستعمار فان ذلك مدين فقط لانه كان يجاهد في سبيل الله لانه سيكون شهيداً في هذا الطريق لو قتل ، اما لو قتل العدو .فانه يحصل على زاء الله الاوفى ،بالاضافة لتحرير الارض المسلمة . . .

* * *

وكلنا يعلم انه قبل ان تصل قضية التحرير الاسلامية الى اوج قوتها وتتوج لانتصار ،كان الشعب يواصل نضاله ضد الاستعمار تحت لواء الاسلام وباسم (الجهاد) بقيادة العلماء الكبار من امثال ؛ الامير عبدالقادر ، الشيخ عبدالحميد بن باديس ، شيخ المقراني والشيخ بشير الابراهيمي وعشرات آخرين . . . محاولا طرد ي نفوذ معنوي خارجي ونفيه من حياته الاجتماعية ،تمهيداً للوصول الى النصر ي كل الجهات .

* * *

ويمكننا ان نحكم بدون أي شك او ريب بان الاستعمار والتبشير المسيحي م يستطيعا على الاطلاق ،رغم طول المدة التي كان فيها الشعب الجزائري تحت سلطتهما ان يحكما نفوذهما ويمحوا الاداب والشعائر الاسلامية فيه .

ولو انا غضضنا النظر عن المظاهر الانحرافية ــ كالسفور وشرب الخمر ــ والتي جدها ايضاً في كل العواصم والاقطار التي يسكنها شعب مسلم وهي ظاهرة غريبة على روح لاسلام ــ او انا غضضنا النظر عن ذلك ،وجب ان نعلن بكل اطمئنان ان الرجل والمرأة لجزائريين ،قد حاربا بكل بطولة وشجاعة ضد الاستعمار وحافظا على روحهما الاسلامية كل شجاعة حتى اليوم .

صحيح اننا يمكن ان نشاهد في ــ الجزائر ــ العاصمة مثلها مثل اي قطر شبيه ، عض المناظر والامور غير الاسلامية ولكن ذلك لايمكن ان يكون سنداً للحكم العام

على الجماهير الجزائرية ، بل انه يجب الغور في اعماقها لمعرفـة الحقيقة الناصعة وبشكل عام فان مظاهر التقنية العربية والآثار السيئة للحياه الميكانيكية قدنفذت الى مختلف البقاع في العالم . . . ولكن الاستعمار لم يؤت ثماره بالمعنى الشامل رغم ١٣٠ عاما من التبشير المسيحي بين الشعب وبكل الوسائل الممكنة، بل يمكننا ان نقول انه لاأثر لذلك بالمرة او انها على الاقل لاقيمة لها .

نعم . . بملاحظة ان ثورة الجزائر انطلقت اول ما انطلقت تحت لواء الاسلام وباسم الله وان المسجد كان مركزا للمعالم الصادرة للثوار يزول اي تعجب قد يحصل للقارىء من الحكم الذي اصدرناه بحق الجزائر المسلمة الحرة .

ان الامبريالية الفرنسية ولهذه النكتة المهمة بذلت كل مافي وسعها لاحلال محو اللغة العربية من الالسن وهي لغة القرآن ثم قامت بتبديل المساجد الى الكنائس وهي تأمل ان تزيل قواعد الثورة ومراكزها التوجيهية . وقد كتبت احدى المجلات الاسلامية الجزائرية موضوعاً حول النشاطات الدينية في الجزائر الحالية وتحدثت ضمن المقال ، عن الدور الاساسي للمسجد في عصر الصراع مع الاستعمار الفرنسي فقالت :

دور المسجد والامام في الجزائر خلال التاريخ حتى الغزو الفرنسي

. . . ولقد كانت مساجدنا اصدق مثال على ذلك اذ كانت هي المراكز التي انطلق منها مجاهدونا طوال تاريخنا الحافل بالصراع وبالمعارك الطاحنة ضد الغـزوات الصليبية التي كانت شواطئنا مسرحاً لها ومنذ الف سنة كان **الامام ابو مروان البوني** امام في المسجد ، وقائدا للمعارك التي تدور رحاها على شواطيء عنابة (بونة) بل ان هذا الامام المجاهد ، حرصا منه على ان يكون في اتون المعارك، **اتخذ مسجده رباطاً وثكنة على البحر حتى يكون على بسمة من كل شيء.**

وعندما تعرضت بلادنا للغزو الفرنسي في سنة ١٨٣٠ م انتدبت له صفوة من ابناء المساجد تقود جموع المواطنين للجهاد في سبيل الله ،وفي سبيل الدفاع عن كرامة

هذا البلد ومقدساته ، وعلى رأس هؤلاء جميعاً :الامير عبد القادر الذي اعلن الجهاد في مسجد المبايعة بمدينة معسكر ، ثم من جاء بعده من المجاهدين امثال:السيدة فاطمة نسومر ، الشيخ الحداد واولاد سيدى الشيخ وغيرهم من ابطال هذا البلد المجاهد الذى ضرب اروع الامثلة في الفداء والتضحية والبطولة في سبيل الوطن والعقيدة . . .

* * *

. . وعندما استتب الامر للمستعمر في بلادنا وتمكن من اخماد جذوة الكفاح الى حين ،ادرك هذه الحقيقة ،حقيقة المسجد وما يمثله بالنسبة للمسلمين،فعمد الى الاستيلاء عليها جميعاً ووضعها تحت تصرفه ليهدم منها عدداً كبيراً ثم ليحول الباقي الى كنائس ، وهذا هو الاغلب،ارضاء للحقد الصليبي الاسود على الاسلام والمسلمين ، وحول الباقي الى متاجر ومخازن ، ولم يترك الا القليل منها للمسلمين ليؤدوا فيها شعائرهم الدينية ، ثم عمد بعد ذلك الى مصادرة الاوقاف الاسلامية التي كانت تمول المؤسسات الدينية والتعليمية في البلاد بما تحتاج اليها لتقوم برسالتها وفي هذا المجال اصدر الجنرال كلوزيل غداة الاحتلال قرارا بتاريخ ٧ - ١٢ - ١٨٣٠ يقضى بالاستيلاء على اوقاف المسلمين فى الجزائر لفائدة المستعمرين الاجانب الراغبين فى الاستيطان بالجزائر ، ولقد بلغت هذه الاوقاف قبل الاحتلال ٢/٠٠٠/٠٠ من الهكتارات من احسن الاراضي و ٢٠٠٠ عماره . . .

* * *

. . . واليوم لقد أصبحت كل قرية وكل مدينة فى الجزائر ورشة لبناء المساجد التي حرمت منها من قبل المستعمر الغاصب الذي راى فى المسجد العدو الاكبر الممكن ان يقذف به الى البحر اذا سمح له باداء دوره ، واصبحت كل قرية وكل حي في المدينة يحرص على ان يكون له مسجده يتردد اليه المواطن ليؤدي فيه شعائره الدينية بكل حرية واطمئنان ، وليتزود منه بزاد المعرفة ، والعلم ، والثقافة التي تصلح له حاله فى الدنيا والآخرة .

ولقدكان من اروع مظاهر النهضة الدينية في الجزائر فك اسر كثير من المساجد التي شاءت ارادة المستعمر ان تغتصبها لتحولها الى كنائس و بيع وابت ارادة الله الا ان تعود الى ما كانت عليه من قبل ، ارتفع فيها صوت المؤذن ان الله اكبر ! ومن هذه المساجد جامع كتشاوة الذي كان كاتدرائية القطر الجزائري كله وعلى تنشمي ، وابن فارس في الجزائر و جامع الباي في قسنطينة ... الخ .

لقد تم تحويل الكنائس الكثيرة و البيع ، الى مساجد بعد ان هجرها اهلها فراراً من الحق ، وذلك باتفاق مع الكردينال دوفال ولقد جسد هذا العمل سيادة الاسلام في ربوع الجزائر الحرة وشخصية الدولة المسلمة المستقلة . وقد بلغ عدد هذه الكنائس والبيع التي حولت الى مساجد ١٨٣ كلها تقام فيها الصلاة ، ويؤذن فيها المؤذن ، ويذكر فيها اسم الله ، والرسول الاعظم (ص) وتكافح فيها الامية وتلقى فيها الدروس ! .

ان الجزائر قد بقيت بعد الاستقلال وفية بعهدها للاسلام والمسجد والاحصاءات تبين بوضوح النشاطات التي لا تقبل الكلل في سبيل ادامة حمل رسالة المسجد ، فهناك احصاء يرتبط بالسنوات العشر الأولى بعد الاستقلال وقد قامت به وزارة الشؤون الدينية :

لوحة احصائية بالمساجد في بعض المدن الجزائرية

	الجزائر	المدية	الاصنام	مستغانم	وهران	تلمسان	تيارت	سعيدة	بشار	تيزي وزو
عدد المساجد	٢٥٠	٨٨	٧٣	١١٦	١٢٥	٣٢٨	٣٩	٦٩	٤٤٦	٤٩٠
عدد المساجد في طور البناء	٣٠	١٢	١	٦	٧	١٢	٢	١	١٢	١٢
عدد الكنائس المحولة الى جوامع	٢٥	٤	١٧	١٩	٢٢	٦	٥	٥	٢	١٥

	سطيف	قسنطينة	عنابة	الاوراس	ورقلة	الجمع
عدد المساجد	٨٠٦	١٦٥	١٠٩	٤٤٧	٥٣٩	٤١٠٠
عدد المساجد في طور البناء	١٨	١٧	١٤	٣٨	١٣	١٩١
عدد الكنائس المحولة الى مساجد	١٣	١٥	٣١	٣	١	١٨٣

وبملاحظة هذا الاحصاءنحصل على نتيجة رائعة ،هي انه بالاضافة لوجود : ٤١٠٠ مسجد في ١٥ مدينة،هناك زهاء ٢٠٠ مسجد مازالت في طور البناء وقيد التعمير وان ١٨٣ كنيسة كانت يديرها الاستعمار والتبشير فى الجزائر قد تحولت الى مساجد والكاردينال دوفال ، الزعيم الديني للمسيحيين ، وبصورة رتبية يخبر المسئوولين،عن المناطق التي يستغنى فيهاعن الكنائس«لعدم وجود اي مصل مسيحي هناك ! » وهذا يوضح سر بقاء الشعب الجزائرى المسلم .

وعلى هذا الشكل،فقد ادى المسجد والقادة والشعب وظائفهم حير اداءوكانت النتيجة ان انتصرت الجزائر البطلة في صراعها ضد الاستعمار وغادر المحتلون هذه الارض المسلمة وهم يحملون عارهم وهزيمتهم . . . والزائر يشاهد اليوم في ارجاء الجزائر سواء فى المدن او القرى ، المساجد الفخمه بمنائرها التي تناطح السحاب وكأنها تفتخران استطاعت تأدية رسالتها فىالتعليم الديني وحشد الثوار بكل الطاقات العقائدية التي انتجت لهم النصر بعد ذلك وذلك بتعليم القرآن وتدريس الدروس الفقهيه والتفسيرية وتنظيم دورات في مكافحة الامية ...

وهكذا قد وفت الجزائر الحرة المستقلة بالاسلام ، عمود ثورتها التحريرية ضد الاستعمار والصليبية . . .

الأسرائيليات (٥)

في التراث الاسلامي

الشيخ ابراهيم الانصاري

- في شؤون ابليس ومناصبه
- في ذنبه الذي اوجب بعده عن الله تعالى

المسألة الرابعة

في شؤون ابليس ومناصبه قبل هبوطه وبعده

يظهر من القرآن والروايات الصحيحة ان ابليس لم يكن من الملائكة :بل كان من الجن فجعله الله مع الملائكة وفيما بينهم بحيث لم تكن الملائكة تعلم انه من الجن بل يحسبون انه منهم وكان منهم بالولاء لابالحقيقة .

وكانت الملائكة يظنونه مؤمناً وكان الله يعلم انه منافق فاخرج مافي قلبه من الحسد عند امره بالسجود لادم .

ولم تكن له رئاسة ولا سياسة ولاحكومة ولا شيء آخر من المناصب الارئاسته على الجان قبل خلقة آدم .

واما بعد هبوطه الى الارض فالقرآن اكثر صراحة في تعيين منصبه وماله من السلطة والاقتدار،فما يثبته القرآن الكريم للشيطان انه :

يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء والمنكر وانه يستزلهم ببعض ماكسبوا ،وانه يخوف اولياءه ، ويريد ان يضلهم ضلالا بعيداً ، وانه يعدهم ويمنيهم ومايعدهم

الشيطان الا غروراً ، وانه يريد ان يوقع بينهم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويزين لهم ما كانوا يعملون ، ويفتنهم ، وانه ينزغ بينهم ،وكان للانسان خذولا ،وانه يصدهم عن سبيل الله ، ويدعوهم الى عذاب السعير ، ويسول لهم ، ويستحوذ عليهم فينسيهم ذكر الله ، وانه قرين لمن يعش عن ذكر الرحمن ، وانه يوحي الى اوليائه ليجادلوا المؤمنين ، وانه واعوانه يتنزلون على كل افاك اثيم ، وانه يوسوس في صدور الناس ، وانه يقعد لهم صراط الله المستقيم ، ثم يأتيهم من بين ايديهم ، ومن خلفهم ، وعن ايمانهم وعن شمائلهم .

واما ماينفيه القرآن الكريم عن الشيطان فهو انه :

لا يضر من خاف الله ،وانما يضل من خافه واتبع خطواته ، وان كيد الشيطان كان ضعيفاً ، وانه لايصل الى من يستعيذ بالله منه : وانه نفسه اعترف فقال : (وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي) كما قد اخبر عنه خالقه العظيم فقال : (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وانه يريد (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله) وانهم لايعلمون الغيب ولو كانوا يعلمون الغيب (مالبثوا في العذاب المهين) ، وانهم (لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب) هذه خلاصة مايثبته القرآن الكريم للشيطان وينفيه عنه ،ولكن قد وردت روايات تخالف صريح ماذكرناه واستفدناه من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ونحن نشير الى خلاصة مضامينها ولا نطيل بذكر تفاصيل السند والدلالة وهي هذه :

ذكروا ان الشيطان كان خازناً على الجمان، وكان يسوس مابين السماء والارض وكان على خزانة سماء الدنيا ، وكان من اشرف الملائكة واكرمهم قبيلة ، وكان ابليس خازناً على السماء الخامسة ، وكان خازناً من خزان الجنة ، وكان اسمه عزازيل ، وكان من اشد الملائكة اجتهاداً واكثرهم علماً ، وقد جعل على ملك سماء الدنيا ، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الارض وكان رئيس الملائكة الذين نزلوا لتطهير الارض من الجان واما بعد هبوطه الى الارض ،لما هبط آدم لاذ ابليس بالبحر المحيط وسكن هناك وجعل عرشه على الماء ثم القيت عليه

شهوة السفاد فهو لايلد ولكن يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قبل يخرج من بيضة له ستون الف شيطان ويسلطهم على الخلق الى غير ذلك مما هو مذكور في كتب التفسير والتاريخ وغيرهما .

والدليل على كون هذه الآراء اسرائيلية هو ما ذكرناه من اشتمال اكثر اسنادها على ابطال الاسرائيليات امثال كعب ووهب وغيرهما .

وايضاً وجود هذه الاراء عند اليهود والنصارى كمايشهد به مايلي :

١ ـ يقول مؤلف التلمود ان الله قال لملك الموت : اني وان جعلتك حاكماً على البشر وليس لك شغل مع بني اسرائيل (١) ثم يقول ان ملك الموت في اصطلاحهم هو الشيطان (٢) .

٢ ـ ويقول العقاد في شرح حال ابليس : «ويتردد من حين الى حين اسم اله الخراب او اله القفار عزازيل وهو اسم ورد في العهد القديم واختلف الشراح في نسبته الى اصله وقد كانت من عادة اليهود ان يقترعوا على صحيتين تذبح احداهما للرب يهوا والاخرى ترسل الى عزازيل «رب الارض الخراب» (٣) .

٤ ـ ويقول جامع التلمود «واعلم ان طرد ابليس لم يصر مانعاً له من شغله في هذا العالم ، بل هو اله العالم ورئيسه وعدو الانسان وعدو الله» (٤) .

ونظيره عبارة يوحنا في انجيله حاكياً عن المسيح «الان يطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (٥) ومراده برئيس العالم هو الشيطان كما اعترف به الشراح ونظيره ايضاً كلام بولس «وانتم اذ كنتم امواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل في ابناء المعصية» (٦) قوله رئيس سلطان الهواء عبارة اخرى عن قولهم كان يسوس، بين السماء والارض كما في بعض الروايات .

(١) و (٢) گنجينه از تلمود ص ٧٨ (٣) ابليس تأليف العقاد ص ٤٦ .

(٤) قاموس كتاب مقدس ص ٥٤٦ .

(٥) انجيل يوحنا الاصحاح ١٢ رقم ٣١ .

(٦) رسالة بولس الى اهل افسس الاصحاح ٢ رقم ٢ .

وايضاً قوله «الذين فيهم اله هذا العالم قد اعمى اذهان غير المؤمنين» (١)

٥ ـ وايضاً قوله «ان مصارعتنا مع ابليس ليس مع لحم ودم بل مع الرؤ والسلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية السماويات» (٢) هذه خلاصة ما اشرنا اليه من الآراء الاسرائيلية في ابليس.

المسألة الخامسة

في ذنب ابليس ومعصيته التي اوجبت بعده عن الله تعالى وجعله ملعوناً رجيماً.

والقرآن الكريم يذكر سبب طرد ابليس ولعنه بكل صراحة ووضوح ويذكر هذا في عدة من سوره فيقول في سورة الاعراف: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال مامنعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين» (٣)

وفي سورة «ص» يقول تعالى: « . . . فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين» (٤).

الى غير ذلك من الآيات في هذا الباب وهكذا روايات المعصومين عليهم السلام فنرى انها تدل بكل صراحة على ان سبب طرد ابليس وبعده عن الحضرة الربوبية هو مخالفته لامر الله تعالى بسجود آدم وان سبب استكباره عن السجود استعلاؤه بسبب كونه من النار وكون آدم مخلوقاً من طين.

فلننظر الان الى ماروى في سبب معصية ابليس وعلة استكباره في الروايات الاسرائيلية.

١ ـ ان سبب استكباره انه كانقائداً لجيش من الملائكة حاربوا الجن الذين كانوا يسكنون في الارض فاغتر بنفسه لاجل ذلك.

فقد روى الطبري في ضمن حديث «عن ابى روق عن الضحاك عن ابن عباس انه قال «. . . فاول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم

---

(١) رسالة بولس الى اهل كورنثوس الاصحاح ٤ رقم ٤ (٢) افسس ٦ : ١٢.
(٣) الاعراف ـ ١٣. (٤) الايتان ٧٧/٧٨.

بعضاً قال فبعث الله اليهم في جند من الملائكة فهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس حتى الحقهم بجزائر البحر واطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اعترفي نفسه وقال قد صنعت شيئاً لم يصنعه احد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه» (١) .

ويرد ذلك مضافا الى ماذكرنا من بطلان كون ابليس من الملائكة ، انه يرجم بالغيب حيث ان ابن عباس لم يكن موجوداً حين طرد ابليس ولا قبله حتى يرى محاربته للجن ولا اسنده الى النبي (ص) حتى يرتفع العذر مع ان القرآن حينما يريد نقل قصة ابليس يأمر النبي (ص) ان يقول «ماكان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة . . . » (٢)

فاذا كان النبي (ص) ماكان له علم بالملأ الاعلى وما وقع بين ابليس وبين الله من الاحتجاج الا بالوحي فما بال ابن عباس صار له علم بالملأ الاعلى من دون وحي والاسناد الى من يوحى اليه الا ان تكون الرواية كذباً على ابن عباس .

٢ ـ من الروايات الاسرائيلية ماورد فيها ان ذنب ابليس هو ادعاؤه الالوهية من ذلك مارواه الطبري في تفسيره وتاريخه «عن الحسين قال ثنا الحجاج ثنا ابن جريح (ومن يقل منهم اني اله من دونه) قال قال ابن جريح من يقل من الملائكه اني اله من دونه ، فلم يقله الا ابليس دعا الى عبادة نفسه فنزلت هذه الايه في ابليس»(٣) وروي نظيره عن قتاده .

قد ذكرنا في المقال السابق ان كون ابليس من الملائكة مخالف للقرآن والاخبار الصحيحة وانه موافق التوراة المحرفة والتلمود وقد روي باسناد تشتمل على ابطال الاسرائيليات امثال ابن جريح ، وهذه الرواية ايضاً تجعل ابليس من الملائكة وسندها ينتهي الى ابن جريح ولا ينتهي الى النبي (ص) .

مضافاً الى انه لم يعهد في شيء من التواريخ ولا ورد عن النبي (ص) ان ابليس ادعى الربوبية ودعى الناس الى عبادته ، ولو كان صدر منه هذه الدعوى لم يكن مانع من تصريح القرآن باسمه مع انه ذكر له ما لا يبلغ قبحه لهذه الدرجة

---

(١) تاريخ الطبري ج١ ص ٨٢ . (٢) سورة «ص» ـ ٦٩ .

(٣) تاريخ الطبري ج١ ص ٨٠ .

هو مخالفة الامر بالسجود .

والاية الكريمة قضية شرطية لاتدل على وقوع شرطها بان يكون من الملائكة ن يدعى الالوهية حتى يتعين شخصه في ابليس او في غيره .

واما عباد الشيطان فلم يقل لهم الشيطان «انى اله من دون الله» بل القـى في لوب بعضهم حب عبادته كما القى فيها حب عبادة المسيح وعبادة الملائكة وغيرهم لا يكفي هذا ان يقال «ومن يقل منهم انى اله . . .» .

٣ ـ «من الاقوال انه كان ملك سماء الدنيا وسائسها وسائس ما بينها وبين الارض خازن الجنة مع اجتهاده في العبادة فاعجب بنفسـه ورأى ان له بذلك الفضـل استكبر على ربه عزوجل» (١) هكذا روى الطبرى ثم روى روايات تدل على وجود هذه المناصـب لابليـس وان اسمه كان عزازيل وانـه كان اكثر الملائكة عبـادة علماً الخ .

وهذا القول ايضا بنى على اساسين فاسدين وهما كون ابليس من الملائكة كونه مالكاً لهذه المناصب العالية وقد بينا انهما لادليل عليهما الا من الاسرائيليات مضافاً الى ماذكرناه في القول السابق من ان هذه الروايات مـن هؤلاء المفسرين رجم بالغيب وشهادة بلا علم .

٤ ـ من الاقوال ماروراه الطبري من ان سبب هلاكه كان من اجل ان الارض كان فيها قبل آدم الجن فبعث الله ابليس قاضياً يقضي بينهم فلم يزل يقضي بينهم بالحق الف سنة حتى سمي حكماً وسماه الله به واوحى اليه اسمه فعند ذلك دخله الكبر فتعظم وتكبر والقى بين الذين بعثه اليهم حكماً اليأس والعداوة والبغضاء فاقتتلوا عندذلك في الارض الفي سنة حتى ان خيولهم تخوض في دمائهم فبعـث الله عند ذلك نـاراً فاحرقتهم قالوا فلما رأى ابليس مانزل بقومه من العذاب عرج الى السماء . . .»(٢)

هذه الرواية يرد عليها ماورد على ماسبق من الروايات ويزيد عليها انها مخالفة للعقل من جهة ان الله كيف يبعثه قاضياً وهو يعلم منه الخيانة وشر العاقبة مع وجود ملائكة مؤتمنين ، وايضاً لم احرق قومه ولم يحرقه مع انه كان اصل الفتنة والفتنة

(١) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٨٢ .
(٢) تاريخ الطبرى ح ١ ص ٨٦ .

اكبر من القتل .

نعم هناك قول يمكن قبوله بملاحظة الآيات والروايات الموثوقة وهو مارواه الطبري عن بعضهم «من ان ابليس كان من بقايا الجن الذين كانوا في الارض فسفكوا فيها الدماء وافسدوا فيها وعصوا ربهم فقاتلتهم الملائكة فاسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء» (١) فاجتهد في العبادة فيما بين الملائكة وعبد الله تعالى ستة آلاف سنة لايدرى من سني الدنيا ام من سني الآخرة وكانت الملائكة يظنونه مؤمناً وكان الله يعلم انه منافق فاخرج مافي قلبه من الكفر والحسد والكبر عند امره بالسجود لآدم على نبينا وآله وعليه السلام كما مر في اول البحث .

ضرورة المنهج العلمي في البحث التاريخي

وكان بامكان هذا المنهج العلمي في دراسة الحديث ــ اي منهج ملاحظة السند والمتن ــ أن يعطي ثماره الطيبة في جميع المجالات ، لولا أن الاقدمين اقتصروا في ممارسته على مجال الحديث والرواية في الفقه والشريعة ، بشكل عام .

اما التاريخ فلم يكلفوا انفسهم عناء البحث فيه وتحقيقه ، ليصل الى ايدينا بشكل انظف وانصع من الشكل الذي هو فيه الان .

من كتاب «قضايانا على ضوء الاسلام»

---

(١) تاريخ الطبرى ج ١ ص ٨٤ .

حروف مضيئة

□ ماهلك امرؤ عرف قدره

الرسول الاعظم (ص)

□ ايها الناس لاتستوحشوا من طريق الحق لقلة أهله ، فان الناس قداجتمعوا على مائدة شبعها قصير ، وجوعها طويل .

الامام امير المؤمنين (ع)

□ وبقية استخلفها عليكم : كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره منجلية ظواهره .

الزهراء (ع)

□ ايها الناس انه من نصح لله ، واخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم ووفقه الله للرشاد وسدده للحسنى .

الامام الحسن (ع)

□ ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم واخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها.

الامام الحسين (ع)

□ فخذ حذرك ، وانظر لنفسك واعد الجواب قبل الامتحـان والمساءلة والاختبار.

الامام السجاد (ع)

□ وفكر فيما قيل فيك، فان عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جل وعز عند غضبك من الحق اعظم عليك مصيبة.

الامام الباقر (ع)

□ واعلم ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل عند الله جل ذكره من العمل الكثير على غير يقين .

الامام الصادق (ع)

□ وكفى بك جهلا ان تركب مانهيت عنه .

الامام الكاظم (ع)

□ والمؤمن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا رضى لم يدخله رضاه في باطل .

الامام الرضا (ع)

□ من شهد امراً وكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن امر فرضيه كان كمن شهده .

الامام الجواد (ع)

□ ان لله بقاعاً يحب ان يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والخير منها .

الامام الهادى (ع)

□ الغضب مفتاح كل شر .

الامام العسكرى (ع)

□ واما ظهور الفرج فانه الى الله وكذب الوقاتون .

الامام المهدى (ع)

النبي والرسول في الكتاب الكريم

(٢)

الشيخ جعفر سبحاني

سبق وأن قلنا في مجال تحديد مفهوم «النبي» و «الرسول» انهما ليسا بمترادفين بالاتفاق الامن شذ، ولكنه وقع الاختلاف في الفرق بينهما . . وقد ذكرنا في العدد السابق فرقين ذكرهما البعض وناقشناهما ونحن هنا نحاول استقصاء الفروق الاخرى المذكورة في هذا المجال وما يمكن ان يرد عليها من مناقشات .

الفرق الثالث (١) :

الرسول من جاء بشرع جديد ، **والنبي** يشمل هذا ومن جاء لتقرير شرع سابق (٢) .

قال الرازي : قيل ان من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شريعة من قبله، فهو الرسول، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال، فهو النبي، غير الرسول(٣)

قال البيضاوي في تفسير قوله سبحانه «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي» الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها ، والنبي من يعمه ومن بعث لتقرير شرع سابق (٤) .

---

(١) وهذا الفرق كسابقيه داخل تحت عنوان واحد وهو كون الرسول اخص من النبي.

(٢) تفسير المراغي ج ١٧ ص ١٢٧ .

(٣) مفاتيح الغيب ج ٦ ص ٣٤٤ .

(٤) تفسير البيضاوي ج ٤ ص ٥٧ .

ولكن باب المناقشة في هذا القول واسع ، فان الظاهر من القرآن ونصوص الاحاديث ، ان عدد الشرائع لايتجاوز الخمسة ، وبينما تعداد الرسل قد تجاوزهـا بكثير ، فكيف يجوز لنا ان نفسر الرسول بانه المبتدىء بوضع الشرائع والاحكام او هو من بعثه الله بشريعة مجددة .

قال سبحانه : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه» (الشورى -١٣-) فان الاية في مقام الامتنان على الامة الاسلامية ، من أن شريعتها جامعة لكل مااشتملت عليه الشرائع السابقة النازلة على السلف من الانبياء ، فلو كان هناك اصحاب شرائع غير ماذكر في الاية لكان اللازم ذكره ليكون الامتنان آكد ، فظاهر الاية ان الشريعة مختصة بالمذكورين في الاية : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص)

ولكن يمكن ان يقال ان قوله سبحانه «ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» تفسير «لما شرع لنا من الدين» واوصى به جميع انبيائه ، ومعناه هو الاخذ بالدين باجمعه والتدين باحكامه وتشريعاته كافة وعدم الاختلاف فيه بأخذ طائفة ببعض الدين ، وطائفة اخرى ببعضه الاخر ، كما فعلته الامم السابقة ، وهذا ما اوصى به سبحانه كل من ذكر اسمه في الاية .

وعلى ذلك فلا تدل الاية على ان شريعة الاسلام جامعة للشرائع السابقة وتسقط دلالتها على كون اصحاب الشرائع خمسة ، زعماً بانها في مقام الامتنان لما عرفت من انها ليست الا بصدد الحث على الاخذ بالدين بمجموعه ، وان هذا هو حكم الله سبحانه في جميع الاجيال والازمنة ، لابصدد الامتنان على الامة الاسلامية بان دينهم جامع لما شرع للامم السابقة ، حتى يستدل بالاكتفاء بذكر الاربعة والسكوت عن غيرهم ، على عدمها ، نعم لا تخلو الاية من اشعار بانحصارها في الخمسة ، كما لايخفى .

نعم يؤيد انحصار الشرائع في الخمسة المذكورة ما اثر عن ابي الحسن الرضا (ع) انه قال : «انما سمي اولو العزم ، لانهم كانوا اصحاب العزائم والشرائع وذلك ان كل نبي بعد نوح كان على شريعته ومنهاجه ، وتابعاً لكتابه الى زمن

براهيم الخليل، وكل نبي كان في ايام ابراهيم وبعده، كان على شريعة ابراهيم ومنهاجه، وتابعاً لكتابه الى زمن موسى وكل نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه، الى ايام عيسى وكل نبي كان في ايام عيسى، وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه الى زمن نبينا محمد (ص). فهؤلاء الخمسة اولو العزم، وهم افضل الانبياء والرسل وشريعة محمد (ص) لاتنسخ الى يوم القيامة ولا نبي بعده الى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة او اتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه (١).

وفي الرواية جهات من البحث يجب تنقيحها في محل آخر، وملخصها:

١ - ان تفسير «اولى العزم» بما ذكر فيها، لايلائم ظاهر الكتاب اعني قوله سبحانه: «فاصبر كما صبر اولو العزم» (الاحقاف ٣٥) اذ الظاهر ان المقصود من العزم فيه هو الثبات على العهد المأخوذ منهم، بقوله سبحانه: «واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً» (الاحزاب ٧) وقد امر سبحانه نبيه الاعظم بالصبر والثبات اقتداء بمن سبق من اولى العزم من الرسل، حيث قال سبحانه: «كما صبر اولو العزم من الرسل»

وبما ان آدم (ع) لم يعهد منه العزم في بعض المواقف، ونسي العهد المأخوذ منه، لم يعد من اولي العزم. قال سبحانه: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً» (طه ١١٥).

٢ - ان موسى (ع) وان دعى فرعون وكل قبطي الى توحيده سبحانه، غير ان ما جاء به من الشريعة والاحكام كانت مختصة ببني اسرائيل فقط، والى ذلك يشير قوله سبحانه: «انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا» (المائدة ٤٤) ولكن المستفاد من الرواية خلافه، وان شريعته كانت عامة لهم ولغيرهم.

٣ - ان المراد من العزائم مايقابل الرخص، والمراد منها هو الواجبات والمحرمات، فاذا كان الملاك لكونهم من اولي العزم هو كونهم اصحاب فرائض

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٣٥ - عيون الاخبار ص ٢٣٤.

وذوي واجبات ومحرمات اوحيت اليهم فلماذا لم يكن غيرهم كصالح وهود وشعيب ممن اتوا بواجبات ومحرمات منهم ايضاً مع كونهم ايضاً مثلهم .

وروى صاحب المحاسن عن سماعة قال. قلت لابي عبدالله الصادق (ع): قول الله «فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل» فقال: نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) قلت : كيف صاروا اولى العزم ؟ قال : لان نوحاً بعث بكتاب وشريعة . وكل من جاء بعد نوح اخذ بكتاب نوح وشريعته ومناهجه . حتى جاء ابراهيم بالصحف ، بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به . فكل نبي جاء بعد ابراهيم، جاء بشريعته ومناهجه وبالصحف ، حتى جاء موسى بالتوراة وبعزيمة ترك الصحف ، فكل نبي جاء بعد موسى اخذ بالتوراة وشريعته ومناهجه ، حتى جاء المسيح بالانجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه ، فكل نبي جاء بعد المسيح اخذ بشريعته ومنهاجه ، حتى جاء محمد (ص) بالقرآن وشريعته ومنهاجه ، فحلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، فهؤلاء اولو العزم من الرسل (١) .

وعلى ذلك جرى شيخنا الصدوق في «الاعتقادات» وقال :

«ان سادة الانبياء خمسة ، الذين دارت عليهم الرحى ، وهم اصحاب الشرائع من اتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه، وهم خمسة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) .(٢)

* * *

---

(١) المحاسن ص ٢٦٩ ـ بحار الانوار ج ١١ ص ٥٦ .

لو كان الملاك لعدهم من اولى العزم ، هو ترك كل واحد كتاب من قبله بعزيمة ، يلزم ان لا يكون نوح منهم ، اذ لم يكن شريعة ولا كتاب قبله ، حتى يتركها بعزيمة .

اضف الى ذلك ان المسيح لم يترك شريعة موسى ، بل بين لبني اسرائيل بعض الذى اختلفوا فيه (الزخرف ٦٣) واحل لهم بعض الذى حرم عليهم (ال عمران ٥٠) وليس ذلك تركاً للشريعة ورفضاً لها كما هو ظاهر الرواية ولاجل هذه الجهات تحتاج هذه الرواية وماتقدم عليها ، الى البحث والامعان اكثر من هذا وسوف تقف على حقيقة الحال عند بحث آت عن اولى العزم من الرسل .

(٢) اعتقادات الصدوق ص ٩٦ .

ركام من الاوهام والاكاذيب .

قد عرفت هذه الفروق المذكورة في كتب التفسير والمعاجم واتضح لك انه لايوافقها الذكر الحكيم ، والذي يحصل من الجميع ان الرسول اخص من النبي وهو اعم منه ، ولكن هناك من الضالين من حرف الكلم عن مواضعه (١) فصور المعنى بصورة شوهاء ، وشتان بين كاتب يكتب بدافع الايمان والعقيده طلباً للحقيقة . وكاتب مستاجر لاهدف له الا دعم مانوى واضمر ، وتحكيم ما أستوحر عليه ، وذلك يفرض عليه اختلاق اوهام وبحث اكاذيب يتحير عندها العقل والفكر .

نعم حرف هؤلاء (٢) ماأثر عن القوم في المقام فقالوا : النبي هو الذي ينبىء عن الله وليس معه كتاب ، والرسول هو الذي بعث الى الناس وانزل معه كتاب ، او ان النبي هو الذي يقرر الشريعة السابقة فقط ، والرسول هو الذي يأتي بشريعة مستقلة (٣) . وعلى هذا تصير النسبة بين المفهومين ، هي التباين ، فيختص النبي بمن ليس له كتاب او من يقرر شريعة من قبله .

ومن الواضح ان هذا القول باطل تماماً ، فهذا هو الذكر الحكيم قد خاطب نبي الاسلام المبعوث بافصح الكتب واحكمها وقد تضمنت شريعة مستقلة عن غيرها

---

(١) ثاني الفروق وثالثها

(٢) كالبهائية الضالة .

(٣) الفرائد ص ١٣٥ - الخاتمية ص٢٣ . نعم نقل ذاك الفرق **الجزائري** في فروقه ص ١٠٦ قولا ولا يعبأ بهذا النقل تجاه تلكم التصاريح المضادة له ، واضعف منه مانقله في **تفسير الجلالين** في تفسير قوله تعالى «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبي» من ان الرسول هو من امر بالتبليغ ، ولايخفى شذوذ هذا القول كسابقه ، ومصادتهما مع تصاريح أئمة الادب والتفسير .

ومما يثير العجب ماذكره **الطنطاوي** بقوله «الرسول هو الذي معه كتاب والنبي ينبىء عن الله وليس معه كتاب ، فمثال الاول موسى والثاني يوشع فيوشع نبي لارسول وانما ينبىء عن قومه ، وموسى ينبىء قومه بكتاب معه ارسل به من الله . . . » الجواهر ج١٠ ص ٤٠ - اذمع وذشذ هذا القول في نفسه فان ليوشع كتابا معروفاً طبع مع ماطبع من كتب العهدين .

من الشرائع ،بقوله: «ياايهاالنبي» وهل يمكن لهؤلاءالكتاب المتأخرين ان ينكروا نزول الكتاب اليه او مجيئه بشريعة مستقلة . فدونك بعض ماخاطبه سبحانه به بلفظ «ياايها النبي» :

١ - ياايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها . . . - الاحزاب ٢٨ - .

٢ - ياايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا - الاحزاب ٤٥ - .

٣ - ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين ... - الاحزاب ٥٩ -

وهكذا علم مما اوردناه من الآيات ان النبوة غير مقيدة بتقرير الشريعة ، ولا النبي منحصر في كونه غير ذي كتاب .

والغاية من هذا التحريف للقائل هو نفي دلالة قوله سبحانه: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» على ختم الرسالة والنبوة معاً . مدعياً انه انما ختمت الثانية ،دون الاولى وان كونه - ص - خاتم النبيين ، لايلازم كونه خاتم الرسل .

وقدعرفت ان كلاالفرقين لايساعد القرآن اياً منهما ، وكيف وقد خرقوا وخصص النبي بمن يقرر الشريعة ، اولا يأتي بكتاب ، اذ انه باطل بنص الكتاب العزيز،فقد استعمل النبي في اصحاب الشرائع والكتب، وبذلك يظهر سقوط مانقله الطبرسي عن الجاحظ ، انه قال :ان النبي يحفظ شريعة غيره والرسول هو المبتدىء بوضع الشرائع والاحكام . (١)

* * *

الفرق الرابع (٢)

ان العلوم والحقائق التي تفاض على الانسان بواسطة الملك بحيث يعاينه ويشاهده

---

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ٩١ .

(٢) وهذا الفرق يخصص الرسالة بمعاينة الملك واخذ الوحي منه مشافهة ، واما النبي فهو مقيد بأخذ الوحي بلا توسيط ملك ، بل باحدى الطرق المألوفة من الرؤية في المنام وغيره كما سيصرح ، فبينهما تباين في النسبة .

ويكلمه مشافهة او يلقى في روعه تسمى رسالة ، والانسان الحامل لها رسولا وباعتبار ان مثل هذا الانسان يتلقى رسالة الله بواسطة رسل السماء ، حيث ادوا اليه رسالة ربهم ، يسمى رسولا ، اى ذارسالة .

واما مايفاض من العلوم بغير هذا الطريق فيسمى نبوة ، والانسان العالم عن هذا الطريق نبياً ، سواء كان بالالهام مثل ماأوحى الله الى نبينا ليلة المعراج وماأوحى الى موسى في طورسيناء ، اوبسماع صوت بلا رؤية شخص او غير ذلك .

وعلى ذلك فالنبوة والرسالة مرتبتان للنفس في اخذ المعارف والحقائق من العوالم العلوية ، احداهما مشروطة بحضور الملك ومعاينته ومشافهته للرسول ، والاخرى مقيدة باخذها من دون توسيط ملك بل بطرق اخرى .

وهذا الوجه هو مختار بعض الاجلة (١) ولم اجد هذا الفرق برمته في كلام من تقدم عليه ، وما اثر من المنقول في المقام يوافقه في بعض ماذكره لاكله ، بل بعضها يشير الى خامس الفروق الذي سيوافيك بيانه ، وحاصله تخصيص النبوة بالرؤية في المنام .

ودونك بعض كلماتهم :

١ - «ان الرسول هو الذي يرى الملك ويسمع منه ، والنبي يرى في المنام ولايعاين . (٢)

وهذه العبارة توافق المذكور في ناحية الرسول فقط ، لافي جانب النبي ، ولا صراحة لها في ما ادعاه القائل من التعميم في النبي ، اعنى من ياخذ الوحي بغير توسيط ملك سواء كان بالرؤية في المنام ام بغيرها ، بل هي تحتمل هذا الوجه من التعميم في جانب النبي ، وما يأتي في خامس الوجوه من تخصيص النبوة بالرؤية في المنام

٢ - «النبي» هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول هو الذي يسمع ويرى في المنام ويعاين (١) .

---

(١) العلامة الشيخ محمد باقر الملكى .

(٢) الميزان ج ١٥ ص ٢٢٢ .

(١) مجمع البحرين مادة «النبأ» .

وهذا كما ترى يوافق الفرق المذكور في جانب النبي ويخالفه في ناحية الرسول ، اذ لا يخص الرسول بمن يتحمل الرسالة بواسطة الملك بل يعمه الى محتملها بسبب الايحاء في المنام .

٣ - «الرسول» من يأتيه الملك بالوحي عياناً ويشافهه ، و«النبي» يقال لمن يوحى اليه في المنام (١) .

وهذا يوافق الفرق المذكور في جانب الرسول ويخالفه في ناحية النبي حيث يخصصه بالرؤية في المنام وهو جعل النبي اعم منها ، وان كان قيده بعدم توسيط الملك .

٤ - «الرسول» الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي الذي يوحى اليه في منامه ، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا (٢) .

ولولا انه قدرتب على كلامه مارتب ، لكان ظاهره في بدء الامر موافقاً لماتقدمه غير انه انما جعل النسبة بينهما اعم واخص مطلقاً ، وفرض ان النبي اعم من الرسول ، فقد خالف الكلام المذكور قبله في جانب النبي وان كان يوافقه من جانب آخر .

وكيف كان وقد استدل على كون النبوة والرسالة مرتبتين مختلفتين ، وان الرسول خصوص من ينزل عليه الملك ، بقوله سبحانه :

«ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ، الا اذ قالوا ابعث الله بشراً رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين (٣) لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا» .

ومحصل مضمون الايتين ، ان الذي يمنع الناس عن أن يؤمنوا برسالتك انهم يحيلون رسالة البشر من جانب الله (حيث قالوا : ابعث الله بشراً رسولا) وقد أخطأوا في ذلك ، فان مقتضى الطبيعة الانسانية والأرضية وعناية الله بهداية عباده ان ينزل

---

(١) فروق اللغة للجزائري ص ١٠٦ .

(٢) مجمع البيان ج ٧ ص ٩١ .

(٣) اى يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويتعلموا مايلزمهم علمه .

الى بعضهم من ابناء جلدتهم ملكاً من السماء رسولا لارشادهم ، حتى ان الملائكة لو كانوا كالانسان من حيث العيش على سطح هذه الارض ، لنزل الله الى بعضهم (وهو رسولهم) ملكاً من السمـاء رسولاً حاملا لوحيـه ، وهذا يعطى يعنى الرسالة البشرية وان الرسول انسان ينزل عليه ملك من السماء بدين الله ثم هو يبلغه الـى الناس بامر الله (١) .

قال في الكشاف في تفسير قوله : «لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا» يعلمهم الخير ويهديهم الرشاد ، فاما الانس فما هم بهذه المثابة يرسل الملك الى مختار من الملائكة للنبوة ، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (٢) .

الى غير ذلك من الكلمات حول الاية ، وهي تفيد ان رسالة اي فرد من البشر او الملائكة القاطنين على الارض الى امثالهم ، لاتستقيم الا بنزول ملك من السماء، يحمل رسالة الله الى فرد مختار في الارض يتحملها الى اعداله وامثاله .

ومما تقدم تستنتج ان حقيقة الرسالة في الفرد المختار، متقومة بنزول الملك اليه فقط ، ولو كانت متقومة بغيره ايضاً لما كان لتعين نزول الملك اليه وجه، اذ من الممكن ان يتحملها من طريق آخر كمخاطبته سبحانه له .

ويشعر بذلك ماقاله موسى (ع) عندما خاطبه سبحانه بقوله «ان ائت القـوم الظالمين» : «رب اني أخاف أن يكذبوني ويضيق صدرى ولا ينطلق لساني، فأرسل الى هارون» (الشعراء ١١) أي أرسل اليه جبرئيل واجعله رسولا مثلي واشدد عضدي به ، وقد اجيبت دعوته حيث جعل سبحانه اخاه رسـولا مثله بقرينة قوله سبحانـه «فأتياه فقولا انا رسولا ربك ، فأرسل معنا بني اسرائيل» (طه ٤٦) وقوله سبحانه : «فأتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العالمين» (الشعراء ١٦) .

وهذا الوجه يؤيده بعض الاحاديث المروية بطرق صحيحة سوف نشير اليها ونترجم رجال اسنادها حسب اقتضاء المقام .

هذا غاية مايمكن ان يوجه هذا القول ، غير ان في دلالة الايتين على كون حقيقة الرسالة متقومة بنزول الملك على الرسول خفاء واضحاً .

---

(١) الميزان ج ١٣ ص ٢٢٠ .
(٢) الكشاف ج ٢ ص ٢٤٦ .

فلانها سيقت لرد مزاعم بعض المشركين من امتناع ان يكون البشر رسولا مبعوثاً من الله الى الناس ، وانه لابد ان يكون الرسول ملكاً لابشراً . بان التماثل بين المرسل والمرسل اليهم اوفق في الغرض الذي لاجله بعث الرسول لان بين المتماثلين من التجاذب والتلاحم ماليس في غيره ، ولاجل ذلك جرت حكمة الله على جعل الرسل بشراً ولو استقرت الملائكة في الارض لجعل رسلهم من جنسهم ايضاًملائكة، وليست الآية بصدد تحديد مفهوم الرسالة بانها متقومة بنزول الملك الى الرسول .

اضف الى ذلك ان دلالة قوله : «لنزلنا عليهم ملكاًرسولاً»على مايرتئيه القائل مبنية على ان يكون الملك النازل من السماء رسولا الى الرسول المختار منهم لارسولا اليهم جميعاً ، وعند ذلك يصح مايراه القائل من كون رسالة الرسول حتى رسالة الملك بين الملائكة ، تتوقف على نزول ملك من السماء اليه . ينبئه اخبار السماء ، مع ان ظاهر الآية خلافه وان هنا ملكاً واحداً ينزل من السماء اما الى واحد مختار من البشر اذا كان الرسول مبعوثاً اليهم او الى الملائكة جميعاً ، ويقيم عندهم ويقوم بدعوتهم وارشادهم .

واما الآية الثانية فلها اشعار بهذا القول ، لايبلغ حد الدلالة لان طلب موسى من الله سبحانه ان يرسل جبرئيل الى أخيه ليخلع عليه الرسالة . لايدل على تحديد مفهوم الرسالة بنزول الملك فقط بل هو احد طرقها لا طريقها المنحصر .

كتاب في مقال

الإسلام دين الحياة

تأليف :

الشيخ علي مجتبى كرماني

ترجمة وتلخيص:

السيد علي الجناني

التوزيع العادل للثروة

الثروة في سبيل الانسانية

تتفق المذاهب الاقتصادية في مبدأ أهمية الثروة واستثمار الطبيعة ، ولكنها تختلف في الهدف الاصيل من تنمية الثروة ودورها في حياة الانسان فكل يجيب على ذلك وفقاً لاساسه الفكري ومفهومه عن الكون والانسان والمذاهب الاقتصادية اليوم وبالاخص الرأسمالية التي تمثل الحضارة الحديثة تعتبر تنمية الثروة هدفاً اصيلا انطلاقاً من ان المادة هي كل شيء في مقاييس انسان هذه الحضارة فلا ترى غاية وراءها كما انها ترى ان الهدف يتحقق اذا ازداد مجموع ثروة المجتمع ، ولذا فهي تسعى الى تنمية الثروة لاجل الثروة نفسها و ترتبط المشكلة الاقتصادية في تفكيرها بندرة الانتاج واما التوزيع العادل حسب حاجات الافراد فلا مفهوم له عندها .

واما الاسلام فلا يرى نمو الثروة هدفا اصيلا ، وايضاً ليست المشكلة في نظره نابعة من ندرة الانتاج ليفكر في علاجها الاساسي عن طريق تنمية الثروة بل هو ينمي الثروة والانتاج على اساس غير مادي ، ويستخدمها في سبيل تحقيق الاهداف الانسانية . (١) .

مفهوم الثروة في رأي الاسلام

تعتبر الثروة وتنميتها في راي الاسلام هدفاً مهماً بشرط ان يستخدمها الانسان في سبيل الوصول الى اهدافه الاصيلة واداء رسالته الكبرى واما اذا سيطرت عليه الثروة واستأصلت منه روح القيادة وحجبت من امامه الاهداف الكبرى وحجبته عن ربه فهي التي يراها الاسلام رأس كل خطيئة ويجب الزهد فيها .

التوزيع العادل للثروة .

في البحوث الاقتصادية الحديثة تدرس قضايا التوزيع عادة عقيب الانتاج ، نظراً الى ان الاقتصاد الحديث لا يلاحظ الثروة الكلية للمجتمع بما تضمه من مواد انتاج وثروات منتجة ، وانما يدرس توزيع الثروة المنتجة فقط وعلى هذا الاساس لابد ان يدرس الانتاج اولا ثم تتناول قضايا التوزيع . واما الاسلام فهو يدرس اولا توزيع مصادر الانتاج ولا يتركها ليسيطر عليها الاقوى تحت شعار الحرية الاقتصادية التي تمهد له السبيل الى احتكار الارض والمواد الاولية وسائر الثروات الطبيعية كما صنعت الرأسمالية المذهبية ، بل يتدخل في توزيع الطبيعة وما تضمه من مصادر انتاج ، ويقسمها الى عدة اقسام لكل منها حكمه الخاص ، ويقضي عن طريق التوزيع العادل للثروة الطبيعية على عمليات الاحتكار كلها ، ويحدد الحرية الاقتصادية المطلقة التي تؤدي الى مشاكل وأزمات ومفاسد اخلاقية واجتماعية كل ذلك في نطاق السعادة والتكامل وتحقيق الاهداف الفطرية البشرية كلها . (٢)

التوزيع حسب الحاجة

ترى الماركسية ان التوزيع يتبع شكل

(١) اقتصادنا ص ٥٨٨ - ٥٩٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٥ .

الانتاج او يتغير كلما استجدت حاجة الانتاج الى تغيير ،والتوزيع العادل للثروة رهين تأميم وسائل الانتاج ، وعلى العكس من موقفها يرى الاسلام ان التوزيع العادل للثروة لابد ان يكون على اساس حاجات الانسان وميوله الاصيلة فان الانسان اليوم هو الانسان القديم في حاجاته وميوله ،سواء بحرث الارض بيده او يستخدم الالة، فيجب ان توزع المصادر الطبيعية للانتاج بشكل يكفل اشباع حاجاته الفطرية ، فان من الواضح ان كل فرد بوصفه انساناً خاصاً له حاجات لابد من اشباعها، واذا قرر الاسلام اشباعها عن طريق الملكية الخاصة والمباحات العامة ، والمجتمع الانساني ايضاً حاجات عامة ولذا ضمن الاسلام له اشباعها عن طريق الملكية العامة لبعض مصادر الانتاج ونظراً الى ان بعض الافراد لايتمكنون من اشباع حاجاتهم عن طريق الملكية الخاصة ، ويمنون بالحرمان ويختل التوازن العام ، ولهذا يضع الاسلام شكلاً ثالثاً للملكية هو ملكية الدولة ليقوم ولي الامر بحفظ التوازن العام .

الاسلام وتنمية الثروة .

المحنا سلفاً الى ان استثمار الطبيعة والعمل في سبيل تنمية الثروة من أجل رفاه المعيشة الفردية والاجتماعية كل ذلك يعتبر من مميزات الاقتصاد الاسلامي فالاسلام يسعى الى اقتلاع الفقر واشباع الحاجات عن طريق الحث على العمل المنتج بشكل رائع الى حد يعتبر العمل نوعاً من العبادة ، والعامل عند الله أرفع منزلة من المتعبد العاطل ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى يقف بشدة امام أيه عملية تتبنى الاحتكار وتكديس الثروة وتعطيل المصادر الطبيعية عن الانتاج.

قيمة العامل والعمل :

وللاسلام ميزة اخرى تضاف الى قائمة مميزاته وخصائصه من بين سائر المذاهب، تلك هي موقفه الرائع من العمل والعامل وتقديسه لهما بما لامثيل له في سائر المذاهب الاقتصادية واليك بعض النصوص بهذا الصدد :

١ ـ ذكر لرسول الله (ص) رجل كثير العبادة لا يعمل ، فقال (ص): من يعيله؟ قالوا: اخوه ، قال (ص) . أخوه أعبد منه .

٢ ـ أشار (ص) الى يد عامل وقال هذه يد لاتمسها النار أبداً ،هذه يد يحبها الله ورسوله، من اكل من كد يده نظر الله اليه بالرحمة .

٣ ـ قال (ص) ما أكل امرؤ طعاما خيراً من عمل يده ، وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده .

بعض الطرق لتنمية الثروة

كما يحث الاسلام على العمل من اجل تنمية الثروة ،كذلك يمنع من تجميدها ويحرم كل مايصد عن عملية التنمية ويسبب الازمات الاقتصادية ويرى من الواجب على الكل ايجاد الامكانيات الاقتصادية الواسعة في سبيل تحقيق استقلال المجتمع الاسلامي اقتصادياً ، وفيما يلي نماذج من السبل التي يسلكها الاسلام لتنمية الثروة :

١ ـ يقول الاسلام : من احيى ارضاً فهي له

٢ ـ يأبى الاسلام اي حق خاص للفرد في المصادر الطبيعية بحيث ينتفع بها شخصاً ويهملها في مجال الاستثمار ويحرم المجتمع منها .

٣ ـ اذا احيى الفرد ارضاً تصبح حقاً له مادام احياؤها متجسداً فيها ، فاذا اهملها يسقط حقه فيها ، وتكون من حق من يسبق الى احيائها .

٤ ـ من استأجر داراً او سفينة او ارضاً ولم يعمل فيها شيئاً ، لايجوز له ان يؤجرها بأزيد مما استأجرها ، لانه كسب من دون عمل .

٥ ـ حرم الاسلام الربا ، وبذلك منع تحول رأس المال الى رأس مال منتج يساهم في المشاريع الصناعية والتجارية

٦ ـ حرم الاسلام التبذير ، وبذلك وفر للمجتمع امكانيات كبيرة لتنمية الثروة والانفاق الانتاجي .

٧ ـ يرى الاسلام من الواجب ـ كفاية ـ تعلم الفنون والعلوم والصناعات من أجل الحفاظ على سيادة المسلمين وسيطرتهم على الوسائل المادية والمعنوية والحصول على اكبر قدر ممكن من الخبرة في كل الميادين بما فيها وسائل الانتاج ، يقول تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة (١) . . . . والقوة هنا تشمل كل القوى التي تمكن المجتمع الاسلامي من تنظيم حياته والسيطرة على اعدائه

توزيع الثروة المنتجة :

في الاقتصاد الرأسمالي ينزل الانسان الى صف سائر القوى والادوات المساهمة في الانتاج لان الهدف هو الانتاج ، ودور الانسان دور الوسيلة المستخدمة له ، ومن هنا يتلقى المنتج نصيبه من الاجر الذي تحدده له الرأسمالية بوصفه عامل انتاج ويبقى الثروة المنتجة ملكاً لصاحب رأس المال .

وفي الاقتصاد الاشتراكي الماركسي القائم على أساس الغاء الملكية الخاصة وقانون (لكل حسب عمله) يرى ان المقياس الوحيد للقيمة التبادلية للسلعة المنتجة هو العمل المجسد فيها ، ولذا تكون القيمة الاضافية حقاً للعامل فقط واما في الاسلام فالانسان غاية للانتاج لا وسيلة ، والوسائل المادية تعتبر خادمة له في ايجاد هذه العملية لان الانتاج نفسه انما هو لاجل الانسان ، فنصيبه أعلى من نصيب الوسائل المادية . (٢)

فبينما يسمح الرأسمالية للرأسمالي ان يستأجر عمالاً ـ حسب رأس ماله ـ للاحتطاب من الغابة او استخراج المعادن ثم يمتلك مجموع الثروة الحاصلة من اعمال هؤلاء بعد اعطاء اجور لهم لاتتجاوز المستوى الضروري لمعيشتهم يعتبر الاسلام العمل فقط أساساً لتملك المواد الخام الطبيعية ، ويمتلكها العامل مباشرة عن طريق العمل . واما وسائل الانتاج المادية فلا تبلغ مستوى الانسان المنتج أبداً .

ولكي يتضح ماقلناه نشير الى مجموعة من الاراء الفقهية بهذا الصدد :

١ ـ يذكر المحقق الحلي (ره) . ان الوكالة لا تصح في الاعمال التي يتعلق غرض الشارع بايقاعها من المكلف مباشرة كالاحتطاب من احتطاب الغابة ، فلا يملك الموكل الخشب الذي احتطبه العامل له ، لانه لم يمارس العمل بنفسه ، بل يملكه العامل فقط .

٢ ـ يرى العلامة الحلي (ره) ان في صحة التوكيل في المباحات كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش واحياء الموات وحيازة الماء اشكالا ويذكر (ره) ايضاً ان الانسان لو حاز بنية انه له ولغيره ، لم تؤثر تلك النية وكان بأجمعه له .

كما ان الشيخ الطوسي وجماعة آخرين

---

(١) سورة الانفال ـ ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٧٦ / ٥٨٦ .

من الفقهاء حكموا بأن الشخص اذا حاز ثروة طبيعية بنية انها له ولغيره ، كانت له .

٣ ـ ويكتب العلامة (ره) ايضاً : ان الشخص لو دفع شبكة للصائد بحصة فالصيد للصائد وعليه اجرة الشبكة .

٤ ـ ويذكر صاحب الجواهر (ره) : ان الشخص اذا غصب آلة واصطاد بها فلا خلاف اجده في انه يملكه الصائد دون صاحب الالة لان الصيد من المباحات التي تملك بالمباشرة نعم على الصائد دفع اجرتها للمالك ، وقد فعل حراماً باستعماله الالة غصباً .

وهكذا ننتهي الى هذه النتيجة وهي: ان النظرة الاسلامية في توزيع الثروة المنتجة ترتكز على العمل في مجال المواد الخام الطبيعية الا ان هذا مشروط بأن لا يعتبر العمل المتجسد في السلعة المقياس الوحيد لقيمتها كما تصنع الماركسية بل لابد من ملاحظة اختلاف قيم المواد الخام ووفرة السلعة ونقصانها والعرض والطلب . . لان هذه الامور تساهم في تكوين قيمة السلعة . وايضاً شرط ان لا تكون المواد الخام ملكاً خاصاً لاحد في مرحلة توزيع ماقبل الانتاج فلا قيمة في مجال التوزيع للعمل المجسد في مادة طبيعية يملكها شخص آخر مسبقاً بالحيازة او بالعمل او بغيرهما من اسباب الملكية ، ولا حق للعامل في السلعة المنتجة في هذا الفرض .

ونشير هنا من اجل الايضاح الى مسائل فقهية بهذا الصدد، ثم ننتقل الى نقاط الاختلاف الاساسية بين الاقتصاد الاسلامي والاشتراكي والرأسمالي

١ ـ اذا غصب الزارع حباً فزرعه فالزرع لمالك الحب دون الغاصب .

٢ ـ اذا اتفق العامل مع صاحب المال على الاتجار بماله ، وهذا ما يسمى بعقد المضاربة او على زراعة اراضيه ويسمى بعقد المزارعة او على سقي أشجاره ورعايتها ويسمى بعقد المساقاة فكل ذلك صحيح في رأي الاسلام، وتقسم الثروة المنتجة بينهما بالنسبة المتفق عليها في العقد.

فالعمل والملكية الخاصة اساس النظرة الاسلامية في توزيع الثروة المنتجة فلو امتلك شخص على طريق العمل بعض المواد الاولية فلا يحق لشخص آخر ان يفسخ ملكية الفرد الاول بسبب العمل الذي يجسده في تلك المادة مهما يغير العمل من شكل المادة ويضفي عليها قيمة تبادلية . والماركسية على العكس من ذلك ترى وفقاً لقوانينها القائلة. لكل حسب عمله . . والقيمة التبادلية تساوي العمل المتجسد . . . ان العامل هو صاحب الحق الشرعي في الثروة المنتجة ، ولا حق للرأسمالي سوى قيمة المادة وفي النقطة المواجهة لها ترى الرأسمالية على اساس الملكية الفردية المطلقة ان رأس المال هو اساس التوزيع ، وان العامل ليس له اي حق في الثروة المنتجة سوى الاجر الذي يتقاضاه.

واما الاسلام فهو لايلغي الملكية الخاصة ولا ينكر اختلاف قيم المواد الطبيعية ولذا يعتبر رأس المال مساهماً في انتاج الثروة وايضاً يرى ان العمل هو الاساس في مجال التوزيع، فلذا يقرر للعامل نصيباً أعلى من نصيب الوسائل المادية ، ونحن نشاهد في مختلف الابواب الفقهية من مضاربة ومزارعة ومساقاة ان للعمل دوراً هاماً في انتاج الثروة الصناعية بمعنى ان العامل بالاضافة الى مايتقاضاه من أجر ثابت بأزاء عمله له نصيب من الربح دون ان يتحمل الخسارات التي قد يواجهها صاحب المال ، واما رأس المال ووسائل الانتاج فليست لهما

هذه الميزة بمعنى ان لرأس المال نصيباً من الربح ، الا ان الخسارة تقع على عاتقه ايضاً دون العامل . ومن ناحية اخرى يمتاز العامل على رأس المال بميزة وهي ان الاجر الثابت الذي يدفع الى العامل لايجوز ان يأخذ رأس المال مثله ، لان ذلك يعتبر ربا في رأي الاسلام وهو محرم، وايضاً فان وسائل الانتاج لاتستحق سوى مال الاجارة، ولاحق لها في الثروة المنتجة وهكذا يكتسب الاسلام بطريقته العادلة في التوزيع صفة اكبر مدافع عن حقوق العامل ، ويظهر على المسرح وهو المبدأ الفكري الوحيد الذي ينقذ الانسان من تناقضات المذاهب المادية الحديثة التي عجزت عن تقديم حل للمشكلة الاقتصادية ـ كما رأينا ـ .

أجل ليس هناك سوى الاسلام ما يشكل القاعدة الصلبة لاولئك الذين طالما بحثوا عن نظام اقتصادي عادل ينسجم مع واقع الحياة الانسانية ويبرهن مثلما كان على طريق تقديم الحل الواقعي الصحيح .

طلب الرزق ... جهاد

من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ، فان غلب عليه ، فليستدن على الله وعلى رسوله ما يقوت به عياله ، فان مات ولم يقضه كان على الامام قضاؤه

الامام موسى بن جعفر (ع)

اخترنا لك

اوليات الاعلام الاسلامى

هذا هو عنوان مقال نشرته مجلة دعوة الحق المغربية في عددها الثالث السنة السادسة عشر للاستاذ عبدالقادرالادريسى جاء فيه مايلى :

(١) الالتزام بالاسلام :

مالم يلتزم الاعلام بالاسلام كلية ، فلايمكن بتاتاً أن يمت الى الاسلام بصلة ، ذلك ان أى جهاز اعلامي لايعتمد الاسلام أسلوباً ومقياساًهوقطعاً بعيد عن انيكون جهاز اعلامياً اسلامياً .

وكما لاتقبل انصاف الحلول فى مسائل العقيدة ، فلا يمكن أن يكون المرء مؤمناً بعقيدة «نصف ايمان» أو كافرا «نصف كفر» ، فكذلك فيما يتعلق بالتوجيه والدعوة المتبلورتين فى الصحافة ، او الاعلام بمعنى اوسع وأشمل .

ومادام هذا الدين عقيدة وفكرة ومنهج حياةودستوراًواسلوباً وصراطاًمستقيماً فأي اتجاه الى الانحراف عن خطه اللاحب هو ضرب من الكفر والفسوق والارتداد لامحالة . وتلك بديهية مسلم بها ، يقرها العقل السليم والفطرة السوية .

يقول الاستاذ عبد الله كنون (١) : (ان الاسلام لايقبل المزاحمة ، فأماعقيدة اسلامية ، وشريعة اسلامية واخلاق اسلامية في دولة اسلامية تحمي هذه القيم من التزييف والتحريف ، واما هذه الفوضى ، والتمزق الذي يعيش فيه المسلمون ، ويدفعهم بالخنوع والاستسلام ، وما ينهضون من نكسة الا ليقعوا في نكسة أعظم».

وانطلاقاً من قناعة راسخة بحتمية الدعوة الى الله ، يكون الالتزام بالاسلام عقيدة ومنهجاً امراً مؤكداً لامحيص عنه ، وواجباً مقدساً يملك على الداعية اقطار نفسه ، ويطوق عنقه بما لا سبيل الى الفكاك منه الا بالنهوض به على الوجه المرغوب فيه وهكذا يكون «من المسلم به أن أعلاماً فاسداًمنحرفاًلن ينشيء الافراداً فاسداًمنحرفاً ولذلك لاينبغي أن نعول على اعلام لاهوية له ، ولا هدف محدد له ، ولا مميزات تعكس اصالة الامة الاسلامية ونصاعة عقيدتها . . » (٢) .

فمن الاوليات الملحة ـ اذن ـ للاعلام الاسلامي ، الالتزام الكامل بالاسلام واعتماده أسلوباً للمعالجة ومقياساً للنقد .

وليس من شك ان أخذ اجهزة الاعلام الحديثة بهذا الاسلوب كفيل بأن يخلق مناخاً اسلامياً تنعش فيه الحياة الاسلامية .

ولذلك ، فان الاعلام المعاصر جاهلي ومنحرف وفاسد ، لانه لم يلتزم بالاسلام كلية ، بل تنحى عن سبيل الاسلام تنحياً ظاهراً ينم عن انحراف في طباع القائمين عليه وحقد دفين في قلوبهم على الاسلام والمسلمين .

وتلك سمة بارزة للجاهلية الحديثة ، مافي ذلك شك .

---

(١) فقرة من المحاضرة القيمة التى القاها الاستاذ كنون فى الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى بالجرائر صيف ١٣٩٢ براجع نص المحاضرة الكامل فى العدد ٥ ـ ٦ ـ السنة ١٥ ، من هذه المجلة «دعوة الحق» .

(٢) من مقال للكاتب بعنوان : (دور الاعلام المعاصر فى حركة البعث الاسلامى» ـ دعوة الحق : العدد : ٥ ـ ٦ السنة ١٥ .

ومن القضايا المعقدة التي تفرض نفسها في سياق الحديث عن التزام الاعلام المعاصر بالاسلام قضية الرقابة بمفهومها الشامل الجامع .

وحينما يتعلق الامر بتوجيه الامة الى جادة الصواب ، وهداية الناس الى سبيل الخير ، فلا يبقى هناك مجال للشك في جدوى الرقابة على ما ينشر ويذاع ، بل ضرورتها وحتميتها ! صوناً للافهام من التذبذب والشطط ، وصدا لتيارات التشكيك والتضليل ، وتمكيناً للعقول من الايمان والاعتقاد ، وتفويتاً للفرص على المغرضين وعملاء الفكر وسماسرة المذاهب المستوردة من تلامذة الاستعمار الشرقي والغربي على حد سواء .

والنهضة المرتقبة التي يسعى اليها المسلمون ويعملون من أجلها لن تقوم الا على اساس حمل اسلامي وتربية اسلامية .

واذا كانت مناهج الاعلام وبرامج التعليم المعاصرة في البلاد العربية والاسلامية تقصر في تكوين الانسان المسلم واعداده لخوض «معركة الحياة» او الجهاد الاكبر بتعبير اسلامي ، فان الالتزام بالاسلام أولا ، وانشاء اجهزة اعلام اسلامي على اسس تقنية حديثة ثانياً ، كفيلان بتدارك النقص والضعف الملحوظين في مجالات التربية والتعليم بالخصوص . واعتقد جازماً ان جهازاً اعلامياً اسلامياً واحداً قادر الى حد بعيد على احداث تغيير جذري – وهو المنتظر – في المفاهيم والافكار وانماط السلوك وتقاليد وعادات المجتمع السائدة .

واذا كنا نتفق مبدئياً على ان مرجع فساد الحياة الاجتماعية في البلاد الاسلامية الى التخريب الذي تمارسه اجهزة الاعلام الموجهة ، توجيهاً غربياً اوشرقياً ، فان الاتفاق على وجوب الاصلاح بواسطة الاعلام يكون من باب اولى بطبيعة الحال .

وتكون النتيجة المستخلصة اعتماد الاعلام الاسلامي كأساس لتربية جيل اسلامي . أن أولويات الاعلام الاسلامي في مرحلتنا الراهنة متعددة ومتشعبة وميادين العمل الاعلامي في العالم الاسلامي ، واسعة ورحبة . ومن المؤكد ان ثمة ثلاث مهمات رئيسية تعطى لها الاولوية في هذه المرحلة ، وهي حسبما تناولنا في هذا المقال :

١ – الالتزام بالاسلام اولا .

٢ – الذود عن العقيدة ثانياً .

٣ – تربية جيل اسلامي ثالثاً .

مشكلاتنا ثمرة اشتاتنا

بهذا العنوان نشرت مجلة البعث الاسلامي الهندية في عددها الثامن المجلد الثامن عشر مقالاللاستاذ سعيد الاعظمي الندوي جاء فيه

الازمة التي يعيشها العالم الاسلامي منذ أمد بعيد ولا يزال ، هي أزمة الفرقة والانشقاق ، وأزمة تشتت الشمل وانحلال عقدة الوحدة والانسجام ، وبالتالي أزمة الاضطراب في الافكار والاتجاهات والتضارب في الاراء والنظرات ، مما ادى الى فقد ان الثقة فيما بين الافراد والجماعات ، وأحدث فوضى في كل مجالات الحياة واذهب ريحهم وشوكتهم وشوه تاريخهم وسمعتهم وزاد الى صفحاتهم البيضاءصفحة سوداء أضعفت فيهم روح البطولة والايمان ، وحرمتهم منصب القيادة و لرعامة ، وافقدت منهم القصد والاتزان ، فتألبت عليهم الامم والشعوب التي كانت بالمرصاد وسلبت منهم كل ما أرادت من جوهرة العز والقوة ، وقضت على البقية الباقية من متاع الحب والحنان ، وجردتهم من كل ما كانوا يملكونه من ذاتية وخصيصة ، وعرتهم من كل ما كانوا يتمتعون به من تآلف وتواده تركتهم شعباًضعيفاًوامةلاشأن لها.

كان ذلك اسمى امنية راودت هذه الشعوب ، ولم تزل تعمل ليل نهار في تحقيقها وتستخدم كل حيلة فيما يعود على المسلمين بشتات في شملهم ونقص فيمعنويتهم ويتركهم لحماً على عظم ، وذلك لانهاتوصلت بعداختبار وتجربة طويلةالىانعزها معقود بذل المسلمين وان انتصارها يرتبط باندحارهم ولابد من خلق أسباب تتكفل تجريدهم عن خصائصهم الاولى والاساسيةالتي تحول دون تحقق مطامعهم ونواياهم الشريرة الخبيثة ، وذلك بتفريق كلمتهم الموحدة ونقض وحدتهم الجامعة بأي طريق ممكن ، فانه اذا تم ذلك تم كل شيء بعده .

الا ان يد الله مع الجماعة ، فكونوا جماعة موحدة في العقيدة والنظام ،

ووجهات الانظار والافكار، والانجاهات والاراء فبالوحدة ستنالون ماانتم اليه بحاجة بالوحدة الحقيقية الراسخة في الاعماق، القائمة على النصح والاخلاص وصدق الله العلي العظيم فقال :

«واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها».

الاسلام ومشكلة اعادة بناء التعليم

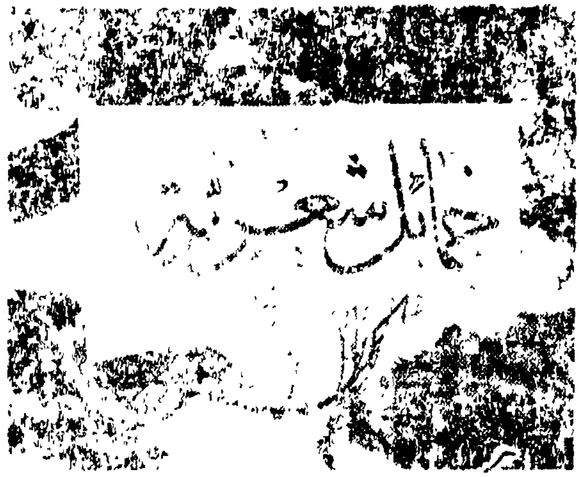
نشرت مجلة جوهر الاسلام التونسية في عددها المرقم ٢ ـ ٣ السنة السادسة مقالا للاستاذ خورشيد احمد (انجلترا) بهذا العنوان ننقل منه مايلي :

الاسلام دين الانسان وهو تجسيد لدستور الحياة والارشاد الذي اوحى به خالق الكون لهدى البشرية ومطلبه الاول هو توطيد علاقات صحيحة بين الله والبشر. والايمان بالله معناه التزام الانسان في تفكيره وشعوره ومعيشته بالوحي الالهي والتوفيق بين ارادته والارادة الالهية والسعي الدائم لتكون لارادة الله الغلبة على كل مافي العالم. والاسلام يخلق في الانسان وعياً جديداً ويهبه نظرة جديدة الى الحياة. وبهذه النظرة الجديدة الى الحياة ينضم الى جماعة المؤمنين ويشارك بجهد جماعي في الحركة التي ترمي الى اعادة بناء الحياة الانسانية والمجتمع الانساني والاسلام لايدعو الى نكران الحياة وانما يدعوا الى ايفائها حقها.

وهو يقدم برنامجها للتحويل الجذري للانسان والمجتمع في ضوء مفهوميه الاساسيين : مفهوم التوحيد ومفهوم المساواة كما يقدم وجهة نظر متكاملة للانسان ككائن مادي وخلقي وروحي ودنيوي وهو يرفض تقسيم الحياة الى دوائر منفصلة عن بعض، منها دوائر تتعلق بهذا العالم الحاضر ودوائر تتعلق بالعالم الاخر وانما يعتبر عالم الغيب وعالم الشهادة امتدادين كل منهما امتداد للاخر ويدعو الانسان الى حسنات هذا العالم وحسنات العالم الاخر «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب

النار» سورة البقرة /٢٠١ . والاسلام ايضاً طريقة جديدة في الحياة وليست مشروعاً للاصلاح الجزئي فهو يعالج جميع مشكلات الانسان بكامل مشكلاته الروحية والخلقية والشخصية والاجتماعية في مختلف مراحل وجوده ويضم هدى الاسلام جميع مسالك الحياة البشرية وهو يهدف الى اعادة بناء المجتمع الانساني في الميادين الروحية والخلقية والمادية والاجتماعية فيحاول اول كل شيء تغيير ما في داخل الانسان حتى يتمكن هذا الانسان الجديد من تكوين مجتمع عادل وانساني فهو لايغفل ابعاد الحياة الروحية ولا ابعادها المادية وبهذا يتمكن من ايجاد حياة عادلة مورونة والمثل الاخلاقي الاعلى في الاسلام هو تحقيق شخصية الانسان الواعي لله والمسير لمجتمع خلقي بما فيه من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية ووطنية ودولية تنبع جميعها من سويات الحق والعدالة كما أودعت في القرآن الكريم وتجسدت في حياة النبي محمد (ص)» .

والاسلام حركة ثورية تهدف الى اعادة بناء الانسانية وهي دعوة ذات رسالة عالمية ، والامة الاسلامية قوة منظمة وكل اليها تحقيق طريق الاسلام ونقلها الى جميع افراد الجنس البشري : «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» سوره البقرة /١٤٣ .



عواطف واعية

الشيخ محمد علي التسخيري

في موجة النور اسبحي وترنمي ... وتراقصي كالحب يانجوى فمي
مدى تسابيح الخلود الى العلى ... وتسابقي والطيف ... هذاموسمي
جذى مراسي عالمي . . . وتألقي ... في عالم يمنى الخمائل ... منعم
فهناك للظل المرفرف . . . موجة ... سبحاتها الشقراء . . . بقيا زمزم
وهناك من مهج الحسان حمائم ... همساتهـا الايمان عبر المبسم
حلم العيون الشابحات الى الضحى ... سمح يراوده . . . خمار النوم
الفـى سحابته هنـاك . . . روية ... اللمحات... تهمي بالعطاء المرزم
الطهر ، والحب المصفى، والتقى ... والوعي ..تنميه السماء ...وينتمي
والتضحيات تبوح بالاسرار ، والايمان يصرخ بالحياة : تكلمي
فاذا الوجود بصمته . . . اذن تصيخ . . ومهجة سالت على قلب ... ضمي

* * *

ارأيت كيف يشق ثغر البرعم ؟ — أرأيت كيف يهش . . لون العندم؟
لله «أهل البيت» في كلماتهم — تبر توهج بالندى . . . والانعم
مثل الوجود . . وأسطر وضاءه — اسوى الهداية والعلى لم ترقم
دارت . . على فلك القلوب شموسهم — يحكي اشعتها انطلاق المسلم
وتشير للدنيا الى الله ارجعي — وعلى هداه . . . الى الكمال تقدمي

*   *   *

يارحلة الانسان أتعب روحها — ظمأ . . . تلوى في خيال . . . مغرم
وطغى عباديد الهوان بليلها — وعمت مساربه . . . تنوح مبهم
وتمر الجرح الليل . . . ولم يجد — عبر الصراح . . . المستحيل المؤلم
يارحلة الانسان . . لك معالم الطهر الرسول . . . فهللي واستلهمي
يارحلة الانسان دربك لاهب — الان فاستلمي المنى وتقحمي
ستذوب أنياب الاسى يارحلتي ان عشت آفاق الرسول الاعظم
ونميت في دنيا «الوصي» فانها — دنيا بنت مجداً بهام الانجم
دنيا متى طمى الجهاد بساحة — قدسية رواه ينبوع الدم

*   *   *

وعفاك يابنت السهي يا امتي — أن رحت رهن تبجح وتوهم
الفكر . الا للتواوه . . مقعد — وذووه بين مصفد ومكمم
والمال . . منحة ربنا . . متردد — بين الكنوز وبين فعل محرم
وسواعد . . كالسمر الا أنها — عرثى وباتجها لاخر متحم

وعصابة عاشت لغير ضميرهـا فهي الطبول لكل آت معلـم
رنانة الالفاظ . . تسكر لبها فتظنهـا رمـزاً لـكـل تقـدم
جوفاء..تحسب وردها بنت الطلا وهـي الـزؤام تديفـه يـد مجـرم
ياويحها ..لو راجعت ماعندها ووعـت عيـون تراثهـا ، بتفـهـم
لوعت بان السر يكمن عندها فالحـل ـنعـم الحل ـ عند المسلـم
ماذا تراه يعز عندك . . ياترى الفكر ؟ . . وهو لديك ناقة انجـم
من خالق الدنيا ـهناك ـ وديعة غـراء . . تحوى خير نـور ملهـم
المال ؟ . . والنعمى لديك سخية أنى رحلت . . وجدت اغلـى منجم
أسواعد العمل الوهوب ضنينة ؟ كلا فعنـدك الـف جيـش محكـم

* * *

فلم الونى . . واليوم يوم مآثر والـدار قـد كادت ولـمـا تصـرم ؟
هذا لواء المجد . . نادى اهله فـتقـدمـي يـاامتـي وتـسلمـي

* * *

قناديل

عالم الظلام

للشاعر : محمد عادل سليمان

نحن في روحها انبثاقة فجر . . عزلته انامل الصحـــراء
غير أنا لما نـزل في طريق النور . . نمشي بعزمة الانبياء
نحن قمنا نمزق الليل بالنور . . ونمضي الى طريق البناء
ورفعنا عـن العيون غشاء . . طالما لفها ظلام العشـاء
وسنمنا على الثرى مستقر الطين بيـن القواقع الصمـاء
ان يكن صبرنا ـ مع الحق ـ للباطل فالظلم قاتل الرجـاء
من وراء الأسوار كان عذاب السوط يدمي لهيبه أشلائـي
كلما فاض بي الحنين الى الحق . . واطلقت بالحنين ندائي
يكتم الظلم صرختي وحنيني . . فاصب الحنين في احشائي

* * *

وهنا حطم القيود اخو القيد . . وهز القضبان بالاصداء
طالما كبل التراب خطاه . . طالما شد خطوه للوراء
ثار فوق التراب..حين افاقت .. روحه..روحه لهز الضياء
انما الدين صيحة الحق للدنيا . . ولحن الالهام والكبرياء
انما المسلمون قوة الله في الارض..وبعث الهدى..وجيش السماء

مالهذا العملاق يجثم في الارض.. ويمشي على ثرى الضعفاء ؟
آن للمارد الكبيـر انتفاض أبـدى في عالـم الاقـوياء

* * *

كلما لاح في الحضارة داء !

د ـ عز الدين على السيد

كيف يرحى المصران يتخطى | بيد الجيل غمرة الأوصاب
والاب القائد الحريص مصاب | بمصاب ماوقه من مصاب؟
كلما لاح في الحضارة داء | هد منا معاقد الاحساب !
والعظيم العظيم في النفع منها | ليس منا وى مرتقى الاعجاب
ايها القادة الرعاة أناة . ! | ومعاداً لمور هذا الكتاب !
ليس دون القرآن والسير بالسنة . . . | الا النار التي للعذاب ؟ !

* * *

صخرة الاباء

الاستاذ كمال رشيد

لولا الحياء لكنت اول باك | يادوحة الأسراء في ذكراك
عرم الزمان فصرت رمز هريمة | حلت وكان النصر من معناك
كنت الطهارة والبطولة والعلى | وغدوت هذا اليوم جرح الشاكي
قومي بساحك طهروا ارجاسهم | وتلمسوا العلياء تحت سماك
واليوم نسمع مانطير له اسى | مـن كافر متلصص افـاك
البيت يهدم والشباب رهائن | والشيخ يطرد والنساء بواك
والمسجد الاقصى يئن بحرقة | والصخرة الشماء دون فكـاك

* * *

هكذا الدنيا

الاستاذ شمق جمري

تسمع الاذن فتنة كل يوم ، وترى العين ضجة ومثارا
فكان الحياة أضحت اعاجيب تسلي صغارها والكبارا
ضجر يعمر النفوس ويأس ، يتلظى فيلهب الاضجارا

* * *

بدعة في الاطوار كل صباح ، تتجلى وتمسح الاطوارا
بدعة في اللباس والزي والعيش تمادت هل تسمع الاخبارا
يتغنون بالسلام خداعاً ، أولم يجعلوا الحروب شعارا ؟
أولم يملأوا الديار صواريخ ليمحوا رجالها والديارا ؟
امم همها التبسط في الأقطار حتى تزلزل الاقطارا

* * *

ذنوب تصلي

الاستاذ ابراهيم عيسى

وارتجفت للشبح الخافق في الصدر الضلوع
لما مشت ذنوبه عريانة من الدموع
صلاته خطيئة ساجدة بلا خشوع
فاومأت في عشوة التيه اصابع الشموع

* * *

وسال طيف ، من شعاع في كهوف ظلمتي
وابصرت روحي في اعماقه طفولتي

وقبل يارب . . فضج الصمت حول دمعتي
والتهت القلب يـزف للهـدى بقيتى

* * *

وحينما لاح السنا من جانب الطور عليه
وارتجفت نفسى وفرت من خطاياها اليه
تقـوست خاشعـة لله ترجـو راحتيـه
وهرولت ذنـوبها ساجـدة بين يديـه

* * *

وصحـت يامحمـد . . وتمتم التشهـد
واخصـر فى متاهتي : الـدمع والتنهـد
وانهل نبع النور وانهـد جدار اسـود
فسر سـر الله يـوم نلتقى . . محمـد

* * *

أيادرب الحسين

ابو بهاء

أيادرب الحسين . . أقم
بوجه العالـم العـبرا
وصب له الهدى دررا
وان عثرا !
أيا درب الحسين فقد
يعيد الناظـر النظرا
وقد يأتي لدرب الحق من قد ظل او كفرا

ملاحظات حول دور العلم في الحضارة العربية الاسلامية *

الدكتور مانفريد فلايشهامر
رئيس قسم علوم الشرق والعصور القديمة
بجامعة هالة المانيا الديمقراطية .

ان من يتتبع الحضارات العديده المتباينة التي حلقتها الانسانية على مر التاريخ يتحقق من أن هذه الحضارات تبدى طائفة معينة من الملامح المشتركة من ناحية ، وأنها من ناحية أخرى تتفاوت فيما بينها عن طريق خصائص معينة تنفرد بها حضارة ما أو أكثر .

وفيما يتصل بهذه الخصائص المختلفة فالامر يتعلق في المقام الاول ، ليس على وجه الخصوص بكيفيتها ومؤداها، ولا بالاشكال والافكار والتصورات التي تعبر عنها ، بل أهم من ذلك بكثير بما صادفته من تقدير ، في وعي أولئك الناس الذين خلقوا تلك الحضارة ، ونقلوها وشكلوها .

ومن الثابت أيضاً ان الخصائص التي تمتاز بها حضارة عن أخرى ليس لها جميعاً نفس القيمة في وعي ناقليها . ان هذه القيم بالاحرى مرتبطة بعضها ببعض على نحو مميز جداً لحضارة معينة ، حيث نكاد دائماً نتبين مبدأ واضحاً للتسلسل أو بعبارة أخرى تدرجاً تكتسب فيه تصورات وافكار بعينها أهمية رئيسية أكثر من غيرها .

ومن المقرر أيضاً أن كافة تصورات القيم والافكار في احدى الحضارات تخضع على مر التاريخ لعملية تغير وتبدل تلعب فيها عوامل ذاتية وموضوعية دورها. ومن بين العوامل المهمة الحقيقية القائلة بأن حضارة ما ، وكافة عناصرها المكونة

---

* ـ من محاضرات الملتقى الثامن للفكر الاسلامي المنعقد في الجمهورية الجزائرية .

لها ، لاتنشأ بمعزل عن سائر فروع الحياة الانسانية .

ان كل حضارة يجب أن تفهم على أنها انعكاس بالغ التعقيد والتنوع لاحوال اجتماعية بعينها ، واذا كان الامر بصفة أساسية على هذا النحو ، فليس معنى ذلك أن العلاقة الوثيقة المتبادلة بين تركيب المجتمع والنظام الحضاري الذي أسسه ذلك المجتمع ، أمر تلقائي .

وبتعبير آخر : ان الافكار والتصورات الاساسية لاحد الحضارات ، والتي تنشأ في ظروف معينة وفي مرحلة تاريخية محددة، بوسعها كذلك تماماً الاستمرار في الاحتفاظ بأهميتها ، اذا ما تغيرت الاحوال التي تنشأ فيها . لهذا اسمحو الي بأن أتناول بالدرس مايلي : (كلمة ومفهومها) قاما بدور جوهري في تاريخ الحضارة العربية – الاسلامية منذ بدايتها وحتى العصر الحديث . وأقصد بذلك كلمة العلم ومدلولها .

وأظن انه غني عن القول أن العرب والمسلمين قد أدركوا دائماً خلال تاريخهم كله خطر هذا المفهوم ودوره في نطاق حضارتهم .

وقد شغل في السنوات الاخيرة بهذا الموضوع، ونشر حوله، طائفة من الكتب والابحاث ، كثير من غير العرب والمسلمين ، لاسيما أولئك العلماء الذين صرفوا عنايتهم واهتمامهم الى البحث في لغة الضاد والحضارة العربية ـ الاسلامية .وأذكر هنا على سبيل المثال الكتاب الذي الفه الأستاذ فرانز روزنتال ، وصدر عام ١٩٧٠ في ليدن بهولندا .

لقد اخترت هذه المسألة موضوعاً لمحاضرتي وأنا ادرك تماما مدى الصعوبات التي يلاقيها المستشرق عندما يتعرض لمثل هذا الموضوع مستعيناً باللغة العربية.

ورغم هذا كله فأنني سأحاول ، مع مراجعة المصادر المتعلقة بذلك بالطبع ، أن أرسم صورة لتطور كلمة العلم ومفهومها وأهميتها الخاصة كما بدت لي .

وأعتقد انه غني عن البيان انه نظراً للوقت المتاح واتساع الموضوع ، فان الصورة التي رسمتها لاتوضح الا الخطوط العريضة للموضوع . ونتيجة لذلك بقيت

أمور لم يقفل فيها باب البحث ، كما ان بعض جوانب الموضوع لم تلق ماتستحق من الدرس والاهتمام .

سأحاول أولا في الجزء الرئيسي من عرضي هذا أن أبين المضمون الواقعي لكلمة العلم خلال تاريخ الحضارة العربية ـ الاسلامية . وبعبارة أخرى أنا ابين ما يمكن التقاطه حول هذا من المصادر الأدبية التي وصلتنا من مختلف مجالات الحضارة فيما سلف من الايام . وسأبدى في ختام حديثي بضعة ملاحظات عما يعنيه مفهوم العلم حاضراً وواجباته مستقبلا .

ولنبدأ بأقدم ماوصلنا من آثار الادب العربي : بالشعر الجاهلي .

ان بين كلمتي شعر وشاعر وبين كلمة العلم صلة . ذلك أن الشاعر وفقاً لنظرة المجتمع وقتذاك هو امرؤ اعتبره معاصروه من جملة وجوه ، شخصاً على علم خاص لم يكن في متناول كل الاخرين . ومن ثمة فلا غرو اذا ما صادفنا الجذر (ع ل م) ومشتقاته وجذوراً أخرى تقاربه معنى في كثير من اشعار الجاهلية . وينطبق هذا بالطبع ايضاً على ضده (ج ه ل) .

ومن خلال تتبع طريقة استعمال الشعراء لهذه الكلمات نستطيع أن ندرك طرفاً مما فهموه من كلمة (علم) .

اولا، نجد انهم كانوا على بينة من أن العلم شيء يكتسب ، وانه ذو قيمة ذاتية وحدود مقررة . والعلم فضلا عن ذلك يعلي شأن صاحبه بين غيره من الناس .

ثانياً، كانوا على وعي تام بأنه ثمة درجات متفاوتة من اليقين ، في عملية الادراك الذهني والمعرفة .

ثالثاً ، وهذه على مايبدو أهم وجهات النظر ، وتظهر في كثير من المواضع في الشعر الجاهلي وهي انهم نظروا الى العلم على انه صورة رفيعة للواقع والحقيقة ويوضح هذا أن الشاعر غالباً لايقول ان الامر كيت وكيت ، بل انه يعلم ان الامر كذا وليس غيره .

وهو يصف نفسه تبعاً لذلك بان العلم مذخور فيه ، وكثيراً مايدعو في هذا الصدد آخرين أو نفراً من أهله ليؤيدوا صحة قوله . وبالجملة فانه يمكن أن نقرر

ان العربي في العصر الجاهلي قد نظر الى العلم ،فيمايظهر ، على انه ادراك الحقائق وتحصيلها شيئاً فشيئاً وبالتدريج . واذا فمن الجلي الواضح انه كان لمفهوم العلم صفة تحليلية وتجزيئية . والآن نصرف اهتمامنا الى الكتاب الذي له من كل الوجوه بالغ الاهمية وأعمق الاثر في نشأة الحضارة العربية ـ الاسلامية واتجاه تطـورها ان نظرة في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم الذي وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ترينا ان الجذر (علم) ومشتقاته يرد قرابة ٧٥٠ مرة ، من بينها ١٠٥ مواضع استأثرت به كلمة علم وحدها . وهذا العدد لايشمل كلمة (عالم) ، اذ انها وفقا لعلم اللغة لاصلة لها بالجذر (علم) بمعنى المعرفة . وبالنسبة الى الـ ٧٨٠٠٠ كلمة تقريبا التي تضمها دفتي المصحف ،بوسعنا أن نقرر ان الجذر (علم) يبلغ ١٠٪ من مجموع ألفاظ القرآن (الكريم) . أما الالفاظ أو الجذور الاكثر وروداً من هذا الجذر فهي: (الله) ، في اكثر من ٢٨٠٠ موضع ، و (قول) ومشتقاته في حوالي ١٧٠٠ موضع ، (كون) ومشتقاته فيما يزيد عن ١٣٠٠ موضع ، و(رب) فيمايربو على ٩٥٠ موضعاً. اذا كان الامر هنا يتعلق بمجرد بيان احصائي فان غايته أن يظهر بوضوح ان الجذر (علم) ومشتقاته بصفة عامة وكلمة (علم) بصفة خاصة اصطلاحات ذات خطر وأهمية عظيمين للتعمق في فهم الافكار القرآنية .

ولما كان من غير الممكن في هذا المقام أن أتناول بالشرح والتفسير كل أو بعض المواضع القرآنية التي يرد فيها الجذر (علم) ومشتقاته، فانني سأكتفي بابداء بعض الملاحظات القصيرة عن طريقة استعمال الكلمات التي نحن بصددها ومعانيها التي في وسع القارىء الموضوعي النزيه للقرآن اثباتها .

وهذا القارىء يلفى نفسه منذ بداية الامر ازاء فكرة أن العلم الانساني الـذي ينطوي على قيمة حقيقية ويتأهل لهذه التسمية هو علم ديني . وفضلا عن ذلك تطلعنا مفردات القرآن بجلاء على وعي الانسان بتنوع الادراك الذهني وتباينه ، ذلك انه يستعمل كل مايحتمل من الجذور العربية ، نحو : (**علم / يعلم ، درى / يدرى، عرف يعرف ، شعر / يشعر ، عقل / يعقل ، يقن / ييقن ، فقه/ يفقه ، فكر / يفكر، فهم**

يفهم ، ظن / يظن ، زعم /يزعم ، ذكر / يذكر ،درس /يدرس ، بصير بـ ، خبير بـ ، محيط بـ .

ونحن لانقف فقط على مختلف درجات الكفاية التي يمكن أن يحقق بها الانسان الادراك الذهني ، وانما نطلع أيضاً على طرف من التفاوت في طبقات المعرفة الذي يعبر عنه بكلمات مثل الشك والظن والعلم واليقين . واخيراً نطالع مرارا في القرآن شيئا عن المجادلة التي يحصل الانسان من خلالها المعرفة ويمتحنها . وفي هذا الصدد تشير ألفاظ مثل شاق /يشاق وجادل / يجادل ،وحجة وبرهان الى قدر عظيم من التدقيق والتحري .

وعلى الجملة نستخلص من القرآن الصورة التالية لمفهوم العلم : العلم في مجموعه أمر جليل الخطر ، ويتألف من نوعين أساسيين : ثمة علم بشرى دنيوي ، بسيط أو عال ، وثمة علم بشرى ديني . وفصلا عن هذا العلم البشري هناك علم الهي وهذا العلم الالهي بطبعه أعلى قدرا من العلم البشرى كما وكيفا ، مع انهما متلاحمان ومتشابكان لاينفكان . وعلى هذا فان البشر يكتسبون العلم بالعمل ، ولكن بالقدر الذي تسمح به مشيئة الله وقدرته . ومن هنا يظهر ان العلم يمثل شيئا متنوعا لايقاس من ناحية ، ولكنه محدد يؤلف وحدة تامة في حد ذاتها من ناحية اخرى .

ويظل العلم أولا وقبل كل شيء غاية وهدف كل مايثاب عليه من جهود البشرية . اذا فالعلم مرادف حقيقي للدين . أريد أن أكتفي في هذا المقام بهذا العرض القصير لاهم الافكار التي يتضمنها القرآن عن العلم وفحواه .

ولا ريب انه يمكن تفصيل القول والافاضة في بعض النقاط .

الا انه يبدو لي من المهم هنا أن أقرر أن الافكار القرآنية قد أثرت تأثيراً بالغا فيما تلا من عصور في تطور مفهوم (العلم) في كل مناحي الحضارة العربية الاسلامية: في كل الحياة العقلية ، وفي الحياة الدينية والسياسية .

وقبل أن نخوض في هذه الناحية من الموضوع نذكر ملاحظة قصيرة عن كلمة ترتبط في معناها العام ارتباطاً وثيقاً بكلمة (العلم) ، ونعني بذلك كلمة (الحكمة) التي

ـع أيضاً في القرآن ولكن أقل بكثير من كلمة (علم) . وهنا نلاحظ أن كثرة تأكيد
قرآن على كلمة العلم لم يدع فرصة لقيام تنافس بين مفهومي العلم والحكمة في
جدل الاسلامي المتأخر . ولذلك فانه لم يحدث عمليا ابان تاريخ الحضارة الاسلامية
ن أنزلت الحكمة محلا أرفع من العلم ، كما حدث في اوربا منذ العصور الوسطى
ى اليوم ، بناء على تقاليد العصور الكلاسيكية ، والمسيحية الشرقية .

في اعقاب وفاه النبي انتشر العرب خارج جزيرتهم وانتشر معهم الاسلام . وكان
ن نتائج ذلك أحداث تاريخية مذهلة ، لا أراني بحاجة الى ذكرها بتفصيل . ففي
ان قرن واحد من الزمان استطاعوا أن يقضوا على الدولة الساسانية ، وان يستولوا
لى اجزاء مهمة من دولة الروم ، و يؤسسوا امبراطورية امتدت حدودها في منتصف
قرن الثامن الميلادى من الهند شرقا الى الاندلس غربا . ومن جبال طوروس شمالا
تى أعالي النيل جنوبا .

ونتيجة لهذه الفتوحات بدأت عملية تطور حضاري كان لها آثار خطيـرة في
لور الاسلام بعد ذلك ، ودخل العرب أقاليم ذات تقاليد حضارية عريقة ومتنوعة
ختلف في أشياء كثيرة عما كان لهم .

ومما يحسن ذكره هنا أن العرب والاسلام التقوا ثمة باليهودية وبالمذاهـب
مسيحية الشرقية المختلفة وبمذاهب الديانة الفارسية من زراد شتية ومانوية وغيرها
ني حوت عناصر وافكار شرقية قديمة . وكانت فضلا عن ذلك ، لاسيما المسيحية
. تأثرت تأثراً عميقاً بأفكار العالم الكلاسيكى القديم في صورة مايعرف بالهلينية
لشرقية) . واقتضت طبيعة الاشياء أن يشغل الاسلام الفتي بمناقشة الافكار والتصورات
ني جلبها اليه بالضرورة اتباع تلك الديانات الغريبة ، ولم يكن ليقلعوا عنها بين
شية وضحاها . وكان حتماً كذلك أن يقوم مفهوم (العلم) الذي اكد عليه القرآن
ور جوهرى حاسم في مناقشة هذه التأثيرات الغريبة ، بل أيضاً في المناقشات التي
رت حول الاسلام نفسه . وقد استمرت مناقشة هذه المسائل عدة قرون وانعكست
ى جميع انواع الادب العربي ـ الاسلامي . ولما كان من المحال ، نظراً لاتساع
مادة ، أن نقدم لمحة كاملة نوعاً ما عن التطور كله ، فلا معدى لنا عن الاكتفـاء

باستعراض قصير لبعض وجهات النظر .

ينبغي لنا أولا أن نقرر أن المفهوم المجرد للعلم ، كمانجده في القـرآن قد اتسع في عصر مبكر حداً ، وان كنا لا نستطيع أن نحدد بدقة متى تم ذلك.وعلى هذا النحو سرعان ما أطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة وبهذا المعنى ايضاً يستعمل الان الجمع (علوم) . ومنذ دلك الحين أطلقت كلمة علم على نوع أثير من المعلومات يمكن المرء أن يحصله ، أو على كل انـواع المعلومات . وكذلك أطلق الجمع (علوم) على كل ما علمه المرء ، اوعلى مجموع الانظمة العلمية المختلفة التي تطورت على مر الزمان .

وفي ثنايا النقاش والحوار الذين د'را للغوص على معاني القرآن والتعمـق في فهم الاسلام ، حاول المسلمون محاولات لاتحصى ليضعوا تعريفاً للعلم.واعتقد أن تلخيصاً موجزاً لاهم هذه التعريفات خليق بأن يبين لنا الدوافع والغايات التـي دعت علماء المسلمين الى صوغ هذه التعريفات .

وفي هذا الصدد أسوق الاقوال والاراء التالية :

١ ـ العلم هو المعرفة ، وهو اما مطابق للعالم والمعلوم ، أو هو صفة تمكن العالم من العلم .

٢ ـ العلم معرفة وتقن . ٣ ـ العلم هو الادراك أو حصـول صورة الشـيء في العقل .

٤ ـ العلم تبين وتمييز واثبات وقطع . ٥ ـ العلم صورة ومعنى وتصور وتصديق

٦ ـ العلم ايمان . ٧ ـ العلم تذكير وتخيل أو خيال وتمثل ورأي .٨ ـ العلم حركة . ٩ ـ العلم أمر لا يتحقق معناه الا من خلال علاقته بالمعلوم والعالم .

١٠ ـ العلم ضد الجهل ، وهو صفة تنفي الجهل والشك عن الانسان .

١١ ـ العلم نتيجة الهام خارج عن الانسان، أو هو نتيجة الملاحظات والاختبار الشخصيين .

١٢ ـ يمكن تعريف العلم عن طريق علاقته بالعمل .فالعلم بداية العمل والعمل هو الغاية الاصلية والهدف الحقيقي للعلم .

على الرغم من أن هذا السرد قد ضم بايجاز بعض تعريفات العلم التي ذكرها المسلمون في كتب لاتحصى من مختلف فروع العلم ، أود زيادة على ذلك أن ألقي نظرة على بعض نواحي الثقافة العقلية فى الاسلام التي تطور فيها مفهوم العلم تطوراً خاصاً .

ونظراً الى الاهمية الكبيرة لمفهوم العلم ، كما شاهدنا ، في الايات القرآنية، ونظراً الى صلته الوثيقة بالايمان هناك ، كان العلم وكل ما يتعلق به من مشكلات بالضرورة من بين المسائل التى أولاها المسلمون عناية خاصة والتي كانت تسعى الى تفسير القرآن وشرح السنة النبوية لنفع الامة الاسلامية . واعتبرت افعال الرسول وأحاديثه أسوة حسنة ينبغي على كل مسلم أن يقتدي بها ويعمل على هديها . ومن ثمة نجد في كل كتب الاحاديث الكبيرة فصلا بارزاً بعنوان **كتاب العلم** .

ومنها يظهر بوضوح أن دراسة الحديث اعتبرت علماً حقيقياً . وفي حالات كثيرة سوي صراحة بين العلم والاسلام . وفي الوقت ذاته قامت في هذه الدوائر الدعوة الى طلب العلم، ونظراً لانها سمة للاسلام كله فقد اخترتها موضوعاً لمحاضرتي.

واذا كانت هذه الدعوة قد اقتصرت اول الامر على مجالي القرآن والسنة ، فانها عممت بمرور الزمان واتسعت ، بحيث أصبح طلب العلم وتحصيله واكتساب المعارف ابعد الغايات الانسانية . وقد تجلى هذا الفهم فى الحديث النبوي (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) او (اطلبوا العلم ولو فى الصين) او (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) .

وكما كان الحال عند اهل السنة والجماعة ، فقد ادت ايضاً المناقشات التي دارت حول العلم دوراً كبيراً عند مذاهب الشيعة المختلفة ونستطيع ان نستخرج ذلك من كتب المعرفة الكثيرة التي وصلتنا، وعلى سبيل المثال لا الحصر من رسائل اخوان الصفاء التي عكست مناقشة الافكار الفلسفية اليونانية التي وقعت اساسا فى دوائر الاسماعيلية ووقف عليها المسلمون نتيجة لحركة الترجمة في القرن التاسع الميلادي وكذلك صرف الصوفية جهدهم الى التعمق في مفهوم العلم وكان من نتائج ذلك تسويتهم بين مفهومي العلم والنور . وفهموا العلم على انه عنصر يمكن أن ينفذ

الى الانسان من خلال النفس والقلب والعقل ، ويملأه عندئذ بنور الكشف الالهي ولهذا كثيرا مااعتبرت الاراء والطرق الصوفية التي يصل بها المرء الى العلم (علماً مطلقاً) .

ومن المهم في هذا الصدد ، أن الصوفية كثيراً مانظروا الى المنطق والرياضة والفيزياء ، وخاصة ماوراء الطبيعة ، على انها أعلى صور العلم ، وكل ماعداها من معارف ادنى مرتبة . وغني عن البيان أن فلاسفة المسلمين أكبوا على الاشتغال بالمسائل المتعلقة بمفهوم العلم .

وكان نتيجة للترجمات الفلسفية الهلينية المشار اليها ، أن رأوا في المنطق بصفة خاصة اداة جيدة لتعريف معنى العلم تعريفا أحسن . وعالجوا أصول العلم فى كثير من التأليف وبهذا ضربوا بسهم وافر فى تطور نظرية المعرفة في حيز الاسلام . وخيرما توصف به نتائج جهودهم العقلية ، انهم اعتبروا العلم تدبرا واعمال ذهن .

وفي العصور التالية أثرت (نظرية العلم والمعرفة) ، التى وضعها كثير من العلماء على اختلاف ميادينهم ، تأثيرا عميقاً فى كل فروع الحياة العقلية فى الاسلام.

ويطول بنا الطريق لوشئنا أن نأتي على كل ماتم فى ذلك استقصاء . وسنقنع هنا بالاشارة الى ان المناهج الرائعة لعلمي الكلام والفقه قد تأثرت تأثرا بليغا بنظريات العلم التي ظهرت في غيرهما من الميادين ، ثم عادا وأثرا بدورهما فى تلك الميادين .

ولعلنا نتوصل بعد ماقيل الى الان ، الى أن كل هذه المناقشات حول مفهوم العلم ذات قيمة نظرية فقط ، ولكن ليس الامر كذلك كما يعرف كل من اطلع على الدور البارز الذي ادته الشريعة الاسلامية في المجتمع الاسلامي عبر القرون كمنظم للحياة الاجتماعية . وقام العلم ايضاً بدور كبير في مجالات أخرى وان لم يذكر ذلك صراحة . وأعنى بذلك الادب وما اندرج تحت هذا الاصطلاح من فروع على توالي الازمان . هنا ارتبط مفهوم العلم بفكرة العمل ارتباطا خاصا ، وأحرزا بذلك

الارتباط أثرا وقوة تربويين تفوق اهميتهمافىصوغ المجتمع الاسلامي وخصائصه كل تقدير . وانصهر العلم والعمل والادب فى وحدة واحدة ، أثرت عناصرها فى بعضها البعض ،وكان كل عنصر منهم لازما للاخر . وهذه واحدة من ابرزخصائص الحضارة الاسلامية وتميزها تمييزا واضحا عن الحضارات الاخرى المعاصرةآنذاك مثل الحضارة الهندية والصينية أو الحضارة الاوربية فى العصور الوسطى .

والى هنا أود أن أحتم عرضي العام المقتضب الذي حاولت فيه أن أرسمفي خطوط عريضة تطور مفهوم العلم وما يتعلق به من تصورات فى الحضارة العربية ـ الاسلامية بالقول ان مضمون هذا المفهوم ومعناه قد تحدد بصفة نهائية بينالقرنين ١٤/١٣ تقريباً ، وانتقلا منذ ذلك الحين من جيل الى جيل أساساً دون تغيير. واذا كانت مناحى النشاط الفكري للمسلمين في صدر حضارتهم، كرد فعل لنقاشداخلي بين جماعة المسلمين ولتأثيرات أجنبية ، قد أثرت تأثيراً واضحاً في وضع جميع المفاهيم والتصورات الاساسية للحضارة الاسلامية وفي تطويرهاواكمالها فقداقتصر الناس آنذاك على التمسك والاحتفاظ بالنتائج التي وصلوا اليها ، ونقلها كاملة غير منقوصة ما وسع ذلك . وبالنظر الى ما ذكرتهفي صدر كلامي عنالعلاقة المتبادلة بين الحضارة والاحوال الاجتماعية ، يجب أن أقرر أن حال الحضارة الاسلامية هذا يمثل انعكاساً ملائماً تماماً للاحوال الاجتماعية العامة . وحسبنا ان نتذكر أن نظام الاقطاعية العسكرية ، الذي أسسه أولا البويهيون والسلجوقيونفي شرقالعالم الاسلامي ، ثم جد في تطبيقه العثمانيون ،قدأفضىتدريجياًبالعالم العربي-الاسلامي كله الى حالة من الركود الاقتصادي . وساير حالة الركود الاقتصادي والسياسي هذه في داخل البلاد اضمحلال في ميدان الحضارة أخذ يزداد وضوحاً.ولعلبروز هذا الاضمحلال جليا فاجعاً يرجع الىأن علوم كالرياضياتوالفلكوالكيمياءوالطب التي كان المسلمون فيها اساتذة لاوربا ابان العصور الوسطى،قد تدهورتوقلشأنها وقد يطول الامر اذا شئت ان أفصل القول في هذه المراحل . لقد بذلت محاولات لتغيير هذا الوضع ، الا أنها هدفت دائماً فى الحقيقةالي استعادةأحوالاعتقدالبعض أنها كانت قائمة ذات يوم في صدر الحضارة الاسلامية . وفي هذا الوضع بدأت

تتضح معالم تغير جذري في القرن الماضي . فقد بعث اقتحام الدول الاستعمارية الاوربية للعالم العربي والاسلامي الشعوب المستعمرة بسرعة على مقاومة النفوذ الاجنبي في المجالين السياسي والعسكري . وبتأثير من التقدم العلمي والفني الذي قامت عليه الى جانب أمور أخرى قوة الدول الاستعمارية ، بدأ أيضاً بين المسلمين البحث والتقصي عن اسباب الركود والتخلف في كل نواحي الحياة . وادت عملية المقاومة واعمال الفكر هذه ، التي قادها رجال نشطون الى تفسير وفهم جديدين للتاريخ الاسلامي بأسره . وهنا لعب مرة أخرى تفسير مفهوم العلم واستعماله الجديدين دوراً رئيسياً . ومثل كثير من تصورات الحضارة الاسلامية ومضامينها التي أصابها الجمود على مر القرون أسبغ على هذا المفهوم حياة جديدة وهيئت له الاسباب لاستئناف التطور الذي تقتضيه ظروف العصر الحديث . فكما نعلم جميعاً وكما نشاهد يومياً ، تتطور العلوم في العصر الحديث تطوراً يؤثر في كل مناحي حياتنا تأثيراً كبيراً . وقد اكتشفت قوانين جوهرية ، سواء في مجال الطبيعة او في مجال المجتمع الانساني ، وأتاح تطبيقها السيطرة والتحكم في ظواهر ، ظن الانسان من قبل انه لا يستطيع حيالها شيئاً . ان العلوم الحديثة وما يتصل بها من تحصيل العلم تحكمها فكرة مؤداها أن العالم اساساً قابل للكشف . ومن ثمة فهو قابل أيضاً للتغيير . وفي هذا الصدد تلعب فكرتا التطور والتقدم دوراً عظيماً في سبيل الوصول الى كل ماهو جديد وأفضل في كل المجالات . واصبح الشك العلمي البناء أصلا من الأصول المنهجية لتقدم المعرفة ، ذلك أنه يمكن من اطراح الافكار القديمة والمعارف المتخلفة ، واستبدالها بأفكار جديدة في مختلف الميادين . وكما رأينا فقد حظي مفهوم العلم والاشتغال بالعلوم خلال تاريخ الحضارة الاسلامية بجهود نظرية وعملية خلافاً لما كان عليه الحال في الحضارات الاخرى . ولم تكن هذه الجهود، نتيجة للصفة التركيبية المتكاملة للحضارة الاسلامية ، وقفاً على الدوائر المثقفة الحاكمة ، بل كانت لها أيضاً آثار بعيدة في سواد الشعب . وان التقدير الفائق الذي حظي به دائماً العلم وطلبه في الاسلام سيكفل لعناصر التراث هذه أن تقوم بدور هام وايجابي في أداء مختلف الواجبات وحل كثير من المشكلات التي يفرضها التطور الحديث . هذه الواجبات والمشكلات التي سيجابهها المسلمون مستقبلا ، في كفاحهم من اجل نهضة حديثة في كل نواحي الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

من حياة القادة

أهل البيت

(١٠) انسانية فذة .. وعطاء خالد

الشيخ محمد علي التسخيري

- الموقف من معاوية وظاهرة عدم تقبل انصاف الحلول
- شبهة قديمة باقية
- نصوص ترتبط بالموقف
- البحث عن عناصر الموقف

الموقف من معاوية

وظاهرة عدم تقبل انصاف الحلول

من المتعارف به دولياً اليوم ، وفي عرف السياسة الحاضرة ، أن يقوم البعض بالوساطة ، بين دولتين متنازعتين ،قضتا ردحاً من الزمن في النزاع المرير، وتعبتا جراء ذلك . . . لينتهي ذلك النزاع بتلك الوساطة . . او يسير على درب السلام .

وغالباً ماتكون الوساطة تعني تنازلات من كل من الطرفين ، لحساب الطر

الاخر ، وعلى حساب المبادىء التي التزم بها اولا ، وذلك لان الاصرار والالحاح على التمسك بتلك المبادىء سيبقى القضية في طريق مسدودة.وهذا مايصطلح عليه بعبارة (الحل الوسط) وهو تعبير آخر عن (انصاف الحلول) .

الا اننا والحال هذه نترقب من كلا الطرفين ، ان يعتبر هذاالامر تنازلامرحلياً من طرفه ، ليخطط على ضوئه للمرحلة المقبلة من المفاوضات مثلا .

وقد يكون هذاالامر صحيحاً ـ مع السكوت عن العناصر الدخيلة في الموضوع من جانب آخر وعن مدى الصلاحية التي يمتلكها المفاوض واقعاً ـ نعم قد يكون صحيحاً . . وقد يبتني هذا على قاعدة انسانية لايختلف فيهـا اثنان وهي مسألـه تقديم الاهم على المهم . . . اذ ما أن يدور الامر بين حالتين : احداهما ضرورية لجانب من جوانب الحياة بلا شك ، ولكن تنطرح الى جانبها حالة اخرى أشد ضرورة من سابقتها واكثر فورية . فان الموقف الصحيح عندهم ـ اي العقلاء ـ هو تقديم الثانية مع العجز عن ايفاء كلتيهما مانقتضيانه من عمل على أساس ان (الاهم) يتقدم على غيره وان كان (مهماً) . . ولن نجد مشقة في تعداد الالاف من مثل هذه الحالات . .

وقد جرى الشارع المقدس في الاسلام على هذا المجرى فقرر هذه الظاهرة العقلائية وامضاها . . ومن هنا رأينا البحث عن تحديداتها وقواعدها الفرعية في علم اصول الفقه الاسلامي ، سواء في ذلك بحثها بهذا العنوان كما في البحوث الشيعية أو تحت عنوان (الاستحسان) كأصل مستقل على أحد معانيه التي عبر بها عنه وذلك كما في البحوث السنية .وقام الفقهاء بتطبيقها على حالات عديدة، كما رأينا ـ مثلا ـ من أنه رغم أن دم المسلم وسفكه من أشد الحرمات وخصوصاً اذا كان ممن لايقدر على الدفاع عن نفسه لكنه يكون جائز السفك اذا كان بقاؤه حياً ، يعني ان يكون عقبة في سبيل انتشار الرسالة الاسلامية الخالدة ، وتطبيق العدل في الأرض ، وذلك اذا تترس الكفار المحاربون اثناء الحرب بالمسلمين الاسرى ، واضعين اياهم امامهم ليتقوا هجموم المسلمين ، ولم يكن للمسلمين سبيل لاختراق هذا الجدار البشري للوصول الى العدو ، وفي هذا يقول «الشهيد الاول» محمد بن جمال الدين مكي

لعاملي في كتابه «اللمعة الدمشقية» «وكذا يجوز قتل الترس ممن لا يقتل ، ولو تترسوا بالمسلمين كف ما أمكن ، ومع التعذر فلا قود ولا دية ... » .

كما اننا لانعدم في التاريخ الاسلامي ، ما يعبر عن تطبيق النبي الكريم(ص) لهذه القاعدة ، كما في قضية عبور الجيش الاسلامي على ارض رجل من المسلمين ضطراراً وتضرر ذلك المسلم ، اذ من المنطقي ان تضرر المسلم ظلم لامحالة ولكن لو توقف على ذلك نشر العدل في ربوع الارض ، وهو اهم بكثير من تلك الحادثة الجزئية فانه حينذاك سيكون عملاً ضرورياً يجب القيام به وصولا الى ذلك الهدف العظيم مع فرض انحصار السبيل بذلك .

شبهة واعتراض قديم

ولما سبق او لغيره من الأسباب حاول البعض ان يبدي عدم تفهمه لموقف الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) من معاوية . . اذ راى هؤلاء : انه من الصحيح جداً ان معاوية واشباهه من الولاة لم يكن لهم ان يقوموا بادارة اركان الدولة الرائعة التي كان امير المؤمنين (ع) يخطط لبنائها ، الدولة التي اراد ان يجسد فيها تعاليم الاسلام السياسية ،والاجتماعية بكل امانة ودقة ، الدولة التي يكون جهازها الاداري مركزاً مشبعاً بتعاليم الاسلام ومركزاً لها في الامة وقطاعاتها في حين انهم لم يكونوا على هذا المستوى مطلقاً ، وهذا ما شهد به التاريخ بعد ذلك ، حتى ان الامة الاسلامية وتعاليمها كانت ستذوب لولا جهاد الائمة الطاهرين والطبقة المخلصة المعقيدة مما كلفها مالا يحصى من التضحيات .

نعم من الصحيح كل ذلك . . ولكن هؤلاء وخصوصاً معاوية كانت لهم اقدام راسخة قوية ، وقواعد موالية لها خطرها في الامة . . ترى الم يكن من المناسب للامام امير المؤمنين (ع) ان يطبق ما قلناه قبل قليل من قاعدة تقديم الاهم على المهم او تقبل انصاف الحلول -كما يعبر هؤلاء؟ !

ويحاول هؤلاء ان يوضحوا اعتراضهم قائلين : ان ابقاء معاوية وان كان امراً مضراً جداً ويشكل خطراً على جزء كبير من قطاعات الامة الا أن الاهم منه هو بقاء دولة الامام علي (ع) وانتشار نفوذه ، وتفرغه للبناء العقائدي ، للامة ونشر العدل،

واعطاء الأطروحة الاسلامية الصافية من كل الشوائب ، في التنظيم الاجتماعي بالاضافة للجوانب الحياتية الاخرى . . وبعد ان يتقوى (ع) فانه يقوم بتصفية تلك البؤر الخبيثة واحداً بعد الاخر .

فالمعترضون اذن يتصورون قيام تزاحم - كما يقال - بين أهم ومهم ولا علاجها الا بتقديم الاهم . وهو ابقاء معاوية كعامل - فعلا - لابقاء دولة علي (ع) ومن ثم القضاء على فتنة معاوية واشباهه .

نصوص تاريخية مرتبطة بالموقف

وقد حدثنا التاريخ عن وجود مثل هذا الرأي بين اتباع الامام امير المؤمنين عليه السلام وغيرهم الا انه كان رأياً ينوء بضعفه ويقف في قباله الوعاة للشريعة والامور العامة من اصحابه (ع) المخلصين له بكل حزم وقوة .

يقول نصر بن مزاحم في كتابه «صفين»

«فاراد علي ان يبعث الى معاوية رسولا فقال له جرير (١) :ابعثني الى معاويه .. فأتيه فادعوه على ان يسلم لك هذا الامر ويجامعك على الحق على ان يكون اميراً من أمرائك ، وعاملا من عمالك .

فبعثه «ع» قائلا له . «ايت معاوية بكتابي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه واعلمه اني لاأرضى به اميرا . وان العامة لاترضى به خليفة» (٢) .

واثناء مكوث جرير بالشام يأتيه معاوية الى منزله ويقول له « ياجرير اني قد رأيت رأيا : قال : هاته قال : اكتب الى صاحبك يجعل لي الشام ومصراً جباية فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لاحد بعده بيعة في عنقي واسلم له هذا الامر واكتب اليه بالخلافة» .

وعندما يكتب جرير الى الامام بذلك يجيبه الامام «ع» «اما بعد فانما اراد معاوية الايكون لي في عنقه بيعه وان يختار من امره مايحب ، واراد ان يريثك حتى يذوق اهل الشام وان المغيرة بن شعبة قد كان اشار علي ان استعمل معاوية على الشام وانا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن الله ليراني اتخذ المضلين عضداً فان بايعك الرجل ، والا فاقبل »

وهذا النص يوضح لنا ان المغيرة يشير عليه بذلك قبل مجيئه الى الكوفة ووضوح

---

(١) يعني جرير بن عبد الله .

(٢) صفين ص ٢٧ - ٢٨ .

الرؤية لدى الامام (ع) آنذاك في قضية معاوية وحديثه الواعية تجاهه بما لا يقبل المناقشة.

كما ان نصر بن مزاحم ينقل لنا قصة احد الشاميين اذ يقول للامام «يا علي: ان لك قدماً في الاسلام وهجرة ، فهل لك في امر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك ؟ فقال علي (ع) وماذاك ؟ قال : «ترجع الى عراقك فنخلي بينك وبين العراق ونرجع الى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا » فقال علي (ع) «لقد عرفت ، انما عرضت هذا نصيحة وشفقة ولقد اهمني هذا الامر واسهرني ، وضربت انفه وعينيه فلم اجد الا القتال او الكفر بما انزل الله على محمد (ص)، ان الله تبارك وتعالى لم يرض من اوليائه ان يعصى في الارض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فوجدت القتال اهون علي من معالجة الاغلال في جهنم» فرجع الشامي وهو يسترجع (١) .

وعلي (ع) واثق كل الثقة من الامر ، وان لا خيار فيه ، وتلك الثقة انما هي قائمة على اساس من وعي كامل لوظيفة الامام العامة كما سيأتي في ذكر الجواب على هذه الشبهة.

ولقد كانت الفئة الواعية التي اشربت مبادىء علي عليه السلام والتي التفت حوله تدرك ابعاد الموقف ادراكا يتفاوت تبعاً لنسبة الوعي العام وتحديد النظرة الى علي (ع) كامام يعبر عن الواقع والى الواقع بابعاده الحقيقية.

فلقد كان الامام علي (ع) قد استشار اصحابه في هذا الموضوع تبعاً لما كان النبي العظيم (ص) يفعله ابان الخطوات الهامة التي كان يعزم على القيام بها في حياته والتي تحتاج الى وعي مسبق من قبل القائمين على اتمام العملية بما يتطلبه ذلك من ادراك ابعادها واهدافها .

والذي يبدو لنا بعد ملاحظة اسلوب العرض العاطفي الواعي لكل من النبي (ص) في قضية معركة بدر او فتح مكة والامام (ع) في حرب معاوية يدرك بوضوح انهما كانا يدركان تماماً أبعاد الموقف وان لا مناص من الاقدام ، فما معنى الشورى؟ انها في الواقع اختبار للقوى النفسية ومدى ادراك الموقف اولا واشعار للاصحاب بانهم اختاروا

---

(١) المصدر ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

هذا الموقف وان عليهم القيام بكل مقتضياته الى النهاية وفي هذا ما فيه من دخل كبير في نتائج اية عملية صغيرة او كبيرة ولذا يقول لهم الامام (ع) ابان مسيره الى الشام .

«فانكم ميامين الرأى ، مراجيح الحلم ، مقاويل الحق ، مباركو الفعل والامر ، وقد اردنا المسير الى عدونا وعدوكم فاشيروا علينا برأيكم» (١).

وهنا يتوضح ان التيار المؤكد على السير هو التيار العام اذ يقول هاشم بن عتبة بن ابي وقاص **«فسر بنا اليهم ، فان اجابوا الى الحق فليس بعد الحق الا الضلال وان ابوا الا الشقاق فذلك الظن بهم ، والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع اذا نهى و يسمع اذا امر»** (٢) .

وينهض الصحابي الجليل عمار بن ياسر ليقول «يا امير المؤمنين ان استطعت ان لاتقيم يوماً واحداً فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة . . فان فاؤوا فاسعدوا وان ابوا الا حربنا فوالله ان سفك دمائهم والجد في جهادهم ، لقربة عند الله وهو كرامة منه» (٣) .

ويقول قيس بن سعد بن عبادة «انكمش بنا الى عدونا ولا تعرد (٤) فوالله لجهادهم أحب الي من جهاد الترك والروم لادهانهم في دين الله» .

ولم تعدم امثال تلك الاستدعاءات من معترض على ذلك لكنه شاذ كما يلاحظ من مجموع النصوص ، وقد كان التيار الواعي يرد عليه بكل حزم ويناقش حججه ، حتى أننا نلاحظ ان هناك من كان يستمهل في القتال حتى يأتي بعض الرسل فيرد عليهم الاخرون بأن التأني انما يكون مع الشك وكيف وسبل اليقين واضحة وهكذا يتيقن (ع) من اخلاص القادة سوى من شذ بعد ان يستمع لمقالاتهم .

وماأروع يقين عمرو بن الحمق الخزاعي اذ يخاطب الامام (ع) بقوله **«فلو اني كلفت نقل الجبال الرواسي ، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي علي يومي في امر اقوى به وليك واوهن به عدوك ماأرأيت اني قد اديت فيه كل الذي يحق علي من حقك» ليقول امير المؤمنين (ع) «اللهم نور قلبه بالتقى ، واهده الى صراط مستقيم ليت ان في جندي مائة مثلك» فقال حجر بن عدى (ع) «اذاً والله يا امير المؤمنين صح جندك او قل فيهم من**

---

(١) و (٢) صفين ص ٩٢ . (٣) المصدر ص ٩٣ .

(٤) الانكماش : الاسراع والجد . والتعريد الفرار والاحجام والانهزام .

يفشك» (١) .

وما اشبه ردالقادة من اصحاب الامام هنا برد القادة من أصحاب رسول الله عندما استشيروا في مواقف مماثلة .

فالامام والخلص من اصحابه وباقي القادة والعامة الا من شذ كلهم يؤكدون على عزل معاوية وان لم ينعزل فالحرب هي الكلمة الاخيرة . . وهكذا كان الامر.

المحث عن عناصر الموقف :

ويكاد يكون من نافلة القول انشير الى منهجمطروح فى امثال هذهالمسائل وهو منهج الاجابة بالعلم الاجمالي ـ كما يقال وكما اشرنا اليهمن قبلـ وملخصه : ان الامام كان اعلم بما يفعل ، وانه لايمكن ان نوردعلى موقفه اي اشكال والاخالفنا قول النبي العظيم فى حقه «علي مع الحق والحق مع علي» «اهل بيتى كسفينةنوح من ركبها نجى» وغيردلك من النصوص التي توحد القطع الاجمالى بصحة موقفه بالنظر لما يتطلبه الواقع ويفرضه الحق .

ونحن نؤمن بكل كلمةوردت في مجال التعريف بهذا المنهج ونراه كافيألكل من يؤمن بأن النبي (ص) «ماينطق عن الهوى» الا انهذا لايمنعنا مطلقاً عن البحث قدر الامكان عن مبررات موقف الامام (ع) وذلك :

أ ـ لكي نرد بهاعلى امثالالشبهة المذكورةرداًمقنعاً .

ب ـ لكينستلهم منها مايحدد لنا امثالتلك المواقف باعتباران حياتهم(ع) كانت القدوة للبشرية .

ح ـبالاضافةالىمحاولةتكوينرؤيةواضحةعناسلوبتطبيقالائمة(ع)للخطوط العريضة التى مرت بنا فى العدد الماضي .

فلنحاول اذن ان نبحث عن عناصر الموقف في العدد القادم ان شاء الله .

---

(١) صفين ص ١٠٤ .



وردتنا في الفترة القليلة الماضية رسائل عديدة نورد بعضها هنا مدركين ان تقدم المجلة ورقيها ليس اختياراً بقدر ما هو مسؤلية :

□ من الاخ محمد بن المتمر الكاتب العام لجمعية الجامعات الاسلامية بالمغرب وردتنا الرسالة الكريمة التالية :

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد : فنظراً للمكانة المرموقة التي تحظى بها مجلتكم في الوسط الفكري والاعلامي والثقافي. واعتباراً لطرافة اخراجها وصدق عرضها للانباء عموماً ولانباء العالمين العربي والاسلامي بالخصوص ،

يسعدني ان ابدي لسيادتكم رغبة منظمتنا الصادقة في الحصول على عددين وقت كل صدورها قصد تمكين المعجبين بهاهنا في المغرب من الاطلاع عليها اولا ثم الاحتفاظ بها في خزانة الجمعية كوثيقة تاريخية وحضارية ثانياً .

□ ومن الاخ الاستاذ عبدالله عبدون ـ باندونسيا ـ هذه الرسالة التي رأينا ان ندرجها كاملة اسهاماً منا في تلبية طلب هذا الاخ العزيز على نطاق اوسع :

وبعد فيسعدنا كثيراً ان وفقنا الله لنقدم اليكم احر تشكراتنا القلبية على حسن

نضالكم وما تقومون به من خدمات جليلة واعمال نبيلة يعود نفعها على الأمة الاسلامية فحياكم الله وبياكم وامطر علينا سحائب فضله بواسطتكم .

وها نحن اخوانكم من هذه الشقة النائية عنكم نحب ان نستحثكم على ان تعاضدونا وتعاونونا في القيام بالدعوة الاسلامية وازالة الضلالات ودحض الشبهات التي تسربت في بلادنا اندونيسيا الفتية من انتشار الدراسات الغربية الموبقة والثقافات الاجنبية الهدامة الى جانب تحركات الطوائف الاخرى المقاومة للاسلام فالله المستعان وعليه التكلان .

ثم يسرنا ان نحمد الله اليكم حيث وفقنا للقيام بالدعوة والتربية والتعليم، بيد ان مكتبتنا لاتزال شاغرة من بعض الكتب والمطبوعات اللازمة والمجلات الاسلامية القيمة فرجاؤنا ان تسدوا هذا العوز وخصوصاً مجلتكم الغراء «الهادي» اذ نرجو من سماحتكم ان ترسلوها الينا تباعاً لنستعين بها وببحوثها الاسلامية القيمة على تربية وتعليم ابناء هذا الجيل في هذه الأصقاع الموجودة وان يجعلها الله حصناً من حصون الاسلام المنيعة ما دمنا في السبيل ذلك نعمل ونكافح .

وكم نتمنى ان تنجح دعوتنا الاسلامية وتربيتنا الدينية فتستطيع ان تستعيد ما لسلفنا الصالح من المجد الذي يعطيه سعادة الدنيا وصلاح الآخرة .

نسأل الله سبحانه ان يوفقنا جميعاً للجهاد في سبيله وتأدية الامانات الملقاة على كواهل الجميع . ولكم منا ـ مقدماً ـ الشكر الجزيل والثناء الجميل على حسن اهتمامكم بارسال مجلتكم الرائعة وغير ذلك من مطبوعات ومنشورات مؤسستكم الموقرة.

□ ورسالة ثالثة وردت من الاستاذ الدكتور عبد الهادى محبوبة بجامعة الكويت تسلمنا رسالة عاطرة ورد فيها :

وبعد ففي الوقت الذي اشكركم فيه على ارسال مجلتكم القيمة «الهادي» بدون طلب مني . منذ عامين . . فاني اغتنم هذه الفرصة فأهنئكم على المستوى العلمي الذي وصلت اليه المجلة في عامها الثالث، والأسلوب الرصين الذي تعالج به الافكار والمشكلات الاجتماعية والتيارات المذهبية التي يتلقفها الجيل الناشيء وخاصة

مسألة التقريب بين المذاهب الاسلامية .

لذلك ابارك لكم مسيرتكم الدينية هذه ، واحيي الاقلام التي تشارك في دعم خطاكم الخيرة ، وامداد المجلة بالدراسات والبحوث الممتعة .

[ ] وقد وصلتنا رسالة كريمة من الاستاذ السيدمحمد علي مكي - الكويت يعزي فيها بوفاة آية الله العظمى المرحوم السيد الشاهروديتغمده الله برحمتهحيث حمل لواء العلم والدين قرابة قرن من الزمان مجاهداً في سبيل نشر مباديء الدين الاسلامي الحنيف وتوضيح نظرة اهل البيتقادة الامة ، الذين يشكلونمع القرآن الثقلين الذين يجب التمسك بهما للعصمة من الضلال . . حتى قضى حياته الشريفة في ظل ظروف ظالمة غاشمة .

والهادي اذ تشاطر الجميع العزاء في هذا المصاب الجلل تسأل الله تعالى ان يتغمد الامام الفقيد برحمته الواسعة ويعوض الله الامة عن هذه الخسارة المؤلمة .

[ ] وكانت ثمت رسائل . . من الجزائر - المركز الثقافي الاسلامي- ومن دار الكتب الوطنية في بيروت . . ومن رابطة الادباء في الكويت . . ومنمسؤول مكتبة جامع الرحمة ومتولي اوقاف الجعفريةبصحار - عمان .

الى جانب الرسائل الاخرى الكثيرة . . والله سبحانه نسأل ان يوفقنا للمضي قدماً من اجل رفع راية الاسلام خفاقة على ربوع العالم . . انه سميع مجيب.

مكتبة المجلة

فقه الصادق

الجزءان ١٩ ، ٣٠

المؤلف : سماحة آية الله السيد محمد صادق **الروحاني** .

طبع : مطبعة الاسلام ومطبعة العلمية في **٤٢٨** صفحة لكل جزء .

ويشكل هذان الجزءان الخاتمين الاخيرتين من الموسوعة الفقهية التي املها ودرسها السيد المؤلف في شرح التبصرة للامام المحقق العلامة الحلي .

□ النور الساطع في احوال الامام الصادق (ع)

المؤلف : الشيخ قوام الدين القمي الوشنوي .

طبع مطبعة «حكمت» بقم المقدسة في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

ويتحدث المؤلف فيه عن شيء من حياة الامام الصادق (ع) سادس أئمة اهل البيت ، بعدان يقدم له بذكر النص على امامته (ع) عموماً وخصوصاً .

□ نقد الفكر المادي والديني

المؤلف : الشيخ عبد اللطيف بري .

نشر دار الصادق ببروت ويقع في ٢٠٧ صفحات من القطع المتوسط .

وهو دراسة جيدة وباسلوب جديد حول «الله تعالى» «والمادة» ويعتمد الكتاب اسلوب الحوار بين شخصين يتقمصان رأيين متناقضين ليتابع القارىء ذلك ويستنتج النتيجة المطلوبة بكل موضوعية. والكتاب بعد يعبر عن ثقافة واسعة وروح مثابرة .

□ كلمات • • في الدين والحياة

المؤلف : مالك موسى زيعور .

نشر دار الصادق بيروت في **١٧٦ صفحة** من القطع المتوسط .

«مقالات مختلفة عن قضايا مختلفة لكن يجمعها اطار واحد . .الهدف منها توضيح وجهة نظرة الاسلام فيها .

□ الرسائل والوثائق السياسية

للسيد جمال الدين الاسد آبادي .

المؤلف : السيد هادي الخسروشاهي .

الطبعة الثالثةفي مطبعةدار التبليغ الاسلامي
قم في ٢٤٠ صفحه من القطع الجيبي

وهو كتاب بالفارسية ينقل النصوص الرسائل الوثائقية المهمة التي كتبها السيد جمال الدين المعروف بالافغاني الى مختلف الشخصيات الاسلامية كالعلماء، الزعماء فاضحاً المتحالفين مع الاستعمار. الرسائل مترجمة من اللغات العربية لانجليزية، والتركية ويتميز ببعض لتوضيحات المهمة حول بعض الوثائق مع ثبات نماذج من هذه الرسائل بخط السيد.

□ كفاح الاسلام في افريقيا :

المؤلف : السيد هادى الخسروشاهي
طبع مطبعة «دار التبليغ الاسلامي» بقم لمقدسة في ٢٢٤ صفحةمن القطع المتوسط بالفارسية)

ويسعى المؤلف في هذا الكتاب لان يعرض بعض جوانب التعريف بالقارة السوداء وعرض قضية المسلمين الافريقيين للعالم، واساليب الجهاد الاسلامي المقدس الذي حرر القارة من تخلفها واستغلالها ويستعرض في هذا الكتاب اساليب الكفاح في :الكنغو، موزنبيق، روديسيا، نيجريا، تشاد، اوتيريا والحبشة» ويعد المؤلف بالبحث عن باقي الجوانب في الجزء الاخر ولعل الموضوع يطرق لاول مرة في المؤلفات الفارسية.

قسم عظيم

المؤلف : السيد محمود حكيمي.
المترجم : الشيخ علي آل عصفور
نشر الجمعة الريفيه الدينية - المعامير والنويدرات - البحرين

والكتاب عبارة عن قصة مترجمة من الادب الفارسي بطلها مسلم واع جاهد ضد الاستعمار في افريقيا بعد أن أقسم على ذلك وبقي بقسمه بار أناشراً العقيدة بين الافريقيين مساهماً في حركة الوعي العامة

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق
الاجزاء : الاول والثاني والثالث طبع مطبعه جامعة دمشق.

وهي مجله ادبيةقيمة تتميز بالبحوث الموسعة ويمكن اعتبارها مصدراً مهماً لكل باحث في هذا المجال. وقد قام المجمع باهدائها الينا مشكوراً.



التقرير التعليمي

□ قامت الهيئة المشرفة على الأمور التعليمية باجراء امتحان القبول لهـذه السنة وقد اشترك في الامتحان حوالي ١٨٠ شخصاً قبل منهم ٨٨ شخصا لحصولهم على درجات امتياز فى الامتحان فانضموا الى طلاب الدار الأخرين حيث اصبح مجموع الطلاب ٢٢٠ طالباً .

□ اضيفت بعض المواد المهمة الى البرنامج الدراسي وهي :

١ ـ مقدمات علم الاجتماع .

٢ ـ اللغة الفرنسية (بالاضافة للغة العربية والانكليزية والاردية) .

٣ ـ تاريخ الفلسفة .

تقرير لجنة الوعظ والتبليغ

□ فتح صف للتدريب على الاسلوب الفني لتدريس القرآن الكريم وقد سجل فيه لحد الان ٣١٧ طالباً .

تقرير قسم النشر

□ قام قسم النشر خلال شهرين بالاجابة الخطية على حوالى ٤٠٠٠ رسالة من داخل ايران وخارجها .

□ كما وقد قام هذا القسم بنشر الكتب التالية :

١ ـ حياة الامام الثاني للشيعة : الامام الحسن (ع) . . في ٤٥ الف نسخة .

٢ ـ التفسير المادي للدين (السلسلة الخاصة بطلاب الجامعات) في ١٥ الف نسخة.

٣ ـ نظرة الى الحج . . . . في ٤٥ الف نسخة .

٤ ـ حياة الامام الثالث للشيعة : الامام الحسين (ع) في ٤٥ الف نسخة .

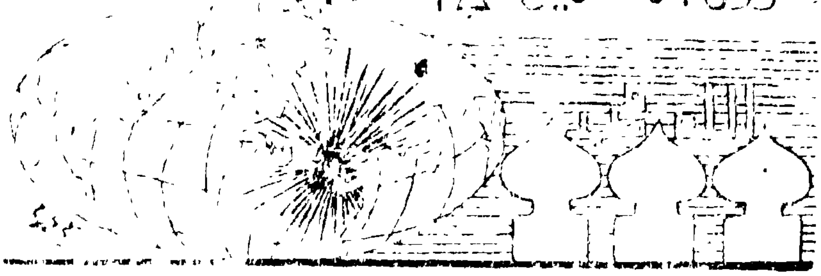
والكتب كلها باللغة الفارسية .

تقرير المكتبة العامة لدار التبليغ الاسلامي

□ صدر بيان من ادارة المكتبة يستعرض عدد الكتب المهداة والمشتراة والمجلات والمراجعين والكتب المطالعة خلال شهري رمضان وشوال من عام ١٣٩٤هـ وهو كما يلي :

التاريخ	الكتب المهداة	المشتراة	المجلات	المراجعون	الكتب المطالعة
رمضان	٤٩٣	٢٣	١٠	٩٢٥٠	١٥٢٠٠
شوال	٨٥	١٦٦	٤٥	١٦٥٩٠	٢١٨٠٠

شؤون المسلمين في العالم



اعداد: **ابو مقداد**

مؤتمر الجماعة الاسلامية في الهند

اشترك في هذا المؤتمر عدة جمعيات اسلامية من دول عديدة مثل امريكا كندا اليابان ، بريطانيا ، السعودية ، اندونيسيا ، السنغال، الكويت، العراق ، مصر ، سوريه الفيليبين، نيبال، الأردن، زنكبار ، ايران ، وبحثت المسائل المتعلقة بالمسلمين وطرق الاتحاد والتعاون في العمل الاسلامي .

ومثل دار التبليغ الاسلامي السيد غلام رضا سعيدي بدعوة من المؤتمر واشترك في جلساته .

وقد أصدر المؤتمر في ختام جلساته بيانه النهائي الذي ضمنه توصياته في مختلف الجهات وهي :

١ ـ علاج التدهور الاخلاقي في المجتمعات كافة وازدياده ونسيان العواطف وفقدانها واحدة بعد الاخرى واليوم نحن احوج ما نكون اليها ، وينبغي للشعوب الاسلامية على الخصوص ان تقوم بمقتضى تعليمات الدين الحنيف على صد موجة الانحلال وعلى الجمعيات والجهات الاسلامية ان تسعى لزيادة الرابطة الاسلامية وتوثيقها لما فيه من القوة .

٢ ـ التعاون الثقافي والاستفادة من التقويم الهجري .

٣ ـ التضامن من اجل منع وتحريم فيلم حياة الرسول (ص) .

٤ ـ البنك الاسلامي ودعم مشروعه .

٥ ـ تحرير الارض الفلسطينية من احتلال اسرائيل .

وقد صممت اوساط المؤتمر ان تتوسع في السنوات القادمة باشتراك الممثلين الاخرين من كافة الدول الاسلامية وغيرها .

هذا وكان المؤتمر قد انعقد اعتباراً من ٢٣-٢٥ شوال ١٣٩٤ الموافق ٨-١٠ نوفمبر ٧٤ ١٩م انعقد بعد ٧ اعوام واشتركت فيه الشخصيات ورؤساء المنظمات الاسلامية وعشرات الالاف من ٢١ مقاطعة هندية . ومن المنظمات التي اشتركت فيه :

رابطة العالم الاسلامي، المؤتمر الاسلامي في عمان ،اتحاد المسلمين القومي في كينيا،الاتحاد الاسلامي العالمي المنظمات الطلابية .

هذا وقد قامت دار التبليغ الاسلامي بارسال رسالة مفصلة تحدثت فيها عن النشاط الديني في ايران والجامعة الاسلامية في قم المقدسة ، وعرضت فيها نبذة من فعاليات دار التبليغ الاسلامي في مختلف الحقول .

وقد تفضل سماحة آية الله العظمى الامام شريعتمداري مؤسس الدار بارسال كلمة توجيهية للمؤتمر ضمنها توجيهاته القيمة وارشاداته الرائعة ومقترحاته البناءة التي جلبت اليها انظار المؤتمرين فعملوا بها وضمنوها قراراتهم وهذا نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة رئيس واعضاء المؤتمر الاسلامي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان هذا المؤتمر الكريم ينعقد في فترة تعيش فيها امتنا الاسلامية المجيدة الانعطاف نحو دينها المقدس بعد ان كانت طوال السنين مضت تعيش البعد عنه والانعزال.

وقد حصل هذا الانعطاف الكبير حين احست الامة بان هذا الدين الخالد هو سر وجودها وبقائها وانها عندما تمعن في الابتعاد عنه فانما تمعن في الاجهاز على ما تبقى فيها من حياة وهذا مادعانا الى الالفات الى النقاط التالية :

أ ـ اعادة النظر في هيكلنا التبليغي فان من أشد المشاكل التي عانى منها الاسلام مسألة تقديمه الى الناس .

انعرض الصورة المشوهة للاسلام لاتقل خطراً ابدا عن ترك الساحة من دون تبليغ للاسلام .

ولذا فنحن نرى أنه من الضروري ان لا يكون مجال التبليغ مفسوحاً للجميع بدون مقياس ولاميزان . اننا نقترح في هذا المجال ان تكون تولية العمل التبليغي على اساس الكفاءة في التقوى والعلم والخبرة الاجتماعية فمادام المبلغ لم يتم صقله علمياً واجتماعياً لايحق له ان يتولى مهمة تبليغ هذا الدين المقدس .

ب ـ التحكم في ما يطبع من كتب سواء في مجال التأليف او احياء التراث فان عرض الاسلام بصورة غير صحيحة كما يتم على يد مبلغين غير اكفاء يتم بواسطة الكتب التي لايتمتع مؤلفوها بالكفاءة المطلوبة.

ج ـ العمل على انشاء (دار الكتاب الاسلامي) وتكون مهمتها ترجمة الفكر الاسلامي الى لغة العصر وتقديمها الى الامة والى سائر الناس على اختلاف المستويات.

وبهذه المناسبة نرى من الضروري ان نشير الى ان الفكر الاسلامي الواعي مايزال مقتصراً على قطاعات مخصوصة وماذلك الا لانه لم تعط العناية التامة لتبسيط هذه الافكار وتقديمها بمختلف الاساليب .

د ـ العمل على ان يكون الاعلام في البلاد الاسلامية اعلاماً اسلامياً وقد نبهنا على هذه الناحية في رسالة الى مؤتمر كوالا لامبور غيرانناـ لاهميتهاـ نؤكدهاهنا .

ان وسائل الاعلام بالشكل الذي هي عليه منابع للفساد في عالمنا الاسلامي ومن هنا كان على كل من يهمه اصلاح هذه الامة وصلاحها ان يسعى جاداً لتوجيه هذه الوسائل وجهتها الصحيحة في توعية الامة وتثقيفها .

هـ ـ ان المؤتمرات الاسلامية التي تعقد بين الحين والاخر رغم انها خطوات مباركة الا انها لاتتخذ طابعاً عملياً حسب مانرى وهذه النقطة ـ المؤلمة تدعونا لان نسأل الله سبحانه ان تكون مقررات مؤتمركم الكريم هذا ـ ذات طابع عملي يعود على المسلمين بالخير والبركة .

و ـ ان قضية فلسطين قضية اسلامية ولذا فنحن نلفت النظر الى انه اذاتمكن

الاستعمار ان يزيل عنها هذه الصبغة فى اذهان قطاع من الامة فان علينا ان نؤكد هذه الصفة لانها هي الصبغة الحقيقية التي تعطي القضية زخماً نحن بحاجة اليه في معركتنا الضارية مع اعداء الاسلام .

ز ـ ان القرآن الكريم دعانا الى الوحدة ونبذ الفرقة قال تعالى «ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون» وقال تعالى «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» مقتضى هذه الدعوة القرآنية ان نكون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص وقد اصبحت الوحدة في وقتنا الحاضر حاجة حياتية كما انها كذلك من قبل ،اننا بحاجة ماسة لان نعمل باخلاص فى هذا السبيل ولهذا يتعين علينا :

١ ـ فتح باب الحوار والزيارات بين العلماء المسلمين .

٢ ـ الحيلولة دون المس بكرامة أية فرقة نعتقد جميعاً انها من فرق المسلمين. على ان ثمت اصواتاً انشاراً ازدادت فى الاونة الاخيرة تدعى الانتماء الى الاسلام والاسلام منها بريء ونذكر هنا بالخصوص البهائية والقاديانية .

فعلى المسلمين جميعاً ان يحدد موقفهم منها منعا لانتشار الضلال والله سبحانه هو الهادى والعاصم .

ايها السادة وفى الختام ارجو من الله تعالى لمؤتمركم الكريم نجاحاً باهراً وارجو لكم مزيداً من التوفيق لما فيه نشر هذا الديـن وخير هذه الامة انه سميـع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٠ شوال المكرم ٩٤

وقد عبأوا طاقاتهم فهل نعبىء طاقاتنا؟

جاء فى كلمة العدد التى نشرتها جريدة العالم الاسلامى العدد ١٣٩٦ الاثنين ٧ رمضان ٩٤ ه مايلى :

ان اليهود اليوم يسعون الى حرب جديدة خامسة ، كل الدلائل تشير الىذلك وليست صفقات الاسلحة الضخمة من امريكا الاعدواناجديداآخرضدامتنا الاسلامية والحرب هذة المرة لن تكون الا فى شكل انتقامى . . وحشي . . مرعب .

يقوم اليهود فيها بضرب الأهداف المدنية كما عملوا فى حرب العاشر من رمضان ضد سوريا . . وكما يفعلون دوماً . .

كما ان تدفق الغزو اليهودي الروسي الى الاراضي العربية المحتلة والقدس وفلسطين . . يشكل هو الاخر عدواناً صارخاً ضد الامةالعربيةوضد السلاموالحقوق المشروعة للامة العربية . . انه بمؤامرته الجديدة التي يقوم بتنفيذها ضد حقوق شعب فلسطين وضد السلام فى المنطقة . . انما يمثل دوره الحقيقي الاستعماري البغيض ضد الشعوب الاسلامية . .

ان علينا ان نتذكر جيداً هذه الادوار التي يقوم بها الاعداء ضد امتناومقدساتنا لان هذا التحالف بين الصهيونية والشيوعية والاستعمارالغربي . تحالف واضحوقديم وليس لنا عذر ان نحن دسسنا رؤسنا في الرمال وغالطنا الحقائق في هذا الشأن . .

فالمؤامرة الدولية مكشوفة . . وقد عبأ اليهود كل طاقاتهم واعلنوا نفيرهم فى العالم .

من نشاطات صندوق التضامن الاسلامي

تحدث السيد حسن التهامي الامين العام للامانة الاسلامية عن المراحل التي قطعها صندوق التضامن الاسلامي فقال : نحن الان بصدد التنفيذ لدعوة المجلس الدائم لصندوق التضامن الاسلامي من الدول الثلاث عشرة التي انتخبت في كوالالمبور للاشتراك مع الامين العام اوضع مخطط تنفيذي للصندوق والعمل على تحقيق خطة التضامن الاسلامي.

ويلقى صندوق التعاون الاسلامي تأييدا ودعماً كبيراً من الدول الاسلامية وسيكون على رأس مشروعات هذا الصندوق انشاء جامعتين في افريقيا احداهما في النيجر والاخرى في اوغندا وقيام الدعوة الاسلامية على المستوى العالمي وتطوير وكالة الانباء الاسلامية ومساعدة المسلمين في الفليبين عن طريق اقامة وكالة للاغاثة والتعمير وقيام حركة الشباب المسلم العالمية . . .

* * *

القضية الفلسطينية تدخل الامم المتحدة من بابها الواسع

بعد خمس وعشرين سنة من الضياع والابتزاز ، من الظلم والاجحاف استطاعت القضية الفلسطينية ان تعرض نفسها على منبر الامم المتحدة وتتحدث للرأي العام العالمي عما حل بها وما تعرضت له حتى استحقت أن تسمى بمأساة هذا القرن ، انها مأساة شعب ممتحن وارض مقدسة ، شعب سلبت ارضه وشرد وفقد الالاف من ابنائه، وانها قضية ارض مقدسة سليبة مرت عليها سنين كالحة مظلمة وهي تئن من وطأة اقدام اولئك الارجاس الذين دنسوها وداسوا بذلك كرامة امة ومرغوا مجدها في التراب ، امة ما كان ينبغي ان يحل بها هذا ولان تصل الى هذا المستوى من الذل والتردى حتى طمع فيها شذاذ الافاق وارازل الناس ، ما كان ينبغي ان يحدث هذا لولا ما اصابها من مرض الاختلاف وفتنة الفرقة وبلاء الابتعاد عن الرسالة

المقدسة التى وحدت صفوفها ورفعت من معنوياتها وجعلت منها سادة الارض وبناة الحضارة المجيدة .

ان القرار التاريخى للامم المتحدة بطرح قضية فلسطين ودعوة ممثلى شعبها للحديث عن قضيتهم وملابساتها ثم قراراتها الأخرى بتثبيت حقوق الفلسطينين المشروعة فى استرداد ارضهم والعودة اليها ، وحضور ممثل عنهم فى جلسات الأمم المتحدة بصفة مراقب بالاضافة الى قرارات (اليونسكو) بفرض عقوبات على اسرائيل لعدم تقيدها بالحفاظ على الطابع التاريخى لمدينة القدس كل هذا نراه يلقى على الفلسطينيين خصوصاً والمسلمين بشكل عام مسؤولية ضخمة لابدان تجعلهم يتسمون بحكمة وحزم وان لاتتحكم فيهم المواقف اللامسؤولة والانفعالية التى تعرف اجهزة الدعاية الصهيونية كيف تستفيد منها .

وانا حين نهتز من الاعماق ونحتفل بهذا الانتصار الرائع لهذه القضية فى الامم المتحدة انما نرجو ان يكون فى ذلك بداية طيبة لان يفتح العالم عينيه ويتحرر من الدعاية الصهيونية التى لعبت فى الساحة الدولية من دون منافس ، والتى ظللت الكثيرين بالدفاع عنها والاعتقاد بشرعيتها هذا فى الوقت الذى ننبه فيه المسلمين الى انهم قوة كبرى يحسب لها اكثر من حساب لو تفهموا مواطن منعتهم وعزتهم وانهم يستطيعون ان يعرضوا بل ويفرضوا قضايا هم على العالم اجمع ، واننا بانتظار اليوم المجيد و الامل السعيد ، بانتظار ذلك الفجر الرائع الذى يرجع فيه قدسنا الحبيب مرة ثانية الى احضان اهله ، ويرجع المسلمون الى ارضهم ووطنهم السليب وتجتث فيه جذور الفئة الغادرة الماكرة .

«ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون» .

ببالغ الاسى والاسف . . والشعور المر بالحسارة... تلقينا نبأ قيام الطغمة المجرمة فى العراق بتنفيذ احكام الاعدام بصفوة من العلماء وطلاب العلوم الدينية والمثقفين الاسلاميين واسماؤهم كما يلي

١ ـ الشهيد الشيخ عارف البصرى من علماء بغداد .

٢ ـ الشهيد السيد عماد الطباطبائى «النجف الاشرف»

٣ ـ الشهيد السيد عز الدين القبانچى «النجف الاشرف» .

٤ ـ الشهيد السيد نورى طعمه «كربلاء المقدسة» .

٥ ـ الشهيد السيد حسين جلوخان «كربلاء المقدسة» .

هذا بالاضافة الى الحكم بالسجن على مجموعة اخرى من هؤلاء العلماء والطلاب فى الجامعة العلمية فى النجف الاشرف .

واننا اذ نستنكر هذه الجريمة الاستعمارية البشعة ونؤكد لمنفذيها بأنها لن تستطيع ان تقهر الارادة الاسلامية فى شعب العراق ، نود أن نؤكد على الحقائق التالية .

أ ـ ان الحزب الحاكم فى العراق لم يكن ليقوم بهذه الحملات التعسفيــة الا وفق تخطيط مريب من قوى الكفر . . وبمساعدة تامة من الحزب الشيوعــى العراقى الذى لاقى الامرين من امثال الشهداء الابرار .

ب ـ ان الاعلام الاسلامى اثبت فى هذه القضية اما قصوره عن الاحاطة بالاحداث الاسلامية الكبرى أو أنه مبتلى بمرض عضال قديم هو الدوران فى فلك المصالح.. والا فمامعنى هذا التجاهل المقيت لهذا الحادث المؤلم ؟ !

ان حادثة المطران كابوچى والحكم عليه بالسجن لمدة اثنى عشر عاماً والذى يتوقع أن يصدر العفو عنه قريباً قد اعتنى بها الاعلام العربى ايما اعتناء وتدخل الفاتيكان والقادة فيها هذا فى حين انه لم يذكر الاعلام الاسلامــى اى شيء عن الحادثة الفجيعة فــى العراق مجاملة وارضاء وحفاظاً على ما يسمى بـ(العلاقــات الطيبة) .

ج ـ اننا نطالب من كل القوى الاسلامية التدخل السريع لايقاف المجازر الوحشية والتعسف وأخيراً فانا نردد مع القرآن الكريم .

«وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين» .

وعلى ما ذكرناه فليس كل ما نزل من الله وحياً يلزم ان يكون من القرآن فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام ان مصحف علي - ع - كان مشتملا على زيادات تنزيلا او تأويلا . ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على ان تلك الزيادات هي من القرآن . وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر اسماء المنافقين في مصحف امير المؤمنين عليه السلام فان ذكر اسمائهم لابد وان يكون بعنوان التفسير .

ويدل علي ذلك ما تقدم من الادلة القاطعة على عدم سقوط شيء من القرآن اضف الى ذلك سيرة النبي - ص - مع المنافقين تأبى ذلك فان دأبه تأليف قلوبهم والاسرار بما يعلمه من نفاقهم، وهذا واضح لمن له ادنى اطلاع على سيرة النبي -ص- وحسن اخلاقه فكيف يمكن أن يذكر اسماءهم في القرآن ويأمرهم بلعن انفسهم، ويأمر سائر المسلمين بذلك ويحثهم عليه ليلا ونهاراً؟وهل يحتمل ذلك حتى ينظر في صحته وفساده او يتمسك في اثباته بما في بعض الروايات من وجود أسماء جملة من المنافقين في مصحف علي - ع -؟ وهل يقاس ذلك بذكر ابي لهب المعلن بشركه ومعاداته للنبي -ص- مع علم النبي بأنه يموت على شركه؟ نعم لا بعد في ذكر النبي -ص- اسماء المنافقين لبعض خواصه كأمير المؤمنين - ع - وغيره في مجالسه خاصة .

وحاصل ما تقدم : ان وجود الزيادات في مصحف علي - ع - وان كان صحيحا الا ان هذه الزيادات ليست من القرآن ، ومما امر رسول الله -ص- بتبليغه الى الامة فان الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل مضافاً الى انه باطل قطعاً ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الادلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن

ملاحظة

بعد الانتهاء من طبع المقال وصلنا العدد الجديد من مجلة «المجتمع» وفيه التفاتة لمقترحاتنا في هذا العدد وحصر للقضية في مجالها الخاص .

مكتب اسلام

الهادي

مجلة فكرية اسلامية جامعة

العدد السادس ـ السنة الثالثة

محرم الحرام ـ ١٣٩٥ ـ هجرية

الفهرس

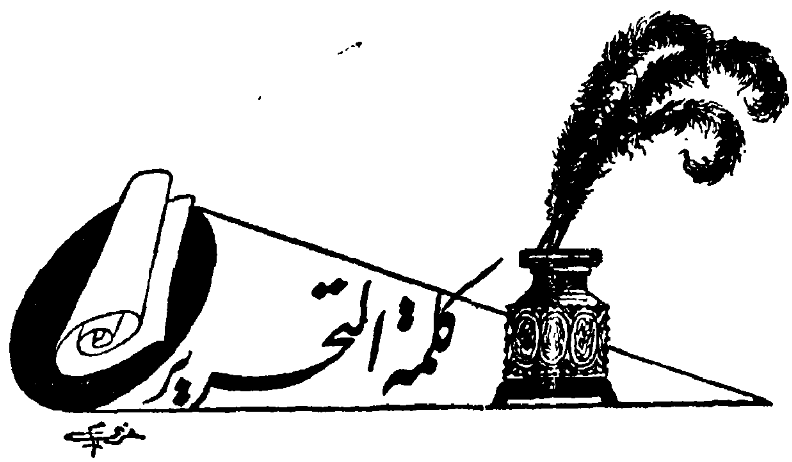
حكمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

«ولا تهنوا في ابتغاء القوم ، ان تكونوا تألمون ، فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليماً حكيماً»

القرآن الكريم

سوره النساء ـ ١٠٤



بين
الهجرة النبوية و النهضة الحسينية

خطوات المعصومين . . متحدة الجوهر بلا شك ، لانها تعبر عن واقع واحد ، ومترابطة لانها تشكل حلقات ومراحل لمسيرة واحدة ،الى هدف معين.

كل هذا مما لا ريب فيه للناظر الواعي الدقيق . . . ولكن الذي يؤكد هذا التناسق والاتحاد ، وجود اتحاد حتى في الشكل، والمعالم ، والحوادث الخارجية: بين بعض هذه الخطوات. . . مما لا يدع مجالا حتى للناظر السطحي ، لكي يشكك في وحدة المنطلق ،والمسير، والهدف.

هذا اولا واما ثانياً ـ وهو الاهم ـ فان نقاط الشبه الظاهرية الحاصلة بين هاتين الخطوتين ، أو هذه الخطوات تسهل علينا تشكيل الصورة الحقيقية لجوهر العملية بتقديمها مظهرين حيين متشابهين ، او

مظاهر متناسقة لها .

ونحن ازاء هاتين الخطوتين الرائعتين من خطوات القادة العظام (الهجرة النبوية والنهضة الحسينية) نلمح هذا التشابه في الظواهر ، فضلا عن وحدة الجوهر التي أكدتها الروايات الكثيرة المتواترة والتعبيرات الشريفة التي يكاد يكون اروعها ماورد عن النبي الكريم (ص) من قوله (ص) «حسين مني وأنا من حسين» (١)

فلنحاول استجلاء بعض هذه النقاط بما يتناسب والمجال الممنوح لنا في هذه الكلمة :

العقائدية والتضحوية

وتكاد هذه النقطة تشكل الظاهرة المشتركة الواضحة في كل خطوات الانبياء والاوصياء والمصلحين وباقي العقائديين . . . فهي روح كل دعوة عقائدية ، ووقودها المحرك . . وضمانة وصولها الى الهدف .

والقرآن الكريم يعرض لنا صوراً شتى للعقائدية الصامدة التي لاتأخذها في الحق لومة لائم ، ولا يمنعها عن الامتداد الى عروق الامة وجذورها تهديد او وعيد ، فهي مطمئنة الى النصر ، واثقة بعون السماء راضية برضا الله ، كما يعرض لنا صنوفاً من الحرمان والتشريد والقتل والعذاب الشديد الذي لاقاه الأنبياء والاولياء على مدى التاريخ .

والتاريخ يقدم لنا صوراً من العقائدية الصامدة ، والاطمئنان الى النصر ، والرضا بقضاء الله تعالى ، في كل مالابس قضيتي الهجرة الشريفة ، والنهضة المباركة ، كما يقدم لنا أنماطاً رائعة من التضحية وان اختلفت درجاتها في كلتا الخطوتين .

فالنبي العظيم يضحي بترك اهله ، ووطنه وترك ابن عمه العظيم على فراشه بكل مافي ذلك من خطر جسيم ليخرج من مكة مترقباً متحملا الالام والمصاعب والمشاق . .

والحسين الشهيد ايضاً يضحي بكل مالديه من غال ورخيص في سبيل قضيته وبشكل لم يسبق له مثيل في دنيا التضحيات .

وتتجلى صور العقائدية المضحية في اقوال النبي الاكرم ، التي كان يؤكد فيها انتصاره وعون الله له خلال مراحل الهجرة المختلفة تماماً كما تتجلى في

---

(١) ينابيع المودة ص ١٦٤ .

الكلمات الرائعة التي كانت تنطلق من شفاه حسين الشهاده في أحرج اللحظات اذ كان نشيده «رضاً بقضائك لامعبود سواك» وفي لحظة يفقد فيها أصغر ماالديه من ولد يقول « اللهم ان كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى» .

ونحن ندعو القراء الكرام هنا ليستجلوا مواطن هذا المعنى الرائع في كل خطوة من خطوات الهجرة والنهضة عندما يدرسونهما بامعان.

الهزيمة المنتصرة :

والخطوتان كلتاهما كانتا تبدوان للناظر القصير النظر ، هزيمتين سواء في ذلك فرار المسلمين من مكة ولجوؤهم الى المدينة ، او قتل الحسين وولده وصحبه ولكن التاريخ بعد ذلك اثبت لهما مالم يكن بحسبان اولئك الناظرين السطحيين.

فقد كانت الهجرة الشريفة فاتحة عهد جديد من عهود الاسلام ، نقلت الدعوة الاسلامية من مرحلة تربية الفرد المسلم او المجموعة المسلمة الصغيرة الى مرحلة بناء المجتمع المسلم والتخطيط لنشر الاسلام في ربوع الجزيرة العربية ومن ثم الانفتاح على ارجاء العالم كله، مما مهد السبيل للقضاء على الجاهلية بمستواها العربي والعالمي بعد ذلك، وشل قواها عن التحرك .

وكذلك كانت نهضة الحسين (ع) بداية عهد جديد وفرقاناً بين عصرين وحالتين متناقضتين للامة تجاه رسالتها :

اذ انها أعادت للامة حسها العميق بمسؤوليتها تجاه رسالتها ، ومصيرها بعد عمل الامويون - جهدهم - في سبيل اماتة ذلك الحس وافناء ذلك الوجود المحاسب للامة امام الحكم .

ان الأمة قبل النهضة كادت تموت انسانياً واسلامياً على يد معاوية و يزيد ولكن النهضة بعثت في دمائها العروق بما قدمته من عقائدية فذة وتضحوية لامثيل لها .. اهتزلهما ضميرها وشبت نيران الوعي فيها..وكانت النتيجة تلك الثورات الصامدة وانماط الرفض العميم للامويين ومخططاتهم الجاهلية الجهنمية في القضاء على منابع الوعي ... وتحطمت دولة بني امية ومن بعدهم هوت دولة بني مروان .

وبقيت الهجرة النبوة نبراساً للتحرك في سبيل بناء المجتمع الاسلامي وبقيت النهضة الحسينية نبراساً كذلك في سبيل اعادة بنائه من جديد .

موقف الجاهلية هو نفسه تجاه الخطوتين وفي كل عصر .

اما لماذا كان موقف الجاهلية كذلك فهو نابع من وحده العوامل المحركةوقصر النظر على المصالح الدنيوية الضيقة والعمى عمادونها .

اننا لو درسنا دوافع الجاهلية في وقوفها بوجه الرسول الأكرم،لمااستطعنا انتتعدى دافع المصالح الرخيصةفي اغلب الاحيان،والعنادوالتعصب في احيان اخرى. وهذه الدوافع نفسها تتجلى تماماً في تصرفات الامويين تجاه مدرسة الامام امير المؤمنين واولاده(ع) . . ان الجاهلية القرشيةعملت ماشاءت لها قوتها ان تعمل في سبيل اضطهاد الشخصية المسلمة وافناء الروح الاسلامية التي كانت تصحب الاجسام العذبة تحت هجير الشمس ، ولكنها لم تجد للقضاء عليها سبيلا اذانتهت عملية التعذيب بالهجرة لينفتح الدرب للزحف الاسلامي الصاعد ، وهكذا الجاهلية الاموية عملت ماشاءت لها ظروفها ان تعمل في تشريد المؤمنين الواعين وقتلهم والتضييق على اتباعهم، كل ذلك لتقضي على الشخصية الاسلامية الصافية التي كان يمثلها اولاد ومن اتباع الامام(ع) ولكنها لم تجد للقضاء عليها سبيلا، اذ ما ان بلغ السيل الزبى واشتد اوار النار وقتل الحسين (ع) واصحابه في تلك الصور الفجيعة التي بقيت تلطخ تاريخ الجاهلية الاموية بالعار والخزى حتى تعاظمت حركة الوعي ، ودخلت الأمة الاسلامية مرحلة تضحوية رائعة ، وتفجرت في اعماقها اشواق الرجوع الى الواقع الذى أراده الاسلام لها .

ونحن اذا كنا نؤكد على ان الجاهلية كانت تحارب الروح والشخصية الاسلامية التي تقترن مع الأجساد المعذبة، فانا نقصد تماماً مانقول وآية ذلك: ان الجاهليين سواء كانوا في مكة او في الشام ما كانوا ليمنعوا محمداً (ص) او الحسين (ع) من اى مقام باذخ او لذة دنيوية رخيصة يطلبانهما، أنى ذلك ؟ وهم انفسهم جاءوا اليه(ص) بكل النعم التي بلغها تصورهم وتطلبها واقعهم آنذاك وقدموها اليه (ص)، اي جاءوا اليه لكن يضحي بشخصيته، وروحه لينعم جسده ، وكذلك الامويون فما كانوا بمعترضين للحسين (ع) او ما معه شيئاً من نعيم الدنيا ، لو باعهم شخصيته ولكنه

سار على درب جده العظيم وتأسى بـه (ص) اذ يقول لابي طالب (ع) «ياعـم والله لووضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ماتركته (١) .

ليقول ابو عبد الله الحسين (ع) قولته المشهورة «والله لااعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا افر فرار العبيد» ويقول (ع) متحدثا عن الخيار المعطى له «قد ركز بين اثنتين : بين السلة والذلـة وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسـولـه والمؤمنون وحجور طابت وطهـرت وانوف حمية ، ونفوس أبية من ان نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» ويقول (ع) «واني لم اخرج اشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً . .. فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن رد علي اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين» .

واخيراً فلنستمع الى سبط رسول الله يؤكد ذلك الترابط بين موقفه وموقف جده رسول الله (ص) وذلك في وصيته لاخته الحوراء زينب (ع) اذ يقـول لها ليلة قتله «يااختاه اتقي الله وتعزي بعـزاء الله واعلمي ان اهل الارض يموتون واهل السماء لايبقون ، وان كل شيء هالك الا وجهه تعالى . . . ولي ولكل مسلم برسول الله (ص) اسوة» (٢) . . .

. . . مع موقفنا الحاضر

ونحن اذ نحاول تلمس مساقط تلك الاشعاعات الرائعة في حنايـا مجتمعنا الحاضر . .وواقعنا المعاصر .. ليأخذنا الخجل..وينصبب الجبين عرقاً لما نراه من فراغ موحش..وبعد عن المعاني الاسلامية الرفيعة التي تمنحنا اياها هذه الذكريات. ان تلك الصور التضحوية والمـواقف العقائدية الصلدة ، والتخطيـط الدقيـق الذي يتجاوز حدوده القائمة... انها كلها تكاد تشكل ضروبـاً من الخيال في ذهنية المسلم المعاصر...فهو يتصور انه اليوم لايقدر مطلقاً على التأسي بها وخلق نماذج ولو مصغرة لها وبالتالي فهو يعيش التحلل من التبعات . . ويغفو على اصداء تلك الامجاد . . . مكتفياً بالقضايا الشرطية

---

(١) حياة محمد (ص) ص ١٠٩ .

(٢) بحار الانوار ج ١٠ ص ١٩٢ .

وجمل التمني والترجي ــ كما يقال ــ فهو يردد دائماً «لو كنا معهم ، وياليتنا عشنا في خضم مواقعهم ومواقفهم .. لكنا ولكنا كذا وكذا ! !» وعندمايجابه المسلمون بهذا التساؤل :

اليست الجاهلية الفكرية والعمليـة اليوم تمتلك قوى أعتى او أشـرس ، وجبهات اكثر ، ومخططات جهنمية أبعد أفقاً . .. ومظاهر أخطبوطية أكثر امتداداً؟ ألسنا نمتلك قوى جبارة يمكن تسخيرها؟ وأليست سوح الجهاد اليوم تدعو باعلى مالديها من صوت الى الاعداد والاستعداد لصالح القضية ؟ وقبل كل شيء اليسـت هذه الايات البينات والنذر الاجتمـاعية تدعونا الى محاسبة انفسنا والبدء بها .. وتتبع مظان انحرافهـا . . والتخطيـط لاصلاحها . ؟؟!

اليست ، اليست ؟ !... عندمايجابهون هذه التساؤلات لايحارون جواباً!!

..اننـا والله يشهد .. قد مللنا لغـة الوعود الفارهة .. والرنانة والمؤتمرات التي تخاف حتى من ان تعبر عن مقرراتها بغير لفظة «توصيات» .. ولعل لهاعذرها اذا كانت تصدر من اشخاص لايمتلكون أزمة السلطة والتنفيذ بل وحتى الضغط الاجتماعي على المسؤولين ..ولكن مابال من هم في قمة المسؤولية ولديهم امكانات العودة الى تربية الجيل العقائدي المضحي الواعي المخطط؟!

.. اللهم انا نضرع اليك ان تهـدي المسلمين جميعاً نحو العمل على اعادة روح الاسلام الى واقع حياتهم اللهم انا نعوذ بك من ان نقول ما لا نفعل وانت القائل «كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون»

(هيئة التحرير)

حروف مضيئة

ان الله تعالى يحب الشاب التائب .

الرسول الاعظم (ص)

الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها .

الامام امير المؤمنين (ع)

وكيف بكم ، وأنى تؤفكون ، وكتاب الله بين أظهركم ، اموره ظاهرة واحكامه زاهرة ، واعلامه باهرة ، وزواجره لايحة واوامره واضحة ؟ !

فاطمة الزهراء (ع)

تجهل النعم ما أقامت فاذا ولت عرفت .

الامام الحسن (ع)

الصديق عز ، والكذب عجز ، والسر أمانة ، والجوار قرابة والمعونة صدقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة والصمت زين ، والشح فقر ، والسخاء غنى ، والرفق لب .

الامام الحسين (ع)

كم من مفتون بحسن القول فيه ، وكم من مغرور بحسن الستر عليه ، وكم من مستدرج بالاحسان اليه .

الامام زين العابدين (ع)

وان اسرع الخير ثواباً :البر والعدل ،واسرع الشر عقوبة البغي.

الامام الباقر (ع)

من ايقظ فتنة فهو اكلها .

الامام الصادق (ع)

اياك ان تمنع في طاعة الله ، فتنفق مثلية في معصية الله .

الامام الكاظم (ع)

احسن الناس معاشاً : من حسن معاش غيره في معاشه .

الامام الرضا (ع)

ومن انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة، والعاقبة المتعبة .

الامام الجواد (ع)

والعجب صارف عن طلب العلم ، داع الى الغمط والجهل .

الامام الهادى (ع)

خير من الحياة ماإذا فقدته الحياة بغضت الحياة ،وشر من الموت ماإذا نزل بك احببت الموت .

الامام العسكرى (ع)

أوما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون اليها ، واعلاماً تهتدون من لدن آدم (ع) الى أن ظهر الماضي (ع) كلما غاب علم بدا علم ، واذا أفل نجم طلع نجم .

الامام المهدى (ع)

ملحمة البطولة والفداء

السيد عبد الله الغريفي

بين حنايا التاريخ ، وعند منعطفاته تشرق وجوه كثيرة . . . الا أنها اشراقات تومض قليلا ، ثم يلفها الزمن بين مطاويه ، فتتوارى تحت أركمة التاريخ ، وتختفي وراء حجب الفناء ، وتدخل عوالم الخفاء والضمور والنسيان . . .

ومن الوجوه المشرقة ماتتحدى عوامل الفناء ، وتعبر عمر الزمن ، لتقف على قمة الخلود وقمة السمو ، وقمة العظمة . . .

وأمام هذا الشموخ تتمزق الستر والحجب ، وتتوارى عوامل الضمور ، ويبقى دفق الاشراق يومض في أفق الوجود ، يمنح الحياة فيضاً ونوراً وعطاء . . .

ولكن . . . قلة هم أولئك الذين يتسنمون قمم الخلود والسمو والعظمة . قلة - في عمر الحياة - هم أولئك الذين ينفصلون عن أطر الزمان والمكان ، ليكونوا ملكاً للحياة والانسان ؛ الحياة عبر امتدادها الطويل ، والانسان عبر وجوده الممتد...

اولئك القلة هم عظماء الحياة ، وابطال الانسانية ، ولذلك تبقى مسيرة الحياة ، ومسيرة الانسان ، مشدودة الخطى نحوهم . . .

وما أروع الشموخ والسمو والعظمة ، اذا كان شموخاً وسمواً وعظمة ، صنعها ايمان بالله ، وصاغتها عقيدة السماء . من هنا كان الخلود حقيقة حية لرسالات السماء ، ولرسل السماء ، ورجالات المبدأ والعقيدة . . .

وفي دنيا الاسلام ، تاريخ مشرق نابض بالخلود . . .

وفي دنيا الاسلام، قمم من رجال صنعوا العظمة في تاريخ الانسانية، وسكبوا النور في دروب البشرية.

واذا كان للتاريخ ان يقف وقفة اجلال أمام أروع امثولة للشموخ . . .

واذا كان للدنيا أن تكبر لاروع تضحية سجلها تاريخ الفداء . . .

واذا كان للانسانية أن تنحني في خشوع أمام أروع امثولة للبطولة . . .

فشموخ الحسين، وتضحية الحسين، وبطولة الحسين، أروع أمثلة شهدها تاريخ الشموخ والتضحيات، والبطولات . . .

الحسين بن علي (ع) قمة من قمم الانسانية الشامخة، وعملاق من عمالقة البطولة والفداء . . .

فالفكر يتعثر وينهزم، واليراع يتلكأ ويقف، أمام انسان فذ كبير كالامام الحسين . . . وامام وجود هائل من التألق والاشراق، كوجود الحسين . . .

وأمام ايمان حي نابض، كايمان الحسين . . . وأمام سمو شامخ عملاق كسمو الحسين . . . وامام حياة زاخرة بالفيض والعطاء كحياة الحسين . . .

اننا لايمكن أن نلج آفاق العظمة عند الامام الحسين (ع) الا بمقدار ما نملك من بعد في التصور، وانكشاف في الرؤية، وسمو في الروح والذات . .

فكلما تصاعدت هذه الابعاد، واتسعت هذه الاطر، كلما كان الانفتاح على أفاق العظمة في حياة الامام الحسين «ع»، أكثر وضوحاً، وأبعد عمقاً . . .

فلا يمكن أن نعيش العطاء الحي لفيوضات الحسين، ولا يمكن أن تغمرنا العبقات الندية، والاشذاء الروية، لنسمات الحياة تنساب من افق الحسين . . . ولا يمكن أن تجللنا اشراقات الطهر، تنسكب من أقباس الحسين . . . الا اذا حطمت عقولنا أسوار الانغلاق على النفس، وانفلتت من أسر الرؤى الضيقة، وتسامت أرواحنا الى عوالم النبل والفضيلة، وتعالت على الحياة المثقلة بأوضار الفهم المادي الزائف . . .

فيامن يريد فهم الحسين «ع» . . . ويامن يريد عطاء الحسين . . .

ويامن يتعشق نور الحسين . . . ويامن يهيم بعلياء الحسين . . . افتحوا أمام عقولكم مسارب الانطلاق الى دنيا الحسين . . . اكسحوا من حياتكم اركمة العفن والزيف . . . حرروا أرواحكم من ثقل التيه في الدروب المعتمة . . .

عند ذاك تنفتح دنيا الحسين «ع» ، وعند ذلك تتجلى الرؤية ، وتسمو النظرة ، ويفيض العطاء . . .فأعظم بها انسان . . .جده محمد سيد المرسلين ، وأبوه علي بطل الاسلام الخالد ، وأمه الزهراء فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأخوه السبط الحسن ريحانة الرسول . . .نسب مشرق وضاء ، بيت زكي طهور . . .

«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا . . .»

في أفياء هذا البيت العابق بالطهر والقداسة ، ولد سبط محمد . . .وفي ظلاله شب ونما وليد علي وفاطمة ، فارتوى من منبع روي نمير . . . وأنسكبت في روحه اشراقة الطهر من مقبس الوحي . . . وتمازجت في نفسه روافد الفيض والاشراق.. تلك هي بداية حياة السبط الحسين «ع» . أعظم بها من بداية صنعتها يد محمد وعلي وفاطمة ...وأعظم به من وليد . . . غذاه فيض محمد «ص» . . . وروى نفسه ايمان علي «ع» . . . وصاغ روحه حنو فاطمة «ع» . . . وهكذا كانت بواكير العظمة تجد طريقها الى حياة الوليد الطاهر ، وهكذا ترتسم درب الخلود في حياة السبط الحسين «ع» .

فكانت حياته عليه السلام زاخرة بالفيض والعطاء ، وكانت حياته شعلة فرشت النور في درب الحياة ، وشحنة غرست الدفق في قلب الوجود . . .

فما أروعه من عطاء ، وما أبدعه من فيض . . . عطاء من فيضه كان لنا وجود... وفيض من عطائه كانت لنا حياة . . .

وكانت تضحيته عليه السلام ذروة الفيض والعطاء . . . فيوم في دنيا البطولات خالد . . . ذاك يوم الحسين «ع» ويوم في دنيا الاحزان خالد...ذاك يوم الطفوف...

وما عسى الفكر الا ان يتعثر ، وما عسى الحرف الا ان يذوي أمام روعة الشموخ ، وعظمة البطولة ، وعمق الجرح..شموخ الارادة تهز عروشاً شادها طغيان الباطل . . . وبطولة الصمود تتحدى جحافل البغي قادها عمه الضلال . . .وجرح المصاب غرسته في الفؤاد يد لوثها العار . . . ولن ترقأ الدمعة ، مادامت الذكرى

تلامس القلوب . . . انه يوم رسمت حروفه دماه فكان أمثولة الفداء ... يوم أشرقت شمسه لتروي ملحمة البطولة ، ومأساة الضمير ، أشرقت شمسه لتحتضن ضحايا روت من نحورها أرض الطفوف ، ولتلامس بدفئها نجوماً تهاوت في بحور من دماء . . وغربت شمسه لتواري وجوهاً هتكت سترها أصابع الاثم ، ولتحجب دموعاً تحجرت في مآقي بنات الرسالة ، ولتلف نفوساً تسعرت في حناياها ضوارم الاحزان . . . ومد الليل سدوله ، وكان في سكونه رهيباً ، وفي هدوئه كئيباً . . .

ولكن نيران الحقد ماتركت لليل سكونه وهدوءه ، وماتركت ريحانة الزهراء تكفكف بيدها الرحيمة دمعة حجرها المصاب في مقلة طفلة ، وتمسح بحنان رأساً ليتيمة روعها الخطب ، وترعى عليلا كابد الآلام . . . انها مأساة التاريخ ، تكاثفت عوامل الضلال على مر الزمن ، فبلغت ذروتها يوم كربلاء ، وكان ضحيتها بنو الزهراء .. امتزجت دماؤهم الطاهرة ، فصنعت بداية تاريخ أمة صبغت حياتها دماء الحسين (ع) كان الحسين (ع) أعظم قربان نشهده مذابح الفضيلة ، روعة في التضحية وسخاء في العطاء . . . تضحية علمتنا العطاء ، والارادة ، والصمود .... عطاء يسترخص الروح والدم من اجل المبدأ والقيم والشرف . . . وارادة ترفض الخنوع والمساومة . . وصمود يتحدى بطش الطغاة . . تضحية خطت لنا درب الجهاد ، فكان طريقاً ملؤه الدم الهدار يهز عروش الظالمين . . . . ويشهد عزمة الثائرين . . .

دم جرى على رمال كربلاء ، فكان نبضاً دافقا ، يملأ قلب الزمن . وروحاً نقية تنسكب في عروق الحياة . . . وقبساً مشرقاً في كل ضمير . . . والسؤال الاخير

هل نحن اليوم نعيش عطاء الحسين «ع» . . . ؟

هل نحن أمة تحس وتتألم وتتحرك . . . . . ؟

هل نحن امة تسترخص الدم والروح من اجل المبدأ والقيم والشرف ؟

هل نحن أمة تملك ارادة ترفض الخنوع والمساومة . . . . . ؟

ان كنا كذلك . . . . . فنحن نسير في درب الحسين «ع» . . . .

تنبيـــه !

الـى مجــلة «البعث الاسـلامي» الهنـدية

. . . طالعتنا مجلة «البعث الاسلامي» في عدديها الرابع والخامس من المجلد التاسع عشر بمقال مغرض مفرق يترجم فيه السيد سعيد الندوي مقالا للسيد ابي الحسن الندوي حاول فيه ان يلخص كتاباً كان من نتاج عصر النزاعات الداخلية وعدم اطلاع المسلمين على واقع بعضهم البعض . . .

. . ونحن اذ نذكر الاخوة هناك . . . بان مثل هذا المعنى . . وفي هذا الظرف بالذات سيجر الى نتائج لا تحمد عقباها وتلهي المسلمين عن واجبهم الاصيل، نود ان نطلب اليهم منع نشر امثال هذه المقالات . . والا فهل يحسن بنا نحن ان ننشر تلخيصاً للكتاب الذي نقض ذلك الكتاب ! . . .

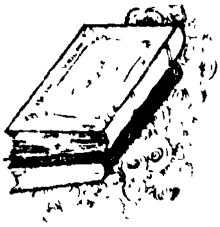
. . . ان البعث الاسلامي الجديد ـ الذي تدعون اليه ـ يجب ان يلزمكـم للدعوة الى الوحدة الاسلامية ويدعوكم الى تقييم الموقف من جديد . . .

وفي انتـظار الاعداد القادمة نود أن نعلن باننا على استعداد كامل لكي نلتقي معكم على صفحات مجلتنا هذه وباقي منشورات دار التبليغ الاسلامي .

ولكن فهل انتهت كل مشاكلنا حتى عدنا نطرح القضايا العقائدية التـي دار حولها النزاع قروناً ، على صفحات مقال قصير .

اننا نذكر المشرفين على المجلة عواقب هذا الامر ونردد مع القرآن الكريم قوله تعالى : «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» .

والى اللقاء



الدنيا المذمومة

في القرآن ونهج البلاغة

الشيخ مرتضى المطهري

أتينا فيما سبق بشواهد من (نهج البلاغة) تدلنا على وجهة نظر الامام عليه السلام الى هذه الحياة الدنيا (١) وقلنا : ان وجهة نظره السلبي الى هذه الحياة الدنيا ـ التي هي بالذات وجهة نظر الاسلام ايضاً ـ انما هي على أساس ان (يتعلق) بها قلب الانسان المسلم حتى يصبح أسيراً لها ولمن في يده شيء منها ، ولا تتعدى هذه النظرة السلبية الى الحياة الدنيا من هذا الاطار الى حياة الانسان فيها حتى ولو كانت حرة كريمة هادفة واعية. وقلنا ان الذي يحاربه الامام والاسلام في تعاليمه وارشاداته حرباً لاهوادة فيها هو أن يجعل المرء هذه الحياة الدنيا هدفاً وغاية ، لاطريقاً ووسيلة .

وذلك حيث أن علاقة الانسان المسلم بهذه الحياة لو اصبحت بصورة يكون معها الانسان طفيلياً على الحياة تابعاً لها ولمن في يده شيء منها ، أصبحت الحياة له اذن موتاً وسموماً ، وحطمت كل ماوى نفسه من المثل الانسانية العالية . وان قيمة كل امرء بهدفه في الحياة ، فلو لم يكن للمرء في هذه الحياة أي هدف سوى ملء بطنه وكانت مساعيه كلها ، تنحصر في اطار هذه الحدود الضيقة ، اذن فلاقيمة له سوى مايسعى له ، الا وهو مايخرج من بطنه كما يقول علي عليه السلام : (من

---

(١) من الخطب ـ ٢٨ ـ ١٥٨ ـ ٢٠١ ـ ٢٢١ ـ ٢٢٢ ـ ومن الحكم ـ ٤٥ ـ ١٠٣ ١٣١ ـ ١٣٣ ـ ١٨٠ ـ ونأتي هنا بمقاطع من الخطبة ـ ٢٢ ـ ووصيته الى ولده الحسن (ع)

كانت همته مايدخل في جوفه ، كانت قيمته مايخرج من بطنه) !

فالكلام اذن كله حول كيفية علاقة الانسان بهذه الحياة ، كيف يجب أن تكون وعلى أي شكل ينبغي أن يكون ؟ هناك صورة لايكون فيها الانسان في هذه الحياة من حيث هدفه ومرماه في (اسفل السافلين) ـ كمايقول القرآن ـ ويصبح فيها الانسان أخس موجود فى هذه الحياة : (اولئك كالانعام بل هم أظل سبيلا) ، وتتحطم فيها جميع قيمه ومثله الانسانية العالية ، ويخرج منها بصورة حيوانية منكوسة ! وهناك صورة أخرى لهذه العلاقة ، على العكس تماماً من الصورة السابقة ، أي بـدل أن يضحي فيها بالانسانية فى سبيل الحياة تنحر ههنا الدنياوما فيها أمام الانسان! ويصبح كل مافيها فى سبيل خدمة المصالح العالية للانسان ، ويكون كما فى الحديث القدسي الشريف : (يابن آدم خلقت الاشياء لاجلك ، وخلقتك لاجلي) .

نعم قد أتينا فيما سبق بشواهد من (نهج البلاغة) على ذلك ، وهنا الان أيضاً نأتي بشواهد من (القرآن) و (نهج البلاغة) فنقول :

تنقسم الايات القرآنية الكريمة التي تتعلق بعلاقة الانسان والحياة الى قسمين:

القسم الاول : آيات تدل على فناء الدنيا وزوالها ، وعدم ثباتها وبقائها ، وتغيرها وتنكرها ، وانتقالها بأهلها حالا بعد حال : (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً) (١٨/٤٤) (واعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتـراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفى الاخرة عذاب شديد) «الحديد ٢٠» (فمن البديهي ان الانسان فى حياته المادية ـ اراد أم لم يرد ـ ليس بأكثر من النباتات التي ينتظرها هذا المصير المحتوم اذن فلو اراد ان يكون واقعياً فى نظرته الى الحياة لاشاعراً خيالياً...وكان الانسان ينال سعادته بالواقعية لا بالاوهام والخيالات .. فلابد له من ان يجعل هـذه الحقيقة نصب عينيه ، من غير ان يغفل عنها أبداً .

ان هذا القسم من الايات القرآنية هو في الحقيقة مقدمة تمهيدية ، بل صغرى

وكبرى قياس واحد لنتيجة تالية في القسم الثاني من الايات ، وتحاول هذه الطائفة الاولى من الايات أن تخرج الحياة الدنيامن تصويرها هدفاً وغاية للانسان في الحياة وان تشير الى الانسان أن هذه الحياة الزائفة الزائلة لاينبغي أن تكون هدفاً للانسان وغاية له ، ولو كانت هي الهدف لكانت الحياة كلها فارغة جوفاء ، ولكن هناك من بعد هذه الحياة حياة اخرى دائمة باقية خالدة ، هي عالم الاخرة .

والقسم الثاني من الايات : يسلط الاضواء واضحه صريحة على مشكلة علاقة الانسان بهذه الحياة ، بما نرى فيها صريحاً ان الذي يحكم الاسلام عليه بأن لايكون: هو أن يتعلق الانسان بهذه الحياة تعلق أسر وذلة ، ورضاية وقناعة وهذه هي الايات :

١ ـ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) (١٨/ ٤٥) فهذه الاية الكريمة بينما هي تنتقد المال والبنين بانها ليست باكثر من زينة في الحياة الدنيا ، تجعل مكانها الامل الوحيد للانسان في هذه الحياة وهي الباقيات الصالحات وانها (خير ثواباً وخير أملا) أي أحرى ان تكون هي الامل ، لا الزينة .

٢ ـ (ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) (يونس ١٠) وهذه الاية ايضاً انما تنتقد ان يرضى الانسان بالحياة الدنيا ويطمئن اليها ويغفل عن آيات الله ولا يرجو لقاء الله تعالى ، فأما أن لايغفل عن آيات الله ويرجو لقاء الله فلا بأس .

٣ ـ (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) (النجم ٢٩) وهذه الاية الكريمة أيضاً انما تنتقد من يتولى عن ذكر الله ولم يرد الا الحياة الدنيا ، وأما من لم يتول عن ذكر الله تعالى وأراد الاخرة وسعى لها سعيها فلا بأس .

٤ ـ (...وفرحوا بالحياة الدنيا.وما الحيوة الدنيا في الاخرة الاقليل) (الرعد ١٢) وهذه الاية الكريمة ايضاً انما تنتقد الذين يفرحون بهذه الحياة الدنيا ولا يكنون للاخرة أي حزن او فرح ، بل لا يعدون للاخرة أي اعداد ، لانهم لايعدونها في الحياة

الدنيا الا قليلا . فأما من لا يعد الحياة الدنيا فى الاخرة الاقليلا، ولايعدحياة الدنيا الا قليلا ، بل انما يكن فرحته ، ويعد عدته ويسعى سعيه للاخرة ، فلا بأس .

٥ - (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاحرة هم غافلون) (الروم٣٠) وهذه الاية الكريمة أيضاً انما تنتقد الذين يعلمون ظاهراً من الحياة ، ثم يغفلون بها عن الأخرة فلا يعلمون عنها أي شيء أما من يعلم الحياة الاخرة علماً قطعياً واقعياً، جزمياً يقيناً ، وكذلك يعلم الحياة الدنيا ظاهراً وواقعاً ، على وعي ويقظه وشعور فلا بأس .

في جميع هذه الايات نرى ان الذى حكم عليه بالنفي والتفنيد وان لا يكون هو : أن تصبح الدنيا أمل الانسان الذي يرضاه ، وزاده الذى يقتنع به ،وطمأنينته التي يفرح بها . فان هكذا علاقة منالانسان بالحياة هي التيبدلا منأنتجعل الحياة في خدمة الانسان تجعل الانسان في خدمة الحياة ، وضحية ساقطة في مهادينها .

هذه هي نظرية القرآن الكريم في علاقة الانسان بهذه الحياة .

وكذلك نرى الامام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلامفي (نهج البلاغة)يتبع نفس هذا الاسلوب القرآني البليغ فى التحذير من الدنيا المذمومة ، فنرى كلماته عليه السلام فيه تنقسم الى نفس هذين القسمين: قسم شرحفيهالامامفناء الدنياوزوالها وتغيرها وانتقالها ، بأوصاف دقيقة وتشبيهات وكنايات واستعارات بليغة، وفىالقسم الثانييستنتج الامام عليه السلام نفس النتيجة القرآنية .

ففي الخطبة (٣٢) يقسم الناس الى قسمين أبناء الدنيا ، وابناء الاخرة ، ثم يرجع الى أبناء الدنيا فيصنفهم على أربعة أصناف يقول عليه السلام : (فالناسعلى اربعة أصناف :

أ - منهم من لايمنعه الفساد الا مهانة نفسه ، وكلالة حده ، ونضيض وفره .

ب ومنهم المصلت سيفه والمعلن بشره ، والمجلب بخيله ورجله ، قد أشرط نفسه ، واوبق دينه ، لحطام ينتهزه ، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه .

ج - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ، ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا،قد

طامن من شخصه ، وقارب من حطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف من نفسه للامانة، واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية .

د ـ ومنهم من اقعده عن طلب الملك صئولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرته الحال عن حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس اهل الزهادة ، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى) .

فالامام أمير المؤمنين عليه الصلوة والسلام يعد هؤلاء الاصناف الاربعة على رغم اختلاف وجهات نظرهم الى الحياة : فرقة واحدة : من أهل الدنيا ، لماذا؟ لانهم يشتركون في جهة واحدة وهي ما عبر عنها فقال : (ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً وعما لك عند الله عوضاً) ! !

فالمسألة اذن مسألة تضحية الانسانية في سبيل خدمة الدنيا أو العكس ؟ كتب أمير المؤمنين عليه السلام فى وصية الى ولده الحسن عليه السلام يقول: (اكرم نفسك من كل دنية ، فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك ثمناً) .

ويتضح لنا من هذا النظر الدقيق فى القرآن ونهج البلاغة: أن الاسلام لم يبخس من قيمة الحياة شيئاً بل انما استهدف من ذلك احياء القيم والمثل الانسانية السامية وان تكون الحياة في خدمة الانسان ، لا الانسان فى خدمة الحياة ، وبالتالى ماأراده الله تعالى فى القرآن بقوله : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

نظرات نفسيّة

في القرآن والحديث

ترجمة :

الدكتور السيد مهدى صانعى -١- الشيخ هادى الموسفى

المنافقون

من اصول علم النفس الحديث : أصل «الدفاع النفسي» أو«رد الفعل النفسى» والذي يجد له تطبيقات مختلفة:منهامانراه من «محاولة تغطية القلق النفسي» ويقصد بها : محاولة نسبة افكارنا وأعمالنا الى غيرنالغاية ـ التغطية على أنفسنا ، وهومـن نوع مقايسة النفس بالاخرين والتي تأتي عن طريق «اللاشعور» للتغطية على عيوب النفس ونقصانها في عالم «الشعور» وذلك اما بالباس الغير لباس انفسنا لحفظحرمتنا أو بتنقيص مافي غيرنا من الصفات الحسنة والمقامات الفاضلة والكمالات المحترمة لالحاقهم بانفسنا اذ لم نستطع ان نلحق بهم .

وهكذا يتكلم القرآن الكريم عن المنافقين فى المدينة اذ يقول :

(واذا قيل لهم : لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ، ولكن لايشعرون) (١) .

فالملاحظ فى هذه الاية : ان المنافقين لايحسبون أنفسهم مفسدين ،بل يدعون أنهم مصلحون . وهم فىذلك يقذفون غيرهم بالفساد ، محاولة للتغطية علىانفسهم

وأيضاًمن الغرائز التي يبحث حولهاعلماءالنفس: غريزة«حب الذات»ومن فروعها «اثبات الوجود» أو : «اثبات الشخصية» أو «غريزة السيادة» .وتتجلى هذهالغريزة

(١) ٢/ ١١-١٢ ـالقرآن الكريم .

فى ظاهرة : «حب العلو والغلبة» أو : «حب الرياسة والسلطة» .

ويعتقد بعض علماء النفس : انالطريقة المرسومة لحياة الشخصية عندكلفرد انما هي منوطة ومربوطة بمدى الفرص الحياتية المتاحة لظهور شخصيته في حياته العامة .

ومن فروع هذه المحاولاتحب التظاهر بالجميل وستر القبيح ، والمواظبة على النواحي الناقصة في النفس كي لاتبدو وتفضحهم لدى الناس ، فهم يحاولون أن ينسبوا الى أنفسهم أعمالا تثبت للناس كيانهم الاجتماعى ، ويتنكرون بشدة لكل ما يتنافى وشخصيتهم الاجتماعية .

وقد كشف القرآن عن هذا السر النفساني في المنافقين اذ قال : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انكارسول الله ،والله يعلمانك لرسوله، والله يشهدانالمنافقين لكاذبون) (١) .

فان الملاحظ في هذه الاية الكريمة : ان المنافقين يحاولون بشتى الطرق والاساليب الكلامية أن يتظاهروا لرسولالله صلى الله عليه وآله وسلم بالايمان به وبرسالته . فكلمة (نشهد) ـ كما يقول بعض المفسرين ـ جارية مجرى القسم،و(ان) اداة تأكيد فى صدرجملةجواب القسم ، و (اللام) على خبر ان للتأكيدوجملة (انك لرسول الله) جملة اسمية تدل على الدوام والاستمرار .

هذه جملة من التأكيدات الكلامية ، يحكيها الله تعالى فى قرآنه على لسان المنافقين ، مشعراً بأنهم انما كانوا يحاولون تاكيد كلامهم هذا بمختلف اساليب التاكيد فى الكلام ، لانهم كانوايحسون فى قرارة أنفسهم بالنقص فى نفس هذه الناحية العقائدية فيهم ،ولذلك فانهمكانوا يحاولونبهذا التأكيد الشديدأنيتظاهروا بالايمان بالله ، ليستروا بذلك على أنفسهم .

وايضاً : يعلم الجميع أنهم حينما يتأثرون بأية اثارة تعرض عليهم تغييرات جسمانية مختلفة ونحنحينما نريدان نستجلي التأثر النفسي في الافراد لنفرق بعضها

---

(١) سورة «المنافقون» -١- .

عن بعض ، فانا ندرك منها (الرضا) و (الغضب) بسرعة . وبكلمة اخرى ان من المسلم به ان مايرتبط بنا من أمورنا الداخلية والخارجية من الاضطراب والتغييرات ، كلها تؤثر في اعضائنا وجوارحنا أيضاً ، وكل مايعرض على افكارنا فانه يؤثر في في حركاتنا الجسمانية . ان تصور حادث اصطدام سيارة بأخرى في طريق ضيق وما يستتبعه من تبعات ، قد يسبب فيمن يتصور -عند مشاهدته أوبعد شاهدته- تغييراً مافي تنفسه أو الدورة الدموية أو الترشحات الغددية .

وقد اخترعوا أخيراً آلة تجريبية تتجلى عليها هذه الظواهر الفيزيولوجية التي تعرض للانسان عند تأثره في نفسه بكذب او نفاق او تغطية او تدليس ، وهكذا تقدر التغيرات الطارئة عليه في خفقان قلبه وتنفسه وحركة بشرته «الالكتريكية» . وتستعمل أحياناً للتفتيش عن المجرمين وتلخص في المصطلح العربي ب [gsr]، والمفروض فيها ان المجرم حينما تلقي عليه اسئلة ترتبط بجريمة ، تتواجد في نفسه - بما انه يمتاز عن غيره بالاطلاع على الجريمة والاجوبة - تأثرات وانفعالات تؤثر بدورها في خفقان قلبه وترشحات غدده ، وكيفية تنفسه ، ونبرة صوته ، ولون صورته .

وهذا ماتشير اليه هذه الاية الكريمة في المنافقين (ولو نشاء لاريناكهم، فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول) . وقال علي عليه السلام : (ماأضمر احد شيئاً الاظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه) .

-٢-

كيف ندرك ؟ ولماذا ننسى ؟

١ - تأثير العوامل الداخلية والخارجية في الادراك .

٢ - متى ، ولماذا ننسى ؟

يتحقق الالتفات الى الشيء قبل ادراكه غالباً ، لكنه قد يتحقق الادراك بعد الالتفات أحياناً ، وقد لايتحقق بعده اصلا. فلربما نظر جماعة الى شيء واحد بالتفات واحد ، ولكنهم لم يدركوه بادراك واحد (١) وانما الالتفات في الحقيقة هنا نوع

(١) راجع كتاب (اصول روانشناسى) «مان» مبحث الادراك .

من التهيؤ للادراك ، فكل من اراد أن يدرك أمراً تهيأ له بالنظر والالتفات قد يدركه وقد لا يدركه .

ولا يفوتنا هنا أن نقول : ان هذا النوع من التهيؤ من نوع (العوامل ا وبالخصوص من نوع العوامل (المنفعلة) لا (الفاعلة) : أي انما تهيىء الان والقبول «لاداء عمل معين» . ولكن لهذا التهيؤ بالاضافة الى جانبه الفكري جسمانية عضلية فالجسم ـ بما فيه العينان ومن ورائهما الفكر ـ متجه الى تلك الخاصة .

ومن الامثلة الطبيعية على هذا : انك ترى «طبيب الخفر» الذي يحاول بذمته ينتظر مرضاه من وراء جرس الهاتف، حتى وان هومت عيناه بالنوم فان قلب بل هو متهيء للاستجابة لحاجة مراجعيه حتى في حالة غفوته بل نومه ، كماف وعيه ويقضته ، فان جرس الهاتف سوف يوقظه حتماً ، بينما قد لا ينتبه بصراخ الباكية بجنبه جوف الليل . بينما نرى زوجته على العكس منه تماماً فانها تنتب طفلتها سريعاً ولكنها لا تسمع جرس الهاتف مهما بلغ ما بلغ .

وهنا نقول : ان (التهيؤ الفكري) يوجد عندهذا ولا يوجد عند صاحبه بج فحينما نتهيأ فكرياً لموضوع خاص نغفل عن غيره ، ففي الشارع حينما تفتش عن م مثلا ، تنظر الى ما في جانبي الشارع من المحلات . ولكنك قد تغفل في ذلك مطعم مثلا ، حتى كأنك لا تراه !

وهنا نخرج من هذه المقدمة القصيرة بهذه النتيجة العامة فنقول : ان (الت الفكري) يسرع من عمل الادراك في ميدانه الخاص ، ويثبطه عن العمل خارج تل الحدود المعهودة .

وأما تأثير مختلف العوامل الداخلية والخارجية في ادراكنا ، فانما ذلك لارتباط التام بنفسياتنا وأذواقنا وعلائقنا ، بما لولاها لما تحقق لنا ادراك أبداً .

فمثلا حينما نلتفت الى مكتبة خاصة نبحث فيها عن كتب خاصة في موضوع معين

فمن البديهي أن كل كتاب من تلك الكتب سوف يجلب انتباهنا الى نفسه بين أقرانه.

ولهذا نرى أن كل أحد حسب وجهة حياتــه الخاصة يلتفت الى أشياء معينــة هى التي تجلب انتباهه الى نفسها بما لا يلتفت معه الى غيرها ، وهكذا نرى فى جماعة خرجوا للسياحة أو الاصطياف أو النزهة الى بلد خاص مثلا : أن كل واحد مــن هؤلاء حسب ذوقه الخاص أو حرفته الخاصة، يلتفت الى جهة معينة يغفل معها عــن غيرها : فالعالم الطبيعي المتخصص في انواع الاحجار أو الاشجار أو الثمار سوف يفكر فى خواصها فقط ، والنقاش والمصور يلتفت الى صورة المنظر الطبيعي الفاتن بينما يفكر الفحام فى قطع الاشجار الخضراء لاحراقها في بيوت الفحم للتصدير الى الاسواق وفى الحقيقة كل يفكر فى سوقه الخاص .

وان سبب اختلاف وجهات النظر عند هؤلاء ـ كما ذكرنا آنفاً ـ هو اختلاف وجهاتهم الخاصة من مبادىء التربية والتعليم والسوابق الفكرية والعلائق الذوقية والشخصية .

والآن لنرى ماذا قال القرآن بهذا الصدد :

ان مما قاله القرآن بهذا الصدد : ماقاله بشأن المنافقين الذين كانوا قد اسلموا واستسلموا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقالوا ، آمنا بالله ، ولكنهم انما أسلموا ، ولما يدخل الايمان فى قلوبهم ، وشهدوا لرسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة ، ولكن الله شهد عليهم بالكذب والنفاق واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا : انا معكم ، انما نحن مستهزئون . انا وجدنا آبائنا على امة ، وانا على آثارهم مقتدون مهتدون ، فكانوا لايهتدون بالقرآن بل لايلتفتون الى مايقول ، فقد أوغلو فى الفساد فران على قلوبهم ماكانوا يكسبون ، وانقطعوا عن العقل والعلم والحقائق والفضيلة والانسانية فكانوا بكل معنى الكلمة :(فاسقين).

والى هذه الحقيقة يشير القرآن في هذه الاية الكريمة فيقول :(ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنو فيعلمون أنه الحق من ربهم،واما الذين كفروا فيقولون:ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ يضل به كثيراً ومايضل به الا الفاسقين) (١) فقد اخبر الله تعالى فى هذه الاية الكريمة ان الضلال بمشتبــه الايات القــرآنية

---

(١) ١/ ٢٥ .

الكريمة لايكون الا فى الفاسقين ، الذين فسقوا عن أمر ربهم ، وعتوا عـن طاعة الرسول ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين . والذين لم يجتنبوا كبائر مانهاهم الله عنه ، بل وأصروا على صغائرها ، واستخفوا بمحقرات الذنوب .أولئك هم الذين يضلون بآيات الله بدل أن يهتدوا بها ، وذلك لفسقهم واصرارهم على المعاصى ، أي لالتفاتهم الى غير مايريده الله منهم ، وغفلتهم عما يراد بهم ، وعدم تهيئهم الفكري ـ فحينما يسمعون المثل القرآني لايسمعون منه الاظاهره ،ثم لايفهمون من حقيقته شيئاً، فيقولون (ماذا اراد الله بهذا مثلا) ؟ والله يقول : (وما يضل به الا الفاسقين) أي ان السبب فى عدم فهمكم لما يريد الله بآياته انما هو فسقكم والتفاتكم الى الذنوب والمعاصى ، وغفلتكم عن الله وآياته . وبكلمة واحدة : ان السبب فى ضلالكم بآيات ربكم هو فسقكم عن امر ربكم وعدم التفاتكم اليه . وهذا هو ماذكرناه بعينه من علم النفس من ان السبب فى عدم الادراك لشيء ماهو عدم الالتفات والتوجه اليه .

وجاء نفس هذا المعنى في آية أخرى هكذا : (لهم قلوب لايفقهون بها،ولهم أعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها .أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (١) .

ومعناه : أن الحواس الظاهرة ـ لهؤلاء ـ لاتصل الى الواقع ، وذلك لانهم غافلون عنه ، اذن فالمانع عند هؤلاء دون الوصول الى الواقع والحقيقة انما هـو عدم تهيئهم لقبول الحقائق والامر الواقع ، والدافع الى ذلك العوامل الداخليـة التي هي السوابق الذهنية بالاباطيل عند هؤلاء .

متى ولماذا ننسى ؟

(ان للاشعور آثاراً واضحة في جميع مجالات حياتنا الفردية والاجتماعيـة ، منها : التجاهل ، والتناسي ، والتغيرات ،والاشتباهات ، التي تعرض لنا فى مطاوي حياتنا اليومية .

ومع هذه التغيرات الروحية في حياتنا اليومية ، تتراكم ميولنا المنسية وتتجمع

---

(١) الاعراف من آية ١٧٩ .

وراء منطقنا حينما نتكلم مع الاخرين ، ولكنها لاتخلد الى عالم النسيان الابدي ، بل تدوم في حالة هجعة روحية ، لتقطع حبال النسيان ، وتنفذ الى عالم «الشعور يوماً ما» (١) .

ان عامة الناس يظنون أن النسيان نتيجة للاشتغالات الفكرية والبلايا الاجتماعية في حين أن النسيان غالباً لايكون الا نتيجة لعدم التهيؤ الفكري لقبول الامر المنسي، أو على الاقل عدم الاهتمام به حين تلقيه وقبل النسيان .

ان الذي ينسى اسماً لصديق أو كتاب أو موعداً معيناً فانه لابد وان يكون بنحو من الانحاء قليل الاهمية بالنسبة اليه، او كثير الاهمية لكنه قليلها بالنسبة الى شيء آخر يعارضه او يعاصره يتأثر به كثيراً حتى ينسى غيره مما يعارضه أو يعاصره .

مثلا : امراة كانت بعد زواجها الجديد تنسى اسمها المستعار للزواج الجديد وتوقع باسمها السابق في عزوبتها ، وعلى اثر التحقيق النفسي ظهر انها كانت تكره هذا الزوج الجديد ولذلك كانت تنسى او تتناسى حتى اسمها الجديد المستعار لها بزواجها هذا .

وآخر : طالب كان قد وعد اصدقاءه عند الساعة الرابعة مساء ، ولكنه لم يصل الى بيته الاعلى راس الساعة السادسة ، وعند التحقيق ظهر انه قد نسي الموعد على اثر شغفه الشديد بالسباحة .

وثالث : طفل يخرج من بيته للهوه ولعبه ، فلا يعود يشعر بنفسه حتى يرجع الى امه وقد بلل نفسه بالماء فتصيبه عوارض البرد .

يحس هؤلاء الثلاثة بأنهم نسوا شيئاً ، ولكنهم قد لايحسون ان الذي دفعهم الى هذا النسيان هو عدم تهيئهم الفكري للقبول .

وقد اتى النسيان في القرآن صريحاً في قصة موسى على نبينا وآله وعليه السلام مع (عبد) آتاه الله رحمة وعلماً (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ،

(١) روانكاوى فرويد ص ١٢١ .

قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولاأعصي لك امراً ، قال : ان اتبعتني فلاتسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فانطلقا.حتى اذا ركبا في السفينة خرقها ، قال:اخرقتها لتغرق اهلها ! لقد جئت شيئاً امرا ، قال : الم اقل انك لن تستطيع معي صبراً ؟قال لاتؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسراً)(١) .

ففي هذه الآيات يقرموسى ويعترف على نفسه بالنسيان مرة بعد اخرى ، بعد ان اعطاه كلاما ان يكون : (صابراً ولا أعصي لك أمراً) ، وفي كل ذلك انما يعجل عليه الانكار لانه يستعجل في فهم الحكم والاسرار باصرار ، فاصراره هذا واستعجاله لفهم الحكمة والوجه في فعل (العبد العالم)واغفلته وذهوله بحيرته بفعلته ، كان ينسى قوله حتى نقض ذلك ثلاث مرات .

الآثار النفسية في المجالسة : -٣-

ان الميل النفسي الى التعايش السلمي مع الاخرين ، من الحالات الانسانية الموجودة لدى جميع أفراد البشر بصورة مشتركة . وبعكسه العزلة عن المجتمع، فانها تصعب كثيراً على اكثر الناس ، حتى قالوا في ذلك قديماً: (ان الانسان مدني بالطبع) اي أنه اجتماعي بالطبع : بينما الحقيقة : أن هذه الغريزة ـ غريزة حب الاجتماع ـ ان صح التعبير عنها بالغريزة ـ انما هي وليدة علاقته بالآخرين مدة مديدة لايستطيع بعدها ادامة الحياة وحيداً ، وتهيئة وسائل العيش فريداً .

ان الام في حياة الطفل الوليد : وسيلة من وسائل الحياة لقضاء حوائج الطفل الحياتية ، ولكنها ـ على اثر عادته بها ـ تصبح مطبوعة لطبعه ومحبوبة لقلبه ، من بين محيطه وبيئته . وهكذا غير الام من الأب والاخوة والاخوات في البيت، الذين قد يقضون بعض حوائجه ، فانهم سيصبحون بعد قليل مورداً لمحبته وعلاقته(٢).

فالطفل حينما لايزال طفلا يقوم بقضاء حوائجه الفيزيولوجية أبوه وامه واخوته في البيت ، وحينما يكبر قليلا يجلب رضاه اولئك الاطفال الذين يحوطونه في لهوه

(١) ١٨/ ٦٦ ـ ٧٣ ـ القرآن الكريم .

(٢) «أصول روانشناسي «مان» مبحث : بواعث الاعمال(فارسي).

ولعبه ، فتأنس بهم نفسه ، ويتعلق بهباله قه . وحينما تقوى قواه المادية والمعنوية شيئاً فشيئاً ، تتسع طلباته معها شيئاً فشيئاً ، وكما أنه يصرف شيئاً من قواه هذه في جلب المنافع ودفع المضار ، كذلك يصرف شيئاً منها في تعلم رسوم المجتمع وآداب الاجتماع ، وشيئاً منها في اكتساب الفضيلة، وتشكيل الشخصية ، وسيقتدي في قسم من ذلك -على الاقل- بكيفية سلوك جلسائه ومعاشريه، وسيقيد نفسه بقيودهم ويحددها بحدودهم ، بل وسيصرف في ذلك همته في حياته . وعلى هذا المدى أيضاً سيختار لنفسه أملا في الحياة ، وهدفاً في العيش ، وعقيدة قلبية ، يقرب على ضوئها ممن هوى فكره وعقيدته ، وممن يحترم أهدافه وغاياته وطلباته .

اذن : فكل انسان في الحياة ، كما أنه يولي اهتماماً بالغاً بقضاء حوائجه المادية والجسمانية ، كذلك يولي اهتماماً أبلغ بالنسبة لمعقولاته ومعتقداته الفكرية ،وانما يصادق في حياته من يتفق وأفكاره وأذواقه ، وسليقته وخط سيره في الحياة .

ولذلك ترى ان الاطفال لا يرغبون الا في مصادقة الاطفال،والشباب مع الشباب والجالية الاجنبية المهاجرة تتصادق فيما بينها،وسيتوحش رجل المدينة في البادية،ورجل البادية في المدينة وذلك لانه لايجد من يتفق مع فكره وسليقته ولذلك فانه يشكو من الوحشة.

وعلى هذا : فان لوحدة وجهة الفهم والفكر والروح أثراً هاماً في جمع شمل الاحبة والاصدقاء ، ولا يتعايش أصحاب الافكار والعقائد المختلفة الا في حرب ونزاع دائر ، ولا يستطيعون التعايش بسلام .

مثلا : لا يتفق صاحب الاخلاق والاداب والانضباط ، أن يتعايش سلمياً مع من لا يعترف بأي أصل من أصول الانضباط ، وهكذا لا يستطيع أناس مسلمون مؤمنون متقون متطهرون ، أن يعاشروا ويخالطوا أناساً غير متقيدين ومهملين ولا ابالييـن.

وذلك لاننا حينما تتعارض ميولنا النفسية مع مخالفاتها ، فانها تؤنبنا في قرارة نفوسنا . حيث أنا نريد أن نستمر في حياتنا- أردنا أم كرهنا -فاذا شاهدنا أن حياتنا لا تلائمنا فسوف نتغير على أنفسنا تغيراً سريعاً شديداً .

ويتضح هذا الامر اكثر من هذا اذا علمنا أنا لانريد بادامة الحياة هنا مجـرد

ادامة الحياة البدنية والفيزيولوجية فقط ، بل ادامة الحياة تحت عنوان «الشخصية الانسانية» ومن هنا تبتدىء حياة الصراع الفكري والعقائدي في الامم .

يقول أحد النفسانيين : قرأت قصة يمثل بطلها الدنيء الفاسد رجل يدعى (اسنايدر) . وتعرفت بعد ذلك على رجل يسمى بنفس هذا الاسم، فكنت ـ بمقتضي علمي بالمسمى الفاسد ـ أكره هذا الرجل ، لا لسبب الا لانه شارك في الاسم رجلا قد تصورته قبله فاسداً دنيئاً (١) .

نصطدم في المجتمع بأناس يتظاهرون بالحسن واللياقة والجمال ، لكنانعرفهم بمصادقة زملاء مهملين فنقول ان هـؤلاء ليسوا كما هم يتظاهرون ، لانهم ان كانوا صادقين لم يكونوا يصادقون المهملين ، اذ لو لاأن في الطرفين تجاذباً روحياً وتناسباً نوعياً ، لما كان يلتقي هذان الطرفان أبداً .

يصرح القرآن الكريم بهذا الاصل النفساني في الاية التالية :

(الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات،والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)

(٢) وقد أورد الفيض الكاشاني في تفسير الصافي بعد هذه الاية هذه الرواية (عن الحسن المجتبى ، وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه وقد ألقمهم الحجر ، وهو يتلو هذه الاية ويقول : هم والله أنت وأصحابك هؤلاء . والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات هم علي بن ابي طالب وأصحابه وشيعته) .

فالامام الحسن المجتبى عليه السلام يقصد بهذا الكلام : أنك يا معاوية وأصحابك تجتمعون في الفكر والعقيدة الخبيثة ، اذ المرء على دين خليله وقرينه . وعلى العكس يجتمع شيعة علي عليه السلام معه على الحق والهدى والخلق الكريم والأهداف السامية ، لنفس لسبب أيضاً .

وهنا نصوص عديدة عن ائمتنا صلوات الله وسلامه عليهم تدلنا على مانحن بصدده ، منها :

أ ـ ما عن الرسول الكريم (ص) : (المرء على دين خليله وقرينه) (٣)

ب ـ عن أمير المؤمنين (ع) : (. . . فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه،

---

(١) (اصول روانشناسی «مان») ص ١٠٤ (٢) النور / ٢٦ .

(٣) سفينة البحار ج ١ ماده جلس .

فانظروا الى خلطائه .

ج ـ ما عن سليمان النبي (ع) : (لاتحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا الى من يصاحب ، فانما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، وينسب الى أصحابه واخدانه)(١).

التفكير ـ وبناء الشخصية ـ٤ـ

أ ـ ماهي أحسن الحالات للتفكير في علم النفس الحديث ؟

ب ـ متى يبتدىء بناء شخصية الانسان ؟

التفكير عبارة عن ترتيب المعلومات الذهنية ، للوصول الى مجهولات معينة أي أنا حينما نريد ان نصل الى مجهول معين ، نعين في أذهاننا طريقاً من معلوماتنا للوصول اليه ، فان أفلح سعينا ، والا غيرنا الطريق في نفس معلوماتنا الذهنية ورتبناها على نمط آخر وهكذا حتى نصل الى النتيجة المطلوبة .

يقول السبزواري في منظومته في المنطق :

والفكر : حركة الى المبادىء ومن مباديء الى المراد .

وفي متن رسالة التهذيب في المنطق للتفتازاني يقول : (والنظر: هو ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول).

اذن فالفكر فى الحقيقة ـ كما يقول السبزوارى ـ حركة ذهنية لترتيب المقدمات المعلومة عندنا للوصول الى المجهول لدينا ، وفى النتيجة لتوسيع نطاق معلوماتنا.

وتبتدىء الحركة الفكرية حينما يستهدف المفكر هدفاً معيناً وينتظر الوصول اليه ، فيسعى ليصل اليه من خلال معلوماته ، رابطاً بين المقدمات المعلومة ونتائجها المجهولة ، جاعلا بعضها علامة على بعض (٢) .

تبتدىء حركة التفكير من هنا ـ كما قلنا ـ حتى فى التفكير العالي جداً ، فان كبار المفكرين فى العالم لا يعملون شيئاً سوى أنهم يغوصون الى اعماق الفكر ثم يرتبون في ذهنهم سلسلة العلل والمعلولات والاسباب والمسببات حتى يصلوا بها الى منوياتهم .

---

(١) نفس المصدر ج ١ مادة صدق .

(٢) من كتاب (مقدمهاى برفلسفه آموزش وپرورش) تاليف جان ديوى .

ولكنه انما يتحقق على المستوى العالي اذا كان صاحبه يعيره أهمية خاصة واه .وقفاً ، ويتوجه اليه ويعمل عن عبرة واه امترة ، وهذا يعني أن كثيراً من الامور الروحية والنفسية يجب أن تحتمي عن صراحتها ، أو يكون الميدان منها خالياً حتى يتحقق الفكر سليماً (١) .

والنتيجة اذن : أن التفكير الصحيح لابد له من محيط هاديء ، اذ لولاه لاحتل الفكر لصوت عارض ، وقد اثبت التجارب أن تحلل التفكير بما يراحمه مما يسبب صرف طاقة اكثر (٢) فان هناك جهازاً فيزيولوجياً خاصاً يدخله الشخص ويتنفس فيه ، ويحبس الجهاز الانفاس ثم يحسبها ويعين كمية الاوكسجين المصروف عند الشخص وحيث أن من المعلوم أن ما يصرفه الانسان من الاوكسجين عند صرفه لطاقة حرارية واحده (كالري) أو (السعر الحراري) هو مقدار معين ، فقد استطاعوا أن يحسبوا كمية مايصرفه الانسان في عمله الفكري في محيط هادىء ، أو محيط متحلل بما يوجب اختلال الحواس ، من الطاقات الحرارية (كالري) .

فاذا كان الشخص ذا باعث قوي على التفكير والتوجه والالتفات ، فانه عندما يقع في محيط مملوء بالاصوات المزعجة ، قد يكون بلا ئم بين نفسه والمحيط غير الهادىء من حوله ، فيستمر في عملية التفكير ويخرج بنتيجة سالمة . أما من ليس لهم هذا الباعث القوي ، فسوف يتأثرون بمراحمة هذه العوامل الخارجية ، حتى أنهم قد يصرفون النظر عن التفكير المطلوب (٣) .

واكثر الناس من هذا القبيل : فانهم عندما يجتمعون للتفكير او التعلم ، فهناك عوامل كثيرة في المجتمع من حولهم ، من الاصوات والافراد والمحيط والحوادث الطارئة ، والمناظر الموجودة ، مما يشوش تفكيرهم ، ويصرف نظرهم عن التوجه الى الحقائق العلمية التي تلقى عليهم للتعلم أو التفكير فيها ، أما اذا كان التفكير تفكيراً جماعياً ، فان هناك عوامل أخرى أيضاً تحكم الجماعة من العصبية والغضب

---

(١) راجع كتاب (روانشناسى پرورسى) للدكتور سياسى .
(٢) راجع كتاب (أصول روانشناسى «مان») مبحث التفكير ـ ترجمة الدكتور صناعى .
(٣) راجع كتاب (اصول روانشناسى «مان») مبحث التعلم ـ ترجمة الدكتور صناعى.

وعدم استطاعة التفكير الصحيح . ومن الواضح أن التفكير في هكذا بيئة لايصل الى حقيقة النتائج المطلوبة (١) .

ولعله نظراً الى ماقدمنا فى التفكير الصحيح يقول الله تعالى فيه : (قل انما اعظكم بواحدة : ان تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا :ما بصاحبكم من جنة)(٢) فان هذه الآية الكريمة تفهمنا أنه من اللازم علينا عند التفكير فى أمر خطير : ان نبعد أذهاننا عن كل شائبة يمكن أن تشوب تفكيرنا بشيء من التشويش ، فقد يلزم علينا أن نفرد وقد يلزمنا ان نجتمع مثلا للمناقشة والتفكير فى الامر ، أو نتباحث حول الموضوع هذا اذا لزم الامر ،والا فالاصل هو التفكير الفردي في مكان منفرد خال من كل خلل أو شائبة ، لئلا تتفرق حواسنا ولا نقع تحت تأثير عوامل المحيط والمجتمع من حولنا ، فنتعمق فى التفكير حتى ندرك الحقائق ، ونوسع نطاق معلوماتنا .

فالآية ــ اذن ــ كانت تشير الى طريقة التفكير الصحيح منذ نزول القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، وهو ما اكتشفه علماء علم النفس الحديث في هذه الايام وليس هذا الا لانه من قبل الحكيم الخبير ،أنزل على النبي الرسول الامين .

متى يبتدىء بناء الشخصية في الانسان ؟

الشخصية : فى مصطلح علم النفس الحديث عبارة عن مجموعة من الخصائص التي تميز الفرد عن سائر الافراد ، وتعين هويته بين الناس . والآن نريد أن نعرف كيف ومتى توجد هذه الشخصية ؟

هناك عاملان أساسيان لهما التأثير الكبير على ظهور الاختلاف فى تصرفات الاطفال بعضهم عن بعض ، أو بعضهم مع بعض . هما : الفروق بين عوامل الوراثة اختلاف البيئات .

فكما أن الاطفال يختلفون في سيرهم :

فبعض ساكن ، وبعض صاخب ، وبعض متحرك ، وبعض هادىء . .

(١) الطلال.. سورة سبأ .

(٢) سورة سبأ / ٤٦ .

والذي يهمنا الان : هو أن نعرف : هل ان هذه الصفات التي نراها في الوليد أساسية مستمرة ؟ ام لا . فاذا قلنا بأنها دائمة فقد قلنا بأن الطفل له (شخصيته الخاصة) من حين الولادة . والا ، فلا .

والتحقيق الذي عليه علماء علم النفس الحديث هو ان نقول :

ان الصفات التي يختارها الانسان ليلائم بين نفسه ومحيطه من زاوية نظره ، وينتحبها ويصف نفسه بها . هي الصفات التي تبني شخصيته الخاصة .

وعلى هذا : فان الصفات التي تظهر على الوليد الحديد ليست صفات شخصيته لانه لا يختارها ليلائم بها نفسه مع المحيط .

ولكن الـ(آلبورت) Allport: نظريته الخاصة القائلة:(بأن الطفل بعد أن تمضي عليه أربعة أشهر من ولادته تكون قدرته الفكرية قد بلغت الى حد يستطيع معه أن يكون لنفسه عادات وتقاليد خاصة لملائمة محيطه ، وهي بالذات صفات شخصيته الخاصة وأما بعد أن تمضي عليه ستة أشهر فانه تظهر عليه ردود فعل خاصة عن محيطه) (١) .

وعلى كل حال فقد أظهر علماء النفس الحديث آراء مختلفة في شأن زمان انعقاد شخصية الطفل . والمسلم الذي لا يقبل الشك والترديد ، هو أننا نستطيع أن نقول : ان الشخصية يبتدىء نموها عند الطفل، ولو بصورة بذرة جافة جامدة .ولكنها في دور الرضاع لا يتعدى عددها العشرة. الا أنها تكثر بعد ذلك في دور الطفوله ، وتزداد أكثر في دور النضج عند الانسان ، حتى أننا نستطيع عدها في الادوار الاولى من حياته ، بينما يتعسر بل يتعذر علينا عدها بتدريج مراحل العمر العالي بعد دور المراهقة والشباب .

وقد جاء في كتاب (أصول روانشناسي«مان») في شأن عوامل بناء الشخصية ما يلي : (ان للمحيط تأثيراً هاماً في بناء شخصية الانسان ، فلو كان أحدنا يولد في قبيلة (الاسكيمو) لكانت له شخصية تختلف عن شخصيته الان تماماً ،لا في الملابس والمطاعم والمشارب والمساكن والكلام والسكوت فحسب بل وحتى في تصوراتنا

(١) راجع كتاب (اصول روانشناسي«مان») .

عن أنفسنا وعن العالم من حولنا وعن شخصيتنا في حياتنا .

ان المحققين من علماء معرفة الانسان قد اكدوا على اهمية الاطار الثقافـي والاجتماعي في تكوين الشخصية عند الافراد ، لاان علاقة فرد آخر ، وثقافة اخرى تصنع منه انساناً آخر فحسب ، بل ان لكل من نواحي ولادته وبيئته وأبويه ومدرسته وزملائه فيها وماسمع وما رأى في حياته . . لكل منها تأثيراً هاماً في صناعة شخصيته الخاصة ، وفي مقدمتها الاسرة في البيت ، فانها من العوامل الهامة في بناء الشخصية ومن بعدها عوامل أخرى من : الجيران والمدرسة والاصدقاء ، فلكل منها تأثير في شخصية الطفل . فان مدرسة خاصة مثلا قد تشوق الطفل الى طلب العلم والمعرفة والثقافة والفنون الى حد بعيد قد يجعل الطفل يحبس نفسه في حياته على استزادة المعارف والعلوم ، وقد تكون هناك وفي نفس ذلك المحيط مدرسة اخرى لو كان نفس هذا الطفل وبنفس هذا الاستعداد دخل اليها لنفرته من طلب العلوم أي تنفير .

اننا نقع تحت تأثير هذه العوامل في بناء شخصيتنا الخاصة في حياتنا في المدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية واعدادية وجامعة . . ولكننا كلما ارتفع بنا عمرنا . . تأصلت العادات والتقاليد السابقة . . فقلت من تأثير العوامل المستجدة في حياتنا بعد ذلك ، حتى نتدرج بنا الى ايجاد مقاومة معاكسة أمام قبول كل جديد طارىء) (١) .

اتضح لدينا مما تقدم هنا : أن بناء شخصية أي انسان يبتدىء من بعد عدة أشهر من ولادته ، ويتدرج في ازدياد صفات شخصيته الخاصة ، ولكنه عندما ارتفـع بـه العمر ، وترسخت فيه الصفات السابقة ، وجدت فيه مقاومة خاصة لا يقبل معها تغيير القديم .

والان : نحن وأحاديث أئمتنا عليهم الصلوة والسلام بهذا الصدد :

لقد بين هذه المعاني أئمتنا عليهم الصلوة والسلام من قبل عدة قرون . . .

---

(١) راجع كتاب (اصول روانشناسی «مان») .

مما ان دل على شيء فانما يدل على أنهم بارتباطهم بعالم العلم الالهي المودع فيهم، من قبل الرسول (ص) قد بينوا مالم يفهم البشر الا بعد تجارب عديدة. ونحن هنا نكتفي بذكر ثلاثة أحاديث عنهم في ذلك :

أ ـ يقول علي عليه الصلاة والسلام في وصية لولده الحسن عليه السلام:

(وانما قلب الحدث كالارض الخالية ، ما القي فيها من شيء قبلته . فبادرتك بالادب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك) (١) .

ب ـ ويقول عليه السلام ـ كما في الوسائل: (علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به ، لاتغلب عليهم المرجئة برأيها) (٢) .

ج ـ ويقول الامام الصادق عليه الصلاة والسلام :(بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم اليهم المرجئة) (٣)

قلب الحدث

«وانما قلب الحدث كالارض الخالية ماالقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالادب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك . . لتستقبل بجد رأيك من الامر مافدكفاك اهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ماكنا نأتيه ، واستبان لك ماربما أظلم علينا منه»

نهج البلاغة

---

(١) نهج البلاغة . (٢) الوسائل ـ باب حقوق الاولاد (٣) نفس المصدر .

العرب في الجاهلية

عقائدهم وتقاليدهم

السيد مهدي الحكيم - بيروت

(٤)

امتاز العرب من بين أمم العالم وشعوبه - في العصر الجاهلي باخلاق ومواهب تفردوا بها وفازوا فيها بالقدح المعلى. منها الفصاحة وقوة البيان، والشجاعة وحب الحرية، والانفة والفروسية. مع صراحه في القول، وتوقد في القريحة وقوة في الارادة، وتشدد في الوفاء والامانة.

ولكنهم ابتلوا - في عهدهم الاخير - بانحطاط ديني شديد ووثنية سمجة، قلما يوجد لها نظير في الامم المعاصرة لهم. أدت الى أدواء خلقية واجتماعية، وجعلت منهم أمة متضعضعة الكيان حاوية لاسوأ خصائص الجاهلية.

ولعل السبب في ذلك يعود الى بعد عهدهم عن النبوة والانبياء، وانحصارهم في شبه جزيرتهم، وشدة تمسكهم بدين الاباء وبتقاليد أمتهم.

وثنية كانت متعددة الجوانب

وكانت وثنيتهم هذه متعددة الجوانب مختلفة العناصر. فلم تكن عبادة الاصنام والنصب - وان كثر أتباعها - لتلم وحدها شتاتهم فينصرفون اليها ويولون وجوههم شطرها. بل ان فيهم من عبد الشمس والقمر، وفيهم من توجه الى «الشعرى» وغيره من الكواكب. وقسم صبا الى الصابئة فعبد الانواء. وقسم عبد الملائكة زاعماً أنها

بنات الله . وغيرهم عبد الجن كما وجد صنف من العرب كانوا دهريين من المعطلة لم يؤمنوا بالخالق ولا بالحساب والبعث . (١)

بعض العرب اعتنق ديانة المجوس

والى جانب هذه الوثنية وتنوعها كانت لدى العرب نحل اخرى مختلفة ، جاءتهم بحكم الجوار . منها المجوسية التي ظهرت بادىء أمرها ، في بلادفارس ثم انتقلت الى شرقي الجزيرة حيث اعتنقها قسم من بني تميم ، كزرارة بن عدس وابنه حاجب الذي رووا عنه أنه تزوج من ابنته فأولدها ثم ندم ، ونسبوا اليه هذين البيتين قالهما عند بنائه بها وكان قد سماها «دختنوس» باسم ابنة كسرى :

ياليت شعري عنك دختنوس　　اذا أتاها الخبر المرموس

اتسحب الذيلين أم تميس　　لا بل تميس انها عروس

كما اعتنقها أيضاً «الاقرع بن حابس» ، و «أبو الاسود» جد «وكيع بن حسان» وهما تميميان . (٢)

وبعضهم اعتنق اليهودية والنصرانية

ومنها اليهودية والنصرانية ، انتشرت الاولى - كما يذكر المؤرخون - في بلاد اليمن على يد الملك «ياسر أنعم» أو على يد خليفته «قبان أسعد أبي كرب» (٣) وهما من ملوك حمير . وشاعت بين كثير من أهلها . ولما آل الامر الى «ذي نواس» أو «دميانوس ودمنوس» كما تسميه كتابات «السريان واليونان» ، تعصب لها واتجاً الى الشدة والعنف في سبيل حمل المسيحيين من أهل «نجران» على اعتناقها (٤) ، فلما أبوا شق لهم اخدودا أوقد فيه النار ثم القى بهم فيها ، ومن لم يمت بالنار قتل

(١) انظر «بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب» للالوسي ج ٢ ص ٢١٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٥ ، وانظر أيضاً الجزء الاول منه ص ٣٤٤ .

(٣) انظر «التاريخ الاسلامي العام» للدكتور علي ابراهيم حسن ص ١٥٧ .

(٤) انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٥ ومروج الذهب ج١ ص ٦٧ .

بالسيف ومثل به . وقد هلك منهم ـ على رواية كتب السيرة ـ عشرون ألفاً .(١)

وقد كانت هذه الحادثة سبباً في احتلال الاحباش لليمن ، بايعار من قيصر الروم «جوستنيان» الذي أراد أن يثأر بهم . . . كذلك انتشرت اليهودية في يثرب وخيبر وتيماء ووادي القرى » (٢)،وفي بعض قبائل «كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة.(٣)

وأما المسيحية فقد دان بها «الغساسنة» في «حوران» ومعظم أهالي «الحيرة» في «العراق» وقسم من قبائل «قضاعة وربيعة» وأهل «نجران» في جنوبي الجزيرة.

نفر دعوا بالحنفاء نبذوا عبادة الاوثان وزهدوا في الدنيا

كما نشأ في الجاهلية نفر من الحنفاء الذين لم يرضوا عن الوثنية ، ولا عن الحياة الاجتماعية العامة التي كانت تسيطر على الناس، ثم لم يجد هؤلاء النفر اطمئنانا الى اليهودية المنطوية على نفسها ، والمنافرة للطبيعة الانسانية السمحة، ولا وجدوا اطمئنانا الى النصرانية التي كانت منقسمة مذاهب متعادية يتقاتل أهلها بالسنان واللسان، من اجل ذلك انصرف هؤلاء الى حياة فطرية تأخذ عناصرها من الأخلاق الشخصية وحب الخير للناس ، فتركوا عبادة الأوثان وشرب الخمر واعتزلوا المنازعات القبلية وزهدوا في منافسة معاصريهم على الدنيا ، ثم ساح بعضهم في الأرض ترفعاً وتنسكاً.

من هؤلاء النفر «خالد بن سنان العبسي» ، الذي صفت بصيرته حتى نسب اليه الرواة أشياء من الحكمة ومن الاخبار التي تشبه مايروى عن أنبياء بني اسرائيل . ومنهم «عامر بن الظرب العدواني» ، و «حنظلة بن صفوان وزيد بن عمرو بن نفيل،وورقة بن نوفل ، وأمية بن الصلت وقس بن ساعدة الايادي» وغيرهم . . (٤)

---

(١) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ص ٧٥ وفجر الاسلام للدكتور أحمد أمين ص ٢٤ - ٢٦ .

(٢) تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ٤٨ .

(٣) انظر «بلوغ الارب» للالوسي ج ١ ص ٣٤٤ .

(٤) مروج الذهب ج ١ ص ٦٥ ـ ٧٥ «باب ذكر اهل الفترة». والكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ١٥٠ .

ونحلة عاداتها غريبة كان أصحابها يدعون الحمس

وثمة نحلة أخرى كان أصحابها يدعون «الحمس» ـ من الحماسة أي الشدة، وذلك لتشددهم في دينهم ـ وهم جماعات من «قريش وكنانة والاوس والخـزرج وبني ثقيف وغطفان» ، كانوا يشترطون على كل من يتزوج من نسائهم أن يكـون اولاده على دينهم هم . وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ، ولهم عادات غريبة في ذلك فقد كانوا اذا احرموا للحج لايأكلون السمن ولايسلأونه (أي يستخرجونه من دهن الانعام وشحمها) ولايغزلون الوبر ولاينسجونه ولايأكلون من نبات الحرم ، ولايدخلون بيوتهم من ابوابها المعهودة بل من منافذها الخلفية او من فتحات او انقاب في سطوحها. (١)

. . ولقد قرعهم القرآن على فعلهم هذا ، في قول الله تعالى : «يسألونك عن الاهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج . وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى ، واتوا البيوت من ابوابها ، واتقوا الله لعلكم تفلحون» . (٢)

بعض تقاليدهم في اول طقوس الحج

كذلك لم يكونوا ـ وهم حرم ـ ليدخلوا بيتاً من شعر ، اويستظلوا الا في بيوت الادم . كما كانوا لا يطوفون بالبيت اذا قدموا ـ اول طوافهم ـ الا في ثياب «الحمس» فان لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة . واما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه .

قالت امراة من العرب وهي كذلك تطوف بالبيت :

اليوم يبـدو بعضـه او كله ... وما بدا منه ، فـلا احلـه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ، القاها اذا فرغ ثم لم ينتفع بها او يمسها هو ولا احد غيره ابداً ، وكانت العرب تسمى تلك الثياب «اللقى» ـ وهو الشيء الملقى او المتروك ، وجمعه ألقاء ـ قال احد شعرائهم :

---

(١) تاريخ الجاهلية ص ٩٧ وانظر تفسير الطبرسي ج ١ ص ٢٨٤ .

(٢) سورة البقرة الاية ١٨٩ .

كفى حزناً كرى عليها كأنهـا لقى بين ايدي الطائفين حريم(١)

قال آخر: تروي لقى ألقي في صفصف تصهـره الريح فما ينصهـر (٢)

ولم يكن سلوك هؤلاء الحنفاء والحمس، الاتعبيراً عن نفرتهم من سلوك اقوامهم سخطهم على اوصاعهم الدينية والاجتماعية، وتشاؤماً بصلاتهم العامة والشخصية.

وبالرغم من هذه الملل والنحل - التي لم تكن لتغني شيئاً بسبب تشعبها، وانصراف متنفيها الى المهاترات والجدل العقيم، وابتعادهم عن نميرها الصافي - كانت الوثنية ي المسيطرة على جزيرة العرب، تطبعهم بطابعها، وتسمهم بسمة الجاهلية.

كثرة الناس الكبرى كانت دائماً تنزع الى التجسد

ولعل السبب الاول لهذه الوثنية هو ان كثرة الناس الكبرى لما كانت اقصر ن ان يحيط ذهنها بمعنى الالوهية السامي، فقد اتخذوا النجوم آلهة. وكانت بعض لاحجار يخال الناس انها ساقطة من السماء منحدرة لذلك من بعض الكواكب، اعتبرت اول امرها مظاهر لهذه الالهة الرفيعة وقدست بهذه الصفة ثم قدست لذاتها م كانت عبادة الاحجار (٣). اضف الى ذلك تقديس العرب الشديد لارض الحرم من ثم لكل ما تحتويه، فقد ذكر بعض المؤرخين ان ولد اسماعيل - حين ضاقت عليهم مكة والتمسوا الفسح في البلاد - كانوا لا يظعن منهم ظاعن، الاحمل معه حجراً ن حجارة الحرم تعظيماً له. فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون مااستحسنوا من الحجارة واعجبهم، ثم خلفت الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه من دين ابراهيم واسماعيل، واستبدلوه بغيره صاروا الى ماكانت عليه الامم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم تمسكون بها، كتعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة المزدلفة وهدي البدن. (٤)

---

(١) سيرة النبي (ص) لابن هشام ح ١ ص ٢١٩ - ٢١٠ .

(٢) تفسير الطبرسي ح ٤ ص ٧٧ .

(٣) انظر حياة محمد للدكتور هيكل ص ٩٢ .

(٤) سيرة النبي (ص) لابن هشام ح ١ ص ٨٢ .

فى عهد خزاعة دخلت الاصنام الى مكة

كما كانوا يعظمون الاشهر الحرم ، ويقرون الضيف ، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ، ويعاقبون على الجرائم . فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت فلما وليت خزاعة الحجابة غيروا ما كان عليه الامر فى المناسك . فقد رووا ان «عمرو بن لحي» الخزاعي - لما ساد قومه - سار الى مدينة «البلقاء» بالشام ، على أثر مرض اصابه ، فرأى أهلها يعبدون الاصنام ، فقال لهم : ماهذه الاوثان التي اراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه اصنام نعبدها ، نستنصرها فتنتصر ، ونستسقي بها فنسقى فقال : ألا تعطوني منها صنماً فأسير به الى ارض العرب فيعبدونه ؟ فأعطوه صنماً يقال له (هبل) ، فقدم به مكة فنصبه عند الكعبة ، فكان اول صنم وضع بها (١) ثم نصبوا (اسافا ونائلة) كل واحدمنهما على ركن من اركان البيت . فكان الطائف اذا طاف بدأ بأساف فقبله وختم به . ونصبوا على الصفا صنماً يقال له (مجاور الريح) وعلى المروة صنماً آخر ، يقال له (مطعم الطير) . فكانت العرب اذا حجت البيت ورأت تلك الاصنام سألت قريشاً وخزاعة ، فيقولون : نعبدها لتقربنا الى الله زلفى (٢)

الوثنية العربية قامت على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة

وما لبثت - فيما بعد - أن شاعت هذه الوثنية فيهم ، فقامت على فكرة مظاهر الطبيعة ، كالارض والسماء والنجوم والكواكب . ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها ، فقد حرصوا على ارضائها اجتلاباً لخيرها ، فاتخذوا لها أشكالا مختلفة من واشجار واحجار مصورة ، تمثل انساناً أو حيواناً ، واخرى غير مصورة . وصاروا ينظرون اليها على أنها رمز للقوة الطبيعية ، ومن ثم أصبحت معبودات لهم . وكانوا يطوفون حولها ويتاجرون عندها ، ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حرماً ، يحرم الاتيان فيه بأشياء معينة . (٣)

---

(١) تاريخ اليعقوبى ح ١ ص ٢١١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١١ وانظر بلوغ الارب ج ٢ ص ٢٠٠ ومروج الذهب ح ٢ ص ٥٦

(٣) قيام الدولة العربية الاسلامية للدكتور محمد جمال الدين سرور ص ٤٨ .

ضعف الشعور الديني لدى البدو

وكان البدو يؤدون الطقوس الدينية لمعبوداتهم تحت تأثير التقاليد الموروثة في قبائلهم دون أن يعرفوا حقيقتها، كما أنهم كانوا قليلي الاهتمام بأمور دينهم. وليس هناك مايدل على شعور ديني عميق لديهم. بل ان ظاهر الامر ينبيء بأن وثنيتهم كانت سطحية جداً. اذ لم تظهر كثيراً في أشعارهم ولا جاءت بها رواياتهم، ولا خلقت لهم نظماً عقلية أو اجتماعية. أضف الى ذلك قلة مبالاتهم بها أحياناً، كالذي كان يصنع صنماً من تمر ثم اذا جاع أكله !! فقد رووا ان «بني حنيفة» اتخذوا الهاً من «حيس» - وهو التمر يخلط بالسمن ويعجن شديداً - فعبدوه دهراً طويلا ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه، فقال رجل من تميم:

أكلت ربها حنيفة من جوع   قديم بها، ومن اعواز

وقال آخر: أكلت حنيفة ربهـا   زمـن التقحم والمجاعـة

لم يحذروا من ربهم   سوء العواقب والتباعـة (١)

ويدل على مثل هذا أيضاً قول رجل من كنانة في صنم له اسمه «سعد»، وكان قد اقبل بابل له ليقفها عليه «يتبرك بذلك فيها، فلما أدناها منه نفرت فذهبت في كل وجه وتفرقت اليه فتناول حجراً فرماه به، وقال: لابارك الله فيك الهاً أنفرت علي ابلي»، ثم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف عنه وهو يقول:

أتينا الى سعد ليجمع بيننا   فشتتنا سعد. فلانحن من سعد

وهل سعد الاصخرة بتنوفة   من الارض لايدعى لغي ولارشد (٢)

وأبلغ من هذا في قلة المبالاة قول «غاوي بن عبد العزى». وكان سادن صنم لبني سليم فبينما هو عنده اذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه، فقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم قال: «يامعشر سليم. لا والله لايضر ولا ينفع ولا يعطي ولايمنع، فكسره ولحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. (٣)

(١) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٤٥ .

(٢) تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فروخ ص ١٠٠ .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى (مادة ثعلب) ج ١ ص ٤١ .

كان البدو بعيدين عن كل مطمح مادى قد تدره الوثنية عليهم

ولعل مرجع ذلك لكون البدو أقرب الى البساطة الفطرية في معيشتهم ، من الحضر وحياتهم المعقدة . ولانهم كانوا بعيدين عن كل مطمح مادي قدتدره الوثنية عليهم ، بسبب تنقلاتهم وانتجاعاتهم . بينما قريش وسائر المجاورين للحرم، كانوا على النقيض من ذلك ، فان الثروات كانت تنهمر عليهم لكثرة الوافدين الى البيت والمتمسحين بهبل ، والطائفين حول الاوثان والنصب . . فمن الطبيعي – اذن – ان يتظاهروا بعمق التدين وشدة الايغال فيه ، وحث الناس على التمسك بدين الآباء ، بكل ما أوتوا من مقدرة . ولو كان ذلك على حساب مشاعرهم وعقولهم .

وسواء أكانت هذه الوثنية متأصلة – في العرب – أم غير متأصلة ، فانها وسمتهم بميسمها فأخذوا يرتكسون نحو الذل والصغار . . وهل هناك ذل يتسافل بالكرامة الانسانية ويهدر الاخلاق والقيم كعبادة الجماد الذي لايسمع ولا يعقل ، ولا يضر ولا ينفع ؟ ؟ .

الوثنية أدت الى أسوأ العادات

والتسافل – ككل شيء نام – يبدأ صغيراً في أول أمره ، ولكنه لايلبث أن يضخم ويتفاقم خطره . فقد نتج من عبادة الاصنام عادات وتقاليد،يأخذ بعضها برقاب بعض ، منها الردىء ومنها الخسيس . وكلها تنبت من غرسة واحدة ، وتستقي من مورد واحد ، ألا وهي النفس الانسانية وما تشتمل عليه من أهواء ونزعات. وأولى هذه العادات شرب الخمر الذي جر بدوره الى الزنا فامتهان المرأة ، المرأة كزوجة، والمرأة كأم أو أخت ، وبالتالي الى امتهان كل أنثى - بعيدة أو قريبة - حتى ولو كانت فلذة من افلاذهم .

وقدذكر المؤرخون كثيراً من صور الفساد ، - التي كان العرب يقارفونها في الجاهلية - نقتصر هنا على قسم منها وبخاصة مايمس علاقات الناس العامة بعضهم مع بعض . واهمها علاقة الرجل بالمرأة . اذهما اللذان يكونان اللبنة الاولى في

المجتمع ألا وهي الاسرة ، التي ان صلحت صلح المجتمع والافراد ، وان فسدت فسدوا ، وحل بهم الانحلال والفسخ .

بعض عادات الزواج في الجاهلية

فقد ذكروا ان الزواج في الجاهلية كان على أربعة انحاء: أولها زواج كزواج الناس اليوم يخطب الرجل الى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم يتزوج بها. وثانيها الاستبضاع ، يقول الرجل لامرأته اذا طهرت من طمثها : ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها فلا يمسها ابداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل . فاذا ظهر الحمل اصابها ان احب . وانما يفعل ذلك رغبة منه ـ على زعمه ـ في نجابة الولد وثالثها زواج بالجملة ! ! يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المراة كلهم يصيبها . فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال ، ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهذا ابنك يا فلان . وتسمي من احبت باسمه ، فيلحق به ولدها ولا يستطيع الرجل ان يمتنع من قبوله وضمه اليه . ورابعها مباشرة البغايا ، حيث يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المراة البغي لا تمنع من جاءها ، وكن ينصبن على ابوابهن رايات تكون علما . فمن أرادهن دخل عليهن ، فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه ودعي ابنه لا يمتنع عنه ولا يرفضه . وذكروا أيضاً أنواعاً أخرى ، منها زواج البدل ، وهو أن يقول الرجل للرجل : «انزل عن امرأتك ، وانزل لك عن امرأتي» (١) . . الى غيره مما يضيق المقام عن ذكره ، وكله يدل على عنف الفساد الذي استشرى داؤه في ذلك العصر .

غبن المرأة وابتزاز اكثر حقوقها

كما كانت المرأة ـ الى جانب ما مر ـ عرضة للغبن والحيف ، تؤكل حقوقها وتبتز أموالها وتحرم ارثها ، وتعضل ـ بعد الطلاق أو وفاة الزوج ـ من ان تتزوج ببعل ترضاه . وتورث كما يورث المتاع أو الدابة عن ابن عباس قال : «كان الرجل

(١) بلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٣ ـ ٤ .

اذا مات وترك جارية ، ألقى عليها حميمة ثوبه ومنعها من الناس ، فان كانت جميلة تزوجها ، وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها» . وعنه أيضاً : «اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وان شاؤا زوجوها ، وان شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها» . (١)

وأن الممات كان منتشراً في القبائل

هذا وقد بلغت كراهيتهم لبناتهم حد الوأد ، يقول الله تعالى منددا بهم : «واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون» . (٢) وقد كان الوأد مستعملا في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة . وكانت مذاهبهم مختلفة فيه : فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء أو كسحاء ، تشاؤماً بهذه الصفات . ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الاملاق – وهم الفقراء – فكان يشتريهم بعض سراة العرب وأشرافهم . من هؤلاء السراة : «صعصعة بن ناجية المجاشعي» ، جاء الأسلام وقد فدى مايقرب من ثلاثمائة موءودة (٣) وصعصعة هذا هو جد الفرزدق الشاعر ، لذلك فهو يفتخر به كثيراً في شعره ، يقول :

ومنا الذي منع الوائدات ... وأحيا الوئيد ، فلم يوأد

ويقول أيضاً :

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب ... وعمرو ومنا حاجب والأقارع

وقد بلغت القساوة عند بعضهم حداً عظيماً ، فقد كان يلقي ابنته من شاهق ، أو يغرقها أو يذبحها ، أو يئدها بعد أن تكون قد كبرت وصارت تعقل . وقد حكوا عن انفسهم مايفتت الجماد . (٤)

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٦٥ (في تفسير الاية ١٩ من سورة النساء) ومجمع البيان للطبرسي مجلد ٢ ص ٢٤ .

(٢) سورة النحل الاية ٥٨ و ٥٩ .

(٣) انظر بلوغ الارب – الجزء الثالث ص ٤٣ - ٤٦ .

(٤) انظر بلوغ الارب ج ٣ ص ٥٢ .

أكثر علاقاتهم الاجتماعية كانت تقوم على العصبية المفرطة

أما عن بقية علاقاتهم الاجتماعية ، فقد كانت قائمة على الافراط في العصبية، شعارهم هذه الجملة المأثورة : «انصر اخاك ظالماً او مظلوماً» والعصبية المتطرفة هذه انما جاءتهم من واقع حياتهم . فجزيرتهم وعرة المسالك ، مملوءة بالصحاري القاحلة ، والرمال المحدبة . والطبيعة قاسية لاترحم ، تدفعهم الى الصراع دفعاً من أجل تنازع البقاء . اذ المنتجعات قليلة ، والواحات نادرة ، والمياه غيرمتوفرة .

كل ذلك جعل الحرب عندهم غاية الغايات . والحرب هدفها النصر ، ثم تحقيق الرغائب ولايتم نصر أو تتحقق رغبة مالم تتحد القبيلة وتجتمع ،حيث تكون يداواحده وارادة واحدة ، وسمعاً واحداً . . من هنا نشأت العصبية فأصبحت جزءاً من وجودهم ، تنفث فيهم روح الحمية الجاهلية . وبدونها ينهار البناء وتنتقض دعائمه، لهذا كانوا جميعاً متمرسين بها ، حريصين عليها ، ينفخون في نارها لتزداداضطراما. فكثرت أيامهم وحروبهم واشتدت حتى عركتهم عرك الرحى بثفالها .

عصبيتهم هذه ادت الى الحروب الطاحنة

وكان القرن السادس للميلاد ـ ذلك القرن الذي سبق ظهور الاسلام بقليل ـ حقبة من الدهر امتلأت بالاضطرابات السياسية وبالقلق الروحي ، فقد بلغ السيل الزبى ووصل القتال ـ بين القبائل العربية ـ الى الذروة : فخصومات بين الغساسنة والمناذره لاتنتهي ، وحروب بين بكر وتغلب كادت تفني القبيلتين ، وقتال بين عبس وذبيان طالت مدته ، وتنازع على النفوذ بين الاوس والخزرج ـ في المدينة ـ تغذيه «اليهودية» نافثة فيه احقادها . . حتى أصبحت تلك الحروب مضرب الامثال ، ومادة قصصية غنية بالاحداث للقصاصين . ولم يبق للعرب ـ يومها ـ من جامع بينهم الا اللغة التي كانوا ينظمون فيها أشعارهم ويصفون معاركهم وأيامهم ، كما أصبح القتل والقتال ـ في تلك الفترة ـ عادة ولهواً ، يقول عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته :

كأن جماجم الابطال فيها ... وسوق بالاماعز يرتمينا
نجذ رؤوسهم من غير بر ... فما يدرون ماذا يتقونا

كأن سيوفنا منا ومنهـم مخاريق بأيـدي لاعبينا

أكثر أسباب معاركهم كانت تافهة

وقد كانت هذه المعارك تنشب لاسباب تافهة جداً : فقد وقعت حرب «البسوس» بين بكر وتغلب ، لان «كليب وائل» قتل ناقة كانت ترعى مع ابله . والناقة لامرأة كانت ضيفة عند «جساس بن مرة» . وعد جساس فعل كليب اهانة له فقتل كليباً . فنشبت عندئذ المعارك بين القبيلتين ودامت نحو أربعين عاماً من العداوة المتصلة والقتال المتقطع ، حتى «فني الحيان ، وثكلت الامهات ، ويتم الاولاد . . » كما عبر عن ذلك «المهلهل» أخو كليب . (١)

واختلف نفر من «بني عبس» و «بنى ذبيان» على سباق خيل ، فنشبت حرب «داحس والغبراء» ودامت أيضاً أربعين عاماً ، قتل فيها ألوف الناس . (٢)

وكذلك كانت بقية حروبهم وأيامهم ، لاتلبث أن يشب ضرامها لاقل سبب ، حباً في القتال ، واستهانة بحياة الناس ، يقول شاعرهم «القطامي» :

وأحيانـاً على بكر أخينـا اذا مالم نجد الا أخانـا (٣)

حتى اصبحت الحياة كلها شبكة محبوكة من ترات وثارات ، فشت حبائلهـا في القبائل واوصى بها الاباء الابناء .

حبهم للحرب دعاهم الى النسيء

وهكذا اصبحت الحرب غاية بنفسها ، بعد ان كانت ضرورة ، واصبح يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية ـ هي مدة الاشهر الحرم لايغزون فيها ولا يقاتلون ـ علماً بأن هذه الاشهر مقدسة عندهم ـ فهدتهم قريحتهم الوقادة الى ان ينسئوها .

وكان هذا النسيء على ضربين : احدهما ان يؤخروا تحريم «المحـرم» الى «صفر» ، فيحرمونه ويستحلون «المحرم» ، فيمكثون بذلك زماناً ثم يعود التحريم

(١) ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٢ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٤٦ وما بعدها .

(٣) فجر الاسلام ص ٩ .

الى «شهرالمحرم» . ولا يفعلون ذلك الا في شن الغارات وطلب الثارات. وثانيهما ان يؤخروا الحج عن وقته ، تحريا منهم للسنة الشمسية ، وكانوا يؤخرونه في كل عام احد عشر يوماً او اكثر حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود الى وقته.(١)

كان النسيء في بطن من كنانة

وقد ادى ذلك الى نوع من الطبقية عندهم ، اذ كان النسيء في بطن من كنانة هم نسل «القلمس» حذيفة بن عبد وقيم الذى سن لهم هذه السنة ، يتوارثونه خلفاً عن سلف . وكان آخرهم «ابو ثمامة» جناده بن عوف ، عندما ظهر الاسلام فأبطل هذه العادة . يقول شاعرهم عمير بن قيس المعروف بجذل الطعان ، مفتخراً :

لقد علمت معـد ان قومـي — كرام الناس ان لهـم كراماً
وأى الناس فأتونـا بوتـر — واى الناس لم نعلك لجامـا
السنا الناسئيـن على معـد — شهور الحل نجعلها حرامـا (٢)

قريش تخص نفسها بامتيـازات

وكانت قريش وسائر سكان الحرم ، يخصون أنفسهم بامتيازات ليرتفعوا بها عن بقية الناس . اذ هم - على زعمهم -أهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها وليس لاحد من العرب مثل حقهم . وقد عظموا من الحل مثلما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة ، والافاضة منها، مع اعترافهم واقرارهم بأنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم(ع) ، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وان يفيضوا منها. ثم جعلوا لمن ولد من العرب ـ من ساكني الحل والحرم ـ مثل الذي لهم،وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك .(٣)

كما كانوا يتفاخرون في حجهم ـ أمـام الناس ـ ولا سيما قريش ، فيشيدون

---

(١) السيرة لابن هشام ح ١ ص ٤٥ ، وبلوغ الارب ج٣ ص٧٠ ، وانظر تفسير الاية ٣٨ من سورة التوبة في كتب التفسير .

(٢) سيرة النبي لابن هشام ج ١ ص ٤٤ - ٤٦ .

(٣) سيرة النبي لابن هشام ج ١ ص ٣١٦ .

بذكر آبائهم ويعددون مآثرهم ، ويذكرون أيامهم القديمة ، وأياديهم الجسيمة.(١)

الاجازة في «بني زيد مناة» والاضافة في «بني عدوان»

اما اجازة الناس بالحج من عرفة ، فقد كانت في «بني زيد مناة بن تميم» وآخرهم الذي قام عليه الاسلام «كرب بن صفوان» يقول شاعرهم «أوس بن تميم بن مغراء السعدي» :

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم ... حتى يقال: أجيزوا آل صفوانا(٢)

وأما الافاضة من المزدلفة ، فهي في «بني عدوان» ، كانوا يتوارثونها كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم «أبو سيارة عميلة بن الاحول» يقول ذو الاصبع العدواني:

عذير الحي من عدوان ... كانوا حية الارض

الى أن يقول :

. . . ومنهم من يجيز الناس ... بالسنة والفرض

ومنهم حكم يقضي ... فلا ينقض مايقضي (٣)

العصبية هدرت قيمة الفرد وجعلته أنانياً

والعصبية تلك ـ علاوة على الحروب التي نتجت منها ، والطبقية التي كانت امتداداً لها ـ فانها قد هدرت قيمة الانسان الفردية ، وجعلت من حياته شيئاً تافهاً لا وزن له ، فلا ضير على القبيلة أن يقتل جل أفرادها ـ لاقل سبب ـ مادامت محتفظة ـ على زعمهم ـ بمنعتها وقوة شكيمتها .

ولم يكن عقلاؤهم ليحيدوا قيد أنملة عن هذه العصبية ،حتى ولو علموا أنهم على ضلال في اتباعها والركون اليها ، يقول أحد حكمائهم وهو «دريد بن الصمة»:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

---

(١) انظر تفسير الطبرسي مجلد ١ ص ٢٩٧ (في تفسير الاية ١٩٩ من سورة البقرة) وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٤٣ .

(٢) السيرة لابن هشام ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣٤ .

وما أنا الا من غزيـة ان غوت غويت ، وان ترشد غزية أرشد

والذي يدرس حروبهم، وينظر في نتائجها نظرة المتأمل الباحث لابدأن تصدمه هذه النتيجة ، الا وهي ذوبان الفرد في المجموع ، وقلة عنايتهم باحترام حقوقـه وواجباته . . الا اذا قتل هذا (الفرد) بيد غريبة عن القبيلة ، فعندها يصبح ذا جـاه وقدر . . وقد تنشب المعارك ، ويستحر القتال ، طلباً بثأره ، فيكون لسان حاله قول القائل :

لالفينـك عنـد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زادي

وهدر القيمة الفردية ، شأنه تفكيك روابط الاخوة والبعد عن الشفقة والبـر والاحسان . وهو اذا فشا في مجتمع ما ، يؤدي الى ردة فعل مضادة . منها حـب الاثرة والجشع والاحتكار ، وعدم الشعور بالمسؤولية ، فيصبح المرء صلفا لايهمه الا نفسه ، ولا يجد في الحياة هوى الا في اشباع رغائبه ، وارضاء نزواته .

حب الاثرة نتج منه الربا والميسر

وهكذا كانت الحال في المجتمع الجاهلي ، حيث شاعت هذه المسـاويء جميعها وتفاقم خطرها . وكان الربا من أشدها وأكثرهـا ظلماً . فقد كان يؤكـل أضعافاً مضاعفة ، لايراعى في أخذه رحم أو قرابة ، ولا يراقب في الحصول عليه ال ولا ذمة.

كان الدائن يقول لمدينه اذا حل الاجل : «اما أن تقضي واما أن تربي» فان قضاه والا زاده في المدة ، وزاده الاخر في الاجر . وقد يحدث ذلك في كل عام ، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً .(١)

والى جانب الربا كان الميسر ، كلاهما يحمل معول الهدم ويساعد الاخر على تقويض دعائم الاسرة ، يقول قتادة : «ان الرجل كان يقامر في ماله وأهله فيقمر ، ويبقى حزيناً سليباً ينظر اليه في يد غيره فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء» (٢) الى غير

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤ (في تفسير الاية ١٣٠ من آل عمران) .
(٢) انظر تفسير الطبرسي مجلد ٢ ص ٢٤٠ (في تفسير الاية ٩١ من سورة المائدة)

ذلك من المساويء الكثيرة التي لا يحصيها عد والتي كان المجتمع الجاهلي يرزح تحت اعبائها ، ويعيش في حمأتها، فتطبعه بطابعها .

الخلاصة

لعل أدق صورة واخصرها ، لهذا المجتمع، ماقرره جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ، أمام «النجاشي» ملك الحبشة ، حينما سأله عن دين الاسلام ورسوله الكريم قال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف» . (١)

حالة العرب قبل الاسلام

وكنتم على شفا حفرة من النار ،مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطيء الاقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القد ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم،فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ص) بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ، ومردة اهل الكتاب .

فاطمة الزهراء (ع)

---

(١) انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

هاشم الكعبي

شاعر الملاحم العربية



السيد حسن الامين- بيروت

لا اسواق ولا وسائل اعلام

الحاج هاشم الكعبي المتوفى سنة ١٢٢١ هـ هو شاعر كل عيبه انه لم يعش في عهود الاسواق العربية الغانية ، فيفد الى عكاظ في موكب لجب يشق الجموع منشدا فتتألب عليه مصغية ، فيدور شعره على الاسماع من مكان الى مكان ، اويأتي المربد مفاخرا ومناقضا ، فتتداول شعره القبائل والامصار .

وكذلك هو لم يعش في عصور الصحافة والمذياع والتلفاز فيكون كل ذلك مجازا لشعره الى الآذان والنفوس .

بل عاش حيث لايبلغ صوته الى اقصى من مجلس للداته ، او سامر لحيه .وما كان ذلك ليصل في ذيوع اسم الشاعر وذيوع شعره الى بعض ماهما جديران به.

ولكن الزمن الذي حرمه من «الاسواق» ولم يوصله الى وسائل «الاعلام» عوض بعض شعره بما لايقل عن ذلك في الاشتهار والذيوع ، فوصلتنا شذرات من شعره في موضوع واحد لم تتعده الا لما لابد منه يومذاك من نسيب ووصف محدود .

شاعر آل البيت

فقد كان الشاعر مولعا بآل بيت محمد(ص) بعامة ،وبعلي وابنه الحسين منهم(ع) بخاصة ، معجبا بخلالهم ، مأخوذا بسجاياهم . فعبر عن كل ذلك بمطولات من القصائد هي في جوهرها ملاحم الشعر العربي .

وتناول قصائده هذا الموضوع بالذات هو الذي حفظ بعض شعره ، بينما ضاع بقية الشعر ولم يصل منه الا ابيات معدودات لاغناء فيها للدلالة على شاعريته في غير هذا الموضوع .

شعر تقليدي

يفتتح جل قصائده، بل كلها سواء كانت مدحا لعلي او رثاء للحسين(ع) بما ألف الشعراء قبله ان يفتتحوا به قصائدهم من نسيب يطول في اول قصائده او يقصر ، ويختلف النسيب في قصائد المديح عنه في قصائد الرثاء بانه في الاولى يسترسل فيه متحولا من معنى الى معنى ومنتقلا بين النسيب والغزل ، اما في الثانية فانه يقتضبه اقتضابا بحيث لايزيد على ان يكون معبرا الى مايريد الوصول اليه من الرثاء .

ففي ملحمته الدالية الكبرى التي تتجاوز المدح الى كونها تاريخا متسلسلا لحياة علي عليه السلام ،تراه وهو مقبل على المدح وتسجيل الاحداث ،انما يقبل على ذلك بمرح وانشراح نستشفهما من نسيب القصيدة وغزلها على عكس مانرى في قصائده المختصة برثاء الحسين كما سنرى بعد .

فهو يفتتح الدالية بمثل قوله :

حملتها الغصن الرطيب وورده — وحملت فيك الهم والتسهيدا

وجعلت حظي من وصالك ان ارى — يوما به القى خيالك عيدا

لو شئت ان تعطى حشاى صبابة — فوق الذي بي ماوجدت مزيدا

أمعرس الحيين مالك لم تجب — مضنى ولم تسمع لـه منشودا

ولكنه مهماكان منشرحاً في نسيبه لاتلبث ان تطغى عليه جدية الموضوع فتراه ينسب ويتغزل بمثل هذا القول :

اهوى رباك وكيف لي بمنازل — حشدت علي ضغائنا وحقودا
قد كنت توضح بالاسنة والظبى — معنى وتفصح موعداً ووعيدا
حيث الشموس على الغصون ولم — تكن عاينت الا اوجها وقدودا
من سام عزك فاستباح من الشرى — آساده ومن الخدور الغيدا
اني انتفى ذاك الجلال واصبحت — ايامك البيض الليالي سودا
مابعدت منك القريب حوداث — عرضت ولا قربن منك بعيدا
فلأنت أنت وان عدت بك نية — عن ناظري وتركن دونك بيدا
ولئن ابحت تجلدي فلطالما — ألفيتني عند الخطوب جليدا

ثم يأخذ في المديح :

ياصاحب المجد الذي لجلاله — عنت البرايا منصفا وعنيدا
لك غر أفعال اذا استقريتها — اخذت علي مفاوزا ونجودا
وصفات فضل اشكلت معنى فلا — اطلاق يكشفها ولا تقييدا
ومراتب قلدتها بمناقب — كالعقد تلبسه الحسان الخودا
مامر يومك ابيضاً عند الندى — الا انثنى بدم العدى خنديدا
يجنون ماغرست يداك قضية — ألقت على شهب العقول خمودا

الملحمة الدالية

وبعد ان يجمل القول فى المديح يعود الى التفصيل وذلك بسرد الوقائع والاحداث مردداً شعرا جميلا يظل فيه على ارفع مستوى فى الشعر ، وبذلك يوغل فى الشعر الملحمي مخرجاً للادب العربي ملحمة لاتقل عما عرفته آداب الامم الاخرى من ملاحم ، لولا انها لم تبلغ في الاطالة وتنوع الاوزان والقوافي مايمكن ان تكون قد بلغته الملاحم الاخرى ، وان تكن من اطول ــ ان لم تكن اطول ــ ماعرفه الشعر العربي

من قصائد متميزة عن كل الشعر بوحدة الموضوع اذا استثنينا النسيب القليل في أولها :

انى هم والخيل ينشر وقعها ... نقعا تخال بـه السماء كديدا
ومواقف لك دون احمد جاوزت ... بمقامك التعـريف والتحديـدا
فعلى الفراش مبيت ليلك والعدى ... تهدى اليك بوارقاً و رعودا
فرقدت مثلوج الفـؤاد كأنما ... يهدى القراع لسمعك التغريدا
فكفيت ليلته وقمت معارضا ... بالنفس لافشلا ولا رعـديدا
فاستصبحوا فرأوا دوين مرادهم ... جبلا اشم و فارسا صنـديـدا
رصدوا الصباح اينفقوا كنز الهدى ... او مادروا كنز الهدى مرصودا

وهكذا نراه يبدأ باول موقف من مواقف علي عليه السلام المعدودة يوم فدى النبي (ص) بنفسه ليلة الهجرة فنام في فراشه ليوهم المتآمرين ان محمداً لايزال نائما ثم ينتقل الى الموقف الثاني ، موقفه يوم بدر وقد كان علي وعمه حمزه بطلي ذلك اليوم :

وغداة بـدر وهـوم وقائـع ... كثـرت ومازالت لهن ولودا
قابلتهـن فلم تـدع لعقودهـا ... نظمـاً ولا لنظامهـن عقيـدا
فالتاح (عتبة) ثاوياً بيمين من ... يمناه اردت (شيبة) و(وليـدا)
سجدت رؤوسهم لديك وانمـا ... كان الذي ضربت عليه سجـودا
وتوحدت بعدازدواج والـذي ... ندبـت اليه لتهـتدي التوحيـدا

ويسترسل في الوصف والتعديد منتقلا من بدر الى احـد الى الخندق وبني قريضة والنضير وحنين وخيبر ، الى كل وقائع علي عليه السلام التي كان فيها بطل الابطال ، ثم يعود بعد التفصيل الى الاجمال من جديد ، ثم ينتقل الى رثاء الحسين بنفس الاسلوب والقوة :

ومجرّح ما غيرّت منه القنـا ... حسنـاً ولا اخلقـن منه جديدا
قتلـوا به بـدراً فأظلم ليلهـم ... فغدوا قياماً في الضلال قعودا

ويختتم ملحمته فخورا بها :

وفصيحـة عربيـة مأنوسـة ... لم تألف الوحشي والتعقيدا

رثاء الحسين

وفي رثائه الحسين يبدأ كذلك بالنسيب ولكنه نسيب من نوع آخر نسيب لحمته الأسى وسداه الجزع :

باتت عليَّ مع العوادي لوّاحة خِلْوَ الفؤاد
ظنت صلاحي بالسلوِّ وكان لي عينَ الفساد
ما للخواطر والسلو وللنواظر والرقاد
جهلا تطالب سلوة من ظاهر الاحزان باد

وينتقل الى الرثاء بمثل قوله :

قل للمطهرة البتول وامها ذات السداد
تأتي الحسين بكربلا ملقى تكفنه البوادى
اشلاؤه فوق الصعيد ورأسه فوق الصعاد
تأتي مُشال الرأس فوق الرمح مقطوع الايادى
تأتي البدورَ التم كيف عدا بها المركب عاد
تأتي البحور القُعْمَ كيف تزايلت ظمأى صوادي
تأتي شريعة جدّه البيضاء لابسة السواد

واذا كان في هذه القصيدة قد جعل ابيات النسيب بضعة ابيات فأنه في قصيدة اخرى لم يجعلها الا بيتاً واحداً مضى منه فى الحال الى الرثاء :

كم يُتبع الاظعان لحظا جفنُك المستعبر
انسيت مشهور الطفوف وما هنالك يذكر
يوم على الطِّرف الاغرِّ علا اغرُّ مشهَّر
حامي الحقيقة مُعْلَم طلق الذراع غضنفر
ومضمخ بدم الوريد وبالتراب معفر
ألجو من صادى دماه ممسك ومعنبر

والليـل مـن انـواره ضاحـي العشية مقمر
لبسـت اشعتـه الليالي فهـي بيـض تزهـر

الملحمة اللامية

وفي ملحمته الكبرى اللامية في رثاء الحسين يبتدىء بنسيب طويل ولكنه حزين كئيب هو اقرب الى ان يكون رثاء للديار وبكاء للاطلال من ان يكون نسيباً:

لو كان في الربع المحيل برء العليل من الغليل
ربع الشباب ومنزل الاحباب والظـــــل الظليـل
لعب الشمال بـه كمـا لعبـت شمـول بالعقول
طلل يضيف النازليـن شجـاوه قبـل النـزول
مستأنساً بالوحش بعـد اوانـس الحـي الحلـول
مستبـدلاً ريماً بريـم آخـذاً غيـلا بـغيـل
لا يقتـضـي عـذراً ولا يرتاع من عذل العذول

وكما كانت الدالية المتقدمة ملحمة تاريخ علي فهذه اللامية ملحمة ثورة الحسين وكما وصف هو الاولى بأنها: «فصيحة مأنوسة لا وحشي فيها ولا تعقيد» يمكننا ان نصف الثانية بنفس الصفات ونضيف الى ذلك بأنها من الشعر السهل الممتنع، تتدفق عذوبة ورقة، وتفيض بانبل الاحاسيس وارق الشعور:

آل الرسول ونعم اكفاء العلى آل الرسول
خير الفروع فروعهـم واصولهم خير الاصول
ركبوا الى العز المنون وجانبوا عيش الذليل
وردوا الوغى فقضوا وليس تعاب شمس بالافول

ويخص انصار الحسين بمقطع من قصيدته قائلا فيه:

ومعارضي اسل الرماح بعارض الخد الاسيل
يمشون في ظل القنا ميل المعاطف غير ميل

وردوا على الظمأ الردى ورد الزلال السلسبيل
وتروا على الرمضاء من كابٍ ومنعفر جديل

ويخاطب الحسين نفسه بمثل قوله :

يا ابـن الذين توارثوا العليـا قبيـلا عن قبيل
والسابقين لمجدهـم في كل جيل كل جيل
ان تـمس مـنكسر اللوا ملقى على وجه الرمول
فلقـد قـتلت مهذبـاً من كل عيب في القتيل
يـهدي لك الذكر الجميل على الزمان المستطيل
ما كنـتَ الا السيـفَ ابلتـه الضرائـب بالفلول
والليثَ اقلع بعدما دقّ الرعيل على الرعيل
والطـّرف كفكف بعدما غلب الجياد على الوصول
والشمسَ غابت بعدما هدت الانام الى السبيل

اشعار اخرى

وكما قلت فأنه لم يصلنا من شعره الا هذا اللون وحده ، ويبدو انه كان له ديوان جامع لشعره (١) ولكنه ضاع فيما ضاع من المآثر والآثار ، ومن خلال قصائده التي بين ايدينا نرى شيئاً من وصفه وهو وان كان وصفاً تقليدياً ، ولكنه الى حد ما شيء طبيعي . ففي ختام ملحمة حسينية اخرى له يتحدث عن الناقة مخاطباً راكبهـا السائر الى طفوف كربلاء محملا اياه اشواقه وعواطفه :

قد قلت للساري المغب المجلس الوجناء عامه
علق بقطع البيد وصـال السـرى سئم السآمه
يزجي لها زيـّافة في سيرها مثل النعامة
لبس الدجى بـُرداً وصيـّر جنح غيهبه لثامه

---

(١) : الطليعة .

بالله ان جئت الطفوف مبلغاً عني سلامه
من بعـد ان قبّـلت تربتـه واكـثـرت التـشـامـه
وشفيت داءك ان مسحت بوجهك العالي رغامه
فاذكر له الشوق الملح وكيف هيّـمه هيامه

وهكذا نرى ان الوصف لم يأخذ منه الا ثلاثة ابيات ثم غلبته عاطفته فأقلع عن الوصف الى قول ما يريد .

كما وصلتنا ثلاث مقطوعات قصيرات من غزله ، ولكنها ليست مـن جنس هذا الشعر في تفوقه وأصالته مما يدلنا على انه ربما كان باقي شعره مصنوع الفكرة لامطبوعها متكلف النظم لامطاقه .

فمن ذلك قوله :

بنفسي البارع الحسـن المقيم لصبوتي الحجة
شوى قلبي ولكن قـد اثار به الهـوى عجـه
رمـاه بسهـم ناظـره فاشجـاه كمـا شجـه
ضـرورة حسنه اغنت عن البرهان والحجـه
وما للمـدعي دعـوى لها وجـه وان وجـه

وشاعرنا هذا ـ كما قلت ـ متوفى سنة ١٢٢١ هـ . اما تاريخ مولده فغير معروف وأما نسبته (الكعبي) فربما كان منسوبا الى قبيلة كعب العربية التي تسكن الاهواز ونواحيها وربما كان منسوباً الى بلدة كعب التابعة للقطيف والمعروفة اليوم باسـم «كعيب» واى النسبتين صحت لاتخرجه من شواطيء الخليج ولا تبعده عن نخيله .

وتفاصيل حياته ليست معروفة سوى ماقيل من انه كان مقرباً عند حكام البصرة محترم الجانب .(١)

(١) : الطليعة .

مع حياة القادة

١١

أهل البيت

سياسة فذة .. وعطاء خالد

الشيخ محمد علي التسخيري

* الجو الصالح لتطبيق الاطروحة الاسلامية
* ١ ـ المهمة الكبرى
* ٢ ـ ابعاد الحكم الامثل
* ٣ ـ عدة الاطروحة
* ٤ ـ اهم مقومات التربية الاجتماعية

الجو الصالح لتطبيق الاطروحة الاسلامية

مما سبق :

مازلنا في مجال تقديم نماذج للموقف السياسي العام للائمة (ع) وبدأنا بطرح السؤال الذي علق في اذهان البعض وهو :

لماذا لم يساوم امير المؤمنين أمثال معاوية الى فترة من الزمن حتى تتقـر

دعائم حكمه ثم يقضي عليه في النهاية ـ مع الاعتراف سلفاً بعدم صلاحية معاويـة لمنصبه ؟

والانفلنلاحظ العوامل التي تطلبتهذا الموقفالحدي منامير المؤمنين(ع) واول هذه العوامل مايمكن ان نطلق عليه اسم الجو الصالح ، لتطبيق الاطروحة الاسلامية ، ويتوضح بملاحظة النقاط التالية :

-١-

المهمة الكبرى :

لو رجعناالى ماسبق منحلقات حول الرسالة الاسلامية والدور الذياعدللامام امير المؤمنين كي يقوم به خير قيام من جهة ، ورجعنا الى الاحداث العامة التي رافقت طلب الامة اليه ان يقبل السلطة ، ودققنا فى الادوار الاجتماعية التي اصيب بها المجتمع المسلم آنذاك في مختلف نواحيه ، سواء في ذلك الجانب السياسي والجانب الحقوقي والمالى ، او الجوانب التربوية والعقائدية . . . لو قمنا بكل ذلك ، لادركنا بوضوح الحاجة التاريخية الكبرى لان يقوم الامام (ع) بانزال اطروحة ، نابضة ، مفصلة ، واقعية تعمل على اعادة الاسلام بكلصفائه وتنقية ماعلق فى الاذهان من انحرافاتفى مفاهيمهواعطاء الصيغةالتيارادها الاسلام لتلكالمرحلة بمقتضى مرونته ، وواقعيته فقدرأى (ع) «انالمجتمع الاسلامى قد تردىفىهوة من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية التى زادتعمقاً وحدة بسبب السياسةغير الحكيمة التىاتبعهاولاةعثمانمدةخلافتهورأىانالتوجيهات الدينيةالعظيمة التى عمل النبى (ص) علىارساءاصولهافيالمجتمعالاسلامىالناشىءقد فقدت فاعليتها فى توجيه حياة الناس .

وانصار الناس الى واقعهم هذا لانهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التى تهيمن عليهم ، فراحوا يسعون الى اقرار حقوقهم وصيانتها بانفسهم ، وهكذا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب ان تقود حياتهـم ، والسبيل الى تلافى هذا الفساد هو اشعار الناس انحكماً صحيحاً يهمن عليهم لتعود الى الناس ثقتهم الزائلة بحكامهم ، ولكن هذا لم يكن سهلا قـريب الجنى فثمة طبقات ناشئة لاتسيغ مثل هذا ولذلك فهي حرية بان تقففيوجه

كل منهج اصلاحي ومحاولة تطهيرية» (١)

نعم لم يكن شيئاً يسيراً ان يقوم الامام بتخطي كل العقبات خصوصاً ، وان اطروحته كان يجب ان تكون واسعة الابعاد بمقدار اتساع مدى الهدف منها : وهو تنقية العقيدة والنظام الاسلاميين بكل نواحيهما ، من كل ماعلق بهما من ابهام نتيجة الفهم الخاطىء ، او التطبيق غير التام . ويكفي لكي ندرك ابعاد هذه الاهمية ان نلتفت الى ضرورة احتوائها على الجزء الاهم في الحياة الاجتماعية ، وهو مسألة الحكم ، والشروط التي يجب توفرها في الحاكم والولاة ، واساليب الادارة العامة ومشاكل التوزيع والتسيير الاقتصادي فضلا عن الجوانب الاخرى التربوية والعقائدية التي قد لاتقل عنها اهمية .

فاذا كان الامر كذلك فانه تنتظر الاطروحة العقبات الكبرى والمشاكل المريرة والتي تطرح نفسها ، نظراً لطبيعة الاطروحة اولا ، وللوضع السائد الذي يتنافى مع كثير من مقرراتها في المرحلة العملية ، وان تلاءم معها نظرياً .

ولئن لم نكن الان بصدد بيان هذه الاطروحة بكاملها اذ لها موضع آخر فانا يمكننا ان نشير الى الجزء الانف بشيء من الاختصار وبشكل نصوص توضح الموقف لنخلص بعد ذلك الى النتيجة المطلوبة :

-٢-

أبعاد الحكم الامثل

يقول امير المؤمنين في هذا الصدد :

«وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم همته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ،

---

(١) ثورة الحسين لسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ٣٦ – ٣٧ .

المعطل للسنة فيهلك الامة» (١) .

ويقول (ع) (ايها الناس ان لي عليكم حقاً ولكم علي حق : فأما حقكم علـي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا ، واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم ، والطاعة حين آمركم) (١) .

«انه ليس على الامام الا ما حمل من أمر ربه : الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة ، واقامـة الحدود علـى مستحقيهـا واصدار السهمـان على أهلها» .

ويقول (ع) : «وان شر الناس عندالله امام جائر ضل وضل به فأمات سنة مأخوذة ، واحيا بدعة متروكة ، واني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول [يؤتى يوم القيام بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في نار جهنم ، فيدور بها كما تدور الرحى ، ثم يرتبط في قعرها]» .

اما العلاقة بين الوالي الذي يبعثه الامام مع الرعية ، فيصورها لنا اروع تصور عهد الامام امير المؤمنين الى الاشتر اذ يقول (ع) فيه . . « **واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً . . .** »

«فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالامور . . . »

الى ما هنالك من توضيحات رائعة لا يمكننا ان نسهب في ذكرها فهي توضح لنا عظمة هذا الجانب التي اذ الوحظت الى صف الجوانب الاخرى وما فيها من خطط وتعاليم ، تتشكل صورة اجمالية عن اطروحة عظمى ينتظر ان تقف أمامها المشاكل والفتن الكبرى التي تتربص بها محدقة ومنها بل اكبرها فتنة معاوية واتباعه اذ يقول فيهم امير المؤمنين (ع) :

«ايها الناس فاني فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترى عليها أحد غيري بعد

---

(١) نهج البلاغة . تعاليق صبحي الصالح ص ١٨٩ .

ان ماج غيهبها واشتد كلبها» (١) فماهي عدة الأمام لخوض ساحات الصراع

-٣-

عدة الاطروحة

يحلو للبعض من سذج الباحثين ان يحصروا عدة العمل التنظيمي الكبير ب او بوجود الايمان بخطوطه الرئيسة بين الأكثرية الساحقة . . ولكن هؤلاء عند يصطدمون بمجتمعات آمنت بقضية او فكرة ولكنها عادت مغلوبة لنوازعها الخ التي عارضت التطبيق . . او لم تستطع ان تواكب عملية التطبيق الى حيث اله المرسوم ، وانما تعثرت في المنتصف . . . وانحرفت بها الامور حتى انقلبت اهدافها التي آمنت بها من قبل واخذت تعمل على خلق نقيض تلك الأهداف ، ع يصطدم هؤلاء بامثال ذلك يضطرون الى القول بضرورة التثقيف وايضاح الاه بخطوطها العريضة وعدم الاكتفاء بمجرد الايمان الساذج . . .

ولكننا نلاحظ اننا لم نتقدم في هذا المجال ـ مجال انزال تلك الخطة ا الواقع الاجتماعـي ـ الا خطـوات . . ونحـس بالافتقـار الى بعـض العناء الضرورية الاخرى .

وهنا يمكن ان نلفت الى عنصر مهم لمثل هذا العمل وهو عنصر خلق اله المتأججة . . وايجاد نوع من الترابط الاحساسي بين الامة موضوع التطبيق الفكرة وابعادها ، وذلك بعد ان تحس الامة بنتائجها القيمة . ولحد الان فاننا ن ايضاً قد قطعنا نصف الطريق فقط . . . !

ويبقى هنا ان نمنح العنصر الاخر اهميته الكبرى التي قد توازي العناصر السابقة . . وذلك العنصر هو عنصر تربية الوعاة العقائديين المتشبعين الاطروحة والواعين لكل ابعادها بالتفصيل والمنشدين الى اهدافها . . والذين يس

---

(١) نهج البلاغة ص ١٣٧ .

كل وجودهم لصالحها واذا كانت الاطروحة مما يرتبط بالسماء فهم يربطون بين انتصارها وبين خلودهم ونعيمهم الدائم . . ويحسون بعمق بانهم يتعاملون مع عالم الدنيا والآخرة لامع فترتهم الزمنية المحدودة . .

اذن كان من الضروري ان يحاول الامام (ع) ان يبني هذه الفئة الواعية التي تنبث في الامة مشكلة عروق وعي تسري فيها الدماء المحركة !! .. ويتأكد هـذا المعنى عندما نلاحظ ان الامام (ع) كان يحاول ان يكون العراق منطلق ذلك العمل الواسع . . والعراق كان مايزال . . غض الاسلام لين العود . . . فقير الافكار .

نعم كان على الامام ان يبني كما كان على النبي (ص) من قبل ـ ان يبني اولا اولئك الوعاة طبعاً مع الاحتفاظ بالفوارق الموضوعية بين العمليتين ، ولكنهما ـ على كل حال ـ حلقتان مترابطتان من عملية التربية الكبرى البشرية ، وعملية ـ بناء فئة تاريخية ، تتحمل ثقل تطبيق عمل تاريخي ليست بالامر السهل وانما تحتاج الى امور ، فماهي تلك الامور؟

اهم مقومات التربية الاجتماعية

العملية التربوية الناجحة تتطلب من المقومات بمقدار سعة هدفها وضيقه.. فكلما اتسعت الاهداف . . . وكلما ارتبطت بعوامل عميقة البعد في النفس والذهن الانسانيين ـ اى احتاجت الى قناعة فكرية ونفسية اكبر ـ كلما وجب توفر عناصر اكثر .

وان عملية التربية لفئة يراد منها ان تحرك الامة وتشكل عصبها المن اشد انواع التجارب تطلبا للجهد واقتضاء للعناصر . . فاننا والحالة هذه نحتاج الى :

أ ـ توفر المبدأ الصالح الحي الذي يستطيع بطبعه ان ينفذ الى اعماق الانسان ويتفاعل مع وجدانه ويتحد مع وجوده .

ب ـ وجود المربي الكبير الذي يشكل وجوده وجود ذلك المبدأ وحركته حركته ، الخبير بالاساليب التي يضعها له نفس المبدأ للقيام على التجربة بكل جدارة

حـ ـ توفر الاستعداد في المواد موضوع التجربة وتحصل الخبرة بهذا بعد لاي من الاختبار .

د ـ واخيراً توفر الجو النظيف لئلا تقوم العناصر الخارجية المتنافية م
روح التجربة بتشويه الصورة ، او الأجهاز على النتيجة .

وهذا العنصر الاخير هو مفتاح السر في جوابنا هذا على المشكلة ال طرحت في العدد السابق .

اذ مما لاريب فيه ان اول الشروط التي يجب توفرها في مثل هذا الجوهـ مطابقة عمل القائد لمبادئه التي طالما اعلنها وركز عليها وبنى خطه المتفرد عا اساس منها .

ان اي تنافر يمكن ان يحس بين المبدأ والعمل هنا . وحتى لوكان يجد مبرراً قوياً ، سوف يؤثر اثره العميق في تلويث الجو الخاص لعملية التربية . وزرع بذور الشك في روحية الفئة مادة التجربة .

فاذا توضح لنا هذا يتوضح لنا سر الموقف الحدي الصارم للامام (ع) وهو الذ بنى حياته على مقارعة الظلم ،ومحاربة الاستغلال ، ورفع مبادىء الاسلام بكل نفائ وعمل كل مايستطيع في سبيل ازاحة الولاة غير اللائقين لهذا المنصب وذمهم ا الذم بقوله (ع) **«ولكن اسى ان يلي أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذ مال الله دولا وعباده خولا ، والصالحين حربا فان منهم الذى قد شرب فيه الحرام ،وجلد حدا في الاسلام ، وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له : الاسلام الرضائخ»** .

كما انه هو القائل في اوائل ما استهل به حكمه **«ايها الناس اني رجل منكم مالكم وعلي ما عليكم ،واني حاملكم على منهج نبيكم ، ومنفذ فيه ما امر** اجل ان علياً (ع) كان يمثل القائد الفرد الذي اوصى بولايته الرسول ، والعقائ الكفء الذي يستطيع ان ينشر العدل ويزيل الظلم واوكاره .

ومع هذا فهل يمكن ان نتوقع للمساومات ؛ وانصاف الحلول ، موضع قدم حياته وبيده أزمة السلطة بعد تلك السوابق والمبادىء الجليلة التي كان يتمتع بها ذلك.«ان انصاف الحلول او«بيع الامة مع خيار الفسخ» ....

ـ كما يعبر به احد العظماء ـ لم يكن ليعنى مطلقاً الافشل التجربة العظمى فى توفير الفئة الواعية المدركة المشربة بمبادئها واهدافها ، وذلك لضياع اهم ضمان للنجاح ،وهو الاطمئنان التام بالقائد ، والثقة الكاملة بصلاحيته وجدارته ، واخلاصه.

ولايمكن ان يتصور هؤلاء قائدهم الذي يقول في امثال معاوية من بني امية :

(الا وان اخوف الفتن عندى عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب البلاء من أبصر فيها ، واخطأ البلاء من عمي عنها . . . ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية،وقطعاً جاهلية ، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى» (١) .

ويصف رايتهم بأنها «راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة . قائم على الظلة» (٢)

كما انهم «مطايا الخطيئات وزوامل الاثام» (٣)

نعم لايمكن ان يتصوروا قائل هذه العبائر وهو يساوم على بقاء هؤلاء في دست الولاية والسلطة وقائدهم «خارج من الملة قائم على الظلة»

ان ظلمهم حينذاك سينتسب اليه شخصياً وسيكون المسؤول غير المباشر عن كل اعمالهم . . وهل يرضى على (ع) بذلك وهو الذي يقول :

«والله لان ابيت على حسك السعدان مسهداً اواجر فى الاغلال مصفداً أحب الى من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشي من الحطام وكيف اظلم أحداً لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها؟ !» (٤)

وفى نفس الخطبة يقول :

«والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها ، على أن اعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلته» . بل كيف نتصور موقف هؤلاء الذين يرادلهم ان يقتفوا اثر اميرالمؤمنين حينما يرونه يساوم على مبادئه خصوصاً وانه لم تتضح لهم

---

(١) نهج البلاغه ص ١٣٨ .

(٢) نهج البلاغة ص ١٥٦

(٣) نهج البلاغة ص ٢٢٤ .

(٤) نهج البلاغه ص ٣٤٦ .

تلك المبررات .

على اننا يجب ان نلتفت الى ما اشرنا اليه من ذي قبل وهو ان الامام ارادان بركز قاعدة حكمه في بلد جديد العمل بالاسلام وينتقي من هذا البلد تلك الصفوة ليبنيها من جديد محققاً اهم المقومات التي تكفل له القيام بمشروعه المقدس . . فلم تكن الفئة متوفرة من قبل حتى يتفق معها ـ على مسألة المساومة وانصاف الحلول ـ ان امكن فرض ذلك أصلا . .

فالامام يحتاج الى بناء هذه الصفوة لهذا الفرض الثانوي اضافة الى وظيفته الاصلية العامة التي لا تختص بحالة دون اخرى وهي بناء الافراد عموماً ومواصلة دفع العملية التربوية السماوية نحو الامام .

وهكذا كان الامر وتخرج على يد الامام (ع) اناس افذاذ تفتخر بهم البشرية ويندر وجودهم . . ادوا ادوارهم خير اداء وامتدوا معنى فى نفوس تابعيهم باعثين نار الحركة نحو الاسلام فى الامة على مدى الاجيال .

يصفهم (ع) فيقول :

«انتم الانصار على الحق ، والاخوان فى الدين ، والجنن يوم البأس، والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر ، وارجو طاعة المقبل ، فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب، فوالله اني لاولى الناس بالناس»(١)

ويتأوه على مجموعة طاهرة منهم قتلت في صفين فيقول :

«ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين ان لا يكونوا اليوم احياء؟ يسيغون الغصص ويشربون الرنق . قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم ، واحلهم دار الامن بعد خوفهم ، اين اخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق ؟ اين عمار ؟ واين ابن التيهان؟ واين ذو الشهادتين؟ واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤوسهم الى الفجرة . [قال نوف البكالي ـ وهو راوي الخطبة ـ ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فاطال البكاء ثم قال عليه السلام] :

---

(١) نهج البلاغة ص١٧٥ .

اوه على اخواني الذين تلو القرآن فاحكموه ، وتدبروا الفـرض فأقامـوه، احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فاتبعوه»

والى العدد القادم حيث نقوم ان شاء الله بعرض الردود الاخرى التي يكفي كل منها بمفرده او منضماً الى الاجوبة الباقية لتوضيح الموقف واثبات واقعية موقفـه عليه السلام وانسجامه تماماً مع الوظيفة الخاصة للامام ومتطلبات الواقع والله الموفق .

من كتاب الامام علي (ع) الى مصقلة الشيباني عامله على أردشير خرة .

بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك وأغضبت امامك : أنك تقسم فيء المسلمين ... فيمن اعتامك من اعراب قومك . فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك علي هواناً ، ولتخفن عندي ميزاناً ، فلا تستهن بحق ربك ، ولا تصلح دنياك بمحق دينك ، فتكـون من الاخسرين اعمالا .

الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء ، يردون عندي عليه ويصدرون عنه.

عبد الله بن سبأ

بين الواقع والخيال

«٤»

السيد هادي الخسروشاهي

رأى الاستاذ اسد حيدر في اسطورة ابن سبأ

اثر هذه الاساطير التي لفقت وملأت عدة صفحات ، في تاريخ المسلمين، لتناقل الاقلام لها والالسن ، بلغ الأمر الى الاعتقاد بصحتها، حتى ان الكتاب المحدثين لم يجدوا اكثر توفراً ، من المصادر الضارة المزيفة ، فاعتمدوا عليها ، غافلين عما دسه الحاقدون والمغرضون ، ومع ذلك كل يدعي الموضوعية في بحثه . . (١)

انه لمن المؤسف حقاً ان يخوض الوعاة من ابناء الأمة الاسلامية ، في مثل هذه الاساطير ، التي هي عين التفرقة ، وفتح الباب على مصراعيه للشامتين ، والمتصيدين في الماء العكر . . لقد تغافل هؤلاء الكتاب ، قصد المختلقين لهذه الأوهام والخرافات ، التي سيطرت على اذهان السذج من الناس ، فمزقت عرى الوحدة الاسلامية ، وفرقت المسلمين... يقول الاستاذ اسد حيدر :«كل هذه التشنيعات اثارها حب الشيعة لآل الرسول -ص- الذين أمر الله بمودتهم، واوحى الى رسوله باكرامهم وحفظهم ، وقرنهم بالكتاب العزيز ، الذين مثلهم رسول الله -ص- بسفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى . . . وقال -ص- :«احبوا

(١) «كتاب الى شيخ الازهر» للاستاذ عبد الله السبيتي .ط . بغداد . ص ١١٥ - ١١٨

الله لما يغدوكم به نعمه ، واحبوني بحب الله ، واحبوا أهل بيتي بحبي(١). . ليت شعري ، كيف ينقم على الشيعة من يحب الرسول وأهل بيته؟ولماذا يتهمون الشيعة بالباطل ، ويرمونهم بكل فرية ؟ .

يقول الاستاذ اسد حيدر : «اننا نناشد المصلحين من الكتاب والمؤلفين الموضوعيين ، ان يدرسوا تاريخ الشيعة دراسة تنشد الحق، بعيدة عن التعصب والتحيز، فاننا في مثل هذا العصر الذي اشتد فيه وعي المسلمين ، في أمس الحاجة الى جمع الكلمة ، وفي غنى كبير عما خلقته العصبية السوداء والطائفية الرعناء العمياء. يجب ان نجعل مآسي الماضي عبرة امامنا ، وان نتسلح ضد التيار الجارف الملحد، الذي لن يغض طرفه عنا»(٢)..حقاً ان مثل هؤلاء النقاد الجدد ، اذا كانوا يرون ماينبغي عدم تركه ، يجب ان يدعموا أقوالهم بالأدلة والبراهين المفيدة ، لا ان يعتمدوا على اقوال المستشرقين ، الذين من اكبر امنياتهم النيل من الاسلام والمسلمين . . وانه لمن المؤسف حقاً ان يصل طريقه المثقف فيأخذ بأقوال الخصوم ، ويبتعد عن تراثه الاسلامي التليد ، حين يأتي ليكتب شيئاً عن دينه والابدال الذين هم قوام الدين . . ان هذه التشكيكات لتدعوا العامة للتشكيك في السنة الشريفة ، ورواة الحديث، بل ونبذ الاحاديث المتواترة ، وهذا ليس بخفي خطره اليوم . . عجباه من اولئك الكتاب الذين تصدوا لانكار فضائل أمير المؤمنين (ع) والضرب عرض الجدار ، حتى بما رواه غير الشيعة ، وهذا بلا ريب تجاسر عظيم على جميع المسلمين . . والذي هو أعجب ، تخدر اعصاب جميع المسلمين ، وسكوتهم عن المخربين.. هل في فضائل علي (ع) شك ، وقد ظهرت كالشمس في رائعة النهار؟يقول احمد بن حنبل :«ماورد لاحد من الصحابة من الفضائل بالاسانيد الصحاح ، مثلما ورد لعلي(ع)» (٣)وبمثل

(١) صحيح الترمذى ج ١ ص ٣٠٧ ، وكتاب شرح المواهب اللدنيه ح ٧ ص ٩،نقلاعن الامام الصادق والمذاهب الاربعة . لاسد حيدر .

(٢) الامام الصادق والمذاهب الاربعة . لاسد حيدر ج ٣ . راجع رده على مؤلف كتاب «ادب الشيعة» .

(٣) مناقب احمد ، لابن الجوزى ص١٦٣ .

هذا قال اسماعيل القاضي ، والنسائي وابو علي النيسابوري وغيرهم(١) . . اذاكان مثل هؤلاء الرواة والاقطاب كذبة وغير موثوقين ، فعلى عقيدة المكذب للحديث السلام . . يقول الاستاذ اسد حيدر : «على أي حال ، فان علي بن ابي طالب(ع) قد اختص بمزيد فضل وعلو منزلة ، لايدانيه فيها احد . فقد رباه النبي -ص- في حجره ونشأ في ظله ، وتغذى بتعاليمه منه ، واودعه اسراره (٢) ولازمه طول حياته، وسبق الى تصديقه فى الرسالة قبل كل أحد ، ولبى دعوته في مؤازرته يوم نزلت الاية (وانذر عشيرتك الاقربين) ، وفداه بنفسه يوم ازمع كفار قريش على قتله -ص- ، وامره الله بالهجرة (٣) فاختصه بمؤاخاته يوم آخى بين اصحابه، فأخذ بيده وقال: هذا أخي (٤) وهو منه بمنزلة هارون من موسى وكان اصحاب محمد -ص- يعبرون عمن سب علياً بأنه قد سب النبي -ص- (٥) كما كانوا يعرفون المنافقين ببغضهم لعلي بن ابي طالب (ع) لان النبي -ص- قال : «ياعلي لايحبك الامؤمن، ولايبغضك الا منافق»(٦) وقال جابر : «ماكنا نعرف المنافقين الا ببغضهم علياً»، ومثله قال ابو سعيد الخدري(٧)» . . ويضيف الاستاذ اسد حيدر الكثير من الادلة الساطعة والبراهين التي لاتحتاج الى تساؤل في فضل أمير المؤمنين(ع) فيقول(٨): . . . يكفينا ماورد في حق علي (ع) في قوة ايمانه ومحبته لله ورسوله ، ومحبة الله ورسوله له ، كما أورد الاحاديث في فضله غير الشيعة ، عن الرسول -ص- يوم خيبر انه قال: لاعطين الراية غداً ، رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه»(٩)

---

(١) مناقب الامام على (ع) للعينى ص ١٢ .

(٢) نقلا عن الامام الصادق والمذاهب الاربعة لاسد حيدر نقله عن مناقب الامام على للعينى.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص٥٩ .

(٤) نقله عن الرياض النضرة وكنز العمال والاصابة .

(٥) نقله عن تذكرة الحفاظ والبخارى ومسلم .

(٦) نقله عن الرياض ج ٢ ص ٢١٩ ، وخصائص النسائى ص ٢٤ .

(٧) نقله عن مسلم ج ٢ ص ٦٤ شرح النووى .

(٨) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٩) اعتمد الاستاذ على ما اخرجه مسلم والبخارى واحمد بن حنبل .

. . ويقول ابن تيمية : عندما اعتصم اليهود في حصونهم ولم يستطع احد من الاقدام وكان الفتح على يدي علي (ع) : «ان في ذلك شهادة لعلي (ع) بايمانه باطناً وظاهراً واثباتاً لموالاته لله تعالى ، ورسوله (ص) ووجوب موالاة المؤمنين له» (١) .

ويقول الأستاذ اسد حيدر : «لو لم تكن السياسة قد كمنت وراء الواقع، ونصبت حبالها لمن ينطق بالحق ، فذهب ضحية ذلك الكثير من الحقائق ، لما استطاع احد ان يتجاهل أموراً هي كالشمس في رائعة النهار ، ولما وضعت على خصائص علي (ع) علامات من الاستفهام والتعجب»

لاتردد لدي في القول ، بان كتابنا المحدثين ، يجدون لذة في الاعتماد على المستشرقين ، في بحوثهم ، وفي نفس الوقت يشعرون بان ثقافتهم ناقصة ، اذا خلت بحوثهم من اسماء المستشرقين..» هذه وصمة يتصف بها ذوو الانفس الضعيفة فيجب على المربين تنبيه الناشئين ليعتمدوا على انفسهم ويجهدوا قرائحهم في البحث وان يضعوا هفوات اقلام غيرهم عبرة لهم .. ياترى هؤلاء الذين بثوا روح التفرقة بين ابناء الأمة المجيدة ، وتهكموا على كرام صحابة الرسول (ص) ، كعمار بن ياسر وابي ذر الغفاري ، وحجر بن عدي وغيرهم ، واساءوا التصرف في تاريخ الأمة الاسلامية ، بماذا سيقابلون رب البرية ، يوم لاينفع مال ولا بنون ؟ !

ياحبذا لو اطلق هؤلاء الكتاب العنان لتفكيرهم ، ولم يجمدوا على اقوال الحاقدين والمستشرقين ،والذي يرثى له ضياع وقت ابناء امتنا ، وانهماكهم ذلك الانهماك الذي لايستهان به ، في دراسة اقوال المستشرقين والجمود عليها . .

ليت شعري ماذا فعل الشيعة ، حتى استحقوا التشنيع عليهم . . ياللعجب ، كيف تجاسر بعض الكتاب على اتهام صحابة الرسول (ص) بالزندقة والخروج عن الدين ؟ ! اننا نناشد الغيارى من المسلمين من مؤلفين ومؤرخين ، وذوي القدرة، ان

---

(١) راجع كتاب الامام الصادق والمذاهب الاربعة للاستاذ اسد حيدر ج ٣ ص ٤٢٠ .

يقوموا بدورهم فى البحث الموضوعي الحر ، الذي يوصل الى الحق والعدل ،وان لا يقبلوا كل شيء وقفوا عليه ، الا بعد التمحيص، ليتسنى لهم الابتعاد عن الاساطير الملفقة ، التي كانت من وراء دوافع نفسية ، وقبلية ، وعوامل سياسية ، قد تحمل تبعتها قوم خضعوا لاهوائهم .

كيف ساغ لمثل هؤلاء الاعتماد على اقوال الزنادقة والملحدين المجرمين امثال زجر بن قيس الذي اشترك في قتل الحسين ابن بنت رسول الله (ص) وحمل رأسه الى يزيد اللعين ، عدو الاسلام اللدود ، وسيف بن عمر الزنديق الذي يشهد المؤرخون بزندقته وضعف روايته ، او من يعلن سب علي (ع) على المنابر ، مع علمهم بأن الساب لعلي (ع) ساب للنبي (ص) كما تقدم الحديث . . لست ادري كيف يجتمع الدين مع اعلان السب لله ورسوله ؟ . . لقد تاه المغفلون وشرقوا وغربوا ، وحسبوا انهم احسنوا صنعاً ، بتشويه سمعة اصحاب النبي (ص) بدعوى اتباعهم لعبد الله بن سبأ الموهوم ، فعرض للسب والشتم أبو ذر الغفاري الذى شهد رسول الله (ص) بصدقه ، كما حدث ذلك لعمار بن ياسر المعذب هو وأبوه وامه في الله .

يقول الأستاذ اسد حيدر : «ان تلك الأيدي العابثة بمقدسات الدين ، والتي تثير الغبار ، في وحدة المسلمين ، تتحرك اليوم في ارتجاف وذعر ، لان الوقت قد حان لرفع الستار الذي تكمن وراءه، وافتضاح اولئك المختلقين لاسطورة ابن سبأ لان الوعي بوجوب تدارك خطر الفرقة اخذ ينذر اولئك الدساسين بالخطر» (١)

ولكن الاساتذة الذين تحملوا مسؤولية تربية النشأ، وخدمة الامة الاسلامية، نقلوا لطلابهم افتراءات كثيرة دون الرجوع الى مصادرها الصحيحة الموثوقة ،واسترسل طلابهم فى تقبل ما املي عليهم ، ان في طليعة هؤلاء رجال كان المرجو منهم سد ثغرة الخلاف ، والسعي في اصلاح ما افسدته الظروف القاسية والعصور المظلمة .

---

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة، لاسد حيدر ج ٣ ص ٤٥٧ .

من هؤلاء :

ابوزهوة : وهو احد علماء الازهر ، واستاذ كلية اصول الدين فى الوقت الحاضر ، وهذا الاستاذ يزعم بأن التشيع ستار لاعداء الاسلام.. لقد صدق المغرضين بكل سذاجة، وصدق بالاسطورة والقاها القاء المسلمات على مسامع طلابه، ليؤدي رسالته للاجيال . . ولئن تراجع هذا الاستاذ ، فهل بامكانه الاتصال بالخريجين من مدرسته ليقنعهم؟ ان دخول المرء في الشبكات سهل ولكن الخروج منها اصعب . .ويتلوه صديقنا الشيخ **ابوزهرة** استاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، القائل : «وكان الطاغوت الاكبر لهؤلاء ، عبد الله بن سبأ . » فأين الامانة العلمية ، واين موضوعية البحث ؟ هل يكفي لرجل مثله ان يأخذ كل مايراه في كتب القدماء الذين لعبت بهم النزعات الطائفية والقبلية والسياسية اخذ المسلمات ؟ ام يجب عليه ان يكون قدوة الباحثين ، في جميع الميادين ؟ . . في بحثه اعتمد على رواية الطبرى التي لم يروها غيره من قبل ، والطبري اعتمد على رواية سيف بن عمر الذي لاثاني له ، مع العلم بأنه ليس بموثق لدى رجال الحديث ، فاذا كان لايعلم شيئاً عن تفاهة سيف ، ولم يجد سوى الطبري ممن روى الاسطورة فكيف جعل نفسه عرضة النقاد وغيرهم ؟ وقد ناقشت الموضوع معه في مؤتمر الفكر الاسلامي ـ في **الجزائر** ، قبل وفاته بعام ولكنه اصر على رأيه بلادليل ومن هؤلاء **احمدامين** المصري الذي ملأ عشرات الصفحات فى كتابه **فجر الاسلام** في هذا المضمار ، وقال بكل صراحة ان عبد الله بن سبأ كان يسوس ابا ذر الصحابي المشهور بالعلم والورع ، والعجيب من امر هذا الرجل انه لم تثبت له قدم عندما ناقشه المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، ولم يجد له جواباً سوى التصريح بأنه لم تتوفر لديه المصادر الصحيحة عند البحث فاعتمد على اقوال الخصوم . . فهل ماأثبته في كتابه المذكور سيعفى عنه لانه لم تتوفر لديه المصادر الصحيحة ؟ ! .

ومن هؤلاء الخطيب ـ محب الدين ـ فانظر الى ماقال في قضية ابن سبأ

الوهمية : فاستجاب له ـ لابن سبأ ـ البلهاء من الصالحين واهل الغلـو المتنطعيـن جماعات . . . وكان على رأس من استغواهم ابن سبأ . . . زيد بن صوحان العبدي والاشتر مالك النخعي . . . ومحمد بن ابي بكر ، ومحمد بن ابي حذيفة وعمار بن ياسر . . الخ . ثم وجه لومه الى اهل المدينة ، بل نقده للصحابـة ، فقال : وكان ينبغي ان يكون ذلك سبباً ليقظتهم ويقظة علي بن ابي طالب ايضاً.. الخ (١) . . انظر كيف صب هذا الرجل هذه الاسطورة حسب هواه ، وابرزها في اطار رغبته فكم له من اختراع في شتى المجالات دون ان يستند الى دليل ، او يعتمد على مصدر ولقد جعل الصحابة مغفلين لاوعي لهم ولا ادراك ، وفي بينهم علي بن ابي طالب ، الذي هو عجيب انه لايثق باقوال الطبري الناقل لاسطورة ابن سبأ عن سيف الزنديق فكيف اتخذ رواية الطبري درعاً في التهكم على رجال الامة . .

ان اللائق بمقام الاديب الباحث ، والمؤرخ المنصف ، ان يقف موقف المتثبت كما يقتضيه الحق ويفرضه الواجب العلمي .

* * *

(١) راجع كتابه «حملة رسالة الاسلام» ص ٢٣ ـ ٢٤ .

أضواء على النشاط التبشيري

دور التبشير الاستعماري بالامس واليوم

وموقفنا إزاءه (*)

الاستاذ المرحوم علال الفاسي

حقا أن الديانات المنتسبة الى السماء تنقسم الى قسمين ، قسم مغلق لايعمل على نشر عقيدته لانه يعتبرها جزء من جنسه ، وهي اليهودية ، وقسم منفتح يهتم بنشر العقيدة وتعميم الدعوة كالاسلام والمسيحية .

ولا شك أن المسيحيين ملزمون كالمسلمين بمقتضى عقيدتهم أن يوضحوا للناس دينهم الذي يعتبرونه الدين الاجباري الذي لايقبل الله غيره ، الا ان المسلمين يعتبرون الاسلام هو الدين الذي بعث الله به ابراهيم وموسى وعيسى وسائر الرسل والانبياء ولذلك فهو لايحمل الا الاحترام لرسل الديانات الاخرى ولاينعى عليهم الا ان يتخذوا اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله . (١)

أما المسيحية فقد خرج بها سان بول وما يسمى عادة بالامبراطورية الرومانية الى دعوة لاتخاذ البابوية ورهابينها وسطاء بين العباد وبين الله ، والغرض من ذلك أن يصبح الدين أداة تسلط وحكم واخضاع لامبراطورية يتوج رئيسها رجل الدين

(*) من مقالات الملتقى السابع للفكر الاسلامى فى الجزائر .

(١) ليس هذا هو كل ماينعاه الاسلام على المسيحيين كما هو واضح . (الهادى)

ولكن هي وخلفاؤها القسس المتحكمون في رقاب من آمن بالمسيح ومن كفـر على السواء .

لذلك لاغرابة اذا رأينا الكثيرين من المفكرين الاستعماريين والمؤرخين الغربيين يصدعون بحقيقتين واضحتين كل الوضوح ، احداهما أن الدعوة للمسيحية ليست الا اداة لاحتلال البلدان والتسلط الاقتصادي عليها ، فالحروب الصليبية مثلا لم تكن في نظر هؤلاء وفي مقدمتهم الاستاذ (هاردى) مؤرخ الاستعمار والكاتب مؤلفا خاصا عن اجتماعيات الاستعمار ...الا جهازا اجتماعيا لتجميع أكبر عدد من المقاتلين باسم احتلال الارض المقدسة واحراج الكفرة (المسلمين) منها : والغرض هو الوصول الى فتح الطريق التي توصل الى الهند وماوراءها ليتمكن الرأسماليون الغربيون من فتح الاسواق والاتجار في البضائع صادرات وواردات و فتح المراكز التي تمهد للاحتلال الكامل من طرف الدول الغربية .

أما الحقيقة الثانية فهي أن العالم الاسلامي جاء وسطا بين أوروبا وبين ما اصبح من بعد يحمل اسم الامريكتين ، وخطه الطويل يمتد من أقاصى افريقيا الى اقصى الصين ، فهو بذلك حاجز مانع لاوروبا من أن تتخلص لاى جهة من العالم الاعن طريق العالم الاسلامى الذي يملك ممرات البر والبحر والذي مع تسامحه الكثير لايمكن أن يرضى مطامع الرأسمالية المتولدة عن اكتشاف البخار وما اعقبه من كهرباء وذرة ، فالمشكلة اذن مشكلة الطريق الى موارد الاقتصاد ومواده الاوليـة والى اليد العاملة والاسترقاق الجماعى للامم المتخلفة الذي يعطى الجند والعمال للامم الغربية الثرية ، هذه الوضعية التى ماتزال أسبابها قائمة الى الان وماتزال آثارها بارزة في التهافت الغربي على خطنا الطويل الذي عاد الغربيون فأكتشفوا قيمته في هذه الحرب الكبرى الاخيرة اذ رأوا انهتلر ملك اوروبا كلها ولكن ذلك لم يفده شيئاً لان بلاد المسلمين بقيت في يد الغرب أو حليفة له، وذلك من اسرار هزيمته لانه أتاح للولايات المتحدة أن تجد في بلادنا العربية الاسلامية قواعد المرور والتنظيم والتموين لجيشها الذي جاء يكتسح أوروبا النازية متحالفا مع روسيا

الشيوعية التي كانت الى عهد قريب حليفة النازية والذين فى محورها .

وغير خاف ان هذه الحرب الاخيرة كانت تحمل طابع الدفاع عن العالم الحر وعن التراث المسيحى ، وان ستالين نفسه اضطر لان يستعمل الجهاز المسيحي الروسى لخدمة قضيته التى هى قضية الدفاع عن النظام الماركسي والاستمرار فى الدكتاتورية على مجموع الاتحاد السوفياتى بما فى ذلك المستعمرات الاسلامية التى اصيبت منها القرم المسلمة بكارثة لامثيل لها لرغبتها فى التحرر والاستقلال.

ويمكن أن اضيف الى هاتين الحقيقتين ثالثة لايجهلها الباحثون ،والاجتماعيون منهم على الخصوص ، وهى ان الاسلام احتل فى الغالب معظم المواقع التى كانت قد انتشرت فيها المسيحية ، فاذا استثنينا طرفا من بلاد العرب الاصيلة التى كانت وثنية نجد معظم الاماكن التى تدعى اليوم ببلاد العرب قد دخل قسم مهم منها فى المسيحية ، وقد كان ذلك شديداً على رؤساء النصرانية تقبله ولم يكتموا أبدا تعجبهم من أن يقدر الاسلام على النفوذ الى أعماق السوريين والعراقين والمصريين وأهل الشمال الافريقي وغيرهم دون ان تستطيع الحروب الصليبية والدسائس المسيحية ولو كانت هى الاريانية أو غيرها من الفرق التى أنبثقت فى الشرق أو الغرب دون أن يعترف بها امير الكنيسة والايمان .

ولكل هذا فانا نرى تاريخ أوربا في علاقاتها بالعالم العربي والاسلامي تعمل بكل مافي استطاعتها على استعادة الأرض الاسلامية والهيمنة عليها مستعملة في ذلك كل الوسائل العسكرية والتبشيرية والتغلغل الاقتصادي والثقافي ، وقد كتب الاستاذ «دوكاريير» في مجلة المغرب الكاثوليكي سلسة مقالات عن تاريخ افريقيا الشمالية المسيحية ختمها بالتعجب من ماسماه بالتعصب الاسلامي الذي أصبح شعار البربر والعرب المستوطنين فى الشمال الافريقي والجهود التي بذلوها هم أنفسهم لاحتلال اسبانيا وجنوب فرنسا ، وذكر بأنه طيلة المدة السابقة للاستعمار لم يكن يوجد بالمغرب العربي من المسيحيين الا بعض الاسارى أو بعض الجنود الذين كان ملوك الموحدين يستكتبونهم للقتال معهم في اسبانيا .

وبعد أن وقعت هزيمة المسلمين في يوم (نافاتن دو طولوسا) التي كانت ضربة قاسية على امتلاك المسلمين لاسبانيا سنة ١٢١٢ بدا المسيحيون يتطلعون لاحتلال المغرب والتسرب اليه ، فقد استغل فرديناند الثالث ملك قشتالة وليون طلب ادريس أبو العلا المأمون منه سنة ١٢٢٩/١٢٤٢ مساعدته على احتلال المغرب فأمده بجيش قوامه ١٢/٠٠٠ مقاتل ، وذلك مقابل شروط التزم بها المأمون وهي :

١ ـ أن يعطي المأمون لفرديناند قواعد يختارها ملك قشتالة .

٢ ـ اذا فتح المأمون مدينة مراكش وجب عليه أن يبني كنيسة للمسيحيين.

٣ ـ يمكن للجنود الاسبانيين ان يتجاهروا بشعائر دينهم ويستعملوا النواقيس لمناداة المصلين معهم .

٤ ـ اذا أراد بعض المسيحيين أن يسلم لم يسمح له بذلك ويسلم للنصارى ليطبقوا عليه أحكامهم .

٥ ـ واذا أراد بعض المسلمين ان يتمسح لايتعرض له أحد في ذلك .

هذه الحادثة التاريخية تبين كيف أن تهافت بعض الرؤساء على السلطة جعلهم يقبلون مثل هذه الشروط ، ومع أن هؤلاء الجنود المرتزقة قد بذلوا جهداً كبيراً لحساب المأمون فان قيام الدولة المرينية والقضاء على بقايا الموحدين فى موقعة أم الربيع سنة ١٢٥٩ قضت على هذه المحاولة،ولم يعد يرى في المغرب جنود مسيحيون

وليست هذه الحادثة الا مثالا لبعض الوسائل الاستعمار القديمة التي كانت تجد فى الخونة أداة للوصول الى التغلغل في بلدان المسلمين بدعوى المساعدة والغرض هو القضاء على الاسلام وسائر الديانات فى البلدان الأخرى ليتمكنوا من تملكها والهيمنة على اقتصادياتها.

واذا كانت الحروب الصليبية ووسائل التغلغل عن طريق المساعدات العسكرية لخونة المسلمين لم تجد شيئاً في تغيير التمسك الاهلي بالاسلام ليس فى المغرب العربي فقط بل في سائر العالم الاسلامي ، فقد اتجه المسيحيون الى تنظيم الارساليات التبشيرية التي تطورت في أشكال مختلفة ، ويقال أن ريمون لول الاسباني أول من

تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم اللغة العربية وأخذ يتجول في بلاد الأسلام ويناقش العلماء ورجال الشريعة الأسلامية ، وقد ألف ادين بولس كتاباً عن تاريخ التبشير لخصته مجلة العالم الاسلامي .

ونحن لانريد أن نتعرض لما قامت به الارساليات المسيحيةفي العالم الاسلامي منذ تاريخ مابعد الحروب الصليبية ، فان المرحلة الحالية ابتدأت في المغرب بشارل دوفوكو سنة ١٩٠٥ ، وفى المشرق بزويمر الذى كان أول من ابتكر عقد مؤتمرعام يجمع ارساليات التبشير البروتستانية منذ سنة ١٩٠٦ .

شارل دوفوكو أو اليهودى المتجول

منذ سنة ١٩٠٥ استقر الاب دوفوكو فى الهكار بتمانرست على بعد ٧٠٠كلم من عين صالح وسط الطوارق الذين هم رجال الصحراء المقاومين لكل تسرب اجنبي داخل اراضيهم ، ولكنه استطاع بوسائل الاغواء برؤسائهم والمجاملة لهم ان يقبلوا جواره ويشاوروه في بعض شؤونه حتى اصبح يعرف فيمايزعم مؤرخون (بالمرابط) وقد قال عنه حكام تلك الناحية وضباط الامور الاهلية بها (أنه يساوي أكثر من طابور احتلال كامل) ، ولكن اندلاع الحرب وتقهقر الايطاليين الى الداخل في طرابلس الغرب ، اعطى للسنوسيين فرصة مضاعفة نضالهم الوطني ضد المحتلين ، الذين من بينهم الفرنسيون المستقرون فى الطوارق المجاورة لطرابلس،حينئذ خرج دوفوكو من جلده الروحاني الذي كان يظهر به ليصبح الجاسوس الذي يسجل الاخبار ويبلغها لرجال الاستعلامات العسكرية ، وازاء ذلك هجم المجاهدون واعتقلوه ، وبعدما انتهت معركة كانت قائمة بين المغاربة وبين الضباط الفرنسيين اطلق مواطن طارقي رصاصة في رأس دوفوكو حيث قضى نحبه ، .

واذا كانت هذه نهاية دوفوكو فان بدايته كانت منذ أن ادرك أن فرنسا لابد ان تحتاج يوماً احتلال المغرب حيث أخذ يصور الشمال الافريقي بصورة طائر صدره الجزائر وجناحه الايمن في تونس والايسر فى المغرب الاقصى،وطيلة دعوته لاحتلال تونس والمغرب كان يقول لايمكن للطير الفرنسي أن يبقى بدون جناحيه ، فاهتم

بالمغرب على الخصوص وبدأ يبحث عن الوسائل التي يصل بها الى اعداد مايحتاجه التغلغل الاستعماري من وسائل ، وقد ادرك ان المغاربة ليسوا مغفلين أزاء المؤامرات الاجنبية ، وهم يتشككون كثيراً في النصارى الذين يدعون انهم دخلوا الاسلام ويبقون منهم على حذر وان عاملوهم معاملة المسلمين .

وبما أن الاسرائيليين كانوا يعاملون في بلادنا معاملة حسنة فقد اختار دوفوكو ان يتستر بستار اليهودية مرتدياً ملابس اليهود التقليدية وكان في الحجاب الذي يستر اليهود أثناء صلاته وسيلة لاخفاء الالات الهندسية التي يحملها ، وفي المساء حينما يدخل الملاح يستطيع ان يقوم بالملاحظات الفلكية ويقضي ليله في اتمام النقط التي حصل عليها في النهار ، وقد وصف دوفوكو طريقة عمله في الجمعية الجغرافية سنة ١٨٨٧ فقال انه يتجول معظم اوقاته في بلاد السيبة ، فقد ظهرت منذ خروجي من طنجة بمظهر اليهودي ، فلباسي لباس اليهود المغاربة وديانتي ديانتهم، متسمياً باسم الربي يوسف، اصلي واغني في البيعة ، فاذا سئلت عن مولدي اجبت تارة انني ولدت في بيت المقدس واخرى في موسكو واحياناً في الجزائر ، وان سألوني عن سبب سفري اجبت المسلمين بانني ربي سائح يسعى من مدينة الى اخرى اما اليهود فاجيبهم بانني مؤمن صادق اخترت مشقة السفر هذه الجهات للبحث عن حالة اخواني في الدين .

اما الالات التي كنت احملها فهي البوصلة وساعة ،وباروبستر الجيب لمعرفة الطريق وآلات أخرى استعملها في الملاحظات والتقويمات، ومعي اثناء السير دائماً دفتر لا يتجاوز خمسة سنتيمترات مربعة في داخله قلم من سنتيمترين اكتب ماتقدمه لي الطريق مما يستحق التسجيل ، وهكذا اكتب تقريباً حالة الطريق وكل الاوتاب في الناحية الغربية ، وقد رافقني الربي مردوخ اليهودي الحقيقي الذي يبقى مشتغلا في درج منزلي في المدن التي اسكن بها احياناً لمنع كل من يريد الوصول الي .

بهذه الوسائل التي استعملها متستراً في زي يهودي متجول وبمعاونة ربي من يهود المغرب الحقيقيين وبتوصيات من شخصيات اسرائيلية لا شك انها كانت تعرف

مراده وتتآمر معه استطاع أن يحقق الأهداف التي قصد اليها لتخطيط طرق الصحراء والمغرب ومراكزه الهامة ومواقعه الاستراتيجية ، وقد استعان كذلك ببعض شيوخ الطرق الخونة الذين يعرف التاريخ عملهم في سبيل الاستعمار الفرنسي والذين ربما لم يكونوا يتحققون تماماً من غاية دوفوكو لجهالتهم وطمعهم ، وهكذا اتم مهمته في المغرب وخرج ناجياً منه .

وعاد الى الجزائر راهباً مظهراً التعبد والنسك ، باذلا جهده في التبشير والعمل على تنصير المسلمين ، ولم يستطع الدخول الى المغرب الأقصى للعمل مباشرة فيه فاستقر في بني عباس حيث بنى ديراً في عمالة وهران ، وقد عرف عنه انه كان يطمع في تنصير الكبار طمعه في تنشئة الاطفال الصغار ، ولما اعيته الحيلة في النجاح في عمله في المغرب الاقصى وطال عليه احتلال فرنسا لبلادنا اتجه صوب الطوارق وكان خاتمة امره ما بدأنا بالحديث عنه .

ومن هذا العمل الذي صاحب حياة دوفوكو نرى غاية التبشير المسيحي في الشمال الافريقي فهذا القديس الاستعماري بدأ بالريادة العسرية والتخطيطات الطبوغرافية وعاش يهوديا في صورته ولكنه يقوم مقام طابور عسكري بحاكمه ، ومقام مراقب مدني ومستشار فني للحكام الفرنسيين في المناطق المحتلة .

وقد اعتبر واقتنع وبذل جهده لاقناع حكومته ان تنصير المسلمين هو الوسيلة الوحيدة لتعيدهم لفرنسا بصفة دائمة يدل على ذلك ماكتبه في مذكرته بتاريخ ١٦ يوليو ١٩١٦ ، الذي ننقل ترجمته العربية من مقال للاخ الدكتور عز الدين العراقي كتبه لمجلة «البينة» التي اصدرها ، يقول دوفوكو : «اعتقد انه اذا لم يتم تنصير السكان المسلمين في مستعمراتنا بشمال افريقيا فان حركة وطنية ستقوم بها على غرار ماحدث بتركيا وان نخبة من المثقفين ستكون بالمدن الكبرى متأثرة بالفكر الفرنسي دون أن يكون لها احساس الفرنسيين ولا طيبوبتهم ، وان هذه النخبة ستحتفظ بمظاهر الاسلام ، رغم ضياع روحه ، لتؤثر بها على الجماهير ، ومن جهة أخرى فان جمهور الشعب من البدو والرحل سيبقى جاهلا عديم الصلة بنا متمسكاً باسلامه حاقداً على

الفرنسيين ، محتقراً لهم بدافع من وازعه الديني واشياخه ،ومعاملة الفرنسيين من رجال السلطة ، ومعمرين وتجار ممن لا يلمس فيهم دافعاً على محبتنا، ولهذا فان الروح الوطنية ستشب في نفس النخبة المثقفة التي عندما تتاح لها الفرصة (بسبب صعوبات داخلية أو خارجية تحدث لفرنسا) فانها ستسخر الاسلام لتحريض الشعب الجاهل على الثورة وتحاول خلق امبراطورية افريقية مستقلة اسلامية .

«ان ثلاثين مليوناً من البشر يسكنون في مستعمراتنا بشمال غرب افريقيا بما فيها الجزائر والمغرب وتونس وافريقيا الغربية ، وان هذا العدد سيتضاعف بعد خمسين سنة وتصبح هذه البلدان غنية مزدهرة وقد تعود سكانها على استعمال اسلحتنا وتكونت منهم نخبة بمدارسنا ، واننا اذا لم نجعل منهم رعايا فرنسيين فانهم سيطردوننا وان الوسيلة الوحيدة ليصبحوا فرنسيين هي ان يصيروا نصارى» . (١)

ومن هذه السطور نستنتج صدق ما استنتجه الباحثون قبلنا من أن الاب دوفوكو هو صاحب الدعوة الى فرنسة المغاربة عن طريق تنصيرهم وابعاد اللغة العربية عنهم تلك السياسة التي ظهرت في أشكال مختلفة في كل من تونس والجزائر والمغرب فسياسة التجنيس واخضاع المتجنس من التونسيين للتبعية الفرنسية والقضاء الفرنسي حتى فيما يرجع للاحوال الشخصية مظهر من مظاهر هذه السياسة التي خطط لها دوفوكو ، اذ هو يعلم ان المسلم المتجنس يعتبر مرتداً عن الاسلام ويسهل عليه أن يتتبع متى حكم عليه بالردة للديانة التي تنتمي اليها الجنسية التي أصبح منها .

وفى الجزائر بذل كل مستطاعه للحيلولة دون فتح المحاكم الشرعية فى الطوارق و(تدكلت)و(توات)وقد نقل الاخ العراقي بعض ما كتبه دوفوكو فى هذا الموضوع كقوله:

(ان سكان امبراطوريتنا الافريقية على أنواع مختلفة ، فمنهم البربر وهم اقرب الناس الينا ومنهم العرب وهم أقل استعداداً للتقدم) وقال معلقاً على تأسيس مدرسة : لاشك أن هذه المدرسة لن يدخلها الا عدد قليل من الاطفال العرب ، لكن الاطفال البرابر الذين ينحدرون من سلالة طيبة هي على كامل الاستعداد للتأثر بالفكرة اللاتينية التي عرفتها من قبل ، سيدخلونها كلهم) .

---

(١) شارل دوفوكو وهب حياته لتنصير المغرب العربى خدمة للاستعمار ، الدكتور عز الدين العراقى ، مجلة البينة ، ع الثامن ، السنة الاولى ، ديسمبر ١٩٦٢ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

العدالة في الفقه

(٥)

السيد رضا الصدر

امارية حسن الظاهر على العدالة :

لتحقيق ذلك ينبغي بيان امور : احدها الاشارة الى دليل ذلك .

فنقول : قد تظافرت النصوص واستفاضت في الدلالة على الامارية وان حسن الظاهر كاشف عن العدالة . منها قوله (ع) في صحيحة عبد الله بن ابي يعفور : ويعرف باجتناب الكبائر التي اوعد الله عليها النار .

ومنها قوله (ع) فيها : والدلالة على ذلك كله ان يكون ساتراً لجميع عيوبه حتى يحرم على المسلمين ماوراء ذلك من عثراته وعيوبه ومنها مرسلة يونس بن عبد الرحمن عن بعض رجاله عن ابي عبد الله(ع) قال : سألته عن البينة اذا أقيمت على الحق ايحل للقاضي ان يقضي بقول البينة ؟ فقال(ع): خمسة أشياء يجب على الناس الاخذ فيها بظاهر الحكم: الولايات والمناكح والذبايح والشهادات والانساب. فاذا كان ظاهر الرجل ظاهراً مأموناً جازت شهادته ولايسأل عن باطنه» (١)

ولا يضرها الارسال اذ المرسل يونس من كبار الصحابة وهو يعرف الثقة ويميزه عن غيره وهو لم يوصف بالرواية عن الضعفاء (٢) وفي قوله: عن بعض رجاله ، اشعار بتعدد رواية يونس عنه وذلك يكشف عن وثاقته لدى يونس.

واما الراوي عن يونس فهو محمد بن عيسى ابن عبيد اليقطيني والتحقيق أنه ثقة فقد مدحه مثل الفضل بن شاذان وغيره فلا عبرة بتضعيف ابن الوليد له وان تبعه الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي فان هذا معارض بتوثيق من تقدم على ابن الوليد كالفضل بن شاذان ومن تأخر عنه كالكشي وابن نوح والنجاشي . مع رواية علي ابن ابراهيم عنه تدل على وثاقته عنده. على ان هذه المرسلة مشهورة بين الاصحاب والظاهر أنها معمول بها فتجبر على التحقيق .

ومنها صحيح ابن المغيرة عن الرضا: قال: «كل من ولد على الفطرة وعرف بالصلاح في نفسه

---

(١) الوسائل كتاب القضاء ابواب كيفية الحكم واحكام الدعوى ٢٢ / ١ كتاب الشهادات ٤١ / ٣

(٢) الوسائل كتاب الشهادات ٤١ / ٥ .

جازت شهادته) فان الصلاح هو حسن الظاهر . ومنها صحيح ابن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال : لو كان الامر الينا لاجزنا شهادة الرجل اذا علم منه خير . .. الحديث (١) والخير هو حسن الظاهر .

ومنها خبر ابي بصير عن الصادق (ع) قال : (ع) لا بأس بشهادة الضيف اذا كان عفيفاً صائناً . . . الحديث (٢) العفة والصون هو ستر العيوب ومنها صحيحة حريز عن الصادق (ع) في حديث : اذا كانوا اربعة من المسلمين ليس يعرفون بشهادة الزور اجيزت شهادتهم جميعاً . . . الحديث (٣) .

ومنها خبر عبد الكريم بن ابي يعفور عن ابي جعفر (ع) : تقبل شهادة المرأة والنسوة اذا كن مستورات من اهل البيوتات معروفات بالستر والعفاف مطيعات للازواج تاركات للبذاء والتبرج الى الرجال في انديتهم) (٤) .

ولا يخفى ان هذه الاوصاف من مصاديق حسن الظاهر ومنها ما رواه احمد بن محمد ابن ابي نصر البرنطي في الصحيح ـ على الاقوى ـ عن ابي الحسن عليه السلام في حديث قال (ع) : من ولد على الفطرة اجيزت شهادته على الطلاق بعد ان يعرف منه خير ، (٥) ولا يخفى ان الخير الذي يعرف هو الخير الظاهر وليس الخير الا التأدب بالاداب الشرعية .

ان المستفاد من اخبار الباب ان الشارع جعل حسن الظاهر وجوداً تنزيلياً للعدالة وكاشفاً عن ثبوتها عند الجهل بها مفهوماً او مصداقاً .

وان كان الاكثر في باب جعل الامارات هو الامارية عند الجهل بالمصداق لا المفهوم .

ثم ان حسن الظاهر هل هو حجة تعبدية فيكون لحجيته اطلاق يشمل صورة عدم افادته الوثوق ام هو حجة عقلائية من جهة افادته الوثوق بالعدالة في كثير من الموارد فتكون حجته مختصه بصورة هذه الافادة غاية الامر ان الشارع قد امضى هذه الحجة؟ .

والتحقيق ان حسن الظاهر وان كان مفيداً للوثوق الشخصي الا ان اطلاقات النصوص الدالة تفيد اعتبار حسن الظاهر مطلقاً حتى في صورة عدم افادة الوثوق فيكون حجة تعبدية من هذه الحيثية وان كان حجة عقلائية في ذاته فان للشارع ان يتصرف في الحجج العقلائية كيف شاء نفياً واثباتاً أو سعة وضيقاً في الامور التي لها صلة بالشرع وهذا الحق ثابت عند العقلاء لكل احد فيما يتصل به واما الاطلاقات فاليك قوله (ع) :(والدلالة على ذلك كله ان يكون ساتراً لجميع عيوبه حتى يحرم على المسلمين ما وراء ذلك من عثراته وعيوبه وتفتيش ما وراء ذلك) ولا يخفى اشعار قوله (ع) : (وتفتيش ما وراء ذلك) بصورة وجود عدم افادة الوثوق . . ومثل ذلك قوله (ع) : (فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا ما رأينا منه الا خيراً مواظباً على الصلوات متعاهداً لاوقاتها في

---

(١) نفس المصدر ٨/٤١ .

(٢) نفس المصدر ١٠/٤١ .

(٣) نفس المصدر ١٨ .

(٤) الوسائل كتاب الشهادات ٢٠/٤١ .

(٥) الوسائل كتاب الطلاق ابواب مقدماته وشرائطه ٤/١٠ .

مصلاه فان ذلك يجيز شهادته بين المسلمين ، ومثله اطلاق مرسلة يونس وكذا قوله(ع): (كل من ولد على الفطرة وعرف بالصلاح جازت شهادته) (١) وفي طريق آخر (عرف بصلاح في نفسه) ثم ان في قوله (ع) : في مرسلة يونس: (ولا يسأل عن باطنه) تصريح بهذا الاطلاق واشعار بعدم اعتبار الظن بالوفاق .

اما شمول الاطلاقات لصورة الظن بالخلاف فمحل تأمل فانها في مقام اراءة الطريق وجعل الكاشف . ومن المعلوم أن جعل الامارة وبيان الكشف انما يكون لدى الجهل بما جعلت له الامارة واما عند العلم به فجعل الكاشف امر لغو والظن مرتبة من مراتب العلم فالظان بالخلاف ليس بجاهل بل هو داخل في العارف ويشهد لذلك صحيح ابن بصير عن الصادق(ع) سألته عما يرد من الشهود؟ فقال (ع) (الظنين والمتهم والخصم) (٢) فالمتهم هو الذى صار مورد الظن بالخلاف وان كان ظاهره حسناً .

ومما ذكرنا ظهر النظر فيما ورد في تقرير بعض الاساطين (٣) قال دام ظله : ان حسن الظاهر امارة تعبدية على العدالة الواقعية ومقتضى اطلاق ما دل على اماريته عدم اعتبار الظن بحسن الباطن بل مقتضاه عدم قدح الظن بالخلاف في اماريته كما هو الحال في جميع الامارات التعبدية ويؤيد ذلك في خصوص المقام قوله (ع) : في مرسلة يونس (ولايسأل عن باطنه) لدلالته على عدم الاعتبار بالباطل راساً بل صريح قوله (ع) في صحيحة ابن ابي يعفور: (حتى يحرم على المسلمين التفتيش عما وراء ذلك من عثراته وعيوبه) . حرمة التجسس عن الباطن، ومن الظاهر ان الظن بحسن الباطن يتوقف على تتبع دلالته والفحص عن اسراره في الجملة) . .

اما قوله : ان حسن الظاهر امارة تعبدية على العدالة الواقعية فليس بصحيح بل هو امارة عقلائية ايضاً لافادته الوثوق بالعدالة . واما قوله: ومقتضى اطلاق مادل على اماريته عدم اعتبار الظن بحسن الباطن ، فهو صحيح واما قوله : بل مقتضاه عدم قدح الظن بالخلاف في اماريته ، فليس بصحيح لان الخطاب في دليل جعل الامارة موجه الى الجاهل والظان ليس بجاهل فان الظن من مراتب العلم . ومن ذلك ظهر النظر في قوله: «كما هو الحال في جميع الامارات التعبدية ، فان هذا المعنى وان صار مشهوراً بين المعاصرين ومن قارب عصرهم لكنك عرفت الاشكال فيه اللهم الا ان يدل دليل على عدم اعتبار الظن حتى يصير الظان بشيء في حكم الجاهل به تعبداً لكن نفس دليل اعتبار الامارة قاصر عن الدلالة على ذلك .

واما قوله «لدلالته على عدم الاعتبار بالباطن» فلا يخلو من اشكال فان النهي في قوله (ع): ولا يسأل عن باطنه قد ورد في مقام دفع توهم وجوب الفحص عن الباطن فلا يدل على عدم الاعتبار بالباطن ولو كان الباطن غير معتبر

---

(١) وسائل كتاب الشهادات ٤١/٥ و ٣١ .

(٢) نفس المصدر ٣٠/٣ .

(٣) دروس في فقه الشيعة ج ١ ص ١٥٩ .

لكان جعل حسن الطاهر دليلا عليه لغواً ،وكذا لو كان الباطن غير معتبر لما كانت معرفته مضرة واما قوله : (ان الظن بحسن الباطن يتوقف الخ) فلا يخلو من خفاء لان الظن بحسن الباطن وان كان غير معتبر لكنه يحصل من نفس حسن الظاهر من دون توقف على تتبع زلاته والفحص عن اسراره بل قد عرفت ان حسن الظاهر مفيد للوثوق فضلا عن افادته الظن .

ثم ان النص ليس كماذكره بل هوهكذا: (حتى يحرم على المسلمين ماوراء ذلك من عثراته وعيوبه وتفتيش ماوراء ذلك) وذهب شيخنا الانصاري الى لزوم تقييد هذه الاطلاقات بما دل على اعتبار الوثوق بالعدالة كقوله(ع): فى مرسلة يونس : (اذا كان ظاهره ظاهراً مأموناً جازت شهادته) ، بدعوى أن المراد بكون ظاهره موجباً للوثوق بباطنه لعدم حصول الامن الا بذلك وكقوله (ع) فى رواية على بن راشد : (لاتصل الا خلف من تثق بدينه) (١) وفى رواية الشيخ باسناده عن سهيل بن زياد ، زيادة : (وامانته) .

أورد عليه بعض الاساطين بقوله: ولايخفى انه لايصلح شيء من الروايتين لتقييد الاطلاقات اما المرسلة فمضافاً الى ضعفها بالارسال لا دلالة لها على لزوم الامن بالباطن لان الموصوف بالامن هو ظاهر الرجل دون باطنه فهى على عكس المطلوب أدل ، فالمراد ان يوثق بظاهره لأن يوثق بموافقه ظاهره باطنه وان حسن الظاهر مسبب عن الملكة واما مادل على اعتبار الوثوق بالعدالة فهو محكوم بمادل على امارية حسن الظاهر لان ظاهر مادل على اعتبار الوثوق بها هو اعتباره على نحو الطريقية لا الموضوعية والا لزم تقييد حجية البينة على العدالة واستصحابها بالدليل المذكور انتهى قوله بتلخيص .

اقول قدمر البحث فى سند المرسلة ونزيد على ماذكره دام ظله فى بيان دلالتها ان قوله (ع) اذا كان ظاهره ظاهراً مأمونا ، مرادف لقوله(ع) (ساتر العيوبه) فان المقصود هو العيوب الظاهرة بقرينة لفظ الستر فاتصاف الظهور بالامن باعتبار افادة الوثوق بكاشفيته عن الباطن لان ذلك خلاف الظاهر . واما قوله (ع) (تثق بدينه) فلا يدل على اعتبار الوثوق بالعدالة لانه ان كان المراد من الدين كونه اماميا فلا صلة له بالبحث وان كان المراد منه هو التدين الذى يفسر بالتعبد بالشرع فليس ذلك الاحسن الظاهر كما يشهد بذلك عطف الامانة عليه تفسيرا فى طريق الشيخ فيدل النص على اعتبار الوثوق بثبوت حسن الظاهر وذلك مثل قوله (ع) كل من ولد على الفطرة وعرف بالصلاح فى نفسه جازت شهادته ومثل قوله (ع) (فاذا سئل عنه فى قبيلة ومحلته قالوا : مارأينا منه الاخيرا مواظباً على الصلوات متعاهدا لاوقاتها فى مصلاه فان ذلك يجيز شهادته.)

الامر الثانى: فى بيان المراد من حسن الظاهر.

نقصد من حسن الظاهر حكومة الدين فى افعال المرء واقواله . وان ماورد فى النصوص تعبيرا عنه او مصداقا له صنفان :

احدهما مفاهيم عامة مبينة لحسن الظاهر ومرادفة له مثل قوله (ع)(ساتراً لجميع عيوبه)

(١) وسائل ابواب صلوة الجماعة ٢/١٠ .

وقوله (ع) : (اذا كان مرضيا) وقوله (ع) (عرف بالصلاح) وقوله (ع) (طاهره طاهراً ماموناً) وقوله (ع) (ان يعرف منه خير) وقوله (ع) (فمن لم تره بعينك يرتكب ذنبا) وقوله (ع) (اذا كان لايعرف بفسق) فان الظاهر ان السلب في الاخيرين عند وجود الموضوع .

ومن المعلوم ان هذه العناوين المنصوصة وان كانت متخالفة في المدلول او في السلب والايجاب لكنها متحدة في المضمون فان الساتر للعيوب هو المرضي والمرضي هو المعروف بالصلاح وهو الذي فيه خير ويكون طاهره ماموناً ولم ير ارتكاب ذنب منه ولم يعرف بفسق فكل واحد من هذه التعبيرات تفسير لحسن الظاهر .

الصنف الثاني : مصاديق خاصة ذكرت لحسن الظاهر ومحققه لهمثل اجتناب الكبائر ومثل التعاهد للصلوات الخمس ومن هذا الباب قوله (ع) : (من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم) وقوله (ع) . (مطيعات للازواج تاركات البذاء والتبرج مع الرجال في انديتهم) وقوله (ع) : (ليس يعرفون بشهادة الزور) فقد جعل في بعض هذه النصوص ترك محرم اومحرمات مصداقاً وجعل في بعضها اتيان بعض الواجبات مصداقاً وفي بعضها قد جمع بين فعل واجب وترك محرم.

ولما كان ذكر كل واحد منها من باب المصداق فليس مايتحقق به حسن الظاهر منحصراً بها فقد يتحقق بغيرها ايضاً من فعل واجب آخر وترك محرم آخر فان ذكر هذه الامور في النصوص ليس من باب الموضوعية بل من باب ذكر المصداق وبيان المثال .

الامر الثالث :في الاشارة الى طريق معرفة حسن الظاهر فقد يعرف بالمعاشرة والمخالطة في مقدار من الزمان بحيث لم ير منه اثم ولم يعرف بفسق وقد تحصل معرفته بالشياع عنه بذلك وان لم يكن مفيداً للعلم لاطلاق قوله (ع) : في صحيحة ابن ابي يعفور :

(فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا امارأينا منه الا خيراً) ، ثم ان الوصول الى الشياع قد يحصل بالوجدان لما اذا صار الشياع ملموساً للانسان وقد يحصل العلم بذلك كما هو الحال في كثير من ائمة الجماعات في المحلات الواقعة فيها المساجد التي يصلون فيها .

وقد يحصل احراز حسن الظاهر باخبار من يوثق بقوله ويحصل الاطمئنان بخبره .

الامر الرابع :في تقوم حسن الظاهر بعدم العلم بالمعصية الظاهرة .

الظاهر من قوله (ع) :(وتعرف باجتناب الكبائر) بحسب المتبادر العرفي هو عدم العلم بارتكابها ، لا العلم باجتنابها .

والشاهد على ذلك قوله (ع) : (ليس يعرفون بشهادة الزور) وقوله (ع) . (فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ولم يشهد عليه شاهدان) وقوله (ع) : (اذا كان لايعرف بفسق) فعدم العلم بفسق في مقدار من الزمان كاف في احرازه .

ثبوت العدالة بخبر الثقة

لم اعثر على دليل خاص ذكروه لاثبات العدالة بقول الثقة . ويمكن الاستدلال عليه بتوثيقات الائمة الواردة في النصوص حول عدة من الصحابة ارشاداً لشيعتهم كي يعملوا باقوال الثقاة ورواياتهم عنهم ومن المعلوم ان نقل هذه التوثيقات عنهم تكشف عن حجية قول الثقة عندهم (ع)

فانه لو لم يكن قول الثقة حجة عندهم لم يكن في صدور التوثيق عنهم كثير فائدة من جهة عدم اخبار التوثيق .

وبعبارة اخرى ان اخبار الامام عن وثاقة رجل دليل على حجية قول الثقة عنده اذ لو لم يكن خبر الثقة حجة عنده لم يفد توثيقه (ع) الا لخصوص ذلك الراوي .

ولم يترتب على اخباره (ع) بالوثائق الثمرة المطلوبة ومثله الحال في صدور الجرح عنهم بالنسبة الى بعض فانه لو لم يكن خبر الراوي الثقة عندهم حجة حتى يخبر به الاخرين لم يكن في صدور هذا الجرح منهم كثير فائدة .

ويمكن الاستدلال على حجية خبر الثقة بالعدالة بسيرة المتشرعة من الصحابة والعلماء على العمل بأقوال الرجاليين الموثقين للرواة فلو لم ترجع هذه السيرة الى سيرة العقلاء لكانت دليلا خاصاً على ثبوت العدالة والوثاقة بقول الثقة .

ثبوت العدالة بالبينة

البحث في هذا المقام مبتن على تقدير عدم حجية قول الثقة في الموضوعات كما هو المشهور بين المتأخرين فنقول : لاريب في حجيتها في الجملة بل هي من ضروريات الفقه كما في باب المرافعات والخصومات كما اعتبرت لصدور الحكم عن الحاكم الشرعي لثبوت بعض الموضوعات كالهلال والفسق والطلاق والزندقة

ثم انه تارة يبحث عما يدل على حجية البينة في ثبوت خصوص العدالة واخرى يبحث عما يدل على حجيتها لثبوت جميع الموضوعات التي منها العدالة اما البحث عن الاول فقد استدل على ثبوت العدالة بها بما حكي عن فعل النبي (ص) في الفحص عن احوال الشهود فكان (ص) يبعث رجلين من خيار صحابته الى قبيلهم او محلهم ليفحصا عن حالهم فكان (ص) يعمل بقولهما جرحاً او تعديلا .. ولا باس بهذا الدليل من حيث الدلالة وشواهد الحال تؤيده لكن الاشكال في سنده فانه لا يخلو من ضعف فان هذا الحديث قد ورد في التفسير المنسوب الى العسكري (ع) ولم تثبت النسبة اليه (ع) .

ويمكن الاستدلال بحجية البينة في ثبوت خصوص العدالة بها بخبر علقمة (.فمن لم تره بعينك يرتكب ذنبا ولم يشهد عليه شاهدان فهو من اهل الستر والعدالة) (١) .

وتقريب الاستدلال به انه قد جعل فيه ثبوت الفسق موقوفاً على احد امرين : الرؤية وشهادة الشاهدين كما جعل فيه ثبوت العدالة على انتفاء كلا الامرين فيقال : ان للعدالة صلة بهما فثبت بكل واحد منهما اعني العلم الوجداني او البينة .

وبعبارة اخرى ان العرف لايرى للفسق خصوصية حتى يختص ثبوته بشهادة الشاهدين دون ضده وهو العدالة فاذا كانت هذه الخصوصية ملغاة عند العرف ومعتبرة عند الشرع للزمت الاشارة اليه من ناحية الشرع فانتفاء هذه الاشارة دليل على ذلك .

اقول يمكن تعميم هذا البيان حتى يدل على حجية البينة في جميع الموضوعات حيث

(١) الوسائل كتاب الشهادات ١٣/٤١ .

ل فى الحديث عدم شهادة الشاهدين عطفاً
، عدم العلم الوجدانى وقد جعلا فى سياق
حدفيستفادمنه ان شهادة الشاهدين عندالشارع
، العلم الوجدانى فى الحجية فهو نظير قوله (ع)
صحيح ابى بصير (والوكالة ثابتة حتى يبلغه
ة يبلغه او يشافه بالعزل عـن الوكالة» .

ولكن الرواية ضعيفة السند والدلالة فانها
ـ على اجراء اصالة العدالة فى كل مسلم وما
ـهل الامر لو كان كذلك بل مااحرج الامر
كان كذلك فاقوال الائمة المعصومين عليهم
ـلام وافعالهم على خلافها واما البحث عما
ـ على حجية البينة لثبوت جميع الموضوعات
ى منها العدالة فنقول لابأس بدعوى افادتها
ثوق والوثوق حجة طبيعية ذاتية لدى العقلاء

وقال الفقيه الهمدانى قده فى مصباح الفقه
ـ البحث عن ثبوت النجاسة : المتتبع فيما
على اعتبار البينة اذا امعن النظر لايرتاب
عدم مدخلية خصوصيات الموارد التى ثبت
ـبار البينة فيها فهى طريق شرعى تعبدى لم
ـها الشارع فى شىء من مواردها . نعم اعتبر
، بعض المقالات شهادة الاربعة او كون الشاهد
ـدلين وأما نفى اعتبارها رأساً فلم يعهد فى
، الشرعيات» .

وقال العلامة الحايرى فى كتاب صلاته
لم مما ورد فى الشرع ان اعتبارها وكونها
لعلم مفروغ عنه ، . ويمكن ان يقال ان
جية البينة امر عقلائى ثابتة عند العقل مطلقاً
لشرع فى الجملة فهى مرتكزة فى جميع
اذهان فلو لم تكن البينة حجة عامة عند الشارع
جب عليه الاعلام تخطئة لما تقرر فى جميع
الاذهان كما صنع ذلك فى ثبوت الزنا وحيث لم يعلن فى موضوعات اخـر اذ لـو كان لبان فيحكم العقل بحجيتها عند الشارع فى جميع الموضوعات .

ويشعر بكون حجية البينة لاثبات جميـع الموضوعات من الامور المسلمة عند الشرع مارواه فى الكافى والتهذيب عن الكاظم (ع) (كل شىء لك حلال حتى يجيئك شاهدان يشهدان أن فيه ميتة) حيث اقام البينة مقام العلم الوجدانى او جعل ذكر الشاهدين كناية عن العلم .

الاخبار الفعلى بالعدالة

هل ان حجية خبر الثقة او البينة فى ثبوت العدالة تختص بالخبر القولى ام تعم الخبر الفعلى كأن يقتدى به فى الصلوة او يجعله شاهداً ؟ .

وتحقيق البحث عن ذلك أن العقل يرى الشهادة الفعلية كالقولية ان كان الثقة فى مقام الاخبار والحكاية بالخبر الفعلى وذلك لصدق عناويـن الشهادة والابلاغ والخبر ونحو ذلك مما ورد فى النصوص على الفعلى كما يصدق على القولى ويشهد لذلك صلاحية هذه العناوين للانقسام الى القولى والفعلى من دون عناية كما تتصف بكل منهما . كما أنه يصح للمخبر بالاخبار الفعلى أن يوصف بالصدق والكذب اللذين هما من خواص الخبر .

كما أن العقلاء لا يفرقون بين الخبر القولى وبين الخبر الفعلى من حيث افادته الوثـوق فكما يكون الخبر القولى حجة عندهم كذلك يكون الخبر الفعلى حجة .

ومما مثل به اصحاب أصول الفقهلتصوير المصلحة فى نفس الامر بمـا اذا قصد الامير الاخبار بأمانة أحد فيعطيه مفتاح خزائنهقدام الناس ويأمره بأخذه . او يأمر الاستاذ احد تلامذته بجواب مسألة غامضة اخباراً عنعلمه. وقد اتفق المسلمون على ان السنة لا تختص بالقول فقط بل هي تعم الفعل والتقرير فلولم يكن الفعل او التقرير مفيداً للخبر لماعمتهما السنة .

ومما ذكرنا ظهر الحال فىحجيةالاخبار الكتبى فانه ايضاً مثل الشفاهى بل عليه سيرة المتشرعة فى العمل بالاحاديث المكتوبة وعليه سيرةالعلماء المحققين فىالعمل بالجرحوالتعديل فى كتب أرباب علم الرجال .

ودعوى أن اطلاق الخبر او الشهادة او نحوهما من امثال هذه العناوين مجازى غير مضرة بما قلنا لان عماد الدليل كان على الصدق العرفى لاعلى كون الاطلاق حقيقياً. فان المعتمدهوظهور اللفظفىمعنىحقيقياً كان ذلك الظهور ام مجازياً . ثم اننا لانسلم مجازية الاطلاق لما عرفت من صحة تقسيم امثال هذه العناوين بمالها من المعنى الى القولى والفعلى كما انه لايصح سلب مفهوم الاخبار عن الخبرالفعلىوكلاهما علامةالحقيقة فتفيدان الاشتراك .

فان قلت : لماذا يعتبر التلفظ فى البينة على الدعاوىولايكفىالكتابة فضلا عنالفعل؟. قلت : ذلك من اجل دليل خاص فىباب المرافعات وليس من اجل عدم شمول الشهادة للفعل فذلك تخصيص تعبدى وليس بتخصص .

ثم ان اجمال الفعلفى قبالاللفظغيرمضر بصلاحيته للاخبار بل الذى يضيره الاجمالهو الاطلاق ولذلك لانقول بجواز التمسك باطلا فعل ولو كان فى مقام البيان عن تمام المقد ومن هنا ظهر وجه النظر فى ما ذكرهالعلا الانصارى فى رسالة العدالة فقال :

(ان الاعتماد على الاخبارالفعلىاذالمي الوثوقبالعدالةفىغايةالاشكال . لفقدمايطم به النفس من الدليل عليه تعبداً به . .)

ووجه النظر ان اطلاقات الادلة والس العر فىللالفاظوعمل العقلاءخير دليللاطمئن النفس . فالمسألة كادت ان تكون بديهية

فان قلت ان الشهادة الفعلية لاتكشف الا اعتقاد فاعلها بعدالة من يخبر عنه فلا يدلء امر ذى اثرلان جوار الاقتداء مثلا مرتب ع العدالهالواقعيهلاعلىاعتقادالمخبر ودلك بخلا الشهادة القوليه فانها تدل على العدالهالواق ولو بالالتزام .

قلت لافرق بين الخبر القولىوبينالخ الفعلى من حيث نفس الاخباروم‍ن حيثالمخ به فكما يكون الخبر القولىاخباراً عنالوا بزعم المخبر كذا يكون الخبر الفعلىاخب عنه برعمه . ويشهد لذلك اتحاد الخبر وانطباق كل منهماعلىالاخراذا اخبر باالمخ بالخبر الفعلى نفس خبره بالقولى . ولا ت فائدة زائدة على ماافادخبره الفعلى. فالتح ان الخبر الفعلى هوحقيقهالخبر ومصداقهف اللفظ غير مقوم لخبرية الخبر وعلى ماذك يحمل ما عن الشهيد«قده»فى الدروس منالة بعدم الفرق بين القولى من الشهادة و الفعلى منها .

فروع : الاول :

اذا لم يكن الثقة في مقام الاخبار بفعله او كتابته فالقول بحجية فعله او كتابته مشكل للتأمل في صدق الشهادة وصدق الخبر على هذا الفعل فهو نظير الملفظ بالخبر القولي الذي لا يكون المخبر ملتفتاً الى ما يقول فلا يوصف كلامه بالصدق ولا بالكذب .

الثاني : كما يصح الاخبار بالفعل يصح الانشاء بالفعل ولذا يصح بيع المعاطاه بل كثير من العقود يصح بالفعل عند جميع العقلاء والمتشرعة نعم يصدنا الدليل عن القول باجراء المعاطاة في جميع العقود و الايقاعات بل يصح الانشاء عند العقلاء بمجرد النية وان كان الشرع لم يمضه ولم ينفذه كما قيل .

الثالث: لاريب في ان الاخبار قد يتحقق بالتقرير فلذا يقال : أن سكوت المرأه في بعض الموارد مفيد لرضاها فهل التقرير يقوم مقام الخبر عن العداله ؟ فيه تامل الا اذا كان المقام مما يكون السكوت فيه حراما .

وهل اجراء اصالة الصحه في فعله يجعل السكوت في هذا المقام اخبارا ؟ وجهان من حجيه لوازمها غير الشرعيه ومن كونه لازماً أخص وهو الاوجه .

ثبوت العدالة بالشياع:

الجهة المتممه للعشرين: هل تثبت العداله بالشياع .؟

لا اشكال في ثبوت العداله بالشياع اذا كان مفيداً للوثوق فحجيته تكون من باب حجية الشيء بحال متعلقه فان الحجة هو الوثوق واما اذا لم يفد الشياع الوثوق فلم اعثر على قائل بحجيته حتى قيل رب مشهور لا اصل له . لكن في خصوص الباب اطلاقات قد يخطر بالبال جعل الشياع في الشرع طريقا تعبديا للعداله .

منها قوله (ع) : فاذا سئل عنه في قبيلته ومحلته قالوا ما رأينا منه الا خيرا .. حتى قال في ذيله تجوز شهادته بين المسلمين على كونه مشهوراً بالخير سواء كان مفيدا للعلم ام لا ومنها قوله (ع): كل من ولد على الفطره وعرف بالصلاح جازت شهادته فان المعروفيه بالصلاح هو شياع كونه صالحا سواء أفادت الوثوق ام لا.

ومنها قوله (ع): (اذا كان لايعرف بفسق) فان عدم المعروفيه بالفسق عند العرف ملازم للمعروفيه بالصلاح كما ان عدم الفسق عند الشرع هو الصلاح .

ويؤيد ذلك حكايه فعل النبي (ص) من بعثه رجلين من صحابته الى محلة الشهود للاخبار عن احوالهم فان حصول المعرفه للرجلين كثيراً ما يحصل من الشياع بها في المحل او القبيله .

لقطات... وتعليقات

السيد هاشم نصرالله

□ في عام ١٩٦١ م أرسلت الحكومة الالمانية الى مشيخة الازهر تطلب نظام تعدد الزوجات فى الاسلام ، لانها تفكر في الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء ، ثم اتبع ذلك وفد من العلماء الالمان اتصلوا بشيخ الازهر لهذه الغاية. كما التحق بعض المسلمات الالمانيات بالازهر ليطلعن بأنفسهن على احكام الاسلام فى موضوع المرأة ، وتعدد الزوجات . .

وهكذا تحسى البشرية بطبيعتهابضرورة الرجوع الى تشريعات السماءالواقعية

والذى ينبغى ذكره هنانانه يوجد فى‌غانا تشريع يبيح الزواج باكثر من واحدة فأرادت الحكومة ان تمنع‌هذا التعدد بتشريع آخر .وقد عرضت ذلك على‌الجمعية الوطنية وكانت النساء النائبات اشد الناس اعتراضاً على التشريع ، واصراراً على بقاء التعدد لمعالجة حالات أعداد النساء الزائدة ...

* * *

□ حول موضوع تطور الجريمة ـ في‌عصرنا ـ التي أصبحت تشمل‌السطو على المصارف واحتجاز الرهائن لقاء شروط مادية او سياسية وخطف الطائـرات التي لم تكن معروفة من قبل صرح وزير الداخلية الفرنسى بما يلي :

«انه‌هذا النوع من الجرائم ، ترد اسبابه الى تطور المجتمع وتغير العقلية

والى ما يقرأه الجمهور من روايات بوليسية ، ومايشاهد في دور السينما وعلى شاشة التلفزيون.»

تأكيداً لما قاله الوزير الفرنسي- حول السينما-فقدقال «لوكار» : ان المنحرفين أخذوا من السينما احسن أساليب السرقة . . . والشرطة تلاحظ بعد اسبوع من عرض الفيلم ،زيادة في السرقة والجريمة ، ومزاولة للاساليب التي عرضها الفيلم. أما «أودت فيليبون» تقول : ان خمسة اطفال من عائلات موسرة ، احتلفوا الى حانة ليسرقوا الخمر ، وبعد ان توغلت الشرطة في القضية اهتدت الى أن ذوي هؤلاء الأطفال الخمسة يعتقدون ان السينما هي العلة الاساس في سلوك أبنائهم المشين الخ...(١)

وكل ما قيل عن السينما ، يقال عن التلفزيون والروايات البوليسية . . . !

* * *

□ يوجد في ألمانيا الغربية من العراة عشرة ملايين، موزعين في عدة جمعيات اكبرها تدعى الجمعية الألمانية لثقافة الجسد الحر . ويزيد عدد اعضائها على مائة وخمسين ألفاً . . .

وقد كتب العالم النفسي كلوفيس هير ينغ مقالا جاء فيه :

ان من بين الأهداف الرئيسية ، المتوخاة في اقامة أندية العراة ، تعويد الناس على رؤية أجسامهم على طبيعتها ، مما يضعف في نفوسهم الحافز الجنسي ، الذي يقويه الكتمان ! ! !

نودان ننبه الى ان هناك تخطيطاً ذكياً لغرس مثل هذه الأندية في العالم العربي والاسلامي . . . وهذا يظهر لنا من التقرير الخاص عن العراة الذي نشر في الملحق الرياضي الاسبوعي لصحيفة النهار البيروتية .

والقول أن تعويد الناس على رؤية اجسامهم الى آخره . . . ما هو الاسفسطة

---

(١) مجلة الفكر الاسلامي - عدد ١٤ .

ومغالطة . . . لا تنتج الا شيوع التحلل من الاخلاق الذي هو قوام المجتمع السليم المتماسك ،ولا نستشهد، فان ما يلاحظ اليوم في أندية العراة بشكل خاص،وفي العالم الاوروبي بشكل عام ، هو خير شاهد على صحة ما نقول .

* * *

□ تناقلت وكالات الانباء العالمية «أخيراً» ان الهند قامت بتفجير نووي في باطن الأرض وبعد ذلك التفجير ، أعلنت السلطات هناك ، ان الهند ستضاعف جهودها مهما كلف الامر ، لتطوير القنبلة النووية وقد قال أحد علماء الذرة الهنود:

ان الهند قادرة على صنع قنابل هيدروجينية ، وان ذلك يستغرق ثلاث سنوات على الاقل . . . !

هذا النباء ـ كما نظن ـ لايحتاج الى تعليق ، فمعلوم لدى الجميع كم يكلف صنع القنبلة النووية ، ميزانية الدولة ، اذ هي بحاجة الى ميزانية خاصة وضخمة . ..

ولكن بالرغم من ذلك ، ننقل ماجاء في مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٨٨٣ :

ان الهند تعتبر أولى بلدان العالم في عدد المتسولين .اذ يزيد عددهم فيها عن خمسة ملايين ونصف مليون متسول .

وهذا الرقم يعادل ١٪ من مجموع سكانها . ومعدل مايكسبه الشحاذ الهندي في اليوم نصف ليرة . بينما الدخل اليومي للعامل هناك يساوي أقل من خمس ليرات!

* * *

في كثير من مدن أوربا واميركا ،تنتشر مقابر الكلاب والقطط التي كانت عزيزة على قلوب أصحابها خلال حياتها . وقد نشرت احدى المجلات أخيراً صورة مقبرة من المقابر الخاصة للكلاب ، ويبدو فيها كلب يزور قبر صديق له .

من دواعي اثارة العجب ، الفكرة القائلة بحرق جثة الانسان بعد الموت وذلك لان البلاد صغيرة المساحة ، كثيفة السكان ، ويجب ان تعطى الاولوية فيها للاحياء . وأي مقبرة تشغل حيزاً كبيراً يمكن أن يستغل في البناء كملعب رياضي او منتزه عام أوغير ذلك . . .

ولكن مايحدث اليوم فى العالم يناقض هذه التبريرات،ويرفض بشدة النشرات المضللة الصادرة عن الاتحاد الدولى لحرق الموتى ، الذي تأسس عام ١٩٣٧ م .

فلماذا لاتشغل مقابر الكلاب والقطط حيزا كبيراً من المساحة ؟ ولماذا تنتشر المقابر بدون قبور فى الهند ! ؟فبعض الطوائف هناك ، تحرق أمواتها وتذر رماد أجسامهم فى الهواء ، وبعدحوالي عام يوضع للمتوفي حجر فى مساحة كبيرة من الارض ، ينبىء عن اسمــهوصفاته وعليه صورة لتخليد ذكراه !!!

* * *

□ قرأنا أخيراً أن العالم المصري ، الدكتور رشاد خليفة ،قال :

انه اجرى دراسة حول الحروف المقطعة في سور القرآن الكريم ، بواسطة العقول الالكترونية . وأعلن انتحقيقه كشف عن معجزة وهي: ان الحروف الكائنة في اول السور، تدل على أنها استعملت اكثر من سائر الحروف الألفبائية في السورة من حيث النسبة . وادعى العالم المصري: أنه جهد في هذا الامر ثلاثة سنين، مستعيناً بالعقل الالكتروني. والمراد من بحثه هو ان يثبت اعجاز القرآن بالمنطق العلمي الجديد ليؤمن به المجتمع الامريكي.

من المناسب جداً ، أن نذكر هنا ما أشار اليه سماحة العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في هذا الصدد. قال دام ظله :

. . . أما اعتبار العقل الالكتروني ، او اي وسيلة جديدة تهدي الى شيء من لطائف معانى القرآن الكريم ، فلا ريب فيه اذا كشف عن معنى بين قطعي . أما الاقتصار على ما يفيده من الفائدة ونفي ما عداه فلا سبيل اليه .

وقد أمر الله سبحانه فى كتابه باعمال العقل الفطرى فيه ، والتدبر فى آياته من غير تقييد . كما ان ماكشفه الدكتور رشاد من فائدة الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وأنها أكثر عدداً فى السورة التي صدرت بها ، وان كان معنى عجيباً وكرامة خارقة ، ربما بلغت حد الاعجاز ، لكن لادليل على كون ذلك هو المراد الوحيد من تصدير السورة بها ــ ليس الا ــ .

ونحن نجد ارتباطاً ومناسبة خاصة ، بين هذه الحروف المقطعة، وبين المحصل من مضامين آيات السور .وقد أشرنا الى ذلك فى تفسير أول سورة الاعراف(المص) فى المجلد الثامن من الميزان .

اخترنا لك

المسلمون و الاسلام

نشرت مجلة هدى الاسلام الاردنية في العدد ٨ - ٩ من المجلد الثامن عشر مقالا للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح بهذا العنوان جاء فيه .

وفي الحرب العالمية الثانية . . . هزمت المانيا وايطاليا . ومن وقتها بـدأت الشعوب فى كل انحاء العالم تحس بحاجتها الى انهاء السيطرة الاستعمارية والتي جاءت على حين غفلة من اصحاب البلاد . .

وكان الكثير من الشعوب . . يخضع لنفوذ بريطانيا وفرنسا وهولندا . وفى اقصى الشرق تحررت الجزر الاندونيسية المسلمة من سيطرة هـولندا ، واصبحت اندونيسيا دولة مستقلة ذات سيادة ..

وتلت اندونيسيا . . الهند الكبرى . .وخرجت منها الجيوش البريطانية واستقلت فى دولتين هما : الهند . والباكستان الاسلامية . . .

وفي منتصف العقد الخامس . . من القرن العشرين . .خرجت فرنسا من لبنان وسوريا وانقشعت سحائب التخريب الايطالى.. من سماء ليبيا وارتيريا ، والصومال وانهت مصر والعراق المعاهدات البريطانية . . .

واستقلت السودان . . ونالت الجزائر . . وتونس . . والمغرب استقلالها . .

ويمكن أن نقول بعبارة أقرب الى الدقة : ان الدول الاسلامية تخلصت من الاستعمار الغربي المباشر . .

ولكن الباحث المفكر يرى : أن اكثر الدول الاسلامية . . لم تنل استقلالها بعد وأنها لم تتخلص من الرواسب الفكرية والمنهجية التى وضع اصولها الاستعمار.. فى الثقافة . . وفي التربية ، وفى الاقتصاد . . ولازال الكثير يتبع انظمة تستمد عناصر وجودها من الفكر الاجنبي وسوف أنقل الى القارىء عبارات جاءت على لسان المستشرق البريطاني «جب» في كتابه : اين يتجه الاسلام؟

ومن هذه العبارات يتبين لك ، مدى التأثير الذي خطط له المبشرون فى دقة وخبث . . . كما ترى منه غفلة المسلمين ونومهم العميق . .

يقول جب : والواقع اننا اذا أردنا ان نعرف المقياس الحقيقي للنفوذ الغربى، وتغلغل الثقافة الغربية فى الشعوب الاسلامية . .كان علينا ان ننظر الى ماوراء المظاهر السطحية . . علينا ان نبحث عن الاراء الجديدة ، والحركات التي ابتكرت ، بدافع من التأثر بالاساليب الغربية . . ، بعد ان تهضم وتصبح جزءاً حقيقياً من كيان هـذه الدول الاسلامية . . فتتخذ شكلا يلائم ظروفها . .

والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التأثير . . هو أن نتبين الى اى مدى يجري التعليم على الاسلوب الغربي . . وبذلك فقد الاسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية وأخذت دائرة نفوذه تضيق . . وقدتم معظم هذا تدريجياً من غير وعي وانتباه» . انتهى كلام المستشرق البريطانى جب . . والذي كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

اما المستشرق : «زويمر» فيقول في أحد مؤتمرات التبشير : لا ايها الزملاء انكم اعددتم بوسائلكم جميع العقول فى الممالك الاسلامية الى قبول الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .. انكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله.. ولا يريد ان يعرفها . . واخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية ..

وبالتالي ، جاء الكثير من النشيء الاسلامى طبقاً لما اراده له الاستعمار . . لايه
بالعلم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همهفي دنياه ، الا فى الشهـوات .
فاذا تعلم فللشهوات ، واذا جمع المال فللشهوات وانتبوأ اسمىالمراكز ففيسب
الشهوات يجودبكلشيء» . .

انتهى كلام المستشرق زويمر ، والذي قاله في احد مؤتمرات التبشير ، الت
تعاود الاجتماع للدراسة والتخطيط .

وهذا كله يبني عن خطورة ما نحن فيه . . ومع كل هـذا . . فلم نحـاو
الاصلاح وان حاولنا فدعوات الاصلاح دائماً تجد من تلاميذ المستشرقين : جـ
وزويمر ، من يملك قدرة معارضتها .

ولا شك أن كثيراً من الدول الاسلامية . . التي بليـت بالاستعمار ، ونالـ
استقلالها فى العرف الدولي وفي هيئة الأمم المتحدة . . لم تستقلفىالحقيقة، و
واقع الأمر . . استقلت من ناحية ان الحاكم من ابنائها . والجيش منها ولها . .

ولم تستقل في الحقيقة ، لانها تسيرفى فلك الاستعمار فى الفكر، وفىالاقتص

ولا زالت العطلة الاسبوعية ، فى بعض الدول الاسلامية . . هى يوم الاحد
اما يوم الجمعة . . فهو يوم عمل رسمي . . فعلام يدل هذا؟ . . وعلاميدلهذاالعر
الفاضح الذي يملأ البلاد؟ .

وعلام يدل وجود القوانين الوضعية ؟ .

وعلام يدل اهتمام وسائل الاعلام بجان بول سارتر . . وسيمون دي بوفوا

وعلام يدل اهتمامنا بالفكر الماركسي ، والتغني بالثورة الشيوعية؟

وعلام تدل مشاركتنا بوفود فى المؤتمرات الاشتراكية ؟

وعلام يدل اهتمامنا بفن «بيكاسو» مع ان هناك فنانين أكثر منه فناً ودقه؟

وعلام يدل اهتمامنا بزعماء العصابات من الفكر الشيوعي مثل جيفارا؟

وعلام يدل عدم اهتمام المسؤولينبالدعوات التي تطالب بالحكم الاسلا

وعلام تدل الميوعة والمجون والخنفسة التي تملأ الشوارع؟

وعلام تدل بيوت البغاء الرسمية والسرية؟ ؟

وساير هذا كله : فشو الجهل، والامية ، وضعف الايمان . وكان من نتائج ذلك أن اصبح المسلمون على ضعف في السلوك وسطحية فى التفكير وترد فى العزيمة

وزاد فى الطين بلة ..جهل المسؤولين باداب واحكام وتعاليم القرآن الكريم..

ولهذا كانت بعض الدول الاسلامية ، او التي تتمسح بالاسلام .. تعاضد القومية وتؤيدها مع القوميين وترغب في الاشتراكية مع الاشتراكيين..والوحدة مع الوحدويين .. ولو كانوا غير مسلمين . . وربما تاتي أشياء ومفاهيم اخرى . . والايام تلدن كل عجيب ..

وهذا يوحى بعدم شخصية الدول الاسلامية . . كما انه يدل على تحبط الحكام والمسؤولين . وجهلهم بالعزة والكرامة . . ويدل فيما يدل على ضعف الايمان بالله وبحق الشعوب المؤمنة بربها . . واننا نرى انه فى امكان الدول الاسلامية . . ان تبرز بشخصيتها . . وتعرف مكانتها . . ويكون لها تأثيرها فى الميزان الدولى .

ولكن ذلك رهين بالتزام الطريق الذي رسم للمسلمين في الحياة ،والمفكر يرى : ان الاسلام اغنى المسلمين عن القومية . . لانها ضيقة ومحدودة . .ومن جاهلية الجاهلين . .

والاسلام اغنى المسلمين عن الاشتراكية . . لانه مهما قيل فيها ، فالمراد منها ضياع الفكر الاسلامي او محاربته . . والشيوعيون يقولون : ان الاشتراكية ألف والشيوعية باء . .

ومعنى هذا ان الاشتراكية مقدمة . . او مدخل للشيوعية والواقع يثبت ذلك فقد رأينا دعاة الاشتراكية من الجاهلين بالاسلام يفتحـون الابواب كلهـا للثقافة الشيوعية وكتبها ، وأصبحت مختارات(لينين)وكلماته في الحتمية والاقتصاد،والعمال والتأميم .. تملأ الكتب والمجلات كما انها .. توزع هدايا مغلفة باروع ما اريد لها .

وامتلات اسـواق الصحافة، بشتى المجلات والصحف التي تدعو الى الفكر الماركسي وتربط الشباب به . . وتحرض العمال والفلاحين ، على التمرد واثارة الفوضى والاضطراب . .

وفى نيران دعاة الاشتراكية . . ضاعت القيم . . وفقدت الملكيات وتساوى الناس فى الفقر . .وكثر اللصوص . . وتعطلت المصانع عن الانتاج وكبتت الحريات وكممت الافواه . . وامتلات السجون والمعتقلات . . والحقيقة ان الاسلام اغنى المسلمين عن الاشتراكية . . بما رسمه للمسلمين من مناهج عملية ، فى رعاية الناس واعطائهم حقوقهم . .

والاسلام صدقت تجربته . . فى اسعاد الانسانية كلها . . وفوق هذا فهو ليس من تفكير احد من الناس .. بل هو من عند الله الذي خلق السموات الارض .. وماكان من عند الله كان اتم واكمل ..

والاسلام أغنى المسلمين بالوحدة الاسلامية .. وجعلها رب العزة نعمة من نعمه يتذكرها المسلمون .. كلما تلوا آيات القرآن الحكيم ..

والوحدة التي لاتقوم على اساس الاسلام .. والتي يهتف بها بعضنا لم توجد .. ولم يكتب لها النجاح .. لانها تتنافى مع تعاليم الاسلام .. والرسول الامين محمد عليه الصلاة والسلام .. لم يدع الى وحدة عنصرية .. ولو دعا اليها لما جاوز الاسلام حدود الجزيرة العربية ..

وانتصارات المسلمين .. فى القادسية .. وفى عين جالوت .. وفى حطين لم تكن في ظل وحدة عنصرية ضيقة .. بل في ظل لواء الاسلام ..

ونحن لم ندخل المعارك بمعركة داحس والغبراء .. ولكن دخلنا بمعركة بدر ، والقادسية واليرموك .. ونحن العرب ، لم يكن لنا وجود، في عالم الوجود الا في ظل الاسلام وعلى كل .. فقد اغنانا الاسلام عن الاقليمية والعنصرية .. لان الاسلام دعوة عالمية .. تملأ الدنيا بالخير ..

ونحن لسنا في حاجة الى وحدة عربية عنصرية .. ولا الى قومية عنصرية ..

ولا الى الاشتراكية .. ولا الى اى فكر مستورد ..

اذن وبدون شك .. نحن في حاجة الى الاسلام من جديد .. نحن في حاجة الى وحدة اسلامية .. تدفن القوميات التي ظهرت فى العالم الاسلامى، بفعل الجهال فـي الشعـوب الاسلاميـة .. نحـن في حاجة الى ثقافة اسلامية .. تهتم بتاريخنا وتراثنا .. ورجال فكرنا .. وعلمائنا .. ونحن في حاجة الى صحافة اسلاميـة .. تواجه الناس بالحقائق التي تفيد وتنفع ..

نحن في حاجة الى اعلام اسلامي .. ينطلق هادراً بكلمـة الحق .. ويمـلأ الدنيا كلها بالحق ..

نحن بحاجة الى تربية اسلامية .. تشمل مراحل التعليم كلها ..

ونحن بحاجة الى شباب قوي .. يحرس البلاد من الاضطرابات .. والفوضى .. التي تتعرض لها ..

والحمد لله رب العالمين .. فامتنا الاسلامية مهما بلغت من دركات الضعـف فهي تحفظ في ثناياها بذور الخير .. ومعانى الايمان .. والفئات الصالحة التي تعتز بالله .. وسوف نصل الى ماقدر بـاذن الله .. بفضل العاملين فى الحقل الاسلامى ..



ذكرى الشهيد

ايه ذكرى الشهيد في كل عام ... يستعيد التاريخ ذكرى الشهيد
هو رمز الامجاد يفخر فيه ... كل حر وكل شهم نجيد
انه خامس النجوم التي فيها ... اضاء الاله دنيـا الوجود
انه ثالث الائمة من فيهـم ... عبرنا على الصراط الحميـد
من قضى ان يحرر الجيـل ... والجيـل اسير مكبل بالقيـود
ويزيد في نشوة السلطـة ... الكبرى يهز الزمان بالتهديد
وسراياه تحجب الشمس اما ... نشرت دونها ظلال البنود
يحذر الفكر ان يمر عليه ... فهو يرعاه بالخيال الشرود
هكذا البغي كان مذ نهض ... السبط ونادى يارابة العدل ميدى
وتلاقى الجيشان وانخذل البغي ... وغنى النضال باسم الشهيد

السيد الهاشمي

ياسيد الشهداء

يا واهب الاجيال فكراً تأثراً وعقيدة جبارة لـم تقهر
ومحرر الاسلام من رقية اموية لـولاه لم تتحـرر
ان العقيدةوهي غرس اثمرت بيديك في هذا النتاج المثمر
هذا هو التاريخ يلهج بالثنا والمجد بيـن مهلهل ومكبـر
التضحيات بدأتها وختمتهـا مـن مهجتيك بأكبر وبأصغر
وفم الجهاد المرظام لم يجد ريـاً بغيـر فـؤادك المتفطـر
ياصفوة النورين انت زجاجة قدسية في هيكل من جوهر
وسلالة نبوية قد انزلت من جنة المأوى وماء الكوثر
من أهل بيت اذهب الله العمى والرجس عنهماطهراً عن اطهر
شاطرتجدك فىالرساله انها ثمر لغـرس جهـادك المتأخر
ولدت بصدر محمد وتيتمت فحضنتها في صدرك المتكسـر
وسقيت مهداً قد سقاه محمد بدماء حمزةفى الجهاد وجعفر
ونشرترابة فتح مكة بعدما طويت ولـولا كربلا لم تنشر
انت المجدد والنبي مؤسس وابـوك للاسلام خير معمر
قبرتـه آل اميـة فبعثتـه حياً ولولا كفرهم لم يقبر

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسى

اعيدوا تاريخنا

ايها الناشرون فى الارض دين الله ـ بالعزم ـ بكرة وعشيا
«كنتـم خير امة اخرجت للنـاس» تهدون لا تهابـون غيا

فاعيدوا تأريخنا انما المجد سما في الدنى واضحى حريا
وارفعوا راية التحرر والعدل وحب الورى مكانا عليا
فلقد لاح فجرنا الباسم الطلق منيراً للسالكين زهيا
ايهذا الجيل الذي انت في معترك الفكر كن صموداً ابيا
سر الى غاية تجلت كمالا واطو بالبشر هذه الارض طيا
وتطلع الى معالم دين الله فالنصر قادماً لك حيا
ان دين الأسلام يعلو ويهوي ما سواه للخسف شيأ فشيا

محمد رضا آل صادق

رجاء... وامل

رسالة الحق هزي الكون وانبعثي على الحياة بعزم يخمد اللهبا

وجددي نهضة المختار خالدة على الدهور تعيد العز والغلبا
وايقضي امة نامت على حسك السعدان من بعدما تفكيرها نضبا
ان الحياة بلا شرع ينظمها يعيث فيها فساداً كل من غلبا
لكنما الناس اغوتهم مطامعهم حتى غدوا اللظى اعدائهم حطبا

يا سيد الرسل انا امة عدلت عن دينك الحق حتى عزنا انتهبا
علمتنا ان نقود الناس قاطبة لكننا اليوم اصبحنا لهم ذنبا
علمتنا ان نلم الشعث يجمعنا دين الاله فأمسى الجمع منشعبا
علمتنا اسس التوحيد واضحة ومذ جهلنا لقينا الذل والعطبا
لكننا اذ تركنا الدين وانقلبت اسودنا قططاً يابئس منقلبا
تسلط الكفر في ارض الحمى وسطا على الشريعة جيشاً فاتكاً لجبا

محمد صالح الظالمي

أخبار دار التبليغ الاسلامي

□ اوفد سماحة الامام السيد شريعتمداري دام ظله الى الديار المقدسة بعثة الحج الدينية كعادته في كل عام ، وكان على رأسها حجة الاسلام والمسلمين الشيخ مجتبى العراقي مدير دار التبليغ الاسلامي كما انها ضمت عدداً من العلماء الافاضل والاساتذة الكرام ، وقد قامت البعثة بواجبها في ارشاد الناس وتعليمهم مناسك الحج وشعائره والجواب على المسائل التي يبتلي بهـا الحجاج هناك ، كما انها التقت بالعديد من الشخصيات العلمية الاسلامية في رابطة العالم الاسلامي وغيرها .

□ اقيم في دار التبليغ الاسلامي حفل ديني كبير ليلة ١٨ ذي الحجة ١٣٩٤هـ بمناسبة عيد الغدير الاغر والمصادف كذلك لمرور احدى عشرة سنة على تأسيس الدار في سنة ١٣٨٣ هـ ، وقد حضر الحفل جمع حاشد من العلماء والفضلاء ومن كافة الطبقات ، وتوالى على المنصة عدة من الفضلاء والشعراء الذين تحدثوا عـن هذا اليوم العظيم ومعطياته ومدلوله ، اذ اكمل الله فيه الدين واتم النعمة كما أشادوا بمؤسسة دار التبليغ الاسلامي في قم المقدسة وما تقوم به من نشاطات في مجالات الوعي وانتشار الثقافة الاسلامية وتربية العلماء العاملين ، وتقوية الاواصر بين المسلمين وغير ذلك .

كما اقيم في يوم عيد الغدير المبارك في قاعه مكتبة دار التبليغ الاسلامـي العامة معرض ضم الكثير من الصور التي كانت تمثل جانباً من نشاطات المؤسسة وبعض الصور التذكارية التي اخذت لسماحة الامام المؤسس خلال التقائه بالكثير

من الشخصيات الدينية العلمية في شتى الاقطارا لاسلامية ، وقدضم المعرض كذلك صفحات من القرآن الكريما لذياهدي الى مؤسسة دار التبليغ الاسلامي من قبل احد الخطاطين الماهرين وهو بخط جميل ومزين بنقوش رائعة ، ويبلغ وزن مجموع صفحاته (٣٣٠٠) كيلو غرام ، بحيث يعتبر اضخم قرآن في العالم حتى الان .

□ صدرت عن دائرة النشرفي دار التبليغ الاسلامي كراستين باللغة الفارسية:

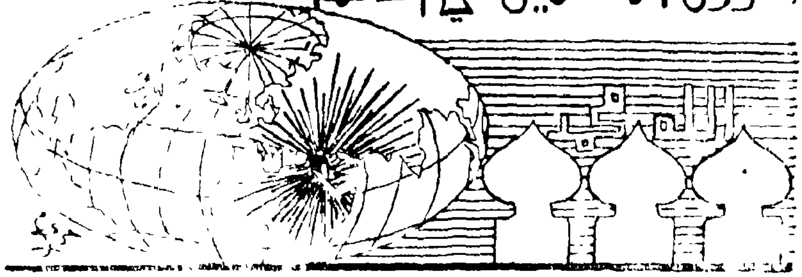
اولاهما باسم : «الحج اسمى افق في المساواة الانسانية» وقد صدر بمناسبة موسم الحج لتنبيه المسلمين لماتمثله هذه الفريضة المقدسة من معان سامية ومالها من معطيات عظيمة ودروس عالية في الأخوة والاتحاد والمساواة والارتفاع على العصبيات والعنصريات الضيقة ، والتجرد عن لذائذ الدنيا وبهارجها .

والثانية : باسم «الامام الحسين ثالث الائمة» والكراس يمثل الحلقة الخامسة من سلسلة «التعرف على قادة المسلمين العظام» .

وقد صدر هذا الكراس بمناسبة حلول شهر محرم الحرام وذكرى استشهاد سيد الشهداء الامام الحسين (ع) وفي هذا المنشور يلقى الضوء على جوانب العظمة فى ثورة الحسين (ع) واسبابها ونتائجها الخالدة التي كانت ولا تزال منبعاً ثراً للمسلمين ، تعلمهم الدروس العالية في الاخلاص والتفاني من اجل المبدأ المقدس والهدف الغالي .

□ كما وصلت الى المؤسسة رسائل كثيرة بلغت (٤٠٠٠) رسالة من شتى الاقطار الاسلامية ، تتضمن اسئلة عديدة فى شتى الامور وقد اجيب عنها جميعاً .

شؤون المسلمين في العالم



اعداد: ابو مقداد

موسم الحج

سجلت دوائر الاحصاء في السعودية ارتفاعاً هائلا في عدد الحجاج لهذا العام اذ بلغ حوالى مليون ونصف حاج من خارج المملكة وداخلها ، و هذه الظاهرة يمكن أن تدل على وجود وعي ديني متنام بين صفوف الأمة الاسلامية ومن الضروري هنا ان ننبه الى مسؤولية الواعين والمبلغين والعلماء في العمل على ان تكون هذه الظاهرة مدعاة الى حشد امكانات اكثر وبذل طاقات اوفر في سبيل تنمية هذا الوعي وتعميقه وذلك بتفهيم المسلمين واقع دينهم وانه يتعدى الطقوس والظواهر الى صياغة الانسان الصالح ، والمؤمن القوي في عقيدته ، السليم في سلوكه ، وبهذا نكون قد اعددنا هذه الامة للنهضة المرجوة لها وللمسؤوليات المؤمل أن تضطلع بها في هذا العالم الحائر الخائر .

وهنا نثبت ادناه احصائية بعدد الحجاج الوافدين من خارج المملكة العربية السعودية املين ان يزداد العدد في السنوات القادمة مع اخلاص اعمق ووعي اشد وايمان وفهم للاسلام اقوى واركز :

اسم الدولة	عدد الحجاج	اسم الدولة	عدد الحجاج	اسم الدولة	عدد الحجاج
الاردن	١٩٣٩١	عمان	٣٤٠٣	تشاد	٤٩٢١
الجزائر	٤٩٠٢٥	امريكا	١٣٦	وسط افريقيا	٣٢٣
السودان	٤٢٠٨٤	قطر	٩٦٢	جامبيا	٥٩٧
العراق	٥٨٩٨٣	ماليزيا	١٥٣٦٦	داهومي	٥٢٧
الكويت	٥٢٧٠	افغانستان	٦٢٩٩	سيراليون	٥٠٤
المغرب	٢٦٦٣٢	الفيليبين	١٥٦٤	ساحل العاج	١١٦٥
اليمن	٧٥٥٥٧	الهند	٢١٨٧٤	غانا	١١٠٥
تونس	١٠٧٨٥	اندونيسيا	٦٨٨٧٢	غينيا	٩٨٨
سوريا	٣١٥٨٣	ايران	٥٧٣١٤	فولتا العليا	١٥٦٧٦
فلسطين	٢٥٩٦	بنغلادش	٢٩٢١	اليونان	١٧٥
لبنان	٩٥٢٥	باكستان	٦٦٥٣٤	كينيا	٥٣١
ليبيا	٣٠٧١٥	سنغافور	٩٥٤	مالي	٢٦٢٨
يوغسلافيا	١٨٤٥	تركيا	١٠٦٠٤٥	موريتانيا	١٦٧٧
اوروبا	٤٢٨٧	تايلاند	٣٤٥٦	موريس	٣
مصر	٨٩٦١٧	اثيوبيا	٣٤٧٣	نيجيريا	٥١٧٦٤
الجنوب العربي	٣٣٨٩	النيجر	٧٠٣٠	اوغندا	٣١٠٧
		السنغال	٣٤٠٣	جنوب افريقيا	٢٠١٥
الامارات العربية المتحدة	٣٤٢٢	الصومال	٣٧٦٧	دول أخرى	٦٨٢
		الكامرون	٤٤٢٢	بريطانيا	١٢٥٤
البحرين	٣٠٢٢	تنزانيا	٦٤٥	فرنسا	٦٥٥
اسبانيا	١٩٦	مجموع حجاج بقية افريقيا	٩١٤٠٩	المجموع العالمي	٩١٨٧٧٧

«وانما الامم الاخلاق»

نشرت صحيفة النهار البيروتية تصريحاً لوزير الاعلام اللبناني جاء فيه «وانه سوف يعقد اجتماعاً مع نقابتي الصحافة والمحررين لترسيخ التعاون بين السلطة والصحافة في سبيل عدم نشر الصور الخلاعية التي تضر بالاخلاق العامة ، وتقرر التشدد في مراقبة الأفلام السينمائية الخلاعية» .

هذا التصريح لابد ان يقابل باهمية كبيرة ،واننا لنرى انه من واجب العلماء والمفكرين ومن يهمهم الامر في لبنان ان يلاحقوا هذا الامر ويصروا على تنفيذه وتحقيقه ، وذلك لسببين : اولهما ماتسببه هذه الافلام بشكل عام في اي محيط وفي اي مجتمع من تفشي الميوعة والانحلال ، وبالتالي جره الى السقوط والانهيار .

وثانيهما: يخص لبنان والحالة الاستثنائية التي يعيشها اذ هو في الواقع في حرب حقيقية مع العدو الصهيوني وهذا يقتضي منه ان يعبىء كل الطاقات في سبيل جعل المجتمع مجتمع حرب ، ولاشك ان هذه الافلام والصور الماجنة تخالف ذلك كل المخالفة ، ولا يمكن أن توجد الصمود المطلوب في مواجهة الاعتداءات المتكررة من الصهاينة ،لذا فاننا نرى ان الدين والتاريخ والاخلاق كلها تفرض ان تتخذ اسرع الخطوات في تنفيذ مثل هذه المشاريع التي تمس حياة الأمة في الصميم ، واننا بهذه المناسبة نطالب المسلمين في البلاد الاسلامية كافة ان يناشدوا المسؤولين فيها اتخاذ الخطوات الفعالة في هذا السبيل ، ليتكون المجتمع الاسلامي النظيف الصالح كما تريده العقيدة وكما تفرضه الظروف المصيرية الراهنة .

«استنكار لحملات القمع الظالمة»

اصدرت جمعية دينية في لندن بياناً هاماً حول الاوضاع فى العراق تحدثت فيه بايجاز عن النجف الاشرف كمركز كبير من مراكز الاشراف منذ ما يزيد على الف عام وعن طاقتها العلمية المبدعة وجهادها المرير ضد الاستعمار بوجهيه الشرقي والغربي.

ثم عرضت لموقف الحزب الحاكم فى العراق من الشيعة عموماً والنجف خاصة ولخصت ذلك بالنقاط التالية :

١ ـ تطويق الجامعة العلمية ومنع الرفد الطلابي .

٢ ـ القاء الرعب في نفوس الطلبة والاساتذة بشن حملات اعتقال واسعة .

٣ ـ التعذيب الوحشي للمعتقلين .

٤ ـ تشريد الطلبة غير العراقيين وابعادهم .

٥ ـ التحامل الشديد على علماء الدين الكبار والمراجع العظام .

واشار البيان في ختامه الى حملات الاعتقال الواسعة وصدور احكام بالاعدام على عدد من العلماء والمفكرين .

ومن ثم فقد وجه البيان نداء الى العالم الاسلامي جاء فيه :

«ونحن ندعو كافة المسلمين الذين يحملون هم القضايا الاسلامية فى العالم وكل مسلم يعيش هموم المسلمين والاهم فى العالم الى ان يشرحوا موقف السلطة الحاكمة في العراق من النجف الاشرف والشيعة الامامية والوجود الاسلامى الى الرأي العام الاسلامى وان يقوموا بجهد جاد على احباط هذه المؤامرات التي تبيت ثم تنفذ بصورة صارخة فاضحة للقضاء على الوعي الاسلامي . ان النجف الاشرف مركز اسلامي كبير خدم الفكر الاسلامى اكثر من الف سنة ، وكانت لها مواقف كثيرة فى خدمة القضايا الاسلامية ونشر الوعي الاسلامي واحياء التراث الفكري الاسلامي ومواجهة المبادىء والافكار الدخيلة وتوحيد كلمة المسلمين . ومسؤولية المحافظة على النجف الاشرف مسؤلية عامة على عاتق كل مسلم يؤمن بقوله صلى الله

عليه وآله (من أصبح ولم يهتم بامور المسلمين فليس منهم)

ان النجف الاشرف لا تموت ولن تموت باذن الله تعالى والهيئات العلميـة القائمة فيها لا تخاف ولا تخشى شيئاً من هذه الحملات مهما بلغت في العنف والقسوة وهي تعلم ان طريقها محفوفة بالمكاره والمتاعب والمخاطر وواثقة ان الله معها وان بقية الله تعالى فوق كل سلطان ولكنها المسؤولية الاسلامية الثقيلة التي تتطلـب من المسلمين في كل مكان ان يقفوا بحزم امام مثل هذه التحرشات والمؤامرات على حياة جامعة اسلامية كبيرة وبحولوا اشعار الوحدة الاسلامية الى عمل جاد صادق في دعم واسناد الوجود الاسلامي في اي مكان بغض النظر عن اطاره وشكله .

ونسأل الله سبحانه ان يفرج غم النجف الاشرف وعن المسلمين محنتهم في كل مكان ويجعل كلمة الله العليا على وجه الارض» .

وبهذه المناسبة اصدرت الهيئة الشرعية في المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى -في لبنان- بياناً حول عمليات اعدام نفذت في العراق جاء فيه :

«ان الطائفة الاسلامية الشيعية في لبنان وفي العالم تستنكر اقدام السلطات في العراق وفي هذه الظروف بالذات ، على سفك الدماء وازهاق الارواح ، خصوصاً اذا كانوا من علماء الدين الذين هم من رواد الوطنية والاخلاق والاصلاح وعلى الاخص عندما يكون الحكم صادراً من دون محاكمة علنية وممارسة حق الدفاع .

ان جامعة النجف الاشرف التي تشكل ينبوع العلم والدين والهداية لعشرات الملايين من ابناء الطائفة الاسلامية الشيعية في العالم في الحال الحاضر وخلال فترة الالف سنة الماضية ،لها في تاريخها المشرف مواقف مشهودة في طـرد الاحتلال البريطاني ومحاربة المستعمرين وهي ثروة عربية واسلامية وانسانية كبرى .

ان الظروف الدقيقة التي يمر بها الوطن العربي تتطلب توفير الطاقات وجمع الصفوف والابتعاد عن كل مايفرق أو يشوه سمعة البلاد ويثير استياء الرأي العام .

«جريدة النهار البيروتية بتاريخ ٧-١-٧٥»

وقدصدر كذلك بيان في الكويت يستنكر تنفيذ الاعدام والاحكام الجائرة التي

صدرت ولازالت تصدر في العراق بحق الكثير من علماء الديـن والخطباء والاساتذة المسلمين وقدجاء في هذا البيان «كأن السلطة البعثية في العراق قد اتي بها الى الحكم لتجتث الأصول الاسلامية العميقة الجذور في هذا الشعب المسلم، ولتقضي على كل تحرك ديني ،وقد صبت جام غضبها على الجامعة الاسلامية الشيعية في النجف الاشرف فاتهمت عدداً من العلماء والافاضل بتهم باطلة لتمرر مخططها الجهنمي ، وعقبت ذلك بتبعيد الآلاف من الشيعة الاجانب وتسفيرهم الى دولهم بحالة يرثى لها وخلافاً لجميع القوانين والاعراف الدولية ،وقد بلغت القمة في الارهاب حين اقدمت على تنفيذ حكم الاعدام بحق خمسة من علماء الشيعة ومثقفيهم .وبعد كل هذه المآسي نتقدم الى الجميع ليتحملوا مسؤوليتهم وان لايقابلوا هذه الحوادث بروحية الاستسلام وعدم الاكتراث، وان لايرجحوا حياة الدعة وحب الخنوع على السعادة الابدية التي لا ينالها الا كل مؤمن صلب .

نعم لقد آن الاوان ان نكسر جدار الصمت والخوف، ونتحرك لاعلان واعلاء كلمة الحق والحقيقة .

الهادى :

وهكذا تتوالى التصريحات والبيانات التي تستنكر هذه الاحوال الشاذة في العراق ،وكلنا أمل أن يقوم المسلمون في كل مكان بدورهم وبما يفرضه عليهم الواجب في هذا السبيل لئلا يستشرى هذا الخطر الالحادي فيعيق التقدم الاسلامي والنهضة الاسلامية ويطعنها من الخلف ،ويقضي على منبع ثرى بالفكر والعطاء .

توصيات الندوة الاسلامية العامة فى الهند

☐ اشرنا فى العدد السابق الى انعقاد ندوة اسلامية عامة فى الهند ضمت مثلين عن الكثير من المنظمات والمؤسسات فى العالم الاسلامي، وكان قد اشترك بها الاستاذ السيد غلام رضا السعيدي ممثلا دار التبليغ الاسلامي .

هذا وقد صدرت عن الندوة توصيات، ننشر خلاصة لاهم ما ورد فيها هنا تعميماً للفائدة اجين لها ـ كما رجونا لغيرها ـ ان تكون مثمرة ومفيدة في توعية الامة ودفعها الى تبوؤ مركزها لطبيعي في قيادة ركب الحضارة التي تعيش مرحلة التيه والفوضى ، والاضطراب .

١ ـ التنسيق بين المنظمات الاسلامية :

ترى الندوة ان طبيعة المشاكل والتحديات التي تواجه المسلمين تحتم عليهم م الشمل وجمع الكلمة ونسيان الخلافات الفرعية العابرة .

٢ ـ التفسخ الاخلاقي :

تلاحظ الندوة بقلق بالغ انتشار مظاهر التحلل والتفسخ الاخلاقي في صور شتى بين المسلمين كنتيجة مباشرة لانتشار المطبوعات والنشرات والافلام والاغاني التي تتعمد اشاعة الفساد وتحطيم الاخلاق وكذلك تشجيع الاختلاط والتبذل مما تسبب في انهيار القيم والفضائل وتفكك الاسرة وعدم الالتزام باخلاق الاسلام وآدابه فى الملبس والمظهر والسلوك .وتناشد الندوة حكومات العالم الاسلامى كما تهيب بالمنظمات والجمعيات الاسلامية بذل كل الجهود لمكافحة هذا التيار الهدام للحفاظ على الشخصية الاسلامية وتميزها والابقاء على روح المناعة في المجتمعات الاسلامية.

٣ ـ رؤوس اموال وثروات المسلمين :

تناشد الندوة الاسلامية حكام الدول الاسلامية والمؤسسات الاقتصادية ورجال المال في العالم الاسلامي بضرورة استثمار رؤوس اموالهم فى البلاد الاسلامية وفي

المناطق التي تسكنها اقليات اسلامية فى الدول النامية وتتوفر فيها شروط الاستثمار. وترى الندوة ان بقاء هذه الاموال في المصارف الأجنبية واستثمارها خارج نطاق العالم الاسلامي هو تفريط في ثروات المسلمين ودعم لمخططات الاعداء في ديار الاسلام.

٤ ـ تنشيط العلاقات الثقافية بين المسلمين .

أ ـ توصي الندوة حكومات العالم الأسلامي التوسع في التبادل الثقافي وابرام الاتفاقيات الثقافية بين الدول الاسلامية والبلاد التي تقطنها جماعات اسلامية لتعزيز العلاقات الثقافية ومساعدة تلك الشعوب فى الحفاظ على ثقافتها الأسلامية وتقاليدها .

ب ـ ترى الندوة ان تعمل الحكومات والهيئات الاسلامية على التوسع في ترجمة الكتب الاسلامية الى اللغات العالمية والمحلية وخصوصاً فى الاقطار حديثة الاستقلال .

جـ ـ ترى الندوة ان تبذل حكومات الدول العربية وجامعة الدول العربية والجامعات والمؤسسات العلمية جهوداً اكبر واكثر ايجابية لنشر هذه اللغة بكل الوسائل المتاحة بين ابناء المسلمين فى العالم .

د ـ تناشد الندوة حكومات العالم الاسلامي التوسع في تقديم المنح الدراسية في مختلف فروع المعرفة والتخصصات العلمية لأبناء الشعوب الاسلامية المحتاجة ولا سيما الاقليات الاسلامية .

٥ ـ تنظيم الاغاثة للشعوب المحتاجة

ازاء موجات القحط والمجاعة والكوارث التي تجتاح عدة مناطق فى البلاد الاسلامية بين حين وآخر ، فان واجب المسلمين حكومات وشعوباً أن يسبقوا غيرهم ويهبوا لنجدة اخوانهم وتخفيف الويلات عنهم بتقديم ما يستطيعونه من جهد او علم او مال.

ب ـ نظرا للكمية الكبيرة من اللحوم المتوفرة من الاضاحي والهدى فى موسم الحج كل عام فان الندوة تؤيد قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي

في وجوب الاستفادة من هذه اللحوم الفائضة ، وتناشد حكومة المملكة العربية السعودية اتخاذ الأجراءات الايجابيةوالعملية لتحقيق هذا المطلب .

سادساً : التاريخ الهجرى

توصي الندوة الحكومات والهيئات الاسلامية بضرورة الحفاظ على التعامل بالتاريخ الهجرى واعطائه الاولوية والاسبقية على سواه حفاظا على التراث الاسلامي وابرازألمعالم الشخصية الاسلامية .

سابعاً : وكالة الانباءالاسلامية

تناشد الندوةالمسؤولين في الحكومات الاسلامية والامانة العامة للدول الاسلامية الاسراع في اتخاذخطوات ايجابية وعمليةسريعة لتكثيف نشاط وكالة الانباءالاسلامية وتقويتها حتى تؤدي واجبها في تغطيةاخبارالعالم الاسلامى الذي يعاني من احتكار الوكالات الاجنبية التى يخضع اكثرها لتوجيه الدعاية الصهيونية والاستعمارية.

ثامنا : فيلم محمد رسول الله (ص)

تؤكد الندوة تأييدها المطلق للقرارات التي اصدرتها المنظمات الاسلامية ودوائر الفتوى فى العالم الاسلامى بوجوب ايقاف ومنع تصوير فيلم محمد رسول الله الذى تقوم به شركات اجنبية وتموله حكومات عربية ، لما يتضمنه من المساس بشخص الرسول الكريم (ص) والصحابة الأجلاء ، وترى الندوة ان السماح بمثل هذا الفيلم يفتح بابا للشر يمكن ان ينفذ منه اعداء الاسلام لتشويه العقيدة والتاريخ والنيل من مقدسات المسلمين وتراثهم .

تاسعاً : تجمع المنظمات الاسلامية

تلاحظ الندوة كما تلاحظ المنظمات الاسلامية في كافة انحاء العالم الاسلامي الفراغ الكبير الذي يحدثه عدم وجود تجمع اسلامي عالمي للمنظمات والهيئات الاسلامية، مما يجعل الاصوات والجهود الفردية محدودة الاثر، وفي هذا الصدد ترجو الندوة ان يكون تمثل جميع المنظمات الاسلامية في المناسبات المقبلة اكثر شمولا حتى تتم الوحدة المنشودة

عاشرا : المصارف الاسلامية

تجاه مايلاحظ من شيوع المعاملات الربوية في البنوك والآثار الاجتماعية والاقتصادية السيئة لهذا النظام ترى الندوة تأييد قرارات المنظمات الاسلامية في دعوة الحكومات الاسلامية والمؤسسات المالية الحرة لانشاء مصارف غير ربوية تقوم بالمعاملات الاقتصادية والمالية للجماعات والافراد حتى يزول الحرج الشائع حاليا بين المسلمين من هذه الناحية وتستقيم الحياة الاقتصادية في البلدان الاسلامية على نحو يرضى الله تعالى وينسجم مع مبادىء الدين الحنيف .

حادى عشر : مؤتمرات اقليمية للهيئات الاسلامية

نظرا لوجود مشاكل وقضايا متشابهة بين الشعوب الاسلامية المتجاورة وخصوصا في حقل العمل الاسلامي ترى الندوة تشجيع مؤتمرات اقليمية للحيات الاسلامية في البلاد المتقاربة حتى يكون في استطاعتهم التصدى لهذه المشكلات بصورة موضوعية وتفكير موحد .

ثانى عشر : قضية فلسطين

تؤكد الندوة التزام الشعوب الاسلامية بتحرير فلسطين واعادتها الى اهلها الشرعيين مهما طال امد الكفاح من اجل هذه الغاية وتعلن عن تضامنها الكامل مع الشعب الفلسطينى في استرداد حقوقه المشروعة كاملة ،وتؤكد الندوة الاسلامية ان قضية فلسطين هي القضية الاسلامية الاولى في هذا العصر وان الخطر الذي تمثله الحركة الصهيونية هو خطر موجه للمسلمين في كافة اقطارهم ومن واجب الحكومات والهيئات والافراد النظر للقضية على هذا الاساس .

الاجراءات اليهودية في القدس

امام ما تواتر عن اعمال سلطات الاحتلال الاسرائيلي في تغيير المعالم الاسلامية في القدس والاعتداءات المتكررة على الاماكن المقدسة والاثرية والمحاولات المستمرة للاستيلاء على الاراضي والعقارات فان الندوة تنتهز هذه الفرصة لتشير الى القرارات التي اتخذها مؤتمر المنظمات الاسلامية في مكة المكرمة وتدعو الحكومات الاسلامية والامانة العامة للدول الاسلامية: الى سرعة اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذ تلك المقررات

الى الاسلام ...

قال الاستاذ الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامى بواشنطن فى حوار مع مندوب جريدة «اخبار العالم الاسلامى» :

ان معدل عدد من يسلم يومياً يتجاوز الـ ٣ اشخاص فامريكا كما تعلم بلد واسع والمسافات فيه كبيرة فيسلم يومياً عدد من الامريكان ويسجلون اسماءهم وقد لايسجلون اسماءهم هنا أو هناك فنحن عندنا لاتطلع الشمس يوماً من الايام الا مسلم جديد على الاقل ولكن مثل هذا يحدث في كثير جداً من البقاع فى امريكا..

بيان من الفاتيكان

عن علاقات الكاثوليك واليهود

ذكرت جريدة «الاهرام» ان الفاتيكان سيذيع بياناً عن العلاقات بين الكاثوليك واليهود وقد اعلنت الادارة البابوية أن الاب كايو مارتينيم مدير المعهد الديني الاسقفي سيرسل وثيقة لم يعلن شيء عن مضمونها .

وعلم ان نص هذه الوثيقة اعدته اللجنة الجديدة للعلاقات الدينية مع الطائفة اليهودية والتي تشكلت في اكتوبر الماضي ، ومن المرجح ان تكون مشابهة لدرجة كبيرة لمشروع البيان الذي كان قد سربه الكاردنيال لورانس شيتا تم اسقف بالتيمور فى ديسمبر ١٩٦٩ والذي نص على امكانية اقامة صلوات مشتركة بين اليهود والمسيحيين واستنكار معاداة السامية ! ! .

معهد اسلامى للفتيات فى الجزائر

نشرت جريدة «اخبار العالم الاسلامى» نبأمفاده ان وزير التعليم الاصلي والشؤون الدينية الجزائري قد قام بافتتاح المعهد الاسلامي للفتيات بالقرب من مدينة بجاية ..وقد اشاد والي مدينة بجاية بالدور الذي يجب ان يلعبه هذا المعهد فى تقدم المرأة الجزائرية اذ ستساهم بدون شك في تنمية التراث وقال السيد مولودقاسم ان المعهد يستطيع استيعاب ٨٠٠ طالبة وبه ١٢ قاعة للمحاضرات وعدد من المعامل وقاعة استماع.

مشروع دينى ثقافى
لمسلمى جنوب افريقيا

قام المسلمون بمدينة لينازيا بجنوب افريقيا بانشاءمشروع ديني ثقافي للعناية باوضاع المسلمين الذين يمثلون نسبة ستين بالمائة من سكان البلاد .

وقد تولى الدكتورمحمداسماعيلمرنوبان رئيسجمعية نور الاسلامفى لينازيا الاشراف على المشروع الذيسيتمبموجبه انشاء مسجديسع ١٥٠٠ شخصبالاضافة الى ساحة تسع ٣٥٠ مصل وبجانب المسجد مدرسة من تسع عشرة غرفة للدراسة، وقاعة كبيرة تتسع لألف شخصمجهزةباحدث الوسائل ..كما يشمل المشروع بناء مكتبة غنية بالمراجعالاسلامية من الدرجة الاولى. . وقد اشترت الجمعية ايضاًقطعة ارض لاقامةدار حضانة عليها .

... مهرجان لندن ...

سيقام في لندن ربيع ١٩٧٦ مهرجان اسلامي كبير دعيت كل الدولالاسلامية للمشاركة فيه وستنظم على هامش المهرجانعدة لقاءات فكرية بين العديدمن قادة الفكر الاسلامي والمفكرين الانجليز .. وقد قام امين عام المؤتمر بزيارة الى عدة دول اسلامية لضبط مشاركات هذه الدول في المهرجان .

«جوهر الاسلامالتونسية العدد الاولالسنة السابعة»

ملحق مجلة (الهادى)
العدد السادس السنة الثالثة

توصيات

للندوة الإسلامية العالمية الثالثة

المنعقدة

فى ((مكة المكرمة))

من منشورات القسم العربى فى دار التبليغ الاسلامى
قم ــ ايران

الندوة الاسلامية العالمية الثالثة

في مكة المكرمة

انعقدت في مقر رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، الندوة الاسلامية العالمية الثالثة لبحث وتدارس القضايا والمشاكل التي يعانيها ويعيشها المسلمون في مرحلتهم الحاضرة.

وقد بحثت الندوة عدة مواضيع هامة ، هى : الجهاد ، الحركات الهدامة ، ـ كالبهائية والقاديانية والماسونية والشيوعية ـ وموضوع الاقليات الاسلامية في : يوغسلافيا ، روسيا ، الفيليبين ، ألبانيا وأمريكا، وموضوع لغة القرآن . .

وكان من المحاضرين ، الاساتذة : الشيخ محمد الغزالي (مصر) احمد النتــو (الفيليبين) ابو هشام (فلسطين) كامل الشريف (الاردن) الشيخ محمد محمود الصواف (العراق) الشيخ احمد الحماني (الجزائر) الدكتور محمد ناصر (اندونيسيا) محمد قطب (مصر) صالح اوزجان (تركيا) محمد صفوت السقاامينى (السعودية) وغيرهم .

وقد اشترك في هذه النــدوة الاخ العلامــة السيد هادي الخسروشاهى والاخ الاستاذ احمد عباسى ممثلين لمجلة الهادي ولدار التبليغ الاسلامي فى قم.

ومن ثم دعي فضيلة الاخ الخسروشاهي من قبل الاستاذ السيد صفوت السقاامينى مدير المؤتمرات والمنظمات الاسلامية العالمية في رابطة العالم الاسلامي ، لحضور جلسات اعداد التوصيات والقرارات الصادرة عن الندوة الثالثة ، ونحن بدورنا ننشر في هذا العدد جميع التوصيات التي اتخذتها الندوة الاسلامية العالمية الثالثة، ليطلع عليها المسلمون ويستفيد منها القراء الاعزاء في كل مكان ، راجين لهذه القرارات والتوصيات ان ترى النور وتخرج من عالم النظرية الى عالم التنفيذ والتطبيق ،واملنا قوي بالرابطة ان تقوم بخطوات مؤثرة في هــذا السبيل بما تملك من امكانيــات وطاقات كثيرة ، لتنفيذ مقرراتها فى الاقطار الاسلامية ، ولتوحيد الجهود في مضمار العمل الاسلامي على صعيد الامة جمعاء ، ومن الله التوفيق.

الهادى

بسم الله الرحمن الرحيم

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»

الحمدلله رب العالمين .. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد:

في رحاب بيت الله الحرام وفي البلد الامين مكة المكرمة اجتمعت الندوة الاسلامية العالمية في مقر الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي ، وتدارست أهم القضايا والمشكلات التي يعيشها العالم الاسلامي في هذا العصر . . وفي مقدمتها قضية تصحيح المفهوم في موضوع الجهاد الاسلامي ، الذي اصبح الالتزام به في عصرنا ضرورة أمن وحياة، وكذا قضية العدوان المتصل المنظم على لغة القرآن ومحاولة الغزاة قطع الوشائج بينها وبين اهلها من المسلمين تمهيدا للمباعدة بينهم وبين دينهم العظيم .

ثم هذه القضايا والمشكلات التي لايزال العالم الاسلامي يعاني منها في كل يوم وعلى كل رقعة من ارض الاسلام . . ونعني بها قضايا ومشكلات الاقليات الاسلامية التي تلاقي مالايكاد يتصور من الوان القمع والاضطهاد ومحاولات الافناء والابادة ومثلها وعلى مستوى العالم الاسلامي كله . . اخطر قضايا الغزو الاستعماري الجديد الذي يستتر في مسوح جديدة من الغزو الفكري حينا ، ومن محاولات التخريب للاسلام من الداخل في صور نزعات ودعاوى ضالة ومذاهب هدامة ، لايراد من ورائها جميعاً الا ضرب الاسلام في عقر داره ، وشل مقدرة اتباع محمد (ص) عن القيام بدورهم العظيم الذي حدده القرآن الكريم في قوله تعالى :

* كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. * وقوله تعالى و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ..

في هذه الظروف التي فقد فيها اعداء الاسلام والمسلمين صوابهم ، وأخذوا يهددون بمزيد من العدوان والغدر .. تدارس اعضاء الندوة جدول اعمالهم وانتهوا الى التوصيات الاتية :

اولا : الجهاد

١ - نظرا لما تتعرض له الامة الاسلامية من هجوم شرس وعنيد يستهدف الاتيان على دينها وارضها ونظرا لما حدث بالفعل من ضياع اجزاء كبيرة من قلب العالم الاسلامي واطرافه ، تشمل فيما تشمل المسجد الاقصى وفلسطين الى جانب اقطار اخرى تئن تحت وطأة الاستعمار العالمي وتتعرض لخطر الابادة في اجزاء كثيرة من العالم ،

فانها توصى برفع علم الجهاد بين المسلمين جميعاً حتى يتم تحرير كل شبر من ارض الاسلام ويمكن المسلمون من استعادة ارضهم واعلاء كلمة الله .

٢ - ان الجهاد الذى نطالب به لابد ان يعم جميع الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التى تسلل العدوان الاستعمارى والصهيونى منها فان الجهاد فى هذه الساحات لا يقل خطرا ولا اثرا عن الجهاد فى ميدان القتال ، وقد يزيد في بعض الاحيان عليه لارتباط مستقبل الامة به.

٣ - كان غرض الاستعمار تقويض البنيان الاسلامي والاجهاز على رسالتنا وحضارتنا فان الواجب يفرض علينا مزيدا من الحرص في التشبث بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد (ص) .

٤ - اعادة النظر في جميع برامج التعليم وحذف الدس الاستعمارى الثقافي منها وتزويد الطلاب في جميع المراحل بزاد علمي منظم يجعل منهم جيلا اسلاميا واعيا يقظاً .

٥ - امداد معاهد المعلمين بالمناهج والرجال والظروف التي تحقق هذه الغاية.

٦ - منع المدارس التبشيرية منعاً باتاً ، ومنع كل لون من التعليم لا يحمل الصبغة الاسلامية او يخرج متعلمين مقطوعي الصلة بدينهم وتاريخهم ،ورفض التعامل مع المؤسسات العالمية المشبوهة التي تتظاهر بالحياد وتبطن الضغن على ديننا.

٧ - توصى الندوة بالنقظ لتيارات الانحلال الوافدة من الخارج والتى تغرى الشباب بالميوعة والتحدث عن اللذائذ والمرفهات وتؤكد ان هذه التيارات موجهة لاضعاف المقاومة الاسلامية وخلق جيل متخاذل لا يطيق اعباء الجهاد

وذلك مايخدم اغراض الصهيونية والاستعمار .

ان عماد الجهاد هو العقيدة الصلبة والخلق القوى ، ولا شك ان حراسة الجيل الناشيء من الوسائل الخبيثة المصدرة عمدا لاضعافه والقضاء عليه ، توفرلنا عـدة المقاومة المطلوبة وتطمئننا الى مستقبل واضح .

٨ ـ توصي الندوة بتحصين المسلمين ضد العصبيات الضيقة والنزعات العنصرية والقومية التى تتنكر للاسلام وتضيق بتعاليمه .. ويقتضى ذلك اشعارا دائما لكل مجتمع اسلامي بانه جزء من كل ،وان ولاء المسلم انما يكون لدينه العظيم ولامتـه المترامية الأطراف فكل شبر من ارض يحيا عليها مسلم هو وطنه الكبير الذي يهتم به ويدافع عنه .

٩ ـ دراسة الاستغلال الاستعمارى لبعض الأقليات الدينية الموجودة اوالتي اوجدها بين المسلمين ومراقبة نشاطها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي قد يضر بالمسلمين او يضعف مواقفهم امام اعدائنا .

ومعروف ان التسامح الاسلامي بلغ حدا رائعا في التجاوز والاغضاء ، ولكن ذلك لاينبغي ان يكون ذريعة للنيل منه او العدوان عليه وخاصة في هذه الظـروف العصيبة التي يمر بها المسلمون الان .

١٠ ـ واخيراً توصي الندوة بالعمل على حشد المسلمين قاطبة وجمع صفوفهم للمعركة المتوقعة مع الصهيونية والاستعمار ، ويتطلب ذلك :

أ ـ تخصيص اركان حية في برامج الأذاعات المسموعة والمرئية للحث على الاستعداد المادي والادبي وللتركيز بما لابد منه من تضحيات حتى نحرز النصر.

ب ـ تكوين لجان توعية تشرح طبيعة الجهاد لاستنقاذ المسجد الاقصى وسائر الاراضي الاسلامية المغتصبة سواء في فلسطين او غيرها .

جـ ـ انشاء كتائب للتحرير والجهاد ينتسب اليها الشباب المسلم ويتم فيهـا تدريبهم عسكرياً اعداداً لمعارك المصير المنتظرة على ان يكون ذلك تحت اشراف رسمي تتعاون فيه دول الجامعة العربية والدول الاسلامية الاخرى .

٢ ـ الحركات الهدامة

ان الحركات الهدامة في مؤسساتها المختلفة ، سواء منها ما هو منظمة ظاهرة او جماعة سرية قد وصلت الى مرحلة خطيرة من التغلغل في جميع جبهات العالم الاسلامي نتيجة تقصير وغفلة طويلة بعد استعمار غاصب .

ولقد كشفت الابحاث عن مدى توسع هذا الخطر ونموه . لذلك ترى الندوة ضرورة العمل بقوة وفي كافة المجالات من اجل حصر هذا الخطر والكشف عنه والقضاء عليه بكل الوسائل الميسرة مع حشد الجهود لهذه المواجهة وتجنيد كل القوى من المفكرين والصحفيين والباحثين المسلمين والمتخصصين في مختلف المجالات لدرء هذا الخطر . وفي هذا توصي الندوة بما يلي :

أ ـ منظمة المفكرين والكتاب المسلمين

انشاء جهاز به فكرى قادر على العمل ويكون ذلك بانشاء منظمة المفكرين والكتاب المسلمين داخل اطار رابطة العالم الاسلامي بحيث تقوم على مراجعة كل ما يصدر في العالم الاسلامي وخارجه وما يوجه الى المسلمين من دعوات ومذاهب و شبهات مبارة ، وحصر هذه التحديات والكشف عنها والرد عليها على ان تقوم هذه المنظمة بالتبادل الثقافي بين مفكري الاسلام وكتابه واعلان ميثاق فكري امام الكعبة المشرفة بالتعهد بصيانة الميراث الاسلامي وحمايته والدفاع عنه ، واليقظة التامة لكل مايراد به من تزييف والرد على الشبهات ، كذلك من شأن هذه المنظمة العمل السريع في مواجهة اي ظاهرة من ظواهر العمل التنصيري والاستشراقي او محاولات التغريب بحيث يكون الرد سريعاً ازاء كل ظاهرة وفي لحظة ظهور الخطر. كذلك من شأن هذه المنظمة حماية ظهور المفكرين المسلمين من القوى الوافدة والاستعمارية التي تحاول القضاء عليهم .

وترجو الندوة من الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي الاسراع في الدعوة الى عقد مؤتمر للمفكرين الاسلاميين والعاملين في حقل الدعوة لدراسة انشاء هذه المنظمة .

ب ـ انشاء صندوق تمويل الدعوة الى الاسلام

انشاء صندوق تمويل للدعوة الاسلامية من مصادر مختلفة يمكن تحديدها،وفي مقدمة هذه الوسائل طبع طوابع تجمع في جميع انحاء العالم الاسلامي بالاضافة الى الموارد التي تقدمها الزكاة الاسلامية ومعنويات كبار المسلمين والهيئات الاسلامية على ان يكون هذا الصندوق مصدراً لتمويل مختلف البحوث والدراسات وتقوم رابطة العالم الاسلامي بالاشراف على هذا الصندوق .

ج ـ انشاء معهد للدعاة المسلمين

توصي الندوة بضرورة الاسراع في انشاء معهد لاعداد الدعاة الاسلاميين،على ان يتولى العمل فيه طائفة من الخبراء المسلمين في مختلف مجالات الفكر الاسلامي ويستقدم عدداً من الشباب المسلم المثقف لتدريبه وبعثه الى مختلف اقطار العالم .

وتأمل اللجنة ان تؤسس فروع لهذا المعهد في مختلف انحاء العالم حيثما امكن.

د ـ توصي الندوة بضرورة العناية بتوعية المرأة المسلمة توعية اسلامية بحيث تكون قادرة على العمل فى الحقل الاسلامى فى مجال التعليم والارشاد والتمريض .

هـ ـ انشاء دار نشر اسلامية كبرى تقوم على طبع وسائل مختصرة بمختلف اللغات المتداولة فى العالم الاسلامي وفق منهج يعد لمواجهة كل حملات الغزو الثقافي المطروحة فى العالم الاسلامي والرد عليها وكشف زيفها .

وتوصي الندوة بسرعة البدء فى هذا المشروع بانشاء مطابع صغيرة مناسبة للمناطق المحتاجة الى ذلك .

و ـ انشاء صحيفة اسلامية يومية كبرى يمكن ان تصدر اسبوعياً اولا فى حجم الصحف اليومية وتصدر فى احدى العواصم الاسلامية وباللغات العربية والفرنسية والانجليزية باشراف من يختارون من الصحفيين من المسلمين للعمل لتكون اداة سريعة ويومية في مواجهة كل التحديات والشبهات والاخطار، وتوصى الندوة في بادىء الامر بتطوير مجلة اخبار العالم الاسلامي .

ز ـ اعتماد منهج اصيل للتربية الاسلامية والتعليم الاسلامي يراعى فيه حماية

الشباب المسلم من اخطار المنهج الوافد على ان يعد هذا المشروع بواسطة مجموعة من خبراء التربية الاسلامية ويقدم الى الحكومات المسلمة لاعتماده وتنفيذه .

كذلك توصي الندوة بان تقدم المدارس الاسلامية والجامعات دراسة تسمى مقدمة المناهج بين يدي دراسات العلوم والتجارة والاقتصاد والتربية وغيرها تكشف عن الاصول العامة التي قدمها الفكر الاسلامي للفكر البشري في مختلف المجالات.

وتوصي الندوة بالعمل على اعداد كتب مسطة لاطفال المسلمين تمكنهم من فهم دينهم فهما سلبما مسطأ بحث ينسر لهم تطبقه في الحياة العملية كما توصي بانشاء مجلة اسلامية للاطفال .

ث ـ انشاء عدد من المستشفيات في المناطق الحساسة في العالم الاسلامي ويمكن ان تبدأ هذه المستشفيات على هيئة مستوصفات صغيرة لتكون بديلا للمسلمين عن المستشفيات التي تقيمها هيئات التنصير والعمل على انشاء مستوصفات متنقلة تجوب مختلف القرى وتقوم في الوقت نفسه بتوزيع الكتب الاسلامية وذلك اسوة بالتجربة الناجحة لرابطة العالم الاسلامي في اندونيسيا والنيجر .

ط ـ مراقبة المنح الدراسية التي تقدم للشباب المسلم من البلاد غير الاسلامية والاشراف عليها وذلك حماية للشباب المسلم من الوقوع في براثن الهيئات التنصيرية وهيئات الاستشراق حيث ثبت ان اغلب المنح التي تقدم للبلاد الاسلامية تسيطر عليها هيئات لها اهداف استعمارية .

كذلك توصي الندوة بالتوسع في المنح الداخلية للطلاب الوافدين من العالم الاسلامي .

ى ـ انشاء مؤسسة كبرى للشباب لرعايته وحمايته وتوجيهه ،يكون لها مراكز بمختلف انحاء العالم خاصة في البلاد الغربية على ان تقوم هذه المؤسسة بدراسات واسعة لتغطية حاجات الشباب المسلم ومواجهة التحديات التي يتعرض لها .

ويقوم بالاشراف على هذه المؤسسة عدد من خبراء التربية الاسلامية لعلاج مختلف القضايا التي تواجه الشباب وعلى هذه المنظمة ان تتخذ من المسجد وسيلة اولى لهذا الغرض وان تقدم للشباب النماذج الطيبة والاسوة الحسنة من

المدرسين والدعاة .

كما توصي الندوة بالعمل على حماية الشباب من الحركات الرافضة الحديثة كالهيبزيين والوجوديين.

ك ـ العمل على اعداد خطة لتوجيه وسائل الاعلام الوجهة الاسلامية وذلك عن طريق التفاهم مع الحكومات الاسلامية سواء في مجال الاذاعة او التلفزيون او المسرح او السينما او الصحافة وعمل ميثاق عمل اسلامي لاعداد هذه الوسائل الاعلامية وتوجيهها الوجهة الاسلامية الصحيحة .

ثالثاً ـ توصيات خاصة

١ ـ فى مواجهة العلمانية

توصي الندوة باعتبار الشريعة الاسلامية في مختلف البلاد الاسلامية دستوراً لها كما توصي بان تقوم الجامعات بمختلف البلاد الاسلامية بدراسة المذاهب العربية فى اطار وجهة النظر الاسلامية على اعتبار انها وجهات نظر خاصة وانها افتراضات فيها الصواب وفيها الخطأ وان للمسلمين مفاهيم اساسية في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية. كذلك توصي بتأكيد مفهوم ارتباط الدين بالمجتمع وبالدولة والحياة مع ضرورة ادخال العقيدة الاسلامية في برامج التعليم الجامعي ودراسة اقتصاد الاسلام في كليات الاقتصاد ودراسة السياسة الاسلامية في كليات العلوم السياسية ودراسة الشريعة الاسلامية كمنهج تطبيقي في كليات الدراسات القانونية .

٢ ـ فى مواجهة الشيوعية

نقد الفكر الماركسى والكشف عن اخطاره وزيفه والاشارة الى مدى كفاية الاسلام كمنهج حياة لاسعاد المسلمين واسعاد البشرية وتوصى الندوة باعداد دراسات شاملة متخصصة لنقض مختلف جوانب الفلسفة المادية والماركسية التى يدعونها الاشتراكية العلمية وذلك على طراز علمى حديث لحماية الشباب المسلم من اخطارهم فى الجامعات وطبع كتيبات مبسطة تقدم للشباب فى المدارس المختلفة لتوعيتهم من هذا الخطر والدفاع عن انفسهم وتوصى الندوة بضرورة العمل السريع لحماية الشعب المسلم فى كل مكان من اخطار الشيوعية .

وفى هذا المقام تراقب الندوة في قلق بالغ الأوضاع غير الانسانية التي يتعرض لها ابناء الجنوب العربي وتستنكر المجازر الوحشية التي تمارسها الحكومة الشيوعية

...

هناك ضد العلماء والمفكرين المسلمين وقتلهم وسحلهم تشريدهم ، في محاولة مكشوفة للقضاء على الاسلام في جنوب الجزيرة العربية واقامة دولة تكون منطلقاً للحركات الالحادية الهدامة لغزو المسلمين في عقر دارهم وتطالب الندوة المسلمين حكومات وهيئات وشعوباً بالعمل الجاد المتواصل لرفع هذا العدوان الواقع على المسلمين في دول الستار الحديدي وفي كل مكان يتعرضون فيه للقهر الشيوعي وخطر الابادة الشاملة (١) .

٣ ـ في مواجهة التنصير

توصي الندوة بتسمية هذا الخطر الذي يسمونه التبشير باسمه الحقيقي وهو التنصير كما توصي بفتح مدارس عن طريق الهيئات الاسلامية الاهلية وبناء المستشفيات والملاجيء التي تغني المسلمين عن دخول تلك المدارس والمستشفيات .

كذلك توصي بالنظر في المناهج التي تقدمها المدارس والجامعات التابعة للارساليات التبشيرية التي تقوم بالتنصير بحذر شديد والكشف عن هدفها المسموم في تفريغ العقل الاسلامي من مقوماته كما توصي بالتنبيه الى العلاقة الجذرية بين التنصير والاستعمار القديم والحديث .

٤ ـ في مواجهة الماسونيه :

توصي الندوة بالعمل على كشف اسرار الماسونية في دراسات واسعة والكشف عن صلتها بالصهيونية وخدمتها لها كما توصي بابراز الاسماء الجديدة التي تستتر وراءها كالروتري والليونز وشهود يهوه واخوان الحرية والعمل على ابعاد زعماء الماسونية عن مراكز التوجيه في البلاد الاسلامية المختلفة .

---

(١) ياحبذا لو لم يقتصر هنا على ذكر بلد واحد يتعرض فيه الاسلام والمسلمون الى المحنة والاضطهاد ، وتنبه المؤتمر والمؤتمرون الى المحنة الاقسى والاعظم التي يتعرض لها الشعب المسلم في العراق وغيرها واوانما نأمل أن يرفعوا اصواتهم بالاحتجاج على السلطة هناك خاصة بعد اقدامها على الجريمة النكراء باعدام خمسة من العلماء المسلمين والمثقفين والحكم بالسجن على العديد من الشخصيات الدينية هناك ، والتي لا ذنب لها سوى تبليغ ونشر تعاليم الاسلام الحنيف. «الهادي»

٥ ـ في مواجهة البهائية :

توصي الندوة بالكشف عن زيف البهائية وخطرها على مفهوم الاسلام وتوضيح ثبا الشريعة الاسلامية بوصفها شريعة ربانية عامة لها قدرتها على النماء والاستجابة لتغييرات المجتمع والاحداث والبيئات عن طريق الاجتهاد في الفروع .

كذلك توصي الندوة بالتنبيه الى العلاقات الوطيدة بين البهائية والصهيوني وخدمة البهائية للصهيونية ، والتوصية بخطر كل نشاط بهائي في البلاد الاسلامي سواء أكان سرياً ام علنياً .

رابعا ـ لغة القرآن

بما ان ثمة محاولات مشبوهة تقوم بها بعض الجهات المعادية للقضاء على اللغ العربية التي ظلت هدفاً لمؤامرات الحاقدين على التراث العربي والاسلامي وعلى الرغم من ان هذه المحاولات تلقى كل معارضة واستنكار من العالمين العربي والاسلامي الا ان المخططين لهذه المؤامرات الحاقدة مصممـون على المضي في محاولته القضاء على لغة القرآن ، تحت شعارات التيسير تارة ، وتحرير اللغة العربية وحروفه من قيود القواعد تارة اخرى .

ومن المؤسف جداً ان تجد هذه الدعوات استجابة وترحيباً لدى بعض الدول الأسلامية التي اقدم بعضها على استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني واحلال العامية محل الفصحى مما يشكل تهديداً خطيراً لمستقبل الامة ولغتها الاصيلة .

وفي ضوء هذا الواقع توصي الندوة بما يلي :

١ ـ دعوة جميع الدول الاسلامية الى الاهتمام بتدريس القرآن الكريم وتحفيظ للطالب وذلك بوضع برامج ومناهج لجميع مراحل التعليم تكون العناية بالقرآن ولغته ركنا بارزاً فيها .

٢ ـ الدعوة الى ضرورة الاعتزاز باللغة العربية بوصفها لغة القرآن ، ورفض كل سخرية منها واتخاذ مواقف حازمة من اصحاب هذه النزعات .

٣ ـ مناشدة الكتاب والمؤلفين والأدباء المسلمين العمل على احتذاء البيا

القرآني والبيان النبوي الشريف فيما يقدمون من اعمال .

٤ - ومناشدة هؤلاء الكتاب كذلك ان يستلهموا التراث الاسلامي بما فيه من روائع البيان ويعرضوه عرضاً يلائم هذا العصر .

٥ - من الضروري اظهار محاسن الأدب العربي وتقديمه للقراء فى الصورة التي تبرز جمال العربية في التعبير والتصوير وذلك بمقارنته بلغة الاداب الاخرى.

٦ - حث جميع الدول العربية والاسلامية على الحفاظ على الخط العربي والحرف العربي كذلك باعتبارهما الاساس الاول للحفاظ على لغة القرآن ومناشدة الدول التي استبدلت بالحرف العربى اللاتينى العوده ثانية الى مجراها الاصل حتى لاتنقطع الصلة بين المواطن الاسلامي وجذور تراثه العريق .

٧ - من الضروري التزام لغة القرآن في جميع المعاملات الرسمية مما يظهر اعتزازنا بهذه اللغة .

٨ - المطالبة بأن تكون لغة القرآن لغة رسمية في جميع المؤتمرات والمحافل الدولية .

٩ - الدعوة الى عقد مؤتمر للمتخصصين في العلوم التجريبية كالطب والهندسة ونظائرهما تكون مهمته تعريب التعليم في هذه المواد التي تدرس للعرب والمسلمين بغير لغة القرآن .

١٠ - حث الدول العربية على الاكثار من انشاء مراكز لتعليم لغة القرآن فى البلاد الاسلامية التي لاينطق أهلها بالعربية وخاصة في البلاد التي تضم اقليات اسلامية.

١١ - بث برامج اذاعية لتعليم اللغة العربية للمسلمين وغيرهم فى جميع انحاء العالم.

١٢ - دعوة المتخصصين في علوم اللغة الى تبسيط وسائل تعلمها اسوة باللغات الاخرى .

خامساً - الاقليات الاسلامية

١ - مناشدة جميع الدول والهيئات والمنظمات الاسلامية فى العالم الاهتمام بقضايا ومشكلات الاقليات الاسلامية في جميع انحاء العالم وتقديم

المساعدات المختلفة لهذه الاقليات حتى تتمكن من استمرار بقائها وحفاظها على دينها

٢ - انشاء صندوق للجهاد لصالح هذه الأقليات ينفق منه على مساعدتهم في كل ماتحتاج اليه على ان يكون مركز هذا الصندوق في الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي.

٣- حث الحكومات الاسلامية على اتخاذ مواقف ايجابية وحازمة من كل الحكومات التي تضطهد الاقليات الاسلامية وحملها على رعاية حقوق هذه الاقليات في اقامة شعائرها وممارسة عباداتها الدينية ونشاطاتها الثقافية والاجتماعية .

٤ - من الضروري ان ينشأ فى كل دولة اسلامية مركز لتدريب المجاهدين المسلمين وتزويدهم بالخبرات العسكرية للدفاع عن دينهم وعن وجودهم ضد محاولات الابادة التي يتعرضون لها .

٥ - مطالبة الدول الاسلامية بتبني قضايا الأقليات المسلمة فى المنظمات والمحافل الدولية .

٦ - الاعتراف بحركات التحرير والجهاد الاسلامي الذي تقوم به هذه الاقليات واتخاذ كل الخطوات المترتبة على ذلك بدعمه سياسياً ومالياً وعسكرياً .

٧ - مطالبة الحكومات الاسلامية بتقديم المنح الدراسية لابناء الاقليات المضطهدة .

٨ - مناشدة الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي باذاعة جميع الحقائق والوثائق المتعلقة بقضايا الاقليات على جميع دول العالم حتى يقفوا على حقيقة ما يتعرض له اشقاؤنا المسلمون.

وفي ختام هذه التوصيات لايسع اعضاء هذه الندوة الأسلامية العالمية الا ان يسجلوا تقديرهم العميق لمعالي الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي الشيخ محمد صالح القزاز على جهده المخلص المتصل فى متابعة الاعمال والقضايا والمشكلات التي يناط بالرابطة ان تسهر عليها . كما يسجلون تقديرهم العميق لجميع العاملين فى الامانة العامة للرابطة على مايبذلون من جهد وما يتحملون من اعباء . جزاهم الله جميعاً عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء وبارك في عملهم وفي كل عمل خالص يقصد به وجه الحق واعلاء كلمة الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . .

مكة المكرمة في ٤ ذي الحجة ١٣٩٤ هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٧٤ م

من النظام الاساسي للمجلة :

اولا ـ تلتزم المجلة بعرض الاسلام مبدءاً و تاريخاً وحضارة باسلوب منسجم مع متطلبات العصر ، ولغته ، والتركيز على مختلف العلوم الاسلامية ، ذات الصلة الوثيقة بالكيان التربوى ، والاهتمام بشوون المسلمين في العالم بصورة عامة .

ثانياً ـ المجلة هادفة لاتنشر الا مايلتقي و رسالتها الدينية .

ثالثاً ـ المجلة على استعداد لقبول كل اقتراح ، ونقد بناء.

رابعاً ـ التعاون التام مع المؤسسات والجمعيات والنوادى الاسلامية في العالم .

خامساً ـ لاتلتزم المجلة بنشر كل مايصلها من مواد، ولاتلتزم باعادتها لاصحابها ولها حق التعديل عند الضرورة .

سادساً ـ توزع المقالات ، والبحوث ، والقصائد عند النشر على اساس فني لاعلاقة له بمكانة الكاتب .